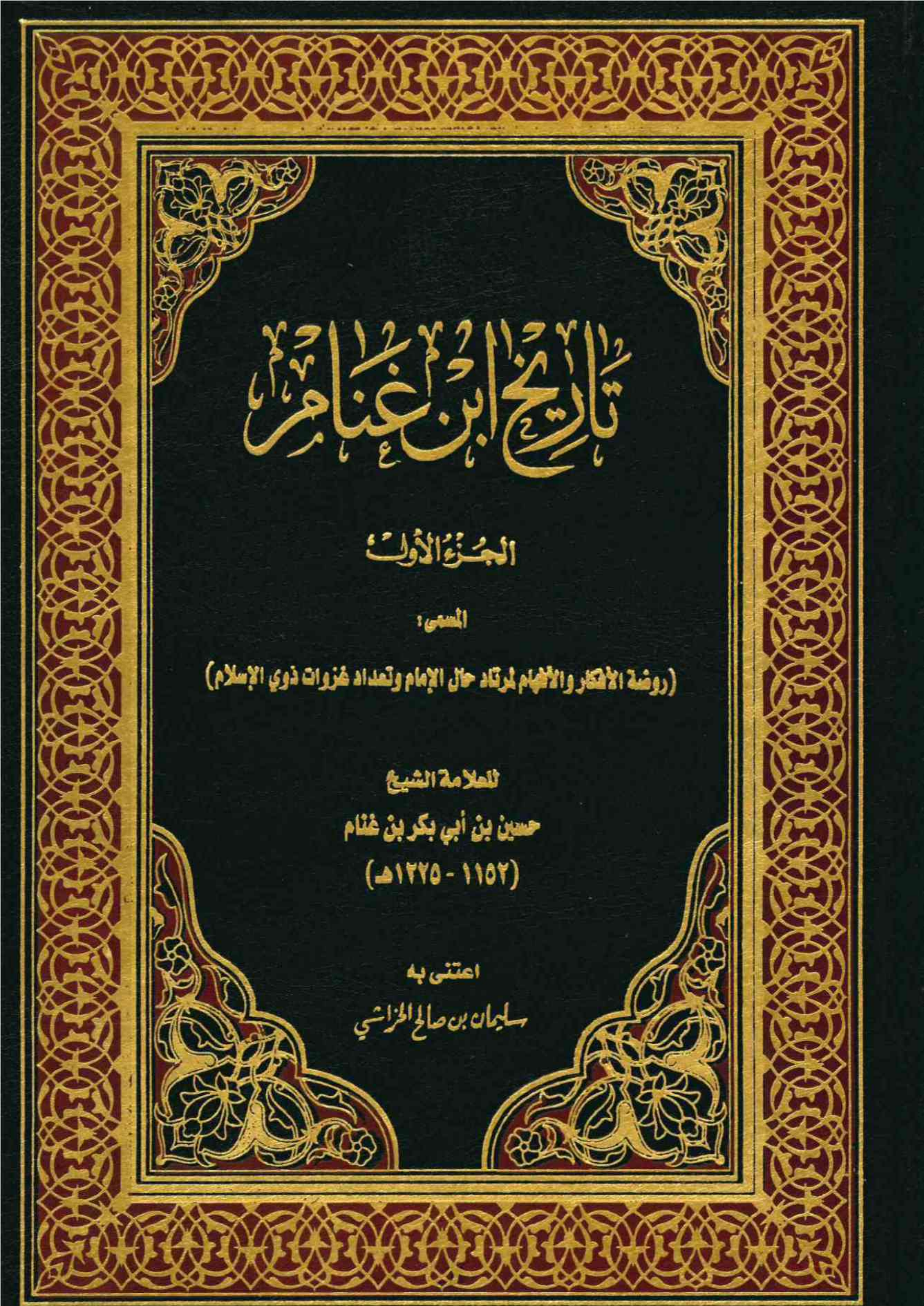


تاريخ ابن غنام
الجزء الأول
المسمى:
(روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام)
للعلامة الشيخ
حسين بن أبي بكر بن غنام
(١١٥٢ - ١٢٢٥هـ)
اعتنى به
سليمان بن صالح الخراشي

# تاريخ ابن غنام

الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

الناشر



دار الثلوثية للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية الرياض
تليفون : ٤٥٠٧٨٣٢
فاكس : ٤٦٤٥٩٩٩
email :tholothia@gmail.com

# تاريخ ابن غنام

## الجزء الأول

المسمى :

( روضة الأفكار والأفهام لُمرتاد حال الإمام وتَعداد غزوات ذوي الإسلام )

للعلاّمة الشيخ

**حسين بن أبي بكر بن غنام**

( ١١٥٢ — ١٢٢٥ هـ )

– رحمه الله –

اعتنى به

**سليمان بن صالح الخراشي**


بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد؛ فإن تاريخ ابن غنام رحمه الله يُعد أهم مصدرٍ لتاريخ هذه البلاد «السعودية»، بعد دعوة الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله؛ حيث أرّخ لإرهاصاتها، ثم قيامها، ثم توسعها السياسي، مع ما ضمّن كتابه من رسائل وآثار للشيخ مهمة، حفظت للأجيال تراثه، وجمعت لكتاب ابن غنام بين الجانب السياسي والعقدي، مما جعله عمدة لدى علماء هذه البلاد، وغيرهم، ينقلون منه عند حديثهم عن الشيخ ومبدأ دعوته(١).

(١) انظر - على سبيل المثال -: «الدرر السنية» (١ / ٣٢٤)، و(١ / ٣٧٥)، و«منهاج التأسيس والتقديس»؛ للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن (ص ٢٧ - ٢٨)، ومقدمة الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ لطبعة الدكتور ناصر الدين الأسد (ص ٥). وقال الشيخ ابن قاسم في ترجمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «ومن أراد الاطلاع على حقيقة حاله، ومامنحه الله في مبدأ أمره ومآله، من النور المبين، وتجديد الملة والدين، وماحباه من نيل مقصوده، وبلوغه الأمل من توحيد معبوده، وما منّ به عليه من الظفَر والتمكين، ولسان الصدق في العالمين؛ فعليه بكتاب «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، وهو تأريخ الإمام الشيخ حسين بن غنام الأحسائي الشافعي رحمه الله تعالى». «الدرر السنية» (١٦ / ٣٤٧).
أما غيرهم؛ فقال صاحب «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود» (ص ٢٨٠ - ٢٨١): «وقد رأيت تاريخًا حافلًا للعلامة ابن غنام، من علماء الحنابلة، ترجم لسعود، ووالده، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، وذكر أيامه، وما اشتملت عليه سيرته..». =

ولقد تحدث الأستاذ عبدالرحمن آل الشيخ رحمه الله في ترجمته لابن غنام من كتابه «مشاهير علماء نجد»[1] عن طبعات الكتاب، فقال: «وتاريخه المشهور بتاريخ ابن غنام»، قد سماه: «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، وهو تاريخ مسجوع سجعًا مملًا، لا يكاد قارئه يخلص من سجعه إلى المعنى المطلوب إلا بعد لأي وجهد، وقد طُبع ثلاث طبعات[2]:

الأولى: سنة ١٣٣٢هـ[3] بمدينة بومباي بالهند، على نفقة الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله[4].

---

= وقد اعتمده معظم مَن كتب عن تاريخ الدولة السعودية الأولى؛ كمقبل الذكير، وعبدالله بن محمد البسام، وأمين الريحاني، وفلبي، وحافظ وهبة، وسعود بن هذلول، وأمين سعيد، ومنير العجلاني، وحسين خزعل، وغيرهم؛ كأبي حاكمة في «تاريخ الكويت». انظر: «أهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية»؛ للدكتور عبدالله الشبل (ص ١٥٥ - ١٥٦).

(١) (ص ١٨٥ - ١٨٨) بتصرف.

(٢) أما طبعة الدار الثقافية للنشر، بمصر، سنة ١٤٢٣هـ، فهي نسخة من طبعة الدكتور الأسد!

(٣) هكذا. ومثله في بحث «عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب»؛ للأستاذ عبدالعزيز الرفاعي رحمه الله، منشور ضمن «بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز» (٢ / ٦٥٢) نقلًا عن الشيخ حمد الجاسر رحمه الله. والصواب أنه طُبع في ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ؛ كما جاء في خاتمة المجلد الأول منه (ص ٣١٢). ويؤكده ماجاء في: «مراجعات في مصادر التاريخ السعودي»؛ للدكتور عبدالله العثيمين (ص ١٧)، و«معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية..»؛ للأستاذ أحمد خان (ص ١٣٦). ولعل كتابة الرقم ٧ على الطريقة الهندية، بما يشابه الرقم ٢، هو الذي أوقعهم في الخطأ السابق. انظر: «طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبدالعزيز»؛ للأستاذ عبدالرحمن الشقير (ص ٤٦).

(٤) تُعرف بـ«الطبعة الهندية». وقد جاء على غلافها: «على نفقة مَن قصده طلب الثواب، من رب الأرباب، رجاء من الرحمن الرحيم، أن يجعله عملًا خالصًا لوجهه الكريم، =

والثانية: بمطبعة البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٦٨هـ، على نفقة عبدالمحسن بن عثمان أبا بطين رحمه الله، صاحب المكتبة الأهلية سابقًا بمدينة الرياض.

والطبعة الثالثة: سنة ١٣٨١هـ بمطبعة المدني بمصر، بتحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، وملتزم نفقات الطبع: الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمهم الله، وقد جُرِّد في هذه الطبعة الأخيرة من الأسجاع الممقوتة، لكن مع الأسف تصرف فيه - محققه - تصرفًا مخلًا، حيث حذف منه جميع ما حواه من القصائد، وهي سبع قصائد، اثنتان لمحمد بن إسماعيل اليمني، المشهور بالصنعاني:

**الأولى**: بائية ومطلعها:

**أما آن عما أنتَ فيه متابُ وهل لك من بعد البُعاد إيابُ**

**والثانية**: الدالية المشهورة ومطلعها:

**سلامي على نجدٍ من حلّ في نجدِ وإن كان تسليمي على البُعد لا يجدي**

وخمس قصائد للمؤلف الشيخ حسين بن غنام: الأولى: هائية ومطلعها:

**نفوس الورى إلا القليل ركونُها إلى الغي لا يُلفي لدينٍ حنينُها**

تبلغ أبياتها ستة وثلاثين بيتًا، وتقع في (ص ٧١- ٧٢، ج٢، طبعة أبا بطين).

الثانية: سينية، قالها في مناسبة جلاء دهام بن دوّاس عن الرياض، ومطلعها:

**كشفَ الحقُّ ظُلْمَةَ الإغلاس ومحَا الدينُ جُملة الأرجاس**

---

= بمعرفة الساعي في طبع الكتاب: عبدالمحسن بن محمد ابن مرشد، غفر الله له، ولمن أوقف هذا الكتاب، ووالدَيهما، ووالدَي والدَيهما، وأرحامهما، والمسلمين، آمين». قال الشيخ حمد الجاسر عن ابن مرشد رحمهما الله: «هذا الرجل من أسرة معروفة في الرياض، وكان يتردد على الهند». «بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز» (٢ / ٦٥٢).

والقصيدة الثالثة: عينية، قالها في رثاء شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، ومطلعها:

**إلى الله في كشف الشدائد نفزعُ   وليس إلى غير المهيمن مفزعُ**

وتبلغ أبياتها تسعة وثلاثين بيتًا، وتقع في (ج٢، ص ١٥٥- ١٥٦، الطبعة المذكورة).

والقصيدة الرابعة: الطائية، التي رد بها على قصيدة محمد بن عبدالله بن فيروز، ومطلعها:

**على وجهها الموسوم بالشؤم قد خُطَّا   عروسُ هوىً ممقوتة زارت الشَّطَّا**

تبلغ أبياتها ستة وسبعين بيتًا، وتقع في (ج٢، ص ١٩٠- ١٩٢ من الطبعة المذكورة).

والقصيدة الخامسة: الرائية، قالها في مناسبة قتل ثويني، وتهنئة للأمير سعود ووالده الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، باستيلاء ابنه الأمير سعود على الأحساء، ومطلعها:

**تلألأ نورُ الحق وانصدع الفجر   وديجور ليل الشرك مَزَّقه الظُهر**

وتبلغ أبياتها مائة وثمانية عشر بيتًا، وتقع في (ج٢، ص ٢٣٧- ٢٤٢ من الطبعة المذكورة).

وكل هذه القصائد التي نوهنا عنها حُذفت من طبعة المدني بلا إشارة إلى حذفها، وحُذف أيضًا من طبعة المدني: رسالة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، المسماة: «الفواكه العذاب في الرد على من لم يُحكم السنة والكتاب»، وهذه الرسالة تقع في (ج٢ طبعة أبي بطين، وتبتدئ من ص ٢٠٤ إلى ص ٢٣٢)، أي تبلغ ثمانٍ وعشرين صفحة.

كما حُذف الحديثان المسلسلان بالأولية، اللذان رواهما الشيخ محمد

عبدالوهاب إجازة، الأول: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»، الحديث الثاني: «**إذا أراد الله بعبده خيرًا استعمله**» الحديث.

وكل هذا الحذف لم يُشَر إليه، فإذا جاء القارئ الذي لم يسبق له الاطلاع على الأصل، ظن أن هذا هو تاريخ ابن غنام بكامله، وبدون حذف ولا تغيير، سوى السجعات، حيث نُوه عنها في التمهيد والمقدمة». انتهى كلام الشيخ عبدالرحمن(١).

قلت: وهذه الطبعة الثالثة - رغم المؤاخذات السابقة - هي المتداولة حاليًا بين الناس، أما الطبعتان «الأولى والثانية»؛ فهما في حكم النادر أو المفقود؛ لاسيما الأولى منهما. ولهذا السبب: عزمتُ على إخراج هذا التاريخ المهم، معتمدًا على مخطوطة الكتاب المحفوظة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية(٢)، وعلى الطبعة الأولى الهندية(٣)، من خلال الاجتهاد في إخراج نصه كما أراده صاحبه، وصفه بطريقة فنية معاصرة، تُيسر قراءته، مع تخريج أحاديثه، وتوثيق نصوصه، واستكمال سقط الطبعة الهندية(٤)، والتعليق على

---

(١) (ص ١٨٥ - ١٨٨) بتصرف.

(٢) في جزئين، برقم (٢٠٧٤ و٢٠٧٥)، وعدد أوراقها (١٦٥) ورقة، نُسخت بخط معتاد، في ١١جمادى الأول ١٢٧٢هـ. وناسخها: سعد بن نبهان بن رشيد، أحد «النساخ طلبة العلم في القرن الثالث عشر»، كما يقول الدكتور عبدالله المنيف، في رسالته «صناعة المخطوطات النجدية» (ص ٣٣٥)، وقد ذكر أسماء بعض الكتب التي نسخها، ومنها: «روضة الأفكار»؛ لابن غنام. وانظر للمزيد عنه: «علماء وقضاة حوطة بني تميم والحريق وقراها»؛ للأخ الشيخ عبد الله بن زيد آل مسلم (١/ ٢٦٠ - ٢٦٧).
ولتاريخ ابن غنام نسخ أخرى، ستأتي الإشارة إليه آخر الكتاب - إن شاء الله -.

(٣) مع الاستفادة من «مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب»؛ للتوثق من بعض النصوص.

(٤) وقد تنبه لهذا السقط الطويل: الشيخ عبدالمحسن أبابطين رحمه الله، في طبعته =

مارأيته يستحق التعليق، دون إثقال للهوامش، ممهدًا الطريق لمن هم أجدر مني من المتخصصين، مقدمًا بهذه المقدمات المناسبة؛ توطئةً له:

١- ترجمة الشيخ حسين بن غنام رحمه الله.

٢- نقولٌ مهمة عنه وعن تاريخه؛ لثلاثة من الأعلام المعاصرين المهتمين بالتاريخ السعودي، وهم: الشيخ حمد الجاسر رحمه الله، والدكتور عبدالله بن صالح العثيمين، والدكتور محمد بن سعد الشويعر - وفقهما الله -[1].

٣- جانبان يستحقان الاهتمام في تاريخ ابن غنام؟

٤- مجموعة قواعد مهمة تتعلق بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، وخصومها، وفي ضمنها الإجابة عن شبهتين يثيرهما بعض المناوئين، ومَن تأثر بهم، تتعلقان بماذكره ابن غنام عن حال البلاد النجدية قبل دعوة الشيخ، وبالحكم على مخالفي الدعوة.

أسأل الله أن ينفع بهذا التاريخ، وأن يُضاعف لصاحبه الأجر؛ جزاءَ ماحفظ لنا من تراث وسيرة إمام الدعوة السلفية في هذا العصر، ومَن ناصره من أئمة آل سعود - رحمهم الله جميعًا -، وأن يوفق بلادنا للسير على نهجهم، ويجمع لها بين الدين الصحيح، والحياة الطيبة، وأن يوزعنا شكر نِعَمه وآلائه، ولايفوتني أن أشكر الشيخ الجليل محمد بن ناصر العبودي - حفظه الله -، الذي أفادني عن معاني بعض الألفاظ العامية الدارجة، وأن أشكر الأخ الكريم: الشيخ

---

= (ص ١٧٨ - ٢٢٨). إضافة إلى سقط كلمات متفرقة تبينت من مراجعة المصادر التي ينقل منها ابن غنام رحمه الله.

(١) وخشية التكرار، لم أورد ماذكره الدكتور عبدالله الشبل عن تاريخ ابن غنام في رسالته السابقة «أهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية» (ص ٩٨ - ١٥٦).

عبدالله بن بسام البسيمي، على تفضله عليّ بقراءة الكتاب قبل طبعه، وتزويدي بملاحظاته الثمينة. والله الموفق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

**كتبه / سليمان بن صالح الخراشي**

Alkharashi@homail.com



# ترجمة الشيخ حسين بن غنام[1]

هو الشيخ حسين بن أبي بكر بن حسين بن عبدالوهاب آل غنام، من قبيلة بني تميم، كان نجديَّ الأصل، ولكنه من سكان الأحساء.

وُلد في بلدة المبرّز عام ١١٥٢هـ، وهي من ضواحي الهفوف، وتقع عنها بنحو ثلاثة أكيال، والآن اتصلت إحداهما بالأخرى.

نشأ في الأحساء، وأخذ في صباه مبادئ القراءة والكتابة، ولما شب شرع في القراءة على علماء الأحساء من آل مبارك وآل عبدالقادر وغيرهم، وكان الغالب في الأحساء شيوع مذهب الإمام مالك في الفقه، فدرس كتب المالكية في الفروع، فصار مالكي المذهب[2].

ودرس علوم اللغة العربية من النحو الصرف والبلاغة والمفردات اللغوية حتى أحاط بأغلبها؛ كما أن له هواية بدراسة الأدب العربي، نظمه ونثره، فقرأ أمهات كتب الأدب، وصار له الأسلوب العربي الجيد، والمملكة القوية، كما أجاد قول الشعر، فقال القصائد الجياد.

ولما قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوته، واتسعت بعد رحيله إلى الدرعية انتقل المترجَم إلى الدرعية، واتصل بالشيخ محمد بن عبدالوهاب، ودرس عليه، كما درس على أبنائه وكبار تلاميذه، فشرب الدعوة وغرست بقلبه،

---

(١) نقلًا عن «علماء نجد من خلال ثمانية قرون»؛ للشيخ عبدالله البسام ﷺ، (٢ / ٥٦-٥٨) بتصرف يسير وإضافات، ولابن غنام ترجمة في: «مشاهير علماء نجد» (ص ١٨٥-٢٠١)، و«الأعلام» (٢ / ٢٥١)، و«روضة الناظرين» (١ / ٧٨ - ٧٩)، و«تحفة المستفيد» (٢ / ٢٤١)، و«من أعلام مدينة المبرز»؛ لعبد الله الذرمان (ص٥٥ - ٦٧).

(٢) انظر: تعليق الدكتور عبدالرحمن العثيمين على «السحب الوابلة» (١/ ٣٧٢).

فصار من كبار المدافعين عنها، والذائدين عن حياضها.

وقد جلس في الدرعية للتدريس، فأخذ عنه عدد من كبار العلماء، واستفادوا منه في العلوم العربية خاصة، فكان من تلاميذه:

١- الشيخ حمد بن ناصر بن معمر.

٢- ابنه الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن معمر.

٣- الشيخ المحدِّث سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.

٤- الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب. وغيرهم من شباب الدعوة الإسلامية في ذلك الوقت رحمهم الله.

**مؤلفاته:**

١- تاريخه، المسمى «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، طُبع عدة طبعات، وهو كتاب تاريخ للدعوة السلفية، جمع فيه رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وذكر فيه غزوات أئمة آل سعود في دولتهم الأولى، كما جمع فيه رسائل الشيخ محمد إلى علماء عصره، وقد عني في أسلوبه باستعمال المحسنات البديعية من السجع والجناس والتورية وغيرها من محسنات اللفظ، إلا أن في ذلك تكلفًا ربما ضاع معه المعنى.

٢- العقد الثمين في شرح أصول الدين، قال في مقدمته[1] - بعد الحديث عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وانتصار آل سعود لها -: «فعنّ لعبدالعزيز - حفظه الله - أن تُجمع الأحاديث التي هي أصول الإسلام

---

(١) (ص ٢٧)، بتحقيق الشيخ محمد الهبدان، عام ١٤٢٣هـ، وقد حُقق الكتاب عام ١٤٠٣هـ رسالةً جامعيةً؛ ثم طبع عام ١٤١٤هـ في قطر.

والإيمان، ويُضم إليها ما يناسبها من آيات القرآن، وجاءت الإشارة إليَّ بشرحها، والكلام على ما تحتاج إليه من البيان، مع الإيجاز الذي لا يُخل بالتبيان؛ لتسهيل الدين الذي لا يُقبل سواه من كل إنسان.. إلخ». وقد جاء الكتاب في سبعة فصول وخاتمة؛ كالتالي: «الفصل الأول: فيما جاء في الإسلام، وأنه دين الله الذي لا يقبل سواه، الفصل الثاني: في تفسير النبي ﷺ الإسلام والإيمان والإحسان، وتسمية كلٍ منهما دينًا، الفصل الثالث: في إخلاص الأعمال لله، وذلك لايكون إلا بالنية، وماجاء أن الأعمال بالنيات، الفصل الرابع: في دعائم الإسلام التي يتم له بها النظام، ويكفر جاحدها أو بعضها من الأنام، الفصل الخامس: في تعين قبول شرعه المطهر ﷺ، ولزوم العمل بهديه الأنور، وإلغاء مخالفة ضده، وإبطال العمل ورده، الفصل السادس: في أمره ﷺ عند الاختلاف بالتمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين، التي هي منهاج النجاة والهداية، وتحذيره من ارتكاب البدع، التي هي سبيل الضلالة والغواية»، الفصل السابع: في الأمر بالاعتصام بكتاب الله المبين، والتمسك بحبله المتين، وذم الافتراق في الدين، وإخبار الرسول الأمين ﷺ بافتراق أمته المجيبين، على ثلاث وسبعين، وأنها كلها في النار مع المكذبين، إلا من كان على سنته وسنة أصحابه المهتدين ﷺ ورضي عنهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم يوم الدين، الخاتمة: في الفرق الناجية من النيران، وهم أهل الإسلام والإيمان، الذين تمسكوا بسنة نبيهم واعتصموا بالقرآن؛ فنالوا بذلك رفيع الدرجات في الجنان»، وقال في الخاتمة: «وكان الفراغ من جمع هذه الدُرر، وتسطير هذه الغُرر، في رابع يوم من صفر، عام ١٢١٦هـ..».

قلت: وهو كتاب مفيد مختصر، نقل فيه كلام المفسرين والعلماء على الآيات والأحاديث المتعلقة بالفصول السابقة. ويحسن التنبيه هنا على خطأ وقع منه -

غفر الله له - عند الحديث عن صفة الكلام لله ﷻ؛ حيث قال[١]: «وقوله: (كتبه)؛ أي أنها منزلة من عنده، وأنها كلامه القائم بذاته، المُنزه عن الحروف والصوت». وقد تعقبه الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله بقوله: «قوله: وأنها كلامه القائم بذاته، المنزه عن الحروف والصوت، هذا الكلام جرى على مذهب الكُلابية، ومن تبعهم من الأشعرية، أن الكلام، هو: المعنى القائم بالذات، المنزه عن الحرف والصوت؛ فعلى هذا يكون عندهم ليس هو عين كلام الله؛ لأنه حروف وأصوات، وإنما هو عبارة عن كلام الله، كما قد صرحوا بذلك في كتبهم.

والحق في ذلك هو ما دل عليه الكتاب، والسنة، والإجماع: أن الله تعالى لم يزل متكلمًا كيف شاء إذا شاء، بحرف وصوت، كما دل على ذلك القرآن، والأحاديث؛ فأما: القرآن، فواضح؛ وأما الأحاديث، ففي صحيح البخاري وغيره: «**إن الله تعالى ينادي آدم يوم القيامة بصوت**»، وهذا نص، وفيه نحو أربعة عشر حديثًا؛ وأما: الإجماع، فيكفي في ذلك أنه لا يُعرف عن صحابي، ولا تابعي، حرفٌ واحد يُخالف ذلك، وقد أفرد العلماء هذه المسألة بالتصنيف[٢]، والله أعلم»[٣].

---

(١) المرجع السابق، (ص ٤٧). وأظنه وقع في هذا الخطأ بسبب دراسته لعقيدة «الأشاعرة» في بداية تلقيه العلم على يد بعض علماء الأحساء، ممن كانوا يعتنقون هذه العقيدة «البدعية»، وهذا يُبين للمسلم أهمية تلقي الناشئة العلمَ في صغرهم على أيدي الموثوقين في عقيدتهم؛ لئلا تبقى معهم علائق من عقائد أهل البدع.

(٢) تُنظر للتوسع: رسالة «العقيدة السلفية في كلام رب البرية»؛ لعبدالله الجديع.

(٣) الدرر السنية، (١ / ٣١٨). ونُسب هذا التعليق في هامش (ص ٤٧) من «العقد الثمين» للشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله، فلعله خطأ، أو أن الشيخ نقل نص تعليق الشيخ سليمان.

وعلّق تلميذه الشيخ عبدالرحمن بن حسن ﷺ على هذا الموضع - أيضًا - بقوله[١]: «وقوله: وكتبه، أي: أنها منزَّلة من عنده، وأنها كلامه القديم[٢]: اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى يتكلم إذا شاء، وقوله «وأنها كلامه القديم»، هذا قول الكرامية، وأهل السنة لا يقولون هذا، بل يقولون: إنها وحيه أوحاه إلى جبريل، وسمع كلام الرب تعالى، وبلّغه رسله، وكتب تعالى التوراة بيده..» إلخ.

٣- لو جُمعت قصائده لجاءت ديونًا متوسطًا، فإن له القصائد الجياد[٣]، ومنها مرثيته بالشيخ محمد بن عبدالوهاب[٤]، التي مطلعها:

إلى الله في كشف الشدائد نفزع    وليس إلى غير المهيمن مفزع

وهي قصيدة جيدة مؤثرة بأسلوبها ومعانيها.

---

(١) الدرر السنية، (٣ / ٢٢٧).

(٢) هكذا. والذي في «العقد الثمين» - كما سبق -: «وأنها كلامه القائم بذاته». والمؤدى واحد؛ وهو أن الله لا يتكلم إذا شاء.

(٣) وقد ذكر له صاحب «نفحات من عسير» (ص ٦٦ - ٧٠) قصيدة أجاب بها عن قصيدة لمحمد بن أحمد الحفظي بعثها للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود. وجاء فيها:

إمام الهدى عبدالعزيز وقبله    أبوه فنالوا رفعة الشأن والقدْر

وهذا مما يؤكد أن ابن غنام قد انتقل إلى الدرعية زمن الإمام عبدالعزيز.

وذكر صاحب «نفحات من عسير» قصيدة أخرى (ص ٨١ - ٨٤) قال في مطلعها: «عندما وصلت القصيدة - أي قصيدة الحفظي - إلى الإمام سعود الكبير، وكان أحد تلامذة الشيخ ابن غنام: المدعو عبدالله الغاشمي موجودًا هناك، فاستأذن الإمام في الإجابة عليها، فكتب هذه القصيدة..»، وجاء فيها عن ابن غنام:

حُسينًا عليه الحُسن بان رواقه فلا    زال في الأحسا جمالًا لأهليها

وهذا يؤكد أن الشيخ ابن غنام أثناء إقامته بالدرعية، كان يتردد على موطنه الأول «الأحساء».

(٤) ستأتي كاملة في تاريخه - إن شاء الله -.

والقصيدة الأخرى في مدح الشيخ عبدالله بن أحمد آل عبدالقادر[١]، ومنها:

ولو خُيرتْ نُهد المكارم في فتى لكان لعبدالله يبدو اختيارها
همامٌ علا هام السِّماكين فخرُه ورتبته فوق الثريا قرارها

**وفاته**: قال ابن بشر في «عنوان المجد»[٢]: «وفي شهر ذي الحجة من هذه السنة - ١٢٢٥هـ -، توفي الشيخ العلامة الحبر الفهّامة، حسين بن غنام الأحسائي، كانت له اليد الطولى في العلم وفنونه، وله معرفة في الشعر والنثر، وصنف مصنفات..». رحمه الله تعالى.

قال الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ﷀ[٣]: «ولم يذكر الرواة له عقبًا، وله أبناء عم لا يزال لهم ذكرُ بقية بالأحساء».

**ثناء العلماء عليه**: قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن ﷀ عنه: «العلامة أبو بكر ابن غنام، فريد وقته بعلم المعقول والمنقول، والشعر والإنشاد، في صدر القرن الثالث عشر»[٤]، وقال ابن بشر: «كانت له اليد الطولى في معرفة العلم وفنونه، وله معرفة في الشعر والنثر»[٥]، وقال ابن عبدالقادر: «له اليد الطولى في علوم العربية»[٦].

❑ ❑ ❑

(١) تحفة المستفيد (٢/ ٥٧٥ - ٥٧٦).
(٢) (١/ ١٥١).
(٣) «مشاهير علماء نجد»، (ص ٢٠١).
(٤) الدرر السنية (١١/ ٤٨٧).
(٥) عنوان المجد (١/ ١٥١).
(٦) تحفة المستفيد (٢/ ٦٣١).

# مؤرخو نجد
## للشيخ: حمد الجاسر رحمه الله(١)

**تمهيد:**

يقولون: إن أسعد الشعوب هو الشعب الذي لا تاريخ له، ويقصدون الشعب الذي لم تحدث فيه حوادث تستحق عناية المؤرخين، ولكن هذا القول لا ينطبق على سكان نجد، ونقصد بكلمة - نجد - مدلولها الاصطلاحي في عهدنا الحاضر، الذي يشمل أكبر جزء في جزيرة العرب، فلقد كان هذا الجزء مسرحًا لكثير من الحوادث منذ أقدم عصور تاريخ العرب، ولكن عناية المؤرخين به كانت ضعيفة، ويرجع هذا إلى أسباب كثيرة منها:

١ - أن تاريخ الأمة العربية - على وجه الإجمال - لم يدوَّن إلا بعد ظهور الإسلام في القرن الثاني الهجري، وهذه البلاد تُكون الجزء الواسع من مهد العرب، الذي فيه نشأوا، ومنه انساحوا إلى أنحاء البلاد الأخرى شرقًا وشمالًا، قبل ظهور الإسلام بدهر طويل.

٢ - ومنها أن جل المؤرخين عنوا بتسجيل ما له صلة بالحكومات من الحوادث، تزلفًا إليها، وتقربًا منها، وأهملوا ما عدا ذلك، ومراكز الحكومات العربية - في عهود تدوين تاريخ العرب الحديث، في العراق، وفي الشام، وفي مصر، ولولا ما للحجاز من منزلة دينية في نفوس المؤرخين، لما امتاز من حيث تدوين تاريخه عن صنوه هذا الجزء الذي نتحدث عنه.

---

(١) نقلًا عن مجلة العرب، (٥ / ٧٩٢ - ٧٩٤) - باختصار -. وتُنظر أيضًا: مجلة العرب (٢ / ١٠١٣).

٣ - وقد لا نعدو الحقيقة إذا قلنا بأنه لولا الأزرقي، وأبو غسان شيخ ابن شبة، وابن زبالة، والطبري، والفاسي، والسمهودي، وأمثال هؤلاء من المكيين والمدنيين؛ لضاع تاريخ الحجاز، لأن عدم نبوغ علماء في أي قطر من الأقطار البعيدة عن مراكز الحكومات، ممن يعنون بتدوين تاريخ قطرهم، في العهود الماضية، من الأسباب التي تجعل تاريخ ذلك القطر مجهولًا، كحالة نجد[١]، فنحن إذا استثنينا علماء ثلاثة أو اثنين من علماء الحديث؛ كيحيى بن أبي كثير وعكرمة بن عمار (في القرن الأول الهجري) واستثنينا محمد بن إدريس بن أبي حفصة، ثم استعرضنا ما بين أيدينا من كتب التاريخ منذ بدء تدوينها إلى القرن الحادي عشر الهجري، لما وجدنا أية إثارة من علم تحملنا على الاعتقاد بقيام علماء في هذه البلاد فضلًا عن وجود مؤلفات تاريخية تعنى بتسجيل حوادثها.

ولقد قامت في نجد، في ذلك العهد، دويلات من أقواها:

١ - دولة الأخيضريين الطالبية التي حكمت تلك البلاد من منتصف القرن الثالث الهجري إلى أول القرن الرابع (٢٥٣ - ٣١٧هـ).

٢ - دولة القرامطة التي امتد حكمها من الأحساء إلى نجد في سنة ٣١٧ فأزالت الأخيضريين واستمر حكمها إلى منتصف القرن الخامس (٢٨٧ - ٤٧٠هـ) غير أن هاتين الدولتين باعتبارهما خارجتين على دولة الخلافة - الدولة العباسية - ولما أثر عن القرامطة من استهانة بحرمات الأماكن المقدسة، فإن أخبار هاتين الدولتين لم تصل إلينا كاملة، مع أن المتقدمين أشاروا إلى تصدي بعض المؤرخين لتدوين أخبارهما.

---

(١) كتب الشيخ حمد هذا قبل خروج بعض المصادر التي تُثبت وجود علماء في نجد منذ القرن الثامن الهجري. ينظر للفائدة: بحث «النهضة النجدية الثانية»؛ للدكتور خالد الوزان والأستاذ عبد الله البسيمي، في مجلة الدرعية (س٩ ع٣٦ ص٥٧).

**رحالة في القرن الخامس يصف نجدًا:**

ولعل من المفيد في هذا المقام أن نستمع إلى رحالة اخترق نجدًا في منتصف القرن الخامس الهجري وهو يصف ما عليه تلك البلاد من الجهل.

يقول ناصر خسرو علوي بأنه توجه من الطائف إلى نجد في **٢٣** ذي الحجة عام **٤٤٢** فمر بمكان يبعد عن الطائف **٢٥** فرسخًا، فلبث خمسة عشر يومًا بين قوم لا حاكم لهم، يعيشون على السرقة والقتل، ويمسكون كل من يدخل أرضهم بغير خفير ويجردونه مما معه، غير أنه سلم بسبب الخفير الذي معه منهم، ثم بلغ بلدة الأفلاج بعد شهر من خروجه من الطائف، فوجدها منقسمة إلى حزبين بينهما خصومة وعداوة، ووجد أهلها جياعًا عراة جهلاء، وفقراء جدًا، ومع فقرهم وبؤسهم فإنهم كل يوم في حرب وعداء وسفك دماء، وقد سلبوه ما معه من زاد ولباس، وتركوا أثمن شيء يملكه، وهو الكتب، وهذا أبلغ دليل على سيطرة الجهل على أهل تلك الجهات. وقد أيس من الحياة لما بلغ هذه البلدة؛ لأنه لا يتصور الخروج منها واجتياز مئتي فرسخ إلى البصرة كلها مهالك ومخاوف، ولكنه استطاع بعد لأي أن يخرج وأن يصل إلى اليمامة بعد مسيرة أربعة أيام، كلها مشقة وعناء.

**مصادر تاريخ نجد القديمة:**

وبلادٌ بهذه الحالة من الجهل والفوضى، لا مناص للباحث في تاريخها - في هذه الحقبة الطويلة من الزمن - منذ بدء تدوين التاريخ العربي بعد الإسلام إلى نهاية القرن العاشر الهجري - من الرجوع إلى المصادر العامة للتاريخ العربي، بعد أن يُعييه البحث عن مؤلفات خاصة بهذه البلاد وسيجد في هذه المصادر مادة غزيرة عما كانت عليه (نجد) في العهود التي سبقت الإسلام، عن أيام العرب، وجلها وقع في نجد بين قبائل من سكانه، وعن أخبار الشعراء الجاهليين

ومواطنهم، وأغلبهم من هذه البلاد، وسيجد المؤرخ في دواوين أولئك الشعراء الذين وصلت إلينا دواوينهم أشياء كثيرة مما يهم الباحث معرفتها، وسيجد المؤرخ أيضًا نتفًا من أخبار نجد، مما له صلة بتعيين الولاة، أو بصيانة طريق الحج، أو بخروج بعض القبائل على الولاة، أو بوفود بعض شعراء هذه البلاد على الخلفاء وما هو من هذا القبيل، غير أن كل ذلك يحتاج إلى الغربلة والتنسيق والترتيب بعد الدراسة العميقة. وكل ذلك أيضًا يمكن إرجاعه إلى ما قبل القرن الرابع الهجري، وما بعد هذا القرن - وإلى القرن العاشر - لا نجد لهذا الإقليم الطويل العريض - فيما بين أيدينا من المؤلفات - إلا ما جاء عرضًا في الرحلات المعروفة - كرحلة ناصر خسرو ورحلة ابن المجاور ورحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة، وكلها معروفة، وما جاء في هذه الرحلات لا يروى غلة الباحث المؤرخ.

وهذا القول لا ينفي وجود بعض الإشارات التاريخية الموجزة، التي تتعلق ببدء عمارة البلدان، مستقاة من الوثائق الشرعية وصكوك ملكية العقارات، بقيت تتناقلها الأيدي حتى وصلت إلى أول القرن الحادي عشر، حيث بدأ تدوين التاريخ الذي وصل إلينا عن هذه البلاد؛ لأننا نقرأ أخبار بده تعمير بلدان عُمرت في القرون الثلاثة الأخيرة من هذه الحقبة من الزمن، فنجد فيما وصل إلينا أن بلدة (التويم) عُمرت في سنة ٧٠٠، و(حرْمة) في سنة ٧٧٠، و«المجمعة» في سنة ٨٢٠، و(العيينة) في سنة ٨٥٠، ونجد من أخبار القرن العاشر - فيما وصل إلينا - لمحات قصيرة عن حياة بعض مشاهير علماء ذلك القرن من أهل هذه البلاد، لما لتاريخ هؤلاء من ارتباط بوثائق العقارات.

## في القرن الحادي عشر:

ليس لدينا الآن - ما يمنع من القول بأن بدء تدوين التاريخ في هذه البلاد لم

يكن معروفًا قبل أول هذا القرن، وإن كنت أرجو أن يأتي اليوم الذي يغير هذا الرأي، بالعثور على شيء من المؤلفات التاريخية، غير أن التاريخ تدوين حقائق واقعة لا دخل للآمال فيه.

## حسين بن غنام

كانت الأحساء منذ القرن العاشر مركزًا من مراكز العلم في الجزيرة، يفد إليها الطلاب من نجد ومن سواحل الخليج العربي ليأخذوا عن علمائها، وفي عهد الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد (١٢١٨ - ١٢٢٩) بلغت الدولة السعودية - في دورها الأول - أوجها من القوة، وأصبحت عاصمة المملكة (الدرعية) مقصد طلاب العلم، ورواد الفضل، من مختلف البلاد، فرأى الإمام سعود ﷺ أن هذه المدينة وإن كانت مركز الإشعاع لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفيها أبناؤه العلماء، إلا أنها بحاجة إلى علماء يقومون بتدريس علوم اللغة العربية، فدعا عالم المبرز وأديبها الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام المالكي المذهب ليتولى ذلك[١]، فمكث في هذه المدينة بضع سنوات، لا يقتصر على التدريس، بل أخذ يدون تاريخ هذه الدعوة الإصلاحية، مبتدئًا بوصف حالة البلاد الإسلامية، إبان قيام الشيخ محمد بدعوته الإصلاحية، ثم بترجمة الشيخ، وذكر طائفة من رسائله ومؤلفاته، وخصص لذلك كتابًا سماه: «روضة الأفكار

(١) الصواب أنه قدم الدرعية زمن الإمام عبدالعزيز بن محمد؛ بدليل ماجاء في كتابه «العقد الثمين» - كما سبق -، وماجاء في قصيدته للحفظي، وقوله في مقدمة تفسير الشيخ محمد لسورة الفاتحة (١ / ٢٢٢، ط: أبابطين): «وكان سبب تأليفه لسورة الفاتحة أن الأمير عبدالعزيز، حفظه الله تعالى، كتب له، وهو إذ ذاك في بلد العيينة، يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة.. إلخ». فقوله: «حفظه الله» يدل على أنه ابتدأ كتابة تاريخه أثناء مقامه بالدرعية، في حياة الإمام عبدالعزيز.

والأفهام لمرتاد حال الإمام»، ثم أتبعه بكتاب آخر، جعله سجلًا للغزوات التي قام بها آل سعود في سبيل مناصرة هذه الدعوة ونشرها، وسماه: «كتاب الغزوات البيانية، والفتوحات الربانية» ابتدأها من سنة انتقال الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من العيينة إلى الدرعية في سنة ١١٥٨، وانتهى في النسخة التي وصلت إلينا من هذا التاريخ إلى سنة **١٢١٣**، أي قبل انتقال الحكم إلى الإمام سعود بخمس سنوات، وقد عاش ابن غنام إلى سنة **١٢٢٥** في ذي الحجة، ومن المستبعد أن يترك الشيخ ابن غنام اثنتي عشرة سنة (من **١٢١٣ - ١٢٢٥**) دون أن يسجل حوادثها، والنسخة التي وصلت إلينا - سواء الأصول الخطية، وكلها من مخطوطات القرن الثالث عشر، أو المطبوعة - مبتورة بترًا واضحًا، آخرها:

**لقد عدمتني الكُمْت يوم مجالها ولا وسّطت بي الجمع يوم التناضل**
**ولا أروتِ الأسْلُ الظماء**

(آخر ما وجد من التاريخ)..

وقد جرى ابن غنام في كتابة تاريخه هذا على طريقة حاول بها أن يظهر براعته اللغوية، فكتبه مسجوعًا مملًا، وقصره على أنباء الحركة التي خصصه لتاريخها، فكان أوفى سجل لها في خلال نصف قرن (من سنة **١١٥٨** إلى سنة **١٢١٣**) وهو أوثق مصدر عن حوادثها.

وفضلًا عما يتصف به ابن غنام من تمكنه من اللغة العربية هذا التمكن الذي حاول إبرازه بتاريخه الذي ضمنه كثيرًا من شعره، فإن له مؤلفات أخرى؛ منها «العقد الثمين في أصول الدين»، وكان من تلاميذه كبار علماء الدرعية في عهده؛ كالشيخ حمد بن ناصر بن معمر، والشيخ سليمان بن عبد اللّه بن الشيخ محمد، وغيرهما.

وقد عُثر على تكملة لتاريخ الشيخ حسين بن غنام، وصلت إلى الخزانة السعودية في الرياض وقت نشر تاريخ ابن بشر لأول مرة، أي سنة **١٣٤٩**،

ويظهر أن احتواء تاريخ ابن بشر على جل ما في التكملة، وأن أسلوبها مما لا يتلاءم مع أذواق كثير من القراء في هذا العهد للسجع الممل، وأن تاريخ ابن غنام سبق نشره، وليس هناك كبير فائدة في هذه التكملة لكي يعاد طبع التاريخ كاملًا، هذه الأسباب حالت دون نشر تلك التكملة، وقد وصلت إلى مكتبة الأستاذ رشدي ملحس، وهو الذي حدثني عنها.



# ابن غنام مؤرخًا
## للدكتور: عبدالله بن صالح العثيمين[(١)]

أما الكتابة التاريخية لدى النجديين فلم تحدث إلا في القرن الحادي عشر الهجري، وكان أول مؤرخ نجدي: الشيخ أحمد بن محمد البسام «الوهبي التميمي» المتوفى سنة ١٠٤٠هـ، ومن الجدير بالذكر أن أكثر من نصف علماء نجد من القرن العاشر إلى منتصف القرن الثاني عشر قد وُلدوا في أشيقر وتعلموا فيها، وأن بعضًا من غير المولودين فيها قد وفدوا إليها لتلقي العلم على مشايخها، وأن أكثر من نصف العلماء النجديين في الفترة المذكورة ينتمون إلى آل وهبة، وهو فرع آل مشرف أسرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهذا يدل على أن بلدة أشيقر كانت حينذاك مركزًا علميًا في منطقة نجد، وأن آل وهبة، بصفة عامة، وآل مشرف بصفة خاصة، قد احتلوا مركز الصدارة العلمية في هذه المنطقة.

إن ما كتبه أحد بن بسام كان تقييدات مختصرة جدًا لحوادث وقعت في نجد بين عامي ١٠١٥ و ١٠٣٩هـ، وبعض هذه التقييدات تبدو وكأن المراد بها ذكر تاريخ الحادثة فقط لمن يعرف الحادثة ذاتها ولا ينقصه إلا معرفة زمن حدوثها، مثل أن يقول: في سنة كذا ذبحة آل فلان، دون ذكر من قتلهم، أو سبب القتل أو مكانه، وكان الشيخ أحمد المنقور المتوفى سنة ١١٢٥هـ ممن أفاد من تقييدات البسام، وأضاف إليها تقييدات أخرى لحوادث لاحقة.

---

(١) نُشر على أربع حلقات في جريدة «الجزيرة»، بتاريخ (٥ / ٥ / ١٤٢٣هـ، و١٢ / ٥ / ١٤٢٣هـ، و ١٩ / ٥ / ١٤٢٣هـ، و٢٦ / ٥ / ١٤٢٣هـ). ثم نشره في كتابه «مراجعات في مصادر التاريخ السعودي» (ص ٣١ - ٥٨). وأنقله بتصرف يسير.

ولقد فصّل أكثر الحوادث التي أشارت إليها التقييدات المذكورة مؤرخان نجديان فيما بعد، وهما عثمان بن بشر ومحمد الفاخري، اللذان عاشا في القرن الثالث عشر الهجري، بل إن المؤرخ النسابة إبراهيم بن عيسى المتوفى سنة ١٣٤٣هـ ألف نبذة صدرت بعنوان: «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد»، مبتدئًا بسنة ٧٠٠هـ، ومنتهيًا بسنة ١٣٤٠هـ، غير أن الحوادث التي أشار إليها غير متوالية. وعاصر ابن عيسى مؤرخٌ آخر؛ هو عبدالله بن محمد البسام، المتوفى سنة ١٣٤٦هـ، مؤلف «تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق»، وقد بدأ تاريخه بتمهيد أشار فيه إلى وقائع مهمة على امتداد التاريخ، ثم بدأ المراد من تأليفه بذكر ما حدث عام ٨٥٠هـ، وهو العام الذي بدأ فيه ابن بشر والفاخري تاريخيهما، واستمر في ذكر الأحداث إلى سنة وفاته، وفي تاريخه ذكر لحوادث نزاع بين القبائل في نجد وما يليها شرقًا وشمالًا، لم تذكرها المصادر المتوافرة، ولم يعزها إلى أي مصدر.

على أن النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري شهد - كما هو معروف- ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي غيرت وضع منطقة نجد، دينيًا وسياسيًا. فلقد تبنى آل سعود أمراء الدرعية تلك الدعوة، التي أصبح التوحيد ببعديه الديني والسياسي قضيتها الجوهرية، وقد انبرى من لديهم القدرة على الكتابة التاريخية لتسجيل تاريخ تلك الدعوة وتفصيلات حياة صاحبها، وتدوين ما قام به أنصارها من جهود لنشرها، وتوحيد سكان المنطقة تحت راية ما نادت به.

وكان ممن كتب عن أولئك الأنصار - كما ذكر ابن بشر-: محمد بن علي ابن سلوم، الذي وُلد في العطار بسدير سنة ١١٦١هـ، ولأنه كان من المعارضين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ارتحل من نجد إلى الأحساء، حيث درس

على الشيخ عبدالله بن فيروز[١]، الذي كان هو الآخر معارضًا للدعوة السلفية، ولما أوشكت الأحساء أن تقع في أيدي آل سعود مع بداية القرن الثالث عشر الهجري، رحل الاثنان منها إلى البصرة، ثم توفي ابن سلوم في سوق الشيوخ عام ١٢٤٦هـ، على أن ما كتبه ابن سلوم ما زال مفقودًا، ومعرفة الباحثين بمضمونه معتمدة على ما ذكره عنه ابن بشر، إذ قال[٢]: «إلا أني وجدتُ لمحمد بن علي بن سلوم الفَرَضي الحنبلي إشارات لطيفة في تتابع السنين، ورسم وقائع كل سنة بما لا يفيد، ولا حقق تحقيقًا للوقائع ومواضعها ينتفع به المستفيد، بلغ في ترسيماته إلى قرب موت عبدالعزيزبن محمد بن سعود».

وتقليل ابن بشر ﷺ لأهمية ما قام به ابن سلوم ليس أشد إيلامًا من تقليله لأهمية ما قام به العالم المؤرخ حسين بن غنام، فمع أنه - أي ابن بشر - قد نقل عن ابن غنام نقلًا واضحًا حرفيًا حينًا، ومضمونًا حينًا آخر، فإنه لم يذكر لمن نقل عنه تاريخًا، بل إنه بعد أن ذكر ما ذكر عن ابن سلوم قال: «ثم وجدت ترسيمات لغيره، أحسن من رسمه، متصلة به»، ولم يذكر اسم صاحب هذه الترسيمات، وإن كان يتضح من المقارنة أنه قصد ابن غنام.

ولد حسين بن أبي بكر بن غنام المنتمي إلى قبيلة تميم في بلدة المبرّز بمنطقة الأحساء، التي كانت مركزًا من مراكز العلم في الجزيرة العربية، وقد برز من أسرته التي كانت - على الأرجح - مالكية المذهب، عدد من العلماء، فنشأ الفتى في ذلك المناخ العلمي، الذي واكب إمكاناته الذاتية؛ فأصبح عالم شريعة وأستاذ لغة وناظم شعر، ولعل خير شاهد على مستواه الشعري: تلك القصيدة التي مدح بها الشيخ عبدالله بن أحمد آل عبدالقادر، والتي استهلها- مثل عادة

---

(١) الصواب: محمد بن فيروز. انظر: «السحب الوابلة» (٣/ ١٠٠٨).
(٢) (١ / ١٦).

كثير من شعراء عصره بنسيب ورد فيه:

هل الفجرُ إلا ما بدا من جبينها   أو الوردُ إلا ما جلاه احمرارها
أو الليلُ إلا من معسعس شعرها   أو الخمرُ إلا ظلها لا عُقارها
أو السهمُ إلا ما تريش جفونها   أو البِيضُ إلا لحظها لا غِرارها
مهاة تريك الشمس طلعة وجهها   إذا أسفرت يجلو الظلامَ نهارُها

وقصيدته التي هنأ بها الكريم أحمد بن رزق على زواجه عام ١١٨٩هـ، وقد استهلها بقوله:

أدر كؤوسًا من سُلاف المدام   ولا تُكدّرها بفرط الملام
فقد أتى القصد وحق المنى   والدهر قد زان وحان المرام
والوقت صافٍ والصّبا برده   ضاف وقد عاج وماج الغرام
وطابت النفس ورق الهوى   وقر بالعين لذيذ المنام

كانت تلك مؤهلات الشيخ حسين بن غنام في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وكانت الدولة السعودية الأولى حينذاك قد أكملت توحيد منطقة نجد، وبدأت محاولاتها لانتزاع منطقة الأحساء من قادة بني خالد، الذين سبق أن ناصبوها العداء، وقاموا بغزوات متعددة ضدها، وكان نجاحها قد جعل من قاعدتها الدرعية محط أنظار طلاب العلم في المنطقة؛ وبخاصة أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان ما يزال على قيد الحياة، وأن أعدادًا ممن تخرجوا على يديه - وفي طليعتهم أبناؤه قد أصبح لهم تلاميذ كثيرون، ومع أن الكتابات التي دونها الشيخ وتلاميذه توضح أنهم كانوا على مستوى جيد بمعرفة قواعد اللغة العربية، فإن التزود من هذه القواعد كان أمرًا مطلوبًا، ولذلك لم يكن غريبًا أن يُدعى غنام إلى الدرعية ليقيم فيها، وينتفع الطلاب بما لديه من معرفة لغوية، ولم يكن غريبًا أيضًا أن يكون ذلك اللغوي ممن تطلعوا إلى العمل في الدرعية بعد أن

احتلت ما احتلت من مكانة رفيعة، وشهدت ما شهدت من تطور كبير؛ وبخاصة أن كتاباته في غير مجال التاريخ؛ مثل «العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين» توضح أنه مقتنع بالطرح السلفي الذي طرحه الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنصاره، ولقد بقي ابن غنام في العاصمة السعودية، الدرعية، حتى وفاته سنة ١٢٢٥هـ، على أنه ليس من المؤكد متى قدم إليها؛ أكان ذلك في أثناء حياة الشيخ محمد المتوفى سنة ١٢٠٦هـ؟ أم بعد أن دخلت منطقة الأحساء تحت الحكم السعودي عام ١٢٠٨هـ؟ فالقرائن التي توحي بأن قدومه كان في أثناء حياة الشيخ تكاد تتساوى، من حيث القوة، مع القرائن التي توحي بأن ذلك القدوم كان بعد وفاته.

لقد أشار ابن غنام في مقدمة تاريخه إلى أنه أراد أن يكتب عن الغزوات التي قام بها أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومع أنه استصعب ذلك؛ وبخاصة أنه كان مغتربًا عن وطنه - كما قال - «إلا أن داعي النفس لذلك كان كثير، والإمام - أيده الله تعالى- يعزم عليَّ في ذلك ويشير»، فشرع في كتابته.

وعبارة «أيده الله تعالى»: تقال عادة دعاء للحاكم السياسي، وقد عاصر ابن غنام في الدرعية حاكمين من آل سعود؛ هما: عبدالعزيز بن محمد، وسعود بن عبدالعزيز، على أنه تناول تاريخ مؤسس الدولة السعودية الأولى محمد بن سعود، والموجود من تاريخه لم يصل إلى حكم سعود بن عبدالعزيز.

والمتأمل في تاريخ ابن غنام يجد أنه كان إذا تحدث عن محمد بن سعود، المتوفى سنة ١١٧٩هـ سماه الأمير؛ وذلك من بداية حديثه عنه سنة ١١٥٧هـ، إلى سنة ١١٧٨هـ، غير أنه ورد في قصيدة له عن فشل حملة زعيم بني خالد، عريعر ابن دجين، في السنة الأخيرة قوله:

بحكم إمام المسلمين وعدله ... تُحاط نواحيها ويُحمى عرينها

وهذه هي الإشارة الوحيدة إلى محمد بن سعود بأنه إمام المسلمين. أما حديث ابن غنام عن عبدالعزيز بن محمد فمختلف، كان يسميه - في أغلب الأحيان- «عبدالعزيز» فقط، بدون لقب، لكنه في حالات قليلة ذكر ما يثير سؤالًا حول اللقب الذي أراده له؛ فعند ذكره لوفاة محمد بن سعود، سنة ١١٧٩هـ قال[١]: «وفيها بايع عبدالعزيز أهلُ الإسلام، وأعطوه على الإمامة عقد الأحكام»، وفي كلامه عن حوادث سنة ١١٩٠هـ قال[٢]: «لما غدر زيد بن زامل، أمير الدلم بالعهد.. وبلغ ذلك على الجزم واليقين، عبدالعزيز إمام المسلمين، أمر بغزوه»، وفي كلامه عن الحوادث التي جرت في جنوبي نجد سنة ١٢٠٢هـ قال[٣]: «ثم بعد ذلك بأيام قدموا على عبدالعزيز الإمام، فأكرمهم.. غاية الإكرام»، لكنه قال[٤] في سنة ١٢٠٢هـ، أي في السنة السابقة نفسها: «أمر الشيخ محمد بن عبدالوهاب المسلمين أن يبايعوا سعودًا على الإمارة بعد أبيه»، وفي كلامه عن أحداث عام ١٢٠٥هـ قال[٥]: «وفي أثناء تلك الليالي والأيام، أمر عبدالعزيز الإمام، أهل الإيمان والإسلام»، وفي كلامه عن أحداث سنة ١٢١٠هـ قال[٦]: «وفيها؛ وبراك (بن عبدالمحسن) وأهل الحسا من تحت إمام المسلمين، لمعت للفتنة بوارق»، ثم قال[٧]: «فلما تحقق عبدالعزيز الإمام، عن ثويني بصحيح الكلام..»، ثم قال[٨]: إن براك (بن عبدالمحسن)

---

(١) (٢/ ٧٤).
(٢) (٢/ ٩٥).
(٣) (٢/ ١٣٣).
(٤) (٢/ ١٣).
(٥) (٢/ ١٤٨).
(٦) (٢ / ١٧٤).
(٧) (٢/ ١٩٣).
(٨) (٢ / ١٩٧).

«قد أرسل إلى عبدالعزيز الإمام، حدود مسيره إلى الشمال تلك الأيام»، وقال[١]: «فلما عرف إمام أهل الإيمان، ما قصده ذلك الإنسان»، لكنه مع كل ذلك قال عنه - فيما بعد-[٢]: «ولما أتى الخبر عبدالعزيز»، دون وصف أو لقب.

ويتضح مما سبق أن بين تسمية ابن غنام عبدالعزيز بن محمد بالإمام أحيانًا، وبين السجع - الذي كان المؤلف مغرمًا به - صلة وأي صلة. وهكذا يتضح أن ابن غنام لم يتخذ موقفًا معينًا من تسمية عبدالعزيز.

ولقد ذكر ابن غنام في مقدمة تاريخه أنه سمَّاه «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، ولم يتحدث فيه عن حال أحد سوى الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي فصّل الكلام عن حياته تفصيلًا جيدًا، ومعنى ذلك أن المقصود بكلمة «الإمام»: الشيخ محمد نفسه، ومع أنه كان إذا تحدث عنه وصفه بالشيخ، في أغلب الأحيان، فإنه وصفه في مقدمة كتابه بقوله[٣]: «إمام الموحدين»، كما وصفه فيها بقوله[٤]: «فانتظم في سلك الإمام (يعني الشيخ) رجال»، ووصفه عند حديثه عن لجوء سعود بن عريعر إلى الدرعية سنة ١٢٠٠هـ[٥] بالإمام، وعندما رثاه سنة ١٢٠٦هـ قال عنه[٦]:

**إمامٌ أصيبَ الناس طرًّا بفقده وطاف بهم خطبٌ من البين موجع**

وقد يسأل سائل عن الهدف من الاستطراد في هذه المسألة؟ والجواب هو أنه إذا ترجّح أن ابن غنام كان يقصد بالإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عندما

---

(١) (٢/ ٢٠٠).
(٢) (٢ / ٢٤٦).
(٣) (ص ٣).
(٤) (ص ٢٩).
(٥) (٢ / ١٢٥).
(٦) (٢/ ١٥٥).

قال في مقدمته: «والإمام يعزم عليّ»؛ فإن ذلك يعني أنه قدم إلى الدرعية قبل وفاة الشيخ، وقبل أن تدخل منطقة الأحساء تحت الحكم السعودي، أما إذا ترجّح أنه كان يقصد بالإمام: الحاكم السعودي - وعبارة «أيده الله تعالى»: ترجح ذلك -؛ فإن ذلك لا يدل على قدومه إلى الدرعية والشيخ محمد ما زال على قيد الحياة.

على أنه ورد في أحد المصادر المخطوطة أن الشيخ عبدالله الكردي أرسل من البحرين سنة ١٢٠٩هـ أبياتًا إلى ابن غنام، الذي كان حينذاك قد أتى إلى الزبارة، فأجابه بقصيدة ضمّنها مدحًا للكريم أحمد بن رزق، كما مدح هذه الكريم بقصيدة أخرى في السنة نفسها، وكونه في الزبارة تلك السنة؛ مادحًا لذلك الرجل الكريم، قد يرجح أنه لم ينتقل بعدُ إلى الدرعية؛ ذلك أن ذهابه من هذه المدينة - بما لقيادتها حينذاك من ثقل سياسي- إلى الزبارة ليمدح رجلًا من غير أفراد تلك القيادة أمرٌ مرجوح.

على أن المصادر تذكر أنه كان من بين الذين درسوا عليه قواعد اللغة العربية في الدرعية: الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، الذي لازم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ورأس وفدًا من العلماء إلى مكة سنة ١٢١١هـ لمناظرة علمائها، ثم أصبح رئيسًا لقضاة مكة من سنة ١٢٢١هـ إلى وفاته سنة ١٢٢٥هـ، فرئاسته لوفد من العلماء سنة ١٢١١هـ يرجح أن دراسته القواعد على ابن غنام كانت قبل ذلك ربما بسنوات عدة.

وسواءً كان قدوم ابن غنام إلى الدرعية قبل وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أو بعد وفاته؛ فإنه أصبح أستاذًا لعدد ممن أصبحوا بين علمائها البارزين.

لعل أول نقطة يحسن أن يُشار إليها في الحديث عن هذا التاريخ هي الهدف من كتابته، وإذا اعتُمد - في هذا الأمر- على ما كتبه هذا المؤرخ نفسه في

مقدمته؛ فإن من الواضح أن كتابته له كانت ذاتية ابتداء، ثم بتشجيع ممن كان يُكن له التقدير انتهاء.

استهل ابن غنام ما كتبه بحمد الله والصلاة على نبيه محمد ﷺ، والإشارة باختصار إلى رسالة التوحيد التي جاء بها، وما طرأ على عقائد بعض المسلمين من انحراف، ثم قال بأسلوبه المسجوع، الذي سيأتي الحديث عنه: «لما كانت منزلة العلم أعظم المنازل، والتحلي بحلاه من أفخم الفضائل، لاسيما للأفاضل والأماثل، ومرتبته أرفع المراتب عند الأواخر والأوائل.. وكان من أسناها شأنًا وفخرًا، وأسماها رتبة وذكرًا، وأرفعها منصبًا وقدرًا، وأنفعها عند الله تقربًا وحضورًا؛ علم الحديث والأثر، ومعرفة التواريخ والسير، كما نص عليه أرباب الفن والنظر، إذ فيه لمقتفيه عبرة من أجل العبر، تزيد اللبيب تحقيقًا وتبصيرًا، ونشره في المجالس والمحافل، ودرسه في البُكَر والأصائل، وسيلة من أنفع الوسائل، إلى التأسي بالمجاهدين، فينال مع الأجر قبولًا وتوقيرًا، فيقتفي السامع آثارهم، إذا سبر أخبارهم، وعرف أنهم بذلوا - رغبة فيما عند الله أعمارهم، فبشرهم بنعمته وفضله تبشيرًا، أردت أن أصنف فيما أشرق ضياؤه وانتشر، وشاع في غالب الأقطار واشتهر، من الغزوات التي هي في محيا الدهر كالغُرر، والفتوحات الإسلامية التي مبدأها العقد السادس من القرن الثاني عشر».

وهكذا يتضح - وفقًا لكلام ابن غنام نفسه - أنه ألف تاريخه بدافع ذاتي منه، لُحمته وسُداه إدراكه لمنزلة التاريخ الرفيعة بين العلوم؛ لما ينتج عن قراءته من فوائد، في طليعتها تأسي الخلف بالسلف، ولما يناله من قام بكتابته من أجر وثواب عند الله. ولقد أوضح إدراكه لخطورة الإقدام على كتابة التاريخ، وصعوبة ظروفه وهو في دار غربة، أي لم يكن في مسقط رأسه، لكنه - مع ذلك

- بيَّن أن عاملين أثرا عليه، أو ساعداه في التغلب على شعوره بخطورة الكتابة وصعوبة ظروفه، وأول العاملَين: رغبته الملحة في الكتابة، ثانيهما: حفزه عليها من قِبل من كان يقدره غاية التقدير، وقد عبر عن هذين العاملين بقوله: «لكن داعي النفس لذلك (أي الكتابة) كثير، والإمام - أيده الله تعالى- يعزم عليّ في ذلك ويشير».

وإذا كان الكلام السابق يوحي بالهدف من الكتابة، ويبين عاملي السلب وعاملي الإيجاب في القيام بها، فما الموضوع المستهدف من الكتابة؟

لقد ورد في الكلام السابق المقتبس من مقدمة ابن غنام لتاريخه أنه صنفه لتسجيل الغزوات التي قام بها أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - بقيادة آل سعود-، ابتداءً من العقد السادس من القرن الثاني عشر، وهذا يفيد بأن المستهدف من الكتابة تسجيل الأعمال العسكرية، أو ما سمها الغزوات التي قام بها أولئك الأنصار.

وإذا توسع في المدلول فإنه قد يشمل الظروف السياسية التي واكبتها، على أنه ذكر في المقدمة - أيضًا - أنه سمى تاريخه: «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، وهذا يفيد أن التاريخ الذي كتبه يشتمل على أمرين: الحديث عن حال الإمام، والحديث عن غزوات أنصار الدعوة السلفية، وما هو موجود فعلًا ينطبق على هذين الأمرين.

لقد كان اقتناع ابن غنام بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب واضحًا كل الوضوح، وكان تقديره لصاحبها ولمن ناصروها بينًا كل البيان، وكان الصراع بين أنصارها وخصومها - خلال الفترة التي تناولها تاريخه عنيفًا كل العنف، فعند الحديث عن تاريخه لابد من أخذ كل هذه الأمور بعين الاعتبار، لكي يُحدد مدى تأثيرها على كتابته، وهذا التحديد سيرد الحديث عنه فيما بعد.

النقطة الثانية التي يحسن أن يُشار إليها في الكلام عن تاريخ ابن غنام: هي محتوياته: يتكون هذا التاريخ من جزأين، اشتمل الجزء الأول منهما على خمسة فصول، تحدث في الفصل الأول عن الأوضاع الدينية - وإلى حد ما السياسية- في نجد والإحساء وبعض البلدان الأخرى، وذلك قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وتحدث في الفصل الثاني عن حياة الشيخ محمد، أما الفصل الثالث فاشتمل على بعض الرسائل التي أرسلها الشيخ إلى عدد من قادة البلدان والشخصيات، وأما الفصل الرابع فحوى شيئًا من الأسئلة التي وُجهت إلى الشيخ وأجوبته عنها، وأما الفصل الخامس فقد ورد فيه تفسير الشيخ لبعض سور القرآن وآياته.

ويبدأ الجزء الثاني من تاريخ ابن غنام بمواصلة الحديث عن حياة الشيخ محمد الذي أورده في الفصل الثاني من الجزء الأول، مفصلًا الظروف التي أدت إلى انتقاله من العيينة، حيث بدأ تطبيق دعوته، ثم إلى الدرعية التي أصبحت قاعدة الدولة المناصرة لتلك الدعوة، وبعد ذلك يبدأ الحديث عن الأعمال العسكرية - أو الغزوات - لتلك الدولة، ابتداءً من عام **١١٥٩**هـ.

بدأ ابن غنام حديثه عن الأوضاع الدينية بإعطاء صورة عنها بقوله:

«كان غالب الناس في زمانه (أي زمان الشيخ محمد) متضمخين بالأرجاس، متلطخين بوضر الأنجاس، حتى انهمكوا في الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالأرماس. فعمدوا إلى عبادة الأوثان والصالحين، وخلعوا ربقة التوحيد والدين، فجدوا في الاستعانة بهم في النوازل والحوادث، والخطوب المعضلة والكوارث».

ثم أعطى تفصيلات لما كان يُمارس في إقليم العارض النجدي بالذات، وفي مدن الحجاز ومصر واليمن والشام والعراق والقطيف، وتلك التفصيلات التي

أوردها تدل دلالة واضحة على جهل عظيم بأمور الدين، وتدهور كبير في تفكير من يقومون بها، عقيدة وممارسة.

وبعد ذلك أورد أربع فوائد مهمة، وقد ضمن الفائدة الثالثة منها: قصيدة من ثلاثة وستين بيتًا للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني مطلعها:

**أما آن عما أنت فيه متابُ   وهل لك من بعد البعاد إيابُ**

ومما أورده الصنعاني في قصيدته قوله:

**نسائل من دار الأراضي سياحة   عسى بلدة فيها هدى وصوابُ**
**فيخبر كلٌ عن قبائح ما رأى   وليس لأهليها يكون متابُ**
**لأنهم عدوا قبائح فعلهم   محاسنَ يُرجى عندهن ثوابُ**
**كقومٍ عراةٍ في ذرا مصر ما علا   على عورة منهم هناك ثيابُ**
**يدورون فيها كاشفين لعورة   تواتر هذا لا يُقال كذابُ**
**يعدونهم في مصر فضلاءهم   دعاؤهمُ فيما يرون مجابُ**
**وفيها وفيها كلُ ما لا يعده   لسانٌ ولا يدنو إليه خطابُ**
**وفي كل مصرٍ مثل مصرَ وإنما   لكلٍ مسمًّى والجميع ذئابُ**

أما الفصل الثاني من الجزء الأول فعنوانه: نسب الشيخ ومبدأ أمره، وما جرى عليه في قيامه بتلك الدعوة من أهل مصره، وما صدمه به علماء عصره. وحديث المؤلف فيه هو أول سجل عن حياة الشيخ محمد، نسبًا، ومولدًا، ودراسة، وأسفارًا في طلب العلم، وبداية لدعوته في نجد، إلى استقراره في العيينة، مفصلًا ما قام به العلماء المعارضون له من نشاط ضده، وهو النشاط الذي كانت له آثاره على مواقف الأمراء منه، وقد ضمّن الفصل وقفات سماها مهمات، تحدث فيها عن كيفية تعامل الشيخ محمد مع خصومه، وما ينبغي أن يتحلى به الداعية، كما ضمّنه رأي الشيخ في التقليد الممنوع والمباح، ومما

أورده فيه: القصيدة الدالية المشهورة التي أرسلها الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب يثني فيها عليه، وتتألف القصيدة من خمسة وسبعين بيتًا استهلها بقوله:

سلامي على نجدٍ ومن حل في نجد    وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا    رُباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسيرٍ يُنشد الريح إن سرت    ألا يا صَبا نجد متى هجت من نجد
يذكرني مسراك نجدًا وأهله    لقد زادني مسراك وجدًا على وجد
قفي واسألي عن عالم حل سوْحها    به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد    فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي

ومنها:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه    يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهرًا ما طوى كلُ جاهل    ومبتدع منه فوافق ما عندي

ومما أورده في الفصل الثاني - أيضًا -: رسالة الشيخ محمد إلى العالم الأحسائي عبدالله بن محمد بن عبداللطيف، لائمًا له على اشتراكه مع خصومه في الكتابة ضده، وبخاصة أن ابن عبداللطيف - كما قال الشيخ محمد - في رسالته: قد نشر الله له من الذكر الجميل وأنزل في قلوب عباده له من المحبة ما لم يؤته كثيرًا من الناس.

ومع أن أكثر عبارات الرسالة توحي بأن الشيخ محمد لم يكن مؤملًا كثيرًا في إقناع الشيخ ابن عبداللطيف، إلا أنه لم يترك وسيلة يظن أنها تؤثر فيه إلا اتبعها، إذ قال: «ما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقًا لدين الله؛ كعمر رضي الله عنه في أوله».

وأما في الفصل الثالث من الجزء الأول من تاريخ ابن غنام فقد أورد رسائل بعثها الشيخ محمد إلى بعض البلدان والشخصيات، ولهذه الرسائل أهمية تاريخية كبيرة؛ لما يمكن أن يُستدل بها على شخصية الشيخ، والظروف المحيطة بدعوته وبالدولة السعودية التي قامت على أساسها.

ومن المحتمل جدًا أنه لو لم يقم ابن غنام بتدوين تلك الرسائل لضاعت، لكن تدوينه لها أمدنا بثروة تاريخية كبيرة.

ولقد أورد ابن غنام في الفصل الرابع من الجزء الأول من تاريخه أجوبة الشيخ على أسئلة وردت إليه، بعضها كان يُراد منها إيضاح مسألة من مسائل الدين، عقيدة وشريعة، وبعضها كان يُراد منه إيضاحٌ لما يدعو إليه الشيخ، وما يشاع عنه، ومن النوع الأخير رسالة أجاب فيها عن سؤال كان قد وجهه إليه حاكم الكويت الذي لم يُحدد اسمه، وقد فصّلت الحديث عن هذه الرسالة، ومدلولاتها التاريخية في كتابي «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت»[1].

وأتى الفصل الخامس والأخير من الجزء الأول من تاريخ ابن غنام إيرادًا لتفسير الشيخ محمد سورًا وآيات من القرآن الكريم، ومما له دلالة تاريخية بالذات من هذا التفسير تفسيره لسورة الفاتحة؛ ذلك أن تفسيره لها كان بناءً على التماس بعثه عبدالعزيز بن محمد بن سعود من الدرعية إلى الشيخ وهو مازال في

---

(١) (ص ٨٣ - ٨٧). قلت: والدكتور يميل إلى أنه عبدالله بن صباح، الحاكم الثاني للكويت. وتُنظر رسالة «نص وثائقي نادر»؛ للشيخ محمد الشيباني، ورسالة «أمراء وعلماء من الكويت على عقيدة السلف»؛ للشيخ دغش العجمي (ص ٣٤ - ٣٥) لمعرفة ما قيل حول هُوية من أُرسلت إليه رسالة الشيخ محمد.

العيينة، وهذا يدل على أن عبدالعزيز - ابن الأمير محمد بن سعود- كان على صلة بالشيخ، واقتناع بدعوته، قبل أن ينتقل إلى الدرعية ويتبايع مع أميرها محمد بن سعود سنة ١١٥٧هـ.

على أن الجزء الثاني من تاريخ ابن غنام هو الأقرب إلى منهجية الرصد التاريخي؛ إذ دوَّن فيه الأحداث سنة سنة، ومع أن العنوان العام لتاريخه قد اشتمل على مدلول هذا الجزء، فإنه جعل له عنوانًا فرعيًا هو: «كتاب الغزوات البيانية، والفتوحات الربانية، وذكر السبب الذي حمل على ذلك»، وقد استهله بمواصلة الحديث عن نشاط الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العيينة، وردود الفعل لتطبيقه فيها ما كان يدعو إليه، وهي الردود التي أدت إلى انتقاله منها إلى الدرعية، ثم تحدث عن نشاطه في السنتين الأوليين بعد استقراره في موطنه الجديد؛ وذلك قبل أن يدخل أنصار دعوته مع خصومهم في نزع مسلح، وبعد هذا أخذ يسجل حوادث هذا النزاع، وما واكبه من نشاط سياسي أديا إلى ما هو معروف في التاريخ العام للمنطقة، من تمكن أولئك الأنصار، بقيادة آل سعود، من توحيدها.

ولقد توقف ما هو متوافر في أيدي الباحثين الآن من تاريخ ابن غنام، مطبوعًا ومخطوطًا عند حوادث عام ١٢١٢هـ، ومن المرجح جدًا أن هناك جزءًا متممًا لهذا التاريخ، وهو الجزء الخاص بتدوين الحوادث حتى وفاة مؤلفه عام ١٢٢٥هـ، ذلك أنه من غير المحتمل أن يُهمل مؤلفه تدوين حوادث مهمة جدًا؛ كغزوة علي باشا مساعد والي بغداد العثماني للأحساء عام ١٢١٣هـ، وهجوم السعوديين على كربلاء عام ١٢١٦هـ، واغتيال الحاكم السعودي عبدالعزيز بن محمد، على يد أحد العراقيين عام ١٢١٨هـ، وتوحيد السعوديين لعسير والحجاز وجازان.

على أن شيخنا حمد الجاسر رَحِمَهُ اللَّهُ قال - في كلامه عن تاريخ ابن غنام - «وقد عُثر على تكملة لتاريخ الشيخ حسين بن غنام وصلت إلى الخزانة السعودية في الرياض وقت نشر تاريخ ابن بشر لأول مرة؛ أي سنة **١٣٤٩**هـ، ويظهر أن احتواء تاريخ ابن بشر على جل ما في التكملة، وأن أسلوبها مما لا يتلاءم مع أذواق كثير من القراء في هذا العهد؛ للسجع الممل، وأن تاريخ ابن غنام سبق نشره، وليس هناك كبير فائدة في هذه التكملة لكي يعاد طبع التاريخ كاملًا، هذه الأسباب حالت دون نشر تلك التكملة، وقد وصلت إلى مكتبة الأستاذ رشدي ملحس، وهو الذي حدثني عنها»(١).

**والكلام السابق يمكن أن يُلحظ عليه أمران:**

الأول: أن الجزء الأول من تاريخ ابن بشر سبق أن نُشر في بغداد سنة **١٣٣١**هـ، لكنه طبع بجزأيه أول مرة في مكة سنة **١٣٤٩**هـ.

الثاني: أن ما سبق نشره من تاريخ ابن غنام هو المتداول المنتهي بحوادث سنة **١٢١٢**هـ، وحوادث الثلاث عشرة سنة التي بعدها كانت مهمة جدًا - كما سبق أن ذُكر-، وحديث ابن غنام - المصدر الأول لتاريخ الدولة السعودية الأولى - أهم من حديث من أتوا بعده؛ كابن بشر، فالفائدة من نشر تكملة تاريخه واضحة كل الوضوح.

ومن الواضح جدًا أن ابن بشر قد اطلع على تاريخ ابن غنام؛ لأن مقارنة كتابه بما ذكره سلفه تؤكد اعتماده الكبير عليه في تفصيلات الحوادث التي أوردها ذلك السلف، بل إنه نقل عنه قليلًا من العبارات نقلًا حرفيًا، وإن كان لم يذكر هذا النقل وذلك الاعتماد، واكتفى بالقول: إنه وجد ترسيمات للوقائع لابن

---

(١) مجلة العرب، ربيع الأول ١٣٩١هـ ص ٧٩٣ .

سلوم إلى قرب موت عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ثم وجد ترسيمات لغيره أحسن من رسمه متصلة به. ومن المعروف أن اغتيال عبدالعزيز كان سنة ١٢١٨هـ، وما دام الموجود الآن من تاريخ ابن غنام توقف عند حوادث سنة ١٢١٢هـ، فإنه قد توقف فعلًا قرب وفاة عبدالعزيز، وعلى هذا؛ فإن تكملته كانت على الأرجح مفقودة في عهد ابن بشر المتوفى سنة ١٢٩٠هـ أيضًا، أو على الأقل كانت مفقودة بالنسبة لهذا المؤرخ.

وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر، فماذا عن هذا المتوافر من تاريخ ابن غنام.

تتفق مخطوطات هذا التاريخ بانتهاء كل واحدة منها بحديث مؤلفها عن أحداث سنة ١٢١٢هـ، لكن بعضها ينتهي بنهاية مبتورة؛ إذ آخرها صدر من بيت شعر دون إكماله بقيته، وبعضها ينتهي نهاية غير مبتورة؛ وذلك باستكمال الكلام عن أحداث تلك السنة كلها.

ولقد طُبع تاريخ ابن غنام أول مرة في بومبي، ثم طُبع مرة ثانية في القاهرة سنة ١٣٦٨هـ، وهي الطبعة التي تمت على نفقة الشيخ عبدالمحسن البابطين، وينطبق ما فيها على ما في المخطوطات التي نهايتها مبتورة.

ولقد صدرت لهذا التاريخ طبعة أخرى بعنوان «تاريخ نجد للشيخ الإمام حسين ابن غنام»، حرره وحققه الدكتور ناصر الدين الأسد، وقيل في صفحة الغلاف: قابله على الأصل: عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الذي كتب له تقديمًا سنة ١٣٨٠هـ، والحقيقة أنه وقع اجتهادان في هذه الطبعة؛ الأول قد يكون في محله؛ وهو إعادة صياغة كتابته، بحيث جُرد من السجع المتكلف، وحُذفت بعض الجمل المترادفة، والثاني اجتهاد في غير محله؛ وهو إضافة معلومات لم يوردها ابن غنام، وإنما أُخذت من غيره؛ وبخاصة تاريخ ابن بشر، وهذا العمل مضلٌ للقارئ؛ إذ سيظن أن كل المعلومات الموجودة في هذه الطبعة

مما دونه ابن غنام. وهذا غير صحيح، ولهذا فإنه لا يصح الاعتماد عليها.

وإذا أراد الباحث أن يتكلم عن أسلوب ابن غنام في كتابته لتاريخه، وجد أن هذا التاريخ يشتمل على ما أورده من كلام لغيره؛ مثل رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأجوبته عن أسئلة، وتفسيره لسور وآيات من القرآن الكريم، ومثل إيراده لكلام علماء آخرين؛ كابن تيمية والشيخ حمد بن معمر، وهذا كله أورده حرفيًا، وليس له فيه إلا فضيلة إيراده؛ وهو بصفة عامة المكون للجزء الأول.

ويشتمل على ما هو من كلامه؛ وهذا يُكوِّن بشكل أساس: الجزء الثاني من تاريخه، وهو الذي ركز فيه على ذكر الأحداث العسكرية أو الغزوات، وقد كتبه ابن غنام بأسلوب مسجوع سجعًا متكلفًا، إلى درجة أنه - في حالات نادرة - ضحى بقواعد اللغة العربية التي كان يدرسها لصالح السجع! ولم يكن المؤرخ الوحيد في زمنه ومنطقته الذي اتبع ذلك الأسلوب، فقد جاء أسلوب عثمان بن سند في كتابه «مطالع السعود» مشابهًا لأسلوب ابن غنام.

وربما كان اتباع ابن غنام لأسلوب السجع محاولة منه لإظهار براعته اللغوية كما قال شيخنا حمد الجاسر، ومن رأى رأيه، وربما كان يرى أن السجع أكثر قبولًا لدى القارئ في تلك الفترة، وبالتالي أعمق تأثيرًا في نفسه؛ ذلك أن ابن غنام كان يعيش في جو مشحون بالتوتر والصراع بين أنصار دعوة الشيخ محمد وخصومهم، وهو باتباعه ذلك الأسلوب يحمل سلاح الكلمة بجانب أولئك الأنصار.

أما المنهج الذي اتبعه ابن غنام في كتابته؛ فإن الجزء الأول منه جاء في مجمله - كما سبق أن ذُكر - إيرادًا لكلام غيره، وبالتالي فإن منهجه فيه ليس مما ينبغي التوقف عنده، ولكن منهجه حقيقة يتجلى في الجزء الثاني، والمنهج الذي اتبعه في هذا الجزء هو المنهج المتبع عند بعض مؤرخي الإسلام في قرون

ماضية؛ وهو تدوين الحوادث سنة سنة. وبما أن الفترة التي كتب تاريخها كانت الصبغة الأساسية فيها الأعمال العسكرية؛ دفاعًا عن الدولة السعودية القائمة على أساس دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، أو هجومًا ضد خصومها، فإن الجزء الثاني جاء سجلًا لتلك الأعمال، وما واكبها من مواقف سياسية.

على أنه قد ضمّن هذا الجزء - في مواضع قليلة - أمورًا فكرية دينية، وقصائد بمناسبة أحداث مهمة، فمن القسم الأول: رد الشيخ محمد على ما كتبه أخوه سليمان ضده وقد صدر هذا الرد فيما بعد بعنوان «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد»، ومنه: أجوبة الشيخ حمد بن معمر عن أسئلة علماء مكة، عندما أرسله قادة الدرعية إلى هناك بطلب من الشريف غالب؛ لمناقشة أولئك العلماء، وقد صدرت هذه الأجوبة فيما بعد بعنوان: «الفواكه العذاب فيمن لمن يحكم السنة والكتاب».

ومن الواضح أن القصائد الموردة في هذا الجزء إنما قيلت في الأحداث المهمة جدًا في نظر ابن غنام، سواء كانت صدىً لانتصارٍ حققه أتباع الدولة السعودية، أو لهزيمة مؤلمة حلت بهم، ومن تلك القصائد: قصيدته بمناسبة غزو صاحب نجران لنجد، وهزيمته لعبدالعزيز بن محمد سعود في الحائر، ومطلعها:

عين جودي بواكفٍ هتان    واسكبي عبرة على الأجفان

وقصيدته بمناسبة هجوم زعيم بني خالد على الدرعية، ومطلعها:

نفوس الورى إلا القليل ركونها    إلى الغي لا يلفي لدينٍ حنينها

وقصيدته بمناسبة دخول الرياض تحت الحكم السعودي، ومطلعها:

كشف الحقُ ظُلمةَ الإغلاس    ومحى الدينُ جُملة الأرجاس

وقصيدته في رثاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومطلعها:

**إلى الله في كشف الشدائد نفزعُ وليس إلى غير المهيمن مفزعُ**

وقصيدته التي رد فيها على قصيدة ابن فيروز، ومطلعها:

**على وجهها الموسوم بالشؤم قد خُطا عروسُ هوىً ممقوتة زارت الشطا**

وقصيدته التي هنأ بها سعود بن عبدالعزيز عند قدومه الأحساء، بعد مقتل زعيم المنتفق ثويني بن عبدالله، مطلعها:

**تلألأ نور الحق وانصدع الفجرُ وديجور ليل الشرك مزقه الظُهرُ**

وعدد أبياتها ١١٨ بيتًا.

وإذا أخذ ما سبق في الحسبان؛ فإن المرء ينبغي ألا يهتم بالأسلوب أو العرض الذي دون به ابن غنام الحوادث، وإنما ينظر إلى مضمون الأحداث التي دونها، ومن قرأ تاريخه يجد أنه يذكر هزائم أتباع الدولة السعودية تمامًا، كما يذكر انتصاراتهم، ويذكر أسماء من قُتلوا منهم، كما يذكر أسماء من قُتلوا من خصومهم ما وجد إلى معرفتها سبيلًا، والمهم للباحث - في نظري - هو النظر إلى المحتوى ذاته، لا إلى أسلوب عرضه. وبما أن تاريخ ابن غنام أول سجل لتفاصيل حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومسيرة دعوته، وأخبار الدولة السعودية الأولى التي ناصرتها، فإنه من الممكن أن يُعد - بإنصاف - رائدًا لمؤرخي نجد في الفترة التي تناول أحداثها، والله ولي التوفيق.



# ابن غنام مؤرخ وتاريخ[(١)]

للدكتور: محمد بن سعد الشويعر

يشعر المتتبع لتاريخ وسط الجزيرة العربية عامة، ونجد خاصة؛ أن هناك فجوة واسعة، وحلقة مفقودة، فيما بين القرن الخامس إلى القرن الحادي عشر الهجري، إذا استثنينا مكة والمدينة، حيث الحرمان الشريفان، وكونهما مأوى الأفئدة ومحط الأنظار.

ففي القرن الخامس وما قبله كانت هناك ومضات تاريخية توجد متناثرة في كتب التاريخ، وقد تأتي عرَضًا في سرد الأحداث التاريخية.

ذلك أن نجدًا مع ما فيها من أحداث تاريخية هامة، لم تحظ بمؤرخين يرصدون تلك الأحداث ويعتنون بتدوينها، لأن جل المؤرخين يبحثون عن الوقائع المهمة في حياة الحكام والساسة من جهة، ومن جهة أخرى فموطن هؤلاء الذين دونوا الأحداث التاريخية كان مقر الحكام، وموطن التجمع العلمي في الحواضر الإسلامية في دمشق، وبغداد، ومصر، والأندلس، والقيروان.

لم يكن في نجد من الأحداث المهمة في نظرهم ما يستوجب الإفراد بحديث مستقل، إذ لا تعدو تلك الأحداث أن تكون خبرًا جانبيًا من تولية والٍ، أو مشاركة بعض الأفراد من القبائل في الجيوش الإسلامية، أو انتقال قبيلة من مكان لآخر.

---

(١) مقال منشور بمجلة «الدارة»، (السنة الرابعة - العدد الأول - ربيع ثاني - ١٣٩٨هـ) - بتصرف يسير -.

ولذا كانت نجد حتى بدء ضعف الدولة العباسية تارة تنفرد بوالٍ في اليمامة وهجر، وأخرى ترتبط بوالي المدينة أو مكة، أو يهيمن عليها والي البصرة.

ولبُعدها عن قاعدة الخلافة العباسية، ضعفت الهيمنة العباسية عليها؛ نتيجة للتفكك الذي دب في دولة الإسلام الممثلة في الخلافة العباسية، ونشأ تبعًا لذلك دويلات متعددة، مثلما نشأ في أطراف الدولة العباسية في مصر، والمغرب، وخراسان وغيرها. وإن أقوى الدويلات التي نشأت في نجد:

١- دولة الأخيضريين بين عام **٢٥٣**هـ وعام **٣١٧**هـ.

٢- دولة القرامطة التي خلفت الأخيضريين بين عام **٣١٧**هـ إلى عام **٤٧٠**هـ.

ولعل نهاية القرن الخامس الهجري آخر ما يستطيع الباحث أن يجد فيه ذكرًا لنجد تاريخيًا وأحداثًا، حتى القرن الثاني عشر، عندما ظهر حدث عظيم في تاريخ نجد خاصة، والجزيرة العربية عامة، ولانستطيع أن نقول بأن هذه الفجوة بين هذين التاريخين عديمة الأحداث، ذلك أن الباحث لن ييأس أو يفقد الأمل في العثور على شذرات تضيء المعالم عن أشياء كنا نعتقدها في حكم المفقود، وتتمثل هذه الأشياء في وثائق عقارية أو تاريخية أو رحلات أو معلومات عابرة؛ كما جاء في سوابق ابن بشر، وأحداث ابن عيسى، ورحلة ناصر خسرو مثلًا.

ذلك الحدث العظيم هو ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب ﷺ بدعوته الإصلاحية المجددة، ومؤازرة الإمام محمد بن سعود لها، حتى استقامت دولة ذات كيان، فأصبحت هذه الديار محط الأنظار، ومأوى الأفئدة، واستقطبت اهتمام العالم، لأن هذه الدعوة الإصلاحية لم تكن حدثًا داخليًا يقتصر على أبناء الجزيرة وحدهم، ولكنه كان إيقاظًا فكريًا شد الأذهان، وجذب الأفئدة، وأشرأبت إليه الأعناق في العالم الإسلامي بأسره.

## ابن غنام وتاريخه

ومؤرخنا في هذه الزاوية: حسين بن أبي بكر بن غنام، يرجع نسبه إلى قبيلة تميم، من أكبر القبائل وأوسعها انتشارًا في وسط الجزيرة، من سكان المبرز بالأحساء، وفيها ولد وتعلم، حيث أخذ العلم فيها عن مشايخ من أهلها، لم نجد أحدًا ذكر أسماءهم.

لم يحدد الباحثون عن حياة ابن غنام السنة التي ولد فيها؛ لأن عادة أبناء جيله عدم الاهتمام بتدوين السنة التي يولد فيها أي شخص، وكل ما أثبتوه هو تاريخ وفاته عام **١٢٢٥**هـ، وفي شهر ذي الحجة بالذات، هذا التاريخ الذي لم يختلف فيه أحد، ذلك لأن ابن بشر أوضح هذا التاريخ في أحداث عام **١٢٢٥**هـ عندما قال: «وفي شهر ذي الحجة من هذه السنة توفي الشيخ العلامة والحبر الفهامة حسين بن غنام الأحسائي»[١].

نشأ ابن غنام في الأحساء في بيت علم، وقد عُرف من أسرته عدة علماء كما قال ابن عبدالقادر في تحفة المستفيد[٢]، فهو أحسائي النشأة والولادة.

واستقر به المقام بالدرعية عندما توجه إليها في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد، في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمهما الله-؛ كما قل بذلك عبدالرحمن بن عبداللطيف في كتابه: «مشاهير علماء نجد وغيرهم»[٣]، فهو نجدي الاستقرار والشهرة. ولكن ابن عبدالقادر يقول في تحفة المستفيد[٤] بأن

---

(١) عنوان المجد (١ : ١٤٤).

(٢) (٢/ ١٠٤).

(٣) (ص ١٨٥).

(٤) (٢/ ١٠٤).

ابن غنام قد نقله الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى الدرعية في وقت نهضتها.

وفي نظري أن الرأي الأول أقرب للصواب؛ لأن ابن غنام عندما ألف تاريخه، كان يريد قصره على حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، كما يتراءى من عنوانه: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب».

هذا بالنسبة للعنوان، أما بالنسبة للمحتوى فهو يدور في: حال الجزيرة والأحساء ونجد قبل ظهور الإمام رحمه الله بدعوته الإصلاحية، ثم يسير متتبعًا لهذه الحركة، ويطيل في الخاتمة التي هي عن وفاة الشيخ وأثرها النفسي والشعوري[١]، كما كرر خبر وفاته في أحداث عام ١٢٠٦هـ[٢].

وما القصائد التي أوردها في رثائه إلا تعبيرٌ عن شعور المؤلف تجاه هذا المصلح الكبير، ودوره العقائدي في نقل سكان الجزيرة خاصة من حياة الظلمة والضلال، والعزلة والانطواء، إلى حياة التفتح والنور، ومعرفة الدين الإسلامي واعتناقه عن بصيرة وفهم، كما يتجلى ذلك في إيقاظ الشعور الإسلامي لدى المسلمين عامة.

فارتباط ابن غنام تاريخيًا وشعوريًا بالشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله جعلني أرجح الرأي الأول؛ ذلك أن ابن غنام لابد وأن يكون لازم الشيخ في حياته في الدرعية، وهذه الملازمة لا تتأتى وابن غنام لم يقدم الدرعية إلا بعد ولاية الإمام سعود بن عبدالعزيز.

ومعروف بأن سعودًا لم يتسنم الأمر إلا بعد قتل والده في عام ١٢١٨هـ، وفي

---

(١) (١ : ٥٠ - ٦٠).

(٢) (٢ : ١٥٤).

هذا التاريخ يكون الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد فارق الحياة إلى الدار الآخرة بمدة مقدارها اثنا عشر عامًا.

ولعل سؤالًا يتبادر للذهن: ألا يمكن أن يكون الإمام سعود قد استقدم ابن غنام في حياة والده؟

وهذا محتمل، إلا أن عبارة ابن عبدالقادر «الإمام سعود» تُبعد هذا الاحتمال؛ لأن المفهوم منها اعتلاؤه السلطة، فلو قال: «استقدمه الأمير سعود- أو عندما كان أميرًا» لانسجم مع القول، وفي هذه الحالة لا نحتاج إلى ترجيح.

وبالتالي؛ فإننا لا نستطيع تحديد السنة التي قدم فيها إلى الدرعية، إلا أن الحركة العلمية المزدهرة فيها، والشعور الديني العميق كانا خلف نزوحه من بلده الذي ولد فيه وتعلم، إلى موطن جديد يجذب ذوي المواهب، ومنهم ابن غنام.

والشيخ حمد الجاسر[١] يميل مع ابن عبدالقادر في ترجيحه أن ابن غنام لم يقدم الدرعية إلا بعد ولاية سعود بن عبدالعزيز بن محمد عام **١٢١٨**هـ.

وبالتالي فإنني أميل إلى أن انتقاله إلى الدرعية كان في حدود عام **١٢٠٠**هـ، للأسباب التالية:

١- أن عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد الذي بدأ بوفاة والده محمد - رحمهما الله- عام **١١٧٩**هـ؛ كان عهد تدعيم وبناء وتوسع في نشر الدعوة، ولم يبدأ الاستقرار العلمي إلا في حدود عام **١٢٠٠**هـ، وإن كانت جذوره قد بدأت مع قيام دعوة الإصلاح التي بدأها الإمامان محمد بن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب - رحمهما الله-.

---

(١) مجلة العرب، ج٩ مجلد ٥ .

٢- أن سعودًا في حدود هذا التاريخ قد اشتد عوده، وكان عضد والده، وقائد الغزوات، ولا يستبعد مع ذلك أن يكون هو الذي استقدم ابن غنام عندما كان أميرًا، ذلك أن الأسرة السعودية قد عُرفت منذ نشأة الدولة السعودية بحب العلم، واستقدام العلماء واحترامهم وإكرامهم.

٣- أن هذا التاريخ يتيح لابن غنام ملازمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ست سنوات قبل وفاته، وهي مدة كافية، كفيلة بأن تجعله يرتبط به شعوريًا؛ ليتجلى ذلك في مؤلفه التاريخي وقصائده فيه، والإشادة بمكانته.

٤- أما قصيدته التي قالها في قدوم الأمير سعود الأحساء بعد قتل «ثويني» عام ١٢١٢هـ، مهنئًا للأمير سعود ولأبيه عبدالعزيز[١]، فهي لا تدل قطعيًا بأن ابن غنام كان مقيمًا في الأحساء، ولم يرتحل للدرعية، بل من الأرجح أن يكون قد ارتبط بهذه الأسرة الكريمة قبل هذا التاريخ، وأنه شارك أهالي الأحساء في التعبير عن هذا الشعور، لأن «ثويني» هذا قد أقضَّ مضجعهم قبل قتله بسنوات؛ كما أبان عن ذلك تاريخه.

٥- أن أحد تلاميذه في العربية بعد انتقاله للدرعية كما حكاه ابن بشر[٢] حمد بن ناصر بن معمر، وهذا قد بعثه الإمام عبدالعزيز بن محمد في عام ١٢١١هـ إلى مكة ليناظر علماءها في مسائل العقيدة، فأظهر من البراعة وقوة الحجة ما كان موضع إعجاب علماء مكة، وهو لن يصل لهذا المستوى إلا بعد أن تمكن من اللغة العربية، وأنهى دراسته مع شيخه ابن غنام.

---

(١) تاريخه (٢/ ٢٣٧- ٢٤٢).

(٢) عنوان المجد (١: ١٤٤).

**مذهبه:**

اختلف الباحثون في حياة هذا المؤرخ والأديب في المذهب الذي ينتمي إليه في الفروع:

١- فقال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم في الدرر السنية[١]: إنه شافعي.

٢- وقال محمد بن عبدالقادر في تحفة المستفيد[٢]: إنه مالكي، كما تابعه في هذا القول كلٌّ من الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب[٣]، وعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ في: «مشاهير علماء نجد وغيرهم»[٤]، والدكتور عبدالعزيز الخويطر في رسالته: «عثمان بن بشر منهجه ومصادره»[٥].

٣- وقال إسماعيل باشا في هَدْية العارفين[٦]: إنه حنبلي، وتابعه في ذلك عمر رضا كحالة في «معجم المؤلفين»[٧].

وعندما نريد ترجيح رأيٍ من هذه الآراء الثلاثة نجد أكثرها احتمالًا الرأي الثالث.

ذلك أن تلاميذ ابن غنام والعلماء المحيطين به، كلهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، فهو جزء من هذا الكل، يتعلم ويُعلم ويناقش في مجتمع لم تتطور فيه الوسائل العلمية، وتتوفر معلوماتها، هذا من جهة، ومن أخرى فإن

---

(١) (٢/ ٢٤).
(٢) (٢: ١٠٤).
(٣) (ج١ / م٥).
(٤) (ص ١٨٥).
(٥) (ص ٧).
(٦) (١/ ٣٢٨).
(٧) (٣/ ٣١٧).

مذهب الإمام أحمد سائد في الأحساء قبل انتقال بن غنام منها، وهذا في نظري أمكن دليل على أنه حنبلي المذهب.

وبالنسبة للرأي الأول فلا نميل إليه لسببين:

١- أن أسرته مالكية المذهب؛ حيث نشأ وتعلم في حياته الأولى في الأحساء.

٢- أن الإمام محمد بن عبدالوهاب ﷺ الذي لازمه ابن غنام في حياته الثانية بالدرعية؛ كان يسير في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ﷺ.

ولذا نستبعد أن يكون ابن غنام شافعيًا؛ لأن اتجاهه العلمي في الأحساء والدرعية لم يهيئ له ذلك.

وأما القول بأنه مالكي فله ما يبرره؛ باعتبار أن مذهب أسرته مالكي، ومن جهة أخرى فإن مذهب الإمام مالك كان سائدًا في الأحساء.

ولكن تمذهب أسرته بالمالكية ليس دليلًا قاطعًا على مالكية ابن غنام، وحكمنا بذلك يوقعنا فيما يسميه المنطقيون: الدور والمصادرة، ذلك أننا حكمنا بمالكيته بناءً على مالكية أسرته، في حين أنه لا يثبت أنه مالكي المذهب إلا باعتناقه هو لمذهب الإمام مالك، سواءً عرف عنه ذلك، أو ألف فيه ودافع عن الفروع التي ينفرد بها الإمام مالك.

وهذا لا يستبين إلا بتتبع آثاره العلمية وآرائه فيها، ولم نجد من نقل شيئًا من ذلك عنه؛ ليُثبت مالكيته على هذا الأساس.

## تأثره وتأثيره:

لقد تأثر ابن غنام بإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ﷺ، فكان مرتبطًا

به روحًا ومعنى، فسجل حياته وتابع دعوته، ورصد الوقائع الحربية والغزوات لنشر الدعوة، وما جرى بسببها من أحداث، خلال فترة الازدهار في الدولة السعودية الأولى، بزعامة ثلاثة من أئمتها هم: محمد بن سعود (ت ١١٧٩هـ)، وابنه عبدالعزيز (١١٣٧- ١٢١٨هـ)، وحفيده سعود بن عبدالعزيز بن محمد (١١٦٣- ١٢٢٩هـ).

ولم نجد في تاريخه ما يدل على أنه عول في النقل على غيره أو استفاد منه. وهذه عادة غير مستحسنة، فلعله استفاد من غيره، ولكنه تجاهل المنقول عنه، خاصة وأنه قد عُرف قبله بعض المؤرخين ممن وصلت إلينا أخبارهم؛ مثل:

أحمد بن بسام (ت ١٠٤٠هـ)، وأحمد المنقور (ت ١١٢٥هـ)، ومحمد بن ربيعة العوسجي (ت ١١٥٨هـ)، وعبدالله بن عضيب (ت ١١٦١هـ)، وإبراهيم بن أحمد بن يوسف (ت ١٢٠٦هـ) المتوفى في دمشق.

وعلى العموم؛ فإن أغلب الأحداث التاريخية كلها كانت وقائعها قريبة العهد من ابن غنام، ولا نحب أن نحمله أكثر مما يجب، فنقول إنه نقل هذه الأحداث من غيره ولكنه تجاهله، بل نقول: إن ابن غنام رصد هذه المعلومات من أحداث عصره وما هو سائد في مجتمعه.

فكان تاريخه يحدد معلومات قريبة العهد، فهو يبدؤه من عام ١١٥٨هـ وينتهي إلى عام ١٢١٢هـ. ولابد أنه تأثر بعلماء عصره المحيطين به، إلا أنه لم يستبن لنا شخصيات معينة أخذ عنها العلم، أو تأثر بها في الاتجاه، إلا ما رأيناه من اقتفائه لأثر الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ذلك أن تاريخه أوسع مرجع لحياة الإمام محمد رحمه الله، أو ما نقله من رسائل ومسائل نسبها لأصحابها. وقد اعتبره عمر رضا كحاله في معجم المؤلفين[1] من تلاميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

---

(١) (٣/ ٣١٧).

أما عن تلاميذه الذين أخذوا عنه العربية في الدرعية؛ فإن ابن بشر، وهو أقرب المؤرخين لابن غنام، لم يذكر من تلاميذه الذين أخذوا عنه العربية في الدرعية - مع أنهم كثيرون - إلا: حمد بن ناصر بن معمر، وسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.

ولكننا نعتبر ابن غنام بتاريخه هذا أستاذ جيل: اقتفى أثره عدد كبير، أخذوا معلوماتهم التاريخية عنه.

وأول تلاميذه في هذا التخصص هو ابن بشر نفسه، إذ كان كتاب ابن غنام مصدرًا مهمًا في تاريخ الدولة السعودية الأولى وما واكبها من أحداث - وإن كان قد وقف عند عام ١٢١٢هـ - أيام عزها ومنعتها، بيد أنه توفي بعد هذا التاريخ بثلاث عشرة سنة. كما يُعتبر مصدرًا مهمًا لكل كاتب يبحث عن تاريخ نجد والجزيرة العربية في تلك الحقبة، أو يتتبع حياة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ومن هذا نقول بأن إبراهيم بن عيسى (ت ١٣٤٣هـ) في تاريخه، وعبدالله، فلبى في كتابه: تاريخ نجد، وغيرهما من الباحثين حديثًا في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أو تاريخ الدولة السعودية الأولى، قد استفادوا من ابن غنام، وعولوا في معلوماتهم عليه؛ فهو أول راصد لتاريخ نجد وأحداثها، لأن من سبقه لا يمتازون بالتتبع الموضوعي للمنطقة كاملة؛ كما هو منهج ابن غنام.

ولئن كان ابن غنام - وهذا هو المأخذ عليه من كل دارس لتاريخه - يعتمد على السجع الممل، وحشده الكلمات المترادفة التي ترسخ هذا السجع المتكلف، فإن ذلك لا يُنقص من قيمة كتابه كمرجع تاريخي لفترة من الزمن عاصرها وسجل أحداثها، ولعله في سجعه هذا، وبحكم علاقته باللغة العربية - لأنه كان أستاذًا لها في الدرعية - قد تأثر بالنثر في العصور الوسطى، إبان ركود

اللغة العربية، وركونها إلى السجع، والاحتفاء بالمحسنات البديعية.

**تاريخه:**

لقد أخرج الناشر لكتاب ابن غنام في طبعته الأولى عام ١٣٦٨هـ (عبدالمحسن أبابطين) هذا المؤلَّف في جزأيه تحت اسم «تاريخ نجد»، ولم يكن ابن غنام قد قصد هذه التسمية، إذ أن التسمية الحقيقية للكتاب: «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام»، وقصره على حياة الشيخ محمد ورسائله، وحالة نجد والأحساء، وما وقع فيهما من الشرك وغيره.

ثم أتبعه بكتاب آخر سماه: «الغزوات البيانية والفتوحات الربانية»، تعرض فيه لتاريخ الحوادث والغزوات التي واكبت الدعوة الإصلاحية وانتشارها وقيام الدولة السعودية الأولى، ووقف عند عام ١٢١٢هـ.

ولعل الناشر عندما أعطاه هذه التسمية: «تاريخ نجد»؛ أراد أن يضفي عليه طابعًا مميزًا، وأن يضم الكتابين تحت مسمىً واحد، وأن يشمل التسميات المختلفة، فهو يقول: «تاريخ نجد - المسمى: روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، فكلمة تاريخ نجد وحدها تكفي عن هذا الاسم الطويل، ثم إن كلمة «المسمى» تدل على أن الاسم الأول من إطلاق الناشر.

ولا يغرب عن بالنا أن الباحثين قد أطلقوا تسميات متعددة على هذا المؤلف:

١- فإسماعيل باشا في هَدْية العارفين[1] يقول عن ابن غنام: «صنف التاريخ العجيب سماه. . .» ولا يذكر الاسم.

---

(١) (١/ ٣٢٨).

٢- وابن عبدالقادر في تحفة المستفيد[١] يقول: «روضة الأفكار فيما كان في نجد من الأخبار».

٣- وابن قاسم في الدرر السنية[٢] يقول: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهو تاريخ الإمام الشيخ حسين بن غنام الأحسائي».

٤- والزركلي يقول في الأعلام[٣]: «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام».

٥- وعمر رضا كحالة يقول في معجم المؤلفين[٤]: «تصانيفه: تاريخ نجد، العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام». فهنا جعلهما كتابين وليس كتابًا واحدًا، وهذا لم يقله غيره.

وفي نظري أن (أبابطين) كناشر قد أحسن صُنعًا بهذه التسمية، فهي تسمية مختصرة تنبئ عن محتوى الكتاب.

وقد يكون الناشر استقاها مما تعارف عليه الناس، أو من مسمى تاريخ عثمان بن بشر: «عنوان المجد في تاريخ نجد».

ثم لعل عبدالله فلبي، قد استفاد منهما هذه التسمية عندما سمى مؤلفه عن تاريخ الدولة السعودية: «تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية».

---

(١) (٢/ ١٠٤).

(٢) (٢/ ٢٥).

(٣) (٢/ ٢٧٤).

(٤) (٣/ ٣١٧).

**وعندما نستعرض كتاب ابن غنام فإن القارئ لا يجده كتابًا خالصًا للتاريخ، بل هو:**

١- استعراض لحالة نجد والأحساء، وما وقع فيهما من الشرك وغيره قبل قيام الدعوة الإصلاحية على يد الإمامين محمد بن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب - رحمهما الله -.

٢- بيان التوحيد وما يجب على كل مسلم، وقد استعرض في ذلك الأحاديث الصحيحة، وآراء بعض السلف؛ كابن تيمية، وأوضح الشرك الأصغر؛ كالحلف بغير الله، في استعراض مستفيض.

٣- رسائل وردود للشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيره في الدفاع عن الدعوة، وتفنيد الآراء التي تعارضها، وتوضيح معالم الدين الإسلامي، والآراء الصحيحة في شأن القبور، وقصة الخضر وموسى عليهما السلام.

٤- حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ووفاته، وبعض ما قيل في رثائه من أشعار.

٥- استعرض الوقائع والغزوات من عام ١١٦١هـ إلى عام ١٢١٢هـ، كما ذكر السبب الذي حمله على ذلك، وذكر بعض الحوادث لثلاثة أعوام سبقت هذا التاريخ من عام ١١٥٨هـ.

٦- يتخلل موضوعاته بعض القصائد التي قالها حسب المناسبات، ويورد أبياتًا شعرية يسوقها كشواهد لما يتكلم عنه.

وهذه الطريقة التي سار عليها ابن غنام تختلف عن طريقة ابن بشر الذي قصر مؤلفه على الناحية التاريخية فقط، وهو ما سار عليه ابن عيسى فيما بعد وغيره.

ولا ملامة على ابن غنام في طريقته هذه، ذلك أن أسبقيته في التأليف،

وحماسه الديني، وثقافته العربية، هذه المسببات جعلت جوانبها المختلفة تؤثر في نفسيته، فيسجل أحاسيسه عنها في مؤلفه الذي قصد أن يكون تاريخيًا، وقد درج بعض الأولين قبله على هذه الطريقة، إذ كانت كتب التراث والتاريخ تحظى بكثير من ذلك.

أما عن طبعات هذا الكتاب ومخطوطاته، فقد تكفل كلٌ من الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب[١]، وعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ في كتابه: «مشاهير علماء نجد وغيرهم»[٢] بإيضاح الطبعات، وما فيها من زيادات أو نقص.

## ابن غنام أديبًا:

ظهر ابن غنام إبان التفتح الفكري في نجد والأحساء، ونشوء العصر الذهبي للأدب والعلم، فهيأه تطلعه العلمي، ونبوغه الفكري؛ إلى تبوء مكانة عالية، ألا وهي تدريس اللغة العربية لخيرة علماء الدرعية وأكابرها، فكانت له اليد الطولى كما قال ابن بشر، ويتمثل التراث الأدبي الذي تركه بن غنام نثرًا وشعرًا في:

أسلوبه المسجوع في مؤلفاته، وخاصة الكتاب الذي نحن بصدده، وحرصه على التعمق في المعاني اللفظية، والغوص على الكلمات التي تتلاءم مع سجعه، مدلًا بذلك على مستواه في هذا الجانب.

ومع أننا لم نجد له نثرًا فنيًا مستقلًا يمكن دراسته، وبيان منزلته الأدبية على ضوئه.. إلا أن الدكتور محمد الشامخ في كتابه «النثر الأدبي في المملكة العربية

(١) (ج٩ م٥).
(٢) (١٨٥ - ٢٠١).

السعودية ١٩٠٠- ١٩٤٥م»[١]، قال: «لعل كتب التاريخ من أهم المؤلفات التي يمكن لدارس النثر الأدبي أن يجد فيها من النصوص ما يدل على مستوى الأسلوب الكتابي في هذه الحقبة، ذلك لأن هذه المؤلفات كانت تحرر حينئذٍ بأسلوب يشبه الأسلوب الأدبي، من حيث استخدام السجع وإطلاق العنان أحيانًا لسبحات الخيال والعواطف الذاتية».

ثم قوله بعد أن استعرض أنموذجًا لنثر ابن غنام في سرد الوقائع التاريخية ووصفها: «ومن الواضح أن ابن غنام لم يكتف هنا بتسجيل الأحداث التاريخية، بل أراد أن يصور الخواطر النفسية والصراع الإنساني، وإذا أباح لنفسه كذلك أن يفسر حوادث التاريخ تفسيرًا ذاتيًا، وأن يضيف إليها ما رأى أن من الممكن أن يقع حدوثه، فقد جاء أسلوبه التاريخي شبيهًا بالأسلوب الملحمي، وفي الحقيقة أن القارئ يكاد ينسى ما للحادثة من قيمة تاريخية، وينصرف إلى ما فيها من متعة قصصية، وقيمة أدبية، رغم ما التزمه الكاتب من سجع عاق سلاسة الرواية، وقلل من حيويتها، إلا أن أسلوبه قد تميز بالوضوح، واتسم بالقدرة على تصوير المواقف المتأزمة، والصراع النفسي».

فقد كان يقصد في نظري بيان منزلة ابن غنام النثرية، وأن منهجه التاريخي ما هو إلا سلوك منهجي في الأدب برز في طريقة متميزة، مع ثقافة عربية واسعة، وتصوير بديع للمواقف المتأزمة، بعبارات تعطي مدلولًا خاصًا.

وعندما استعرض الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية» في الفصل الثاني: التأليف التاريخي - الأدبي[٢]،

(١) (ص ٣١ - ٣٣).
(٢) (ص ٦٠٩ - ٦٤٠).

تكلم عرضًا عن ابن غنام؛ كواحد من هؤلاء المؤرخين في عبارة مجملة لا تبني عن رأي خاص فيه.

**أما الشعر**؛ فإن ابن غنام قد أودع كتابه التاريخي بعضًا منه، كما عرف له أشعار أخرى متناثرة يقولها في مناسبات مختلفة، وهي وإن كانت لم تُستوعب في ديوان خاص به، فإنه جدير بالدراسة والجمع.

وأبرز ما يظهر للقارئ في شعر ابن غنام:

١- سعة الخيال، والعمق في الألفاظ والمعاني.

٢- اختيار المناسبات والمشاركة فيها.

٣- الوصف التصويري؛ كما يتضح ذلك في قصيدته الهائية[1]، بحيث يتجلى التعبير الملحمي عندما يصف الجيوش والوقائع النازلة على الأعداء، في تصوير معبر عن الحقيقة.

٤- شعوره الديني يتغلب أحيانًا على خياله الشاعري، فتراه لا يتوسع في خياله التصويري؛ لأن هاجسه الديني وشعوره الوجداني تحركا في نفسه، فانجذب إليهما.

٥- طول النفَس، مما يدل على شاعرية متمكنة، وخيال خصب، وثروة لغوية، كما يتراءى ذلك للقارئ من قصيدته الرائية في تهنئة الأمير سعود، والإمام عبدالعزيز - رحمهما الله - بعد قتل ثويني، فهي تبلغ مائة وثمانية عشر بيتًا.

٦- يودع كثيرًا من أشعاره معلومات تاريخية ودينية، من باب الاستشهاد والمقارنة.

---

(١) (٢/ ٧١ من تاريخه).

وعلى العموم فإن ابن غنام في شعره أمكن وأجزل منه في نثره، ولذا يبرز في نثره خيال الشاعر وأحاسيسه حينما يخاطب فئة معينة من الناس.

**أخيرًا:**

عندما أخذت هذا الكتاب نموذجًا لكتب التراث لدينا؛ فإنني لم آخذه:

١- لندرته، فهو كتاب مطبوع، «طُبع مرتين».

٢- ولا لأسلوبه التاريخي، واستقصائه للمعلومات، فهو يسلك طريق السجع الممل أحيانًا، ولم يستقصِ تاريخ نجد، سواءً منها الأحداث التي سبقته، وسبقت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقيام الدولة السعودية الأولى، أو جميع أحداث وأخبار نجد والجزيرة العربية في عصره هو.

ولكنني اخترته هنا ككتاب من كتب التراث العلمي لنجد والجزيرة العربية للأسباب التالية:

١- أنه يعتبر أهم مصدر يستند إليه الباحثون، وفي مقدمتهم ابن بشر، كمرجع للوقائع التي حدثت وصاحبت قيام الدعوة الإصلاحية على يد الإمامين: محمد بن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب - رحمهما الله -.

٢- أنه من أهم المراجع التي أنارت الطريق للباحثين حديثًا في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، باعتبار المؤلف واحدًا من تلاميذه.

٣- أن ابن غنام بمؤلفه هذا يُعتبر أول من فتح باب التأليف التاريخي في نجد، وبدأ بذلك عهدًا مضيئًا انقشع عن ظلمة دامت قرابة ستة قرون.

ولذا؛ فإنه مهما حصل فيه من أخطاء، ومهما أخذه عليه بعض الدارسين والباحثين من مآخذ، فإنني أعتبرها حسنات، ذلك أن الفضل دائمًا للسابق، وأن

من يأتي بعده مسترشد برأيه، وإذا صح لنا أن نجعل الريادة التاريخية في نجد في شخص معين، فإن ابن غنام فيما وصل إليه علمي هو الرائد للتأليف التاريخي، رغم أنه لم يقصر كتابه على التاريخ. وأما المدونات التاريخية التي سبقت ابن غنام فما هي إلا نبذ تاريخية محدودة الوقائع والحوادث».

❑ ❑ ❑

# جانبان مهمان من تاريخ ابن غنام

من خلال تأملي لتاريخ ابن غنام رحمه الله، لفت نظري فيه جانبان مهمان، يستحقان اهتمام الباحثين؛ ومن ثمَّ التوسع فيهما:

**الجانب الأول**: أن ابن غنام رحمه الله قد صاغ تاريخه بأسلوب يفيض حبًا وفرحًا بدعوة التوحيد، التي جددها الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وناصرها أئمة الدولة السعودية الأولى؛ متمثلًا قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾، ويظهر هذا بجلاء عند:

١- حديثه المطوّل عن دخول بلاده الأحساء تحت حكم الدولة السعودية، واستبشاره بهذا الأمر، بدءًا من أحداث سنة (١٢٠٨هـ).

٢- حديثه عن حملة ثويني، واستنصار علماء الضلال من أهل الأحساء به؛ لإنقاذ بلادهم من دولة التوحيد، وإيراده لقصيدة أحد المناوئين «ابن فيروز»، ثم رده عليها بقصيدة مطولة[١]، مطلعها:

**على وجهها الموسوم بالشؤم قد خُطا    عروس هوىً ممقوتة زارت الشطا**

٣- إيراده لقصيدته الطويلة[٢] المترعة بالفرح والنشوة، التي قالها «في قدوم سعود الحسا بعد قتل ثويني»، ومطلعها:

**تلألأ نور الحق وانصدع الفجرُ    وديجور ليل الشرك مزقه الظُهرُ**

وهذا يؤكد أن التوفيق إلى الحق، ولزوم صراط الله المستقيم، أمرٌ رباني،

---

(١) تجدها في أحداث سنة ١٢١١هـ.

(٢) تجدها في أحداث سنة ١٢١٢هـ.

يمن الله به على من يشاء من عباده، ولا يخضع لعاملَي الزمان والمكان. فكم من أناسٍ عاشوا بين ظهرانَي أنبياء الله، وفي ديارهم، ولكنهم أعرضوا، واستكبروا عن الحق، ونكصوا على أعقابهم من بعد ماتبين لهم الهدى. وكم من أناسٍ موفّقين، لم يحظَوا برؤية الأنبياء، ولكنهم آمنوا بما جاؤوا به من عند ربهم، كما أخبر الله عن هذا الأمر بقوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾، وقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾.

ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ﷺ، السلفية، ليست بِدعًا من هذا، فقد عاداها بعض من هم أقرب إليها نسبًا ومكانًا وزمانًا، وشرقوا بها[١]، وتلقاها غيرهم بقَبول حسن، وهم ناؤا الزمان والنسَب عنها، وبينهم وبينها الجبال والوهاد مكانًا[٢]، ومن هؤلاء: ابن غنام ﷺ، الذي لم تأخذه حمية الجاهلية لقومه وبلاده على حساب الحق، وإنما دار معه كيفما دار، ولو على حساب وطنه وخلانه، وهكذا الإيمان إذا ما خالطت بشاشته القلوب، فإنه يجعل صاحبه يُجانب مَن قال الله تعالى عنهم: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾. فرحم الله الشيخ ابن غنام، ورفع درجته، وأعلى ذكره.

بقي أن يُقال هنا، ماقاله الدكتور عبدالله العثيمين: «ومع أنه - أي ابن غنام - كان متحمسًا للدعوة، فإنه لم يتردد في وصف نتائج المعارك؛ سواء كان النصر

---

(١) انظر نماذج لهم في رسالة: «المعارضة المحلية لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد»؛ للدكتور محمد بن عبدالله النويصر.

(٢) انظر نماذج لهم في رسالة: «انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية»؛ للأستاذ محمد كمال جمعة.

فيها لمن هو متحمس لهم، أو لخصومهم»[١]. وهذا من إنصافه ﷺ.

**الجانب الثاني**: مجموعة من صور العدل التي تحلت بها دعوة الإمام المجدد ﷺ، وامتثلتها الدولة السعودية الأولى في تعاملها مع خصومها، وهي مما ينبغي إبرازه من الباحثين، لاسيما في ظل الدعايات المكثفة ضد هذه الدعوة المباركة، من قِبل أناس وجهات يصدق فيهم المثل العربي القائل: «رمتني بدائها وانسلت»، حيث عكسوا الأمور، وصوّروا البريء في صورة المتهم، والمتهم في صورة البريء؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

ثم مقارنة ذلك بما فعله خصوم الدعوة والدولة السعودية الأولى بها عندما تمكنوا، ليظهر التفاوت للمنصفين، وليحق لأهل هذه الدعوة أن يرددوا:

**ملكنا فكان العدل منا سجية    فلما ملكتم سال بالدم أبطح**
**وحللتمُ قتل الأسارى و طالما    غدونا على الأسرى نمنّ ونصفح**
**فحسبكمُ هذا التفاوت بيننا    فكل إناءٍ بالذي فيه ينضح**

**فمن تلك الصور - وأشير إليها مجرد إشارات -:**

١- قول ابن غنام في أحداث سنة ١١٨٧هـ «وأرسل عبد العزيز إلى أهلها - أي الدلم - الذين ثاروا، وخرجوا مع دهام وساروا، يدعوهم إلى الرجوع، فلم يكن أحدٌ عنه بممنوع، **إلا من تميز بالشر والفساد**، وتوغل في طريق العناد، وتسربل بالبغي والإفساد، ففاؤوا إليها وآبوا، وقد ربحوا في ذلك وما خابوا، وسكنوا بها فطابوا». فالعقاب إنما هو للمسيئ، وصاحب الشر والفساد، دون غيره؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

(١) مراجعات في مصادر التاريخ السعودي (ص ١٩).

٢- قوله في أحداث سنة ١١٩٠هـ: «وفيها: قدم أهل منيّخ وأهل الزلفى على الشيخ وعبد العزيز؛ لأداء السلام، وتجديدًا لعهد الإسلام، ووفد معهم سليمان بن عبد الوهاب، ولم يكن له إلى منيّخ رجوع وانقلاب، بل حسُن له في الدرعية السكنى والمآب، فقوبلوا بالقبول والإكرام والبشاشة، وكان من الشيخ إلى أخيه سليمان أعظم تحنن واهتشاشة، فدثر حاله حينئذ وأراشه، ووسّع عليه قوته ومعاشه، **وكان هذا شأنه مع غيره**، طيب الله في ضريحه مهاده وفراشه». وهذا يبين أن هدف الشيخ محمد ومقصده أن يؤوب الناس إلى توحيد رب العالمين، وتحكيم شرعه، دون انحرافات، وأنه يفرح بأوبتهم للحق، ولايأخذهم بجرائرهم السابقة إذا ما انتهوا عنها وأنابوا، دون فرق بين قريب أو غريب.

٣- قوله في أحداث سنة ١١٩١هـ: «فلما جهد الحصار أهل البلاد - أي حرْمه -، وأضناهم القتال والجلاد، تحققوا أن سعودًا لا يكاد ينصرف عنهم بغير المقصود، وآيسوا من باطل الوساوس والآمال، وجزموا أنهم لا يحصلون على طائل ولا حال، طلبوا من سعود الدخول في الإسلام والإقبال، **وأبدَوا له الندم والأسف والإذلال، فأسقط عنهم النكال، وتلقاهم بالقبول**، وكان لهم إلى مرامهم وصول، واشترط عليهم أن ينفوا جميع الأشرار».

٤- قوله في أحداث سنة ١٢٠٧هـ متحدثًا عمّا عمله الإمام سعود في الأحساء، بعد فتحها: «وأمر بالتدريس في جميع الأربعة المذاهب، وتأييد كل سالك إليها وذاهب، وتعليم العلم ونشره وإحيائه بالمذاكرة فيه، وذكره والتجرد والتجريد في تفهم التوحيد، فقاموا فيه بعدما قعدوا، وشمروا في العلوم واجتهدوا، وأقر الأئمة في مساجدها وأكلَ حاصلها وفوائدها، وقرر العلماءَ في المدارس، فأصبح كلٌ في كتب مذهبه دارس، فلم يكن منهجها مطموسًا ولا دارس، وأقر الأحباس والسبل، فلم يصل إلى أربابها خلل».

وقال رحمه الله في رده السابق على ابن فيروز:

وقد ولي الأحسا سعودٌ فأسعدت مساعيه أهل الخير فانتظموا سمطا
وقرر أرباب الوظائف كلهم وما شاهدوا في كل أوقافهم هبطا
مدارسهم معمورة بعلومهم وما ثبطوا عن نشر أحكامهم ثبطًا
وما أبطلت أحكامهم حيثما أتى بإبطاله الشرع الشريف وما أخطا
ولم ينف إلا كل من عمل الردى ومن كان سبابا لمنطقه مسطا
فليس ترى إلا مفيدًا وهاديًا وعلما وتحديثًا بذا تسمع اللغطا
وأمر بمعروف وتنكير منكر وتنكيرًا من قد قارف الذنب والسخطا
وحثا على فعل الصلاة جماعة وتوبيخ من عنها تخلف أو أبطا
فلله رب الحمد والشكر دائمًا على نعم لم يحص نظمي لها ضبطًا

قلت: وفي هذا خير بيان عن موقف الدعوة السلفية، والدولة السعودية، من المذاهب الفقهية السنية، وأنها لاتعترض عليها، بل تؤازرها، وإنما اعتراضها على البدع والمنكرات، مع حثها المسلمين على اتباع الدليل الشرعي، وإن خالف المذهب الفقهي - كما هو معلوم -.

٥ - قوله في أحداث سنة ١٢١٢هـ: «وخاضت البحر بمحمد بن ديماس فرسه مسرعة، فدعي عند ذلك بالأمان، لكونه لم يعرفه من المسلمين إنسان، فأقبل بعد ذلك سريعًا، ونال ذلًّا شنيعًا، فقُيِّدَ وأُسِرَ بعدما مَلَكَ وقَهَر، ثم بعد صدور القضية، أتى به مناع إمامَ المسلمين في الدرعية، فحاول على قتله حجة شرعية، وطريقًا يبري ذمته عند رب البرية، فكأنه، حرس الله تعالى من المكروه مهجته، وأدام توفيقه ونعمته وبهجته، تورّع في المسارعة إلى قتله، مع ما صدر من قبيح فعله، **فقد كان وقافًا عند الحدود، وكان يدرؤها بالشُبه كما للنص بذلك ورود**».

٦- أن ولاة أمر الدولة السعودية الأولى كانوا يُبقون حكام البلاد التي تدين لدين الله بالولاء، وترضى بالتزام الشرع، على حكمهم، دون أي مضايقة أو مصادرة؛ لأن هدف أولئك الكرام أن تخضع تلك البلاد لشريعة رب الأرباب، بغض النظر عن حاكمها مَن يكون؛ كما فعلوا في حريملاء وحرْمه وغيرها. بل وصلوا في تسامحهم وعدلهم إلى أن أبقوا مَن بذل غاية جهده في مناوأتهم على حكمه؛ كالشريف غالب بن مساعد، الذي أبقوه على حكم مكة، رغم جلاده الطويل، وعداوته الظاهرة لهم. وكذلك أبقوا الشيعي أحمد بن غانم على حكم بلاده القطيف، مادام قد رضي بالدخول تحت حكم الشريعة في الظاهر. وقد اعترف بهذا: المعارض الشيعي المعاصر حمزة الحسن، في كتابه «الشيعة في المملكة العربية السعودية»(١)، رغم حقده الواضح على الدولة السعودية، فقال: «وفي القطيف، التي تُعتبر إقليمًا منفصلًا عن الأحساء، بقيت الزعامة الشيعية السياسية التي كانت منحصرة في بيت آل غانم، حيث أبقى الأمير عبدالعزيز أحمد بن غانم حاكمًا للقطيف، وفي عهد سعود الكبير استمر أحمد بن غانم في الحكم، وفي عهد عبدالله بن سعود كان الحاكم القطيفي هو إبراهيم بن غانم».

فلعل الباحثين المهتمين يتوسعون في عرض الجانبَين السابقَين؛ لأهميتهما في إنصاف الدولة السعودية الأولى، ودفع ما لحقها من شبهات الخصوم، وافتراءاتهم.



---

(١) (١ / ١١٠).

# قواعد مهمة عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، وخصومها

## (١) الطعن في دعوة الشيخ ليس بالأمر الجديد

إن الطعن في دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ليس وليد الساعة، إنما بدأ منذ أن خالف الإمام عقائد المنحرفين في عصره، وجهر بدعوة التوحيد، وفي هذا يقول رحمه الله في رسالته لعلماء البلد الحرام: «سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد: جرى علينا من الفتنة مابلغكم وبلغ غيركم، وسببه هدم بناء في أرضنا على قبور الصالحين، ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البناء على القبور، كبر على العامة، وعاضدهم بعض من يدعي العلم؛ لأسباب ما تخفى على مثلكم، أعظمها اتباع الهوى، مع أسباب أخر فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين، وأنا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها»[١].

ولطلاب الحق أن يُطالعوا هذه الرسائل المهمة: «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي» للشيخ صالح العبود، «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» للدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف، «إسلامية لا وهابية» للشيخ ناصر العقل، «الشيخ محمد بن عبدالوهاب المجدد المفترى عليه» للشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي، «محمد

---

(١) الدرر السنية (١ / ٥٧). وستأتي ضمن تاريخ ابن غنام - إن شاء الله -.

بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه» للأستاذ مسعود الندوي، و«كشف الأكاذيب والشبهات عن دعوة المصلح الإمام محمد بن عبدالوهاب» للأستاذ صلاح آل الشيخ.

## (٢) الحوار لا ينبغي أن يكون عن وجود «التكفير»، إنما يكون عن أسبابه

إن الشيخ رحمه الله وأتباع دعوة التوحيد مع خصومهم - قديمًا وحديثًا - يدورون في حلقة مفرغة، وجدال عقيم؛ عندما يتهمونه وأتباعه أنهم يُكفرون المسلمين أو أن عندهم غلوًا في التكفير.. الخ تهمهم؛ لأنه سيرد عليهم بأنه يبرأ من ذلك كله، وإنما هو يُكفر من وقع في الشرك الأكبر

فالخلاف بينه وبينهم ينبغي أن لا يكون في وجود «التكفير»؛ لأنه لا إسلام دون تكفير مَن يستحق التكفير - لو كان الخصوم يعقلون -، ونصوص الكتاب والسنة حافلة بهذا، وكتب فقهاء الإسلام لا يخلو واحد منها من «كتاب الردة»، يوردون فيه الأمور التي إذا ما قالها أو فعلها المسلم فقد ارتكب ناقضًا يُخرجه من الإسلام - كما سيأتي -، إذن؛ فالخلاف ينبغي أن يكون في حقيقة مَن كفرهم الشيخ؛ هل هم مسلمون؟ أو أنهم نقضوا إسلامهم بما ارتكبوه من أقوال أو أعمال شركية؟

فينبغي أن تنصرف جهود خصوم الشيخ - ومن وافقهم - إلى إثبات أن من كفرهم الشيخ مسلمون - رغم صرفهم أنواعًا من العبادة لغير الله؛ من نذر أو ذبح أو دعاء.. الخ.

هاهنا المعترك بين الشيخ وخصومه.

أما الصياح بأن الشيخ كفر هؤلاء أو قاتل أولئك، والاعتقاد بأنهم بهذا أقاموا الحجة على أن دعوة الشيخ «فيها غلوٌ في التكفير»! فهذا سذاجة وجهل. لأن

الشيخ وعلماء دعوته لم يُنكروا هذا كله - رغم التزيدات والفهم السقيم - حتى «يفرح» البعض بالعثور عليه! بل هم يقرون ما ثبت منه، ولا يعدونه مذمة - مادام مرجعه الأدلة الشرعية -.

فالخلاف ينبغي أن يكون في: «هل يستحق هؤلاء المكفَّرين» أن يُحكم عليهم بذلك، أو لا يستحقون؟! ويكون المرجع في هذا: الأدلة الشرعية بفهم سلف الأمة، لا مجرد العواطف والأماني التي يعقبها «التباكي».

**(٣) عند المخالفين: من قال «لا إله إلا الله» فقد برئ من الكفر مهما ارتكب من النواقض!**

ظن المخالفون للشيخ أن من قال: لا إله إلا الله لا يكفر، ولو لم يعمل بمقتضاها، ويقولون إن الذين قاتلهم الرسول ﷺ وكفَّرهم، ونزل فيهم القرآن، لا يشهدون أن (لا إله إلا الله) فكيف يُجعل أولئك المشركون الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله مثل الذي يقولها ويصلي ويصوم؟ ولأن هذه المسألة من أهم المسائل التي إذا ما وعاها المسلم وفهمها حق الفهم تيقن افتراء الخصوم على دعوة الشيخ، وعدم فهمهم لحقيقة التوحيد الذي جاء به محمد ﷺ؛ فإليك نقولًا مفيدة للشيخ - الذي أولاها الأهمية - ولبعض علماء الدعوة وغيرهم:

- هذه الشبهة أُوردت على الإمام محمد بن عبدالوهاب، وتولى الإجابة عليها بنفسه، قال رحمه الله ما نصه: «اعلم أن لهؤلاء شبهة، يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها، وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن، لا يشهدون أن (لا إله إلا الله)، ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحرًا، ونحن نشهد: أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم،

فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟ فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم، أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن، وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله، وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله، وجحد الحج.

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ومن أقر بهذا كله، وجحد البعث، كفر بالإجماع، وحل دمه وماله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، فإذا كان الله قد صرّح في كتابه، أن من آمن ببعض، وكفر ببعض، فهو الكافر حقًا، وأنه يستحق ما ذكر، زالت الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء، في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقال أيضًا: إن كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة، أنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، وصدق بذلك كله، لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا.

فمعلوم أن التوحيد هم أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله، ما أعجب هذا الجهل! ويقال أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويؤذنون، ويصلون.

فإن قال إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي، فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان، أو يوسف؟ أو صحابيًا، أو نبيًا إلى مرتبة جبار السماوات والأرض؟ سبحان الله ما أعظم شأنه ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ويقال أيضًا: الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان(١) وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يُكفرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر؟

ويقال أيضًا: بنو عبيد القداح(٢)، الذين ملكوا المغرب في زمان بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويدّعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء، دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون، حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضًا: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب: (باب حكم المرتد)، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم

---

(١) سيأتي أنهما من الأشخاص الذين كان الناس يغلون فيهم زمن الشيخ رحمه الله.
(٢) أي: العبيديين، ويُسمون خطأً: الفاطميين. وسيأتي شيئ من أقوال العلماء فيهم - إن شاء الله -.

ذكروا أنواعًا كثيرة كل نوع منها يكفّر ويُحل دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال أيضًا: الذين قال الله فيهم ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾، أما سمعت الله كفّرهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، ويجاهدون معه، ويصلون، ويزكون ويحجون ويوحدون.

وكذلك الذين قال الله فيهم ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفّرون من المسلمين أناسًا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق... إلى أن قال: وللمشركين شبهة أخرى: يقولون إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله، وكذلك قوله «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»، وأحاديث أخر في الكف عمن قالها.

ومراد هؤلاء الجهلة: أن من قالها لا يكفر، ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل. فيُقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود، وسباهم، وهم يقولون لا إله إلا الله.

وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون ويدّعون الإسلام.

وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل، ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئًا من أركان

الإسلام كفر وقُتل، ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد، الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟ ولكن أعداء الله ما فهموا الأحاديث.

فأما حديث أسامة: فإنه قتل رجلًا ادّعى الإسلام، بسبب أنه ظن أنه ما ادّعى الإسلام إلا خوفًا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام: وجب الكف عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾، أي: فتثبتوا، فالآية تدل: على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتل، لقوله تعالى ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، ولو كان لا يُقتل إذا قالها، لم يكن للتثبت معنى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه أن: من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه، إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك. والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ قال: أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ وقال: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، هو الذي قال في الخوارج «أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقلنهم قتل عاد»**، مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلًا وتسبيحًا، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام، لما ظهر منهم مخالفة الشريعة»[1].

وقال الشيخ عبدالله أبا بطين ﷺ: «من أعظم المصائب إعراض أكثر الناس عن النظر في معنى هذه الكلمة العظيمة - أي لا إله إلا الله -، حتى صار كثير منهم يقول: من قال لا إله إلا الله ما نقول فيه شيئًا وإن فعل ما فعل! لعدم

---

(١) كشف الشبهات (ص ٥١ - ٦٥)، وستأتي الرسالة كاملة في تاريخ ابن غنام - إن شاء الله -.

معرفتهم بهذه الكلمة نفيًا وإثباتًا. مع أن قائل ذلك لابد أن يتناقض، فلو قيل له: ما تقول فيمن قال: لا إله إلا الله، ولا يُقر برسالة محمد بن عبدالله؟ لم يتوقف في تكفيره. أو أقر بالشهادتين وأنكر البعث؟ لم يتوقف في تكفيره. أو استحل الزنا أو اللواط أو نحوهما، أو قال إن الصلوات الخمس ليست بفرض، أو أن صيام رمضان ليس بفرض؟ فلابد أن يقول بكفر من قال ذلك. فكيف لاتنفعه لاإله إلا الله ولاتحول بينه وبين الكفر؟!! فإذا ارتكب ما يناقضها؛ وهو عبادة غير الله، وهو الشرك الأكبر الذي هو أكبر الذنوب، قيل: هو يقول لا إله إلا الله، ولا يجوز تكفيره!!».

وقال - أيضًا ﷺ: «ولازم قول من قال: إنه لا يجوز قتال من قال لا إله إلا الله. تخطئة أصحاب رسول الله ﷺ في قتالهم مانعي الزكاة، وإجماعهم على قتال من لا يصلي إذا كانوا طائفة ممتنعين. بل يلزم من ذلك تخطئة جميع الصحابة في قتالهم بني حنيفة، وتخطئة علي بن أبي طالب ﷺ في قتال الخوارج، بل لازم ذلك رد النصوص بل رد نصوص القرآن كما قدمنا، ورد نصوص رسول الله ﷺ التي لا تحصى، ويلزم صاحب هذه المقالة الفاسدة أنه لا يجوز قتال اليهود لأنهم يقولون لا إله إلا الله!! فتبين بما قررناه أن صاحب هذا القول مخالف للكتاب والسنة والإجماع»[١].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ﷺ: «وقد غلط كثير من المشركين في هذه الأعصار، وظنوا أن من كفَّر من تلفظ بالشهادتين فهو من الخوارج، وليس كذلك؛ بل التلفظ بالشهادتين لا يكون مانعًا من التكفير إلا لمن عرف معناهما، وعمل بمقتضاهما، وأخلص العبادة لله، ولم يشرك به سواه، فهذا تنفعه الشهادتان.

---

(١) دحض شبهات على التوحيد (ص ٥٠ - ٥١).

وأما من قالهما ولم يحصل انقياد لمقتضاهما، بل أشرك بالله، واتخذ الوسائط والشفعاء من دون الله، وطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، وقرَّب لهم القرابين، وفعل لهم ما يفعله أهل الجاهلية من المشركين، فهذا لا تنفعه الشهادتان بل هو كاذب في شهادته، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله هو: عبادة الله، وترك عبادة ما سواه، فمن استكبر عن عبادته ولم يعبده؛ فليس ممن يشهد أن لا إله إلا الله، ومن عبده وعبد معه غيره؛ فليس هو ممن يشهد أن لا إله إلا الله»[1].

وقال ﵀ رادًا على من تشرب قلبه هذه الشبهة:

«وأما قوله: ومن تسمّى بالإسلام، وأحب محمدًا سيد الأنام، وأحب أصحابه الكرام، واتبع العلماء الأعلام، لا يكفِّر أحدًا من سائر المسلمين، فضلًا عن هداتهم في الدين، اللهم إلا أن يكون من الغلاة الذين أسقطوا حرمة «لا إله إلا الله» وسوّل لهم الشيطان وأملى لهم، حيث استباحوا دماء المسلمين إلى آخر رسالته.

فيقال في جوابه: هذا الجاهل يظن أن من أشرك بالله واتخذ معه الأنداد والآلهة، ودعاهم مع الله لتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، يحكم عليه والحال هذه بأنه من المسلمين؛ لأنه يتلفظ بالشهادتين، ومناقضتهما لا تضره، ولا توجب عند كفره، فمن كفَّره فهو من الغلاة الذين أسقطوا حرمة «لا إله إلا الله» وهذا القول مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم

---

(١) عيون الرسائل والمسائل (٢ / ٩٦٠ - ٩٦١).

ويسألهم، ويتوكل عليهم كفر إجماعًا». انتهى

ومجرد التلفظ من غير التزام لما دلَّت عليه كلمة الشهادة، لا يجدي شيئًا، والمنافقون يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار.

نعم، إذا قالها المشرك ولم يتبين منه ما يخالفها، فهو ممن يُكف عنه بمجرد القول، ويحكم بإسلامه، وأما إذا تبين منه وتكرر عدم التزامه ما دلّت عليه من الإيمان بالله وتوحيده والكفر بما يعبد من دونه، فهذا لا يحكم له بالإسلام ولا كرامة له، ونصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة تدل على هذا.

فمن تسمى بالإسلام حقيقة، وأحب محمدًا، واقتدى به في الطريقة، وأحب أصحابه الكرام، ومن تبعهم من علماء الشريعة، يجزم ولا يتوقف بكفر من سوّى بالله غيره، ودعا معه سواه من الأنداد والآلهة، ولكن هذا الصحاف يغلط في مسمى الإسلام، ولا يعرف حقيقته، وكلامه يحتمل أنه قصد الخوارج الذين يكفرون بما دون الشرك من الذنوب وحينئذ يكون له وجه، ولكنه احتمال بعيد، والظاهر الأول.

وقد ابتلي بهذه الشبهة، وضل بها كثيرٌ من الناس، وظنوا أن مجرد التكلم بالشهادتين مانع من الكفر، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾، فالتكفير بدعاء غير الله: هو نص كتاب الله، وفي الحديث: «**من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار**». وفي الحديث أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**». وفي رواية: «**إلا بحق الإسلام**».

وأعظم حق الإسلام وأصله الأصيل هو: عبادة الله وحده، والكفر بما يعبد من دونه، وهذا هو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص، فمن قالها وعبد غير الله، أو استكبر عن عبادة الله فهو مكذب لنفسه، شاهد عليها بالكفر والإشراك.

وقد عقد كل طائفة من أتباع الأئمة في كتب الفقه باب مستقلًا في حكم المرتد، وذكروا أشياء كثيرة يكفر بها الإنسان، ولو كان يشهد أن لا إله إلا الله، وقد قال تعالى في النفر الذين قالوا في غزوة تبوك بعض القول الذي فيه ذمٌ لرسول الله ﷺ ومن معه من أصحابه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فكفَّرهم بعد إيمانهم بالاستهزاء ولو كان على وجه المزح واللعب، ولم يمنع ذلك قولهم «لا إله إلا الله».

وكذلك: إجماع الأمة على كفر من صدَّق مسيلمة الكذاب، ولو شهد «أن لا إله إلا الله» وقد كفَّر الصحابة أهل مسجد بالكوفة بكلمة ذُكرت عنهم في احتمال صدق مسيلمة، ولم يلتفت أصحاب رسول الله ﷺ إلى أنهم يشهدون «أن لا إله إلا الله». لأنه قد وجد منهم ما ينافيها: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ وبالجملة فالذي يقوم بحرمة «لا إله إلا الله»: هم الذين جاهدوا الناس عليها، ودعوهم إلى التزامها علمًا وعملًا، كما هي طريقة رسل الله وأنبيائه، ومن تبعهم بإحسان، كشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله تعالى- وأما من أباح الشرك بالله وعبادة غيره، وتولى المشركين، وذب عنهم، وعادى الموحدين وتبرأ منهم فهو الذي أسقط حرمة (لا إله إلا الله)، ولم يعظمها، ولا قام بحقها، ولو زعم أنه من أهلها القائمين بحرمتها»[١].

---

(١) المرجع السابق (٢ / ٩٦٩ - ٩٧٢).

وقال - أيضًا رحمه الله: «وقد رأيت لبعض المعاصرين كتابًا يعارض به ما قرر شيخنا من أصول الملة والدين؛ ويجادل بمنع تضليل عُبَّاد الأولياء والصالحين، ويناضل عن غلاة الرافضة والمشركين، الذين أنزلوا العباد بمنزلة الله رب العالمين، وأكثر التشبيه بأنهم من الأمة، وأنهم يقولون: لا إله إلا الله، وأنهم يصلون ويصومون، ونسي في ذلك عهود الحمى؛ وما قرَّره كافة الراسخين من العلماء، وأجمع عليه الموافق والمخالف من الجمهور والدهماء، ونصَّ عليه الأكابر والخواص، من اشتراط العلم والعمل في الإتيان بكلمة الإخلاص، والحكم بموجب الردة على فاعل ذلك من سائر العبيد والأشخاص، وسمّى كتابه: «جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة»، ومراده بالأمة هنا: من عبد آل البيت وغلا فيهم، وعبد الصالحين ودعاهم، واستغاث بهم؛ وجعلهم وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم!! هذا مراده ولكنه أوقع عليهم لفظ الأمة ترويجًا على الأغمار والجهال، ولبسًا للحق بالباطل، وهو يعلم ذلك وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله من المفترين. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾، فلكل مفترٍ نصيب منها بحسب جرمه وعلى قدر ذنبه، وقد رأيت على هذا الرجل من الذلة والمهانة مدة حياته ما هو ظاهر بين يعرفه من عرفه»[1].

وقال رحمه الله: «إن الشيخ إنما كفّر وقاتل وأخذ الأموال بأحداث لا تزال موجودة في الأمة تقلّ وتكثر، وأنها لا يكفر بها أحد، وأن تكفير الصحابة لمن كفَّروه من أهل الردة على اختلافهم، وتكفير علي للغلاة، وتكفيره للسحرة وقتلهم، وتكفير من بعدهم للقدرية ونحوهم، وتكفير من بعد أولئك للجهمية،

---

(١) مصباح الظلام (ص ٤٣).

وقتلهم للجعد بن درهم وجهم بن صفوان ومن على رأيهم، وقتلهم للزنادقة، وهكذا في كل قرن وعصر من أهل العلم والفقه والحديث طائفة قائمة تكفر من كفَّره الله ورسوله، وقام الدليل على كفره لا يتحاشون عن ذلك؛ بل يرونه من واجبات الدين وقواعد الإسلام وفي الحديث: «**من بدل دينه فاقتلوه**»، وبعض العلماء يرى أن هذا والجهاد عليه ركن لا يتم الإسلام بدونه.

وقد سلك سبيلهم الأئمة الأربعة المقلدون، وأتباعهم في كل عصر ومصر، وكفَّروا طوائف من أهل الأحداث، كالقرامطة والباطنية، وكفّروا العبيديين ملوك مصر وقاتلوهم، وهم يبنون المساجد، ويصلون ويؤذنون، ويدَّعون نصرة أهل البيت، وصنَّف ابن الجوزي كتابًا سمَّاه «النصر على مصر» ذكر فيه وجوب قتالهم، وردتهم.

وقد عقد الفقهاء في كل كتاب من كتب الفقه المصنفة على مذاهبهم، أبوابًا مستقلة في حكم أهل الأحداث التي توجب الردة، وسماه: باب الردة، وأكثرهم عرَّفوا المرتد: بأنه الذي يكفر بعد إسلامه، وذكروا أشياء دون ما نحن فيه من المكفرات حكموا بكفر فاعلها، وإن صلى وصام، وزعم أنه مسلم. قال الشيخ عثمان الحنبلي صاحب «حاشية المنتهى» في عقيدته: تتمة: الإسلام: الإتيان بالشهادتين مع اعتقادهما والتزام الأركان الخمسة إذا تعينت وتصديق الرسول ﷺ فيما جاء به: ومن جحد ما لا يتم الإسلام بدونه، أو جحد حكمًا ظاهرًا، أجمع على تحريمه أو حله إجماعًا قطعيًا، أو ثبت جزمًا كتحريم لحم الخنزير، أو حل خبز، ونحوهما كفر، أو فعل كبيرة، وهي ما فيها حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو داوم على صغيرة - وهي ما عدا ذلك- فسق. انتهى.

وهذا يعرفه صغار الطلبة فضلًا عن العلماء الممارسين.

وهذا الأحمق يَعُدُّ هذا بابًا ضيقًا، ويسفه رأي الأئمة وعلماء الأمة ويجهلهم،

وهو يزعم أنه ينصرهم. وما أحسن ما قيل: «لأن يعادي المرء عاقلًا خير له من أن يكون له صديق أحمق». والباب الذي يسع كل أحد هو الباب الشرعي، الذي عليه الداعي النبوي. وأما إهمال الجهاد، وعدم تكفير المرتدين، ومن عدل بربه، واتخذ معه الأنداد والآلهة، فهذا إنما يسلكه من لم يؤمن بالله ورسوله، ولم يُعَظِّم أمره، ولم يسلك صراطه، ولم يقدر الله ورسوله حق قدره، بل ولا قدَّر علماء الأمة وأئمتها حق قدرهم، وهذا هو الحرج والضيق. قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾. والجهاد للمارقين والمرتدين وتكفيرهم داخل في مسمى الإسلام، بل هو من أركانه العشرة، كما نصَّ عليه بعض المحققين، وفي الحديث: «**وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**» فلا ينشرح له ويراه حقًا وواسعًا إلا صدر من أراد الله هدايته وتوفيقه، ويراه ضيقًا حرجًا من أراد الله أن يضله ويخزيه بين عباده المؤمنين. هكذا يقرر الكلام هنا والقول في هذا الموضع، لا ما زعمه من خسف الله قلبه، فعكس القضية، وراغم الأدلة الشرعية، والقوانين المحمدية، فبعدًا لقوم لا يؤمنون. وأما قوله: (إن تكفيرها حذَّر منه نبيها ﷺ غاية التحذير).

فيقال: إن زعمت أن النبي ﷺ حذر عن تكفير من أتى ما يوجب الكفر ويقتضيه ممن بدّل دينه، فهذا مكابرة وجحد للضروريات والحسيّات، وقائله إلى أن يعالج عقله أحوج منه إلى تلاوة الآيات والأحاديث، وحكاية الإجماع، وفعل الأمة طبقة طبقة وقرنًا قرنًا. وإن أراد أن النهي عن تكفير عموم الأمة وجميعها: فهذا لم يقله أحد، ولم نسمع به عن مارق ولا مبتدع، وهل يقول هذا من له عقل يدرك به ويعرف ما في الأمة من العلم والإيمان والدين؟ وأما بعض الأمة فلا مانع من تكفير من قام الدليل على كفره كبني حنيفة، وسائر أهل الردة في زمن أبي بكر، وغلاة القدرية والمارقين الذين مرقوا في زمن علي رضي الله عنه وغلوا

فيه، وهكذا الحال في كل وقت وزمان، ولولا ذلك لبطل الجهاد وترك الكلام في أهل الردة وأحكامهم، وفي هذا القول ما تقدم من تسفيه جميع الأمة، وتجهيل علمائها الذين كفّروا بكثير من الأحداث والمكفِّرات، وفيه أنهم لم يسلكوا الطريق الواسع، ولم يفهموا الحديث عن نبيهم. وبالجملة: فهذا المعترض مموّه بلفظ الأمة مُلَبِّس»[(١)].

وقال رَحِمَهُ الله: «واعلم أن هذا المعترض لم يتصور حقيقة الإسلام والتوحيد؛ بل ظن أنه مجرَّد قول بلا معرفة ولا اعتقاد، وإلا فالتصريح بالشهادتين والإتيان بهما ظاهرًا هو نفس التصريح بالعداوة والبغضاء، وما أحسن ما قيل: وكم من عائب قولًا صحيحًا وآفته من الفهم السقيم.

ولأجل عدم تصوره أنكر هذا، وردّ إلحاق المشركين في هذه الأزمان بالمشركين الأولين، ومنع إعطاء النظير حكم نظيره، وإجراء الحكم مع علته، واعتقد أن من عبد الصالحين ودعاهم وتوكل عليهم وقرَّب لهم القرابين مسلم من هذه الأمة، لأنه يشهد أن لا إله إلا الله ويبني المساجد ويصلي، وأن ذلك يكفي في الحكم بالإسلام ولو فعل ما فعل من الشركيات!! وحينئذٍ فالكلام مع هذا وأمثاله في بيان الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وحكم بأنه لا يغفر، وأن الجنة حرام على أهله، وفي بيان الإيمان والتوحيد الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وحرم أهله على النار، فإذا عرف هذا وتصوره تبيَّن له: أن الحكم يدور مع علَّته، وبطل اعتراضه من أصله، وانهدم بناؤه»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ الله موجهًا حديثه إلى أحد المناوئين: «ما تقول في الغالية الذين حرَّقهم

(١) المرجع السابق (ص ٥٩ - ٦٣).
(٢) المرجع السابق (ص ٧٢ - ٧٣).

علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بمشهد من أصحاب رسول الله ﷺ ؟! أهم من الثنتين والسبعين فرقة أم لا؟ وما تقول في مانعي الزكاة الذين قاتلهم الصديق وأجمعت الصحابة على تكفيرهم، أهم من الثنتين والسبعين فرقة أم لا؟ وكذلك بنو حنيفة، وبنو عبيد القداح ملوك مصر والمغرب، فإن دخلوا في الثنتين والسبعين فرقة بطل تأسيسك وانهدم أصلك الفاسد، وإن لم يدخلوا كما هو الصحيح بطل إدخالك أمثالهم من عُبَّاد القبور في مسمى الأمة في هذا الحديث، وثبت أن من الفرق من يخرج عن الملة ويرتد بما خالف فيه من نحلته»(١).

وقال الشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي: «ونحن نسأل هؤلاء المنتقدين: ما حكم من تشهد بالشهادتين وصلى وصام وحج البيت الحرام وكثيرًا ما تصدق على الفقراء والمساكين ويعمل أعمال البر، ولكن أخذ ورقة من أوراق المصحف الشريف وألقاها في القاذورات وهو يعرف أن هذا لا يجوز، بل هذا كفر ولكنه عمل هذا مع أنه قد أتى بتلك الأعمال الجليلة كما سبق ذكره.

فما يكون موقف هؤلاء؟ هل يقولون إنه مسلم لأنه تشهد بالشهادتين وصلى وصام؟ أو يقولون إنه كافر؟ فإن قالوا هو مسلم فقد خالفوا الإسلام وإجماع المسلمين، وسأورد للقارئ من نصوص العلماء ما يبين خطأهم وضلالهم. وإن قالوا كافر فقد نقضوا قولهم وانهار أساسهم حيث أنهم خطأوا الوهابيين على زعمهم وبدعواهم لأنهم يُكفرون من يستغيث بغير الله، أو ينذر لغير الله ولم يراعوا أنه تشهد بكلمة الشهادتين، فهاهم كفروا من كان مسلمًا على زعمهم ولم يلتفتوا إلى قوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولم تشفع له أعماله الجليلة عندهم.

---

(١) المرجع السابق (ص ٥٢٤ - ٥٢٥).

وها أنا ذا أنقل للقراء من كلام العلماء أتباع المذاهب الأربعة في تكفير من أتى بشيء مما سيأتي بيانه» - ثم ذكر ما تيسر منها -[١].

## (٤) عدم فهم المخالفين لحقيقة العبادة

إن المناوئين لدعوة الشيخ يعترفون أن الشرك الذي حرّمه الله ﷻ هو صرف «العبادة» لغير الله، ولكنهم يُخرجون بعض أفرادها؛ كالدعاء أو الذبح أو النذر. وهم بهذا وقعوا في جهل وتناقض؛ جهل بحقيقة العبادة ومعناها، وتناقض عندما فرقوا بين المتماثلات.

وفي هذا يقول الشيخ عبدالله أبا بطين ﷺ عن أحد هؤلاء الخصوم: «فإنه مع اعترافه بأن الشرك الذي حرمه الله هو الشرك في العبادة، لا يعرف حد العبادة وحقيقتها، وربما قال: العبادة التي صرفها لغير الله شرك: الصلاة والسجود. فإذا طُلب منه الدليل على أن الله سمى الصلاة لغيره أو السجود لغيره شركًا، لم يجده، وربما قال: لأن ذلك خضوع، والخضوع لغير الله شرك! فيقال له: هل تجد في القرآن أو السنة تسمية هذا الخضوع شركًا؟ فلا يجده. فيلزمه أن يقول: لأنه عبادة لغير الله. فيقال: وكذلك الدعاء والذبح والنذر عبادات، مع ما يلزم هذه العبادات من أعمال القلوب: من الذل والخضوع والحب والتعظيم والتوكل والخوف والرجاء وغير ذلك»[٢].

## (٥) خلط المناوئين للشيخ بين «التوسل» البدعي والشركي! ثم افتراؤهم على الشيخ أنه يُكفر بالأول!

إن المناوئين لدعوة الشيخ يخلطون بين «التوسل» البدعي المختلف فيه، وبين

---

(١) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، المجدد المفترى عليه (ص ٩٣ - ٩٤).

(٢) الانتصار لحزب الله الموحدين (ص ٥٠).

«الاستغاثة» أو «الشفاعة» الشركية؛ تلبيسًا على المسلمين؛ فيسمون الثاني باسم الأول؛ ثم يضيفون لهذا الخلط والتلبيس افتراء وبهتانًا على الشيخ أنه يُكفر «المتوسل»! فيظن المسلمون ويصدقون أنه يُكفر من وقع في التوسل المختلف فيه، وهذا ما يريده الخصوم!

يقول الدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف في رسالته «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»: لقد استغل الخصوم هذا الإجمال والاشتراك في لفظ التوسل، فقبلوا الحقائق، وأجازوا دعاء الموتى، والاستغاثة بهم باسم التوسل، ثم زعموا أن الشيخ الإمام يكفّر من توسل بالأنبياء والصالحين!!

إن الشيخ الإمام كفّر من استغاث بالأموات سواء كانوا أنبياء أو أولياء ولو سميت تلك الاستغاثة توسلًا، فالعبرة بالحقائق والمعاني وليست بالأسماء والمباني، فالتوسل عند عبّاد القبور يطلقونه على الاستغاثة بالموتى وطلب الحاجات منهم -كما تقدم-.

وأما دعوى أن الشيخ كفّر من توسل بالصالحين، بمعنى سؤال الله بجاه هؤلاء الصالحين؛ فقد أجاب الشيخ الإمام على تلك الدعوى - ردًا على ابن سحيم - فقال: «فالمسائل التي شنع بها، منها ما هو من البهتان الظاهر - وذكر الشيخ الإمام منها- قوله: إني أكفر من توسل بالصالحين، وجوابي أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم»[1].

ووضح حفيده الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب الفرق بينهما بقوله: «اعلم أن التوسل بذات المخلوق أو بجاهه غير سؤاله ودعائه، فالتوسل بذاته أو بجاهه أن يقول: اللهم اغفر لي وارحمني، وادخلني الجنة

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٦٤)، دعاوى المناوئين (ص ٢٥٥).

بنبيك محمد ﷺ، أو بجاه نبيك محمد ﷺ، ونحو ذلك فهذا بدعة ليس شرك، وسؤاله ودعاؤه هو أن يقول: يا رسول الله أسألك الشفاعة وأنا في كرب شديد، فرّج عني، واستجرت بك من فلان فأجرني ونحو ذلك، فهذا كفر وشرك أكبر ينقل صاحبه من الملة؛ لأنه صرف حق الله لغيره؛ لأن الدعاء عبادة لا يصلح إلا لله، فمن دعاه فقد عبده، ومن عبد غير الله فقد أشرك، والأدلة على هذا أكثر من أن تحصر، وكثير من الناس لا يميز ولا يفرق بين التوسل بالمخلوق أو بجاهه، وبين دعائه وسؤاله فافهم ذلك»[١].

وقال الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله: «فإذا علم الانسان وتحقق معنى الإله وأنه المعبود، وعرف حقيقة العبادة، تبين له أن من جعل شيئًا من العبادة لغير الله فقد عبده واتخذه إلهًا، وإن فر من تسميته معبودًا أو إلهًا، وسمى ذلك توسلا وتشفعًا أو التجاءً ونحو ذلك. فالمشرك مشرك شاء أم أبى، كما أن المرابي مرابٍ شاء أم أبى، وإن لم يُسمّ ما فعله ربًا، وشارب الخمر شاربٌ للخمر وإن سماها بغير اسمها، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**يأتي ناسٌ من أمتي يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها**»، فتغيير الاسم لايُغير حقيقة المسمى ولايُزيل حكمه»[٢].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله: «تلطف الشيطان في كيد هؤلاء الغلاة في قبور الصالحين، بأن دس عليهم تغيير الأسماء والحدود الشرعية، والألفاظ اللغوية؛ فسموا الشرك وعبادة الصالحين توسلا ونداء وحُسن اعتقاد في الأولياء وتشفعًا بهم واستظهارًا بأرواحهم الشريفة؛ فاستجاب له صبيان العقول وخفافيش البصائر، وداروا مع الأسماء ولم يقفوا مع الحقائق»[٣].

---

(١) الدرر السنية (٩/ ٢٣٤)، وانظر: توحيد الخلاق (ص ٣٠٧ ومابعدها) حيث رد هذا الخلط.
(٢) الانتصار لحزب الله الموحدين (ص ٣٣).
(٣) الدرر السنية (١٢ / ٢٨٣).

وقال - أيضًا -: «اعلم أن مسألة الله بجاه الخلق نوع، ومسألة الخلق ما لا يقدر عليه إلا الله نوع آخر، فمسألة الله بجاه عباده منعها أهل العلم، ولم يجزها أحد ممن يعتد به، ويقتدى به كالأئمة الأربعة، وأمثالهم من أهل العلم والحديث، إلا أن ابن عبد السلام أجاز ذلك بالنبي ﷺ خاصة، وقيّده بثبوت صحة الحديث الذي جاء في ذلك وهو حديث الأعمى الذي جاء إلى النبي ﷺ وقال: ادع يا محمد الحديث قال ابن عبدالسلام إن صح الحديث فيجوز بالنبي ﷺ خاصة، والحديث في سنده من لا يحتج به عند أهل العلم كما لا يخفى على أهل الصناعة. إلى أن قال الشيخ عبداللطيف: وبالجملة فهذه المسألة نوع، ولا يخرج بها الإنسان عن مسئلة الله، وإنما الكلام في سؤال العباد وقصدهم من دون الله... فسؤال العباد والاستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك جلي، ولو قال يا ولي الله اشفع لي فإن نفس السؤال محرم، وطلب الشفاعة منهم بشبه قول النصارى يا والدة الإله اشفعي لنا إلى الإله وقد أجمع المسلمون على أن هذا شرك»[(١)].

وقال الشيخ سعد بن عتيق رحمه الله: «المسألة الثالثة؛ وهي مسألة التوسل بالنبي ﷺ؛ وهو أن يقول القائل: اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ؛ فهي مسألة مشهورة، والكلام فيها معروف... - إلى أن يقول - ونحن وإن قلنا بالمنع من التوسل به ﷺ بهذا اللفظ أو نحوه لما نعتقده من أصحية المنع، فنحن مع ذلك لا نشدد في ذلك على من فعله مستدلا بالحديث؛ فضلا عن أن نكفره، كما ينسبه إلينا من لم يعرف حقيقة ما نحن عليه»[(٢)].

---

(١) البراهين الإسلامية (ص ١١٥ - ١١٦)، وانظر: منهاج التأسيس (ص ١٧) قال عن تسمية ابن جرجيس للاستغاثة الشركية توسلًا: «وهذا فرارٌ منه أن يسميه شركًا وكفرًا».
(٢) عقيدة الطائفة النجدية (ص ٥٤ - ٥٧).

وقال الشيخ سليمان بن سحمان ﷺ رادًا على أحد الشانئين ممن شابههم المالكي في الافتراء: «قد كان من المعلوم أن الوهابية لا يقولون إن التوسل بذات النبي ﷺ وجاهه وحقه وزيارة قبره الشريف شركٌ بالله، بل هذا من الكذب الموضوع على الوهابية، وهم - ولله الحمد - فيما يقولون وينتحلون على صراط مستقيم، ولايقولون بجهل الجاهلين وانتحال المبطلين الزائغين عن الدين القويم، بل يقولون إن التوسل بجاه النبي ﷺ من البدع المحرمة المحدثة في الإسلام؛ لأنه لم يرد نصٌ عن رسول الله صلى الله ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا من بعدهم من سلف الأمة وأئمتها المهتدين... ثم وضح ﷺ الفرق بين التوسل البدعي والاستغاثة الشركية[(١)].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ ﷺ: «التوسل بالأموات قسمان: قسم محرم لا يجوز؛ كأن تقول: اللهم إني أتوسل إليك بفلان، وقسم شرك لا يُغفر؛ كأن يقول القائل: يا سيدي يا بدوي أنا في حسبك، أنا في عرضك، اشفع لي، يا سيدي الحسين اشفع لي، فهذا شرك؛ لأن الشفاعة ملك لله، ولا تُطلب إلا منه»[(٢)].

وأختم بجواب رائع للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ - حفظه الله - يجلي هذا الأمر الذي حاول المخالفون الخلط فيه:

«سؤال: ما الفرق بين التوسل والشفاعة، نرجو التوضيح وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: التوسل هو اتخاذ الوسيلة، والوسيلة: هي الحاجة نفسها، أو ما يوصل إلى الحاجة وقد يكون ذلك التوسل باستشفاع، يعني: بطلب شفاعة؛

---

(١) كشف غياهب الظلام (ص ١٨١ - ١٨٢).

(٢) تعليقه على كتاب «الدعوة الوهابية»؛ لعبدالكريم الخطيب (ص ٧٧).

بمعنى أنه يريد أن يصل إلى حاجته -بحسب ظنه بالاستشفاع، وقد يروم التوصل إلى حاجته - بحسب ظنه بغير الاستشفاع؛ فيتوسل مثلًا بالذوات فيسأل الله بذات فلان، أو بجاهه، أو بحرمته، مثل أن يقول: اللهم إني أسألك بنبيك محمد - بعد وفاته عليه الصلاة والسلام- أو يقول: اللهم إني أسألك بأبي بكر، أو بعمر، أو بالإمام أحمد، أو بابن تيمية، أو بالولي الفلاني، أو بأهل بدر، أو بأهل بيعة الرضوان، أو بغيرهم. فهذا هو الذي يسمونه توسلًا، وهذا التوسل معناه: أنه جعل أولئك وسيلة، وأحيانًا يستعمل في التوسل لفظ: الحرمة، والجاه، فيقول: أسألك بحرمتهم، أو أسألك بجاههم، ونحو ذلك.

أما الاستشفاع: فهو أن يسألهم الشفاعة أي: يطلب منهم أن يشفعوا له.

فتحصل من ذلك: أن التوسل يختلف عن الاستشفاع، في أنَّ المستشْفِع: طالب للشفاعة، وقد علم أن الشفاعة إذا طلبها من العبد يكون قد سأل غير الله، وأما المتوسل - بحسب عُرْف الاستعمال- فإنه يسأل الله، لكن يجعل ذلك بوسيلة أحدٍ.

فالاستشفاع: سؤال لغير الله، وأما الوسيلة فهي سؤال الله بفلان، أو بحرمته، أو بجاهه: وكل هذا لا يجوز؛ لأنه اعتداء في الدعاء؛ ولأنه بدعة محدثة ووسيلة إلى الشرك، وأما الاستشفاع بالمخلوق الذي لا يملك الدعاء، كالميت، أو الغائب، أو نحوهما: فهو شرك أكبر؛ لأنه طلب ودعاء لغير الله.

فالتوسل - بحسب العرف- هو من البدع المحدثة، ومن وسائل الشرك، وأما طلب الشفاعة من غير الله فهو دعاء غير الله، وهو شرك أكبر.

لكن الجاهليون والخرافيون والقبوريون يسمون جميع عباداتهم الشركية - من طلب الشفاعة، والذبح، والنذر، والاستغاثة بالموتى، ودعائهم- توسلًا وهذا

غلط في اللغة، والشرع معا، فالكلام في أصله لا يصح؛ فإن بين التوسل والشفاعة فرقًا من حيث مدلول المعنى اللغوي، فكيف يسوى بينهما في المعنى؟! أما إذا أخطأ الناس وسموا العبادات المختلفة توسلًا فهذا غلط من عندهم، لا يتحمله الشرع، ولا تتحمله اللغة»[١].

## (٦) خصوم الدعوة كفّروا الشيخ رحمه الله وأتباعه، وبادروهم بالقتال

وهذا مالايذكره المناوئون للدعوة عند حديثهم عنها! لأنه يُناقض ويُعارض ما يحاولون إشاعته. وقد اعترف بهذا المؤرخون[٢]:

لقد اتخذ أشراف مكة موقفًا عدائيًا من دعوة الشيخ محمد والدولة السعودية على حد سواء منذ البداية. فقد سجن أحد أولئك الأشراف الحجاج التابعين للدولة السعودية سنة (١١٦٢هـ)[٣].

وأصدر قاضي الشرع في تلك البلدة المقدسة فتوى بتكفير الشيخ محمد وأتباعه[٤].

ولذلك مُنِعوا من أداء الحج سنوات طويلة. وكم كانت فرحة الشيخ عظيمة

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص ٦١٩ - ٦٢٠)، وانظر أيضًا: الدرر السنية (٢ / ٨٣ - ٨٤)، وصيانة الإنسان (ص ٤٥٦ - ٤٥٧)، والأسنة الحداد (ص ٢٤٨، ٣١٩)، وعقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية (٢ / ٩٨).

(٢) وهو يؤكد ماقاله الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بعد أن بين عقيدته وإنكاره للشرك والمحدثات: «فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا، وقاتلونا، واستحلوا دماءنا، وأموالنا». «الدرر السنية» (١ / ٨٧)، وسيأتي.

(٣) تاريخ ابن بشر (١ / ٣٧).

(٤) خلاصة الكلام؛ لدحلان (ص ٢٢٧ - ٢٢٨).

عندما تلقى رسالة من الشريف أحمد بن سعيد عام (١١٨٥هـ)، طالبًا منه بعث عالم نجدي لشرح الدعوة التي نادى بها. وقد أرسل إليه الشيخ تلميذه عبدالعزيز الحُصيِّن. وبعث معه رسالة تنبئ عبارتها بما كان يختلج في نفسه من مشاعر طيِّبة تجاه ذلك الشريف، وما كان يملأ جوانحه من آمال في مناصرته لدعوة الحق. قال الشيخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

«المعروض لديك، أدام الله فضل نِعَمه عليك، حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد - أعزَّه الله في الدارين، وأعزَّ به دين جده سيد الثقلين-، أن الكتاب لما وصل إلى الخادم وتأمَّل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ومن تبعها، وعداوة من خرج عنها. وهذا هو الواجب على ولاة الأمور... فلا بدَّ من الإيمان به - أي بالنبي ﷺ- ولابد من نصرته لا يكفي أحدهما عن الآخر، وأحق الناس بذلك وأولاهم أهل البيت الذين بعثه الله منهم، وشرَّفهم على أهل الأرض، وأحق أهل البيت بذلك من كان من ذريته ﷺ»[1].

على أن هذه الرسالة اللطيفة لم تُجن منها الثمار المرجوَّة؛ ذلك أن الشريف أحمد نفسه لم يبق في الحكم أكثر من سنة، فتلاشى ما دار في ذهن الشيخ من أمل، واستمر منع أنصاره من أداء الحج، ومع مرور الأيام لم يكتف أشراف

(١) تاريخ ابن غنام (٢ / ٨٠ - ٨١)، وقال الشوكاني في «البدر الطالع» (٢ / ٧): «وأما أهل مكة، فصاروا يُكفرونه - أي الشيخ محمد -، ويُطلقون عليه اسم الكافر، وبلغنا أنه وصل إلى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة، فناظره علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدل على ثبات قدمه وقدم صاحبه في الدين»، وفي هذا ردٌّ على زعم دحلان وما نقله من أحداث المناظرة.

مكة بذلك المنع؛ بل بدأوا بمهاجمة الأراضي النجدية التابعة للدولة السعودية عام (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م). وكانت النتيجة أن انتصر السعوديون في نهاية المطاف على أولئك الأشراف حتى دخلت الحجاز تحت حكمهم. ولم يكن موقف زعماء بني خالد من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والدولة السعودية أقل عداوة من موقف أشراف مكة.

يقول زيني دحلان القبوري: «وكان أهل الحرمين يسمعون بظهورهم - أي الشيخ محمد وأتباع دعوته - في الشرق وفساد عقائدهم ولم يعرفوا حقيقة ذلك، فأمر مولانا الشريف مسعود أن يناظر علماء الحرمين العلماء الذين أرسلوا فناظروهم فوجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة، ونظروا إلى عقائدهم فإذا هي مشتملة على كثير من المكفرات، فبعد أن أقاموا عليهم البرهان والدليل أمر الشريف مسعود قاضي الشرع أن يكتب حجة بكفرهم الظاهر ليعلم به الأول والآخر وأمر بسجن أولئك الملاحدة الأنذال، ووضعهم في السلاسل والأغلال فسجن منهم جانبًا وفرَّ الباقون ووصلوا إلى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا،فعتى أمرهم واستكبر، ونأى عن هذا المقصد وتأخر، حتى مضت دولة الشريف مسعود وأقيم بعده أخوه الشريف مساعد بن سعيد، فأرسلوا في مدته يستأذنون في الحج فأبى وامتنع من الإذن لهم فضعفت عن الوصول مطامعهم، فلما مضت دولة الشريف مساعد وتقلد الأمر أخوه الشريف أحمد بن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائه كما أرسل في المدة السابقة.

فلما اختبرهم علماء مكة وجدوهم لا يتدينون إلا بدين الزنادقة فأبى أن يقر لهم في حمى البيت الحرام قرار، ولم يأذن لهم في الحج بعد أن ثبت عند العلماء أنهم كفار، كما ثبت في دولة الشريف مسعود.

فلما أن ولي الشريف سرور أرسلوا أيضًا يستأذنونه في زيارة البيت المعمور

فأجابهم: بأنكم إن أردتم الوصول آخذ منكم في كل سنة وعام صرمة مثل ما نأخذها من الأعاجم وآخذ منكم زيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد، فعظم عليهم تسليم هذا المقدار وأن يكونوا مثل العجم فامتنعوا من الحج في مدته كلها، فلما توفي وتولى سيدنا الشريف غالب أرسلوا أيضًا يستأذنون في الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم، وجعل ذلك القول فعلًا، فجهز عليهم جيشًا في سنة ألف ومائتين وخمسة، واتصلت بينهم المحاربات والغزوات إلى أن انقضى تنفيذ مراد الله فيما أراد وسيأتي شرح تلك الغزوات والمحاربات بعد توضيح ما كانوا عليه من العقائد الزائغة التي كان تأسيسها من محمد بن عبدالوهاب.

إلى أن يقول معترفًا: «والحاصل أنه - أي الشيخ محمد - لبَّس على الأغبياء ببعض الأشياء التي توهمهم بإقامة الدين، وذلك مثل أمره للبوادي بإقامة الصلاة والجماعة ومنعهم من النهب، ومن بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط، وكتأمين الطرق والدعوة إلى التوحيد، فصار الأغبياء الجاهلون يستحسنون حاله وحال أتباعه»[1].

وقال الشيخ محمد رحمه الله في رسالته لأهل المغرب: «وأما: ما صدر من سؤال الأنبياء، والأولياء الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها والسرج، والصلاة عندها واتخاذها أعيادًا، وجعل السدنة والنذور لها، فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بوقوعها النبي ﷺ وحذر منها، كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة، حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**» رواه مسلم

---

(١) خلاصة الكلام (ص ٢٢٧ - ٢٣٨).

وهو ﷺ حمى جناب التوحيد، أعظم حماية وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فنهى أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم، من حديث جابر، وثبت فيه أيضًا: أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن لا يدع قبرًا مشرفًا إلا سواه، ولا تمثالًا إلا طمسه؛ ولهذا قال غير واحد من العلماء: يجب هدم القبب المبنية على القبور، لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ.

فهذا: هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا، وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم، وظفرنا بهم، وهو الذي ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه، بعدما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع السلف الصالح من الأئمة؛ ممتثلين لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان، قاتلناه بالسيف والسنان، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾»[١].

وقال الشيخ عبد الله بن الإمام محمد - رحمهما الله -: «وهذا الدين الذي ندعو إليه، قد ظهر أمره وشاع وذاع، وملأ الأسماع، من مدة طويلة، وأكثر الناس بدّعونا، وخرّجونا، وعادونا عنده، وقاتلونا، واستحلوا دماءنا وأموالنا، ولم يكن لنا ذنب سوى تجريد التوحيد، والنهي عن دعوة غير الله والاستغاثة بغيره، وما أحدث من البدع والمنكرات، حتى غُلبوا وقُهِروا، فعند ذلك أذعنوا وأقروا بعد الإنكار»[٢].

---

(١) الدرر السنية (١ / ٨٣ - ٨٨).

(٢) المرجع السابق (١ / ٢٧٤).

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، مقررًا منهج جده - الإمام محمد- في مسألة القتال، ومزيلا للشبه في ذلك»: الشيخ لم يبدأ أحدًا بالقتال، بل أعداؤهم الذين ابتدأه بذلك، وقتاله كان من باب الدفع والمجازاة على السيئة بمثلها، وما حدث بعده أو في وقته من خطأ أو تعد، فلا يجوز نسبته إليه، وأنه أمر به أو رضيه، وقد جرى لأسامة بن زيد في دم الجهني، وجرى لخالد بن الوليد في دماء بني جذيمة، وأموالهم ما لا يجهله أهل العلم والإيمان.

وذلك في عهده ﷺ، وقد برئ منه وأنكره، فقال: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**»، وقال لأسامة «**أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ كيف تصنع بلا إله إلا الله، إذا جاءت يوم القيامة؟**».

ومن أشكل عليه أمر القتال في زمن الشيخ، وعلى دعوته، فهو إما جاهل بحال الأعداء وما قالوه في الإسلام، وما بدلوه من الدين، وما كانت عليه البوادي والأعراض من الكفر بآيات الله، ورد أحكام القرآن، والاستهزاء بذلك، والرجوع إلى سوالف البادية، وما كانت عليه من العادات والأحكام الجاهلية... أو هو جاهل بما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، لا شعور له بشيء من ذلك، ولا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم؟

وبالجملة: فالواجب أن يتكلم الإنسان بعلم وعدل، ومن فاته العلم، فحسبه السكوت، إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ومن خلع ربقة الدين من عنقه، فليقل ما شاء، والله بما يعملون بصير»[1].

وقال الدكتور ناصر العقل عن الشيخ وأتباع الدعوة:

«١- إن خصومهم هم البادئون بالقتال بإعلان الحرب المسلحة وغير المسلحة

(١) منهاج التأسيس (ص ٢٨).

على الدعوة ودولتها وأتباعها، بل أعلنت قوى الشر استعمال القوة والقتال للشيخ وأتباعه قبل وصوله الدرعية وقبل أن يكون لهم كيان، حيث هدده سليمان بن محمد بن عريعر في الأحساء (من بني خالد)، وأنذر عثمانَ بن معمر -أمير العيينة- إن لم يتخذ موقفًا حازمًا ضد الشيخ الإمام، وكذلك فعل ابن شامس العنزي[١]، ثم لما استقرت الدعوة في الدرعية بدأها بالحرب دهام بن دواس أمير الرياض آنذاك.

٢- إن الخصوم كانوا كثيرًا ما يغدرون بأتباع الدعوة من الدعاة القضاة والعلماء وطلاب العلم والمعلمين الذين كان يبعثهم الشيخ محمد والولاة والمشايخ -المؤيدين للدعوة- للقرى والبادية والأقاليم لتعليم الناس دينهم وإجراء الأحكام الشرعية بينهم، بل كثيرًا ما يعلنون العصيان على الحاكم الإمام محمد بن سعود، وينقضون البيعة والعهد، ويخرجون على الجماعة والإمام، وهذا ما يحرمه الإسلام، ويأمر بتأديب من يفعله.

٣- وكان حكام الحجاز غالبًا يعلنون العداء لدعوة التوحيد وأتباعها وكانت عداواتهم متنوعة عقدية وسياسية وإعلامية ثم عسكرية، وأحيانًا يقتلون بعض العلماء والدعاة بل والرسل الذين يبعثهم أهل الدعوة إليهم.

٤- وكانوا يمنعونهم من حقوقهم المشروعة كإبلاغ الدعوة، وكأداء فريضة الحج، فقد منعوهم منه سنين طويلة ثم أذنوا فيه سنة (١١٩٧هـ)، ثم الشريف غالب منعهم من الحج مرة أخرى منذ سنة (١٢٠٣هـ) وما بعدها ثم غزا معتديًا، فقد بدأ الشريف غالب وغيره من حكام الحجاز الحرب على الدعوة وأتباعها قبل أن يبدؤوهم.

---

(١) انظر: حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ لخزعل (ص ١٤).

وأعلن الحرب المسلحة ضدهم، وقد اعترف خصوم الدعوة بذلك وذكره مؤرخوهم معتزين به[١].

وعلى هذا فإنه عند التحقيق العلمي المتجرد يثبت قطعًا أن ما يقال عن الإمام وعلماء الدعوة وحكامها (آل سعود) وأتباعها حول التكفير واستحلال قتال المسلمين ودمائهم كلها مما لا يصح،أو مما قد يكون له وجه شرعي معتبر قام عليه الدليل الشرعي، ذلك أن تكفير من يستحق التكفير شرعًا وسب من يستحق السب شرعًا ليس من التكفير والسب المذموم ولا القسوة، بل مما هو مطلوب شرعًا في الدين الإسلامي بشروطه وضوابطه التي يعرفها الراسخون في العلم. إذن فقد ثبت أنهم لم يبدءوا القتال ولم يقاتلوا ابتداء إنما بدأ القتال خصومهم.

ثم إنه من الطبيعي أن اختيار منهج القوة والحزم والقتال عند الضرورة هو الحل الأمثل في كثير من الأحوال،ومنها الحال التي وصلت إليها الدعوة مع خصومها. ونظرًا لقوة الباطل والهوى وتمكنه من قلوب كثير من الناس وحياتهم لم تقبل نفوسهم الحق ولم تذعن لأهله. كما أن الناظر لحال كثيرين من الذين أقاموا الدنيا ولم يقعدوها تشنيعًا على الدعوة وأتباعها في شبهة التكفير يجد العجب من تحيزهم ضد السنة وأهلها في هذه المسألة (وغيرها) وإغفالهم لأهل البدع الخلص الذين يكفرون خيار الأمة؛ فيكفرون صحابة رسول الله ﷺ وأزاوجه أمهات المؤمنين، ويكفرون السلف الصالح.

بل إن أكثر مزاعم التكفير والتشدد التي ألصقت بالدعوة وإمامها حدثت من الرافضة الذين يكفرون خيار الأمة ويستنقصونهم، ومن أشياعهم الذين يشاركونهم في بدع المقابرية والقباب والمشاهد والمزارات البدعية، والطرق

---

(١) انظر: خلاصة الكلام؛ لدحلان (ص ٢٢٨ - ٢٢٩).

الصوفية والموالد والأذكار المحدثة، ومن المعلوم لدى كل باحث ومحقق: أن أصل هذه البدع ومنشأها كان من مكفّرة الصحابة والسلف الصالح، فأين العدل والإنصاف والتحقيق الذي يدّعونه؟، وأين الغيرة على الحق والدين وعلى الأولياء والصالحين التي يزعمونها؟ وهم يهينون الصالحين ببدعهم. وأين النصح للمسلمين الذي يتظاهرون به؟! وهم يروجون البدع وينصرونها»[١].

ثم نقل عن المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي قوله في تاريخه عن جيش إبراهيم باشا عدو الدعوة: «ولما وصلوا بدرًا واستولوا عليها وعلى القرى والخيوف، وبها خيار الناس، وبها أهل العلم الصلحاء: نهبوهم وأخذوا نساءهم وبناتهم وأولادهم وكتبهم فكانوا. يبيعونهم من بعضهم لبعض ويقولون: هؤلاء الكفار الخوارج»[٢].

ويقول الشيخ فوزان السابق: «إن الوهابين لم يبدأوا أحدًا بالقتال، ولم يعتدوا على جيرانهم بالحجاز والعراق، حتى غزاهم جيرانهم في عقر دارهم، ومنعوهم من حج بيت الله الحرام، حتى آل الأمر إلى تجذيب النساء مع الرجال من تحت أستار الكعبة في وقت الشريف مسعود وبعده، فلما حيل بينهم وبين أداء ركن من أركان الإسلام تعين عليهم الجهاد. فلما مكن الله لهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، لا كما يقول المعترض المفترى.

وهذا ما ذكره العلامة محمود فهمي المصري في كتابه البحر الزاخر. قال رحمه الله تعالى: ومع ما كان عليه الوهابيون من الحروب والمبارزات في بلاد

---

(١) إسلامية لا وهابية (ص ٢٤١ - ٢٤٣)، والنقول السابقة منه.
(٢) تاريخ الجبرتي (٣ / ٢٤١ - ٢٤٣).

بالعرب لم يعتدوا على حقوق الحكومتين المجاورتين لهم، وهما حكومة بغداد والحجاز، وكانت قوافل الحجاج تمر من وسط أراضيهم من غير أن يحصل لأي قافلة ضررًا أو انزعاج، وكانوا في أحوال أخوية ودية مع الشريف سرور شريف مكة، وفي سنة ١٧٨١ بعد الميلاد استحصلوا على رخصة منه في أداء حجهم وطوافهم بالكعبة، فتولد من زيادة قوتهم ونفوذ شوكتهم اشتعال نار الغيرة والحسد في قلب الشريف غالب، وفي ظرف بضع سنين من تقلده الحكومة، وتوظفه شريف مكة بعد الشريف سرور: أعلن حربًا على الوهابية، وكانت طرائق هذا الحرب مثل طرائق حرب البدو، متقطعًا بهدنات صغيرة قصيرة المدة، ولما انتظمت مخابرات الشريف غالب مع الدولة التركية العثمانية، لم يهمل أدنى طريقة يمكنه إجراءها في تمكين الدولة العثمانية من إدخال عساكرها في بلاد العرب لأجل الوقوع بالوهابين، إلا وأجراها، وادعى أنهم من الملحدين الكافرين»[1].

## (٧) الواقع الديني لنجد قبل دعوة الشيخ محمد ﷺ

ظن المناوئون للدعوة - ومن اغتر بكلامهم - أن علماء الدعوة ومؤرخيها - وعلى رأسهم ابن غنام - بالغوا في وصف حال نجد قبل قيام الشيخ محمد ﷺ بدعوة التوحيد؛ من حيث انتشار الممارسات البدعية والشركية، وزعموا أن هذا من المبالغات المقصودة المخالفة للواقع لأجل مدح الشيخ أو الدعوة و التماس العذر له فيما قام به! ثم فهم بعضهم من تلك العبارات أن الشيخ أو علماء الدعوة يُكفرون بالعموم! وهذا جهلٌ ومغالطة.

---

(١) البيان والإشهار (ص ٣٣ - ٣٤).

ولو أنصف هؤلاء لعلموا أن الشيخ محمدًا ﷺ خرج في مطلع القرن الثاني عشر الهجري، و هذه الفترة تدخل ضمن ما اصطُلح على تسميته بـ(عصور الانحطاط). حيث كانت بلاد المسلمين تعاني انحطاطًا شاملًا في جميع مناحي الحياة: دينيًا وسياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا.

وكانت صور الشرك والوثنية أكبر مظاهر هذا الانحطاط؛ حيث شاع بين الناس دعاء الأموات والتعلق بالأضرحة والمزارات، والغلو في الصالحين والذبح لقبورهم والنذر لها، والاستغاثة بها عند الشدائد، علاوةً على السحر والشعوذة، وتصديق مدعي علم الغيب، ونبذ الشرائع والتحاكم إلى العوائد الجاهلية.

ففي بلاد مصر - مثلًا - يذكر على باشا مبارك في كتابه «الخطط التوفيقية»[١] أنه كان في زمنه في القاهرة وحدها مائتان وأربعة وتسعون ضريحًا!. وقبله ذكر المؤرخ الجبرتي أن أغنى الناس في مصر وأعظمهم ثراءً في وقته هم سدنة القبور والأضرحة[٢]!

أما في بلاد الشام فيذكر عبدالرحمن بك سامي، صاحب كتاب «القول الحق في بيروت ودمشق»[٣] أنه زار في دمشق وضواحيها فقط مائةً وأربعة وتسعين ضريحًا ومزارًا. وكان ذلك عام (١٨٩٠م).

وأما في العراق فقد ذكر محمد رؤوف في كتابه «مراحل الحياة في الفترة المظلمة ومابعدها»[٤] أنه في أول القرن الرابع عشر الهجري كان يوجد في بغداد

(١) (١ / ٢٤٤).
(٢) تاريخ الجبرتي (٣/ ٤٢٦).
(٣) (ص ٩٧).
(٤) (١ / ٧٢).

مائة وخمسون جامعًا قلَّ أن يخلو جامعٌ منها من ضريح!

ويذكر صاحب كتاب «ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء» أن بلدة الموصل في وقته كانت تشتمل على أكثر من ستة وسبعين ضريحًا مشهورًا![١]

وقد صنف علامة العراق محمود الآلوسي كتابًا عنوانه «القول الأنفع في الردع عن زيارة المدفع». وسبب تصنيفه لهذا الكتاب أن أهل بغداد كانوا يتبركون بمدفعٍ قديمٍ من بقايا العثمانيين! وقد ذكر الشيخ محمد بهجت الأثري في كتابه «أعلام العراق»[٢] أن الناس «كانوا يعتقدون في هذا المدفع اعتقاد الجاهلية في اللات والعُزَّى ومناة الثالثة الأخرى»!

وأما في بلاد المغرب فقد ذكر صاحب كتاب «الإعلام بمن حلَّ بمراكش وأغمات من الأعلام»[٣] أن القبائل هناك قاموا بثورة عارمة ضد المحتلين الأسبان فقط عندما بنوا مركز حراسة قرب ضريح لأحد الأولياء!

وأما مكة المكرمة، فقد ذكر المؤرخ محمود فهمي المهندس المتوفى سنة (١٣١١هـ) في كتابه «البحر الزاخر»[٤] أن النجديين بعد دخولهم لمكة هدمُوا فيها ما يزيد على ثمانين قبة فاخرة مبنية على قبور وأضرحة منسوبة لآل بيت النبوة.

وأما في اليمن فيذكر الشوكاني ﷺ في كتابه «الدر النضيد»[٥] أن كثيرًا من العوام في زمانه وبعض الخواص - أيضًا - غلوا في الصالحين حتى صاروا:

---

(١) انظر: «الانحرافات العقدية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين»؛ للدكتور علي بن بخيت الزهراني (ص ٢٩٥).

(٢) (ص ١٤٥).

(٣) (٣ / ١٩٥).

(٤) (١ / ١٧٦).

(٥) (ص ٢٨).

«يدعونهم تارةً مع الله وتارةً استقلالًا، ويصرخون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعًا زائدًا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء». ويقول ﷺ: «اعلم أن ما حررناه وقرَّرناه - من أن كثيرًا مما يفعله المعتقدون في الأموات يكون شركًا - قد يخفى على كثيرٍ من أهل العلم، وذلك لا لكونه خفيًا في نفسه، بل لإطباق الجمهور على هذا الأمر، وكونه قد شاب عليه الكبير، وشبَّ عليه الصغير وهو يرى ذلك ويسمعه، ولا يرى ولا يسمع من ينكره، بل ربما سمع من يُرَغِّب فيه ويندب الناس إليه»[1].

وأما في الآستانة عاصمة السلطنة العثمانية فقد كان هناك أربعمائة وواحد وثمانون جامعًا لا يكاد يخلو جامعٌ فيها من ضريح![2]

وأما بلاد الهند فحدث عن بحر الشرك ولاحرجٍ[3].

هذه الأرقام والإحصاءات التي ذكرتها خاصةٌ بالحواضر والمدن الكبرى، حيث يفترض وجود العلم والعلماء، وأما في القرى والأرياف والبوادي فالأمر أشدُّ وأطمُّ[4].

ويكفي المرء أن يعلم أن الأمراء والوجهاء والأثرياء في ذلك الوقت كانوا يتسابقون على الصَّرف ببذخ على المشاهد الشركية. وكانت هذه النفقات تُعد من أعظم مآثر الأمراء والسلاطين!

---

(١) (ص ٩٣).
(٢) دليل الأستانة (ص ٤٨).
(٣) انظر: «الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية» (ص ١٣٩).
(٤) وللمزيد من ذلك؛ تُنظر الرسالة القيّمة للدكتور علي بن بخيت الزهراني -حفظه الله-: «الانحرافات العقدية في القرن الثالث عشر والرابع عشر»، والنقول السابقة منها.

فبعد هذا كله يبرز سؤالٌ كبيرٌ:

ما الذي سيجعل بلاد نجدٍ استثناءً من هذه الصورة القاتمة؟!

وهل أهلها منزّهون عما يجوز على غيرهم؟! أو أنهم خُلقوا من طينةٍ خاصةٍ لا تقبل الضلال والشرك؟!

ولو أنصف المناوئون لدعوة الشيخ محمد ومَن تأثر بهم: لعلموا أن ما نُقل من المعارضة والمخاصمة للشيخ - سواء بواسطة التآليف أو القتال - دليلٌ واضح على حال البلاد قبل الدعوة السلفية، وإلا فلماذا هذا الاستنكار الواسع لها والمدافعة لو كان الناس ذاك الوقت على حالٍ مستقيمة مرضيّة؟! كيف وقد شهد لهذا الحال الكئيب مؤرخو تلك الفترة ممن هم أوثق من المناوئين جميعًا؟!.

ولو أنصف هؤلاء - أيضًا -: لعلموا أن وصف انتشار الجهل المنتشر والمخالفات الشرعية لا يعني تكفير الناس بالعموم -كما يدعون -، فشتان بين الأمرين. وهذا يُدركه أهل العلم المنصفون الذين يُنزلون الألفاظ منزلها المناسب، دون تزيد أو تضخيم. ويلزم هؤلاء المدعون أن يحكموا بهذا الحكم الشنيع على كل من وصف حال الأمة - في فترة من فترات الجهل والإعراض عن دين الله وسنة المصطفى ﷺ - بأنه يُكفر الناس. فهل يلتزمون هذا؟ لا أظن ذلك؛ لأن مؤلفات العلماء لا تخلو منه - كما سيأتي إن شاء الله -.

ويظهر أن هذه الشبهة قد أثيرت منذ زمن الشيخ محمد رحمه الله، فقد أشار إليها في رسالته إلى محمد بن عيد[١]، بقوله: «فلما أظهرتُ تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به، سبّوني غاية المسبة، وزعموا أني أكفر أهل الإسلام، وأستحل

(١) «الدرر السنية»، (١٠ / ١١٤).

أموالهم، وصرحوا أنه لا يوجد في جزيرتنا رجل واحد كافر»! وبعده قال ابن عمرو -وهو أحد خصوم الدعوة -: «إنه لم يوجد بعد الرسول ﷺ في نجد ومايليها من الأقطار والأمصار شركٌ ولا كفر»! تعريضًا - كما يقول الشيخ ابن سحمان رحمه الله «بأن ما دعا إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الدعاء إلى توحيد الله، والنهي عن الشرك: أنه ليس من الدين في شيئ، بل هو مجرد هوى وطلب للملك بدعوى الجهاد»[1].

فتأثر البعض - كما سبق - بهذه الدعوى - للأسف -، حميةً للبلاد النجدية، زاعمين المبالغة في كلام علماء الدعوة ومؤرخيها - وعلى رأسهم ابن غنام - عند حديثهم عن الحالة الدينية أو العلمية في نجد قبل الدعوة، مدعين خلاف ذلك، وأن العلماء كانوا موجودين، والانحراف يسير، وفي هذا ما فيه من التشكيك بكلام العلماء الثقات، قادهم إليه عدم فهمهم لمقصودهم.

وتوضيح هذا: أن علماء الدعوة - كالشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في رسالته عن أحوال البلدان قبل الدعوة[2]، ومؤرخيها؛ كابن غنام وابن بشر في تاريخيهما - عندما يتحدثون عن انتشار البدع والشركيات فإنه لا يلزم من كلامهم هذا: جهلهم بوجود العلماء - بالمعنى العام - قبل الدعوة، ممن يشتغلون بالفتيا أو القضاء أو الإمامة، فهذا لايجهله العامة فضلا عن العلماء والمؤرخين، ولكن وجود هؤلاء العلماء المُشار إليهم لا ينفي ما ذكره أئمة الدعوة من انتشار البدع والشركيات في عصرهم؛ لأنهم لا يخرجون عن ثلاثة أصناف:

---

(١) انظر: «الرد على ابن عمرو»، ص ١٣٥، عن «مجلة الدرعية»، (ع٢ ص ٢٧٠).

(٢) في «الدرر السنية»، (١/ ٣٧٣ - ٤٣٩). وانظر للزيادة: كتابي «تاريخ نجد من خلال كتاب الدرر السنية».

١- إما عالمٌ مبتدع، يدين بالعقيدة الأشعرية التي لا تُقيم لتوحيد الألوهية والعبادة وزنًا، وإنما همها إثبات وجود الخالق[١]، وتوحيد الربوبية الذي لم يُنكره حتى الكفار!، ولهذا فهؤلاء «العلماء» لايرون في تلك الممارسات البدعية أو الشركية انحرافًا! إن لم يؤيدوها.

٢- وإما عالم «مداهن»، رضي بالمنصب والجاه، رغم علمه بانحراف كثير من العامة، لكن يمنعه ماسبق، وهؤلاء وصفهم الإمام محمد بن عبدالوهاب بأنهم «لحيً فوائن»[٢]! - أي لانفع منها -.

٣- وإما عالم «جبُن» عن مخالفة واقعه وأبناء عصره، فرضي بالانزواء أو السكوت.

إذن.. فعلماء ومؤرخو الدعوة - وعلى رأسهم ابن غنام - ليس في كلامهم عن أحوال نجد «مبالغة» - كما ظن البعض؛ لأنه لا تعارض عندهم بين مايسميه هؤلاء علمًا وعلماء - ويعنون المعنى العام -، وبين وجود الانحرافات المستطيرة بين العامة والبادية، بل وبعض مبتدعة العلماء.

فمن الخطأ البيِّن بل السذاجة أن يُشغل هؤلاء أنفسهم لإثبات «المبالغة» المزعومة بمجرد وجود مخطوطة كتبها أحد العلماء النجديين قبل الدعوة! أو وجود العالم الفلاني الذي ألف في الفقه أو المواريث! حتى وصل الحال ببعضهم - لكي يُثبت هذه المبالغة - أن يستشهد بقدوم «الأوزاعي» في القرن الثاني أو الثالث لمنطقة اليمامة للتتلمذ على المحدث يحيى بن أبي كثير -

(١) انظر لبيان الفرق في مسألة التوحيد بين أهل السنة والأشاعرة: رسالة «منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى»؛ للأستاذ خالد عبداللطيف نور.
(٢) «الدرر السنية»، (٨ / ٧٨).

رحمهما الله -! و لا أدري ما علاقة هذا بدعوة الشيخ وماقبلها؟!

قلت: وقد رد بعض العلماء والفضلاء على الشبهة السابقة عن حال البلاد قبل الدعوة[١]؛ ومن ذلك: قال الدكتور صالح الحسن - وفقه الله -[٢]: فقد اطلعت في مجلة الدارة في عددها الثالث من السنة الرابعة على مقال بعنوان: نجد منذ القرن العاشر الهجري.. ولقد أعجبت بالمقال، وموضوعه الشائق، ومنهجه التحليلي لبعض الحوادث والأخبار. ومع ذلك فإن لي عليه ملاحظة أرجو من سعادة الدكتور أن يتقبلها بصدر رحب، وله مني جزيل الشكر، وموفوره.

وفي بداية حديثي أقول: إن دور المؤرخ المسلم في بناء الأمة: يتمثل في عرض حقائق التاريخ الإسلامي عرضًا تاريخيًا تربويًا، يؤدي دوره في بناء الأمة الإسلامية، كما يتمثل في تنقية التاريخ الإسلامي، مما دس فيه من روايات، وأخبار كاذبة، هدفها تشويه التاريخ الإسلامي، والنيل من المسلمين، وخدمة أغراض طائفية أو مذهبية.

ومن هذا المنطلق أقول: إنني لا أجد مبررًا لمن يشتغلون بالتاريخ من أبناء

---

(١) انظر على سبيل المثال: «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي»؛ للدكتور صالح العبود، (١ / ٦٠ - ١٠٥)، فقد أطال في هذه المسألة.
وانظر: «البيان لأخطاء بعض الكتّاب»؛ للشيخ صالح الفوزان، (٣ / ٤٥ - ٤٦).
ومقالًا للدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف بعنوان «هل إثبات الحقائق خدعة؟»، ومقالًا آخر للشيخ عبدالعزيز بن فيصل الراجحي، بعنوان «نجد والشرك رُغم أنفك!»، وثالثًا للشيخ بندر الشويقي، بعنوان «هل يُعقل أن الشرك كان موجودًا في بلاد نجدٍ قبل الشيخ محمد بن عبدالوهاب؟». وجميعها منشورة على الشبكة العنكبوتية.

(٢) مجلة «الدارة»، (العدد الأول من السنة الخامسة).

المسلمين: أن يعمدوا إلى فلسفة، وتحليل بعض الحوادث، والأخبار ليشككوا في بعض الحقائق التي تؤدي دورها في بناء الأمة الإسلامية.

وهذا ما حدث لسعادة الدكتور، وذلك حينما بحث الناحية العقدية في ذلك الزمن – موضوع بحثه. حيث أنهى سعادة الدكتور تحليله لتلك الناحية بالقول: «بأن هناك – أي في نجد- جهله يمارسون أعمالًا شركية، لكن عدد هؤلاء كان فيما يظهر قليلًا».

وهذه النتيجة تشكيكٌ في الدور الذي قام به الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، من محاربة مظاهر الشرك بالله، والعودة بالأمة إلى الكتاب والسنة: عقيدة، وسلوكًا، ومنهاج حياة.

وهذه النتيجة تُظهر الشيخ بأنه كان مجرد زعيم، أحب الزعامة، وعمل لتحقيق هذه الرغبة، وأن ما قام به من جهاد مسلح لنجد وما حولها لم يكن لإعلاء كلمة الله، بل لم يكن مشروعًا، لأن الناس قد سلكوا منهج الله في العقيدة، والسلوك، إلا النزر اليسير منهم.

كما أن هذه النتيجة تشككنا فيما نقله الثقات لنا من أخبار ذلك الوقت، وحوادثه، بل تشكك في كل ما نقله أتباع المصلح عن إمامهم.

وأود أن أُذكّر سعادة الدكتور: بأن ما شكك به من أخبار أهل زمان الشيخ، وما هم عليه، ليس هو رأي الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والشيخ حسين ابن غنام، والمؤرخ عثمان بن بشر- وكفى بهم حجة-، وإنما هو رأي جميع الكتاب، والمؤرخين- الذين كتبوا عن تاريخ الشيخ وما قام به من أعمال وتضحيات، سواء منهم المعاصر للشيخ ﷺ أو المتأخر عنه.

## وإليك وإلى القارئ الكريم بعض أخبار هؤلاء الثقات:

يقول الشيخ عبدالله بن عيسى قاضي الدرعية وهو من المعاصرين للشيخ في

رسالة له: «فالله الله عباد الله: لا تغتروا بمن لا يعرف شهادة أن لا إله إلا الله، وتلطخ بالشرك وهو لا يشعر، فقد مضى أكثر حياتي، ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم -فلله الحمد على ما علمنا من دينه. ولا يهولنكم اليوم أن هذا الأمر غريب، فإن نبيكم ﷺ قال: بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، واعتبروا بدعاء أبينا إبراهيم ﷺ بقوله في دعائه: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾. ولولا ضيق الكراسة، وأن الشيخ محمد (يعني محمد بن عبدالوهاب) أجاد وأفاد بما أسلفه من الكلام فيها لأطلنا الكلام.

وأما الاتحادي بن عربي صاحب الفصوص، المخالف للنصوص، وابن الفارض، الذي لدين الله محارب، وبالباطل للحق معارض، فمن تمذهب بمذهبهما فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلا، وانتحل طريق المغضوب عليهم، والضالين المخالفين لشريعة سيد المرسلين، وقد كفرهما كثير من العلماء العاملين، فإن لم يتب إلى الله من انتحل مذهبهما وجب هجره، وعزله عن الولاية إن كان ذا ولاية من إمامة، أو غيرها، فإن صلاته غير صحيحة، لا لنفسه ولا لغيره.

فإن قال جاهل: أرى عبدالله - يعني نفسه - توه يتكلم في هذا الأمر: فليعلم أنه إنما تبين لي الآن: وجوب الجهاد في ذلك علي، وعلى غيري، لقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ - إلى أن قال - ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾. وصلى الله على محمد وآله وسلم».

هذا ما قاله أحد معاصري الشيخ، وهو يثبت فيه وجود الشرك في نجد حينذاك، ووجود من ينتحل مذهب ابن عربي، وابن الفارض، القائلين بوحدة الوجود في هذه البلاد النجدية.

ويقول الإمام عبدالعزيز محمد بن سعود وهو من المعاصرين للشيخ ﷺ: «فلما من الله علينا بمعرفة ذلك - أي معنى شهادة أن لا إله إلا الله -، وعرفنا أنه دين الرسل: اتبعناه، ودعونا الناس إليه، وإلا فنحن قبل ذلك على ما عليه غالب الناس، من الشرك بالله، من عبادة أهل القبور، والاستغاثة بهم، والتقرب إلى الله بالذبح لهم، وطلب الحاجات منهم، إلى أن قال: فحين كشف لنا الأمر، وعرفنا ما نحن عليه، من الشرك، والكفر بالنصوص القاطعة، والأدلة الساطعة: من كتاب الله، وسنة رسله ﷺ، وكلام الأئمة الأعلام الذين أجمعت الأمة على درايتهم: عرفنا أن ما نحن عليه وما كنا ندين به أولًا أنه الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه، وحذر».

ويقول الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «حالة الناس قبل هذا الدين: أكثرهم حالة، كحالة أهل الجاهلية الأولى، وكل قوم لهم عادة، وطريقة، استمروا عليها، تخالف أحكام الشرع، في المواريث، والدماء، والديات، وغير ذلك، ويفعلون ذلك مستحلين له».

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ: «اعلم يا أخي وفقني الله وإياك للصواب أن أهل نجد في باديتهم وحاضرهم قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، قد اشتدت غربة الإسلام فيما بينهم، واستحكمت، وعم الشرك وطم، وفشا الشرك وشاع الكفر وذاع في القرى والأمصار والبادية والحضار، وصارت عبادة الطواغيت والأوثان: دينًا يدينون به، ويعتقدون في الأولياء أنهم ينفعون ويضرون، وأنهم يعلمون الغيب، مع تضييع الصلاة، وترك الزكاة وارتكاب المحرمات».

ويقول الإمام الشوكاني في وصف نجد، وغيرها ممن دخل تحت طاعة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «وبالجملة: فكانوا جاهلية جهلاء كما تواترت

بذلك الأخبار، ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها، ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاته».

ويقول - أيضًا- في وصف نجد قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية، وصار الإسلام فيها غريبًا».

وبعد نصوص هؤلاء الثقات: نورد بعض النصوص لعلماء ومؤرخين، ومستشرقين كتبوا عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في نجد، ممن كتبوا في العصر الحاضر: يقول أمين الريحاني في وصف الحالة في نجد قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «قبل ظهور هذا المصلح النجدي كان العرب في نجد بل في الشطر الشرقي من شبه الجزيرة منغمسين في عقائد وعبادات جاءتهم من النجف، ومن الأهواز، فكان لا يزال لإباحة القرامطة اثر في الأحساء، وكان للقبور شفاعة لا شفاعة فوقها، فأحلها الناس المحل الأعلى في العبادة، والتوسل، والحق يقال: إن هذه البدع أو هذه الخرافات القديمة أبعدت العرب بادية وحاضرة عن حقيقة الدين، أبعدتهم عن الإسلام الذي جاء يبطل عبادة الأوثان، وكل ما فيه رائحة العبودية لغير الله».. إلى آخر كلامه في هذا الموضوع.

ويقول الدكتور طه حسين: «أنكر محمد بن عبدالوهاب على أهل نجد: ما كانوا قد عادوا إليه من جاهلية في العقيدة، والسيرة».

ويقول المستشرق كارل بروكلمان رغم تعصبه، ودسه على الإسلام عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «ثم إنه درس مؤلفات أحمد بن تيمية الذي كان قد أحيا في القرن الرابع عشر تعاليم ابن حنبل، والواقع أن دراسته لآراء هذين الإمامين انتهت به إلى الإيقان من أن الإسلام في شكله السائد في عصره، وبخاصة بين الأتراك، مُشرب بالمساوئ التي لا تمت إلى الدين الصحيح بنسب، فلما آب

إلى بلده الأول سعى أول ما سعى إلى أن يعيد إلى العقيدة، والحياة الإسلاميتين صفاءهما الأصلي في محيطه الضيق».

ويقول المستشرق ستودارد في كتابه: حاضر العالم الإسلامي، في حديث عن واقع العالم الإسلامي قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فالبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفا من الخرافات، وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين: يحملون في أعناقهم التمائم، والتعاويذ، والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل، والشبهات، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور، وانتشرت الرذائل، وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء.

وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجعته ومدلج في ظلمته: إذا بصوت يدوي في قلب صحراء شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام يوقظ المؤمنين، ويدعوهم إلى الإصلاح وإلى سواء السبيل، والصراط المستقيم، فكان الصارخ هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور، الشيخ محمد بن عبدالوهاب».

والنصوص في هذا المعنى كثيرة جدًا، ولا إخالها تخفى على سعادة الدكتور، ولولا خشية الإطالة لأوردت المزيد منها.

وفيما أوردته من النصوص دلالة واضحة صريحة على أن الحالة في نجد من الناحية العقدية، والسلوكية قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله تعالى- قد بلغت مبلغًا سيئًا، يوجب على المسلم الحق الجهاد بكل أنواعه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الفرقة إلى الاجتماع، ومن الخوف إلى الأمن، وهو ما قام به الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى-.

وإن نظرة صادقة مخلصة إلى واقع كثير من البلاد العربية والإسلامية التي لم تتأثر تأثرًا مباشرًا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وما فيها من البدع، والخرافات، والأمور الشركية المنتشرة اليوم رغم الدعوات الإصلاحية المتعددة، والتي لم تصل إلى مستوى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. إن هذه النظرة لتعطينا أكبر الأدلة على الدور العظيم الذي قام به الشيخ محمد بن عبدالوهاب في تطهير الجزيرة العربية عامة، ونجد خاصة، من ألوان الشرك والبدع والخرافات.

وفي ختام هذا الكلام أشكر سعادة الدكتور مقدمًا على رحابة صدره، وسعة حلمه على أن أخطأت، وليعلم سعادته: أنني إنما كتبت بدافع النصح لنفسي، ولسعادة أستاذي الكريم، والقراء الكرام ومشاركة في الواجب، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل». انتهى مقال الدكتور صالح الحسن - وفقه الله -.

قلت: ومن المزيد الذي لم يذكره الدكتور صالح: وصف الصنعاني لحال البلاد الإسلامية الوارد في قصيدته الشهيرة في مدح الشيخ «سلامي على نجدٍ..»[١]، وشهادات عديدة سبقت عن أحوال العالم الإسلامي، وشهادات أوردها العجلاني في كتابه عن الشيخ محمد، ومسعود الندوي في كتابه «الشيخ محمد بن عبدالوهاب مصلح مفترى عليه»، وغيرهم[٢].

أخيرًا: أقوى مايقضي على هذه الشبهة أن يُقال[٣]: إنَّ مُخالفي الشَّيخ محمَّدًا

(١) وسيوردها ابن غنام في مقدمة تاريخه.
(٢) وقبلهم كان العلماء من كل المذاهب يؤلفون في التحذير من البدع والشركيات، ويُخبرون عن انتشارها في عصرهم؛ كأبي شامة وابن وضاح والشاطبي والسيوطي وعلي محفوظ والقاسمي وغيرهم.
(٣) باختصار من مقال الشيخ عبد العزيز بن فيصل الرَّاجحي.

ومُناوئيه ومُقاتليه أيضًا: لم ينفوا وقوعَ ذلك مِن أهل نَجْدٍ قَطّ، وإنَّما نازعوه في الحكم على مرتكبي تلك الأمور وقتالِ أصحابِها. وقد ذَكَرَ هذا الشَّيْخُ محمَّدٌ نَفْسُه في بَعْضِ رسائلِه، فقال واصفًا حالَهُ مع مُخالفِيه، وما كانوا يذكرونَهُ عنه، مِمَّا يرضونَهُ منه، وما لا يرضونَهُ في رسالةٍ لمحمَّد بن عيد[١]: «ونقولُ ثانيًا: إذا كانوا أكثرَ مِن عشرين سَنَةً، يُقِرُّونَ لَيْلًا ونهارًا، سِرًّا وجهارًا: أَنَّ التَّوحيدَ الَّذِي أَظْهَرَ هذا الرَّجُلُ - يعني الشَّيخُ نفسَه -هو دِيْنُ اللهِ ورسولِهِ، لكنَّ النَّاسَ لا يُطيعوننا! وأَنَّ الَّذي أنكرَهُ هو الشِّرْكُ، وَهُوَ صادقٌ في إنكاره، ولكن لو يَسْلَمُ مِن التَّكفيرِ والقِتَالِ كان على حَقٍّ. هذا كلامُهم على رؤوس الأشهاد».

وقال رحمه الله فيها مُبيِّنًا حالَهُ وحالَ خصومِه[٢]: «فلمَّا اشتُهِرَ عنِّي هؤلاءِ الأربعُ - يعني: بيانُ التَّوحيد، وبيانُ الشِّركِ، وتكفيرُ فاعليهِ، والأمرُ بقتالهم - صدَّقني مَنْ يَدَّعي أَنَّهُ مِن العلماءِ في جميع البلدان في التَّوحيدِ، وفي نفي الشِّركِ، وردُّوا عليَّ التَّكفيرَ والقِتَالَ».

وقال في رسالةٍ أُخرى لبَعْضِ إخوانِه، مُبيِّنًا قَوْلَ خُصومِه في حقيقةِ ما يدعو إليه، ويأمرُ به: «ولكنَّهم يُجادِلُونَكم اليَوْمَ بشُبْهةٍ واحدةٍ، فأَصْغُوا لجوابِها، وذلك أَنَّهم يقولون «كُلُّ هذا حَقٌّ، نشهدُ أَنَّهُ دينُ اللهِ ورسولِه، إِلَّا التَّكفير والقِتَال». والعَجَبُ مِمَّنْ يخفى عليه جوابُ هذا إذا أَقَرُّوا أَنَّ هذا دِيْنُ اللهِ ورسولِه، كَيْفَ لا يُكَفِّرُ مَنْ أنكرَهُ وقَتَلَ مَنْ أَمَرَ به وحَبَسَهُم؟! كَيْفَ لا يُكفِّرُ مَنْ أَمَرَ بحَبْسِهم؟! كَيْفَ لا يُكَفِّرُ مَنْ جاءَ إلى أهل الشِّركِ يَحُثُّهم على لزومِ دينِهم وتزيينِه لهم، ويَحُثُّهم على قَتْلِ الموحِّدين وأَخْذِ مالِهم؟!»[٣].

(١) الدرر السنية (١٠ / ١١٥).
(٢) المرجع السابق (١٠ / ١١٣).
(٣) المرجع السابق (١٠ / ٨).

## (٨) أصول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في قضية التكفير[١]

### الأصل الأول: عدم التكفير إلا بدليل شرعي صحيح صريح:

التكفير حق الله وحده، فلا يجوز الإقدام عليه إلا بإذن من الله وسلطان، أي بنص من كتاب الله تعالى، أو سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وحجة قاطعة لا تتطرق إليها شبهة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقد قرن الله تعالى القول عليه بلا علم، بالإشراك معه غيره؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وهذه النصوص الشرعية وغيرها مما جاء في معناها، هي التي جعلت الإمام محمد بن عبدالوهاب يرتكز على هذا الأصل الأصيل، وهو عدم التكفير إلا بدليل شرعي صحيح صريح، ولهذا فلا يمكن لأحد أن يثبت أن الإمام محمد بن عبدالوهاب، كفّر بغير دليل شرعي، بل الثابت: أن ما حكم عليه بكفر فإن له عليه دلائل من الكتاب والسنة.

قال رحمه الله: «وأما المسائل الأخر، وهي أني أقول: لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله، وأني أُعرِّف من يأتيني بمعناها، وأني أكفِّر الناذر إذا أراد بنذره التقرب لغير الله، وأخذ النذر لأجل ذلك، وأن الذبح لغير الله كفر،

---

(١) لخصتها - بتصرف وزيادات - من رسالة «منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في مسألة التكفير»؛ للشيخ أحمد الرضيمان. وانظر: «ضوابط تكفير المعين عند شيخي الإسلام ابن تيمية وابن عبدالوهاب»؛ للشيخ أبي العلا بن راشد، و«المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد»؛ للشيخ مدحت آل فراج.

والذبيحة حرام، فهذه المسائل حق، وأنا قائل بها، ولي عليها دلائل من كلام الله، وكلام رسوله، ومن أقوال العلماء المتبعين، كالأئمة الأربعة، وإذا سهل الله تعالى بسطت الجواب عليها في رسالة مستقلة إن شاء الله تعالى»[١].

وكثيرًا ما يقرن الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله الحكم بالتكفير بالدليل، من أمثلة ذلك: قوله رحمه الله: «من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثواب الله، أو عقابه، كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] »[٢].

**الأصل الثاني: أن الإمام محمد يكفّر بالمتفق عليه، دون المختلف فيه:**

وهذا الأصل في منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب يدل على ورعه في مسائل التكفير، كما قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ: «والشيخ محمد رحمه الله من أعظم الناس توقفًا وإحجامًا عن إطلاق الكفر، حتى أنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرها، إذا لم يتيسر له من ينبهه»[٣].

والمتبع لمنهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في مسائل التكفير، يجد أنه رحمه الله لا يكفر إلا بالمتفق عليه دون المختلف فيه، وبيان ذلك كما يلي:

أولًا: عدم تكفيره إلا بما أجمع العلماء عليه: ومما يدل على ذلك قول الإمام محمد رحمه الله ما نصه: «أركان الإسلام الخمسة أولها: الشهادتان، ثم الأركان الأربعة، فالأربعة: إذا أقرَّ بها، وتركها تهاونًا، فنحن وإن قاتلناه على

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب (القسم الخامس، الرسائل الشخصية، ص ١٢).
(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب القسم الأول، العقيدة (ص ٣٨٦).
(٣) منهاج التأسيس، (ص ٩٨).

فعلها، فلا نكفره بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلًا من غير جحود، ولا نكفّر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان. وأيضًا نكفّره بعد التعريف، إذا عرف وأنكر»[١].

ولما ذكر بعض الأمور الشركية، بيَّن أن هذا الذي ذكره لم يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل أجمعوا عليها. فقال: «وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة، وغيرهم ممن سلك سبيلهم، ودرج على منهجهم»[٢].

ثانيًا: موافقته للمذاهب الأربعة في مسائل التكفير: وبيَّن الإمام محمد بن عبدالوهاب ﷺ أنه لم يقل في مسائل التكفير، إلا بما دلت عليه الأدلة، وقال به أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة جميعًا واتفقوا عليه، فقال في إحدى رسائله: «وأقول: كل إنسان أجادله بمذهبه، إن كان شافعيًا فبكلام الشافعية وإن كان مالكيًا فبكلام المالكية، أو حنبليًا أو حنفيًا فكذلك».

ثالثًا: تحديه لخصومه أن يأتوا بشيء خالف فيه الإجماع: لما ذكر ﷺ كفر من جحد علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه قال: «فإن سمعتم أني أفتيت بشيء خرجت فيه من إجماع أهل العلم توجه عليّ القول، وقد بلغني أنكم في هذا الأمر، قمتم وقعدتم، فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكار للمنكر، فيا ليت قيامكم كان في عظائم في بلدكم، تضاد أصلي الإسلام، شهادة أن لا إله إلا

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب «القسم الثالث»، فتاوى ومسائل (ص ٩).
(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ١١١ - ١١٣).

الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، منها وهو أعظمها: عبادة الأصنام عندكم من بشر وحجر، هذا يُذبح له، وهذا يُنذر له، وهذا يُطلب إجابة الدعوات، وإغاثة اللهفات، وهذا يدعوه المضطر في البر والبحر، وهذا يزعمون أن من التجأ إليه ينفعه في الدنيا والآخرة، ولو عصى الله!

فإن كنتم تزعمون أن هذا ليس هو عبادة الأصنام والأوثان المذكورة في القرآن، فهذا من العجب، فإني لا أعلم أحدًا من أهل العلم يختلف في ذلك.. إلى أن قال: وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع: إما إلى كتاب الله، وإما إلى سنة رسول الله ﷺ، وإما إلى إجماع أهل العلم، فإن عاند دعوته إلى المباهلة...»[1].

وقال رحمه الله في رسالة بعثها إلى محمد بن فارس: «الواصل إليكم مسألة التكفير، ومن كلام العلماء، وذكر في الإقناع إجماع المذاهب كلها على ذلك، فإن كان عند أحد كلمة تخالف ما ذكروه في مذهب من المذاهب، فاذكرها وجزاه خيرًا، وإن كان يبغي يعاند كلام الله، وكلام رسوله، وكلام العلماء، ولا يصغي لهذا أبدًا، فاعرفوا أن هذا الرجل معاند، ما هو بطلاب حق، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]».

**الأصل الثالث: التفريق بين التكفير المطلق، وتكفير المعين:**

يفرق الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بين التكفير المطلق وتكفير المعين فيقرر: أن من قال كذا، أو فعل كذا، فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قال ذلك القول، أو فعل ذلك الفعل، لا يحكم بكفره بعينه، حتى تتم جميع

---

(١) المرجع السابق (ص: ٢٦٦).

الشروط، وتنتفي جميع الموانع[١].

وإذا انطبقت الشروط، وانتفت الموانع، في حق الشخص المعين فقد قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها.

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: «ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة، إذا قال قولًا يكون القول به كفرًا، فيقال من قال بهذا القول فهو كافر، ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك، لا يُحكم بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»[٢].

## سمات منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب ﷺ في مسألة التكفير:

### السمة الأولى: تفريقه بين قيام الحجة، وفهم الحجة:

من السمات البارزة في منهج الإمام محمد ﷺ، تفريقه بين قيام الحجة، وفهم الحجة. فمن بلغته حجة الله التي بعث بها رسله، فقد قامت عليه الحجة، و«الحجة على العبادة إنما تقوم بشيئين: بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله، والقدرة على العمل به، فأما العاجز عن العلم كالمجنون، أو العاجز عن العمل، فلا أمر عليه، ولا نهي، وإذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعضه، كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله، كمن انقطع عن العمل بجميع الدين، أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلًا»[٣]، وأيضًا فإن قيام الحجة، يختلف باختلاف الأزمنة، والأمكنة، والأحوال والأشخاص،

(١) تُنظر الشروط والموانع في رسالة «تكفير المعين عند شيخَي الإسلام ابن تيمية وابن عبدالوهاب»، (ص ٤٠ ومابعدها). وسيأتي بعضها - إن شاء الله -.
(٢) الدرر السنية (٨/ ٢٤٤).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٥٩).

كما قال ابن القيم: «إن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب، ولم يحضر ترجمان يترجم له»(١)، وأما فهم الحجة لكلام الله ورسوله، كفهم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلا يُشترط ذلك.

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: «الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف؛ فلا يكفر حتى يُعرَّف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة، وفهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين، لم يفهموا حجة الله عليهم، مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقيام الحجة نوع، وبلوغها نوع، وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها، فإن أشكل عليكم ذلك، فانظروا قوله ﷺ: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم**»(٢)، مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم، ومع إجماع الناس أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والغلو والاجتهاد، وهم يظنون أنهم يطيعون الله، وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها، وكذلك قتَل علي رضي الله عنه الذين

(١) طريق الهجرتين لابن القيم (ص ٤١٤).
(٢) أخرجه البخاري (٦٩٣٠) ومسلم (٢٤٥٩).

اعتقدوا فيه، وتحريقهم بالنار[(١)]، مع كونهم تلاميذ الصحابة، مع عبادتهم وصلاتهم، وصيامهم، وهم يظنون أنهم على حق، وكذلك إجماع السلف على تكفير غلاة القدرية وغيرهم، مع علمهم وشدة عبادتهم، وكونهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم، لأجل كونهم لم يفهموا»[(٢)].

ويقول أيضًا: «ومن المعلوم أن قيام الحجة، ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله، مثل فهم أبي بكر ﷺ، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شيء يعذر به فهو كافر، كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن، مع قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الإسراء: ٤٦]، وقوله: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢] »[(٣)].

**السمة الثانية: الاحتراز والتثبت:**

من سمات منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب ﷺ، أنه شديد الاحتراز والتثبت في شأنه كله، لاسيما في مسائل التكفير.

يقول الشيخ حسين بن غنام في تاريخه: «إن الشيخ كان ملتزمًا بالمنهج السوي، ولم يتسرع لسانه بتكفير أناس أُشربت قلوبهم بالمعاصي، وبما كانوا عليه من القبائح الشركية»[(٤)].

ومما يدل على احتراز وتثبت الإمام محمد بن عبدالوهاب، في مسائل

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٠١٧).
(٢) مؤلفات الشيخ الإمام، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٢٤٤).
(٣) المرجع السابق (ص ٢٢٠).
(٤) تاريخ ابن غنام (١/ ٣٣ - ٣٦).

التكفير، قوله رحمه الله: «من أظهر الإسلام، وظننا أنه أتى بناقض، لا نكفره بالظن، لأن اليقين لا يرفعه الظن وكذلك لا نكفر من لا نعرف منه الكفر، بسبب ناقض ذكر عنه ونحن لم نتحققه»[١].

**السمة الثالثة: وسطيته في مسائل التكفير بين الجافي والغالي:**

من السمات البارزة في منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في مسائل التكفير، وسطيته بين المرجئة التي فرطت في التكفير، وبين الخوارج الذين أفرطوا في هذا الجانب، فكفروا مرتكب الكبيرة.

ومن المعلوم أن كلا المذهبين، مذهب الخوارج، ومذهب المرجئة، خطرهما عظيم، وعاقبتهما سيئة، فمذهب الخوارج خطره على دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم وجمع كلمتهم، ومذهب المرجئة خطره على دين الله، والتزام الناس بشريعته[٢].

وهذه الوسطية التي ينتهجها الإمام محمد بن عبدالوهاب، هي عقيدة أهل السنة والجماعة، التي يعتقدها، ويدعو الناس إليها.

قال رحمه الله مقررًا ذلك: «أشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة... إلى أن قال: والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية، وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية»[٣].

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل (ص ٢٤).

(٢) انظر: منهج ابن تيمية في التكفير (١/ ٤).

(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٨).

وقال رَحِمَهُ اللهُ مخالفًا منهج الخوارج: «ولا أكفر أحد من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام»(١).

وقال أيضًا: «أهل العلم قالوا: لا يجوز تكفير المسلم بالذنب، وهذا حق ولكن ليس هذا ما نحن فيه، وذلك أن الخوارج يكفرون من زنى، أو من سرق، أو سفك الدم، بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر»(٢).

وقال أيضًا: «ولا يخرجه عن مرتبة الإسلام، إلا الكفر بالله والشرك المخرج من الملة، وأما المعاصي والكبائر، كالزنى والسرقة وشرب الخمر، وأشباه ذلك فلا يخرجه عن دائرة الإسلام عند أهل السنة والجماعة، خلافًا للخوارج والمعتزلة، الذين يكفرون بالذنوب، ويحكمون بتخليده في النار».

**تكفير المعين وشروطه:**

يقرر الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ أن الحكم على المعين مرتبط بضوابط شرعية، فلا يمكن أن يكون الحكم على الناس، مبني على ظنون وأوهام، أو دعاوى لا يملكون عليها بينات، وإنما يكون الحكم الدنيوي على الشخص بالإسلام أو الكفر، بناء على الظاهر منه، أما الحكم على الحقيقة فلا سبيل إليه.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفِّر بالظن والموالاة، أو أكفِّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله»(٣).

---

(١) المرجع السابق (ص ١٠).
(٢) المرجع السابق (ص ٢٣٣).
(٣) المرجع السابق (ص ٢٥).

## موانع تكفير المعين عند الإمام محمد بن عبدالوهاب:

يلتزم الإمام محمد بن عبدالوهاب موانع التكفير، على نهج السلف ومن ذلك:

أولا: **الجهل**: فهو يرى العذر بالجهل لمن لم تقم عليه الحجة، مثل من كان حديث عهد بإسلام، أو ببادية بعيدة عن العلم، أو كان في المسائل الخفية.

ولا يرى العذر بالجهل لمن قامت عليه الحجة، ففرط في التعلم، أو ادعى الجهل في أصول الدين التي أوضحها الله في كتابه، وكانت من المعلومات بالضرورة.

ولهذا قال ﷺ: «الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف، فلا يكفر حتى يُعرّف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله، وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هي القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة»[1].

ثم إن بعض الناس يظن أن من لم يوفق لقبول الحق، لم تقم عليه الحجة، وهذا خطأ كبير، بل وصف الإمام محمد هذا الخطأ بقوله (أصل الإشكال) فقال: «ولكن أصل الإشكال: أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة، وفهم الحجة»[2]، فمن بلغه الخطاب، وفهم معناه، فقد قامت عليه الحجة، وليس كل من يفهم الحق ينقاد له.

فالخوارج -مثلًا- عاشوا في دار العلم مع الصحابة، وفهموا نقاش الصحابة

(١) المرجع السابق (ص ٢٤٤).

(٢) المرجع السابق.

لهم، ولكن لم يوفقوا للهداية، فلا يقال حينئذ لم تقم عليهم الحجة، ففرق بين قيام الحجة، وفهم الحجة كفهم أبي بكر وعمر، كما قال الإمام محمد: «فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله، مثل فهم أبي بكر رضي الله عنه»[١].

**ثانيًا: الإكراه:**

وقد اعتبر الإمام محمد بن عبدالوهاب الإكراه، مانعا من موانع التكفير. يدل على ذلك أنه لما ذكر نواقض الإسلام العشرة قال: «ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره»[٢]، فلاحظ قوله «إلا المكره».

**ثالثًا: الخطأ:**

وقد ذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب أن الذين قالوا للنبي ﷺ «اجعل لنا ذات أنواط» لم يكفروا بسبب أنهم قالوا ذلك مخطئين، بدليل أنهم عندما نُبهوا على خطأ ذلك تركوه، ولو عاودوا ذلك بعد النهي، وفعلوا ما نُهوا عنه لكفروا، فقال رحمه الله: «لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه، واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب، ولكن هذه قصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل «التوحيد فهمناه»! أن هذا من أكبر الجهل، ومكايد الشيطان.

وتفيد أيضًا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري، فنُبه على

(١) المرجع السابق (ص ٢٢٠).
(٢) المرجع السابق (ص ٢١٤).

ذلك، فتاب من ساعته، أنه لا يكفر، كما فعل بنوا إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ»[١].

فهذا -كما ترى- نص صريح من الإمام محمد بن عبدالوهاب في عدم الحكم بالكفر على المجتهد المخطئ.

**رابعًا: التأويل:**

والمقصود بالتأويل في بحثنا: هو ما يعرض للشخص من فهم لنصوص الشريعة، يكون مخالفًا لما فهمه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم، وأئمة الدين، وذلك لورود شبهة معينة على ذهن الشخص تصرفه عن الحق، فيقع في المخالفة، وهو لا يقصد مخالفة الشريعة.

وليس كل تأويل يكون عذرًا لصاحبه، بل إن التأويل نوعان، نوع لا يكون عذرًا لصاحبه، ونوع يُعذر صاحبه به، كما قرر ذلك الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله حيث قال: «التأويل الفاسد في رد النصوص ليس عذرًا لصاحبه، كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس في شبهته التي أبداها، كما لم يعذر من خالف النصوص متأولًا مخطئًا، بل كان ذلك التأويل زيادة في كفره»[٢].

وأما التأويل الذي يُعذر صاحبه، فمن أمثلته ما نقله ولخصه الإمام محمد بن عبدالوهاب من تقرير ابن تيمية حيث قال: «لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين الخمر، كقدامة وأصحابه، ظنوا أنها تباح لمن عمل صالحًا على ما فهموا من آية المائدة، اتفق علماء كعمر وعلي وغيرهما على أنهم يُستتابون، فإن

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول العقيدة، كشف الشبهات (ص ١٧٥).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الرابع، التفسير (ص ٩٢).

أصروا على الاستحلال كفروا، وإن أقروا بالتحريم جُلدوا، فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداءً لأجل الشبهة حتى يبين لهم الحق، فإن أصروا كفروا».

إذن: فمنهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في مسألة التأويل، أنه يقسم التأويل، إلى تأويل سائغ يُعذر صاحبه، وتأويل غير سائغ لا يُعذر صاحبه.

وأما التأويل غير السائغ: -أو التأويل الفاسد كما يسميه الإمام محمد ابن عبدالوهاب - فهو معارضة النصوص الشرعية بالهوى، والأقيسة الفاسدة، والتأويلات الباطنية التي هي في حقيقة الأمر، تكذيب للنصوص الشرعية.

❑ ❑ ❑

## الاعتقادات المكفرة عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

### الأول: استحلال أمر معلوم تحريمه من الدين بالضرورة:

معنى الاستحلال: هو أن يعتقد في المحرمات أن الله لم يحرمها، أو أنها مباحة(١).

فالاستحلال كفر اعتقادي، يختص بمخالفة النواهي باستحلالها، كاستحلال الخمر مثلًا.

وقد نقل الإمام محمد بن عبدالوهاب: «إجماع الصحابة في زمن عمر على تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه، إن لم يتوبوا، لما فهموا من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٩٣]، حل الخمر، لبعض الخواص»(٢).

### الثاني: الشك في حكم من أحكام الله تعالى أو خبر من أخباره:

الشك هو التردد بين شيئين، كالذي لا يجزم بصدق الرسول ﷺ ولا بكذبه؛ قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: «من لم يكفِّر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر إجماعًا»(٣). ولهذا كان من شروط لا إله إلا الله: اليقين المنافي للشك.

---

(١) الصارم المسلول، (ص ٥٢٣).
(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن الوهاب، القسم الأول، العقيدة (ص ٣٨٠).
(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٢١٣).

وقد ذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب أن الشك في القرآن والأحاديث، يوجب هدم الدين، فقال رحمه الله -في رده على الرافضة القائلين بردة الصحابة كلهم إلا أربعة-: «إذا فرض ارتداد من أخذ من النبي ﷺ، إلا النفر الذين لا يبلغ خبرهم التواتر، وقع الشك في القرآن والأحاديث، نعوذ بالله من اعتقادٍ يوجب هدم الدين...»(١).

وقد عدّ رحمه الله: كفر الشك أحد أنواع الكفر المخرج من الملة، فقال: «النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٥-٣٧]»(٢).

**الثالث: من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ:**

ولهذا فقد اعتبر الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه متابعة الرسول ﷺ، أو يسعه الخروج عن طاعته، اعتبره أتى اعتقادًا مكفرًا.

فقال في رسالته «نواقض الإسلام» ما نصه: «التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، فهو كافر»(٣).

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، ملحق المصنفات (ص ١٣).
(٢) الدرر السنية (٢/ ٧٠).
(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية، (ص ٢١٣).

وكما اعتبر الإمام محمد بن عبدالوهاب هذا الاعتقاد مكفرًا، فقد اعتبره أيضًا جمع من أهل العلم، وذكروا أن هذا المعتقد المكفر، مشتهر عند غلاة الصوفية والباطنية، قال عنهم ابن الجوزي رحمه الله: «إن قومًا منهم داوموا على الرياضة مدة، فرأوا أنهم قد تجوهروا، فقالوا: لا نبالي الآن ما عملنا، وإنما الأوامر والنواهي رسوم للعوام، ولو تجوهروا لسقطت عنهم، قالوا وحاصل النبوة ترجع إلى الحكمة والمصلحة، والمراد منها ضبط العوام، ولسنا من العوام، فندخل في حجر التكليف، لأنا قد تجوهرنا، وعرفنا الحكمة»[1].

وقال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن هؤلاء من يحتج بقوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، ويقول معناها: اعبد ربك حتى يحصل لك العلم والمعرفة، فإذا حصل ذلك سقطت العبادة، وربما قال بعضهم: اعمل حتى يحصل لك حال، فإذا حصل لك حال تصوفي سقطت عنك العبادة، وهؤلاء فيهم من إذا ظن حصول مطلوبه من المعرفة والحال، استحل ترك الفرائض، وارتكاب المحارم، وهذا كفر»[2].

**الرابع: بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ:**

وبغض وكراهية ما أنزل الله على رسوله، من صفات الكافرين، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩] وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

وقد عد الإمام محمد بن عبدالوهاب هذا المعتقد من نواقض الإسلام،

---

(١) تلبيس إبليس (ص ٤٩٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ٤٠٥).

فقال رحمه الله في رسالته «نواقض الإسلام»: «الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ، كفر إجماعًا، والدليل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩] »[1]. ولما سئل رحمه الله عن معنى ما نقله صاحب الإقناع، في باب حكم المرتد، عن قول الشيخ تقي الدين: أو كان مبغضًا لما جاء به الرسول اتفاقًا، فما معنى هذا؟

أجاب رحمه الله: «قوله: أو كان مبغضًا لما جاء به الرسول، ولم يشرك بالله، لكن أبغض السؤال عنه، ودعوة الناس إليه، كما هو حال من يدعي العلم، ويقرر أنه دين الله ورسوله، ويبغضونه أكثر من بغض دين اليهود والنصارى، بل يعادون من التفت إليه، ويحلون دمه وماله، ويرمونه عند الحكام.

وكذلك الرسول أتى بالإنذار عن الشرك، بل هو أول ما أنذر عنه، وأعظم ما أنذر عنه، ويقرون أنه أتى بهذا، ويقولون: خلق الله ما يتيهون، وينصرون بالقلب واللسان واليد.

والتكفير: بالاتفاق فيمن أبغض النهي عنه، وأبغض الأمر بمعاداة أهله، ولو لم يتكلم، ولم ينصر، فكيف إذا فعل ما فعل»[2].

## الخامس: اعتقاد وجود هدي أو حكم أفضل من هدي النبي ﷺ وحكمه:

ووجه كون هذا الاعتقاد مكفرًا، أنه تكذيب لما جاء في الكتاب والسنة، بأن هدي النبي ﷺ وحكمه، خير الهدي، وأن ما جاء به النبي ﷺ يهدي للتي هي أقوم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٢١٣).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الثالث، فتاوى ومسائل (ص ٦٢).

﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وفي حديث جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يقول: «**أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد**»(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقد ذكر الإمام محمد عبدالوهاب في رسالته (نواقض الإسلام) أن اعتقاد وجود هدي أو حكم، أفضل من هدي النبي ﷺ وحكمه، كفر مخرج عن الإسلام، فقال ما نصه: «الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يُفضل حكم الطواغيت، فهذا كافر»(٢).

## الأقوال المكفرة عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

### الأول: سب الله تعالى أو الاستهزاء به:

وقد ذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أن الاستهزاء بالله، وتنقصه، كفر بالله تعالى. قال رحمه الله: (باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول) وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥]، وعن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة -- دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك: «ما رأينا مثل قرائنا أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء - يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء - فقال له عوف بن مالك:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠٢).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٢١٣).

كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ، وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض، ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق.

قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب.

فيقول له رسول الله ﷺ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، ما يلتفت إليه، وما يزيده عليه «فيه مسائل: الأولى: وهي العظيمة، أن من هزل بهذا، فإنه كافر»(١).

**الثاني: سب الرسول ﷺ أو أحد من الأنبياء:**

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب فيمن اتهم أم المؤمنين عائشة ﵂: «ومن هذا الاتهام يلزم نقص النبي ﷺ، ومن نقص الله ورسوله فقد كفر، وهو بفعله هذا خارج عن أهل الإيمان، متبع لخطوات الشيطان، وملعون في الدنيا والآخرة»(٢).

**الثالث: الاستهزاء بكتب الله المنزلة أو بدين الله أو بشيء من ثوابه وعقابه:**

فقد عدّ الإمام محمد بن عبدالوهاب ﵀ الاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول ﷺ أحد نواقض الإسلام، فقال ﵀: «السادس: من استهزأ بشيء من

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد (ص ١١٧، ١١٨).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، ملحق المصنفات (ص ٢٤).

دين الرسول ﷺ، أو ثواب الله، أو عقابه، كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]»[١].

**الرابع: إنكار المعلوم من الدين بالضرورة:**

قرر الإمام محمد بن عبدالوهاب ﷺ كفر من أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، كجحد ركن من أركان الإسلام، حتى لو تلفظ بالشهادة، فقال ﷺ: «معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود، وسباهم، وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون، ويدّعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر، وقُتل، ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها»[٢].

وقال ﷺ مبينًا أن كفر أهل الشرك معلوم من الدين بالضرورة، ومنكرًا على من زعم أن المشرك لا يكفر إلا إذا أنكر الإسلام جملة!: «المسألة الثانية: الإقرار بأن هذا هو الشرك الأكبر، ولكن لا يكفر به إلا من أنكر الإسلام جملة، وكذب الرسول والقرآن، واتبع يهودية أو نصرانية أو غيرهما، وهذا هو الذي يجادل به أهل الشرك والعناد... فاعلم أن تصور هذه المسألة تصورًا حسنًا، يكفي في إبطالها من غير دليل خاص، لوجهين:

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، العقيدة والآداب الإسلامية (ص ٣٨٦).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات (ص ١٧٦).

الأول: أن مقتضى قولهم أن الشرك بالله، وعبادة الأصنام لا تأثير لها في التكفير، لأن الإنسان إن انتقل عن الملة إلى غيرها، وكذب الرسول والقرآن فهو كافر، وإن لم يعبد الأوثان كاليهود.

فإذا كان من انتسب إلى الإسلام لا يكفر إذا أشرك الشرك الأكبر؛ لأنه مسلم يقول: لا إله إلا الله، ويصلي، ويفعل كذا وكذا، لم يكن للشرك وعبادة الأوثان تأثير، بل يكون ذلك كالسواد في الخلقة، أو العمى، أو العرج، فإن كان صاحبها يدعي الإسلام فهو مسلم، وإن ادعى ملة غيرها فهو كافر، وهذه فضيحة عظيمة، كافية في رد هذا القول الفظيع.

الوجه الثاني: أن معصية الرسول ﷺ في الشرك، وعبادة الأوثان، بعد بلوغ العلم كفر صريح بالفطر والعقول، والعلوم الضرورية، فلا يُتصور أنك تقول لرجل، ولو من أجهل الناس، وأبلدهم، ما تقول فيمن عصى الرسول ﷺ ولم ينقد له في ترك عبادة الأوثان والشرك، مع أنه يدعي أنه مسلم متبع؟ إلا ويبادر بالفطرة الضرورية إلى القول بأن هذا كافر، من غير نظر في الأدلة، أو سؤال أحد من العلماء»[١].

**الخامس: رد النصوص الثابتة في الكتاب والسنة:**

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: «لا خلاف بين العلماء كلهم، أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام»[٢].

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة مفيد المستفيد (ص ٣٠٧).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة (ص ١٧١).

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، فإذا كان من آمن ببعض وكفر ببعض، كافر، فكيف بمن كفر بجميع الكتاب ورده ولم يقبله؟!

## الأفعال المكفرة عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

### الأول: الإشراك بالله:

ذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب أن الشرك ينقسمُ قسمين، أكبر وأصغر، فالأكبر مخرج من الملة، والأصغر لا يخرج من الملة، وقد بين الإمام محمد بعض الأمثلة للشرك الأصغر فقال: «كيسير الرياء، والحلف بغير الله، وقول: هذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده.

ومثل للشرك الأكبر، بطلب الحوائج من الموتى، ودعائهم لذلك، والنذر لهم ليشفعوا عن الله لداعيهم، والناذر لهم»[1]. والمقصود بالبحث هنا، الشرك الأكبر.

ولقد عرّف الإمام محمد بن عبدالوهاب الشرك بالله، فقال: «هو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها».

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد (ص ٢٩٥).

فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله تعالى، أو قصد غير الله بشيء من أنواع العبادة، فقد اتخذ هذا الغير ربًا وإلهًا من دون الله تعالى، وأشرك مع الله غيره الشرك الأكبر الذي نهى عنه، وأنكره على المشركين، وأخبر أنه لا يغفره، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢][١].

وذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب صفة إشراك المشركين، وأنها تنطبق على مشركي زمانه وزيادة، فقال: «واعلم أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، صفة إشراكهم أنهم يدعون الله، ويدعون معه الأصنام والصالحين، مثل عيسى وأمه، والملائكة، يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وهم يقرون أن الله سبحانه هو النافع الضار، المدبر، كما ذكر الله عنهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، فإذا عرفت هذا، وعرفت أن دعوتهم الصالحين، وتعلقهم عليهم، أنهم يقولون: ما نريد إلا الشفاعة، وأن النبي ﷺ قاتلهم ليخلصوا الدعوة لله، ويكون الدين كله لله. . . وعرفت أن ذلك هو الشرك بالله الذي لا يغفر لمن فعله، وهو عند الله أعظم من الزنا، وقتل النفس، مع أن صاحبه يريد به التقرب من الله، ثم مع هذا عرفت أمرًا آخر، وهو أن أكثر الناس ما عرف هذا، منهم الذين يسمونهم العلماء، في سدير والوشم وغيرهم، إذا قالوا نحن موحدون الله، نعرف ما ينفع ولا يضر إلا الله، وأن

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، الأصول الثلاثة (ص ١٨٦).

الصالحين لا ينفعون ولا يضرون، وعرفت أنهم لا يعرفون إلا توحيد الكفار، توحيد الربوبية، عرفت كبر نعمة الله عليك، خصوصًا إذا عرفت أن الذي يواجه الله، ولا يعرف التوحيد، أو عرفه ولم يعمل به، أنه خالد في النار، ولو كان من أعبد الناس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]»[1].

وقد واجه الإمام حجج المشركين في زمانه، فكشف شبههم بالدليل والبرهان، قال ﷺ: «أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل، يصدون بها الناس عنه، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فضلًا عن عبدالقادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم.

فجاوبه بما تقدم: وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئًا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه.

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا؟ فجاوبه بما تقدم.

فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها، وأنهم ما أردوا ممن قصدوا إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يفرق بين فعله، وفعلهم بما ذكر.

فاذكر له أن الكفار منهم من يدعوا الأصنام، ومنهم من يدعوا الأولياء الذين

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، الرسالة الثالثة عشر (ص ٣٩٩).

قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٥-٧٦]، واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]. فقل له: أعرفت أن الله كفّر من قصد الأصنام، وكفّر أيضًا من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ؟ فإن قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم.

فالجواب: أن هذا قول الكفار سواءً بسواء، واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم»(١).

ولما قال دعاة الشرك، إن الذين نزل فيهم القرآن وصفهم بأنهم كفار، لا

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات (ص ١٦١ - ١٦٣).

يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحرًا، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ونصدق القرآن ونؤمن بالعبث، ونصلي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

أجابهم الإمام محمد بن عبدالوهاب بقوله: لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء، أنه كافر، لم يدخل الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن، وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد، وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله، وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله، وجحد الحج.

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ومن أقر بهذا كله، وجحد البعث كفر بالإجماع، وحل دمه وماله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض، وكفر ببعض، فهو الكافر حقًا، وأنه يستحق ما ذكر، زالت الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

**ويقال أيضًا**: إن كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة، إنه كافر، حلال الدم والمال، بإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، وصدق بذلك كله، لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا؛ فمعلوم أن التوحيد هو

أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ؟ وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله، ما أعجب هذا الجهل.

ويقال أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، ويؤذنون، ويصلون. فإن قال إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي. فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف؟ أو صحابيا أو نبيا، إلى مرتبة جبار السماوات والأرض، سبحان الله ما أعظم شأنه ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٥٩-٦٠][(١)].

**الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوها:**

هذا الناقض داخل في الناقض الأول، لأنه من الشرك، وقد أفرده الإمام محمد بن عبدالوهاب في رسالته «نواقض الإسلام» لأهميته، وكثرة وقوعه بين الناس، ولأن بعض المشركين يظنون أن الشرك هو فقط عبادة الأصنام، أما الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في الشرك.

قال رحمه الله: «من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، فقد كفر إجماعًا»[(٢)].

---

(١) المرجع السابق (ص ١٧٢).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، مجموعة رسائل في التوحيد (ص ٣٨٦).

**الثالث: ترك أركان الإسلام بالكلية:**

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: «أركان الإسلام الخمسة، أولها: الشهادتان، ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقر بها، وتركها تهاونًا، فنحن وإن قاتلناه على فعلها، فلا نكفره بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلا من غير جحود، ولا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان»[(١)].

وقد تقدم أن من أصول منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب أنه لا يُكفر إلا بالمتفق عليه، دون المختلف فيه.

والإمام محمد يُكفر من لم يأت بالشهادتين، لأن ذلك متفق عليه، كما قال ابن تيمية: «اتفق المسلمون على أن من لم يأت بالشهادتين فهو كافر»[(٢)] فكيف بمن لم يأت بأركان الإسلام بالكلية؟

**الرابع: السحر:**

قال الشيخ محمد - في رسالته نواقض الإسلام-: «اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض... السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به، كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] »[(٣)].

**الخامس: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين:**

قال الشيخ رحمه الله: «اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض... الثامن: مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الثالث، فتاوى ومسائل (ص ٩).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٢).
(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، (ص ٣٨٦).

مِنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]»[١].

والمقصود بالتولي المخرج عن الإسلام، التولي المطلق التام، كما قال ابن سعدي رحمه الله: «إن كان توليًا تامًا، كان ذلك كفرًا مخرجًا عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، وما هو دونه»[٢].

ومما ينبغي التنبه له، والتنبيه عليه: أن بعض الناس خاضوا في مسائل الموالاة والمعاداة بغير علم، وبنوا عليها أحكام الردة، ولم يفرقوا بين الموالاة المطلقة التامة، وما هو دونها، فكفروا بما لا يُكفّر، ولم يقتصروا على ذلك، بل افتروا على الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، ونسبوا أنفسهم إليه، وزعموا أن أفكارهم هذه مستمدة من كتبه، فلما بلغ بهم الأمر هذا المبلغ، استدعاهم عالم نجد ومفتيها العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، فكشف شبهتهم، وأدحض حجتهم، وبرأ ساحة جده - الإمام محمد بن عبدالوهاب- منهم ومن منهجهم[٣].

وكان مما قاله رحمه الله: «وتأمل قصة حاطب بن أبي بلتعة[٤]، وما فيها من الفوائد، فإنه هاجر إلى الله ورسوله، وجاهد في سبيله، لكن حدث منه أنه كتب بسر رسول الله ﷺ إلى المشركين من أهل مكة، يخبرهم بشأن رسول الله ﷺ، ومسيره لجهادهم، ليتخذ بذلك يدا عندهم تحمي أهله وماله بمكة، فن-زل

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، مجموعة رسائل في التوحيد (ص ٣٨٦).
(٢) تفسير الكريم المنان (٧/ ٣٥٧).
(٣) انظر: المقدمة التي كتبها الشيخ عبدالسلام البرجس على كتاب «أصول وضوابط التكفير»؛ للشيخ عبداللطيف آل الشيخ (ص ٥).
(٤) ؟

الوحي بخبره، وكان قد أعطى الكتاب ضعينة جعلته في شعرها، فأرسل رسول الله ﷺ عليًا والزبير في طلب الضعينة، وأخبرهما أنهما يجدانها في روضة خاخ، فكان ذلك، وتهدداها حتى أخرجت الكتاب من ظفائرها، فأتي به رسول الله ﷺ، فدعا حاطب بن أبي بلتعة فقال له: «**ما هذا؟**» فقال: يا رسول الله: إني لم أكفر بعد إيماني، ولم أفعل هذا رغبة عن الإسلام، وإنما أردتُ أن تكون لي عند القوم يد أحمي بها أهلي ومالي، فقال ﷺ: «**صدقكم خلوا سبيله**».

واستأذن عمر في قتله فقال: دعني أضرب عنق هذا المنافق؟ فقال: «**وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم؟**»، وأنزل الله في ذلك صدر سورة الممتحنة فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] الآيات، فدخل حاطب في المخاطبة باسم الإيمان، ووصفه به، وتناوله النهي بعمومه، وله خصوص السبب الدال على إرادته، مع أن في الآية الكريمة ما يشعر أن فعل حاطب نوع موالاة، وأنه أبلغ إليهم بالمودة، وأن فاعل ذلك قد ضل سواء السبيل، لكن قوله: «**صدقكم خلوا سبيله**» ظاهر فيه أنه لا يكفر بذلك، إذا كان مؤمنًا بالله ورسوله، غير شاك ولا مرتاب، وإنما فعل ذلك لغرض دنيوي، ولو كفر لما قال: «**خلوا سبيله**».

ولا يقال قوله ﷺ «**ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» هو المانع من تكفيره، لأنا نقول: لو كفر لما بقي من حسناته ما يمنع من لحاق الكفر وأحكامه، فإن الكفر يهدم ما قبله، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥] وقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، والكفر محبط للحسنات والإيمان بالإجماع، فلا يُظن هذا.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]، فقد فسرته السنة وقيدته، وخصته بالموالاة المطلقة العامة.

وأصل الموالاة هي: الحب والنصرة والصداقة، ودون ذلك مراتب متعددة، ولكل ذنب حظه وقسطه من الوعيد والذنب، وهذا عند السلف الراسخين في العلم من الصحابة والتابعين معروف في هذا الباب وفي غيره، وإنما أشكل الأمر وخفيت المعاني، والتبست الأحكام على خلوف من العجم والمولدين، الذين لا دراية لهم بهذا الشأن، ولا ممارسة لهم بمعاني السنة والقرآن»[1].

**السادس: الإعراض التام عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به:**

والإعراض نوعان:

النوع الأول: مخرج عن الملة، وهو الإعراض الكلي التام عن دين الله تعالى، لا يتعلمه ولا يعمل به.

النوع الثاني: غير مخرج عن الملة، كأن يكون معه أصل الإيمان لكنه يُعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية.

وقد قرر الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أن النوع الأول، وهو الإعراض التام عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، كفر مخرج عن الملة، فقال في رسالته «نواقض الإسلام»: «اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض... (العاشر): الإعراض عن دين الله لا يتعلمه، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ٧).

أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٧-٤٨]»[١].

## أسباب الإفراط في التكفير:

أول الفرق إفراطًا في التكفير الخوارج المارقون، الذين يكفرون مرتكب الكبيرة من المسلمين، قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: «الخوارج يكفِّرون من زنى، أو من سرق، أو سفك الدم، بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر»[٢].

السبب الأول: عدم التمسك بالكتاب والسنة: قال الشيخ في إحدى رسائله: «وهو ﷺ حمى جناب التوحيد، أعظم حماية، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فنهى أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر، وثبت فيه أيضًا أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأمره ألا يدع قبرًا مشرفًا إلا سواه، ولا تمثالا إلا طمسه، ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القبب المبنية على القبور، لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ، فهذا الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل الأمر بهم، إلى أن كفرونا وقاتلونا، واستحلوا دماءنا وأموالنا»[٣].

وقال أيضًا: «إن العداوة واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا، ليس عند التكفير

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، (ص ٣٨٧).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٢٣٣).

(٣) المرجع السابق (ص ١١٤).

والقتال، بل هم الذين بدؤنا بالتكفير والقتال، بل عند قوله تعالى ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وعند قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقوله: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤]»[(١)].

وقال أيضًا مقررًا عقيدة أهل السنة والجماعة: «وهم في باب وعيد الله، وسط بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية»[(٢)].

السبب الثاني: الأسباب السياسية (نصرة الدولة له)، والأسباب النفسية (الحسد): قال الإمام محمد بن عبدالوهاب «هذا الذي أنكروا عليّ، وأبغضوني، وعادوني من أجله، إذا سألوا عنه كل عالم، في الشام واليمن أو غيرهم، يقول: هذا هو الحق، وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أن أظهره في مكانه، لأجل أن الدولة ما يرضون، وابن عبدالوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق اتبعه»[(٣)].

السبب الثالث: الجهل بالتوحيد الذي بعث الله به رسله، وجاءت في تقريره النصوص الشرعية، ذلك أن الإمام محمد بن عبدالوهاب، لما قرر التوحيد، الذي دعت إليه الرسل، كذّبه من لم يفهم التوحيد والشرك، وقالوا: كيف يصف أعمال الموحدين بالشرك؟ ورتبوا على ذلك أن الإمام محمد بن عبدالوهاب عنده غلو بالتكفير.

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الرابع، التفسير (ص ١٥).
(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٨).
(٣) المرجع السابق (ص ٣٢).

وقد ذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب أنه وقف على أوراق بخط ابن سحيم، أنكر فيها تكفير أهل الشرك، وقد علق الإمام محمد على تلك الرسالة بقوله: «أنه: ذكر أن معنى التوحيد، أن تُصرف جميع العبادات من الأقوال والأفعال لله وحده، لا يُجعل فيها شيء لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، وهذا حق، ثم يرجع - أي ابن سحيم - يكذب نفسه، ويقول: إن دعاء شمسان وأمثاله في الشدائد والنذر لهم، ليبرئوا المريض، ويفرجوا عن المكروب الذي لم يصل إليه عبدة الأوثان وبل يخلصون في الشدائد لله، ويجعل هذا ليس من الشرك، ويستدل على كفره الباطل بالحديث الذي فيه أن الشيطان يأس أن يُعبد في جزيرة العرب»(١).

وقال رحمه الله في رسالته لابن سحيم: «وقولكم: إننا نكفِّر المسلمين، كيف تفعلون كذا، كيف تفعلون كذا، فإنا لم نكفِّر المسلمين بل ما كفَّرنا إلا المشركين»(٢).

وقد ظن المخالفون أن من قال: لا إله إلا الله لا يكفر، ولو لم يعمل بمقتضاها، ويقولون إن الذين قاتلهم الرسول ﷺ وكفَّرهم، ونزل فيهم القرآن، لا يشهدون أن (لا إله إلا الله) فكيف يُجعل أولئك المشركين الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله، مثل الذي يقولها، ويصلي ويصوم؟ هذه الشبهة أُوردت على الإمام محمد بن عبدالوهاب، وتولى الإجابة عليها بنفسه، فقال رحمه الله ما نصه: «اعلم أن لهؤلاء شبهة، يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها، وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن، لا يشهدون أن

---

(١) المرجع السابق (ص ٨٨، ٨٩)

(٢) المرجع السابق (ص ١٨٩).

(لا إله إلا الله)، ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحرًا، ونحن نشهد: أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟ فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم، أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن، وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله، وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله، وجحد الحج.

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ومن أقر بهذا كله، وجحد البعث، كفر بالإجماع، وحل دمه وماله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، فإذا كان الله قد صرّح في كتابه، أن من آمن ببعض، وكفر ببعض، فهو الكافر حقًا، وأنه يستحق ما ذكر، زالت الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقال أيضًا: إن كنت تقر أن من صدّق الرسول ﷺ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة، إنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، وصدق بذلك كله، لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا.

فمعلوم أن التوحيد هم أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين

الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله، ما أعجب هذا الجهل!

ويقال أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويؤذنون، ويصلون.

فإن قال إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي، فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان، أو يوسف؟ أو صحابيًا أو نبيًا إلى مرتبة جبار السماوات والأرض؟ سبحان الله ما أعظم شأنه ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

ويقال أيضًا: الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاج[١] وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يُكفّر؟

ويقال أيضًا: بنو عبيد القداح[٢]، الذين ملكوا المغرب في زمان بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويدّعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء، دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب،

---

(١) اسم شخص يُعبد من دون الله في زمن الإمام محمد، وسيأتي كلام الشيخ محمد بن لإبراهيم رحمه الله عنه.

(٢) العبيديين، ويُسمون زورًا «الفاطميون».

وغزاهم المسلمون، حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضًا: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب: (باب حكم المرتد)، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعًا كثيرة كل نوع منها، يكفِّر ويُحل دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال أيضًا: الذين قال الله فيهم ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، أما سمعت الله كفّرهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، ويجاهدون معه، ويصلون، ويزكون ويحجون ويوحدون.

وكذلك الذين قال الله فيهم ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفِّرون من المسلمين أناسًا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق... إلى أن قال: وللمشركين شبهة أخرى: يقولون إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله[١]، وكذلك قوله «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»[٢]، وأحاديث أخر في الكف عمن قالها.

ومراد هؤلاء الجهلة: أن من قالها لا يكفر، ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل.

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (١٢٤).

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود، وسباهم، وهم يقولون لا إله إلا الله.

وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون ويدّعون الإسلام.

وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل، ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقُتل، ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد، الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟ ولكن أعداء الله ما فهموا الأحاديث.

فأما حديث أسامة: فإنه قتل رجلًا ادّعى الإسلام، بسبب أنه ظن أنه ما ادّعى الإسلام إلا خوفًا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام: وجب الكف عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤]، أي: فتثبتوا، فالآية تدل: على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتل، لقوله تعالى ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، ولو كان لا يُقتل إذا قالها، لم يكن للتثبت معنى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه أن: من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه، إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك. والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ قال: أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ وقال: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»[1]، هو الذي قال في الخوارج «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم**»[2]، «**لئن أدركتهم لأقلنهم قتل عاد**»[3]، مع كونهم من أكثر

(١) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

(٢) أخرجه: البخاري (٣٦١١).

(٣) أخرجه: البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

الناس عبادة وتهليلًا وتسبيحًا، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام، لما ظهر منهم مخالفة الشريعة»[١].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، مقررًا منهج جده - الإمام محمد- في مسألة القتال، ومزيلا للشبه في ذلك: «الشيخ لم يبدأ أحدًا بالقتال، بل أعداؤه الذين ابتدأوه بذلك، وقتاله كان من باب الدفع والمجازاة على السيئة بمثلها، وما حدث بعده أو في وقته من خطأ أو تعد، فلا يجوز نسبته إليه، وأنه أمر به أو رضيه، وقد جرى لأسامة بن زيد في دم الجهني، وجرى لخالد بن الوليد في دماء بني جذيمة وأموالهم ما لا يجهله أهل العلم والإيمان.

وذلك في عهده ﷺ، وقد برئ منه وأنكره، فقال: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**»[٢]، وقال لأسامة «**أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ كيف تصنع بلا إله إلا الله، إذا جاءت يوم القيامة؟**»[٣].

ومن أشكل عليه أمر القتال في زمن الشيخ، وعلى دعوته، فهو إما جاهل بحال الأعداء وما قالوه في الإسلام، وما بدلوه من الدين، وما كانت عليه البوادي والأعراب من الكفر بآيات الله، ورد أحكام القرآن، والاستهزاء بذلك، والرجوع إلى سوالف البادية، وما كانت عليه من العادات والأحكام الجاهلية... أو هو جاهل بما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، لا شعور له بشيء من ذلك، ولا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم؟

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، كشف الشبهات (ص ١٧١-١٧٦).

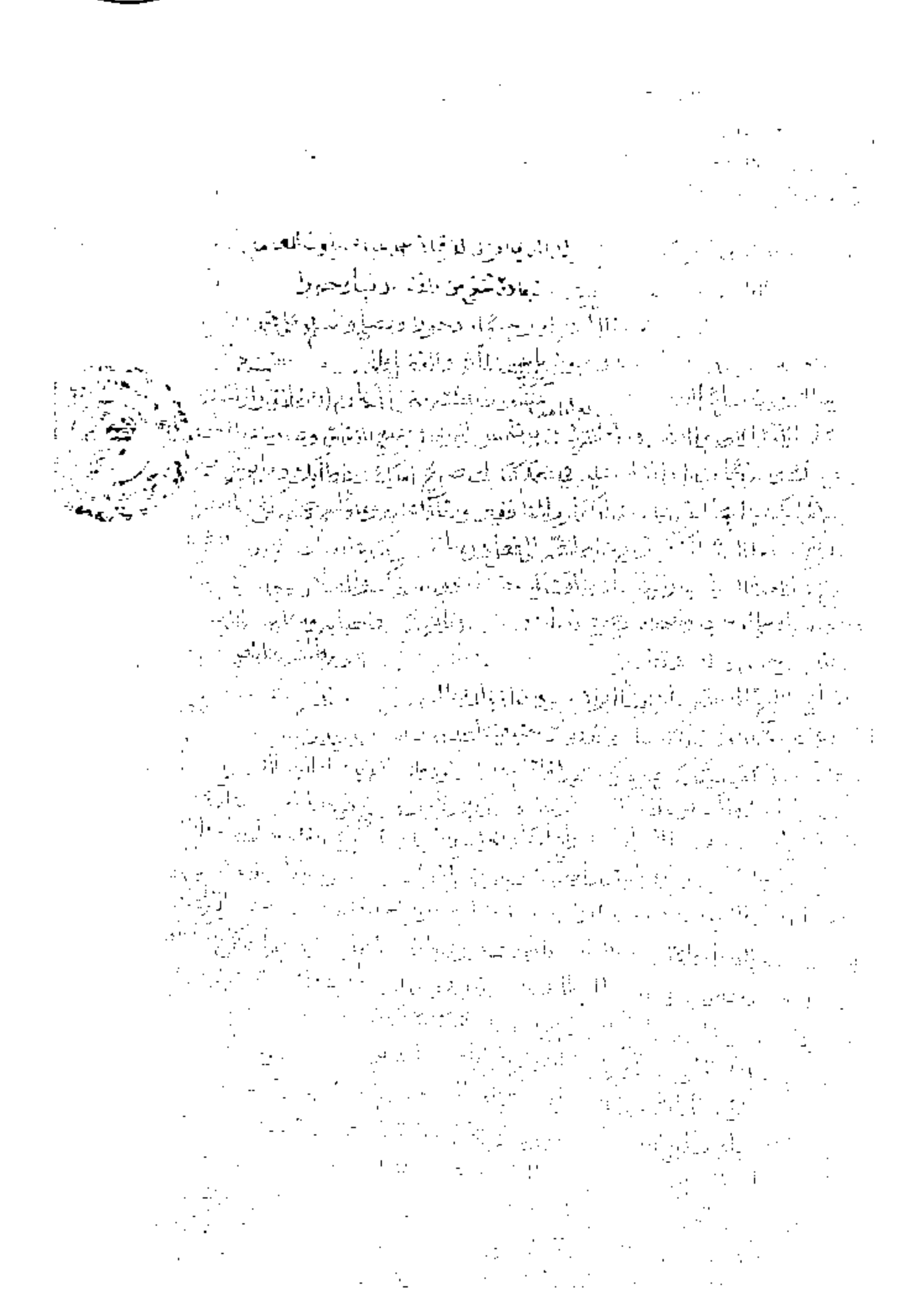
(٢) أخرجه: البخاري (٧١٨٩).

(٣) أخرجه: البخاري (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦).

وبالجملة: فالواجب أن يتكلم الإنسان بعلم وعدل، ومن فاته العلم، فحسبه السكوت، إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ومن خلع ربقة الدين من عنقه، فليقل ما شاء، والله بما يعملون بصير»[1].

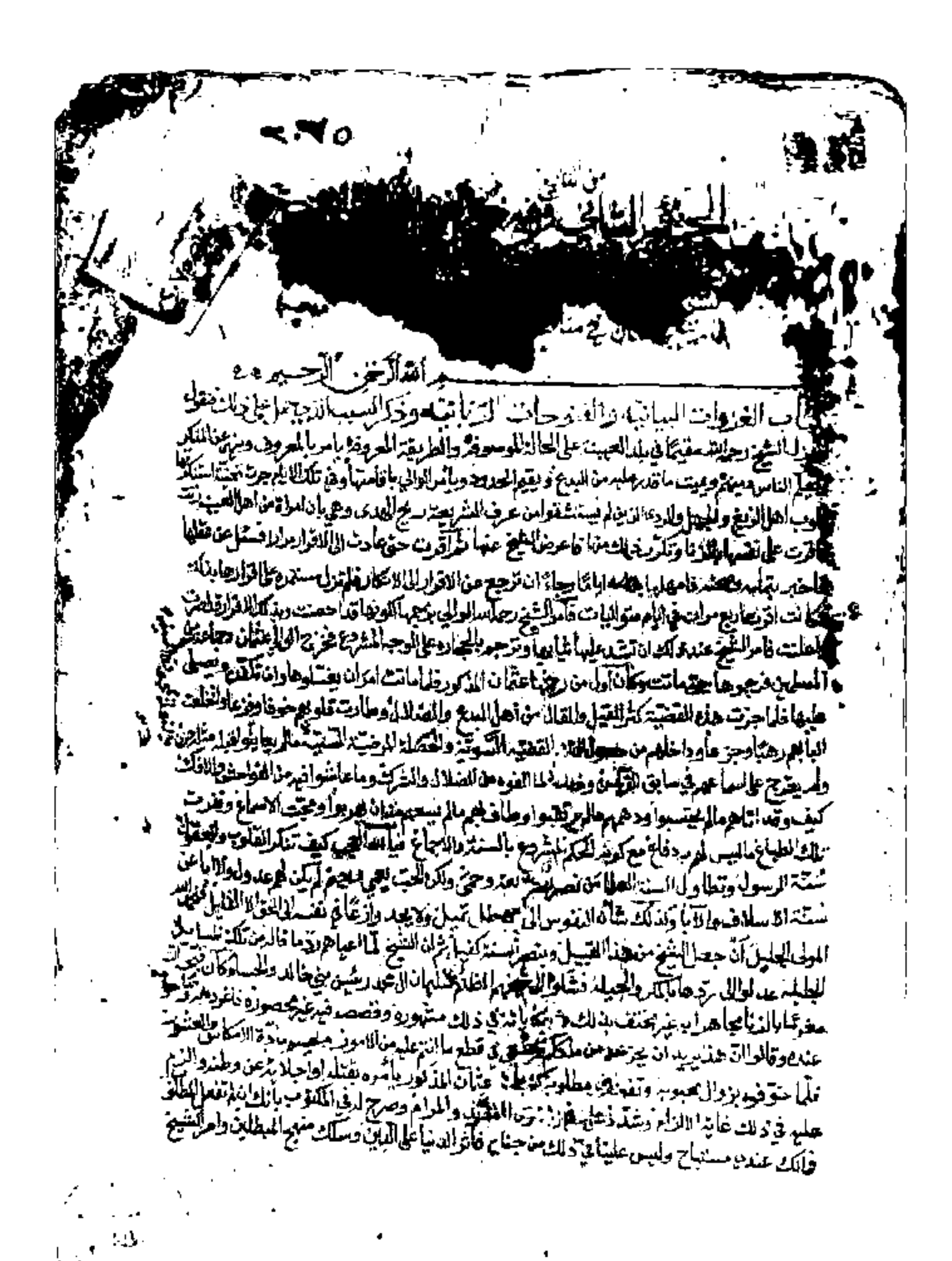


(١) منهاج التأسيس (ص ٢٨).



صورة الورقة الأولى من الجزء الأول من المخطوط

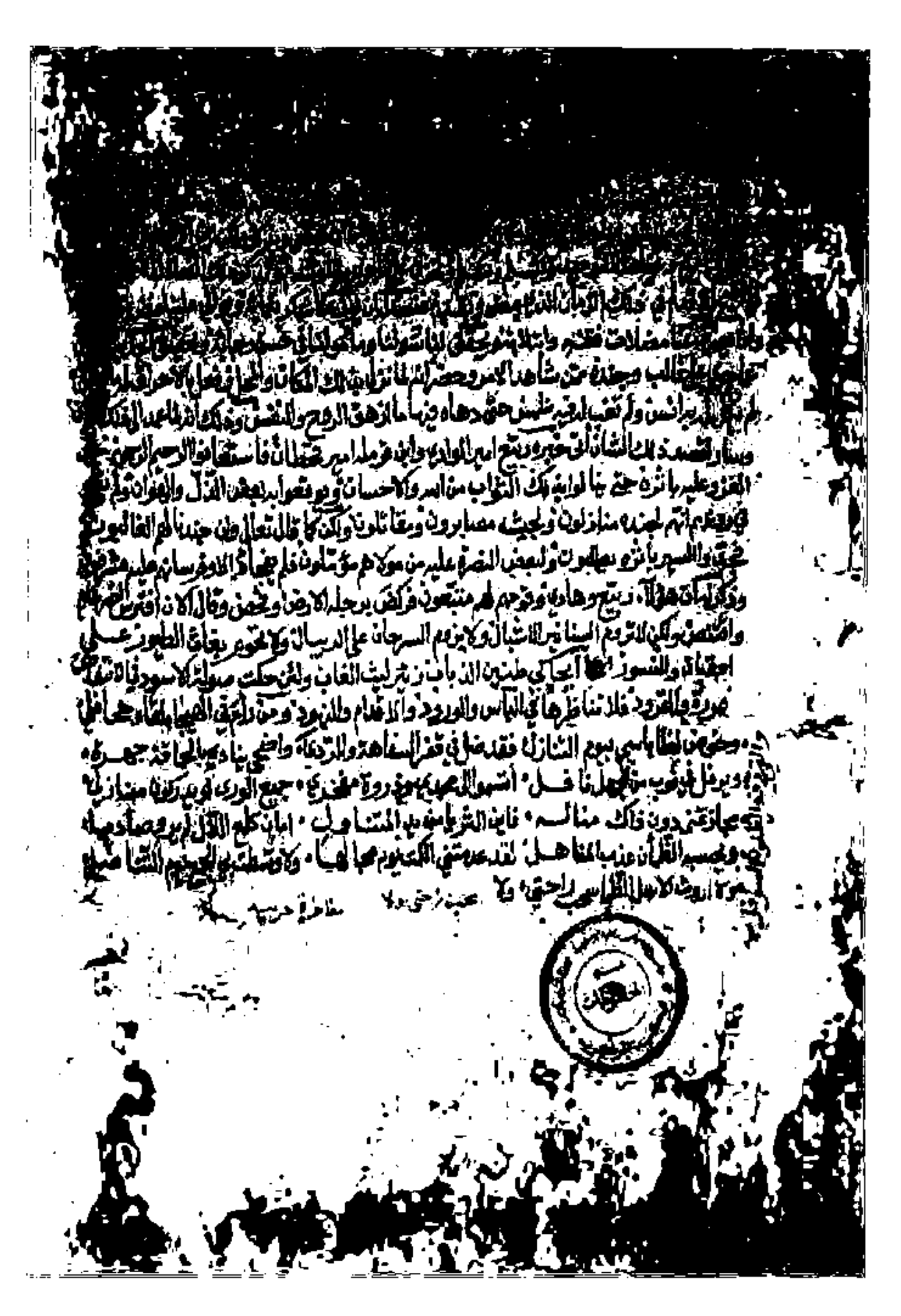
صورة الورقة الأخيرة من الجزء الأول من المخطوط



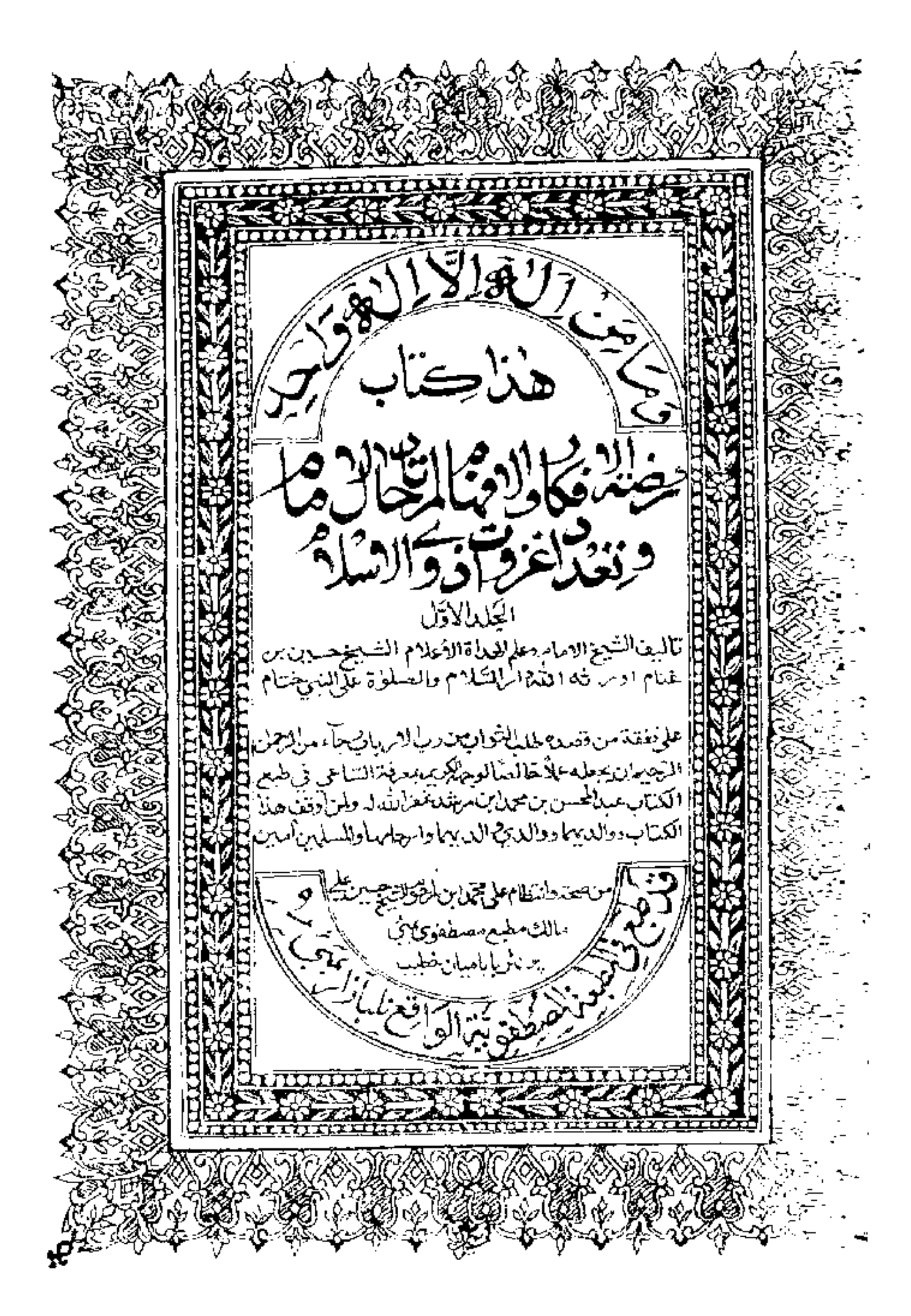
بسم الله الرحمن الرحيم

باب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية وذكر السبب الذي حمل على ذلك فنقول

صورة الورقة الأولى من الجزء الثاني من المخطوط



صورة الورقة الأخيرة من الجزء الثاني من المخطوط



وما من إله إلا إله واحد

هذا كتاب

روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام
وتعداد غزوات ذوي الإسلام

المجلد الأول

تأليف الشيخ الإمام علم الهداة الأعلام الشيخ حسين بن غنام [illegible] الله [illegible] والصلوة على النبي ختام

على نفقة من قصده طلب الثواب من رب الأرباب رجاء من الرحمن الرحيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم بمعرفة الساعي في طبع الكتاب عبد المحسن بن محمد بن مرشد غفر الله له ولمن أوقف هذا الكتاب ولوالديه ولوالدي الذي يطالعه [illegible] والمسلمين آمين

من صحه وانتظام علي محمد بن [illegible] الشيخ حسين [illegible]
مالك مطبع مصطفوي [illegible]
[illegible]

قد طبع في المطبعة المصطفوية الواقع [illegible]

صورة غلاف الطبعة الهندية

# تاريخ نجد

المسمى

## روضة الأفكار والأفهام

لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام

تأليف

الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام

حسين بن غنام

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه بفضله دار كرامته ومشائخه والمسلمين آمين

---

## الجزء الأول

الطبعة الأولى

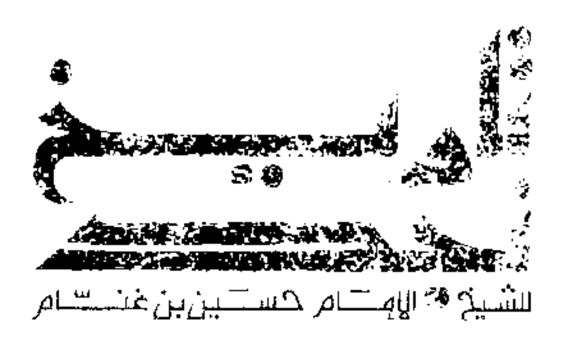
١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م

على نفقة

الشيخ عبد المحسن بن عثمان أبابطين

صاحب المكتبة الأهلية — بالرياض نجد

صورة غلاف طبعة الشيخ عبدالمحسن أبابطين رحمه الله




حرره وحققه

الدكتور ناصر الدين الأسد

قام بطبع الأصل

عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الشيخ

دار الشروق

صورة غلاف طبعة الدكتور ناصر الدين الأسد

# تاريخ ابن غنام

## الجزء الأول

المسمى: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام،
وتعداد غزوات ذوي الإسلام»

للشيخ

حسين بن غنام رحمه الله

اعتنى به

سليمان بن صالح الخراشي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق من الماء بشرًا وجعله نسبًا وصهرًا وكان ربك قديرًا، الذي خلق كل شيء فقدَّره تقديرًا، وتبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تَنفي من القلب رَينًا وحُورًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي ببعثته نال الشرك رُجومًا ودُحورًا.

ونصلي ونسلم على محمدٍ الذي خصَّصْتَه بأسمى المفاخر والرُتَب، وحَبَوْتَه بأسنى المآثر والفضل والحسَب، واصطفيته بالقرب والرسالة دون سائر العرب، وكان مشهورًا، بَعَثْتَه متمِّمًا لمكارم الأخلاق، وأزَلْتَ به عن هذه الأمة الإصْرَ والأغلاق، فأشرقت به شمس الهدى في جميع الآفاق، وصار داعيًا إلى توحيدك وسراجًا منيرًا، وأنزلت عليه في محكم كتابك صريح أمرك وخطابك، وما يُرتَجى به عظيمُ ثوابك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ وكفى بها سعيرًا.

فبادر نبيُّ هذه الأمة، المكشوفُ به عنهم الغمة، إلى فعل هذه المهمة، وشمَّر عن ساعد الجد فيها تشميرًا، فأسرع في الامتثال، ونصب راية الجهاد والقتال، حتى أباد ذوي الشرك والضلال، وجاهدهم به جهادًا كبيرًا.

وعلى أزواجه، وأصحابه، وجميع أنصاره وأحزابه، وتابعي نهجه وأحبابه، وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيرًا.

أما بعد: فإن الله تعالى بعث نبيه الكريم بالشرع الواضح القويم، والمنهاج اللائح المستقيم، ملة أبينا إبراهيم، وكان إذ ذاك ظلامُ الشرك مُستطيرًا، وقد عكف جميع الأنام على عبادة الأوثان والأصنام، واندرست حنيفية الخليل ﷺ، وجَدُّوا في عبادة من لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فأقام عليه الصلاة والسلام بأعباء الرسالة، وأزاح حَنَادِسَ الجهالة، وأناح الهلاك أُولِي الضلالة، فدَعَوْا عند ذلك ويلًا وثبورًا، ورفع قواعد التوحيد، وشاد وخفض منار الكفر وأباد، وجزم أهل الغي والفساد، وأعلى كلمة الحق بين العباد، ونشر في الآفاق عَلَم الجهاد، فلم يَزَلْ ولله الحمدُ مرفوعًا منشورًا، وأيَّده بآيات واضحات شهيرة، ومعجزات باهرات منيرة، وقواطع لأعدائه مبيرة، وأعظمُها القرآن الذي رَجَعَت عن معارضة سورةٍ منه أبصارُ البلغاء خسيئةً حسيرةً ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

فأكمل الله تعالى لأمته الدين، ودحض ببرهانه حجج المبطلين، وأسفرت به وجوه الموحِّدين، وازدادت قلوبهم بآياته تنويرًا، فوردوا من زُلاله سلسبيلًا، وشربوا من سَلْسَالِه كؤوسًا كان مزاجُها زنجبيلًا، ولم يسلكوا غير هديه سبيلًا لما ألفوه مَنْهَلًا نَميرًا ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ فلم يزل ﷺ صاعدًا على مَنِيف ذلك المعراج، سالكًا شريف ذلك المنهاج، مقتحمًا فيه الحَزْنَ والسهل من الفجاج، حتى استقام الدين وزال منه الاعوجاج، وأقبل الناس يأتونه زُمَرًا وأفواج، فتمت نعمة الله تعالى وعم السرور والابتهاج، ونالوا من سعادة الدارَين حظًّا موفورًا.

ثم لما أطلَع الله تعالى به بَدْرَ الهدى وسَعْدَه، ورفع في الملأ الأعلى فخره ومجده، قبضه إليه واختار له ما عنده، فقام بواجب الجهاد خلفاؤه بعده، حتى

قصموا بمرهفاتهم مَن كان خوّانًا كفورًا، فجنَّدوا الأجناد، وخَفَقَت راياتهم في كل بلاد، فَدَان لهم كلُّ حاضر وباد، فأضحى أصل الكفر مجزومًا مكسورًا، وفتحوا البلدان شرقًا وغربًا، ودوَّخوا الجبابرة طعنًا وضربًا، وصَدَقُوا البيعة عليهم فعوضهم في جناته حدائق غُلْبًا، لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا، فلم يَبْرَح بعدهم ذلك الأثر، يجاهد مَن أشرك بالله وكفر، حتى عَفَا رسمُه ودَثَر، بعد أن كان منهجًا مأثورًا.

وتطاولت عليه الأحوال والسنون، وتكررت عليه الأعوام حينًا بعد حين، وهو إذ ذاك في الرَّمْس رَهِين، ولم يكن مُحَيَّاه يَستبين، حتى أحياه إمام الموحِّدين، ورأس العلماء العاملين، وعزة الأئمة المحققين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فصار بآثاره معمورًا، فجرَّد رحمه الله عليه القواضيَ القواضب، وجاهد وعصابته كل ضالٍّ ملحدٍ محارب، حتى أنجح الله تعالى له المآرب، وحقق له ما رام من المطالب، وراضت جزيرة العرب للتوحيد بعد أن كان كل من سكنها عنه هارب، فدانوا بذلك توفيقًا وتسخيرًا، فكانت أعلامهم في غالب البلدان خافقة، وشموس سعدهم في الآفاق شارقة، وأسِنَّتُهم بين التوحيد والشرك فارقة، وجياد أبطالهم إلى الجهاد سابقة، حتى مَحَقُوا جميع البدع والأهواء إزالةً وتغييرًا، وسَطَّرُوا آيات الرشد تسطيرًا، ففازوا بالغاية والمرام، وحازوا من الفخر أعلى مقام، حيث قاموا بذروة الإسلام، وأصبح جندهم على جنود الأعداء منصورًا.

هذا؛ ولما كانت منزلة العلم أعظم المنازل، والتحلي بِحِلَاهُ من أفخم الفضائل، لاسيما للأفاضل والأماثل، ومرتبته أرفع المراتب عند الأواخر والأوائل، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وكان مِن أسناها شأنًا وفخرًا، وأسماها رتبةً وذكرًا، وأرفَعِهَا منصبًا وقدرًا، وأتقَنِهَا عند الله تقربًا

وحضورًا عِلْمُ الحديث والأثر، ومعرفة التواريخ والسِّيَر، كما نص عليه أرباب الفن والنظر؛ إذ فيه لِمُقْتَضِيه عبرةٌ من أَجَلِّ العِبَر، تَزيد اللبيبَ تحقيقًا وتبصيرًا، ونَشْرُهُ في المجالس والمحافل، ودَرْسُهُ في البُكُرِ والأصائل وسيلةٌ من أنفع الوسائل إلى التأسي بالمجاهدين، فينال مع الأجر قبولًا وتوقيرًا، فيَقتفِي السامع آثارَهم؛ إذ سَبَرَ أخبارهم، وعَرَفَ أنهم بذلوا رغبةً فيما عند الله أعمارَهم، فبشَّرهم بنعمته وفضله تبشيرًا.

أردتُ أن أصنف فيما أشرق ضياؤه وانتشر، وشاع في غالب الأقطار واشتهر، من الغزواتِ التي هي في مُحَيَّا الدهر كالغُرَر، والفتوحاتِ الإسلامية التي مبدأها العقدُ السادس من القرن الثاني عشر، فرأيت العومَ في تياره خطيرًا، وركوب زاخرِ أمواجه حظيرًا، كيف وقد أرسَيْتُ في مقام الغربة! وهي كما قيل كربة أي كربة! ومفارقة الوطن على النفوس صعبة، وتحققته أمرًا عسيرًا، ولكن داعي النفس لذلك كثيرًا، والإمام، أيده الله تعالى، يعزم عليَّ في ذلك ويُشير، حتى بَدَا طالع الإقبال والسعد والبشير، إِثْرَ ما كنت في ذلك الشأن أستخير، فشرعتُ فيه حتى أتقنته تصحيحًا وتحريرًا، وتلقنتُ تلك المغازي ممن حوى في الصدق رياسةً وتصديرًا، ولم أذكر في هذه الغزوات المسطورة، والسير المقررة المزبورة، إلا الكبيرة الواضحة المشهورة، وهجرتُ ما ليس واضحًا وشهيرًا، وذكرتُ بعض حوادث السنين مما هو مستفيض من المسلمين، خصوصًا بلدان الموحِّدين، وذكرتُ وفاة بعض الأعيان ممن كان بالدين مذكورًا، وتركت من ليس منهم معروفًا ولا مسبورًا، ورتبته في كتاب وخمسة فصول؛ لأنه أقرب إلى التناول والوصول، وأسرع إلى المراد في المحصول، واخترت أن تكون الفصول فيه صدورًا:

**الفصل الأول**: في بيان ما جرى في تلك الأزمان من الشرك والضلال والطغيان، في نجد والحَسَا وغيرهما مما يليهما من البلدان.

**الفصل الثاني**: في بيان نسب الشيخ ومبدأ أمره، وما جرى عليه في قيامه بتلك الدعوة من أهل مِصْرِه، وما صادمه به علماء عصره.

**الفصل الثالث**: في سرد بعض رسائل أرسلها إلى بعض البلدان، وإلى بعض خواص الإخوان.

**الفصل الرابع**: في ذكر شيء من المسائل التي سئل عنها فأجاب. وتركت كثيرًا منها لئلَّا يطول الكتاب.

**الفصل الخامس**: في ذكر بعض كلامه على القرآن، وما فُتِحَ به عليه في متفرق الآيِ من البيان.

وجعلت الكتاب لغزوات الأصحاب ذوي التوحيد والإسلام، وجعلتها على ترتيب السنين والأعوام؛ ليسهل تناوله على ذوي الأفهام، ولكونها مترتبة وقوعًا وصدورًا، فلما انجلى عن إثر بدره غَمَامُه، وتفتحت عن نور زهره أكمامُه، وأشرَقَت بحسنه البديع أيامُه، وحَلَّت عقودُه منها صدورًا ونحورًا، سميته «**روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**» فحَسُنَ، ولله الحمد، ختامًا وظهورًا، فهو مثل تاريخ تصنيفه غريب، كما يقضي به الألمعي الأريب، ويشهد به اللَّوْذَعي الأديب، ولا عبرة بمن كان حاسدًا أو غيورًا.

ثم إني أسأل مَن نزَّه في رياضه الأبصار، وأورد مَعِين حِياضِهِ الأفكار، ألا يُبادرَ إلى الاعتراض والإنكار، ويواريَ منه هفوة وعثورًا، ويطالعَه بعين الإنصاف والإجلال، ويُصلحَ ما رأى به من اختلاف واختلال، فهذا شأن ذوي الكمال، ولا يَعْجَلَ إذا ألفى تقصيرًا أو قصورًا.

واللهَ أرجو أن يُنقِّيَه من الريا والإعجاب، ويُبْقِيَه على سَنَن الحق والصواب، ويُنِيلَ به جزيل الثواب، ويَجعَلَه سعيًا مشكورًا وعملًا مبرورًا، ويَعفوَ عما طَغَى به القلم واللسان، ويُقابلَه بالقبول والرضوان، ويُثيب عليه في رفيع الجنان وُلْدَانًا وحُورًا.

❑ ❑ ❑

# الفصل الأول
# في بيان ما جرى في تلك الأزمان من الشرك والضلال والطغيان في نجد والحَسَا وغيرهما مما يليهما من البلدان

فنقول: كان غالب الناس في زمانه مُتضمِّخِين بالأرجاس، مُتلطِّخِين بوَضَر الأنجاس، حتى قد انهمكوا في الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالأرماس، وأُطفئ نور الهدى بالانطماس، بذهاب ذوي الأبصار والبصيرة، والألباب المضيئة المنيرة، وغلبة الجهل والجهال، واستعلاء ذوي الأهواء والضلال، حتى نهجُوا في تلك الطرائق منهجًا وعرًا، ونبذوا كتاب الله تعالى وراءهم ظهرًا، وأتَوا زورًا وبهتانًا وهُجْرًا، وزين لهم الشيطان أنهم ينالون بذلك أجرًا، ويحوزون به عزًّا وفخرًا، فأركبهم على مراكب الأسلاف قسرًا، وامتاطوا كواهلهم في ذلك السَّنَن قهرًا، وحسَّن لهم أن ذلك بحقيقة الحق أدرى، وأنهم بِنَهْجِ منهج الشريعة أحرَى، فعَدَلُوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، وخلعوا رِبْقَةَ التوحيد والدين، فجَدُّوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث، والخطوب المعضلة الكوارث، وأقبلوا عليهم في طلب الحاجات، وتفريج الشدائد والكربات، من الأحياء منهم والأموات، وكثير يعتقد النفع والإضرار في الجمادات، كالأحجار والأشجار، وينتابون ذلك في أغلب الأزمان والأوقات، ولم يكن لهم إلى غيرها إقبال ولا التفات، فهم على تلك الأوثان عاكفون، ولها في أكثر الأحايين ملازمون ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾.

لعب بعقولهم الشيطان، وأخذ بهم منهج الخسران، حتى ألقاهم في قعر

الهوان، فلَجُّوا في طغيانهم يَعمَهُون، تَسَنَّموا من الهوى أسمى فَنَن، وأتَوا من الضلال أنمى فِتَن، ورفضوا واللهِ أسنَى سَنَن، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أحدثوا من الكفر والفجور، والإشراك بعبادة أهل القبور، وصرف الدعاء لهم والنذور ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

شرع لهم شياطينُهم من الدين ما لم يأذن به الله، وجعلوا لغيره ما لا يجوز صرفه إلى سواه، وزادوا على أهل الجاهلية؛ فقد كانوا لا يدعون إذا مسهم الضر إلا إياه، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾، ملأوا قلوبهم له بالوجد والمحبة، وبذلوا أعمارهم وألسنتهم في دفع مَن أبدَى لهم مَسَبَّة، ولم يشتغلوا بالله وكفى لعبده به رغبة، وليتهم سوَّوْا بينهم في المحبة والطِّلْبة، ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، وكانت هذه المحبة في سويداء القلب سارية، وعلى صفحة الوجه واللسان بادية، وأفعال الشرك في غالب الأقطار جارية، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

وقد حدث الغي والإضلال والإسراف، ووقع التغيير في الدين والاختلاف، من زمانٍ قديمٍ من غير خلاف، وجاء بعدهم مَن اعتقد أن الدين هو ذلك الضلال والإسراف؛ لأنهم وجدوا عليه الآباء والأسلاف، ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾، وقد نَصَّ عليه كثير من العلماء الأعلام، في كتبهم المصنفة فيما حدث من البدع والحوادث من الأنام، وما غُيِّرَ من مَنَار الدين والإسلام، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

وكان أكثر الناس على دعوة الأولياء والصالحين، الأحياءِ منهم والميِّتين،

مُجِدِّين مجتهدين، وبالاعتقاد المحض فيهم مفتونين ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ أَيُدعى مَن لا يملك لنفسه نفعًا؟ ولا يَصرف عنها من السوء دفعًا، ويُترك مدبِّر الخلائق إعطاءً ومنعًا ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ فغدَوْا عليها في قضاء الحاجات وراحوا، وابتهلوا لَدَيهم في ذلك وباحوا، وأحلوا ما حرمه الله واستباحوا، ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

وكان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم، والكل على تلك الأحوال مقيم، وفي ذلك الوادي مُسِيم[1]، ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ وقد مَضَوْا قبل بُدُوِّ نور الصواب، يأتون من الشرك بالعجاب، ويَنْسِلون إليه من كل باب، ويكثر ذلك منهم عند قبر زيد بن الخطاب، فيَدْعُونه لتفريج الكُرَب بفصيح الخطاب، ويسألونه كشف النُّوَبِ من غير ارتياب، ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

وكان ذلك في الجُبَيلة[2] مشهورًا، وبقضاء الحوائج مذكورًا، وكذلك قريوه في الدِّرْعية[3] يزعمون أن فيها قبورًا، أصبح فيها بعض الصحابة مقبورًا، فصار

---

(١) المُسيم: الرّاعي، أو مَن يذهب على وجهه حيث شاء.

(٢) بلدة تقع شمال غرب مدينة الرياض، على بعد ٥٠ كم.

(٣) قال الأستاذ عبدالحكيم بن عبدالرحمن العواد في مقالته «أماكن يُتبرك بها في الدرعية قبل ظهور الدعوة السلفية» في جريدة الجزيره بتاريخ (٢١/ ٢/ ١٤٢٨هـ): «قريوة شِعب صغير جدًا يمتد من الشرق إلى الغرب، وينتهي ببعض المزارع، وهو أول شِعب يأتي على يمين السالك لمخرج محافظة الدرعية الجنوبي، وجنوب عن مقر محافظة الدرعية»، وقال الشيخ عبدالله بن خميس في مقالٍ له عن الدرعية: «هو المقبرة الرئيسية لأهل الدرعية». (مجلة الدارة، السنة الأولى، العدد الأول).

حظهم في عبادتها موفورًا، فهم في سائر الأحوال عليها يعكفون، ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ وكان أهل تلك التربة أعظَمَ في صدورهم من الله خوفًا ورهبةً، وأفخم عندهم رجاءً ورغبةً، فلذلك كانوا في طلب الحاجات، فهم يبتدؤون ويقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾.

وفي شعيب غبيرا[١] يُفعل من الهُجْرِ والمُنكر ما لا يُعْهَد مثله ولا يُتصور، ويزعمون أن فيه قبر ضِرَار بن الأزور[٢]، وذلك كذبٌ محضٌ وبهتانٌ مزوَّر[٣]، مثَّله لهم إبليس وصوَّر، ولم يكونوا به يشعرون.

وفي بُلَيْدَة الفدا[٤] ذكَر النخل المعروف بالفحَّال، يأتونه النساء والرجال، ويَفِدُون بالبُكَرِ والآصال، ويفعلون عنده أقبح الأفعال، ويتبركون به ويعتقدون، وتأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج، ولم تأتها لنكاحها الأزواج، فتضمه بيديها بحضور ورجاء الانفراج، وتقول: يا فحل الفحول، أريد زوجًا قبل الحول. هكذا صح عنهم القول ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) من روافد وادي حنيفة، شمال الدرعية، قال الشيخ عبدالله بن خميس في مقاله السابق: «لعلها كانت منازل بني غبراء». وهم من بني حنيفة.

(٢) الصحابي ﷺ. انظر ترجمته في «الاستيعاب»؛ لابن عبدالبر (١ / ٢٢٤)، ورسالة «ضرار بن الأزور: الشاعر - الصحابي - الفارس»؛ للأستاذ عبدالعزيز الرفاعي.

(٣) قال ابن حجر في «الإصابة» (٣ / ٤٨١): «واختُلف في وفاته، فقال الواقدي: استُشهد باليمامة، وقال موسى بن عقبة: بأجنادين، وصححه أبو نعيم، وقال أبو عروبة الحراني: نزل حران ومات بها، ويقال: شهد اليرموك وفتح دمشق، ويقال: مات بدمشق».

(٤) غرب الدرعية. قال الشيخ عبدالله بن خميس في مقاله السابق: «البليدة، هي ذات الفحال الذي أورد ذكره المؤرخ ابن غنام في حديثه عن الخرافات بالدرعية، قبل خروج الشيخ محمد بن عبدالوهاب».

وشجرة الطرفية[١] تشبث بها الشيطان واعتلق، فكان ينتابها للتبرك طوائف وفِرَق، ويعلِّقون فيها إذا ولدت المرأة ذَكَرًا الخِرَق، لعلهم عن الموت يَسْلَمُون.

وفي أسفل الدرعية غار كبير[٢]، يزعمون أن الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى «بنت الأمير» أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت ودعت الله فانفلق لها الغار بإذن العلي الكبير، وكان تعالى لها عن ذلك السوء مجير، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويُهْدُون، ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وعندهم رجل من الأولياء يسمى تاج[٣]، سلكوا فيه سبيل الطواغيت في الانتهاج، فصرفوا إليه النذر والدعاء واعتقدوا فيه النفع والضر والإفراج، وكانوا

---

(١) قال الأستاذ عبدالحكيم العواد في مقالته السابقة «شجرة الطرفية، يبدو أنها من أنواع شجر الطرفاء التي تشبه الأثل، وكانت قديمًا تقع في شِعب البليدة السابق ذكره، غير بعيدة عن فحل الفحول».

(٢) قال الأستاذ عبدالحكيم العواد في مقالته السابقة «ويسمى أيضًا غار الغاشمية، ويقع الآن في طرف الدرعية الجنوبي، في الجهة الجنوبية لضفة شِعب الغاشمية الواقع ضمن نطاق مزرعة الملك خالد رحمه الله، المسماة (المغترة)، المواجهة لمنطقة المليبيد، ويقال إن أحد المشعوذين كان يختبئ فيه، وعندما يأتيه طالب الحاجة ويبدأ في ذكر حاجته، يقوم هذا المشعوذ بإصدار همهمة من داخل الغار، فيظن الجهلة أن الغار يجيبهم، ويضعون له الطعام والهدايا؛ فيخرج المشعوذ بعد تأكده من ذهابهم، وبعد أن يرخي الليل سدوله، فيلقف ما صنعوا له!».

(٣) قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «فأما تاج فهو من أهل الخرج، تُصرف إليه النذور، ويُدعى، ويُعتقد فيه النفع والضر، وكان يأتي إلى أهل الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله من النذور، وقد كان يخافه كثيرٌ من الناس الذين يعتقدون فيه. وله أعوان وحاشية لا يُتعرض لهم بمكروه، بل يُدّعى فيهم الدعاوي الكاذبة، وتُنسب إليهم الحكايات القبيحة. ومما يُنسب إلى تاج أنه أعمى، ويأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده». «فتاوى الشيخ» (١ / ١٣٤ - ١٣٥).

يأتون إليه لشأنهم أفواج، ويأتي إليهم في الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ما له من النذور والخراج ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ وكان لجميع أهل تلك البلدان، وسكان تلك الأماكن والأعطان، فيه من الاعتقاد أعظم شان، فيخافه كل حاكم وظالم وشيطان، ويهاب أعوانه وحاشيته كلُّ إنسان، فلا يتعرضونهم بما يكرهون، ويدَّعون فيه دعاوى فظيعة، وينسبون إليه حكايات قبيحة شنيعة، كانت ألسنتهم لها مذيعة، ولبهتانها مشيعة، وهم لِمَيْنِهَا وزُورها مصدقون، فيزعمون أنه أعمى ويأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده، وغير ذلك من الحكايات التي هي مَحَطُّ رحال المشركين، والاعتقادات التي ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم، وأعرضوا بها عن إخلاص الدعاء لرب العالمين، الذي ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

وأما ما يُفعل الآن في الحرم المكي الشريف، زاده الله رفعة وتشريف، فهو يزيد على غيره ويَنِيف، فيُفْعَلُ في تلك البقاع المطهرة المكرمة، والمواضع المعظمة المحترمة، ما يحق أن تُسْفَح عند رؤيته سحائب العيون والأجفان، وتُذَال[1] لأجله الدموع ولا تُصان، وتلتهب في القلب لواعج الأحزان، إذا رأى ما يصدر في تلك الأماكن من أولئك العربان، من الفسوق والضلال والعصيان، وما عَرَا الدينَ فيه من الهوان، فلقد انتُهِكَت فيه المحرمات والحدود، وكان لأهل الباطل فيه قيام وقعود، كما هو الآن مشاهد موجود، أين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾؟ ويشهد بذلك مَن رآه، مِمَن كان له قلب سليم،

---

(١) أي: تُسفح.

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ولقد تظاهر بذلك فيهم جَمٌّ غفير، وتجاهر به بين أظهرهم جمع كثير، ولم يكن لأهل العلم إزالة ولا تغيير، بل تألّبوا على مصادمة الحق الشهير، وراموا إطفاءَ مصباحه المنير، وإخمادَ ضيائه المستنير، وحاولوا تغيير مُحَيَّا الصواب ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.

فمِن ذلك ما يُفْعَل عند قبر المحجوب[1]، وقبة أبي طالب[2]، وهم يعلمون أنه شريف حاكم متعدٍّ غاصب، كان يخرج إلى بلدان نجد، ويضع عليهم من المال خراجًا ومطالب، فإن أُعْطِيَ ما أراد انصرف، وإلا أصبح لهم معاديًا

---

(١) عبدالله المحجوب (ت ١٢٠٧ هـ)، انظر ترجمته في «عجائب الآثار»؛ للجبرتي (٢ / ٣٦٤ - ٣٦٦).

(٢) الشريف أبوطالب بن حسن بن نمي، أحد حكام مكة، (ت ١٠١٢هـ). انظر ترجمته في «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام»؛ للصوفي القبوري أحمد زيني دحلان (ص ٨٨ - ٩١)، وقال عنه: «دُفن بالمعلاة، وبني عليه قبة.. وهو يُزار، ويحمي ساداتنا بنو حسن من استجار بقبره، ولا ينال من استجار به مكروه»!!

وللفائدة: قال الشيخ حمد الجاسر رحمه الله عن مقبرة المعلاة: «ويدور الزمان، فيصبح المكان وما حوله مقبرة للعظماء من أهل مكة؛ فيُقبر فيه في القرن الحادي عشر الهجري أحد الأمراء الظلمة: أبو طالب بن أبي نُمي، وتُبنى فوقه قبة تُعرف بقبة أبي طالب، بجوار قبة خديجة الخرافية، ويدور الزمان فيُجهل أبو طالب صاحب القبة، فتنشأ خرافة قبة أبي طالب بن عبد المطلب عمّ النبي عليه الصلاة والسلام، الذي مات قبل صاحب القبة بأكثر من عشرة قرون، ومات مشركًا بنص القرآن الكريم! ويُدفن بجوار أبي طالب بن أبي نُمي أخوه عبد المطلب بن أبي نميّ، وبمرور الزمن تنشأ خرافة ثالثة؛ إذ يُصبح هذا: عبد المطلب بن هاشم جد المصطفى عليه الصلاة والسلام، الذي عاش قبل البعثة!». «مجلة العرب» (عدد رمضان وشوال، سنة ١٣٩٥هـ).

محارب[١]، فيأتون قبره بالسماعات والعلامات، للاستغاثة عند حلول المصائب، ونزول النُّوَب الكوارب.

وكذلك عند قبر المحجوب، يطلبونه الشفاعة لغفران الذنوب؛ لأنه عندهم المقرَّب المحبوب، فلهذا كانوا من سِرِّهِ يحذرون، وإن دخل متعدٍ أو سارقٌ أو غاصبُ مالٍ قبر أحدهما لم يتعرض له أحدٌ من الرجال، ولا يخشى معاقبة ولا إنكال، ولا يُتَوَصَّل إليه بما يَكْرَه ولا يُنال، وإن تعلَّق جانٍ ولو أقلَّ جناية بالكعبة سُحِبَ منها بالأذيال، فهم في تعظيمها مفرطون، ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾.

ومن ذلك ما يُفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، رضي الله عنها، في سَرِفَ[٢]، وعند قبر خديجة، رضي الله عنها، في المُعلَّى[٣]، مما لا يسوغ لمسلم أن يُطلق

---

(١) قال ابن بشر في «عنوان المجد» (١ / ٢٦): «وفي سنة إحدى عشر وألف ظهر الشريف أبو طالب بن حسن ابن أبي نمي على نجد».

(٢) خارج مكة بقرب التنعيم، وفيه دُفنت رضي الله عنها.

(٣) مقبرة مكة. قال الشيخ حمد الجاسر رحمه الله: «قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، كان مجهولًا لدى مؤرخي مكة حتى القرن الثامن الهجري، أي طيلة سبعة قرون بل تزيد، ثم أصبح معروفًا محدد المكان، في القرون الخمسة الماضية، حتى يومنا هذا، بعد أن رأى أحد العارفين في المنام كأن نورًا ينبعث من شُعبة النور، في مقبرة المعلاة، ولما علم أمير مكة في ذلك العهد بخبر تلك الرؤيا؛ أمر ببناء قبة فوق المكان الذي رأى ذلك العارف أن النور ينبعث منه، جازمًا ذلك الأمير أن ذلك المكان ما هو سوى قبر خديجة رضي الله عنها!!». «مجلة العرب» (عدد رمضان وشوال، ١٣٩٥هـ). وقال الشيخ محمد بن عثمان الشاوي رحمه الله، وهو أحد الداخلين مع الملك عبد العزيز رحمه الله لمكة في رسالته «القول الأسدّ» (ص ١١٨)، يصف ما رآه عند قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: «فليلة دخولنا مكة المشرفة، بعد أن فرغنا من أعمال العمرة، وبادرنا إلى هد القباب، وجدنا في القبة المبنية على قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ما لا يُستطاع حكايته، من ذلك أنا =

عليه إباحةً وحلًّا، فضلًا عن كونه يراه قربةً يُدرك بها أجرًا وفضلًا؛ من اختلاط النساء بالرجال، وفعل الفواحش والمنكرات، وارتفاع الأصوات عندهم بالدعوات، وحصول الفدية وشهرة الاستغاثات.

وعند قبر عبد الله بن عباس، ﷺ، في الطائف، من الأمور التي تشمئز منها نفس الجاهل، فكيف بالعارف؟ فيقف عند قبره متضرعًا مستغيثًا كلُّ مكروب وخائف، وينادي أكثر الباعة في الأسواق من غير نكير ولا زجر على الإطلاق، ويقول بلهجة قلبٍ واحتراق، كثيرٌ من أهل الشرك والإبلاس، وذوي الفقر والإفلاس: اليوم على الله وعليك يا ابن عباس! ويَسألونه الحاجات ويَسترزقون، ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾.

وأما ما يُفْعَلُ عند قبره، عليه الصلاة والسلام، من الأمور المحرَّمة العِظَام؛ من تعفير الخدود، والانحناء بالخضوع والسجود، واتخاذ ذلك القبر عيدًا، وقد لَعَنَ عليه الصلاة والسلام فاعلَه[1] وكفى بذلك زجرًا ووعيدًا، ونَهَى عمَّا يُفْعَلُ عنده الآن غالبُ العلماء نهيًا شديدًا، وغلَّظُوا في ذلك تغليظًا أكيدًا، فهو مما لا يَخْفَى ولا يُنْكَر، وأعظم من أن يُذْكَر، فهو في الشهرة والانتشار، كالشمس في رابعة النهار.

---

= وجدنا رقاعًا مكتوبًا فيها: يا خديجة يا أم المؤمنين جئناكِ زائرين، وعلى بابك واقفين، فلا تردينا خائبين، فاشفعي لنا إلى محمد، يشفع لنا إلى جبرائيل، ويشفع لنا جبرائيل إلى الله! ووجدنا عندها كبشًا قد جاء به صاحبه ليقربه إليها... ووجدنا عند باب القبة عجوزًا شوهاء من سدنتها، ولقد حدثني غير واحد أنهم سألوها: ما حالك؟، فقالت: هي خادمة لسيدتها المتصرفة في الكون منذ عدة سنين، ولا تصوم، ولا تصلي، ومع ذلك يتمسح بها الزوّار...»! فالحمد لله على نعمة السنة والتوحيد، وجزى الله خيرًا من كان السبب في هدم هذه القبة زمن الملك عبدالعزيز ﷺ.

(١) رواه البخاري (٤٣٥، ٣٤٦) ومسلم (٥٢٩ - ٥٣٢).

ويَكِلُّ اللسان عما يُفْعَلُ عند قبر حمزة والبقيع وقبا من ذلك القبيل، ويعجز القلم عن بيانه على التفصيل، ولو لم يُذْكَرْ منه إلا القليل:

**وليس يصحُ في الأذهان شيء إذا احتاج النهارُ إلى دليل[1]**

وأما ما يُفْعَلُ في جُدَّة مما عمت به البلوى، فقد بلغ من الضلال والفحش الغاية القصوى، وعندهم قبر طوله ستون ذراعًا عليه قبة، يزعمون أنه قبر حَوَّى[2]، وضعه بعض الشياطين من قديم وهيَّأه وسوَّى، يَجْبُو عنده السَّدَنَةَ من الأموال، كل سنة ما لا يكاد يَخْطُر على البال، ولا يدخل يسلِّم على أمه كل إنسان، إلا مسلِّمًا دراهمَ عاجلًا من غير تَوَانٍ، أيبخل أحد من اللئام فضلًا عن الكرام ببذل بعض الحطام، ويدع الدخول على أمه والسلام!

وعندهم معبد يُسمى العلوي[3]، ونافوا في تعظيمه جميع الخلائق، وأربَوا

(١) البيت للمتنبي.

(٢) وهو من الزعم الكاذب. انظر: «مجلة العرب» (عدد رمضان وشوال، ١٤٠٠هـ). ومما يُذكر هنا: أن شريف مكة عون الرفيق (المتوفى عام ١٣٢٣هـ) لما همّ بهدم القبة المبنية على هذا القبر احتج عليه قناصل الدول الأجنبية، الموجودون في جدة، بدعوى أن حواء ليست أم المسلمين وحدهم بل أم جميع البشر!! «الرحلة الحجازية»؛ للبتنوني (ص ٨١). قلتُ: وهذا من مكرهم، وحرصهم على أن يبقى المسلمون أسرى لهذه الخرافات والشركيات، التي تصرفهم عن الدين الصحيح، والدنيا النافعة.

(٣) أبو بكر بن أحمد الشهير بالعلوي من آل أحمد بن السكران السقاف بن أبو بكر بن علوي بن عقيل بن أحمد بن أبي بكر بن علوي (ت ١١٢٨هـ). له ترجمة في «نزهة الفكر»؛ للحضراوي (١ / ٨٧). وقال عنه - أيضًا - في كتابه« الجواهر المعدة في فضائل جدة» (نقلًا عن مجلة العرب: ١٤ / ١٠٨ - ١٠٩): «وأما قبور الأولياء المشهورون بها - أي بجدة -، فمن أكبرهم شهرة قبر العارف بالله الشيخ العلوية، وهو قريب من باب مكة.. وعليه قبّة عظيمة واسمه أبو بكر بن أحمد الشهير بالعلوي من آل أحمد بن السكران السقاف بن أبو بكر بن علوي بن أبو بكر بن علوي بن عقيل بن أحمد بن أبي بكر بن علوي.. وكان ميلاده بالشِّحر، بلدة من بلاد اليمن معروفة =

في الغلو على تلك الطرائق، فلو دخل قبره قاتلُ نفسٍ أو غاصبٌ أو سارق، لم يُعْتَرَض بمكروه من مؤمن ولا فاسق، ولم يَجْسِر أحد أن يكون مُخرجًا له سائق، أو إلى المساعدة إليه مسارعٌ مسابق، فمن استجار بترتبه أُجير، ولم يُعرِّج عليه حاكم ولا وزير.

وفي سنة عشر بعد المائتين والألف اشترى تاجر من أهل جُدة شهير، من أهل الهند التجار القادمين وأهل الحَسَا مالًا كثير، يزيد على سبعين ألف ريال في التقدير، فوقع عليه بعد أيام انكسار وإفلاس وتغيير، ولم يكن عنده ما يقابل شَطر الذي عليه فهرب إليه مستجير، فلم يتقدم إليه منهم شريف ولا وضيع ولا صغير ولا كبير، وتُرك بيته وما فيه من مال ولم يُرزأ في قليل ولا كثير، حتى اجتمع التجار ورأوا له منهج الإنظار والتيسير، وجعلوا ذلك عليه نجومًا في سنين على التأخير، وكان بعضٌ من أهل الدين بذلك الحال مشير.

---

= سنة نيّف وتسعين وألف، وقدم إلى الحج، وحج وعمره بضع عشرة سنة، وتوفي بجدة سنة ١١٢٨ بعد أن استوطنها مدة، وقبره وضريحه شهير». ونقل الأستاذ محمد علي مغربي رحمه الله كلام الحضراوي عن قبره وبعض القبور بجدة، ثم قال: «كان السذج من الناس يزورون هذه القبور التي ذكرها الحضراوي، والتي كانت منتشرة بمدن الحجاز كلها، وينذرون لها النذور، وهذه كلها من البدع الضالة المضلة التي دخلت على المسلمين، واستغل القائمون على هذه القبور سذاجة الناس وغفلتهم، وجهلهم بالدين الصحيح؛ فأقاموا القباب على هذه القبور، واستولوا على ما يَرِدُ لها من أموال النذور، وكل هذا ليس من الدين الصحيح في شيء، بل هو مدعاة للانحدار إلى هاوية الشرك والعياذ بالله تعالى، فالله تعالى هو الضار وهو النافع، والدعاء يجب أن يكون له وحده تعالى دون وسيط أو شريك، وقد أزيلت هذه القبور وما عليها من القباب، وانتهت تلك البدع الضالة المضلة، حينما قامت الحكومة السعودية - بعد انضمام الحجاز إليها - بإزالة تلك القبور والقباب، فسلمت للناس عقائدهم من الشوائب والانحرافات». «أعلام الحجاز» (٣ / ١٨٤ - ١٨٥).

وأما ما في بلدان مصر وصعيدها، من الأمور التي يُنَزَّه الإنسان عن ذكرها وتعديدها، خصوصًا عند قبور الصلحاء والعُبَّاد من سادتها وعبيدها، كما ذكرها الثقات في نقل الأخبار وتوكيدها، فيأتون قبر أحمد البدوي[1]، وكذا قبور غيره من العباد، وسائر تُرَب المشهورين بالخير والزهّاد، فيستغيثون ويندبون ويعجلونهم بالإمداد، ويستحثونهم على زوال المصيبة عنهم والأنكاد، ويتداولون بينهم حكايات، وينسبون عنهم قضيات، ويحكون في محافلهم ماجريات، من أفحش المنكر والضلالات، فيقولون: فلان استغاث بفلان فأغيث فورًا في ذلك الأوان، وفلان شكا ذلك لصاحب القبر حاله وأمره فأغاثه وكشف عنه ضره، وفلان شكا إليه حاجته فأزال عنه فقره، وأمثال هذا الهذيان، الذي هو زور وبهتان، ويصدر هذا الكلام في تلك البلدان، وهي مملوءة بالعلماء من أهل الزمان، وذوي التحقيق والعرفان، ولا يُزَال ذلك المحظور، ولا يُغَار من صدور تلك الأمور، بل ربما تنشرح منهم له الصدور.

وأما ما يُفْعَل في بلدان اليمن، من الشرك والفتن، قبل هذا الوقت في هذا الزمن، فأكثر من أن يُحْسَب أو يُحْصَى، أو يُعَدّ ويُسْتَقْصَى، أو يُدْرَك له أقصى، فمن ذلك ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر عندهم يسمى الهادي[2]، والكل على

---

(١) الصوفي الشهير، المتوفى سنة ٦٧٥ هـ. انظر لبيان حقيقته، وأنه شيعي متستر، بهدف إعادة الدولة الشيعية لمصر: «السيد البدوي و دولة الدراويش في مصر»؛ لمحمد فهمي عبداللطيف، و«السيد البدوي بين الحقيقة و الخرافة»؛ لأحمد صبحي منصور.

(٢) إمام الزيدية باليمن (ت ٢٩٨هـ). ذكر الدكتور علي سعيد سيف في رسالته «الأضرحة في اليمن من القرن الرابع الهجري وحتى نهاية العاشر الهجري» (ص ١٦١) أن قبره لم يُعمر إلا مابين سنة ٧٣٣هـ إلى سنة ٧٥٠هـ، وهي فترة حكم الإمام الزيدي المهدي لدين الله علي بن محمد، الذي كان أول من بنى مشاهد مقبرة صعدة، على قبور الهادي وبنيه.

دعوته والاستغاثة به رائح غادي، فتأتيه المرأة إذا تعسر عليها الحمل أو كانت عقيمة، فتقول عنده كلمة قبيحة عظيمة، فسبحان من لا يُعَاجل بالمعاقبة على الجريمة.

وأما أهل بلد بُرَع، فعندهم البُرعي[١]، رجل يَرْحَل إلى دعوته، كلُ ناءٍ عن محله وبلدته، ويؤتى إليه من غير إشكال، من مسيرة أيام وليال، لطلب الإغاثة وشكاية المحال، ويقيمون عند قبره للزيارة، ويتقربون بالذبائح عنده كما حقق أخباره، من شاهد حضرته واحتضاره.

وأما أهل الهجرية[٢] ومن حذا حذوهم، فعندهم قبر يسمى ابن علوان[٣]، وقد أقبل عليه العامة في نوائب الزمان، واستغاث به منهم كل لهفان، فهم يلجون به في كل وقت وأوان، ويسميه غوغاهم: مُنَجِّي الغارقين، كما حكاه بعض السامعين، وأغلب أهل البر منهم والبحر، يطربون عند سماع ذكره، ويستغيثون به وإن لم يصلوا إلى قبره، ويُنْذَر له في البحر والبر، وعند أهل بلده وتعظيمه ما يزيد على الحصر، ويفعلون عند قبره السماعات والموالد، ويجتمع عنده أنواع من المعاصي والمفاسد، فليس في أقطار اليمن، في هذا الزمن، من

---

(١) عبدالرحيم بن أحمد، الفقيه الشاعر الصوفي، (ت ٨٠٣هـ). انظر: «طبقات صلحاء اليمن»؛ للبريهي (ص ٤٣ - ٤٤).

(٢) يقول صاحب «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٢ / ١٧٩٩): «تعددت القرى والمناطق التي تحمل اسم (الهَجَر)، وقد كان الحميريون يعنون بهذا الاسم: المدينة أو القرية الكبيرة.. - ثم أخذ في تعدادها -».

(٣) أحمد بن علوان، الصوفي اليمني، (ت ٦٦٥هـ). انظر: «طبقات الخواص»؛ للشرجي (ص ٦٩ - ٧١)، وقال: «وقبره ظاهر معروف، مقصود للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة»! و«هِجر العلم»؛ للأكوع (٢ / ٧٥٠ - ٧٥٨)، وقال: «وقد فُتن به العامة في عهده، وبعد وفاته، وحتى اليوم». وهو من قرية «ذي الجنان» من أعمال تعز.

يساويه في الاشتهار، بل ولا في سائر الأقطار، ولهم في حضرته أمور يفعلونها دينًا، ويتوخَّونها حينًا فحينًا، يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس، وقد جعلها لهم عبادةً إبليس، ويقولون وهم يرقصون، وبما يغنيه طربون، قد ملأ الوجد منهم ألبابًا وذهنًا: يا سادتي قلبي بكم مُعَنّى!

وأما حال حضرموت والشَّحر[١]، ويافع[٢] وعدن، فقد ثوى فيهم الغَيُّ وقَطَن، وعندهم العَيْدَرُوس[٣]، يُفعل عند قبره من السفه والضلال الوبيل، ما يغني مجمله عن التفصيل، ويقول قائلهم: شيء لله يا عيدروس، شيء لله يامحيي النفوس!

وأما بلدان الساحل، فعندهم من ذلك مسائل، فعند أهل المَخَا[٤]: علي بن عمر الشاذلي[٥]، أكثرهم بدعوته والاستغاثة به قد ابتُلِي، لا تفتر ألسنتهم عن ذكره قعودًا أو قيامًا، ويتتابون تربته وحدانًا وقيامًا.

---

(١) مدينة على ساحل بحر العرب، بين عدن وعُمان.

(٢) مدينة تقع شمال شرق عدن، على ساحل بحر العرب.

(٣) أبوبكر بن عبدالله العيدروس (ت ٩١٤هـ). انظر ترجمته في «الأعلام» (٢ / ٦٦)، و«تاريخ الشَّحر»؛ لبافقيه (ص ٨٣ - ٨٦)، وقال: «وقبره في عدن، يُزار، ويُتبرك به»! وجاء في «صحيفة ٢٦ سبتمبر» اليمنية (العدد ١٠٥٦): «وعندما توفي الشيخ العيدروس دُفن في نفس المكان، وبني فوق ضريحه قبة الى الشمال من المسجد، وما يزال أهالي عدن وغيرهم من اليمنيين يقومون حتى الآن بزيارة الإمام العيدروس في ١٣ ربيع الثاني من كل عام هجري..»! وانظر رد الشيخ سليمان بن سحمان ﷺ على من توسل به، في ديوانه (٣ / ١١٢).

(٤) إحدى مدن محافظة تعز في اليمن، تقع على ساحل البحر الأحمر.

(٥) (ت ٨٢٨هـ)، انظر ترجمته في «طبقات صلحاء اليمن»، (ص ٢٦٤ - ٢٧٠)، و«الزيارات والأولياء في تهامة»؛ للصوفي المعاصر عبدالله خادم العمري (ص ٦٥ - ٦٦).

وأما أهل الحُديدة، فعندهم الشيخ صدّيق[١]، أقبل على تعظيمه والغلو فيه كل فريق، وقد أدَّى بهم الأمر والحال، وأوداهم الشيطان في هوة وضلال، إلى أنه لا يمكن أحد يريد ركوب البحر، أو يريد منه النزول إلى البر، حتى يجيء إليه، ويُسلم فورًا عليه، ويطلب منه الإعانة والمدد، فيما أراده وقصد.

وأما أهل اللُّحَيّة[٢]، فعندهم الزيلعي[٣] من غير لبس، واسمه عندهم الشمس؛ لأن قبره ليس عليه قبة بل مكشوف، وكان إليه جميع النذر مصروف، وهم فيه أظلم وأطغى، وفي تعظيمه ودعوته أضل وأبغى، وأهل البادية منهم تؤثر حكاية عنهم، وهي أنه كان رسولًا في حاجة، فأراد أن يدخل بلده والشمس متدلية للغروب، وكان دخول النهار له مقصود ومطلوب، فقال للشمس: قفي. فوقفت، وسمعت قوله وامتثلت. هكذا ذكر بعض الرجال، والله أعلم بحقيقة الحال.

وقبر رابعة عندهم مشهور[٤]، لا يحلفون صدق اليمين إلا بها، وغير ذلك من الأمور.

---

(١) صديق بن علي بن أبي الفتح، الصوفي الشاذلي (ت ١٠٣١هـ). انظر ترجمته في: «الزيارات والأولياء في تهامة»؛ للصوفي المعاصر عبدالله خادم العمري (ص ١٨٥ - ١٩١)، وانظر: «القبورية في اليمن»؛ للشيخ أحمد المعلم (ص ٣٨٠)، وصحيفة «٢٦ سبتمبر» اليمنية (العدد ١٢١٦).

(٢) تصغير لحية، مدينة ساحلية تقع إلى الشمال من مدينة الحديدة بمسافة ١٢٠كم.

(٣) أحمد بن عمر الزيلعي (ت ٧٠٤هـ). انظر عنه: «طبقات الخواص» (ص ٧٤ - ٧٧)، و«البدر الطالع» (٢ / ١٧٤)، و«هجر العلم» (٤ / ١٩٢٩ - ١٩٣٠)، وبحث «بنو الزيلعي العقيليون، أصحاب اللُّحَية، وانتشارهم في تهامة اليمن، وجنوب غرب المملكة العربية السعودية»؛ للدكتور أحمد بن عمر الزيلعي. «مجلة المؤرخ العربي»، (العدد ١٢ - المجلد الأول - مارس ٢٠٠٤م)، و«الزيارات والأولياء في تهامة»؛ للصوفي المعاصر عبدالله خادم العمري (ص ٢١٧).

(٤) لم أعرفه. وقبر رابعة العدوية موجود بالقدس.

وعندهم الطامة العظيمة، والمعضلة الجسيمة، وهي في أراضي نجران، وما يليها من البلدان، وما حولها من الأعراب والبدوان، وهو الرئيس المعروف عندهم[١]، السيد المتقدم في رياستهم وسياستهم، والمطلق فيها والمقيد، فلقد أتوا من تعظيمه وتوقيره، وتقديمه في جميع الأمور وتصديره، وقبح الغلو فيه والاعتقاد، ما أفضى بهم إلى طريقة الضلال والإلحاد، فصرفوا له من أنواع العبادة سهمًا، وجعلوا فيه للألوهية وسمًا، حتى كادوا أن يجعلوه لله ندًّا وقسمًا، وكان عندهم بذلك الحال شهيرًا، فتعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وأما ما في حلب ودمشق وأقصى الشام وأدناه، فهو مما لا يوقف له على حد، ولم يمكن ضبط أقصاه، ولا يُعرف قدره ومنتهاه، ولو استفرغ الإنسان في ذلك قُصَاراه، بحَسَب ما يحكيه من يشاهد ذلك أو يراه، من العكوف على عبادة القبور، وصرف القربان إليها والنذور، والمجاهرة بالفسوق والفجور، وأخذ الأمكاس والدستور[٢]، ووضع الخراج على البغايا من تلك المهور.

وفي الموصل وبلدان الأكراد، وما يليها من سائر البلاد، وكذا في العراق خصوصًا المشهد وبغداد، ما لا يحتاج إلى حصر وتعداد، فيُفعل عند قبر الإمام أبي حنيفة ومعروف الكرخي والشيخ عبد القادر، رضي الله تعالى عنهم، من الدعاء والاستغاثة بهم ومنهم في سائر الأوقات والأزمان، ما لا يُعرف له صفة ولا شان، وتُسْفَح عندهم العبرات والدموع، ويحصل من التعظيم والتذلل عندهم والخضوع، أعظم مما يصدر بين يدي الله في الصلاة في الحضور

---

(١) أي عند الإسماعيلة، إحدى فرق الشيعة الغلاة. انظر لمعرفة عقائدهم وغلوهم في سيدهم: رسالة «أصول الإسماعيلية»؛ للدكتور سليمان السلومي.

(٢) الدستور: يُطلق على كل قانون غير شرعي.

والخشوع، بل كثير ممن فعل ذلك مرارًا وجرَّب، هم لقضاء الحوائج ترياق مُجَرَّب.

وأما مشهد علي بن أبي طالب، رضي الله عنه[١]، فقد صيرته الرافضة وثنًا يُعْبَد، ويُدْعَى بخالص الدعاء دون من ذَرَأ الخلق وأوجَد، ويُصَلَّى له في قبته ويُرْكَع ويُسْجَد، وليس في صدور أولئك الضُلال وغيرهم من الجهال، وذوي الفسق والضلال، من التعظيم والهيبة والإجلال، لذي الفضل والنَّوَال، مِعْشَار ما فيها لعلي رضي الله عنه، من غير إشكال، ولا إسراف ولا إفراط في المقال، فتراهم يحلفون الأيمان الكاذبة بالله، ولا يخاف أحدهم مولاه، ولا يراقبه سرًّا وجهرًا ولا يخشاه، ولا يحلف بعليّ كاذبًا أبدًا، يُعظم بذلك حِمَاه، فلا ينتهك ذلك ويتعداه، ويجزمون أن عنده مفاتح الغيب، من غير شك، قبحهم الله، ولا ريب؛ ولهذا يقولون إن زيارته أفضل من سبعين حجة، وكفى بما ذكرناه وفي خروجهم عن الإسلام حُجة، وإخراجهم عن واضح السَّنَن والمَحَجّة، ولقد غَلَوْا فيه وأتَوْا من الشرك القبيح، أعظم مما فعل النصارى بالمسيح، سوى دعوى الولدية، فلم تصدر من هذه البرية، وساووهم أو زادوا عليهم في غيرها من الخصائل الردية، وزخرفوا على قبره الذي يدعونه قبة مذهبة، وخالفوا هديه رضي الله عنه ومذهبه، ولقد كان في حياته حرَّق ممن غلا فيه أناس، فما أغناهم عن انتهاج منهج الضلال والإبلاس.

ومثل ذلك ما يُفْعَل من الشرك والمنكر والشَّيْن، عند مشهد الكاظم ومشهد

---

(١) وهو مشهد مكذوب! قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (١٧ / ٥٠٠): «وكذلك مشهد علي رضي الله عنه، إنما أُحدث في دولة بني بويه، وقال محمد بن عبد الله مطين الحافظ وغيره: إنما هو قبر المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه إنما دُفن بقصر الإمارة بالكوفة».

الحسين، فعندهم من التعظيم لهما والعبادة والوقار، والملازمة لذلك بالعشي والإبكار، والإقبال على ذلك سائر الأحوال والإكثار، أجَلّ وأكثر مما عندهم لله الواحد القهار، ولقد شَبّ فيهم على ذلك الكفر، وقبيح ذلك المنكر والفُجر، الرعاعُ والأطفال، وشاب عليه الصغار من الرجال، فلا يُسْمَع في سائر الأحوال، بين أولئك السفلة الأنذال، والأرذال الضُّلّال، ذِكْرٌ لرب العزة والجلال، وإنما دَيْدَنُهُم ذكرُ عليٍّ والحسين وبقية الآل.

وأما جميع قرى الشط والمجرة، فقد لبسوا ثياب الشرك والضلال والمَعَرّة، بل كانوا أهله وأصله ومَقَرَّه.

وكذلك ما حول البصرة وما توسط فيها، من تلك القُبَب والمشاهد، التي أصبح كلٌّ إليها مُقْبِل وقاصد، لا سيما قبر الحسن البصري والزبير، ﷺ، فقد طلبوا الفرج منهما، وصرفوا لهما من العبادة والدعاء والاستغاثة عند الشدائد، وطلبوا منهما جميع الفوائد، وليس لهذا مُنْكِر ولا جاحد، سوى ما يَصْدُر وما يُشَاهَد، في تلك البلدان من المنكرات والفواحش والمفاسد، ولا يَجْحَد ذلك إلا مُبَاهت معاند.

وأما ما في القَطِيف والبحرين من البدع الرَفضية، والأمور القبيحة الشركية، والمشاهد المعظمة الوثنية، وما يفعله أولئك الضُّلّال والأنجاس، من الضلال والغَيّ والإبلاس، وما يأتونه من الشرك والأرجاس، فلا يكاد يخفى على أحد من الناس، ويقف دون ساحل إحصائه الإدراك، ويُقصر عن مقتضاه ونظمه في هذه الأسلاك، وما يجحد ذلك إلا كُلُّ مُعْتَدٍ أَفَّاك.

وإذا رأى أفعالهم كل عارف بالإيمان، وشاهده بالرؤية والعيان، تبين له غربة الدين في هذا الزمان، وزاد بصيرة في دينه وإيقان، وجَدَّ في طاعة سيده ومولاه، وحمده على ما خوّله وأعطاه، وسارع في خدمته ورضاه، وبادر إلى القيام

بوظائف العبودية فيما أمره ونهاه، وأكثر مِن شُكره على ما منحه من فضله وحَبَاه، وجعله من حزبه الفائزين، الذين هم لديه مقربون ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ وتَحدَّث لدى الناس بنعمة الله، وألزم بذلك جَنَانَه ولسانَه وفاه، ونادى برفيع صوته وفاه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وسأل ربه ودعاه، فهو الذي أنقذه من الضلال ونجاه، وسلك به سبل الهداية ونجاه، وقال في الدعاء والمناجاة: ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٤ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ﴾ صارت الحظوظ الدنيوية، والشهوات النفسية، لهم هي الغاية والمقصد والمراد، وكان ذلك - والعياذ بالله - هو السر لهم في الخلق والإيجاد، وغفلوا عما في ذلك من الوعد والإيعاد، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ويتأمل العارف الخبير، ذو القلب المنور البصير، افتراق الجزأين في المآل والمصير: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾.

**فوائد:**

**الأولى**: يجب على كل كَيِّس، وهو من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، أن يهتم بما كلفه الله تعالى ويعتني بتخليص نفسه قبل الفوت، ويَدْأَب فيما يورثها النعيم السرمدي والكرامة، في دار الخلود والمقامة، وذلك بتجريد التوحيد لله تعالى والتنصل من الشرك والسلامة، ويسعى مُشمِّرًا في إصلاح شأنه، وينظر ما وقع في التفرق في الدين والاختلاف في أهل زمانه، وما جرهم إليه الشيطان باستدراجه لهم وأعوانه، حتى أخذ بهم سَنَن ضلاله وخذلانه، وطوَّح بهم في بيداء طرده وهوانه، فكَرَعُوا في حياض الآباء والجدود، ورَتَعُوا في رياض

المحرمات والحدود، وتَدَيَّن الأكثر بالبدع والهوى، ورفضوا حبل الله المتين الأقوى، وقالوا: لا نصل إلى معناه ولا نقوى، ورأوا هجره ورفضه هو الغاية القصوى، في التحلي بحلية الورع والتقوى، فأُلْقُوا من الهوان في القعر الأهوى، وصار ذلك من الله تعالى حتمًا مقضيًا، وقدرًا مقدورًا أزليًا، وبرهانًا لما أخبر به ﷺ واضحًا جليًّا، ومصداقًا لما وعد به ﷺ فوعده يكون مأتيًا.

فقد أخبر ﷺ أن أمته تتبع سَنَنَ مَن كان قبلهم، كاليهود والنصارى وفارس والروم، كما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن!**»[(١)].

وخرَّج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرًا بشبر وذراعًا بذراع**» فقيل: يا رسول الله، فارس والروم؟ قال: «**ومن الناس إلا أولئك!**»[(٢)].

فأخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، أن أمته تفعل كفعل اليهود والنصارى، وهم أهل الكتاب وفارس والروم، وهم الأعاجم، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾، وأنهم عبدوا العجل والطواغيت، وآمنوا بالجبت والطاغوت، ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ من كتب السحر، وأنهم قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ و﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾، وأنهم كفروا بمحمد ﷺ وعادَوْهُ وأبغضوه بعد معرفته، ونبذوا ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦).

ﱡﭐﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘﱠ، وأنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، وأنهم ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾، وأنهم كفروا بدين الرسول ﷺ بغيًا وحسدًا للعرب أن خصّهم الله تعالى بهذه الفضيلة العظيمة، والمنة الجسيمة، لأنهم كانوا يستفتحون على كفار العرب بمحمد ﷺ ويقولون: هذا أوان نبي قد أظل زمانه، فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم. كما ذكر ذلك ابن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازي[١] فلما بعث الله محمدًا ﷺ من العرب، وصار أتباعه من العرب، كفروا به وأبغضوه بغيًا وحسدًا، ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، فلا بد أن يوجد في هذه الأمة من يفعل فعل اليهود والنصارى وفارس والروم.

وفي حديث الثوري وغيره، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعُم الأفريقي، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية كان في أمتي من يفعل ذلك. وإن بني إسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[٢] رواه أبو عيسى الترمذي وقال: هذا حديث غريب مفسّر، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وهذا الافتراق مشهور عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص ومعاوية وعمرو بن عوف الأشجعي وغيرهم.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، وحسنه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٥٣٤٣) دون قوله «حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية كان في أمتي من يفعل ذلك» فقد ضعفه.

فعن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»[١] رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال: هذا حسن صحيح.

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة**» يعني أهل الأهواء «**كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**»، وقال: «**إنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله، والله يا معشر العرب، لئن لم تقوموا بما جاء به محمد ﷺ لَغَيْرُكُم من الناس أحرى أن لا يقوم به**»[٢].

هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو، عن الأزهر بن عبد الله الرازي، عن أبي عامر عبد الله بن لُحَيٍ، عن معاوية.

ورَوَاه غيرُ واحد، منهم أبو اليمان وبقية وأبو المغيرة، رواه الإمام أحمد، وأبوداود في سننه.

وقد روى ابن ماجه هذا المعنى من حديث صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عوف بن مالك الأشجعي[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٨) والترمذي (٢٦٤٠) وابن ماجه (٣٩٩١)، وصححه الشيخ الألباني (الصحيحة ٢٠٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٠٢) وأبو داود (٤٥٩٧)، وحسنه الشيخ الألباني (الصحيحة ٢٠٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢) وصححه الشيخ الألباني (الصحيحة ١٤٩٢).

ويُرْوَى من وجوه أُخَرَ.

فقد أخبر ﷺ بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقةً، والثنتان والسبعون لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوص الذين مِن قبلهم، قال الله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَـٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾.

وقد ذكر أهل التفسير عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال: ما أشبَهَ الليلةَ بالبارحة! هؤلاء - بني إسرائيل - شُبِّهنا بهم، والذي نفسي بيده لَتَتَّبِعُنَّهُم، حتى لو دخل الرجل منهم جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه![١]

وعن ابن مسعود، رضي الله عنه: أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتًا وهديًا، تتبعون أعمالهم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟[٢]

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد النبي ﷺ. قلنا: وكيف؟ قال: أولئك كانوا يُخْفُون نفاقهم، وهؤلاء أعلنوه[٣].

**الثانية**: قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم»:

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٤٢).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٨١).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ١٠٩) وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ١٣٤) من قول عبد الله بن مسعود.

هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي ﷺ إما في الدين فقط، وإما في الدين والدنيا معًا، ثم قد يؤول إلى سفك الدماء، وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط، وهذا الاختلاف الذي وردت به هذه الأحاديث هو مما نهى الله تعالى عنه في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الآية، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ومنشأ هذا الاختلاف من جهة عدم العمل بالعلم، كالذي يعرف الحق من الباطل ويميز بينهما، ولا يَتّبِعُ ذلك فعلًا ولا قولًا ولا عملًا، وإما من جهة العمل بلا علم، فيجتهد في أصناف العبادة بلا شريعة من الله، ويقول على الله تعالى بلا علم، فالأول مِن مشابهة اليهود الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ والثاني مِن مشابهة النصارى الغالِينَ في الدين، والقائلِين فيه غيرَ الحق، والضالِّين عن سواء السبيل.

وقد ابتلى الله تعالى طوائف من هذه الأمة من المنتسبين إلى العلم بما ابتلَى اليهودَ؛ من حب الدنيا وإيثارها وكتم الحق، فإنهم تارة يكتمون العلم بُخلًا به، وكراهة أن ينال غيرُهُم من الفضل ما نالوه، وتارة اعتياضًا برياسة أو مال، فيخاف من إظهاره انتقاصَ رياسته أو مالِهِ، وتارة يكون قد خالَفَ غيرَه في مسألة واعتَزَى إلى طائفة قد خُولِفَت في مسألة، فيَكْتُم من العلم ما فيه حجةٌ لمخالِفِه، وإن لم يتيقن أن مخالفه مُبْطِل، ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: أهل العلم يكتبون ما لهم وعليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم. وكان السلف ﷺ، ابن عيينة وغيره، يقولون: إن مَن فسد مِن علمائنا ففيه شَبَهٌ من اليهود،

ومَن فَسَدَ مِن عُبَّادنا ففيه شَبَهٌ من النصارى. انتهى كلامه رحمه الله تعالى[١].

وليس الغرضُ استيعابَ ما وقع من الاختلاف والافتراق، واستقصاءَ ما صدر فيه النزاع والشقاق، وما وقعت فيه المشابهة والمضاهاة، فهذا يَحْجُم جَوَادُ الفهم عن دَرَكِ أدناه، ولا يَسَع استيفاؤه على الإجمال دون التفصيل، لا سيما إن انضم إلى ذلك تحريفُ التأويل، وتأويل التنزيل، وإنما القصدُ من ذلك جَلْبُ شَذَرةٍ يُمْعِن فيها اللبيب فِكْرَه، ويأخذ منه نِذَارَتَه وحَذَرَه، في هذا الزمان الذي مَن تمسَّك بدينه فيه يكون كالقابض على جَمْرِه، فيجب عليه أن يُلْزِمَ نفسه على ذلك صَبْرَه، حتى يُعْظِمَ مولاه له أَجْرَه، ويتضرع إلى الرحمن الرحيم، أن يَهديه الصراط المستقيم، ويُقيمه على السَّنَن القويم ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

فقد، والله، ضَخُمَ الأمرُ وجَسُم، وتفاقم الأمر وعَظُم، وأطلت الفتن، وأطلت المحن، في هذا الوقت والزمن، وظُوهِرَ على الضلال والبدع، والكثير إلى منهاجها نَزَع، وقل الاكتراث والمبالاة في الدين، وكَثُر سَوَاد الُمبْطِلين، وحُكِم على غير برهان ويقين، بتضليل الدعاة الموحِّدين، وإبطالِ ما كانوا له متجرِّدين، من الدعوة لرب العالمين ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ هذه دعوة رب الأرباب، التي نفت الوسائطُ دونه الارتياب، واستبيحت عندها الأموال والرقاب، وافترق الناس فيها بين حلول الجنة وحُسْنِ المآب، والخلود في الهاوية دار العذاب، الُمعَدَّة لأعداء الله من الجنة والناس أجمعين ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ

(١) كلام شيخ الإسلام ابن تيمية مجموع من عدة مواضع (اقتضاء الصراط المستقيم ٣/ ٧، ١٣ و ٤/ ٤٦ - ٤٧).

لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ولا يَبْعُدُ أن يكون زماننا هذا الموجود، داخلًا في جملة الزمان الموعود، فأرجو لِمَن استقام فيه على السَّنَن المحمود، أن يجعل الله تعالى له في العمل أجر خمسين، كما ورد عن سيد المرسلين[١] ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

**الفائدة الثالثة**: أطبقت الأمة، واتفقت المقالة، أن الله تعالى لا يجمع هذه الأمة على ضلالة، ولا يَعُمُّها بالسفاهة والجهالة، فعِصْمَتُها مستمرة إلى انقضاء الأمد، لا يُنْكِر ذلك ولا يَجْحَدُه أحد، كما ثبت ذلك في صحيح الأخبار، ونقلته العدول الأخيار، عن النبي المختار[٢].

وأخبر أيضًا أن في أمته أناسًا لا يزالون بهديه يستمسكون[٣] وفيها بل أكثرهم

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤٣) والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤) عن أبي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ قَالَ قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**» وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ٣١٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٧٢٩) من حديث ابن عمر مرفوعا: «**إن الله تعالى لا يجمع أمتي على ضلالة**» وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٨٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**».

مخطئون، وعن هديه ومنهاجه منحرفون، وهذا الاختلاف وصدور الانحراف، مما زيَّنه الشيطان وتقاضته الطباع، وصار للنفوس إلى ذلك إسراع بعد إزماع، حتى إن ذلك يوجد من بعض العلماء المنتسبين إلى أحد المذاهب المتعصبين، فلا يقبلون من الدين رأيًا ولا روايةً، إلا ما كان لأصحابهم به عمل أو دراية، فيرفض السَّنَنَ الذي أُمِرَ جميعُ الناس بالاستمساك به والاتباع، ويأخذ بهدي أو اختيار بعض الأتباع، ولو تبين له وعرف الحق من غير مذهبه واتضح، ما عَرَّجَ عليه ولا ارتضاه ولا جَنَح، ولا صَدَع بذلك ولا صَدَح.

والواجب على كل إنسان ممن اتصف بصفة الإيمان، أن يُقبل على الحق ويعمل به ممن كان، ولا تحمله الغيرة القلبية، والشهوة المذهبية، على العناد والعصبية، كما يوجد من بعض أهل المذاهب، حَمَلَه التعصب على الطعن - والعياذ بالله - في الأئمة والمثالب.

وترى كثيرًا ممن يدعي العلم والمعرفة، وكذلك من المتعبدة والمتصوفة، لا يَسْلَم بعضهم من بعض، ولا يكون لأعراضهم رفض، بل لا يَعُدُّهم ذلك العالم إلا ضُلَّالًا جُهَّالًا، والعابدُ يرى طريقة العلم سفاهة وضلالًا، ويدعي أن العلماء لم يَشربوا من صافي الشريعة زُلَالًا، ولم يَرِدُوا مِن مَعِينها سَلْسَالًا، ولم يدركوا من الحضرة وصولًا واتصالًا، ولم يُلْقُوا منه قبولًا وإقبالًا، ولقد جاء كلٌّ من أولئك مُحَالًا، وقد ضلوا واللهِ ضلالًا بعيدًا، ولم يقولوا قولًا سديدًا، وإنما الحق والصواب ما جاءت به السنة والكتاب، وما قاله وعمل به الأصحاب، وما اختاره الأئمة الأربعة المقلَّدة في الأحكام المتَّبعة، فقد انعقد على صحة ما قالوه الإجماع، ولا يخرج عنهم إلا مَن رام سَنَنَ الابتداع، فمَن اهتدى بهم بعد الكتاب والسنة فقد رَشَد واهتدى، ومَن فارق ذلك فقد ضَلَّ واعتَدَى.

وللإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر، الذي شاع علمه في الأقطار، وطبق

الأرض في الشهرة والاشتهار، مصنَّف سماه «كتاب العلم»[١] أوعَبَ الكلام فيه على السنة والقرآن، وصرَّح بوجوب التمسك بهما على كل إنسان، خصوصًا ذوي الفضل والشان، في كل قطر وعصر وزمان، ولم ير التقليد من المنهج السديد، إلا فيما لا بد منه ولا غنى للشخص منه عند تعسر الدليل وفقده، وعدم استيفاء له في وُجده[٢].

ولشمس الدين ابن القيم في «إعلام الموقعين» ما يَشْفِي صدور المجتهدين، مِن رَدِّ حُجَج المقلِّدين.

وللأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، وكان مشهورًا بالعلم والفهم، وله من صناعة الشعر أوفَرُ سَهْم، قصائد كثيرة في هذا المعنى، نَهَجَ فيها المنهج الأسنى، فأحببت أن أُثبت فيها «البائية» في هذا الكتاب، لما حَوَتْهُ مِن فَصْلِ الخطاب، وأجاد القول فيها وأصاب، ونصها[٣]:

**أمَا آن عمَّا أنت فيه مَتَابُ ... وهل لك مِن بَعْدِ البُعاد إيَابُ**

**تَقَضَّت بك الأعمار في غير طاعة ... سوى عمل تَرضاه وهو سرابُ**

**إذا لم يكن لله فِعْلُك خالصًا ... فكل بناء قد بَنَيْتَ خرابُ**

**فللعمل الإخلاص شرط إذ أتى ... وقد وافَقَتْهُ سنة وكتابُ**

---

(١) اسمه الكامل: «جامع بيان العلم وفضله ومايبنغي في روايته وحمله».

(٢) قال رحمه الله تحت «باب: فساد التقليد ونفيه، والفرق بين التقليد والإتباع» (ص ٤٤٦): «هذا كله لغير العامة، فإن العامة لابد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها؛ لأنها لا تبين موقع الحجة، ولا تصل بعدم الفهم إلى علم ذلك؛ لأن العلم درجات، لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها، وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة، والله أعلم، ولم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها..».

(٣) ديوان الصنعاني (ص ٦٥ - ٦٨).

وقد صِين عن كل ابتداع وكيف ذا وقد طَبَّق الآفاقَ منه عُبَابُ
طغى الماء من بحر ابتداع على الورى فلم ينجُ منه مركب ولا ركابُ
وطوفان نوح كان في الفلك أهله فنجَّاهم والغارقون تَبَابُ
فأنَّى لنا فَلَكٌ يُنَجِّي ولَيْتَهُ يطير بنا عما نراه غُرَابُ
وأين إلى أين المطار وكلُّ ما على ظهرها يأتيك منه عُجَابُ
نسائل من دار الأراضي سياحة عسى بلدة فيها هُدىً وصوابُ
فيُخْبِر كَلٌّ عن قبائح ما رأى وليس لأهليها يكون مَتَابُ
لأنهمُ عَدُّوا قبائح فعلهم محاسنَ يُرْجَى عندهن ثوابُ
كقوم عراة في ذُرَا مصر ما ترى على عورة منهم هناك ثيابُ
يدورون فيها كاشفين لعورة تَوَاتَرَ هذا لا يُقال كِذَابُ
يَعُدُّونهم في مصرَ من فضلائهم دعاؤُهُمُ فيما يَرَون مُجَابُ
وفيها وفيها كلُ ما لا يَعُدُّه لسان ولا يدنو إليه خطابُ
وفي كل مصرٍ مثل مصرَ وإنما لكلٍّ مسمّى والجميع ذئابُ
ترى الدين مثل الشاة قد وثبت له ذئابٌ وما عنه لهنَّ ذَهَابُ
لقد مزَّقَتْه بعد كل ممزَّق فلم يبق منه جثة وإهابُ
وليس اغتراب الدين إلا كما ترى فهل بعد هذا الاغتراب إيابُ
فيا غربة هل يُرْتَجَى منك أَوْبَةٌ فيُجبر من هذا البُعاد مُصَابُ
فلم يبق للراجي سلامة دينه سوى عزلة فيها الجليس كتابُ
كتاب حَوَى كل العلوم وكلّ ما حواه من العلم الشريف صوابُ
فإن رُمْتَ تاريخًا رأيت عجائبا ترى آدمًا إذ كان وهو ترابُ
ولاقيت هابيلًا قتيل شقيقه يواريه لَمَّا أن رآه غراب
وتنظر نوحًا وهو في الفلك إذ طغى على الأرض من ماء السحاب عُبَابُ

وإن شئت كل الأنبياء وقومهم وما قال كلٌ منهم وأجابوا
ترى كل ما تَهْوَى وفي القوم مؤمن وأكثرهم قد كذبوه وخابوا
وجنات عدن حورها ونعيمها ونار بها للمسرفين عذابُ
فتلك لأرباب التقى و هذه لكل شقيٍّ قد حواه عقابُ
وإن تُرِدِ الوعظ الذي إن عَقَلْتَه فإن دموع العين عنه جوابُ
تجده وما تهواه من كل مشرب فللروح منه مطعم وشرابُ
وإن رُمْتَ إبراز الأدلة في الذي تريد فما تدعو إليه مُجَابُ
تدل على التوحيد فيه قواطع بها قُطِعَت للملحدين رقابُ
وفيه الدواء من كل داء فثق به فوالله ما عنه ينوب كتابُ
وما مطلب إلا وفيه دليله وليس عليه للذكي حجابُ
ولكنَّ سكان البسيطة أصبحوا كأنهم عمَّا حواه غِضَابُ
فلا يطلبون الحق منه وإنما يقولون من يتلوه فهو مُثَابُ
فإن جاءهم فيه الدليل موافقًا لما كان للآباء إليه ذهابُ
رَضَوه وإلا قيل هذا مؤول ويركب في التأويل فيه صعابُ
تراه أسيرًا كل حَبْر يقوده إلى مذهب قد قررته صِحَابُ
أتعرض عنه عن رياض أريضة وتعتاض جهلًا بالرياض هِضَابُ
يريك صراطًا مستقيمًا وغيره مفاوز جهل كلها وشعابُ
يزيد على مَرِّ الجديدَين جِدّة فألفاظه مهما تَلَوْتَ عَذِابُ
وآياته في كل حين طرية وتبلغ أقصى العمر وهي كِعَابُ
ففيه هدى للعالمين ورحمة وفيه علوم حجة وثوابُ
فكل كلام دونه القشر لا سوى وذا كلُّه عند اللبيب لُبَابُ
دعوا كل قول غيره وسوى الذي أتى عن رسول الله فهو صوابُ

وعَضُّوا عليها بالنواجذ واصبروا عليه ولو لم يبق في الفم نابُ
تروا فيه ما ترجون من كل مطلب إذا كان فيكم همة وطِلَابُ
أطيلوا على السبع الطوال وقوفكم تَدِرُّ عليكم بالعلوم سحابُ
فكم من ألوف في المِئِين فكن بها ألوفًا تجد ما ضاق عنه حسابُ
وفي طي أثنا المثاني نفائس يطيب لها نشر ويُفتح بابُ
وكم من فصول في المفصَّل قد حوت أصولًا إليها للذكي مآبُ
وما كان في عصر الرسول وصحبه سواه الهدى للعالمين كتابُ
تلا فُصِّلَت لما أتاه مجادل فأبلس حتى لا يكون جوابُ
أقر بأن القران فيه طلاوة ويعلو ولا يعلو عليه خطابُ
وأدبر عنه هائمًا في ضلاله يدبِّر ما ذا في الأنام يُعَابُ
وقد قال وصي المصطفى ليس عندنا سواه وإلا ما حواه قِرَابُ
وإلا الذي أعطاه فهمًا إلهه بآياته فاسأل عساك تُجَابُ
فما الفهم إلا من عطاياه لا سوى بل الخير كل الخير منه يُصَابُ
سليمان قد أعطاه فهمًا فناده يجبك سريعًا ما عليه حجابُ
وسل منه توفيقًا ولطفًا ورحمةً فتلك إلى حسن الختام مآبُ

**الفائدة الرابعة**: في بيان ما جرى في غربة الإسلام، التي وعد بها خير الأنام، وأخبر بوقوعها قبل انقراض الأيام، وكان ذلك منه عليه الصلاة والسلام بإلهام من الله تعالى له وإعلام، فوقع ذلك وصدر، وبدا محياه وظهر، كما نطق به الأثر، وأفصح به الخبر[1].

---

(١) ينقل ابن غنام هذه الفائدة الرابعة من كتاب «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة»؛ لابن رجب رحمهما الله، بتصرف.

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**»[١].

وقد رواه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث ابن مسعود بزيادة في آخره، وهي: قيل: يا رسول الله، من الغرباء؟ قال: «**الذين يُصلِحُون إذا فسد الناس**»[٢].

وخرَّجه غيره، وعنده: قال: «**الذين يفرّون بدينهم خوف الفتن**»[٣].

وخرجه الترمذي من حديث كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ: «**إن الدين بدأ غريبًا ويرجع غريبًا، فطوبى للغرباء الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي**»[٤].

وخرجه الطبراني من حديث جابر عن النبي ﷺ وفي حديثه: قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «**الذين يصلحون حين يفسد الناس**»[٥].

وخرجه أيضًا[٦] من حديث شريك بن سعد[٧] بنحوه.

---

(١) صحيح مسلم (١٤٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٧٣) بهذا اللفظ من حديث عبد الرحمن بن سَنَّة الأشجعي.

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١٦٨) من حديث عبد الله بن عمرو، ﷺ، موقوفًا قال: أحب شيء إلى الله تعالى الغرباء. قيل: أي شيء الغرباء؟ قال: الذين يفرون بدينهم، يجمعون إلى عيسى بن مريم ﷺ. وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٧١).

(٤) الجامع للترمذي (٢٦٣٠) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٤٤١).

(٥) المعجم الأوسط (٤٩١٥).

(٦) في المعجم الكبير (٦ / ٢٠٢). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٧٨): «رجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة».

(٧) الصواب: سهل بن سعد؛ كما عند الطبراني، وابن غنام تابع الحافظ ابن رجب على هذا الوهم؛ لأنه ينقل من كتابه «كشف الكربة في وصف حال أهل الغُربة» (ص ١٥).

وخرجه الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ حديثه: «**فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس**»[١].

وخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «**طوبى للغرباء**» قلنا: وما الغرباء؟ قال: «**قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**»[٢].

وروي عن عبد الله بن عمرو، مرفوعًا وموقوفًا، في هذا الحديث: قيل: ومن الغرباء؟ قال: «**الفراورن بدينهم، يبعثهم الله تعالى مع عيسى بن مريم** ﷺ»[٣].

ومعنى ظهور الإسلام غريبًا أن الخلق قبل مبعثه ﷺ على ضلالة، فدعا إلى الإسلام، فلم يستجب له إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة، وكان المستجيب له خائفًا من عشيرته وقبيلته، ويؤذى ويشرد ويعذب ويقتل، فيهربون إلى البلاد النائية، كالحبشة، ثم إلى المدينة بعد الهجرة، فصار الداخلون قبل الهجرة غرباء، ثم أتم الله تعالى نعمته على المسلمين، وأكمل لهم الدين، وقُبِضَ سيد المرسلين، فاستمروا على الاستقامة والتعاضد والنصرة في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، حتى أعمل الشيطان مكائده على المسلمين، وألقى بأسهم بينهم، وأفشى فيهم فتنة الشهوات والشبهات، فاصطاد الأكثر بهما معًا أو بإحداهما، فكان ذلك كما أخبر به النبي ﷺ.

وفي صحيح البخاري عن عمرو بن عوف عن النبي ﷺ قال: «**والله ما الفقر**

---

(١) المسند (١/ ١٨٤)

(٢) المسند (٢/ ١٧٧) والمعجم الأوسط (٨٩٨٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٣٩٢١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٥) مرفوعًا، وقد تقدم الموقوف قبله بقليل.

**أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم، كما بُسطت على مَن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلككم كما أهلكتهم»**[١].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**كيف أنتم إذا فُتحت عليكم خزائن فارس والروم! أي قوم أنتم!**» قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمر الله تعالى. قال: «**أو غير ذلك؛ تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون**»[٢].

وفي الصحيحين من حديث عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ معناه أيضًا[٣].

ولما فُتحت كنوز كسرى على عمر بن الخطاب ﷺ، بكى، فقال: إن هذا لم يُفْتَحْ على قوم قط إلا جُعِلَ بأسهم بينهم[٤]. أو كما قال.

وكان النبي ﷺ يخشى على أمته هاتين الفتنتين، كما في مسند الإمام أحمد عن أبي برزة، عن النبي ﷺ قال: «**إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم، ومضلات الفتن**» وفي رواية «**ومضلات الهوى**»[٥].

فلما عمت فتنة الشهوات في تلك الأوقات، وأصبح الخلق إلى زهرة الدنيا في التفات، وصار لهم منتهى المراد، وجَدُّوا لها في الارتياد، ارتكبوا المعاصي والكبائر، ووقعوا في التباغض والتدابر، بعد أن كانوا إخوانًا، وعلى التناصر أعوانًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠١٥) ومسلم (٢٩٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٤٢) ومسلم (٢٢٩٦).

(٤) تاريخ الطبري (٢/ ٤٧١).

(٥) المسند (٤/ ٤٢٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ٥٢، ٢١٤٣).

وأما فتنة الشبهات والأهواء المضلة، فسببها تفرق أهل القبلة، فصاروا شِيَعًا وفِرَقًا وأحزابًا، وأكثرهم لِسَنَنِ الضلال طُلابًا، وفتحوا من البدع والغيّ أبوابًا، وقذفتهم الفتنة في مضلة المفاسد، وبيداء الإبداع والتباعد، ومقفرة التقاطع والتحاسد، بعد أن كانوا على قلب رجل واحد، وانتهجوا من الردى مهالك، فلم ينج من أولئك إلا الفرقة الناجية، وهم المذكورون في قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»(١) وهم الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث، الذين يَصْلُحُون إذا فسد الناس، ويُصْلِحُون ما أفسد الناس، وهم الذين يفرون بدينهم من الفتن، وهم النُّزَّاع من القبائل.

وخرج الطبراني من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ في أشراط الساعة قال: «**وإن من أشراطها أن يكون المؤمن في القبيلة أقلَّ من النَّقَد**»(٢) أي: صغار الغنم.

وفي مسند الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت، أنه قال لرجل من أصحابه: يوشك إن طالت بكم حياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد ﷺ فأعاده وأبداه، فأحل حلاله، وحرم حرامه، ونزل عند منازله، ما يجوز فيكم إلا كما يجوز رأس الحمار(٣).

ومنه قول ابن مسعود ﷺ: سيأتي على الناس زمان يكون المؤمن أذلَّ فيه من الأَمَة(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية.
(٢) المعجم الأوسط (٤٨٦١).
(٣) المسند (٤/ ١٢٥) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الترغيب ٢١).
(٤) أخرجه الجرجاني في الأمالي (٢/ ٢١٧).

وإنما ذَلَّ المؤمن في آخر الزمان لغربته بين أهل الفساد، ومباينته في القصد والمراد، ومخالفته لطريقهم المعتاد.

قال أحمد بن أبي عاصم، وكان من كبار العارفين في زمن أبي سليمان الداراني: إني أدركت من الأزمنة زمانًا عاد فيه الإسلام غريبًا، وعاد وصف الحق غريبًا كما بدأ؛ إن ترغب فيه إلى عالم وَجَدتَه مفتونًا بحب الدنيا، يحب التعظيم والرياسة، وإن ترغب فيه إلى عابد وَجَدتَه جاهلًا في عبادته مخدوعًا، صريع عدوه إبليس، قد صعد به إلى أعلى درجات العبادة، وهو جاهل بأدناها، فكيف له بأعلاها... إلى آخره. خرجه أبو نعيم في الحلية[1].

وخرَّج أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده إلى الحسن قال: لو أن رجلًا من الصدر الأول بُعِثَ اليوم، ما عرف من الإسلام شيئًا إلا هذه الصلاة. ثم قال: أما والله لئن عاش على هذه المنكرات، فرأى صاحب بدعة يدعو إلى بدعته، وصاحب دنيا يدعو إلى دنياه، فعصمه الله تعالى، وقلبه يحن إلى ذكر السلف، فيتبع آثارهم، ويَسْتَنُّ بسُنَّتِهِم، ويَتَّبِعُ سبيلهم، كان له أجر عظيم.

**تتمة:**

مَدَحَ كثير من السلف السُّنَّةَ، ووصفها بالغربة، ووصف أهلها بالقلة.

فكان الحسن، رحمه الله تعالى، يقول لأصحابه: يا أهل السنة، تَرَفَّقُوا رحمكم الله، فإنكم من أقل الناس[2].

وقال يونس بن عبيد: ليس شيء أغرَبَ من السُّنَّة، وأغرَبُ منها مَن يَعرفها[3].

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ٢٨٦).

(٢) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٧).

(٣) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٨).

وعن سفيان الثوري قال: استوصوا بأهل السنة خيرًا؛ فإنهم غرباء[١].

ومراد هؤلاء الأئمة بالسُّنَّةِ طريقةُ النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه، السالمةُ من الشبهات والشهوات، وهي التي وَرَدَ للمتمسِّكِ بها والعاملِ أجرُ خمسين ممن قبلهم، وأن المتمسِّكَ بدينه كالقابض على الجمر.

ثم صارت السُّنَّةُ، في عرف كثير من العلماء المتأخرين، هي السالمة من الشبهات في الاعتقادات، خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة، وصنفوا في هذا الباب تصانيف سَمَّوْهَا «كتب السنة» وإنما خَصُّوا هذا العلم باسم «السُّنَّة» لأن خطره عظيم، والمخالف فيه على شفا جُرُفٍ.

**والغربة عند أهل الطريقة غربتان: ظاهرة وباطنة[٢]:**

**فالظاهرة:** غربة أهل الصلاح بين الفساق، وغربة الصالحين بين أهل الرياء والنفاق، وغربة العلماء بين أهل الجهل وسوء الأخلاق، وغربة علماء الآخرة بين علماء الدنيا الذين سُلِبُوا الخشية والإشفاق، وغربة الزاهدين بين الراغبين فيما يَنْفَدُ وليس بباق.

**وأما الغربة الباطنة:** فغربة الهمة، وهي غربة العارفين بين الخلق كلهم، حتى العلماء والزهاد، فإن أولئك واقفون مع عبادتهم وعلمهم وزهدهم، وهؤلاء واقفون مع معبودهم لا يُعَرِّجُون عنه.



(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٤).
(٢) من «مدارج السالكين»؛ لابن القيم (٣ / ١٩٤ - ٢٠٥) - بتصرف -.

# الفصل الثاني
# في نسب الشيخ ومبدإ أمره، وما جرى عليه في قيامه بتلك الدعوة من أهل مصره، وما صادمه به علماء عصره

أما نَسَبُهُ، رحمه الله تعالى، وأفاض عليه سُحُبَ غفرانه ووَالَى، فهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بُريد بن محمد بن بُريد بن مشرّف[١].

وُلد، رحمه الله تعالى، سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية، في بلد العُيَيْنَة من البلدان النجدية، فأنبته الله تعالى نباتًا حسنًا، وجلا به عن طُرَفِ الدهر وسَنًا، وبقي بعد سن الطفولية زمنًا يتعلم في تلك القرآن، معتزلًا في غالب الأوقات لعب الصبيان، ولهو الجهال والغلمان، حتى حفظ القرآن عن ظهر قلب قبل بلوغه العشر، وكان حادَّ الفهم سَرِيًّا، وَقَّاد الذهن ذكيًّا، سريع الحفظ، فصيح اللفظ، ألمعي الفطنة نبيه، اشتغل في العلم على أبيه، وجَدَّ في الطلب، وأدرك بعض الأَرَب، وهو في بلد العُيَيْنَة في تلك الحال، قبل رحلته لطلب العلم والارتحال، وتَطْوَافِهِ له في كثير من البلاد، حتى نال منه المراد، وفاز بالسعد والإسعاد، وحاز الرشد والإرشاد.

---

(١) وبقية نسبه رحمه الله كما هو محفوظ عند ذرّيته، وفي مشجرة عشيرته آل الشيخ، وعند قبيلته الوهبة، وهو كذلك المعتمد عند مترجميه، وعند مشاهير النسّابين: بن عمر بن معضاد بن ريّس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سُنَيْع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. =

وكان والده قد توسم ذلك فيه، ويحدِّث بذلك ويبديه، ويؤمل ذلك منه ويرجوه، كما حدّث به سليمان أخوه، قال: كان عبد الوهاب أبوه يتعجب من فهمه وإدراكه، قبل بلوغه وإدراكه، ومناهزته الاحتلام وإفراكه، ويقول أيضًا: لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام. أو قريبًا من هذا الكلام.

وقد كتب والده إلى بعض إخوانه رسالة، نَوَّه فيها بشأنه، يثني فيها عليه، وأن له فهمًا جيدًا ولديه، ولو يلازم الدرس سَنَةً على الولاية، لظهر في الحفظ والإتقان آية، «وقد تحققتُ أنه بلغ الاحتلام، قبل إكمال اثنتي عشرة سنة على الإتمام، ورأيته أهلًا للصلاة بالجماعة والائتمام، فقدمته لمعرفته بالأحكام، وزَوَّجْتُهُ بعد البلوغ في ذلك العام، ثم طلب مني الحج إلى بيت الله الحرام، فأجبته بالإسعاف لذلك المرام، فحج وقضى ركن الإسلام، وأدى المناسك على التمام، ثم قصد مدينته عليه الصلاة والسلام، وأقام فيها شهرين، ثم رجع بعد ذلك فائزًا بأجر الزيارة والمناسك».

وأخذ في القراءة على والده في الفقه على مذهب الإمام أحمد، فسلك فيه الطريق الأحمد، ورُزِقَ مع الحفظ سرعةَ الكتابة، فكان يُحِير أصحابه، بحيث

---

= انظر: «علماء الدعوة»؛ للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ (ص٦)، و«مشاهير علماء نجد وغيرهم»، له أيضًا (ص٢٠)، و«البيان الواضح لأسرة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله حتى سنة ١٣٩٣»؛ للشيخ عبدالله بن إبراهيم آل الشيخ (ص٥)، و«العلماء والكتّاب في أشيقر»؛ لعبدالله بن بسّام البسيمي (١/ ١٩٣)، و«شجرة نسب شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبدالوهاب وأبنائه وأحفاده»؛ لإبراهيم بن عبدالرحمن آل الشيخ، و«علماء نجد خلال ثمانية قرون»؛ للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسّام (١/ ١٢٥)، و«مثير الوجد في أنساب ملوك نجد»؛ لراشد بن علي بن جريس (ص١٠٦ - ١١٤)، وترجمة مخطوطة للشيخ سليمان بن علي بن مشرّف بخط المؤرخ إبراهيم بن عيسى، و«درر نحور الحور العين»؛ للطف الله جحاف (ص٥٤٧). ولمزيد من الوثائق والتفاصيل انظر: «نسب الوهبة التميميين وعشائرهم»؛ للدكتور خالد الوزان، والشيخ عبدالله البسيمي.

إنه يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراس، من غير سآمة ولا نصب ولا التباس، ثم بعد ذلك رحل في العلم وسار، وجَّد في الطلب إلى ما يليه من الأمصار، وما يحاذيه من الأقطار، فزاحم فيه العلماء الكبار، وأشرق طالعه واستنار، وصار لهلاله أقمار، فوطئ الحجاز والبصرة لذلك مرارًا، وأتى الأحسا لتلك الأوطار، وأخذ العلم عن جماعة؛ منهم الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي[1] ثم المدني، وأجازه من طريقين، وأول حديث سمعه منه الحديث المشهور المسلسل بالأوليّة، نقلتُ من خطه ما نصه:

حدثني الشيخ عبد الله بن إبراهيم، بمنزله بظاهر المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عن شيخ الإسلام ومفتي الشام أبي المواهب الحنبلي، إجازة، قال: أخبرنا والدي تقي الدين عبد الباقي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته، قال: أخبرنا به المعمَّر الشيخ عبد الرحمن البُهُوتي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به شيخنا جمال الدين يوسف الأنصاري الخزرجي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به والدي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا الصلاح محمد بن محمد الحِكْرِي الصوفي الخازن، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به الصدر أبو الفتح المِيدُومي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به الحافظ إسماعيل بن صالح النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه، قال:

---

(١) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٤/ ٦ - ١٠).

أخبرنا والدي أبو حامد صالح المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به أبو طاهر محمد بن محمد الزياد، وهو أول حديث سمعته منه، قال أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزار، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن ستر بن الحكم النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[1] تفرد به سفيان، ولا يصح سنده عمن فوق سفيان، والله أعلم.

وحدث أيضًا عنه بالمسلسل بالحنابلة، قال رحمه الله:

حدثني الشيخ عبد الله بن إبراهيم الحنبلي، بمنزله بظاهر المدينة النبوية، عن شيخ الإسلام ومفتي الشام: أبي المواهب بن تقي الدين عبد الباقي، الحنبليان عفا الله عنهما، إجازة عن والده تقي الدين المذكور، قال: أخبرنا شيخنا عبد الرحمن البُهُوتي، أخبرنا الشيخ تقي الدين بن النجار الفتُوحي، صاحب «منتهى الإرادات» أخبرنا والدي شهاب الدين أحمد، قاضي القضاة الحنبلي، أخبرنا بدر الدين الصَّفَدي، الظاهري الحنبلي، أخبرنا عز الدين أبو البركات الحنبلي، أخبرنا أبو علي حنبل بن عبد الله الرُّصَافي قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله الحنبلي قال: أخبرنا أبو الحسن بن علي الحنبلي قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلي قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الإمام أحمد الحنبلي قال: حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل، إمام كل حنبلي، عن ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا**

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤٣) والترمذي (١٩٢٤) من طريق سفيان بن عيينة. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترمذي ٢٠٠٦).

**أراد الله بعبده خيرًا استعمله»** قالوا: كيف يستعمله؟ قال: «**يوفقه لعمل صالح قبل موته**»[١]، هذا حديث عظيم، قد وقع ثلاثيًا للإمام أحمد ﷺ.

وقد سمع ﷺ، الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة، وقرأ بها النحو وأتقن تحريره، وكتب الكثير من اللغة والحديث في تلك الإقامة، ويحث على طريق الهدى والاستقامة، وكان أكثر لُبْثِهِ لأخذ العلم بالبصرة ومقامه، وقد نشر للتوحيد فيها لدى بعض الناس أعلامَه، وحقق لهم في ذلك الشأن إتقانه وإعلامه، وأوضح لهم سبيله وأحكامه، فقال: إن الدعوة كلها لله، يكفر من صرف شيئًا منها إلى سواه.

وإذا ذَكَرَ أحدٌ بمجلسه شاراتِ الطواغيت أو الصالحين، الذين كانوا يعبدونهم مع رب العالمين، نهاه عن ذلك وزجره، وبيّن له الصواب وحذره، وقال له: محبة الأولياء والصالحين إنما هي اتباع هديهم وآثارهم، والاستنارة بضياء أنوارهم، لا صرف الحقوق الربانية إلى الأجسام الوثنية. وقد وقع ذلك بمجلسه مرة، فأبدى للقائل نهيه وزجره، وأظهر عليه إغلاظه ونُكْرَه، فتغير وجه القائل وجال، واستغرب ذلك المقال، وقال: إن كان ما يقوله حقًّا هذا الإنسان، فالناس ليسوا على شيء من زمان. قال رحمه الله تعالى: وكان ناس من مشركي البصرة يأتون إليَّ، بشبهات يُلْقُونها عليَّ، فأقول وهم قعود لديَّ: لا تصلح العبادة كلها إلا لله. فيَبْهَت كلٌّ منهم فلا ينطق فاه.

ثم رجع بعد ذلك السفر، فإذا والده عبد الوهاب قد رفض سكنى العُيَيْنَة وهَجَر، واختار سكنى حُرَيملَا، فأقام بها واستقر، فأقام فيها مع أبيه، يُعلن بالتوحيد ويبديه، وينادي بإبطال دعوة غير الله ويغشيه، وينصح من عدل عن الحق والرشاد، ويسلك في ذلك سبيل السداد، ويزجر الناس عن الشرك والباطل والفساد، حتى رفع الله تعالى شأنه فساد.

وجَدَّ رحمه الله تعالى في تعليم الواجب، وبذل المناصحة للخاص والعام، ونشر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٠٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٣٠٥).

شرائع الإسلام، ومهَّد سنة محمد عليه الصلاة والسلام، وإزالة ما غطى القلوب من رين الشرك، الذي هو أعظم الذنوب، وكشف الذنوب المظلمة للناس، وإماطة أذى اللبس والالتباس، ويحذرهم إن داموا على ما هم فيه وقوع النقمة والباس، ورفض منهج الغلول والخيانة، وأدى من العلم الأمانة، وترك ما كان علماء السوء قبله له سالكون، وفي قعره العميق راكسون، وفي أرجائه المغبرة ماكثون، وخشي الوقوع في تغليظ الوعيد، كما نطق به القرآن المجيد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾، فأي وعيد فوق هذا الوعيد؟ وأي تهديد وراء هذا التهديد؟ كَلَّا، ما على لعنة الله من مزيد، فلِلَّهِ دَرُّهُ من جهبذ عالم، وداعٍ إلى توحيد الله قائم، وناصحٍ لله ملازم، ومجدِّدٍ لتلك المشاهد السنية والمعالم، ومُحْيٍ لآثار سلفية لم يبق منها سوى الأطلال والمراسم، ومُميتٍ لبدع رَفْضِيَّة شابهت المجوسية، وأمور شركية اعتقدها أكثر البرية، أمور إحنةٍ دينية، فأقاموا لها أعيادًا ومواسم، وعكفوا عليها والأغلب لها سائم، ولتشييدها والذب عنها رائم، بل الكل لم يكن منها سالم.

فانتدب هذا الإمام، الذي أضحى بهديه الدين مشرقًا باسمًا، والباطل بحُججه مظلمًا سادمًا، مناديًا على رؤوس العوالم، بإخلاص العبادة لله وتنكير الإشراك لله والمظالم، وإبطال دعوة غيره من نبي وولي وظالم وحاكم، فلم يَخَفْ في الله لومة لائم، حتى نال من مولاه المِنَحَ العظائم، والعطايا الكرام الجسائم، وحاز منه أسنى الصِلاة والغنائم، وفاز منه بأوفر المغانم، واختار الله تعالى وما عنده، وبذل في طاعته جهده، وطاقته وجِدَّه، ووُسْعَه ووُجْدَه، حتى أنجز الله تعالى له وعده، وكثر بعد ذلك مُحِبُّهُ وجنده، وأجزل عطيته ورِفْدَه، وصار له بتلك الدعوة والقيام، توكل على ربه واعتصام، فلم يبال بجميع الأنام، وما رَمَوه به من الفوادح العظام، وما فَوَّقُوا له من تلك السهام، فلم يكن لهم إليه وصول، وصار كل منهم عنه مغلول، وحَدُّ لسانه مفلول، حتى بدا له في أفق تلك البلد طالع القبول، ولمع فيه بارق سيف الحق المسلول، وانحط ذُرًا

الضلال وانقطع حبله الموصول، وعصفت به عواصف الدَّبُور بعد الشَّمَال والشمول، وصار لنجمه كسوف وأفول، والعود المورق باللهو والمزامير والطبول، بعد غضته ونظارته يُبس وذبول، ولجسمه الممتلئ بالفواحش نحول؛ فانتظم في سلك الإمام رجال وعصابة فحول، فاتخذوه جليسًا وأنيسًا، واقتَدَوا به في كل ما يقول، فكانوا لطريقته المثلى مُتَّبِعين، وبأقواله وأفعاله مُقْتَدِين، وبهديه الواضح مُهْتَدِين، لا يزالون معه في إخلاص الدعوة مشمِّرين، وفي إدحاض الباطل وأهله مجتهدين، وبإيضاح مناهج الشرك مُعْلِنِين، وفيما يُرْضِي الله مُسْرِعِين، ولأهل الدين والحق مُكْرِمين، ولأهل الضلال مُوهِنِين، وللضُّلَّال والفُسَّاق مُهِينِين، ولقبح عقائدهم لهم مُبْيِنين، قائمين في ذلك لرب العالمين، ولوجهه الكريم محتسبين، وفي الفوز غدًا مؤمِّلِين، وللنجاة مُرْتَجِين، ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وكان هؤلاء الرجال ملازمين للشيخ في جميع الأحوال، وكان في تعليمهم وإرشادهم لا يزال، فقرأوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير، وحقق لهم ذلك أتم التحقيق والتحرير، وكان ﷺ في تلك المدة يروّع كل معاند ومعارض، فاشتهر حاله في جميع بلدان العارض، في حُرَيملَا والعُيَيْنَة والدرعية والرياض ومنفوحة، فلم يكن لبعضهم عن اتباع ذلك الحق مندوحة، لكون رب العباد كتب السعادة قبل الميلاد، فكان لأجل ذلك ذا أهبة واستعداد، لما حظي بالمدد والإمداد، فتنور قلبه بضياء الرشاد، وهو مقيم في تلك البلاد، فأتى إليه ناس كثير، وانحاز لدعوته جم غفير، وكان الناس عند ذلك حزبين، وانقسموا فيه فريقين: فريق أحبه وما دعا إليه، فعاهده على ذلك وبايعه، وحذا حذوه وتابعه، وفريق أنكر ذلك عليه، وهم الأكثر، حتى أعزه الله تعالى عليهم وأظهر، وصار الخلق فيه مختلفين، وفي تلك الأمور متحيرين، والأكثر في مراتع الحيرة يُسيم[1]،

(١) أي: يذهب على وجهه حيث شاء.

وفي مرابع الشك والريب مقيم ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فلم يزل رحمه الله تعالى دأبه القيام، ونشر دعوة الملك العلام، على الاستمرار والدوام، حتى لهج بالإنكار عليه كثير من ذوي العلم والأفهام، وركضوا مع الرؤساء والشياطين والطَّغَام، فقلدوهم في ذلك الأمر العوام، فكان للجميع على الأنكال انتظام، وعلى الإعانة في ذلك التزام.

فأقام رحمه الله تعالى، وأفاض عليه بره ووالى، في بلد حُرَيملا سنين ينشر أعلام التوحيد، ويبدي في المحافل الدر النضيد، وجوهر الحق الفريد، وصنف في تلك الإقامة كتاب «التوحيد» ونشر أعلامه، ثم بعد ذلك عزم على المسير عنها والارتحال، والإقامة بالعُيَيْنَة، فجد في الرحيل والانتقال، وذلك بعد أن هدى الله تعالى عثمان بن معمر، لقبول هذا الدين الذي أحياه ذو القلب المنوّر، فدخل منه شيء في قلبه، وأعلن عند جماعته وصحبه، بتقريبه وحبه، فحين وصل تلك البلد، قام معه عثمان وقعد، وساعده على ذلك واجتهد، وأمر الناس له بالاتباع، وعدم المشاققة له والنزاع، وألزم الخاصة والعامة، أن يمتثلوا أمره وكلامه، ويسلكوا سبل الاستقامة، ويظهروا توقيره وإكرامه، فكان بعد ذلك الأمر والإلزام، وصدور ذلك الاعتناء التام، وشدة الرغبة والاهتمام، وإبداء التعظيم له والاحتشام، تُسمع أقواله وتطاع، وتملأ الصدور والأسماع، فصار للزيغ ارتداع، وقمع وإقلاع، وللحق والهدى اتباع، ففشا الدين في بلدان العارض المعروفة، وأكثرهم قلوبهم عن ذلك النور مصروفة، وعلى ما كانوا عليه من الأمور المألوفة، ملازمة محبوسة موقوفة.

ولكن لم يصبر على الإقامة بذلك المكان، مع مشاهدته فيه الأوثان، فعند ذلك أمر الشيخ محمدٌ الأميرَ عثمان، بهدم القُبَب والمساجد المبنية في الجبيلة

على قبور الصحابة، وقطع الأشجار التي كانت الخلق لها في كل ساعة منتابة، فبادر عثمان لذلك وامتثل، وخرج الشيخ معه وجماعتهم على عجل، وخرجوا بالمعاول، والكل للأجر آمل، فهدموا تلك المساجد، وأزالوا رفيع المشاهد، وأزالوا جميع المحظور، عن جميع تلك القبور، وعُدِّلَت على السَّنَن المشروع، واندرس الأمر الممنوع، وهُدِم رفيع ذلك البناء، وبَطَل ذلك التعظيم لها والاعتناء، وخر شامخ الأحجار، وخر ما في العارض من معبَّدات الأشجار، كشجرة قريوه وأبي دجانة والذيب، فلم يكن أحد إلى التبرك بهما ينيب، ولم تسألها من لم تتزوج مثل العادات زوجًا حبيب، وليس هذا في تلك الأزمان بغريب، وليس وقوع أقبح منه بعجيب.

وكان الشيخ رحمه الله تعالى هو الذي باشر قطع شجرة الذيب بيده مع بعض أصحابه، فنال من ربه جزيل أجره وثوابه، وقطع شجرة قريوه ثنيانُ بن سعود ومشاري بن سعود وأحمد بن سويلم، وجماعة سواهم، فأدركوا من الفوز مُنَاهم، فلم يبق وثن في البلدان التي كانت تحت يد عثمان، وشاع ذلك واستبان، ونعم بذلك بأهل الإيمان، وصلحوا حالًا من ذلك المكان، وانتشر الحق من ذلك الأوان، واشتهر الأمر وبان، وسارت بذلك الركبان، فأنكرت ذلك قلوب الذين حقت عليهم كلمة العذاب، وقالوا مثلما قال الأولون، ذوو الكفر والإعجاب: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ فأخذوا في رده والإنكار عليه، وأتوا بأعظم الأسباب، وزَجُّوا الخلق في لُجَّة الضلال والارتياب، وضَجُّوا على كلمة الحق بالتكذيب والإكذاب، وعَجُّوا مُطْبِقِين على الشيخ بأنه ساحر ومُفْتَرٍ أو كذاب، وحكموا بكفره واستحلال دمه وماله، وجميع من له من الأصحاب ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

وأَشَرُّ الناس والعلماء إنكارًا عليه، وأعظمهم تشنيعًا وسعيًا بالشر إليه،

سليمان بن سحيم وأبوه محمد، فقد أَتْهَمَ في ذلك وأَنْجَد، وجَدَّ في التحريش عليه والتحريض، وهيأوا له أسباب الجريض[١]، وأرسل بذلك إلى الأحسا والحرمين والبصرة، فلم ينل من مراده سوى الخزي والعار والحسرة، ولم يحصل من مراده بغير العثرة، ولقد كاد وشَنَّع وعادى وحشر، علماء السوء ونادى وكذب عليه وبَهت وزَوَّر، وجَدَّ في دحض الهدى وشَمَّر، وسعى في إبطاله وما قَصَّر، وبعث الطُّرُوس مُتْرَعَة بالباطل والمَيْن، إلى علماء الأحسا والبصرة والحرمين، فقاموا معه فورًا بالإنكار، وأفتوا للحكام والسلاطين والأشرار، بأن القائم بدعوة التوحيد حتى أشرق لها أنوار، خارجي لها وبَيَّض في الأقطار، خارجي ليس له في الحق تثبت ولا قرار، وأنه من لَظَى الجحيم والنار، على شَفَا جُرُف هار، بل جزم أكثر علماء الأمصار، في تلك الأزمان والأعصار، بأن هذا المبين لآثار السلف الأخيار، المتبع لهدي نبيه المختار، من أقبح الضُّلَّال والفُسَّاق والكفار، وأشر الخوارج والفجار، وحسبوا أنهم إذا حَرَّشوا عليه الحكام، يَجِدُّون في قتله ويجتهدون، فيفوزون حينئذ بما كانوا يؤملون، ولقد عرفوا أن الذي جاء به الحق، ولكنهم لذلك كانوا يكتمون ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، فصنفوا المصنفات في تبديعه وتضليله، وتغييره للشرع النبوي وتبديله، وعدم معرفته بأسرار العلوم وتجهيله، وسطروا فيها الجزم بكفره، وبطلان حجته ودليله، وأوحى ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

فأطبق أهل الباطل والضلال على قبيح تلك الأقوال، وأرهفوا أسنة المقال،

---

(١) الجريض: غُصص الموت.

والكل خاض في الإفك ونال، فآب بالخسران والإذلال، ورجع ولله الحمد بخيبة الآمال ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾.

والذي تولى منهم هذا الأمر الكبير، واقتحم لُجَجَ مَوْجِهِ الخطير، وشمَّر فيه أعظم التشمير، وتنادى عليه مع أعوانه لأجل التغيير، حسدًا وبغيًا لفوزه بهذا الفضل الكثير، والفخر النابل المنير: سليمان بن سحيم[١]، وأبوه محمد، من مطاوعة الرياض، والمويس[٢] من أهل منيخ، وعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف[٣]، ومحمد بن عبد الرحمن بن عفالق[٤]، فصار كلٌّ من هؤلاء معاندًا مجادلًا مشاقق، وحذروا منه جميع الأنام، وأخرجوه بلا شك من حوزة الإسلام، وأغرّوا به الخاص والعام، خصوصًا السلاطين والحكام، وقطعوا لهم

---

(١) انظر ترجمته في «علماء نجد»؛ للبسام (٢ / ٣٨١ - ٣٨٢) قال: «وكان من أشد أعداء دعوة الشيخ محمد». وانظر: بحث «موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»؛ للدكتور عبدالله العثيمين، منشور ضمن كتابه «بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية» (ص ٨٩ - ١١٣)، ورسالة: «المعارضة المحلية لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد»؛ للدكتور محمد النويصر (ص ١٤٦ - ١٤٧).

(٢) انظر ترجمته في «علماء نجد» (٤ / ٣٦٤ - ٣٦٩). وهو قاضي بلدة حرْمه، ومنيخ يُطلق على حرْمه والمجمعة - كما سيأتي -، وانظر رسالة الدكتور النويصر السابقة (ص ١٤٨ - ١٥٧).

(٣) من الأحساء. انظر ترجمته في «سبائك العسجد»؛ لابن سند (ص ٩٤). وانظر عن علاقته بالشيخ محمد ومادار بينهما من مكاتبات: رسالة: «المعارضة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الأحساء»؛ للدكتور محمد النويصر (ص ٢٠٨ - ٢٢٣).

(٤) من الأحساء. انظر ترجمته في «السحب الوابلة» (ص ٩٢٧ - ٩٢٨). وانظر رسالة الدكتور النويصر السابقة (ص ١٨٩ - ٢٠٨).

أنه رافض شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، وأنه مغير لمنار السنة والأحكام، وليس له منها تمسك والتزام، ولا بالدين أخذ واعتصام، فليس له ولا لأصحابه عهد ولا ذِمَام، ولم يكن له قصد ولا مَرَام، إلا تنفير الخواص والعوام، وملء قلوب الجهال والطَّغَام، بما يبديه لهم من ذلك الكلام، فيقومون بالمشاقة على الحكام والولاة، ويكونون عليهم عتاة، وبما يأمرونهم به في جميع الأحوال عصاة، فهذا غايته ومناه، ومنتهى مراده وأقصاه.

يخوفونهم بهذه الأقاويل، ويجلبون لهم أنواع الأباطيل، ويحذرونهم منه أنه إن تمكن أمره في البلاد، أزال جميع المنكرات والفساد، وقطع جميع ما كان من المظالم معتاد، فكانوا بهذا الكلام لهم يغرون، وعن طريقه يحذِّرون وينفِّرون، وهو رحمه الله صابر على ما يقولون، محتسب الأجر فيما إليه ينسبون، متسلٍّ بما كابده وقاساه قبله الموحدون، وما لقيه من الابتلاء المؤمنون، وما سَعَى به لهم الضُّلَّال والمشركون ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.

وهذه سنة الله تعالى في عباده، جارية في جميع الأزمان على مراده، يختبر بها أحبابه المؤمنين، ويمتحن بها أحزابه المفلحين ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيرفع جل وعلا قدر الصابرين، ويعلي مرتبة الصادقين، ويخفض منزلة المنافقين، ويفضح بإرادته الفاسقين والكاذبين، ويحق عليهم كلمة العذاب أجمعين ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ فمضى رحمه الله تعالى في المناصحة وبذل الجد في الدعوة، والخلق راموا النبال نحوه، فصبر متأسيًا بسلفه الصالح فكان له بهم أسوة، ما كانوا عليه يحزنون ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

**مهمات**

**الأولى**: أنه رحمه الله تعالى لما تظاهر بذلك الأمر والشأن، في تلك الأوقات والأزمان، والناس قد أُشْرِبَت منهم القلوب، بمحبة المعاصي والذنوب، وتَوَلَّعُوا بما كانوا عليه من العصيان، وقبائح الأهواء الغالبة على كل إنسان، لم يُسْرِع لها لسان، ولم يُصَمِّم منه لُبٌّ وجَنَان، على تكفير أولئك العِرْبان، بل توقف تورعًا عن الإقدام في ذلك الميدان، حتى نهض عليه جميع العدوان، وباحوا وصاحوا بتكفيره وجماعته في جميع البلدان، ولم يثبتوا فيما جاءوا به من الإفك والبهتان، ولم يكترثوا بما حكموا عليه من الزور، وما اقترفوه من الفجور، بل كان لهم على شنيع ذلك المقال، إقدام وإسراع وإقبال، ولم يأمر رحمه الله تعالى بسفك دم ولا قتال، على أكثر أهل الأهواء والضلال، حتى بدأوه بالحكم عليه وأصحابه بالقتل والتكفير(١)، وكان ذلك سبب حسن العاقبة للإمام من العليم الخبير، ومساعدة القضاء له والتدبير، وشؤم ذلك على الأعداء الذين تمالأوا على ذلك الأمر المبير، الذي كانت عقباه عليهم الهلاك والتدمير، جزاءً بما كانوا يكسبون ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

نعم، ثبت لدينا ونقل نقلًا صحيحًا إلينا، أنهم هم الذين شهدوا على أنفسهم بذلك، وألقوها في مظالم قعر المهالك، ونَظَمُوا أرواحهم مع الكفار في تلك المسالك، وألحقوها من عند أنفسهم بأولئك، فقالوا: إن كان الذي نفعل من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور، في تلك الأزمنة الماضية والدهور، فنحن

---

(١) مضى في المقدمة بيان هذا من أقوالهم.

كفار ضلال، من غير ريب ولا إشكال، ولقد لَهَج بذلك الأحوال، ذَوُو الأحلام منا والجُهَّال.

فهم الذين ألزموا أنفسهم تلك المقالة، ووسموا أنفسهم بمَيْسَم الكفر والضلالة، وقد أنفذ الشيطان فيهم غدره واحتياله، وجعل تلك لهم إلى مراده حُباله، وقال لهم وزَيَّن، وصرخ لهم وبيَّن، وشرح لهم وعَيَّن، وقال لهم: لا يتم لكم سُول ولا مراد، حتى تُلْقُوا هذا القول بين أظهر العباد، فتُغْرُوا به الحكام والولاة وأهل الفساد، فيبادروه بالقتال والجهاد، ويُجْلُوه - إن لم يَقتلوه - عن البلاد. هكذا زخرف لهم اللعين وكاد، حتى وسطهم فَيْفَاء الإهلاك والإبعاد، فتنحى عنهم الخبيث عن يمين وقال: أنتم أهل الشمال الضالين ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

فلا ريب أنهم هم الذين على أنفسهم قَضَوا، واختاروها لهم وارتَضَوا، وقصدهم بعموم التكفير تحذير الناس عنه والتنفير، وحاولوا بذلك مآرب، وسَخَت لهم به مطالب، ساءت لهم منها العواقب، وخدشتهم منها سهامٌ صوائب، وحَلَّت عليهم مصائب، وارتفع بها للإمام مراتب، وشاع جميل ذكره في المشارق والمغارب، وانعكس عليهم الحال، فلم يحصلوا على آمال، بل كان ذلك البهتان الذي أتَوْه والمحال، عائد عليهم بالهوان والإذلال، والهلاك والقطع والاستئصال، وتَبَدَّى لأهل الدين كواكب سعد منيرة الإشراق، وأعطاهم الله تعالى غاية الأمل، وربما صحت الأبدان بالعلل، وكثر بعد ذلك صحبه وجمعه، وزاد إعلانه بالتوحيد وصَدْعُه، ورَدْعُه أهلَ الشرك وقَمْعُه، ومن العداوة ما يَسُرُّك نفعه.

وإذا تأمل العاقل اللبيب، الذي حصل من الإيمان على نصيب، الذي حصل من الحال وبدا، وما تَفَوَّه به أهل الزيغ والرَّدَى، وما مكر به رؤوس العِدَا، وما

نَوَوا به أهل الهدى، ظهر له في ضمن ذلك من الحكم والعِبَر، والمِنَن التي حُرِسَت عن طَوَارق الغِيَر، واللطائف التي في الوجود لها واضح الأثر، وصار لها في الموعظة انتفاع ومُدَّكَر، وبان له ما جرى على الشيخ من المحن وصدر، زاد ولله الحمد منحًا وتبين له ذلك وظهر، حملهم على ذلك الحسد المحرم المذموم؛ فكان كلٌ منهم لما أمَّله محروم، وبالبعد والمذلة موسوم:

**حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه  فالقوم أعداءٌ له وخصوم**[1]

ظنوا أن ذلك عار فأذاعوه، أو خزي فأفشَوه وأشاعوه، وتأملوا أنهم بغير الكذب والمَيْن، لا يدركون مُنى، ولا يحصل لهم بغير المعتاد هَنَا، فأوهن الله تعالى بفضله كيد كل عدو وحسود، لأن الحسود كما في الأثر لا يسود، ولم يظفروا بمُرَام ولا مقصود، بل أضاء بسعيهم لأهل الدين في البسيطة إسعاد وسعود، وعروج إلى ذُرَا المفاخر وصعود، وما أحسن قول أبي تمام، فلقد أصاب الغرض في هذا المقام:

**وإذا أراد الله نشر فضيلة  طُوِيَت أتاح لها لسان حسود**
**لولا اشتعال النار فيما جاورت  ما كان يُعْرَف فضل طيب العود**[2]

**الثانية**: كان، رحمة الله عليه، مع ما يسمع من الأذى ويُنقل إليه، وما يَنْمَى من قبيحهم لديه، وفرط تعنتهم وعنادهم، وعدم توقفهم فيه وإسنادهم، وغلوهم في هجرهم له وانتقادهم، وتشريعهم على عرضه أسنة حدادهم، وشحذهم لدمه المعصوم مواضي جلادهم، ومبالغتهم في السعاية لإهلاكه وارتيادهم، غير مكترث بهم ولا مقترف ولا مبالي، ويتسلى بمن كان قبله من ذوي الفضل

---

(١) البيت لأبي الأسود الدؤلي.
(٢) البيتان لأبي تمام.

والمعالي، ويقول متوكلًا على مولاه القاهر المتعالي: حسبي من سؤالي علمه بحالي. وينشد قول محسودٍ سالي:

إن يحسدوني فإني لست أحسدهم ... قبلي ذوو الفضائل أهلُ العلم قد حُسِدُوا[1]

بل كان يتضرع إلى سيده ومولاه، الذي خصه بهذا الفضل ووالاه، أن يشرح للحق صدورهم، ويجعل لمورد التوحيد ورودهم وصدورهم، وأن يسهل لقبوله قلوبهم وأمورهم، وأن يكفيه بحوله وقوته شرورهم، ويصرف عنه محذورهم، ويسير معهم بسيرة الصفح والعفو والمغفرة، وأحب ما لديه إتيان أحدهم إياه بالمعذرة.

ولم يعامل أحدًا من تلك المطاوعة بالإساءة بعد التولي والمقدرة، ولا ريب وحق ذي الجلال، أنهم لو مكنهم الله تعالى منه لقطعوه أوصال، وأوقعوا به أقبح المُثلة والنكال، وإلا حرقوه بالنار من غير مراجعة ولا سؤال، وهو يتحقق منهم تلك الأحوال والأمور، ولكنه لم ينتصر لنفسه بعد التمكن والظهور، فحين أكرمه الله تعالى وأعلى في الخافقين منزلته وشأنه، وأهلك حساده وعدوانه، وأعز جماعته وأعوانه، وجاءوا وافدين عليه، مُقَادين قسرًا إليه، وأُوقِفُوا أكثرُهم بين يديه، وتنصلوا معذرتهم بين يديه، أُدْخِلُوا بلده وأوطانه، فلم يعاملهم بالإذلال والإهانة، ولم يحتج إلى سبيل التوبيخ والعتاب، ولم يفتح للتأنيب والتبكيت أبواب، ومنحهم بره ومعروفه وإكرامه، ولم يقابل بالعذل والملامة، وأبدى لهم البشاشة والملاطفة، وأعرض عما أتوه من الإسراف والمجانفة، وكأنهم لم يصدر عليه منهم بَلَا، ولم يَسْعَوا به عند ولاة المَلَا، وأخذته لهم الرحمة، ولا أراد لهم سوء ولا وصمة، ولا مكروهًا ولا نقمة، وهذا الأمر لا

---

(١) البيت للكميت الأوسط.

تقواه الطباع البشرية، ولا تهواه قلوب أكثر البرية، ولا تحمله الأَنَفَة والحمية، ولا تكظم عليه ذو العصبية، وهذا الشأن والمقام، لا يُدْرَك ولا يُنَال ولا يُرَام، ولا يَتَبَوَّأ بحبوحته إلا البررة الكرام، والعلماء بالله الأعلام، ممن جمَّله الله تعالى بحلل تقواه، وحَلَاه بحُلَل معرفته وهداه، وهم الذين يقومون حين ينادي المنادي من بطنان العرش: ليقم اليوم من أجره على الله[1]. ولعله رحمه الله تعالى لمح سر: «رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون»[2] فلم يؤاخذهم بما كانوا يصنعون، وتلقاهم بالقبول والإقبال، ولَيَّن لهم الجناح في المقال، حتى دَهِشَت قلوبهم من الاختجال، وما أسدى إليهم من النوال، فكانت حاله معهم كما بينه التهامي فقال:

**إني لأرحم حاسدي لِحَرِّ ما ... ضمَّت صدورهم من الأوغار**

**نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نار**

**المهمة الثالثة**: يتأكد على كل مؤمن وموحد، أن يسأل الله داوم الهداية ويسترشد، ويتفكر فيما حباه به مولاه، دون أكثر الخلق واختصه، ويشكره ﷻ أن وفقه، لتأهله بالقعود على هذه المنصة، وأهَّله لمراتب لم يكن لها أهلًا، وأسدى إليه من مواهبه إحسانًا وفضلًا، ويلزم منهج الصبر على ما تسنى له من الابتلاء عدلًا، فقلَّما سلم أهل الإخلاص والإيمان من عوارض الامتحان ونوائب البلايا والافتتان، في كل قطر ووقت وزمان.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣١٥) من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: من كان أجره على الله فليدخل الجنة. مرتين، فيقوم من عفا عن أخيه» قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٥) عن عبد الله بن عبيد بن عمير مرسلًا قَالَ: لَمَّا كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَشُجَّ فِي جَبْهَتِهِ، فَجَعَلَتِ الدِّمَاءُ تَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ! فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْنِي طَعَّانًا وَلَا لَعَّانًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي دَاعِيَةً وَرَحْمَةً، اللهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**».

ولكن السلوان المطاع، النافي للحزن والهم والارتياع، والجالب للنزعات النفسانية الارتداع، إجالةُ الإبصار والأفكار، وتحقيق مطالعة الأنظار، والاتعاظ بعد ذلك والادّكار، وزيادة التسلي والاعتبار، بما جري على الأتقياء الأبرار، من الفجرة الكفار، فقد فعلوا بالمصطَفَين الأخيار، ما هو معلوم بضرورة الأخبار، من القتل والنشر بالمنشار، والإلقاء في موقد النار، وما وقع على النبي المختار، والآل والأصهار، من الفسقة الفجار.

فإذا تأمل ذلك ذو الإيمان، حصل له بالرضا إذعان، وازداد سكونًا وصبرًا على مضض الزمان، وتجرع غصص الهم والأحزان، وكفى له أسوه وقدوة واتباع، بهؤلاء السلف الصالح الأتباع، ولو لم يكن في ذلك من المصالح والأسرار، إلا تكفير الخطايا والأوزار، ورفع المنازل والدرجات العُلى في الجنات، والأمن في رفيع الغرفات، وظهور الدين والآيات، وإطفاء الشرك والضلالات، وإعزازه لأوليائه، وإذلاله لأعدائه - لكان كافيًا، وبالمقصود وافيًا، مع أن ابتلاءه لخاصته وأحبابه، فيه سر عظيم في نصر دينه وأحزابه، وانتشار الكلمة ونموها، وارتفاعها بعد ذلك وسموها، ورسوخ التوحيد والتوحيد والدين، وإقبال الخلق عليه أجمعين، فهو في الحقيقة حكمة بالغة، ولكنها والله مِنَّة سابغة، وقد جاء في بعض الأحاديث أن الله ذكر في التوراة لموسى: إني أقسّي قلب فرعون لتظهر آياتي وتظهر عجائبي[1].

فمن أكمل الله تعالى له هذا الدين، وقوي له الإيمان واليقين، من العلماء والمؤمنين، صبر على أذى المؤذِين، وتحمل مشقة الممتحنين، فهو لا بد أن تكون له العاقبة، ويدرك مأموله ومطالبه، وقد قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن

(١) سفر الخروج، الإصحاح السابع (٣ : ٧).

تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ويجأر في جميع حالاته وسائر طاعاته، إلى ربه القريب المجيب، أن يُنيله ويُقْسِمَ له من الجهاد فيه والصبر أوفر نصيب ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾.

فبعد سلوكه سَنَنَ الصبر وانتهاجه، يتسنى لذة سروره وابتهاجه، ويُفَاض عليه من سحائب جُود مولاه وبره، وإضعاف ثوابه وأجره، مقابلة على ما عانى من صبره، ومعاملة على قيامه بشكره، ويفوز بدرجات الصبر في الثواب، وضده يحوز البعد عن الوصول إلى تلك الأبواب، والارتقاء بعصمة تلك الأسباب، إلى سَنَا تلك الأعتاب، ويُلْقَى إليهم الإزر والعقاب، ويُلقى في دَرَك الجحيم والعذاب، والحكمة في هذا واضحة جلية، والنكتة فيها لائحة غير خفية، وهو إظهار الله ﷻ العدل في ذلك المقام، حتى يقع ذلك معاينة في جميع الأنام، وتجري الأمور الأخروية على ما كان عليه في الدنيا من الأحكام، وإلا فهو جل ثناؤه، وعمت آلاؤه، يعلم الأشياء قبل وقوعها جملةً وتفصيلًا، ألا يعلمها من أوجدها وقدرها وصرفها تغييرًا وتبديلًا! ولا تقع إلا على وفق ما أراده وتصريفًا وتحويلًا، وهذا من عظيم عدله، وجسيم إحسانه وفضله، ألاَّ يؤاخذ أَحَدًا بعلمه، ولا يعاجل بالعقوبة لحلمه.

واعلم - رحمك الله تعالى وأرشدك، ويسر لك الخير وسددك - أن ما صدر على الشيخ من الاختبار والامتحان، وما قاساه من الابتلاء في تلك الأزمان، ممن يَدَّعِي الرفعة والشأن، والقدم الراسخ في العلم والعرفان، ولا ريب من أن الذي وقعوا فيه من الافتنان، مماثل لما وقع فيه من قبلهم كما في القرآن ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ

﴿بِالشَّاكِرِينَ﴾ فأوقعهم الخداع في تلك الأودية، وجبذهم إليها بأسباب الأهوية، حتى ألبسهم من ذلك الغدر أردية، وكانت حِيَلُهُ وتسويلاته لهم مُرْدِيَة، وإلا فالأكثر منهم ممن كسب واقترف، أقر على نفسه واعترف، أن ما أتى به محمد بن عبد الوهاب هو الحق والصواب، وأن هذا هو التوحيد المطلوب، ومن لم يتحقق به لم يفرق بين الرب والمربوب، ولكن أَنِفَت بعد ذلك منه القلوب، وخشي أن يكون كلٌّ من رياسته ودنياه وجاهه مسلوب.

وقد صرح كثير منهم في المحافل الكبار، بأن ما يُفْعَل عند القبور والأشجار، والطواغيت والأحجار، من الشرك الأكبر، الذي لا يُمحى إلا بالتوبة ويغفر، وبعضٌ من أولئك بَرَح على الإصرار، ودام على الإنكار، وبعضٌ يُقِرُّ عند الخاصة في إسرار، وينكر ذلك لدى الناس في الإجهار، حتى اجتمع منهم الحال، وأخذ بهم الحسد وآل، إلى إنكاره بعد المعرفة، وأضحت ألسنتهم بعد ذلك فيه مسرفة، ووجوههم عنه مصروفة، حتى أنكروا من الشرع الأمور المعروفة.

فذُكِرَ لنا عن تحقيق ويقين، أنهم أنكروا على عثمان بن معمر أدبه من تخلف عن الصلاة في جماعة المسلمين، وتأديبهم من لم يُصل جملة، وجبايته الزكاة وغير ذلك من أمور الدين، وكان كثير من علماء نجد العدوان، يأتون رؤساء البدوان، ويحذرونهم وقوع الصلاة في حيهم وسماع الأذان، ويحثونهم على التمسك بقبيح تلك الأديان، وما كانوا عليه من الفسق والعصيان، عياذًا بك اللهم عن الحسد والبغي فيه والطغيان، كما فعل ذلك المنتمون للعلم والبيان، كيف حملهم ما ملأ قلوبهم من البغض والحسد، وما أضمروه من الحقد والغل الذي أعقبهم الحسرة والكمد، على ذلك الزور المحظور في الدين والافتراء، والتعدي على منصب الشريعة والاجتراء، ولم يحذروا في ذلك سطوة الديان،

ولقد علموا أنهم باعوا الغالي بالدان، فباءوا من صفقتهم بالخسران.

وكان من أعظم الأسباب التي دعتهم إلى هذا الارتكاب، وعدم الخوف والارتقاب، وأشد ما حملهم على ذلك الإغراء، الذي حازوا به سخطًا وخُسرًا، وأجل الدواعي لذلك والبواعث، التي صيرت أكثرهم لمحكم التوحيد نواكث، إعلان الشيخ رحمة الله تعالى بما هو الحق والصواب، والواجب المحتم على من بلغ مناط الثواب والعقاب، واللازم على من عرف حق المعرفة رب الأرباب، وأراد القيام بوظائف الخدمة لينال الكرامة يوم الحساب، وهو التمسك والاعتصام بالسنة والكتاب، والعمل بما جاء من هدي الأصحاب، وبما اختاره الأئمة الأربعة، الذين شاعت مذاهبهم في الأمة، فهو إن كان التزم مذهب، فلا يقدمه على النص القاطع ولا يتعصب، بل إن لم يلق من النصوص القاطعة دليلًا، لم يتخذ غيرها سبيلًا، ولكنه يختار من إلى الدليل أقرب، ومن الأقوال ما هو أصوب، ومن الحكم ما هو أوفق بالشريعة وأنسب.

فلما أسفر من كلامه نور هذا الفجر المنير، وبدر منه هذا البرهان الساطع المستطير، والنبراس الذي يهتدي به من أراد إلى الله المسير، والحكم الذي أوجب الله تعالى على كافة الخلق إليه المصير، صارت قلوبهم من ذلك فرقًا أعظم مطير، وسَعَوا إلى عذب ذلك النمير، بالسعي إلى صافي سَلْسَاله بالتكدير، وإلى تلك المناهل المورودة للأفاضل باجتلاب شوائب التغيير، وتساعد على ذلك الفعل الخطير، الصغير منهم والكبير، وتغافلوا عما ورد من الأحكام البينات، والآيات القواطع المحكمات، ولو لم يكن إلا آية النِّسَاء لكفى حجة على المراد ودليلا ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾.

قال العلامة شمس الدين في «إعلام الموقعين»: أجمع الناس على أن الرد

إلى الله تعالى هو الرد إلى كتابه، والرد إلى رسوله هو الرد إليه نفسه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته[١] قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ فقسم الأمر إلى اثنين: إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به، وإما اتباع الهوى، وكلٌّ ما لم يأت به الرسول فهو من الهوى[٢] وقد حرم سبحانه القول عليه بلا علم، وجعل ذلك أعظم من الشرك؛ لأنه جعل في المرتبة الرابعة، فقال تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ وقال: كلام أهل الحق على أنه لا يجوز أن يقول العبد: هذا حلال وهذا حرام، إلا لما علم أن الله أحله وحرمه[٣].

وقال الشافعي، قدس الله تعالى روحه: وأجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس[٤].

وقال أبو عمر، وغيره من العلماء: أجمع الناس على أن المقلد ليس معدودًا من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله. وهذا أيضًا كما قال أبو عمر بن عبد البر، رحمه الله تعالى، فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فهو تقليد. فقد تضمن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى والمتعصب الأعمى عن زمرة العلماء، فإن العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٥٠).
(٢) إعلام الموقعين (١/ ٤٧).
(٣) إعلام الموقعين (١/ ٣٨ - ٣٩).
(٤) إعلام الموقعين (٢/ ٢٨٢).

أخذه أخذ بخط وافر[١] وكيف يكون من ورثة الرسول من يجهد ويكدح في رد ما جاء به إلى قول مُقَلَّدِهِ ومتبوعه، ويضيع ساعات عمره في التعصب، ولا يشعر لتضييعه فتنة عمت فأعمت، ورَمَت القلوب فأَصْمَت[٢].

قال عبد الله بن المبارك، وغيره من السلف: صنفان إذا صَلَحَا صَلَحَ الناس، وإذا فَسَدَا فَسَدَ الناس. قيل: من هم؟ قال: العلماء والملوك.

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

**رأيت الذنوب تميت القلوب     وقد يورث الذلَّ إدمانُها**
**وترك الذنوب حياة القلوب     وخير لنفسك عصيانها**
**وهل أفسد الدينَ إلا الملوكُ     وأحبارُ سوء ورهبانُها[٣]**

قال أبو عمر بن عبد البر: قال أهل العلم والنظر: حد العلم التبيين، وإدراك المعلوم على ما هو به، فمن بان له الشيء فقد علمه، قالوا: والمقلد لا علم له، لم يختلفوا في ذلك، ومن هنا والله أعلم قال البحتري:

**عرف العارفون فضلك بالعلم     وقال الجهال بالتقليد**
**وأرى الناس مجمعين على فضلك     من بين سيّد ومَسُود**

وقال أبو عبد الله بن خُوَيزِ مِنْدَاد البصري المالكي: التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، وذلك ممنوع في الشريعة، والاتباع ما ثبت عليه حجة.

---

(١) هذا نص حديث أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٢٩٧).
(٢) إعلام الموقعين (١/ ٧ - ٨).
(٣) إعلام الموقعين (١/ ١٠).

وقال في موضع آخر من كتابه: كل من اتَّبَعْتَ قوله، من غير أن يجب عليك قبولُهُ بدليل يوجب ذلك، فأنت مُقَلِّدُه، والتقليد في دين الله غير صحيح، وكل من أوجب الدليلُ عليك اتباعَ قوله فأنت مُتَّبِعُه، والاتباع في الدين مسوغ، والتقليد ممنوع(١).

وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم، وذموا من أخذ قولهم بغير حجة.

فقال الشافعي: مثل الذي يطلب العلم بلا حجة، كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيها أفعى تلدغه، وهو لا يدري. ذكره البيهقي(٢).

وقال إسماعيل بن يحيى المزني، في أول مختصره: اختصرت هذا الكتاب من علم الشافعي لأقرِّبه على من أراده، مع إعلاميه نَهْيَه عن تقليده وتقليد غيره؛ لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه(٣).

وقال أبو داود: قلت لأحمد: الأوزاعي هو أتبع من مالك! قال: لا تقلد دينك أحدًا من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعدُ الرجلُ فيه مُخْيَّر.

وقد فرق أحمد بين التقليد والاتباع، قال أبو داود: سمعته يقول: الاتباع أن يسمع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه، ثم هو في التابعين مُخَيَّر.

وقال أيضًا: لا تقلدني، ولا تقلد مالكًا ولا الثوري ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا.

وقال: مِن قلة فقه الرجل أن يكون يقلد دِينَه الرجالَ.

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٩٧) وجامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٧).
(٢) المدخل إلى السنن الكبرى (٢٦٣).
(٣) مختصر المزني (١/ ١).

وقال بشر بن الوليد: قال أبو يوسف: لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا.

وقد صرح الإمام مالك بأن من ترك قول عمر بن الخطاب لقول إبراهيم النخعي أنه يستتاب. فكيف مَن تَرَكَ قَولَ الله ورسوله لقول مَن هو دون إبراهيم أو مثله!

وقال أبو جعفر الفِرْيَابي: حدثني أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقِيّ حدثني الهيثم بن جميل: قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله، إن عندنا قومًا وضعوا كتبًا، يقول أحدهم «حدثنا فلانٌ عن فلانٍ عن عمر بن الخطاب ﷺ بكذا وكذا، وفلان عن إبراهيم بكذا» ويأخذ بقول إبراهيم! قال مالك: وصح عندهم قول عمر؟ قلت: إنما هي رواية، كما صح عندهم قول إبراهيم. فقال: هؤلاء يستتابون[1].

وقال الطحاوي: حدثنا محمد بن الحكم، حدثنا عبد الله بن الحكم، حدثنا أشهب بن عبد العزيز قال: كنت عند مالك، فسئل عن البَتَّة[2]، فأخذت ألواحي لأكتب ما قال، فقال لي مالك: لا تفعل؛ فعسى في العَشِيِّ أقول: إنها واحدة.

وقال معن بن عيسى القزاز: سمعت مالكًا يقول: إنما أنا بشر، أخطئ وأصيب، فانظروا في قولي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه[3].

وقال بَقِيّ بن مَخْلَد: حدثنا سحنون والحارث بن مسكين، عن ابن القاسم، عن مالك أنه كان يكثر أن يقول: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٢٠٠ - ٢٠٣).
(٢) أي: طلاق البتة. والصحيح أنه يقع واحدة. «فتاوى الشيخ ابن باز» (٢١ / ٣٦٤).
(٣) إعلام الموقعين (١/ ٧٥).

وقال القعنبي: دخلت على مالك بن أنس، في مرضه الذي مات فيه، فسلمت عليه ثم جلست، فرأيته يبكي، فقلت: يا أبا عبد الله، ما يبكيك؟ قال: يابن قعنب، ما لي لا أبكي! ومن أحق بالبكاء مني! والله لَوَدِدْتُ أني ضُرِبْتُ بكل مسألة أفتيت بها بالرأي سوطًا، وقد كانت لي السعة فيما سبقت إليه، وليتني لم أُفت بالرأي!

وقال ابن أبي داود: حدثنا أحمد بن سنان قال: سمعت الشافعي يقول: مَثَلُ الذي ينظر في الرأي ثم يتوب منه، مثل المجنون الذي عولج حتى برأ فأعقل ما يكون.

وقال ابن أبي داود: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: لا تكاد ترى أحدًا نظر في الرأي إلا وفي قلبه دَغَل[1].

وقال الأصم: أنبأنا الربيع بن سليمان: لنعطينك جملة تعينك إن شاء الله: لا تدع لرسول الله ﷺ حديثًا أبدًا، إلا أن يأتي عن رسول الله ﷺ خلافه، فتعمل بما قلت لك في الأحاديث إذا اختلفت.

قال الأصم: وسمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودَعُوا ما قلت[2].

وقال أحمد بن علي بن عيسى بن ماهان الرازي: سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: كل مسألة تكلمت فيها، صح الخبر فيها عن النبي ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت، فإني راجع عنها في حياتي وبعد موتي.

وقال الحاكم: سمعت الأصم يقول: سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٧٣).
(٢) المدخل إلى السنن الكبرى (٢٤٩).

يقول، وروى حديثًا، فقال له رجل: هل تأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال: متى رَوَيْتُ عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا فلم آخذ به، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب. وأشار بيده على رؤوسهم[(١)].

وقال الحميدي: سأل رجلٌ الشافعيَّ عن مسألة، فأفتاه وقال: قال رسول الله ﷺ كذا. وقال الرجل: تقول بهذا؟ قال: رأيتَ في وسطي زِنَّارًا! أتُراني خرجتُ من كنيسة! أقول (قال النبي ﷺ) وتقول لي: أتقول بهذا! أروي عن النبي ﷺ ولا أقول به[(٢)]!

وقال الحاكم: أنبأني أبو عمرو بن السماك، مشافهةً، أن أبا سعيد الجصاص حدثهم قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي يقول، وسأله رجل عن مسألة فقال: رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال كذا وكذا. فقال له السائل: يا أبا عبد الله، أتقول بهذا؟ فارتعد الشافعي واصفرَّ وحال لونه، وقال: ويحك! وأيُّ أرض تُقِلُّنِي وأي سماء تُظِلُّنِي إذا رويتُ عن رسول الله ﷺ شيئًا فلم أقل به! نعم، على الرأس والعينين، نعم، على الرأس[(٣)].

وقال: سمعت الشافعي يقول: ما من أحد إلا وقد يذهب عنه سنة لرسول الله ﷺ وتَعْزُبُ عنه، فمهما قلتُ من قول، أو أَصَّلْتُ من أصل، فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلتُ، فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي. وجعل يردد هذا الكلام[(٤)].

---

(١) المدخل إلى السنن الكبرى (٢٥٠).
(٢) تاريخ دمشق (٥١/ ٣٨٨).
(٣) تاريخ دمشق (٥١/ ٣٨٩).
(٤) تاريخ دمشق (٥١/ ٣٨٩).

وقال الربيع: قال الشافعي: لم أسمع أحدًا نَسَبْته عامَّة، أو نَسَبَ نفسَه إلى علم، يخالف في أن اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه، فإن الله لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قولُ رجلٍ قال إلا بكتاب الله أو سنه رسوله، وأن ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله علينا، وعلى مَن بَعْدَنا وقَبْلَنا، في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد، لا يختلف فيه الفرق، وواجبٌ قبولُ الخبر عن رسول الله ﷺ إلا فرقة سأصف قولها إن شاء الله.

قال الشافعي: ثم تفرق أهل الكلام في تثبيت الخبر الواحد عن رسول الله ﷺ تفرقًا متباينًا، وتفرق عنهم ممن نَسَبْتُهُ العامة في الفقه تفرقًا، أتى بعضهم فيه أكثر من التقليد والتحقيق من النظر والغفلة والاستعجال بالرياسة[1].

وتواتر عنه أنه قال: إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط.

تتمة: قد بيَّن الشيخ، رحمة الله تعالى، في بعض رسائله: التقليد الممنوع، والمأذون فيه والمباح، فقال[2]:

وأما القول في التقليد واتباع الدليل: . . الثاني: أن الله سبحانه فرض علينا فرضين:

**الأول**: اتباع رسول الله ﷺ وترك ما خالفه في كل شيء، وأن الإنسان ما يؤمن حتى يُحكمه فيما شجر بينه وبين غيره.

**والفرض الثاني**: أن الله فرض علينا في كل مسألة تنازعنا فيها أن نردها إلى الله والرسول، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٢٨٥ - ٢٨٦).

(٢) ابن غنام يقتصر على نقل الشاهد من كلام الشيخ محمد رحمهما الله. ويُنظر: «إعلام الموقعين» (٢ / ١٧٨ ومابعدها)، فهو المرجع الأساس.

وخاطب بها جميع المؤمنين، المجتهد وغيره، ولكن نقول: الواجب عليك تقوى الله ما استطعت، وذلك أن تطلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة على قدر فهمك، فما عرَفْتَ من ذلك فاعمل به، وما لم تعرفه واحتجت فيه إلى تقليد أهل العلم قَلَّدْتَهم، وما أجمعوا عليه فهو الحق، وما تنازعوا فيه رُدَّ إلى الله والرسول. وأما أَخْذُ الإنسان ما اشتهت نفسه ووَجَد عليه أباه، وتَرْكُ ما خالفه من كلام أهل العلم، وغَفْلَتُه عن كلام الله ورسوله، واستهزاؤُه بمَن طَلَب ذلك، فهذا هو الضلال الذي أنكرنا.

والأدلة على هذا من كلام أهل العلم أكثر من أن تُحْصَر، منها:

ما ذكره ابن رجب في «الطبقات» في ترجمة ابن هُبَيرة، قال: مما أنكَرَه عليَّ بعضُ مَن يُفتِي في عصره، قال: وتارة إذا ذَكَرْتَ لأحدهم الدليل قال: وليس هذا مذهبنا. فيُقِيم أوثانًا تُعْبَد مع الله[1].

قال: وقال في «حاشية المنتقى» في كتاب القضاء: من قلَّد أمامًا ثم خالفه لقوة الدليل، أو يكون أحدهما أعلم أو أتقى أو أروع، فقد أحسن. فقد صرح أن المقلد إذا خالف إمامه لقوة الدليل أو يكون أحدهما أعلم فقد أحسن.

وقال الشيخ تقي الدين[2]، لما سئل عن المقلِّد لبعض الأئمة إذا رأى حديثًا يخالف إمامه: قد ثبت أن الله فَرَض على الخلق طاعته وطاعة رسوله، ولم يوجب على هذه الأمة طاعةَ أحدٍ بعينه، في كل ما يأمر به وينهى عنه، إلا رسول الله ﷺ، حتى إن صديق هذه الأمة وأفضلها بعد نبيها يقول: أطيعوني ما أطعتُ الله، فإذا عَصَيتُ الله فلا طاعة لي عليكم.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ١١١).

(٢) ابن تيمية، في «الفتاوى» (٢٠ / ٢١٠ - ٢١٦).

واتفقوا كلهم على أن ليس أحد معصومًا في كل ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول الله ﷺ ولهذا قال غير واحد من الأئمة: كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويُتْرَك إلا رسول الله ﷺ. وهؤلاء الأئمة الأربعة قد نَهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه، وذلك هو الواجب عليهم، وقال أبو حنيفة: هذا رأيِي، فمن جاء برأيٍ خيرٍ منه قبلناه.

ولهذا لما حج أفضل أصحابه، أتى مالكًا، فسأله عن مسألة الصاع، وصدقة الخضروات، ومسألة الأجناس، فأخبره مالك بما تدل عليه السنة في ذلك، قال: قد رجعتُ إلى قولك يا أبا عبد الله، ولو رأى صاحبي مثل ما رأيتُ لرجَع كما رجَعتُ.

ومالك كان يقول: إنما أنا بشر أصيب وأخطئ، فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة. أو كلامًا هذا معناه.

والشافعي كان يقول: إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط، وإذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق فهو قولي.

والإمام أحمد كان يقول: لا تقلدوني، ولا تقلدوا مالكًا ولا الشافعي ولا الثوري، وتعلَّم كما تعلَّمنا.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من يُرِد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[1] ولازم ذلك أن من لم يرد به خيرًا لم يفقهه في الدين، فيكون التفقه في الدين فرضًا. والتفقه في الدين: معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية، فمن لم يعرف ذلك لم يكن متفقهًا في الدين.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

لكن من الناس من يَعْجِزُ عن معرفة الأدلة التفصيلية في جميع أموره، فيسقط عنه ما يَعْجِزُ عن معرفته، ويلزمه ما يقدر عليه، وأما القادر على الاستدلال فقيل: يحرم عليه التقليد مطلقًا. وقيل: يجوز مطلقًا. وقيل: يجوز عند الحاجة، كما إذا ضاق الوقت عند الاستدلال. وهذا القول أعدل الأقوال.

والاجتهاد ليس هو أمرًا واحدًا، فيقبل التجزي والانقسام، بل قد يكون الرجل مجتهدًا في فن أو باب أو مسألة، دون فن أو باب أو مسألة، وكل أحد فاجتهاده بحيث وسعه، فمن نظر في مسألة تنازَعَ العلماء فيها، ورأى مع أحد القولين نصوصًا لا يعلم لها مُعَارضًا، بل نَظَرٌ مثلُه، فهو بين أمرين:

إما أن يتبع قول القائل الآخر، بمجرد كونه الإمام الذي اشتغل على مذهبه، ومثل هذا ليس بحجة شرعية، بل مجرد عادة يعارضها عادة غيره لاشتغاله على مذهب إمام آخر.

وإما أن يتبع القول الذي ترجح في نظره بالنصوص الدالة عليه، فحينئذ تكون موافقته لإمامٍ تقاوم ذلك الإمام، وتبقى النصوص سالمة في حقه عن المُعَارِض، فهذا هو الذي يصلح.

وإنما تنزلنا هذا التنزل لأنه قد يقال: إن نَظَرَ هذا قاصر، وليس اجتهاده تامًّا في هذه المسألة لضعف آلة الاجتهاد في حقه، وأما إذا قدر على الاجتهاد التام، الذي يعتقد معه أن القول الآخر ليس معه ما يدفع به النص، فهذا يجب عليه اتباع النصوص، وإن لم يفعل كان متبعًا للظن وما تهوى الأنفس، وكان من أكبر العصاة لله ولرسوله، بخلاف من قد يقول: قد يكون للقول الآخر حجة راجحة على هذا النص، وأنا لا أعلمها. فهذا يقال له: قد قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ وقال النبي ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[1] والذي

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧).

تستطيعه من العلم والفقه في هذه المسألة قد دلك على أن هذا القول هو الراجح، فعليك أن تتبعه، ثم إن تبين لك فيما بعد أن للنص معارضًا راجحًا كان حكمك حكم المجتهد إذا تغير اجتهاده، وانتقالُ الإنسان من قول إلى قول لأجل ما تَبَيَّنَ له من الحق هو محمود فيه، بخلاف إصراره على قول لا حجة معه عليه، وتَرْكِ القول الذي توضحت حجته، أو الانتقالِ من قول إلى قولٍ لمجرد عادة أو اتباع هوى، فهذا مذموم.

وإذا كان الإمام المقلَّدُ قد سمع الحديث وتَرَكَه، لا سيما إذا كان قد رواه أيضًا، فمثل هذا وحده لا يكون عذرًا في ترك النص، قد بَيَّنَّا فيما كتبناه في «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» نحو عشرين عذرًا للأئمة في ترك العمل ببعض الحديث، وبَيَّنَّا أنهم يُعْذَرُون في الترك لتلك الأعذار، وأما نحن فلسنا معذورين في تركنا لهذا القول، فمن ترك الحديث لاعتقاده أن ظاهر القرآن يخالفه، أو القياسَ، أو عَمَلَ بعضِ الأمصار، وقد تبين لآخر أن ظاهر القرآن لا يخالفه، وأن نص الحديث الصحيح مقدَّم على الظواهر، ومقدَّم على القياس والعملِ، لم يكن عذر ذلك الرجل عذرًا في حقه؛ فإن ظهور المدارك الشرعية للأذهان وخفاءَها عنها أمرٌ لا ينضبط طرفاه، لا سيما إذا كان التارك للحديث معتقدًا أنه قد تَرَكَ العَمَلَ به المهاجرون والأنصار من أهل المدينة النبوية وغيرها، الذين يقال إنهم لا يتركون الحديث إلا لاعتقادهم أنه منسوخ، أو له معارض راجح، وقد بَلَغَ مَن بعده أن المهاجرين والأنصار لم يتركوه، بل عمل به طائفة منهم، أو من سمع منهم، ونحو ذلك مما يقدح في هذا المعارض للنص.

وإذا قيل لهذا المستهدِي المسترشِدِ: أنت أعلم أم الإمام الفلاني؟ كانت هذه معارضة فاسدة؛ لأن الإمام الفلاني قد خالفه في هذه المسألة مَن هو نظيرُهُ من الأئمة، ولستَ أعلم من هذا ولا هذا، ولكن نسبة هؤلاء إلى الأئمة كنسبة أبي

بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبيّ ومعاذ، ونحوهم إلى الأئمة وغيرهم، فكما أن هؤلاء الصحابة بعضهم لبعض أَكْفَاءٌ في موارد النزاع، وإذا تنازعوا في شيء رَدُّوا ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، وإن كان بعضهم قد يكون أعلَمَ في مواضع أُخَرَ، وكذلك موارد النزاع بين الأئمة.

وقد ترك الناس قول عمر وابن مسعود في مسألة تيمم الجُنب، وأخذوا بقول مَن هو دونهما كأبي موسى الأشعري وغيره لما احتج بالكتاب والسنة[1].

وتركوا قول عمر في دية الأصابع، وأخذوا بقول معاوية لما كان معه السنة أن النبي ﷺ قال: «**هذه وهذه سواء**».

وقد كان بعض الناس يناظر ابنَ عباس في المتعة، فقال له: قال أبو بكر وعمر. فقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء؛ أقول لكم: قال رسول الله ﷺ. وتقولون: قال أبو بكر وعمر!

وكذلك ابن عمر لما سألوه عنها فأَمَرَ بها، فعارضوه بقول عمر، فبَيَّنَ لهم أن عمر لم يُرِدْ ما يقولونه، فأَلَحُّوا عليه، فقال لهم: أَمْرَ رسولِ الله ﷺ أَحَقُّ أن تَتَّبِعُوا أم أَمْرَ عمر[2]!

مع علم الناس أن أبا بكر وعمر أعلم ممن فوق ابن عمر وابن عباس.

ولو فُتِحَ هذا الباب لَوَجَبَ أن يُعْرَضَ عن قول الله ورسوله، ويبقى كل إمام في اتِّبَاعه بمنزلة النبي ﷺ وهذا تبديل للدين يشبه ما عاب اللهُ به النصارى في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧) ومسلم (٣٦٨).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٩٥).
(٣) انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

ولو أطلَقْتُ لِجَوَادِ الفهمِ العَنَانَ، وأَجْرَيْتُه في فسيح الميدان، واستوعبتُ ما ثبت فيه من قول العلماء الأعيان، وأتَيْتُ بما صَحَّ عن ذوي الشان، لكان عبابًا متلاطم الأمواج، وضبابًا هامل الوَدْقِ ثَجَّاج، ومَهَامِهَ لا يُسْتَطَاع السلوك في فجاجها، ولا يُتَسَنَّم شامخ منهاجها، ويكاد صافن الفكر أن يُحجم في هذا المضمار، ويُسْرِع إلى سابق المراع الكبوة والعِثَار، في استيفاء تلك الآثار، والاستقصاء على وِرده من الأخبار، ولاقتضى في الكتابة أسفار، والمراد تأدية ما يحصل به للقلوب إسفار، فتستضيء ألباب ذوي الاستبصار، فتُشرق منه أنوار الاعتبار.

ولمحمد بن إسماعيل الصنعاني قصيدة بديعة في هذا المعنى، فائقة أترابها رونقًا وحسنا، وقد جَرَّت ذيول الفخر، لا سيما بمدح هذا الحبر، وها هي عليك بادية، وبلسان الفضيحة على المعاند منادية(١):

سلامي على نجد ومَن حَلَّ في نجدِ ... وإن كان تسليمي على البُعْد لا يُجْدِي
لقد صَدَرَت مِن سفح صَنْعَا سَقَى الحَيَا ... رُبَاها وحَيَّاها بقهقهة الرعدِ
سَرَت من أسير يُنْشِد الريح إن سَرَت ... ألا يا صَبا نَجْدٍ متى هِجْتَ مِن نَجْدِ
يذكِّرني مَسْرَاك نجدًا وأهله ... لقد زادني مسراك وجدًا على وَجْدِ
قِفِي واسألي عن عالِمٍ حَلَّ سُوحَهَا ... به يهتدي مَن ضَلَّ عن منهج الرشدِ
محمدٍ الهادي لِسُنَّةِ أحمدٍ ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المَهْدِي
لقد أنكَرَت كلُّ الطوائف قَوْلَه ... بلا صَدَرٍ في الحق منهم ولا وِرْدِ
وما كل قولٍ بالقَبُول مقابَلٌ ... ولا كل قول واجبُ الطَّردِ والرَّدِّ
سوى ما أتى عن ربِّنَا ورسولِهِ ... فذلك قولٌ جَلَّ يا ذا عن الرَّدِّ

(١) انظرها في ديوانه (ص ١٦٦ - ١٧٠).

وأمـا أقـاويـل الـرجـال فـإنهـا تدور على قدر الأدلة في النقدِ
وقـد جاءت الأخبـار عنـه بأنـه يُعِيد لنا الشرع الشريف بما يُبْدِي
وينشر جهرًا ما طَوَى كلُّ جاهلٍ ومُبْتَدِعٍ منه فوافق ما عندي
ويَـعْـمُـرُ أركـان الـشريـعـة هـادمًـا مشاهد ضَلَّ الناس فيها عن الرُّشْدِ
أعـادوا بهـا معـنى سُوَاعٍ ومِثْلَهُ يَغُوثُ وَوَدٌّ بئس ذلك مِن وِدِّي
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالواحد الفردِ
وكم عَقَروا في سُوحِهَا مِن عَقِيرة أُهِلَّت لغير الله جهرًا على عَمْدِ
وكم طائف حول القبور مُقَبِّلٍ ومستَلِمِ الأركان منهنّ باليَدِّ
وحَـرَّقَ عـمـدًا لـلـدلائـل دَفْـتَرًا أصاب ففيها ما يَجِلُّ عن العَدِّ
غُـلُـوٌّ نهى عـنـه الـرسـول وفِرْيَـةٌ بلا مِرْيَةٍ فَاتْرُكْهُ إن كنت تَسْتَهْدِي
أحاديث لا تُعْزَى إلى عالمٍ فلا تُسَاوي فلسًا إن رَجَعْتَ إلى النقدِ
وصَيَّرَهـا الجُـهَّـالُ لـلـذكـر ضَرَّةً تَرَى دَرْسَهَا أزكى لديهم مِن الحمدِ
لقد سرني ما جاءني من طريقة وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي
وأقبح من كل ابتداع سمعته وأنكاه للقلب الموفَّق للرشدِ
مذاهب من رام الخلاف لبعضها يَعَضُّ بأنياب الأساود والأُسْدِ
يَصُـبُّ عليه سَوْطَ ذمٍّ وغِيـبـةٍ ويَجْفُوه من قد كان يهواه عن عمدِ
ويُعْـزَى إليه كل ما لا يقوله لتنقيصه عند التُّهَامي والنجدي
فيرميه أهل النصب بالرفض فِرية ويرميه أهل الرفض بالنصب والجحدِ
وليس لـه ذنـب سوى أنـه غـدا يتابع قول الله في الحَل والعقدِ
ويـتـبـع أقـوال الـرسـول محـمـد وهل غيره بالله في الناس من يَهْدِي
وإن عـده الجـهـال ذنبًـا فـحـبـذا به حبذا يوم انفرادي في لحدي
عـلام جـعـلـتـم أيها الـنـاس ديننا لأربعة لا شك في فضلهم عندي

وهم علماء الدين شرقًا ومغربًا ونور عيون الفضل والحق والزهدِ
ولكنهم كالناس ليس كلامهم دليلًا ولا تقليدهم في غَدٍ يُجْدِي
ولا زعموا حاشاهُم أن قولهم دليل فَيَسْتَهْدِي به كلُّ مُسْتَهْدِي
بلى صرحوا أنا نقابل قولهم إذا خالف المنصوص بالقدح والردِّ
سلامي على أهل الحديث فإنني نشأت على حب الأحاديث مِن مَهْدِي
هُمُ بذلوا في حفظ سنة أحمد وتنقيحها من جهدهم غاية الجهدِ
وأعني بهم أسلاف أمة أحمد أولئك في بيت القصيدة هُمُ قصدي
أولئك أمثال البخاري ومسلم وأحمد أهل الجهد في العلم والجدِ
بحور وحاشاهم عن الجَزْرِ إنما لهم مَدَدٌ يأتي من الله بالمَدِّ
رَوَوْا وارتَوَوْا من علم سنة أحمد وليست لهم تلك المذاهب من وِرْدِ
كفاهم كتاب الله والسنة التي كَفَتْ قبلهم صَحْبَ الرسول ذَوِي الرشدِ
أأنتم أهدى أم صحابة أحمد وأهل الكِسَا هيهات ما الشوك كالوردِ
أولئك أهدى في الطريقة منكمُ فهم قدوتي حتى أُوَسَّدَ في لحدي
وشتان ما بين المقلِّدِ في الهدى ومن يقتدي والضِّدُّ يُعْرَفُ بالضِّدِّ
فمن قلَّد النعمان أصبح شاربًا نبيذًا وفيه القول للبعض بالحَدِّ
ومن يقتدي أضحى إمامَ مَعَارِفٍ وكان إمامًا في العبادة والزهدِ
فمقتديًا في الحق كن لا مقلِّدًا وخَلِّ أَخَا التقليد في الأسر بالقَدِّ
وأكفر أهل الأرض من قال إنه إله فإن الله جل عن النِّدِّ
مُسَمَّاه كُلُّ الكائنات جميعُها من الكلب والخنزير والقرد والفهدِ
وأن عذاب النار عَذْبٌ لأهلها سواء عذابُ النار أو جنةُ الخلدِ
وعُبَّاد عِجْلِ السامريّ على هدىً ولائمهم في اللوم ليس على رشدِ
وينشدنا عنه نصوصَ فُصُوصِهِ ينادي خذوا في النظم مكنون ما عندي

وكنتُ امرأً من جند إبليس فارتقى بيَ الدهر حتى صار إبليس من جندي
فلو مات قبلي كنت أدركت بعده دقائق كفر ليس يدركها بعدي
وكم من ضلال في الفتوحات صَدَّقَت به فرقة أضحَوا أَلَدَّ من اللُّدِّ
يلوذون عند العجز بالذوق لَيْتَهُمْ يذوقون طعم الحقِّ والحقُّ كالشهدِ
فنسألهم ما الذوق قالوا مناله عزيز فلا بالرسم يُدْرَكُ والحَدِّ
تَسَتُّرُهُم بالكشف والذوق أشعَرَا بأنهمُ عن مطلب الحق في بُعْدِ
ومن يطلب الإنصاف يُدْلِي بحجة ويرجع أحيانًا ويَهدي ويَستهدي
وهيهات كلٌ في الديانة تابع أباه كأن الحق في الآباء والجَدِّ
وقد قال هذا قبلهم كل مشرك فهل قدحوا هذي العقيدة مِن زَنْدِ
كذلك أصحاب الكتاب تتابعوا على ملة الآباء فردًا على فردِ
وهذا اغتراب الدين فاصبر فإنني غريب وأصحابي كثير بلا عَدِّ
إذا ما رأوني عظموني وإن أَغِبْ فكم أكلوا لحمي وكم مزقوا جلدي
هنيئًا مريئًا في اغتيابي فوائد فكلُ فتىً يغتابني فَهْوَ لي يُهْدِي
يصلي ولي أجر الصلاة وصومُه ولي كل شيء من محاسنه يُبْدِي
وكم حاسد قد أنضج الغيظ قلبه ولكنه غيظ الأسير على القَدِّ
فدُونَكَهَا تَحْوِي علومًا جليلة منزَّهة عن وصف خَدٍّ وعن قَدِّ
فلا مَدَحَت وصلًا لِلَيْلَى وزينب ولا هي ذَمَّت هَجْرَ سُعْدَى ولا هندِ
إليك طَوَت عرض الفَيَافِي وطولَها فكم قَطَعَت غَورًا ونجدًا إلى نجدِ
أناخت بنجدٍ فاستراحت ركابها وراح خليًّا من رحيل ومن شَدِّ
فأحسِنْ قِرَاها بالقراءة ناظمًا عليها جوابًا فَهْيَ من جملة الوفدِ
وقد طوت جبر الضعف نظامها كما سُتر الوجه المشوه بالبُرد
وصلِّ على المختار والآل إنها لحسن ختام النظم واسطة العقدِ

قد تبين لكل متأمل منصف، فساد ما نحاه كل مجادل ومعاند مسرف، ووضح له بجلب هذه الآثار والأنقال، وسرد هذه العبارات البرية من وصمة المقال، الصحيح الذي يجب اتباعه والعمل به من الأقوال، والفاسد الذي لم يُنْسَج من الشريعة الغراء على منوال، وزال ما في قلبه من الرَّيْنِ والإشكال، وعرف يقينًا أن ما اقتفاه من الهدى الصحب والآل، هو النجاة يوم القيامة من شدائد تلك الأهوال، فيَدَع ما انتحله من المناهج المتأخرة الرجال، ويعرف فضل ذوي العلم والأعمال، الذين اتخذوا كتاب الله تعالى لهم سميرًا، وسنة نبيه ﷺ لهم ظهيرًا، فكان لهم تبارك وتعالى معينًا ونصيرًا، حتى عرجوا في معارج الكمال، وتبوأوا مراتب من الشرف لا تُدرك ولا تُنال، بل لا يوطأ بغير التوحيد لها جال، وصب عليهم من صَيِّبِ الرحمة سِجَال، وتلقاهم بالقبول والإقبال، وأسكنهم من الخلد أرفع ظلال، ينالون ما يشتهون فيه بالغدو والآصال.

فمن عَزَّت عليه نفسه سعى من الأسباب لها في الخلاص، وراقب يوم الأخذ بالنواص، حين يعَض الظالم على يديه ندامة وتسويلًا، وينادي على رءوس الأشهاد، يوم الوقوف والتناد، ولكن لا يُعَرَّج على قوله تعويلًا، ولا يجد إلى منهج الفكاك دليلًا، فيقول مما يكابد من العذاب جزاءً له وتنكيلًا: ﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ ويتحقق بعد ذلك المشاهدة والمعاينة، على ما كان سالكًا في الدنيا من المباينة، لما كان عليه صالح السلف، والأتباع الذين هم أهدى خلف، وتستبين لهم سبيل الراسخين الأتباع، فيجاهد نفسه الراكنة إلى الهوى على الاهتداء بهم والاتباع، ويجزم بأن أكثر ما قرره غلاة الأحبار، وأجالوا فيه دقائق الأفكار، من إيجاب التقليد، وإنكار الاجتهاد، وأنه لا يسوغ لأحد من العباد، تعصب منهم على الوظائف والمناصب، ومصادمة للحق حملهم عليها الاستعلاء للمراتب، واستيفاء المقرر لأهل تلك المذاهب.

**خاتمة:** توفي الشيخ، رحمه الله تعالى، وله من العمر قريبٌ من ثنتين وتسعين سنة، وكان في خلال هذه المدة يبذل في طاعة مولاه جهده، محافظًا على ما له من الأحزاب والأوراد، مشمِّرًا في تحصيل نافع الزاد، متجردًا للاستعداد ليوم المعاد، حتى لقي الله تعالى، فأفاض عليه من صَيِّبِ الرحمة سِجَالًا.

وسيأتي الكلام على وفاته في سنتها المعلومة، مع مرثية هنا مثبتة مرقومة.

وقد صنف، رحمه الله تعالى، مصنفات كثيرة، وألف مؤلفات نافعة شهيرة، منها: كتاب «التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد» وكتاب «الكبائر» وكتاب «كشف الشبهات» وكتاب «السيرة المختصرة» وكتاب «السيرة المطولة» نحو مجلد، وكتاب «مختصر الهدي النبوي» في مجلد لطيف، وكتاب «مجموع الحديث على أبواب الفقه» وكتاب «مختصر الشرح الكبير والإنصاف» مجلد كبير، وله رسائل كثيرة عقدنا للمختصرات منها فصلًا، واستوعبنا ما وقفنا عليه منها.

وأما الرسائل المطولة فمنها «كشف الشبهات» وستأتي.

**ومنها: رسالة كتبها لعبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي، وهي هذه، وأنا أذكرها بكمالها لما فيها من الفوائد الجليلة، قال فيها:**

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف، حفظه الله تعالى:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد وصل إلينا من ناحيتكم مكاتيب فيها إنكار وتغليظ عليَّ، ولما قيل إنك كَتَبْتَ معهم، وقع في الخاطر بعض الشيء؛ لأن الله سبحانه نشر لك من الذكر

الجميل، وأنزل في قلوب عباده لك من المحبة ما لم يُؤْتَهُ كثيرٌ من الناس، لما يُذْكَرُ عنك مِن مخالفة مَن قِبَلَكَ مِن حكام السوء، وأيضًا لما أعلم منك من محبة الله ورسوله، وحسن الفهم، واتباع الحق ولو خالفك فيه كبار أئمتكم، لأني اجتمعت بك من نحو عشرين، وتذاكرت أنا وإياك في شيء من التفسير والحديث، وأخرَجْتَ لي كراريس من البخاري كَتَبْتَهَا، ونَقَلْتَ على هوامشها من الشروح، وقلت في مسألة الإيمان التي ذكر البخاري في أول الصحيح: هذا هو الحق الذي أدين الله به. فأعجبني هذا الكلام؛ لأنه خلاف مذهب أئمتكم المتكلمين، وذاكرتني أيضًا في بعض المسائل، فكنت أحكي لمن يتعلم مني ما منَّ الله به عليك من حسن الفهم ومحبة الله والدار الآخرة.

فلأجل هذا لم أظن فيك المسارعة في هذا الأمر؛ لأن الذين قاموا فيه مخطئون على كل تقدير، لأن الحق إن كان مع خصمهم فواضح، وإن كان معهم فينبغي للداعي إلى الله أن يدعو بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، وقد أمر الله رسولَيْهِ موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى.

وينبغي للقاضي، أعزه الله بطاعته، لما ابتلاه الله بهذا المنصب أن يتأدب بالآداب التي ذكرها الله في كتابه الذي أنزل ليبين للناس ما اختلفوا فيه وهدًى ورحمةً لقوم يوقنون، فمن ذلك لا يَسْتَخِفَنَّهُ الذين لا يوقنون، ويتثبت عند سِعَايات الفساق والمنافقين ولا يَعْجَل، وقد وصف الله المنافقين في كتابه بأوصافهم، وذكر شُعَبَ النفاق لِتُجْتَنَبَ ويُجْتَنَبَ أهلها أيضًا، فوصفهم بالفصاحة والبيان وحسن اللسان، بل وحسن الصورة، في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ الآية، ووصفهم بالمكر والكذب والاستهزاء بالمؤمنين في أول البقرة، ووصفهم بكلام ذي الوجهين، ووصفهم بالدخول في المخاصمات بين الناس بما لا يحب الله ورسوله، في قوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾الآية، ووصفهم باستحقار المؤمنين والرضا بأفعالهم، ووصفهم بغير هذا في البقرة وبراءة وسورة القتال، وغير ذلك، كل ذلك نصيحة لعباده ليجتنبوا الأوصاف ومَن تَلَبَّسَ بها، ونهى الله نبيه عن طاعتهم في غير موضع، فكيف يجوز من مثلك أن يَقْبَلَ مِن مثل هؤلاء! وأعظم من ذلك أن تعتقد أنهم من أهل العلم وتزورهم في بيوتهم وتعظمهم! وأنا لا أقول لك هذا في واحد بعينه، ولكن نصيحة وتعريف بما في كتاب الله من سياسة الدين والدنيا، لأن أكثر الناس قد نبذه وراء ظهره.

وأما ما ذُكر لكم عني فإني لم آته بجهالة، بل أقول، ولله الحمد والمنة وبه القوة: ﴿إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ولست، ولله الحمد، أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم؛ مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير، أو غيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أُشْهِدُ الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لَأَقْبَلَنَّها على الرأس والعين، ولَأَضْرِبَنَّ الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق.

وصفة الأمر، غير خافٍ عليكم ما دَرَج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون وأتباعهم، والأئمة كالشافعي وأحمد وأمثالهما، ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم، وكذلك ما دَرَج عليه مَن سَبَقَت له من الله الحسنى من أتباعهم، وغير خاف عليكم ما أحدث الناس في دينهم من الحوادث، وما خالفوا فيه طريق سلفهم، ووَجَدْتُ المتأخرين أكثرهم قد غَيَّر وبَدَّل، وسادتُهُم وأئمتُهُم وأعلمُهُم وأعبدُهُم وأزهدُهُم؛ مثل ابن القيم والحافظ الذهبي والحافظ

العماد ابن كثير والحافظ ابن رجب، قد اشتد نكيرهم على أهل عصرهم الذين هم خيرٌ من ابن حجر وصاحب «الإقناع»[١] بالإجماع، فإذا استدل عليهم أهل زمانهم بكثرتهم وإطباق على طريقتهم قالوا: هذا من أكبر الأدلة على أنه باطل؛ لأن رسول الله ﷺ قد أخبر أن أمته تسلك مسالك اليهود والنصارى «حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه»[٢] وقد ذكر الله في كتابه أنهم فرَّقوا دينهم وكانوا شِيَعًا، وأنهم كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا: هذا من عند الله. وأنهم تركوا كتاب الله والعمل به، وأقبلوا على ما أحدثه أسلافهم من الكتب، وأخبر أنه وصاهم بالاجتماع، وأنهم لم يختلفوا لخفاء الدين، بل اختلفوا مِن بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ والزبر: الكتب.

فإذا فهم المؤمن قول الصادق المصدوق: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم**» وجعله قِبْلَةَ قَلْبِهِ، تبين له أن هذه الآيات وأشباهها ليست على ما ظن الجاهلون أنها كانت في قومٍ كانوا فبانوا، بل يُفْهَمُ ما ورد عن عمر رضي الله عنه، أنه قال في هذه الآيات: مضى القوم وما يعني به غيركم[٣].

وقد فرض الله على عباده في كل صلاة أن يسألوه الهداية إلى صراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، الذين هم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فمن عرف دين الإسلام، وما وقع الناس فيه من التغيير له عرف مقدار هذا الدعاء وحكمة الله فيه.

---

(١) موسى الحجّاوي (ت ٩٦٨هـ).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ١٠٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾.

والحاصل أن صورة المسألة: هل الواجب على كل مسلم أن يطلب علم ما أنزل الله على رسوله، ولا يُعْذَرُ أحد في تركه ألبتة، أم يجب عليه أن يَتَّبِعَ «التحفة»[١] مثلًا؟ فأعلم المتأخرين وسادتهم، منهم ابن القيم، قد أنكروا هذا غاية الإنكار، وأنه تغيير لدين الله، واستدلوا على ذلك بما يطول وصفه من كتاب الله الواضح، ومن كلام رسول الله ﷺ البين لمن نَوَّر الله قلبه. والذين يُجِيزُون ذلك أو يوجبونه يُدْلُون بشبهة واهية، لكن أكبر شُبَهِهِم على الإطلاق: أنَّا لَسْنَا من أهل ذلك ولا نقدر عليه، ولا يقدر عليه إلا المجتهد، و﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾.

ولأهل العلم في إبطال هذه الشبهة ما يحتمل مجلدًا، ومن أوضحه قول الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وقد فسرها رسول الله ﷺ في حديث عَدِيّ[٢] بهذا الذي أنتم عليه اليوم في الأصول والفروع، لا أعلمهم يزيدون عليكم مثقال حبة خردل، بل يبين مصداق قوله: «**حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّة...**» إلى آخره، وكذلك فسرها المفسرون، لا أعلم بينهم

---

(١) «تحفة المحتاج في شرح المنهاج»؛ لابن حجر الهيتمي الشافعي. قال محمد بن سليمان الكردي: «ذهب علماء حضرموت والشام والأكراد وداغستان وأكثر اليمن والحجاز إلى أن المعتمد ماقاله الشيخ ابن حجر في كتبه، بل في تحفته؛ لما فيها من إحاطة بنصوص الإمام، مع مزيد تتبع المؤلف فيها، ولقراءة المحققين لها عليه». عن: «المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي»؛ للدكتور أكرم القواسمي (ص ٤١٤ - ٤١٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) من حديث عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «**يا عدي اطرح عنك هذا الوثن**» وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه**» وحسنه الشيخ الألباني في (غاية المرام ٦).

اختلافًا، ومن أحسنه ما قاله أبو العالية: أما إنهم لم يعبدوهم، ولو أمروهم بذلك ما أطاعوهم، ولكنهم وجدوا كتاب الله فقالوا: لا نسبق علماءنا بشيء، ما أَمَرُونا به ائتمرنا، وما نَهَوْنَا عنه انتهينا.

وهذه رسالة لا تحتمل إقامة الدليل، ولا جوابًا عما يدلي به المخالف، لكن أَعْرِضُ عليه من نفسي الإنصاف والانقياد للحق، فإن أردتم عليَّ الرد بعلم وعدل فعندكم كتاب «إعلام الموقعين» لابن القيم، عند ابن فيروز في مشرفه[1]، فقد بسط الكلام فيه على هذا الأصل بسطًا كثيرًا، وسَرَدَ مِن شُبَهِ أئمتكم ما لا تعرفون أنتم ولا آباؤكم، وأجاب عنها، واستدل لها بالدلائل الواضحة القاطعة؛ منها أمر الله ورسوله عن أمركم هذا بعينه، وأن رسول الله ﷺ وأصحابه وصفوه من قبل أن يقع، وحذروا الناس منه، وأخبروا أنه لا يصير على الدين إلا الواحد بعد الواحد، وأن الإسلام يصير غريبًا كما بدأ، وقد علمتم أن رسول الله ﷺ لما سأله عمرو بن عبسة في أول الإسلام: من معك على هذا؟ قال: «**حُرٌّ وعبدٌ**» يعني أبا بكر وبلالًا[2] فإذا كان الإسلام يعود كما بدأ، فما أجهل مَن استدل بكثرة الناس وإطباقهم، وأشباه هذه الشبهة التي هي عظيمة عند أهلها، حقيرة عند الله وعند أولي العلم مِن خلقه، كما قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ فلا أعلم لكم حجة تحتجون بها إلا وقد ذكر الله في كتابه أن الكفار استدلوا بها على تكذيب الرسل، مثل إطباق الناس وطاعة الكبراء وغير ذلك، فمَن مَنَّ الله عليه بمعرفة دين الإسلام الذي دعا إليه رسول الله ﷺ عرف قدر هذه الآيات والحجج، وحاجة الناس إليها.

---

(١) شمال مدينة المبرز.

(٢) أخرجه مسلم (٨٣٢).

فإن زعمتم أن ذكر هؤلاء الأئمة لهذا لِمَن كان مِن أهله، فقد صرحوا بوجوبه على الأسود والأحمر، والذكر والأنثى، وأن ما بعد الحق إلا الضلال، وأن قول من قال: ذلك صعب. مكيدة من الشيطان، كاد بها الناسَ عن سلوك الصراط المستقيم؛ الحنيفية ملة إبراهيم. وإن بان لكم أنهم مخطئون فبيِّنُوا لِيَ الحق حتى أرجع إليه.

وإنما كتبت لكم هذا معذرةً من الله ودعوةً إلى الله؛ لِأُحَصِّلَ ثواب الداعين إلى الله، وإلا أنا أظن أنكم لا تقبلونه، وأنه عندكم من أنكر المنكرات، مِن أن الذي يَعِيب هذا عندكم مثلُ مِن يَعِيب رسولَ الله ﷺ وأصحابَه، لكن أنت مَن سبب ما أظن فيك من طاعة الله، لاأبعدُ أن يهديك الله إلى الصراط المستقيم ويشرح قلبك للإسلام، فإذا قرأته، فإن أنكره قلبك فلا عجب، فإن العجب ممن نجا كيف نجا! فإن أصغى إليه قلبك بعض الشيء فعليك بكثرة التضرع إلى الله، والانطراح بين يديه، خصوصًا أوقات الإجابة، كآخر الليل، وأدبار الصلاة، وبعد الأذان، وكذلك بالأدعية المأثورة، خصوصًا الذي ورد في الصحيح أنه ﷺ كان يقول: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[1]، فعليك بالإلحاح بهذا الدعاء بين يدي من يجيب المضطر إذا دعاه، وبالذي هدى إبراهيم لمخالفة الناس كلهم، وقل: يا معلم إبراهيم علمني.

وإن صعب عليك مخالفة الناس ففكر في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ

(١) أخرجه مسلم (٧٧٠).

ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وتأمل قوله في الصحيح: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**»[(١)] وقوله ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم...**» إلى آخره[(٢)] وقوله: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»[(٣)] وقوله: «**وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة**»[(٤)] والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة أُفْرِدَت بالتصنيف، فإني أحبك، وقد دعوت لك في صلاتي، وأتمنى مِن قبل هذه المكاتيب أن يهديك الله لدينه القيم، ولا يمنعني من مكاتبتك إلا ظني أنك لا تقبل، وتسلك مسلك الأكثر، ولكن لا مانع لما أعطى الله، والله لا يتعاظم شيئًا أعطاه، وما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقًا لدين الله، كعمر رضي الله عنه في أوله، فإنك لو تكون معنا لانتصفنا ممن أغلظ علينا.

وأما هذا الخيال الشيطاني الذي اصطاد به الناس؛ أن مَن سَلَك هذا المَسْلَكَ فقد نَسَب نفسَه للاجتهاد، وترك الاقتداء بأهل العلم، وزخرفه بأنواع الزخارف، فليس هذا بكثير من الشيطان وزخارفه، كما قال تعالى: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ فإن الذي أنا عليه وأدعوكم إليه هو في الحقيقة الاقتداء بأهل العلم، فإنهم قد وَصّوا الناس بذلك، ومن أشهرهم كلامًا في ذلك إمامكم الشافعي، قال: لا بد أن تجدوا عني ما يخالف الحديث، فكل ما خالفه فأشهدكم أني قد رجعت عنه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢) والإمام أحمد (٤/ ١٢٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٥٤٩).

(٤) هو الحديث السابق نفسه.

وأيضًا أنا في مخالفتي هذا العالم لم أخالفه وحدي، فإذا اختلفت أنا وشافعيٌّ مثلًا في أبوال مأكول اللحم، وقلتُ: القول بنجاسته يخالف حديث العُرَنِيِّين[1] ويخالف حديث أنس أن النبي ﷺ صلى في مرابض الغنم[2]. فقال هذا الجاهل الظالم: أنت أعلم بالحديث من الشافعي! قلت: أنا لم أخالف الشافعي من غير إمام اتبعتُه، بل اتبعتُ مَن هو مثلُ الشافعي أو أعلمُ منه، قد خالفه واستدل بالأحاديث. فإذا قال: أنت أعلم من الشافعي! قلت: أنت أعلم من مالك وأحمد! فقد عارضتُهُ بمثل ما عارَضَني به، وسَلِمَ الدليل من المعارض، واتبعت قول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية، واتبعتُ مَن اتَّبع الدليلَ في هذه المسألة مِن أهل العلم، لم أستدل بالقرآن أو الحديث وحدي حتى يَتَوَجَّهَ عليَّ ما قيل، وهذا على التَّنَزُّلِ، وإلا فمعلوم أن اتباعكم لابن حجر[3] في الحقيقة، ولا تعبأون بمن خالفه مِن رسول أو صاحبٍ أو تابعٍ، حتى الشافعي نفسه، ولا تعبأون بكلامه إذا خالف نصَّ ابن حجر، وكذلك غيركم، إنما اتِّبَاعُهُم لبعض المتأخرين لا للأئمة، فهؤلاء الحنابلة مِن أقل الناس بدعةٍ، وأكثر «الإقناع» و«المنتهى»[4] مخالف لمذهب أحمد ونَصِّهِ، يَعْرِفُ ذلك مَن عَرَفَه.

ولا خلاف بيني وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتباعهم، وإنما الشأن إذا اختلفوا؛ هل يجب عليَّ أن أقبل الحق ممن جاء به وأَرُدَّ المسألة إلى الله والرسول مقتديًا بأهل العلم، أو أنتحل بعضهم من غير حجة، وأزعم أن الصواب في قوله؟

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٠١) ومسلم (١٦٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٨) ومسلم (٥٢٤).

(٣) الهيتمي - كما سبق -.

(٤) «منتهى الإرادات في الجمع بين المقنع والتنقيح وزيادات»؛ للفتُوحي (ت ٩٧٢هـ).

فأنتم على هذا الثاني، وهو الذي ذمه الله وسماه شركًا، وهو اتخاذ العلماء أربابًا، وأنا على الأول، أدعو إليه وأناظر عليه، فإن كان عندكم حق رجعنا إليه وقبلناه منكم، وإن أردت النظر في «إعلام الموقعين»[١] فعليك بمناظرة في أثنائه عقدها بين مُقَلِّدٍ وصاحبِ حجة، وإن أُلْقِيَ في ذهنك أن ابن القيم مبتدع، وأن الآيات التي استدل بها ليس هذا معناها، فاضرَعْ إلى الله، واسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق، وتَجَرَّدْ إلى ناظر أو مناظر، أو اطلب كلام أهل العلم في زمانه، مثل الحافظ الذهبي وابن كثير وابن رجب وغيرهم. ومما ينسب للذهبي رحمه الله:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خُلْفٌ فيه
ما العلم نَصْبُكَ للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فقيه

فإن لم تتبع هؤلاء فانظر كلام الأئمة قبلهم، كالحافظ البيهقي في كتاب «المدخل» والحافظ ابن عبد البر والخطابي وأمثالهم، ومَن قبلهم، كالشافعي وابن جرير وابن قتيبة وأبي عبيد، فهؤلاء إليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف، وإياك وتفاسيرَ المحرِّفين للكلم عن مواضعه وشروحهم؛ فإنها القاطعة عن الله وعن دينه، وتأمل ما في كتاب «الاعتصام» للبخاري، وما قال أهل العلم في شرحه.

وهل يُتصور شيءٌ أصرح مما صح عنه ﷺ أن أمته ستفترق على أكثر من سبعين فرقة، أخبر أنهم كلهم في النار إلا واحدة، ثم وصف تلك الواحدة أنها التي على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه[٢] وأنتم مقرون أنكم على غير

---

(١) (٢ / ١٨٢ وما بعدها).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) والإمام أحمد (٣/ ١٢٠) من حديث أنس، وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٠٤٢) والإمام أحمد (٤/ ١٠٢) وأخرجه أبو داود (٤٥٩٧) من حديث معاوية.

طريقتهم، وتقولون: ما نقدر عليها، ولا يقدر عليها إلا المجتهد. فجزمتم أنه لا يَنْتَفِعُ بكلام الله وكلام رسوله إلا المجتهد، وتقولون: يَحْرُمُ على غيره أن يطلب الهدى من كلام الله وكلام رسوله وكلام أصحابه. فجزمتم وشهدتم أنكم على غير طريقتهم، معترفين بالعجز عن ذلك.

وإذا كنتم مُقْرِّين أن الواجب على الأوَّلين اتباعُ كتاب الله وسنة رسوله، لا يجوز العدول عن ذلك، وأن هذه الكتب والتي خير منها لو تَحْدُثُ في زمن عمر بن الخطاب لفعل بها وبأهلها أشد الفعل، ولو تَحْدُثُ في زمن الشافعي وأحمد لاشتد نكيرهم لذلك، فليت شعري؛ متى حرم الله هذا الواجب وأوجب هذا المحرم!

ولمَّا حَدَث قليل من هذا، لا يُشبهُ ما أنتم عليه، في زمن الإمام أحمد؛ اشتد إنكاره لذلك، ولما بلغه عن بعض أصحابه أنه يروي عنه مسائل بخراسان، قال: أشهدكم أني قد رجعت عن ذلك.

ولما رأى بعضهم يكتب كلامه أنكر عليه وقال: تكتب رأيًا لَعَلِّي أرجع عنه غدًا! اطلُب العلم مثلما طلبنا.

ولما سئل عن كتاب أبي ثور قال: كل كتاب ابتُدِعَ فهو بدعة. ومعلوم أن أبا ثور من كبار أهل العلم، وكان أحمد يُثْنِي عليه، وكان يَنْهَى الناسَ عن النظر في كتب أهل العلم الذين يثني عليهم ويعظمهم.

ولما أخذ بعض أئمة الحديث كتب أبي حنيفة هجره أحمد وكتب إليه: إن تَرَكْتَ كتب أبي حنيفة أتيناك تُسْمِعُنَا كتب ابن المبارك.

ولما ذكر له بعض أصحابه أن هذه الكتب فيها فائدة لمن لا يعرف الكتاب والسنة، قال: إن عَرَفْتَ الحديث لم تَحْتَجْ إليها، وإن لم تعرفه لم يَحِلَّ لك النظر فيها. وقال: عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحتِهِ يذهبون إلى رأي سفيان، واللهُ

يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك.

ومعلوم أن الثوري عنده غاية، وكان يسميه أمير المؤمنين. فإذا كان هذا كلام أحمد في كتب نتمنى الآن أن نراها، فكيف بكتب قد أقر أهلها على أنفسهم أنهم ليسوا من أهل العلم، وشهد عليهم بذلك! ولعل بعضهم مات وهو لا يعرف ما دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ﷺ.

وشبهتكم التي أُلْقِيَت في قلوبكم؛ أنكم لا تقدرون على فهم كلام الله ورسوله والسلف الصالح، وقد قدمنا أن النبي ﷺ قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ...**»[1] إلى آخره، فتأمل هذه الشبهة، أعني قولكم: لا نقدر على ذلك. وتأمل ما حكى الله عن اليهود في قوله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ واطلب تفاسير هذه الآيات من كتب أهل العلم، واعرِفْ مَن نَزَلَت فيه، واعرف الأقوال والأفعال التي كانت سببًا لنزول هذه الآيات، ثم اعرضها على قولهم: لا نقدر على فهم القرآن والسنة. تَجِدْ مصداق قوله: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم**» وما في معناه من الأحاديث الكثيرة.

فلتكن قصة إسلام سلمان الفارسي منكم على بال، ففيها أنه لم يكن على دين الرسل إلا الواحد بعد الواحد، حتى أن آخرهم قال عند موته: لا أعلم على وجه الأرض أحدًا على ما نحن عليه، ولكن قد أظل زمان نبي[2]. واذكر مع

(١) أخرجه: البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٦٧٢٣) بلفظ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع...». وأما لفظ: «حذو القذة بالقذة» فأخرجه أحمد (٤/ ١٢٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٤٤٢).

هذا قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾.

فحقيق لمن نصح نفسه وخاف عذاب الآخرة أن يتأمل ما وصف الله به اليهود في كتابه، خصوصًا ما وصف به علماءهم ورهبانهم من كتمان الحق ولبس الحق بالباطل والصد عن سبيل الله، وما وصفهم الله - أي علماءهم - من الشرك والإيمان بالجبت والطاغوت، وقولهم للذين كفروا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ لأنه عرف أن كل ما فعلوا لا بد أن تفعله هذه الأمة، وقد فَعَلَت.

وإن صعب عليك مخالفة الكبراء، ولم يقبل ذهنك هذا الكلام، فأحضر بقلبك أن كتاب الله أحسن الكتب، وأعظمها بيانًا، وأشفاها لدواء الجهل، وأعظمها فرقًا بين الحق والباطل، والله سبحانه قد عرف تفرق عباده واختلافهم قبل أن يخلقهم، وقد ذكر في كتابه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ وأحضر قلبك هذه الأصول، وما يشابهها في ذهنك، واعرِضْهَا على قلبك، فإنه إن شاء الله يؤمن بها على سبيل الإجمال. فتأمل قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ وتكرير هذا الأصل في مواضع كثيرة، وكذلك قوله: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ فكل حجة تحتجون بها تجدها مبسوطة في القرآن، وبعضها في مواضع كثيرة، فأحضر بقلبك أن الحكيم الذي أنزل كتابه شفاء من الجهل، فارقًا بين الحق والباطل، لا يليق منه أن يقرر هذه الحجج ويكررها، مع عدم حاجة المسلمين إليها، ويترك الحجج التي يحتاجون إليها، ويعلم أن عباده يفترقون، حاشا أحكم الحاكمين من ذلك.

ومما يُهون عليك مخالفةَ مَن خالَفَ الحق، وإن كان من أعلم الناس وأذكاهم وأعظمهم جهلًا، ولو اتَّبَعَه أكثر الناس، ما وقع في هذه الأمة من افتراقهم في

أصول الدين وصفات الله تعالى، وغالب مَن يَدَّعِي المعرفة وما عليه المتكلمون، وتسميتهم طريق رسول الله ﷺ حَشْوًا وتشبيهًا وتجسيمًا، مع أنك إذا طالعت في كتاب من كتب الكلام، مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل أحد، وهو أصل الدين، تجد الكتاب من أوله إلى آخره لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله، اللهم إلا أن يذكره أو يحرفه عن مواضعه، وهم معترفون أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي، بل من عقولهم، ومعترفون أنهم مخالفون للسلف في ذلك.

مثلما ذكر في «فتح الباري» في مسألة الإيمان، على قول البخاري: «وهو قولٌ وعملٌ، ويزيد وينقص»[1] فذكر إجماع السلف على ذلك، وذكر عن الشافعي أنه نقل الإجماع على ذلك، وكذلك ذكر أن البخاري نقله، ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يَرُدَّه[2]، فإن نظرت في كتاب التوحيد في آخر الصحيح، فتأمل تلك التراجم، وقرأت في كتب أهل العلم من السلف، ومن أتباعهم من الخلف، ونقلهم الإجماع على وجوب الإيمان بصفات الله تعالى، وتلقيها بالقبول، وأن من جحد شيئًا منها أو تأول شيئًا من النصوص فقد افترى على الله، وخالف إجماع أهل العلم، ونقلهم الإجماع أن علم الكلام بدعة وضلالة، حتى قال أبو عمر بن عبد البر: أجمع أهل العلم في جميع الأعصار والأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات، لا يُعَدُّون عند الجميع من طبقات العلماء.

والكلام في هذا يطول، والحاصل أنهم عمدوا إلى شيء أجمع المسلمون

---

(١) انظر: فتح الباري (١/ ٤٦).

(٢) ولهذا تعقبه الشيخ علي الشبل - بمتابعة من الشيخ ابن باز رحمه الله - في «التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري» (ص ٢٨ - ٢٩).

كلهم، بل وأجمع عليه أجهل الخلق بالله عَبَدَةُ الأوثان، الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ فابتدع هؤلاء كلامًا من عند أنفسهم كابروا به العقول أيضًا، حتى أنكم لا تقدرون تغيرون عَوَامَّكم عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، ثم مع هذا كله تابعهم جمهور من يتكلم في علم هذا الأمر، إلا مَن سَبَقَت لهم من الله الحسنى، وهم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، يبغضونهم الناس ويرمونهم بالتجسيم.

هذا، وأهل الكلام وأتباعهم من أحذق الناس وأفطنهم، حتى أن لهم من الذكاء والحفظ والفهم ما يحير اللبيب، وهم وأتباعهم مُقِرُّون أنهم مخالفون للسلف، حتى أن أئمة المتكلمين لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم في آيات الأمر والنهي، مثل قولهم: المراد بالصيام كتمان أسرارنا، والمراد بالحج زيارة مشايخنا، والمراد بجبريل العقل الفعال. وغير ذلك من إفكهم - رَدَّ عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام، فقال لهم الفلاسفة: أنتم جحدتم علو الله على خلقه واستواءه على عرشه، مع أنه مذكور في الكتب على ألسنة الرسل، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم، وغيرهم من أهل الملل، فكيف يكون تأويلنا تحريفًا وتأويلكم صحيحًا! فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب عن هذا الإيراد.

والمراد أن مذهبهم مع كونه فاسدًا في نفسه مخالفًا للعقول، هو أيضًا مخالف لدين الإسلام والكتاب والرسول، وللسلف كلهم، ويذكرون في كتبهم أنهم مخالفون للسلف، ثم مع هذا راجت بدعتهم على العالم والجاهل، حتى طَبَّقَت مشارق الأرض ومغاربها.

وأنا أدعوك إلى التفكير في هذه المسألة؛ وذلك أن السلف قد كثر كلامهم وتصانيفهم في أصول الدين، وإبطال كلام المتكلمين وتكفيرهم، وممن ذكر هذا

من متأخري الشافعية: البيهقي والبغوي وإسماعيل التيمي، ومَن بعدهم كالحافظ الذهبي، وأما متقدموهم كابن سُرَيج والدارقطني وغيرهما، فكلهم على هذا الأمر، ففتش في كتب هؤلاء، فإن أتيتني بكلمة واحدة أن منهم رجلًا واحدًا لم ينكر على المتكلمين ولم يكفرهم، فلا تقبل مني شيئًا أبدًا. ومع هذا كله وظهورِهِ غايةَ الظهور راج عليكم، حتى ادعيتم أن أهل السنة هم المتكلمون، والله المستعان.

ومن العجب أنه يوجد في بلدكم من يفتي الرجل بقول إمام، والثاني بقول آخر، والثالث بخلاف القولين، ويُعَدُّ فضيلةً وعلمًا وذكاءً، ويقال: هذا يُفْتِي في مذهبين أو أكثر! ومعلوم عند الناس أن مراده في هذا العلو والرياء وأكل أموال الناس بالباطل، فإذا خالَفْتُ قول عالمٍ لمن هو أعلم منه أو مثله، إذا كان معه الدليل، ولم آت بشيء من عند نفسي، تكلمتم بهذا الكلام الشديد، فإن سمعتم أني أفتيت بشيء خرجتُ فيه من إجماع أهل العلم تَوَجَّهَ عليَّ القول.

وقد بلغني أنكم في هذا الأمر قمتم وقعدتم، فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكار للمنكر، فيا ليت قيامكم كان في عظائم في بلدكم تُضَادُّ أصلَيْ الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. منها، وهو أعظمها، عبادة الأصنام عندكم مِن بشر وحجر، هذا يُذبح له وهذا يُنْذر له، وهذا يُطلب إجابة الدعوات وإغاثة اللهفات، وهذا يدعوه المضطر في البر والبحر، وهذا يزعمون أن من التجأ إليه ينفعه في الدنيا والآخرة ولو عصى الله، فإن كنتم تزعمون أن هذا ليس هو عبادة الأصنام والأوثان المذكورة في القرآن، فهذا من العجب؛ فإني لا أعلم أحدًا من أهل العلم يختلف في ذلك، اللهم إلا أن يكون أحد وقع فيما وقع فيه اليهود من إيمانهم بالجبت والطاغوت.

وإن ادعيتم أنكم لا تقدرون على ذلك، فإن لم تقدروا على الكل قدرتم على

البعض، كيف وبعض الذين أنكروا عليَّ هذا الأمر، وادَّعَوا أنهم من أهل العلم، ملتبسون بالشرك الأكبر ويَدْعُون إليه! ولو يسمعون إنسانًا يجرد التوحيد ألزموهُ بالكفر والفسوق! ولكن نعوذ بالله من رضا الناس بسخط الله.

ومنها: ما يفعله كثير من أتباع إبليس، وأتباع المنجمين والسحرة والكهان، ممن ينتسب إلى الفقر، وكثير ممن ينتسب إلى العلم، من هذه الخوارق التي يوهمون بها الناس، ويشبهون بمعجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، ومرادهم أكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله، حتى أن بعض أنواعها يعتقد فيه من يدعي العلم أنه من العلم الموروث عن الأنبياء، من علم الأسماء، وهو من الجبت والطاغوت، ولكن هذا مصداق قوله ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم**»(١) ومنها هذه الحيلة الربوية التي مثل حيلة أصحاب السبت أو أشد.

وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع: إما إلى كتاب الله، وإما إلى سنة رسول الله ﷺ وإما إلى إجماع أهل العلم، فإن عانَدَ دَعَوْتُهُ إلى المباهلة كما دعا إليها ابنُ عباس في بعض مسائل الفرائض(٢) وكما دعا إليها سفيان والأوزاعي في مسألة رفع اليدين وغيرهما من أهل العلم. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

**يا مَن تَعِزُّ عليهم أرواحهم ... ويَرَوْنَ غَبْنًا بَيْعَهَا بِهَوَانِ**

**ويَرَوْنَ أن أمامهم يوم اللِّقَا ... للهِ مسألتان شاملتانِ**

**ماذا عبدتم؟ ثم ماذا قد أجبتمُ ... مَن أتَى بالحق والبرهانِ؟**

**هاتوا جوابًا للسؤال وهَيِّئُوا ... أيضًا صوابًا للجواب يداني**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ٢٥٤).

وتيقنوا أنْ ليس يُنْجِيكم سوى تجريدكم لحقائق الإيمانِ
تجريدكم توحيده سبحانه عن شركة الشيطان والأوثانِ
وكذاك تجريد اتِّبَاع رسوله عن هذه الآراء والهذيانِ
فالوحي كافٍ للذي يُعْنَى به شافٍ لِدَاءِ جهالة الإنسانِ[١]

وهذا آخر ما ذكره الشيخ رحمه الله، في هذه الرسالة النافعة، المتضمنة لبيان حقيقة ما هو عليه، وما يدعو الناس إليه؛ من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله، والنهي عما يُضَادُّ ذلك، مما أحدثه أهل البدع والتفرق والاختلاف من هذه الأمة.

وانظر، رحمك الله، إلى تلطفه وإحسانه في الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن، وصبره على إيذائهم له، وتشنيعهم عليه في رسائلهم وكتبهم التي أرسلوها إليه، حتى أن بعضهم سماه «مجنون» وقال: أطعموه الدُّبَّا[٢] والثوم المربا! يعني أنه مجنون، والمجنون يُدَاوَى بهذا.

## فصل

ثم صنف الشيخ رحمه الله، رسالة عامة للمسلمين تسمى «كشف الشبهات» جوابًا لكثير من شُبَهِهِم التي أَدْلَوْا بها وذكروها في مصنفاتهم، وهذا لفظها بحروفها، قال رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم، رحمك الله، أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده، فأولهم نوح عليه السلام، أرسله الله إلى قومه لما غَلَوا في

---

(١) نونية ابن القيم (٢ / ٣٧٣).
(٢) الدُبا: القرع.

الصالحين: وَدًّا وسُوَاعًا ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرا. وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين، فبعث الله محمدًا ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد مَحْضُ حق الله، لا يصلح منه شيء لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، فضلًا عن غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات ومن فيهن، والأرض ومن فيها، كلهم عبيده، وتحت تصريفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا، فاقرأ قوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ وغير ذلك من الآيات.

إذا تَحَقَّقْتَ أنهم مُقِرُّون بهذا، ولم يُدْخِلْهُم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ وعَرَفْتَ أن التوحيد الذي جحدوه، وهو توحيد العبادة، الذي يسميه المشركون في زماننا «الاعتقاد» كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلًا ونهارًا، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم إلى الله ليشفعوا له، ويدعو رجلًا صالحًا مثل «اللات» أو نبيًّا مثل عيسى، وعَرَفْتَ أن رسول الله ﷺ قاتلهم

على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستعانة كلها بالله، وجميع أنواع العبادات كلها لله، وعَرَفتَ أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدْخِلْهُم في الإسلام، وإنَّ قَصْدَهُمُ الملائكةَ والأنبياءَ والأولياءَ يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم - عرفتَ حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأَبَى عن الإقرار به المشركون.

وهذا التوحيد هو معنى قولك «لا إله إلا الله» فإن الإله عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان مَلَكًا، أو نبيًّا، أو وليًّا، أو شجرة، أو قبرًا، أو جنيًّا، لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده، كما قدمتُ لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ «السيد» فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يُعبد من دونه، والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: «قولوا: لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ فإذا عَرَفتَ أن جُهَّال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام، وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله. فلا خير في رجلٍ جُهَّالُ الكفار أعلم منه بمعنى «لا إله إلا الله».

إذا عَرَفْتَ ما أقول لك معرفة قلب، وعَرَفْتَ الشرك بالله الذي قال فيه: ﴿إِنَّ

ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وعَرَفْتَ دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم، الذي لا يَقْبَل الله من أحد سواه، وعَرَفْتَ ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا - أفادك فائدتين:

**الأولى**: الفرح بفضل الله ورحمته، كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

**وأفادك أيضًا**: الخوف العظيم، فإنك إذا عَرَفْتَ أن الإنسان يكفر بكلمة يُخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يُعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله كما ظن الكفار، خصوصًا إن أَلْهَمَكَ الله ما قص عن قوم موسى، مع صلاحهم وعلمهم، أنهم أَتَوْهُ قائلين: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ فحِينئذ يَعْظُمُ حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا وأمثاله.

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًّا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحُجَجٌ، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، إذا عَرَفْتَ ذلك، وعَرَفْتَ أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحُجَجٍ، فالواجب عليك أن تعلم مِن دين الله ما يصير سلاحًا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامهم ومُقَدَّمُهُم لربك ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾، ولكن إن أقبلت على الله، وأَصْغَيْتَ إلى حُجَجِ الله وبيناته، فلا تخف ولا تحزن ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

والعامِّيُّ من الموحِّدِين يغلب ألفًا من علماء المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما هم الغالبون

بالسيف والسِّنَان، وإنما الخوف على الموحِّد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح. وقد منَّ الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾، فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما يَنْقُضُها ويُبَيِّن بطلانها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حُجَّة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة. وأنا أذكر لك شيئًا مما ذكره الله في كتابه جوابًا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا، فنقول:

جواب أهل الباطل من طريقين: مُجْمَل ومُفَصَّل.

أما المجمل فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عَقَلَها، وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم**»[1] مثل ذلك إذا قال بعض المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وأن الشفاعة حق، وأن الأنبياء لهم جاهٌ عند الله، أو ذَكَرَ كلامًا للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره.

فجاوبه بقولك: إن الله ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المُحْكَمَ ويَتَّبِعُون المتشابه، وما ذكرته لك؛ من أن الله ذكر أن المشركين يُقِرُّون بالربوبية، وأنه كفَّرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء، مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ هذا أمر مُحْكَمٌ بيِّن، لا يقدر أحد أن يغير معناه. وما ذَكَرْتَ لي، أيها

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥).

المشرك، من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله.

وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا مَن وَفَّقه الله، ولا تَسْتَهْوِنْهُ؛ فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

وأما الجواب المُفَصَّل، فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يَخْلُقُ ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاهٌ عند الله، وأطلب من الله بهم.

فجاوبه بما تقدم، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بما ذَكَرْتَ، ومُقِرُّون أن أوثانهم لا تُدَبِّر شيئًا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووَضَّحْهُ.

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا؟

فجاوبه بما تقدم، فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا مما قصدوا إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر، فاذكر له أن الكفار منهم مَن يدعو الصالحين والأصنام، ومنهم مَن يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ واذكر قوله: ﴿وَيَوْمَ

يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ فقل له: عَرَفْتَ أن الله كَفَّر مَن قَصَد الأصنام، وكَفَّر أيضًا مَن قَصَد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ.

فإن قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله النافع الضار الْمَدَبِّر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله بشفاعتهم.

فالجواب أن هذا قول الكفار سواء، فاقرأ عليه قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

واعلم أن هذه الشُّبَهَ الثلاث هي أكبر ما عنده، فإذا عَرَفْتَ أن الله وضَّحها في كتابه، وفَهِمْتَهَا فهمًا جيدًا، فما بعدها أيسر منها.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة.

فقل له: أنت تُقِرّ أن الله فرَض عليك إخلاص العبادة، وهو حقه عليك؟

فإذا قال: نعم. فقل له: بيِّن لي هذا الذي فَرَض عليك، وهو إخلاص العبادة لله، وهو حقه عليك. فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها، فبَيِّنْهَا بقولك: قول الله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ إذا عَلِمْتَ بهذا هل هو عبادة؟ فلابد أن يقول: نعم، والدعاء مخ العبادة[1]. فقل له: إذا قررتَ أنها عبادة، ودَعَوْتَ الله ليلًا ونهارًا، خوفًا وطمعًا، ثم دَعَوْتَ في تلك الحاجة نبيًّا أو غيره، هل أشرَكْتَ في عبادة الله غيره، إذ قال الله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ وأطَعْتَ اللهَ ونَحَرْتَ له؟

(١) لفظ حديث أخرجه الترمذي (٣٣٧١) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ٣٠٠٣).

فلابد أن يقول: نعم. فقل له: إذا نَحَرْتَ لمخلوق أو نبيٍّ أو جِنِّيٍّ أو غيرهما، هل أشرَكْتَ في هذه العبادة غيرَ الله؟ فلابد أن يُقِرَّ ويقول: نعم.

وقل له أيضًا: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلابد أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلا أنهم مُقِرُّون أنهم عبيد تحت قهر الله، وأن الله هو الذي يدبر الأمور، ولكن دَعَوهم والتجأوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جدًّا.

فإن قال: أتُنْكِر شفاعة رسول الله ﷺ وتَبْرَأُ منها؟ فقل: لا أُنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ الشافع المشفَّع، وأرجو شفاعته، لكن الشفاعة كلها لله، كما قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ ولا يَشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه، كما قال جل جلاله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ وهو لا يرضى إلا التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا بعد إذنه، ولا يَشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد - تَبَيَّنَ أن الشفاعة كلها لله، واطلبها منه: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شَفِّعْهُ فيَّ. وأمثال هذا.

فإن قال: النبي ﷺ أُعْطِيَ الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة، ونهاك عن هذا، وقال: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ وأيضًا: فإن الشفاعة أُعْطِيَهَا غيرُ النبي ﷺ فصح أن الملائكة يَشفعون، والأولياء يَشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة، وأطلبها منهم؟ فإن قلتَ هذا رَجَعْتَ إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه، وإن قلت: لا. بَطَلَ

قولك: أعطاه الله الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئًا، حاشا وكلاَّ، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

فقل له: إذا كنت تُقِرُّ أن الله حرّم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتُقِرُّ أن الله لا يغفره، فما هذا الأمر الذي عظَّمه الله وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري، فقل له: كيف تَبْرَأُ من الشرك وأنت لا تعرفه! كيف يُحَرِّم الله عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن الله يُحَرِّمُه ولا يُبَيِّنُه لنا؟

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام!

فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبِّر أمر مَن دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن، أو هو قَصْدُ خشبة أو حجرة أو بِنْيَة أو غيره يَدْعُون ذلك ويذبحون له، يقولون إنه يقربنا إلى الله ويدفع عنا ببركته؟ فقد صَدَقْتَ، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايا التي على القبور وغيرها، فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام.

ويقال أيضًا: قولك: الشرك عبادة الأصنام. هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في هذا؟ فهذا يرده ما ذكره الله في كتابه؛ مِن كُفْرِ مَن تَعَلَّق على الملائكة وعيسى والصالحين. فلابد أن يقر لك أن مَن أشرك في عبادة الله أحدًا من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب.

وسر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله. فقل: وما الشرك بالله؟ فَسِّرْهُ لي.

وإن قال: هو عبادة الأصنام. فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فَسِّرْهَا لي.

وإن قال: أنا لا أعبد إلا الله. فقل: ما معنى عبادة الله وحده؟ فَسِّرْهَا لي.

فإن فَسَّرَها بما يبينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه، فكيف يدعي شيئًا وهو لا يعرفه!

وإن فسَّر ذلك بغير معناه بَيَّنْتَ له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، الذي يفعلون في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا، ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾.

فإذا عَرَفْتَ أن هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا «الاعتقاد» هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأوَّلين أَخفُّ مِن شِرْكِ أهل وقتنا بأمرين:

**أحدهما**: أن الأوَّلين لا يُشرِكُون ولا يَدْعُون الملائكة والأولياء أوثانًا مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾، وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يَدْعُون الله ويَدْعُون غيره في السراء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له ويَنْسَوْنَ ساداتهم، تَبَيَّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأوَّلين، ولكن أين مَن يفهم قلبُهُ هذه المسألة فهمًا راسخًا؟ والله المستعان.

والأمر الثاني: أن الأَوَّلين يَدْعُون مع الله أناسًا مُقَرَّبِين عند الله؛ إما نبيًا وإما أولياءَ وإما ملائكةً، ويَدْعُون أحجارًا وأشجارًا مطيعةً لله ليست عاصية، وأهل زماننا يَدْعُون مع الله أناسًا مِن أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور؛ من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أَهْوَنُ مِمَّن يَعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به.

إذا تَحَقَّقْتَ أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولًا وأخفُّ شركًا من هؤلاء، فاعلم أن لهؤلاء شبهةً يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شُبَهِهِم، فَأَصْغِ سمعك لجوابها، وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرًا، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

والجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدَّق رسولَ الله ﷺ في شيء وكذَّبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد الحج، ولما لم يَنْقَدْ أناسٌ في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ومَن أَقَرَّ بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع، وحل دمه وماله، كما قال جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ﴾ فإذا كان الله قد صرَّح في كتابه أن مَن آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقًّا، زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها

بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسل إلينا.

ويقال: إذا كنت تُقِرّ أن مَن صدَّق الرسولَ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة، أنه كافر حلال الدم بالإجماع، وكذلك إذا أَقَرَّ بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، لا يُجْحَدُ هذا ولا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن، كما قدمنا، فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يَكْفُرُ! سبحان الله! ما أعجَبَ هذا الجهلَ؟!

ويقال أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويصلون ويؤذنون.

فإن قال: إنهم يقولون إن مسيلمة نبيٌّ!

قلنا: هذا هو المطلوب، إذا كان مَن رَفَعَ رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كَفَر وحَلَّ ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان ويوسف أو صحابيًّا أو نبيًّا في مرتبة جبار السماوات والأرض؟ سبحان الله! ما أعظم شأنه ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ويقال أيضًا: إن الذين حرَّقهم علي بن أبي طالب بالنار[1] كلهم يَدَّعُون

---

(١) أخرج البخاري (٦٥٢٤) عن عكرمة قال: أتى علي بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله عليه الصلاة والسلام: «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقتلتهم لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «من بدل دينه فاقتلوه».

الإسلام، وهم من أصحاب عليٍّ، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفِّرون المسلمين؟ أم تظنون الاعتقاد في تاجٍ وأمثالِهِ لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يُكَفِّر؟

ويقال أيضًا: بنو عُبَيدٍ القَدَّاح، الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويَدَّعُون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضًا: إذا كان الأَوَّلُون لم يَكْفُرُوا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسل والقرآن وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب «باب حكم المرتد» وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ذكروا أنواعًا كثيرة، كل نوع منها يُكَفِّر ويُحِلُّ دَمَ الرجل ومالَه، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من يفعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال أيضًا: الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أما سَمِعْتَ الله كَفَّرَهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ يجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون. وكذلك الذين قال فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ الْعَالَمِينَ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم هم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة، ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح. فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تُكَفِّرُون المسلمين؛ أناسًا يشهدون أن لا إله إلا

الله، ويصلون ويصومون. ثم تأمل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

ومن الدليل على ذلك أيضًا: ما حكى الله عن بني إسرائيل، مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم، أنهم قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ وقول أناس من الصحابة: «اجعل لنا ذات أنواط» فحلف ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾[1].

ولكن للمشركين شبهة أخرى يُدْلُون بها عند هذه القصة، وهي أنهم يقولون إن بني إسرائيل لم يكفروا، وكذلك الذين قالوا: (اجعل لنا ذات أنواط) لم يكفروا.

والجواب أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم، بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فيقيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل: التوحيد فهمناه، أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان.

وتفيد أيضًا: أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر، وهو لا يدري، فنُبِّهَ على ذلك وتاب من ساعته، أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا رسول الله ﷺ.

وتفيد أيضًا: أنه لو لم يكفر فإنه يُغَلَّظ عليه الكلام تغليظًا شديدًا كما فعل رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) والإمام أحمد (٥/ ٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (ظلال الجنة ٧٦).

وللمشركين شبهة أخرى؛ يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قَتْلَ من قال «لا إله إلا الله» وقال: «**أَقَتَلْتَه بعدما قال لا إله إلا الله!**»[١] وكذلك قوله: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقـولوا: لا إله إلا الله**»[٢] وأحاديث أُخَر في الكف عمن قالها. ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل.

فيقال لهؤلاء الجهلة: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم، وهم يقولون «لا إله إلا الله» وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويصلون ويَدَّعُون الإسلام، وكذلك الذين حرَقَّهم علي بن أبي طالب بالنار.

وهؤلاء الجهلة يُقِرُّون أن من أنكر البعث كفر وقُتل، ولو قال «لا إله إلا الله» وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقُتل، ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعًا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه؟ ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

فأما حديث أسامة؛ فإنه قتل رجلًا ادَّعَى الإسلام؛ بسبب أنه ظن أنه ما ادَّعَى الإسلام إلا خوفًا على دمه وماله، والرجلُ إذا أظهَرَ الإسلام وجب الكف عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ أي: تَثَبَّتوا. فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتل، لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ ولو كان لا يُقْتَل إذا قالها لم يكن للتثبت معنًى، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٨) ومسلم (٩٦).
(٢) أخرجه البخاري (٣٩٣) ومسلم (٢٠).

ما ذكرناه، وأن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك.

والدليل على هذا: أن رسول الله ﷺ هو الذي قال: «**أَقَتَلْتَه بعدما قال: لا إله إلا الله!**» وقال: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**» هو الذي قال في الخوارج: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتُهُم لَأَقْتُلَنَّهُم قَتْلَ عادٍ**»[١] مع كونهم من أكثر الناس عبادةً وتهليلًا، حتى أن الصحابة يَحْقِرُون أنفسهم عندهم، وتعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم «لا إله إلا الله» ولا كثرة العبادة ولا ادِّعَاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة.

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقِتَالِ الصحابة بني حنيفة، وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم مَنَعُوا الزكاة، حتى أنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ وكان الرجل كاذبًا عليهم[٢].

وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه.

ولهم شبهة أخرى؛ وهي ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى، فكلهم يعتذر، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ[٣]. قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركًا.

والجواب أن نقول: سبحان مَن طَبَعَ على قلوب أعدائه، فإن الاستغاثة

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦) ومسلم (١٠٦٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٧٩).

(٣) هو حديث الشفاعة الطويل، أخرجه البخاري (٤٤٧٦) ومسلم (١٩٣).

بالمخلوق فيما يَقْدِر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله، إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يَدْعُوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، أن تأتي عند رجل صالح حيّ، يجالسك ويسمع كلامك، تقول له: ادع الله لي. كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه في حياته، وأما بعد موته فحاشا وكَلّا أنهم سألوا ذلك، بل أنكر السلف على مَن قَصَد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه؟

ولهم شبهة أخرى، وهي قصة إبراهيم، لما أُلقِيَ في النار اعترض له جبريل في الهوى قال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا[1]. فقالوا: فلو كانت الاستغاثة شركًا لم يَعْرِضْهَا على إبراهيم.

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله فيه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق والمغرب لفعل، ولو أمره الله أن يَضَعَ إبراهيم عنهم في مكان بعيد لفعل، ولو أمره الله أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير، يرى رجلًا محتاجًا، فيعرض عليه أن يُقْرِضَه أو يَهَبَه شيئًا يقضي به حاجته، فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ، ويصبر إلى أن يأتيه

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٤٨) والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٩) وهو منقطع.

الله برزق لا مِنَّةَ فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك، لو كانوا يفقهون!

**ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مهمة، تُفْهَم مما تقدم، لكن نُفْرِد الكلام لِعِظَمِ شأنها، ولكثرة الغلط فيها، فنقول:**

لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختلف شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند، كفرعون وإبليس، وهذا يَغْلَط فيه كثير من الناس، يقولون: هذا حق، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا مَن وافَقَهم، أو غير ذلك من الأعذار، ولم يَدْرِ المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وغير ذلك من الآيات، كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ فإن عمل بالتوحيد عملًا ظاهرًا، وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه، فهو منافق، وهو أشر من الكافر الخالص ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وهذه المسألة مسألة طويلة، تبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به؛ لِخَوْفِ نَقِصِ دُنْيَا أو جاهٍ أو مداراة، وترى من يعمل به ظاهرًا لا باطنًا.

ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:

**أولها:** قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ فإذا تَحَقَّقْتَ أن بعض الصحابة الذين غَزَوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به، خوفًا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحدٍ، أعظمُ ممن يتكلم بكلمة يمزح بها.

**والآية الثانية**: قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الآية، فلم يَعْذر الله مِن هؤلاء إلا مَن أُكْرِهَ مع كون قلبه مطمئنًّا بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعل خوفًا، أو مداراة، أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعل على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض، إلا المُكْرَه.

والآية المشهورة تدل على هذا من جهتين:

**الأولى**: قوله: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ فلم يَسْتَثْنِ الله إلا المُكْرَه، ومعلوم أن الإنسان لا يُكْرَهُ إلا على الكلام والعمل، وأما عقيدة القلب فلا يُكْرِهُهُ أحد عليها.

**والثانية**: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل، أو البغض للدين، أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظًّا من حظوظ الدنيا، فآثره على الدين. والله ﷻ أعلم.

هذا آخر ما ذكره الشيخ رحمه الله، في هذه الرسالة النافعة، فليتأمل اللبيب الناصح لنفسه، الذي يخاف الله ويرجوه، ما قرره الشيخ رحمه الله، في هذا الكتاب مِن بيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن الإلهية كلها بجميع أنواعها لله وحده، لا يصلح منها شيء لا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، ثم يتدبر ما ذكره الله في كتابه من بيان هذا الأصل وتوضيحه، وتقريبه للأذهان بالأمثال العظيمة التي لا يَعْقِلها إلا من أراد الله هدايته، فإن هذا الأصل العظيم هو الذي خلق الله لأجله جميع الخلق، وأرسل لأجل معرفته والعمل به جميع المرسلين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ

وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ﴾، وقال لسيد المرسلين محمدٍ ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ والإله هو الذي تَأْلَهُهُ القلوب عبادةً له، واستغاثةً به، ودعاءً له، ورجاءً له، وتوكلًا عليه، وخشيةً له، وإجلالًا وإكرامًا، فمن أخذ شيئًا من أنواع الإلهيةِ والعبادةِ التي لا تصلح إلا لله وجعله لمخلوق فقد اتخذه إلهًا مع الله، وإن لم يزعم أنه إلهٌ، فإذا فعل ما يفعل أهل الشرك وعبادة الأوثان بآلهتهم فقد عبدهم، وصار له إلهًا مع الله، فكان ممن اتخذ إلهين اثنين.

قال العلماء رحمهم الله: من غلا في نبي، أو رجل صالح، أو غير صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان، أَغِثْنِي واجبُرْنِي وانصُرْنِي. أو: اقض دَيْنِي. أو: أنا فقير إليك. أو: أنا في حسبك. أو: متوكل عليك. أو يذبح له، أو يَنْذِر له، أو يرجوه أو يخافه - فهذا كله شرك وضلال وجنون وخَبَال، يُستتاب صاحبه وتقام عليه الحجة، فإن تاب وإلا ضُرِبَت عنقه، وإن زعم أنه إنما يريد شفاعته له عند الله وتقريبه زلفى؛ فإن المشركين عَبَدَةَ الأوثان إنما غَرَّهم الشيطان وكادهم واصطادهم بذلك، كما هو صريح في محكم آيات التنزيل، لمن تدبره وعقل عن ربه العظيم الجليل.

وقد روى الترمذي وغير واحد من أهل الحديث عن أبي واقد الليثي أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَين، ونحن حَدِيثُو عهد بكفر، وللمشركين سِدْرَة يَعْكُفُون عليها ويَنُوطُون بها أسلحتهم، يقال لها «ذات أنواط» فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال: «**الله**

**أكبر، إنها السَّنَنُ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:** ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾»[(١)].

فتدبر رحمك الله هذا الحديث، وتفكر فيه وتأمله، كيف أفتى ﷺ وحلف على هذه الفتيا أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ مع أنهم لم يتلفظوا بذلك، وإنما قالوه بالمعنى، مع أنهم مجتهدون في ذلك، لم يشعروا أن هذا كقول بني إسرائيل، ولهذا أَتَوا رسولَ الله ﷺ قائلين له ذلك جهلًا منهم، ومع هذا كله أخبر الصادق المصدوق وحلف على هذا الخبر أن هذا كقول بني إسرائيل لموسى سواءً بسواءٍ.

فإذا كان هذا الأمر العظيم خفي على أولئك السادة وجهلوه، فكيف لا يخفى على غيرهم في هذه الأزمان، التي خَفِيَت فيها أعلام الإسلام، واشتدت فيها غربة الإسلام بين الأنام والإيمان، حتى صار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والمجرِّد للتوحيد يخرج عن الإسلام، وكان الشيطان قد اصطاد كثيرًا من الناس، بأن هذا التعظيم للأنبياء والأولياء والصالحين تَوَسُّلٌ واستشفاعٌ إلى الله بهم في إجابة الدعوات، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وأنتم تقولون «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وأن هذه الأمة المحمدية لا تشرك بالله، ولا يقع الشرك في جزيرة العرب أصلًا، وأنتم لم تقولوا إن هؤلاء آلهة مع الله كما قاله عُبَّاد الأوثان، وإنما هؤلاء عِبَادٌ صالحون، وأنتم عِبَادٌ مذنبون مخطئون، فتجعلونهم وسائط بينكم وبين الله، فتُقَرِّبُون إليهم وتَستشفعون بهم وتتَوَسَّلُون بهم؛ لأنهم أقرب منكم إلى الله، وهذا هو فعل الناس قبلكم، ولستم خيرًا من

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) والإمام أحمد (٥/ ٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (ظلال الجنة ٧٦).

فلان وفلان. وأشباه هذه الزخارف التي يُغْرِي بها الناسَ هو وإخوانه من شياطين الجن والإنس، فتصغي إلى ذلك أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ويرضونه ويقترفون ما هم مقترفون، ثم يُغْرِيهم بعداوة أهل التوحيد والإخلاص، فيستهزئون منهم بقلوبهم وأبدانهم، ويَسْعَوْنَ في أذيتهم، ويَبْغُون لهم الغَوَائل، والله مع الذين اتقوا والذين محسنون.

فإذا كان هذا تغليظ رسول الله ﷺ على أولئك السادة، لما طلبوا منه مجرد مشابهة المشركين في جعل سدرة لتنويط الأسلحة، والتبرك بها، والعكوف عندها، فكيف بما هو أشد من ذلك من الشرك الأكبر الذي لم يفعله عُبَّاد الأوثان، بل هو أعظم منه بكثير!

**فوائد:**

كان العلماء ﷺ، من قديم الزمان ينكرون هذا الذي حدث في هذه الأمة؛ من تعظيم القبور وبنائها، وبناء المشاهد عليها والمساجد، ودعائها، وسؤال أهلها الحاجات وتفريجَ الكربات، ويبينون للناس أن هذا خلاف دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ﷺ ودخولٌ في دين عُبَّاد الأوثان، فليس هذا الذي بَيَّنَه الشيخ ﷺ، للناس؛ من النهي عن دعوة أهل القبور، والإشراك بهم، والتبرك بالأشجار والأحجار فَهِمَه مِن تلقاء نفسه دون أن يفهمه أحد من علماء هذه الأمة، بل العلماء كلهم من جميع المذاهب مُطْبِقُون على النهي عنه، والإنكار والتغليظ على مَن فَعَلَه مِن الجُهَّال، وإزالة ما قدروا عليه من ذلك، ومرادي بالعلماء هم الذين يُعْتَدُّ بهم في معرفة الحلال والحرام، المشهورون بالعلم والمعرفة عند أهل الإسلام، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، بل يجاهدون في سبيل الله أهلَ البدع والآثام بحسب استطاعتهم وقدرتهم؛ إما باليد أو باللسان، أو بالقلب وهو أضعف مراتب الإيمان، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ

قال: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[١] وقال ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[٢] أخرجاه من حديث أبي هريرة ﷺ.

ومن ذلك ما ذكره الإمام أبو بكر الطرطوشي ﷺ، في كتابه المشهور الذي سماه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»[٣]: روى البخاري[٤] عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ حُنَين، ونحن حَدِيثُو عهدٍ بكفرٍ، وللمشركين سدرة يَعْكُفُون حولها ويَنُوطُون بها أسلحتهم، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلَكم»[٥] فانظروا، رحمكم الله، أينما وَجَدتُّم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، ويرجون البَرْءَ والشفاء مِن قِبَلِهَا، ويَنُوطُون بها المسامير والخِرَقَ، فهي ذات أنواط، فاقطعوها. انتهى كلامه ﷺ[٦].

فانظر، رحمك الله، إلى تصريح هذا الإمام بأن كل شجرة يقصدها الناس ويعظمونها، ويرجون الشفاء والعافية مِن قِبَلِهَا، فهي ذات أنواط التي قال

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧).

(٣) هكذا. وكتاب الطرطوشي اسمه «الحوادث والبدع»، وأما «الباعث على إنكار البدع والحوادث» فهو لأبي شامة - كما سيأتي -

(٤) لم يروه البخاري، وهي في (مختصر الحوادث والبدع ص ١٨): (روى أحمد).

(٥) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) والإمام أحمد (٥/ ٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (ظلال الجنة ٧٦).

(٦) الحوادث والبدع (ص ١٠٥).

رسول الله ﷺ لأصحابه لما طلبوا منه أن يجعل لهم شجرة كذات أنواط فقال: «**الله أكبر، هذا كقول بني إسرائيل**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾» مع أنهم لم يطلبوا إلا مجرد مشابهتهم في العكوف عندها وتعليق الأسلحة للتبرك، فتبين لك بهذا أن من جعل قبرًا أو حجرًا أو شجرة، أو شيئًا حيًّا أو ميتًا، مقصودًا له، وعظّمه ودعاه، واستغاث به وتبرّك به، وعكف على قبره، فقد اتخذه إلهًا مع الله، فإذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنكر عليهم مجرد طلبهم منه مشابهة المشركين في العكوف وتعليق الأسلحة للتبرك، فما ظنك بما هو أعظم من ذلك وأَطَمُّ؛ الشرك الأكبر الذي حرَّمه الله ورسوله، وأخبر أن أصلح الخلق لو يفعله لحبط عمله وصار من الظالمين، فصلوات الله وسلامه عليه كما بلَّغ البلاغ المبين، وعرَّفَنا بالله، وأوضح لنا الصراط المستقيم، فحقيق بمن نصح نفسه وآمن بالله واليوم الآخر ألا يغتر بما عليه أهل الشرك من عبادة القبور من هذه الأمة.

ومن ذلك ما ذكره الإمام محدّث الشام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، المعروف بـ«أبي شامة» من فقهاء الشافعية وقدمائهم، في كتابه الذي سماه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»[1] في فصل البدع المُسْتَقْبَحَة، قال:

ثم هذه البدعة المُسْتَقْبَحَة تنقسم إلى قسمين: قسم تعرف العامة والخاصة أنه بدعة، إما محرمة وإما مكروهة. وقسم يظنه معظمهم، إلا من عَصَمَ، عبادةً وقُرُبَات وطاعات وسُنَن.

**فأما القسم الأول** فلا نطول بذكره؛ إذ كُفِينَا مُؤْنَةَ الكلام فيه لاعتراف فاعله أنه ليس من الدين، لكن نبين من هذا القسم مما قد وقع فيه جماعة من جُهَّال

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (١/ ٢٥ - ٢٨).

العَوَامّ، النابذين لشريعة الإسلام، التاركين للاقتداء بأئمة الدين من الفقهاء، وهو ما يفعله طوائف من المنتمين للفقر، الذي حقيقته الافتقار من الإيمان؛ من مؤاخاة النساء الأجانب والخلوة بهنَّ، واعتقادهم في مشايخ لهم ضالِّين مُضَلِّين، يأكلون في نهار رمضان من غير عذر، ويتركون الصلوات، ويخامرون النجاسات، غير مكترثين لذلك، فهم داخلون تحت قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها.

ومن هذا القسم أيضًا ما قد عم الابتلاء به؛ من تزيين الشيطان للعامة تخليقَ الحيطان والعُمُدَ، وسَرْجَ مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحدًا ممن شُهِرَ بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه، مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يَعْظُمَ وَقْعُ تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها، ويرجون الشفاعة لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي من بين عيونٍ وشجرٍ وحائطٍ وحجر.

وفي مدينة دمشق، صانها الله تعالى من ذلك، مواضع متعددة: كعوينة الحمى خارج باب توما، والعمود المخلق خارج البيت الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق، سهَّل الله قطعها واجتثاثها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق وسفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي ﵁ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، وكانت لقريش شجرة خضراء عظيمة، يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم، ويعكفون عندها، ويذبحون لها. وفي رواية: خرجنا مع النبي ﷺ قِبَلَ حُنَين، ونحن

حديثو عهد بكفر، وللمشركين سِدْرَة يعكفون عليها، ويَنُوطُون بها أسلحتهم، يقال لها «ذات أنواط» فمررنا بسدرة، فتنادينا من جَنَبَتَيْ الطريق، ونحن نسير إلى حنين: يارسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر، هذا كما قال قوم موسى لموسى** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لَتَرْكُبَنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم»[1] أخرجه الترمذي بلفظ آخر، والمعنى واحد، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي في كتابه المتقدم ذكره: فانظروا، رحمكم الله، أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، ويرجون البَرْءَ والشفاء مِن قِبَلِهَا، ويَنوطُون بها المسامير والخِرَقَ، فهي ذات أنواط، فاقطعوها.

قلت: ولقد أعجبني ما فعله الشيخ أبو إسحاق الجبنيائي، رحمه الله تعالى، أحد الصالحين ببلاد أفريقية، حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي العباس المؤدب أنه كان إلى جانبه عين تسمى «عين العافية» كانت العامة قد افْتُتِنُوا بها؛ يأتونها من الآفاق، مَن تَعَذَّر عليها نكاح أو ولد قالت: امضوا بي إلى العافية. فتعرف بها الفتنة. قال أبو عبد الله: فأنا في السَحَر ذات ليلة، إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها، وأَذَّنَ الصبحَ عليها، ثم قال: اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأسًا. قال: فما رُفِع لها رأس إلى الآن.

قلت: وأدهى من ذلك وأَمَرُّ إقدامُهُم على قطع الطريق السابلة، يجيزون في

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) والإمام أحمد (٥/ ٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (ظلال الجنة ٧٦).

أحد الأبواب القديمة الثلاثة العادية، التي هي من بناء الجن في زمن نبي الله سليمان بن داود ﷺ، أو من بناء ذي القرنين، وقيل فيها غير ذلك، ما يؤذن بالتقدم على ما نقلناه في كتاب «تاريخ مدينة دمشق» حرسها الله تعالى، وهو بالباب الشمالي، ذَكَرَ لهم بعضُ مَن لا يوثق به، في شهور سنة ست وثلاثين وستمائة، أنه رأى منامًا يقتضي أن ذلك المكان دُفِنَ فيه بعض أهل البيت، وقد أخبرني عنه ثقة أنه اعترف له أنه افتعل ذلك، فقطعوا طريق المارة فيه، وجعلوا الباب بكماله أصل مسجد مغصوبًا، وقد كان الطريق يضيق بسالكيه، فتضاعف الضيق والحرج على من دخل ومن خرج، ضاعف الله عذاب من تسبب في بنائه، وأجزل ثواب من أعان على هدمه وإزالة اعتدائه، اتباعًا لسنة النبي ﷺ في هدم مسجد الضرار المُرْصَدِ لأعدائه من الكفار، فلم ينظر الشرع إلى كونه مسجدًا، وهَدَمَه لما قُصِدَ به من السوء والرَّدَى، وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ أسأل الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه، وألا يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه. انتهى ما ذكره الشيخ أبو شامة، رحمه الله تعالى[(١)] وكان رحمه الله تعالى من أئمة الشافعية من أهل أوائل القرن السابع.

وقال الإمام أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي، رحمه الله تعالى: لما صعبت التكاليف على الجُهَّال والطَّغَام، عَدَلُوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم؛ إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم. قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع؛ مثل تعظيم القبور وإكرامها، وإلزامها لما نَهَى عنه الشرع؛ من إيقاد السُّرُج، وتقبيلها، وتخليقها، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع فيها «يا مولاي افعل بي كذا وكذا» وأخذ تربتها تبركًا بها، وإفاضة الطيب على

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (١/ ٢٥ - ٢٨).

القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخِرَقِ على الشجر اقتداءً بمن عبد اللات والعزى، والويل عندهم لمن لم يقبِّل مشهد الكف، ولم يتمسح بآجُرِّ مسجد المَوينة يوم الأربعاء، ولم يقل الحمالون على جنازته: الصديق أبو بكر أو محمد وعلي. أو لم يعقد على قبر أبيه أَزَجًا بالجِصِّ والآجُرِّ، ولم يخرق ثيابه إلى الذيل، ولم يُرِقْ ماء الورد على القبر. انتهى[١].

فتأمل، رحمك الله تعالى، ما ذكره هذا الإمام، الذي هو أجل أئمة الحنابلة، بل من أجل أئمة الإسلام، وما كشفه من الأمور التي يفعلها الخواص من الأنام، فضلًا عن النساء والغوغاء والعوام، مع كونه في سادس القرون، والناس إذ ذاك لما ذكره يفعلون، وجهابذة العلماء والنَّقَدة لذلك يشهدون، وحَظُّهُم من النهي مرتبته الثانية فهم به قائمون، يتضح لك فساد ما زخرفه المبطلون، ومَوَّهَ به المتعصبة والملحدون.

**الفائدة الثانية:** قال الشيخ تقي الدين[٢]: جاءت السنة أن يُسْأَلَ الله بأسمائه وصفاته، فيقال: «أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم»[٣]، و«أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد»[٤]،

---

(١) نقله عنه الإمام ابن القيم في: (إغاثة اللهفان ١/ ١٩٥).

(٢) ابن تيمية رحمه الله، وابن غنام يُلخص هذه الفائدة من كتابه «الاستغاثة في الرد على البكري».

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٩٧) والنسائي (١٣٠٠) وابن ماجه (٣٨٥٨) وصححه الشيخ الألباني (صحيح ابن ماجه ٣٨٥٨).

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٩٥) والترمذي (٣٤٧٥) والنسائي (١٣٠١) وابن ماجه (٣٨٤٧) وصححه الشيخ الألباني (صحيح أبي داود ١٣٤١).

وكذلك قوله: «أسألك بمَعَاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم، وجدك الأعلى، وكلماتك التامة»[١]، مع أن هذا الدعاء الثالث في جواز الدعاء به قولان للعلماء.

قال الشيخ أبو الحسين القُدُورِيّ: قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك. أو يقول: بحق خلقك.

والجواز قول أبي يوسف. قال: قال أبو يوسف: بـ«معقد العز من عرشك» هو الله تعالى، فلا أكره ذلك، وأكره «بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام».

قال القُدُورِيّ: المسألة بخلقه لا تجوز؛ لأنه لا حق لمخلوق على الخالق، فلا تجوز. يعني وفاقًا.

وقال البلدحي في شرح «المختارة»: ويُكْرَهُ أن يدعو الله إلا به، فلا يقول: أسألك بفلان، أو بملائكتك، أو بأنبيائك، أو نحو ذلك؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق. انتهى.

قلت: وهذا من أبي يوسف وأبي حنيفة وغيرهما يقتضي المنع أن يُسْأَلَ اللهُ تعالى بغيره، وأما سؤال الميت أو الغائب، نبيًّا كان أو غيره، فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر الله تعالى به، ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين، وهذا مما يُعْلَمُ بالاضطرار من دين الإسلام، فإن أحدًا منهم ما كان يقول إذا نَزَلَت به تِرَةٌ أو عَرَضَت له حاجة لميت: يا سيدي يا فلان، أنا في

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٥/ ١٢).

حسبك. أو: اقض حاجتي. كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم في الموتى والغائبين، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته، ولا بغيره من الأنبياء، لا عند قبورهم، ولا إذا بعدوا عنها، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا الصلاة عندها.

ولما قحط الناس في زمان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه، وقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك إذا أجدبنا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. فَيُسْقَوْنَ. كما ثبت ذلك في صحيح البخاري(١).

وكذلك معاوية ﵁، لما استسقى بأهل الشام توسل بيزيد بن الأسود الجرشي(٢) فهذا الذي ذكره عمر ﵁، تَوَسُّلًا منهم تَوَسُّلٌ بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته، ولهذا توسلوا بعده بدعاء العباس، وبدعاء يزيد بن الأسود، وهذا هو الذي ذكره الفقهاء في كتاب «الاستسقاء» فقالوا: يستحب أن يَسْتَسْقِيَ بالصالحين، وإذا كانوا من أقارب رسول الله ﷺ فهو أفضل.

وقد كره العلماء، كمالك وغيره، أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه، وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف.

قال أصحاب مالك إنه إذا دخل المسجد، يدنو من القبر، فيسلم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبل القبلة، يوليه ظهره، وقيل: لا يوليه ظهره. وإنما اختلفوا لما فيه من استدباره، فأما إذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف.

---

(١) صحيح البخاري (٣٥٠٧).

(٢) أخرجه أبو زرعة الدمشقي في (تاريخ دمشق ١/ ٦٨) ويعقوب الفسوي في (المعرفة والتاريخ ١/ ٢٦٨، ٢/ ٢٢١) وقال الحافظ ابن حجر: بسند صحيح (التلخيص الحبير ٢/ ٢٠٦).

ولعل هذا الذي ذكره الأئمة أخذوه من كراهة الصلاة إلى القبر، فإن ذلك قد ثبت النهي فيه عن النبي ﷺ[(١)] فلما نهى أن يُتَّخَذَ القبرُ مسجدًا أو قبلةً أُمِرُوا بألا يتحرى الدعاء إليه، كما لا يصلى إليه.

قال مالك في «المبسوط»: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو، ولكن يسلم ويمضي.

ولهذا، والله أعلم، حُرِفَت الحجرة وثُلِّثَت لمّا بُنِيَت، فلم يُجْعَل حائطها الشمالي على سَمْتِ القبلة، ولا جُعِلَ مُسَطَّحًا.

وذكر الإمام أحمد وغيره أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره؛ لئلا يستدبره، وذلك بعد تحيته والصلاة والسلام عليه، ثم يدعو لنفسه. وذكروا أنه إذا حَيَّاه وصلى يستقبل وجهه بأبي هو وأمي ﷺ، فإذا أراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا، وهذا مراعاة منهم أن يفعل الداعي والزائر ما نهي عنه؛ مِن تَحَرِّي الدعاء عند القبر.

وقد كره مالك ﷺ، وغيره من أهل العلم لأهل المدينة كلما دخل أحدهم المسجد أن يجيء فيسلم على النبي ﷺ وصاحبيه، قال: وإنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر، أو أراد سفرًا، ونحو ذلك.

ورخص بعضهم في السلام عليه إذا دخل المسجد للصلاة ونحوها، وأما قصده دائمًا للصلاة والسلام عليه فما علمتُ أحدًا أرخص في ذلك؛ لأن ذلك نوع من اتخاذه عيدًا، وأيضًا فإن ذلك بدعة؛ فقد كان المهاجرون والأنصار في

---

(١) أخرجه ابن حبان (الإحسان ٢٣٢٣) من حديث أنس أن النبي ﷺ نهى عن الصلاة إلى القبور. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٨٩٣).

عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، يجيئون إلى المسجد كل يوم خمس مرات يصلون، ولم يكونوا يأتون مع ذلك إلى القبر يسلمون عليه؛ لعلمهم ﷺ، بما كان النبي ﷺ يكرهه من ذلك، وما نهاهم عنه، ولأنهم كانوا يسلِّمون عليه حين دخول المسجد والخروج منه، وفي آخر الصلاة في التشهد، كما كانوا يسلمون عليه كذلك في حياته، والمأثور عن ابن عمر يدل على ذلك.

قال سعيد في سننه: حدثنا عبد الرحمن بن يزيد، حدثني أبي، عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فصلى وسلم عليه وقال: السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه[1]. وعبد الرحمن بن يزيد وإن كان يُضَعَّف، لكن الحديث الصحيح عن نافع يدل على أن ابن عمر ما كان يفعل ذلك دائمًا ولا غالبًا.

وما أحسن ما قال مالك ﷺ: لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم، عُوِّضُوا عن ذلك بما أحدَثُوه من البدع والشرك وغيره، ولهذا كَرِهَت الأُمَّة استلامَ القبر وتقبيلَه، وبنوه بناءً مَنَعُوا الناس أن يَصِلُوا إليه.

ومما يبين حكمة الشريعة، وأنها كما قيل «سفينة نوح؛ مَن رَكِبَها نجا، ومَن تخلف عنها غَرِقَ» أن الذين خرجوا عن المشروع زَيَّن لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا إلى الشرك، فطائفة من هؤلاء يُصَلُّون للميت، ويَستدبر أحدهم القبلة ويسجد للقبر، ويقول أحدهم: القبلة قبلة العامة، وقبر الشيخ فلان قبلة

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٥٧٦) وأبو بكر بن أبي شيبة (٣/ ٣٤١) والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٥) قال الحافظ ابن حجر: رواه البيهقي موقوفًا بسند صحيح (إتحاف الخيرة المهرة ٣/ ٢٥٩).

الخاصة. وهذا يقوله مَن هو أكثر الناس عبادة وزهدًا، وهو شيخ متبوع، ولعله أمثل أتباع شيخه بقوله في شيخه. وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين، أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد، يأمر المرتدّ أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ، ويعكُف عليه عكوف أهل التماثيل عليها. وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور؛ من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب، ما لا يجده أحدهم في مساجد الله التي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾.

وآخرون يَحُجُّون للقبور. وطائفة صنفوا كتبًا وسَمَّوها «مناسك حج المشاهد» كما صنف أبو عبد الله محمد بن النعمان، الملقب بـ«المفيد» أحد شيوخ الإمامية كتابًا في ذلك، وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا يخفى كذبه على مَن له معرفة بالنقل.

وآخرون يسافرون إلى قبور المشائخ، وإن لم يُسَمُّوا ذلك نُسُكًا وحَجًّا، فالمعنى واحد، وكثير من هؤلاء أعظم قَصْدِهِ مِن الحج قَصْدُ قَبْرِ النبي ﷺ لا حَجُّ البيت.

وبعض الشيوخ المشهورين بالدين والزهد والصلاح صنف كتابًا سماه «الاستغاثة بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام» وقد ذكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة، وكان قبر النبي ﷺ منتهى قصده، ثم رجع إلى مكة، وجعل هذا من مناقبه. فإن كان هذا مستحبًّا فينبغي لمن يجب عليه حج البيت، إن حج، أن يجعل المدينة منتهى قصده، ولا يذهب إلى مكة، فإنه زيادة كلفة ومشقة مع ترك الأفضل! وهذا لا يقوله عاقل.

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس، ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامة، على طريقة ابن سبعين، قيل عنه إنه كان يقول: البيوت المحجوجة ثلاثة: مكة وبيت المقدس والبيت الذي

للمشركين في الهند. وهذا لأنه كان يعتقد أن دين اليهود حق ودين النصارى حق، وجاءه بعض إخواننا العارفين، قبل أن يعرف حقيقته، فقال له: أريد أن أسلك على يديك. فقال: على دين اليهود والنصارى أو المسلمين؟ فقال له: واليهود والنصارى أليسوا كفارًا! فقال: لا تشدد عليهم، ولكن الإسلام أفضل.

ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات، يسافرون إليها وقت الموسم، فيُعَرِّفُون بها كما يُعَرِّف المسلمون بعرفات، كما يُفْعَل هذا في المغرب والمشرق.

ومنهم من يحكي عن الشيخ الميت أنه قال: كل خطوة إلى قبري كحجة، ويوم القيامة لا أبيع بحجة. فأنكر بعض الناس ذلك، فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ، وزجره عن إنكار ذلك.

وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونُسُكُهم لغير الله رب العالمين، فليسوا على ملة الحنفاء، وليسوا من عمار مساجد الله التي قال الله فيها: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وعُمّار مشاهد المقابر يَخْشَوْنَ غير الله، ويَرجُون غير الله، حتى أن طائفة من أرباب الكبائر، الذين لا يَخْشَوْنَ الله فيما يفعلونه من القبائح، إذا رأى قبة الميت، أو الهلال الذي على رأس القبة، يخشى من فعل الفواحش، ويقول أحدهم لصاحبه: ويحك! هذا هلال القبة! فيَخْشَوْنَ المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذي خلق السموات والأرضَ، وجعَل أَهِلَّةَ السماء مواقيت للناس والحج!

وهؤلاء إذا نُوظِرُوا خَوَّفُوا مُنَاظِرَهُم، كما صنع المشركون مع إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ

عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله، والشيخَ الحيَّ المتعلَّقَ به كالنبيّ، فمِن الميت تُطْلَب قضاء الحاجات وكشف الكربات، وأما الحي فالحلال ما حلَّله والحرام ما حرَّمه، وكأنهم في أنفسهم قد عزلوا الله أن يتخذوه إلهًا، وعزلوا محمدًا ﷺ أن يتخذوه رسولًا. وقد يجيء القريب العَهدُ بالإسلام والتابعُ لهم المُحْسِنُ الظَّنَّ بهم، أو غيره، يطلب من الشيخ الميت إما دَفْعَ ظلم مَلِكٍ يريد أن يظلمه، أو غير ذلك، فيدخل ذلك السادن فيقول: قد قلت للشيخ، والشيخ يقول للنبي، والنبي يقول لله، والله قد بعث رسولًا إلى السلطان فلان. فهل هذا إلا محض دين المشركين والنصارى، وفيه من الكذب والجهل ما لا يستجيزه كل مشرك أو نصراني، ولا يَرُوج عليه؟

ويأكلون من النذور، والمنذور ما يؤتى به إلى قبورهم، ما يدخلون به في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فإنهم يأكلون أموال الناس بغير حق، ويصدون عن سبيل الله، ويعوضون بأنفسهم ويمنعون غيرهم، إذِ التابع لهم يعتقد أن هذا هو سبيل الله ودينه، فيمتنع لسبب ذلك من الدخول في دين الحق الذي بعث الله به رسوله، وأنزل به كتبه.

والله سبحانه لم يذكر في كتابه المشاهد، بل ذكر المساجد، وأنها خالصة لوجهه، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ﴾، ولم يذكر بيوت الشرك، كبيوت النيران

والأصنام والمشاهد؛ لأن الصوامع والبِيَعَ لأهل الكتاب، فالممدوح من ذلك ما كان مبنيًّا قبل النسخ والتبديل، كما أثنى على اليهود والنصارى والصابئين الذين كانوا قبل النسخ والتبديل، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات، فبيوت الأوثان وبيوت النيران وبيوت الكواكب وبيوت المقابر لم يمدح الله شيئًا منها، ولم يذكر ذلك إلا في قصة مَن لَعَنَهم النبيُّ ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾، فهؤلاء الذين اتخذوا مسجدًا على أهل الكهف كانوا من النصارى الذين لعنهم النبي ﷺ حيث قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[١] وفي رواية: «**وصالحيهم**»[٢] ودعاء المقبورين من أعظم الوسائل إلى ذلك.

وقد قدم بعض شيوخ المشرق، فتكلم معي في هذا، فبَيَّنْتُ له فساد هذا، فقال: كيف وقد قال النبي ﷺ: «**إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور**»؟ فقلت: هذا مكذوب باتفاق أهل العلم، لم يَرْوِهِ عن النبي ﷺ أحد من علماء الحديث، وبسبب هذا وأمثاله ظهر مصداق قول النبي ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن!**»[٣].

وهؤلاء الغلاة المشركون إذا حصل لأحدهم مطلبه، ولو من كافر، لم يُقْبِل على الرسول، بل يطلب حاجته من حيث يظن أنها تُقْضَى، فتارة يذهب إلى ما يظنه قبر رجل صالح، ويكون فيه قبر كافر أو منافق، وتارة يعلم أنه كافر أو منافق فيذهب إليه، كما يذهب قوم إلى الكنيسة، أو إلى مواضع يقال لهم إنها

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥) ومسلم (٥٢٩).
(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢).
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

تقبل النذر، فهذا يقع فيه عامتهم، وأما الأول فيقع فيه خاصتهم.

والمقصود هنا أن كثيرًا من الناس يعظِّم قبر مَن يكون في الباطن كافرًا أو منافقًا، ويكون هذا عنده والرسولُ من جنس واحد؛ لاعتقاده أن الميت يقضي حاجته إذا كان رجلًا صالحًا، وكِلَا هذين عنده من جنس واحد، يستغيث به، وكم مِن مشهد يعظِّمه الناس وهو كذب، بل يقال إنه قبر كافر، كالمشهد الذي بسفح جبل لبنان، الذي يقال إنه «قبر نوح» فإن أهل المعرفة يقولون إنه قبر بعض العمالقة، وكذلك مشهد الحسين الذي بالقاهرة، وقبر أبيّ بن كعب الذي بدمشق، اتفق العلماء أنها كذب، ومنهم من قال إنهما قبران لنصرانيين. وكثير من المشاهد تنازع فيها وعندها شياطين تُضِلّ بسببها مَن تُضِلّ.

ومنهم من يرى في المنام شخصًا يظن أنه المقبور، ويكون ذلك شيطانًا تَصَوَّر بصورته، كالشياطين الذين يكونون بالأصنام، وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيثون بالأصنام والموتى والغائبين، وهذا كثير في زماننا وغيره، مثل أقوام يرصدون بعض التماثيل التي بالبَرَّاني بديار مصر، بأخميم وغيرها، يرصدون التماثيل مدة، لا يتطهرون طُهْرَ المسلمين، ولا يصلون صلاة المسلمين، ولا يقرأون، حتى يتعلق الشيطان تلك الصورة، فيراها تتحرك، فيطمع فيها أو غيرها، فيرى شيطانًا قد خرج له، فيسجد لذلك الشيطان حتى يقضي بعض حوائجه.

ومثل هؤلاء كثير في شيوخ الترك الكفار، يسمونه البوي، وهو المخنث عندهم، إذا طلبوا منه بعض هذه الأمور، أرسلوا له من ينكحه، وينصبون له حركات عالية في ليلة ظلماء، وقرَّبوا له خبزًا وميتة، وغَنَّوا غناءً يناسبه، بشرط ألا يكون عنده من يذكر الله، ولا هناك شيء فيه شيء من ذكر الله، ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به في الهواء، ويَرَوْنَ الدف يطير في الهواء، ويُضْرَب مَن

مدَّ يده إلى الخبز، ويضرب الشيطان بآلات اللهو، وهم يسمعون، ويغني لهم الأغاني التي كانت تغنيها آباؤهم الكفار، ثم قد يغيب، وكذلك الطعام، وقد نقل إلى بيت البوي، وقد لا يغيب، ويقربون له ميتة يحرقونها بالنار، ويقضي بعض حوائجهم.

ومثل هذا كثير جدًّا للمشركين، فالذي يجري عند المشاهد من جنس ما يجري عند الأصنام، وقد تَيَقَّنتُ بطرق متعددة أن ما يُشْرَك به مِن دون الله؛ مِن صنم وقبر وغير ذلك، قد يكون عنده شياطين تُضلّ من أشرك به، وأن تلك الشياطين لا يقضون إلا بعض أغراضهم، وإنما يقضون بعض أغراضهم إذا حصل لهم من الشرك والمعاصي ما يحبه الشيطان، فمنهم من يأمر الداعي أن يسجد له، ومنهم من يأمره بالفواحش، وقد يفعلها الشيطان، وقد ينهاه عما أُمِرَ به من التوحيد والإخلاص والصلوات الخمس وقراءة القرآن ونحو ذلك.

والشياطين تُغْوِي الإنسان بحسب ما تطمع منه، فإن كان ضعيف الإيمان أَمَرَتْهُ بالكفر البيِّن، وإلا أَمَرَتْهُ بما هو فسق أو معصية، وإن كان قليل العلم أَمَرَتْهُ بما لا يَعْرِف أنه مخالف للكتاب والسنة، وقد وقع في هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة، لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذي بعث الله به رسوله ﷺ طَمِعَت فيهم الشياطين، حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة.

وقد جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ، أنه كان يَستغيث بأحدهم بعضُ أصحابه، فيرى الشيخ قد جاء في اليقظة حتى قضى ذلك المطلوب، وإنما هي شياطين تتمثل للمشركين الذين يدعون غير الله، والجنُّ بحسب الإنس، والكافر للكافر، والفاجر للفاجر، والجاهل للجاهل، وأما أهل العلم والإيمان فاتِّبَاعُ الجن لهم كاتِّبَاع الإنس، يَتَّبِعُونه فيما أَمَرَ الله به ورسوله.

وكان رجل يباشر التدريس وينتسب إلى الفتيا، كان يقول: النبي ﷺ يَعلم ما يَعلمه الله، ويَقدر على ما يَقدر الله عليه، وأن هذا السر انتقل بعده إلى الحسن، ثم انتقل في ذرية الحسن إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي. وقالوا: هذا مقام القطب الغوث الفرد الجامع.

وكان شيخ آخر معظَّمٌ عند أتباعه يدعي هذه المنزلة ويقول إنه المهدي الذي بشَّر به النبي ﷺ وإنه يزوِّج عيسى ابنته، وأن نواصي الملوك والأولياء بيده، يولي من يشاء ويعزل من يشاء، وأن الرب يناجيه دائمًا، وأنه الذي يمد حملة العرش وحيتان البحر، وقد عَزَّرْتُهُ تعزيرًا بليغًا في يوم مشهود، بحضرةٍ مِن أهل المسجد الجامع، يوم الجمعة بالقاهرة، فعرفه الناس، وانكسر بسببه أشباهُهُ من الدجاجلة.

ومن هؤلاء من يقول: قول الله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أن الرسول هو الذي يُسَبَّحُ بكرة وأصيلا.

ومنهم من يقول: إن الرسول ﷺ يعلم مفاتيح الغيب الخمس التي قال ﷺ فيها: «**خمس لا يعلمهن إلا الله: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا، وما تدري نفس بأي أرض تموت**»[١] وقال إنه عَلِمَها بعد أن أُخْبِر أنه لا يعلمها إلا الله.

ومنهم من يقول: أَسْقِطْ الربوبية وقل في الرسول ما شئت.

ومنهم من يقول: نحن نعبد الله ورسوله.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٧) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٩) من حديث ابن عمر.

ومنهم من يأتي قبر الميت فيقول: اغفر لي وارحمني ولا توقعني على زلة.

إلى أمثال هذه الأمور التي يُتَّخَذُ فيها المخلوق إلهًا.

**أقول:** وهذه سنة مأثورة، وطريقة مسلوكة، واللهِ غيرُ مهجورة، وضلالة واضحة مشهورة، وبدعة مشهودة غير منكورة، وأعلامها مرفوعة مشهورة، وآياتها منصورة غير مكسورة، وبراهينها غير محدودة ولا محصورة، ودلائلها في كثير من المصنفات والمناظيم مذكورة، كما قال في البردة، وبين في ذلك قَصْدَه:

**دع ما ادَّعَتْهُ النصارى في نبيهمُ    واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكِمِ**

**فإن مِن جُودِكَ الدنيا وضَرَّتها    ومن علومك علم اللوح والقلمِ**

ولو نطيل بنقل هذه الأخبار، لَحَبَّرْنَا منه أسفار، فلنكف عنان القلم اليَرَاع في هذا الميدان، فالحكم واللهِ لا يَخْفَى على ذي عيان، بل أجلى من ضياء الشمس في البيان، فلما استقر هذا في نفوس عامتهم، تجد أحدهم إذا سئل عمن ينهاهم: ما يقول هذا؟ فيقول: فلان عنده ما ثَمَّ إلا الله. لما استقر في نفوسهم أن يجعلوا مع الله إلهًا آخر، وهذا كله وأمثاله وقع ونحن بمصر.

وهؤلاء الضالون مُسْتَخِفُّون بتوحيد الله، ويعظِّمون دعاء غير الله من الأموات، فإذا أُمِرَوا بالتوحيد ونُهُوا عن الشرك استَخَفُّوا بمِن أَمَرَهم بتوحيد الله، كما أخبر الله تعالى عن المشركين، يقول: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُـزُوًا﴾ الآية، فاستهزأوا بالرسول إذ نهاهم عن الشرك، وقال تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ وما زال المشركون يسفِّهون الأنبياء، ويصفونهم بالجنون والضلال والسفاهة، كما قال قوم نوح

لنوح، وعادٍ لهودٍ ﷺ، قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ فأعظم ما سفَّهوه لأجله وأنكَرُوه هو التوحيد، وهكذا تجد مَن فيه شَبَهٌ مِن هؤلاء مِن بعض الوجوه، إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله، وإخلاص الدين له، وألا يعبد الإنسان إلا الله، ولا يتوكل إلا عليه، استهان بذلك؛ لِمَا عنده من الشرك.

وكثير من هؤلاء يخرِّبون المساجد ويعمِّرون المشاهد، فتجد المسجد الذي بُنِيَ للصلوات الخمس معطَّلًا مخرَّبًا، ليس له كُسْوَة إلا من الناس، وكأنه خان من الخانات، والمشهد الذي بُنِيَ على الميت فعليه الستور وزينة الذهب والفضة والرخام، والنذور تغدو وتروح إليه، فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وآياته ورسوله، وتعظيمهم الشرك، فإنهم يعتقدون أن دعاءهم للميت الذي بُنِيَ له المشهد، والاستغاثة به أنفع لهم من دعاء الله والاستغاثة به في البيت الذي بُنِيَ لله ﷻ، ففضَّلوا البيت الذي بُنِيَ لدعاء المخلوق على البيت الذي بُنِيَ لدعاء الخالق.

وإذا كان لهذا وَقْفٌ ولهذا وَقْفٌ، كان وَقْفُ الشرك أعظم عندهم، مضاهاةً لمشركي العرب الذين ذكر الله حالهم في قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ الآية، كانوا يجعلون لله زرعًا وماشية، ولأهلهم زرعًا وماشية، فإذا أصيب نصيب آلهتهم أخذوا من نصيب الله فوضعوه فيه، وقالوا: الله غنيٌّ وآلهتُنَا فقيرة! فيفضِّلون ما يَجْعَلُون لغير الله على ما يُجْعَلُ لله، وهكذا حال هؤلاء، الوقوفُ والنذورُ التي تُبْذَلُ عندهم للمَشَاهد أعظم مما يُبْذَل عندهم للمساجد، ولعُمَّار المساجد، والجهاد في سبيل الله.

وهؤلاء إذا قَصَد أحدهم القبر الذي يعظِّمه، بكى عنده وخضع، ويدعو ويتضرع، ويجعل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب ما لا يحصل

له مثله في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن، فهل هذا الأمر إلا من حال المشركين المبتدعين، لا الموحِّدِين المخلِصين المُتَّبِعِين لكتاب الله وسنة رسوله!

ومثل هذا إذا سمع أحدهم الأبيات، يحصل له من الحضور والخشوع والبكاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات الله، فيَخْشَع عند سماع المُبْتَدِعِين المشركين، ولا يخشع عند سماع المُتَّقِين المخلِصِين، بل إذا سمعوا آيات الله استثقلوها وكرهوها، واستهزأوا بها ومَن يقرأ بها، فيحصل له أعظم نصيب من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية، وألسن لاغية، كأنهم صم عمي، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم، وسكتت ألسنتهم، وسكنت حركاتهم، حتى لا يشرب العطشان منهم.

ومِن هؤلاء مَن إذا كانوا في سماعهم، فأذَّن المؤذِّنُ، قالوا: نحن في شيء أفضل مما دعانا إليه.

ومنهم من يقول: كنا في الحضرة، فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا إلى الباب.

وقد سألني بعضهم عمَّن قال ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلال، فقلت: كَذَبَ، كان في حضرة الشيطان، فصار على باب الله، فإن البدع والضلال فيها من حضور الشيطان ما قد فُصِّل في غير هذا الموضع.

والذين جعلوا دعاء الموتى؛ من الأنبياء والأئمة والشيوخ، أفضل من دعاء الله، أنواع متعددة، منهم من تقدم، ومنهم من يحكي أنواعًا من الحكايات أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يغثه، واستغاث بشيخه فأغاثه، وحكاية أن بعض المأسورين في بلد العدو دعا الله فلم يخرجه، ودعا بعضَ المشايخ

الموتى فأخرجه إلى بلاد الإسلام، وحكاية أن بعض المشايخ قال لمريده: إذا كانت لك إلى الله حاجة فتعال إلى قبري. وآخر قال: فتَوَسَّل إلى الله بي. وآخر قال: قبر فلان هو الترياق المجرب. فهؤلاء وأشباههم يرجحون هذه الأدعية على أدعية المخلصين لله، مضاهاةً لسائر المشركين، وهؤلاء يتمثل لكثير منهم صورةُ شيخه الذي يدعوه، فيظنه إياه، أو مَلَكًا على صورته، وإنما هو شيطان أغواه.

ومن هؤلاء مَن إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه، ولا يذكر إلا اسمه، قد لَهِجَ به كما يَلْهَج الصبي بذكر أمه، فيتعس أحدهم فيقول: يا فلان. وقد قال الله للمؤمنين: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب، ويحلف بشيخه وإمامه فيَصدُق، فيكون شيخه عنده وفي صدره أعظَمَ من الله، فإذا كان دعاء الموتى؛ مثل الأنبياء والصالحين، يتضمن هذا الاستهزاءَ بالله وآياته ورسوله؛ فأي الفريقين أحق بالاستهزاء بالله وآياته ورسوله؟ من كان يأمر بدعاء الموتى والاستغاثة بهم، مع مايترتب على ذلك من الاستهزاء بالله وآياته ورسوله، أو من كان يأمر بدعاء الله وحده لا شريك له كما أَمَرَت رُسُلُه، ويوجب طاعة الرسول ومتابعته في كل ما جاء به؟!

وأيضًا: فإن هؤلاء الموحِّدين من أعظم الناس رعاية لجانب الرسول، وتصديقًا له فيما أخبر، وطاعةً له فيما أَمَر، واعتناءً بمعرفة ما بُعِثَ به، والتمييز بين ما رُوِيَ عنه من الصحيح والضعيف، والصدق والكذب، واتِّبَاع ذلك دون ما خالفه، عملًا بقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

وأما أولئك الضُّلَّال، أشباهُ المشركين والنصارى، فعُمْدَتُهُم إما أحاديث

ضعيفة، أو موضوعات، أو منقولات عمَّن لا يُحْتَجُّ بقوله، إما أن تكون كذبًا عليه، وإما أن يكون غلطًا منه، إذ هي نقل غير مصدق، عن قائل غير معصوم، وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول حرفوا الكلم عن مواضعه، وتمسكوا بمتشابهه، وتركوا مُحْكَمَه، كما فعله النصارى، وهذا ما علمتُهُ يُنْقَل عن أحد من العلماء، لكنه موجود في كلام بعض الناس، مثل الشيخ يحيى الصرصري، ففي شعره قطعة منه، والشيخ محمد بن النعمان، وكتاب «المستغيثين بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام» وهؤلاء لهم صلاح ودين، لكن ليسوا من أهل العلم العالِمين بمدارك الأحكام، الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام، ومعرفة الحلال والحرام، وليس لهم دليل شرعي، ولا نقل عن عالم مرضي، بل عادة جُرِيَ عليها، كما جَرَت عادة كثير من الناس بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه، وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم، ولهم صلاح وعلم وزهد، إذا نزل به أمر خَطَا إلى جهة الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به، وهذا يفعله كثير من الناس، ولهذا لما نُبِّهَ مَن نُبِّهَ مِن فضلائهم تنبهوا وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الإسلام، بل هو مشابهة لِعُبَّاد الأصنام.

ونحن نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يَشْرَعْ لأمته أن يدعو أحدًا من الأموات، لا الأنبياء ولا غيرهم، ولا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت، ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، لكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين، لم يُمْكِنْ تكفيرهم بذلك حتى يُبيَّن لهم[1] ما جاء به الرسول مما يخالفه، ولهذا ما بينتُ هذه

---

(١) حرّف بعض المناوئين للدعوة للسلفية هذه اللفظة إلى «حتى يتبين»؛ لمقصد إبطال =

المسألة قط لمن يعرف دين الإسلام إلا تفطن لها وقال: هذا أصل دين الإسلام. وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: هذه أعظم ما بيَّنْتَه لنا. لعلمه بأن هذا أصل الدين، وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم، ويستجيرون بهم ويتضرعون إليهم، وربما كان ما يفعلونه بالأموات أعظم؛ لأنهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم، فيدعون دعاء المضطر، راجين قضاء حاجاتهم بدعائه، أو الدعاء به، أو الدعاء عند قبره، بخلاف عبادتهم للذي دعاهم إياه، فإنهم يفعلون في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف، حتى أن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق، خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم، قال بعض الشعراء:

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر

أو قال:

عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكمو من الضرر

فقلت لهم: هؤلاء الذين تستغيثون بهم، لو كانوا معكم في القتال لانهزموا كما انهزم جماعة من المسلمين يوم أحد، فإنه كان قضى أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك، والحكمة كانت لله في ذلك، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة؛ لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، فلما كانت بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله،

---

= قيام الحجة على مرتكبي الشرك؛ لأن كل واحد منهم سيزعم أنه لم «يتبين» له الأمر! انظر الرد على تحريفهم لكلام شيخ الإسلام في: «مصباح الظلام»؛ للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن (ص ٤٩٧ - ٥٠٤)، و«الأسنة الحداد»؛ للشيخ ابن سحمان (ص ١٥٧ - ١٥٨).

والاستغاثة به، وأنهم لا يستغيثون إلا إياه، ولا يستغيثون بمَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، فلما أصلح الناس أمورهم، وصدقوا في الاستغاثة بربهم، نصرهم على عدوهم نصرًا عزيزًا لم يتقدم نظيره، ولم يُهْزَم التتار مثل هذه الهزيمة أصلًا، لمَّا صح من توحيد الله وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك، فإن الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، كما قال تعالى في يوم بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

وروي أن النبي ﷺ كان يقول يوم بدر: «**يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث**»[1] وفي لفظ: «**أصلح لي شأني كله، ولا تَكِلْنِي إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك**»[2] وهؤلاء يدعون الميت أو الغائب، فيقول أحدهم: بك أستجير، أغثنا، أجرنا. ويقول: أنت تعلم ذنوبي. ومنهم من يقول للميت: اغفر لي وارحمني وتب عليَّ. ونحو ذلك، ومن لم يقل هذا من عقلائهم فإنه يقول: أشكو إليك ذنوبي، وأشكو إليك عدوي، وأشكو إليك جَوْرَ الولاة وظهور البدع، أو جدب الزمان. وغير ذلك، فيشكون إليه ما حصل مِن ضرر في الدين أو الدنيا، ومقصوده بالشكوى أن يُشْكِيَهُ فيُزِيلَ ذلك الضرر. وقد يقول مع ذلك للميت: أنت تعلم ما نزل بنا من الضرر، وأنت تعلم ما فعلتُه من

---

(١) أخرج النسائي في السنن الكبرى (٦/ ١٥٦) من حديث علي ﷺ قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ أنظر ما صنع، فجئت فإذا هو ساجد يقول: «**يا حي يا قيوم، يا حي يا قيوم**» ثم رجعت إلى القتال، ثم جئت فإذا هو ساجد لا يزيد على ذلك، ثم ذهبت إلى القتال، ثم جئت فإذا هو ساجد يقول ذلك، ففتح الله عليه.

(٢) أخرج أبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني (٢٩٢٥) عن رجل من بني زريق عن أبيه عن جده قال: أكثر دعاء النبي ﷺ يوم أحد: «**يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، اكفني كل شيء، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**».

الذنوب. فيجعل الميت أو الحي الغائب عالمًا بذنوب العباد وجراياتهم، التي يمتنع أن يعلمها بشر، حي أو ميت.

وعقلاؤهم يقولون: مقصودنا أن يَسْأَلَ اللهَ لنا ويَشْفَعَ لنا. ويظنون أنهم إذا سألوه بعد موته أن يسأل الله لهم، فإنه يُسْأَل ويَشْفَع كما كان يُسْأَل ويَشْفَع لما سأله الصحابة الاستسقاء وغيره، وكان يَشْفَع يوم القيامة إذا سئل الشفاعة، ولا يعلمون أن سؤال الميت أو الغائب غير مشروع البتة، ولم يفعله أحد من الصحابة، بل عدلوا عن سؤاله وطلب الدعاء منه، وأن الرسول ﷺ وسائر الأنبياء والصالحين وغيرهم لا يُطْلَب مِن أحدهم بعد موته من الأمور ما كان يُطْلَب منه في حياته. انتهى كلام الشيخ رحمه الله، ملخصًا.

فانظر، رحمك الله، إلى ما ذكره هذا الإمام من أنواع الشرك الأكبر، الذي قد وقع في زمانه ممن يدعي المعرفة والدين، ينتصب للفتيا والقضاء، لكن نبَّهَهم الشيخ رحمه الله، على ذلك وبيّن لهم أن هذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، فتَنَبَّهَ مَن تَنَبَّهَ منهم، وتاب إلى الله، وعرف أن ما كان عليه شرك وضلال، وانقاد للحق، وهذا ما يبين لك غربة الإسلام في ذلك الوقت عند كثير من الأنام، وأن هذا مصداق ما تواترت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم...**» الحديث، وقوله: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**».

وبهذا ينكشف لك، ويتضح عندك، بطلان ما عليه كثير من أهل هذا الزمان، من أنواع الشرك والبدع والحَدَثَان، فلا تغتر بما هم عليه، وهذه هي البلية العظيمة، والخصلة القبيحة الذميمة، وهي الاغترار بالآباء والأجداد، وما استمر عليه عمل كثير من أهل البلاد، وتلك هي الحجة التي انتحلها أهل الشرك والكفر والعناد، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم في محكم التنزيل، من غير شك ولا تأويل، حيث قال تعالى، وهو أصدق القائلين، حكاية عن فرعون

اللعين، أنه قال لموسى وأخيه هارون المُكْرَمَيْن: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾، فأجابه ﷺ بقوله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾.

فمن امتطى كاهل الصدق والوفاء، وسلم من التعصب والعناد والجفاء، وتوسط في لاحِبِ المَحَجَّة، وقَنِعَ في قبول الحق بالحجة، وكان ذلك طريقه ونهجه، وأشرق في صدره مصباح القبول، وأوقد فيه بزيت المعرفة لمولاه والوصول، وكان من ضوء التوحيد على وصول، عرف صدق ما انتهجه شيخ الإسلام، وما أوضحه من سبل السلام، وما رفعه لكافة الأنام، من رفيع الأعلام، وما نشره من مطوي نافع العلوم، وما كشفه من صحيح المنطوق والمفهوم، ولكن لما أماط عن مُحَيَّا الحق كثيف النقاب، فأشرف لمُنوَّرِ القلب ضوء الصواب، لم تَرُضْ له أفهام أولي الألبابِ، ولم تَرْضَ في الدليل بقواطع السنة والكتاب، بل لَجَّ أهل الزيغ في الضلال والارتياب، ودخلوا في التعصب لما كانوا عليه من كل باب، حين قام بدعوة رب الأرباب، الشيخ الإمام القدوة محمد بن عبد الوهاب، وأَتَوا في مصادمته بحُجَجٍ واهية النسج، بعيدة عن الحق والنهج، يقضي بفسادها، وبيان عنادها، وغلوها في مرادها، كل من لم يتورك سَنَامَ الاعتساف، ولم يقعد على منصة العصبية والإجناف، ولم يَدَّرِعْ بقميص السرف والإسراف، وراقب في ذلك مولاه وخاف، وما داهن في ذلك ولا حاف[1]، ولكنّ هذا القدوة، كلما أعلن بهذه الدعوة، لم يبال بما رُيّش له من النِبال، وما حُدد له من النِصال، وما أُوقع في عرضه من القيل والقال، ولله در المتنبي حيث قال:

لا يسلم الشرف من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

---

(١) من الحيف: الجَور.

**الفائدة الثالثة**: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإغاثة»: قال ﷺ «**لا تتخذوا قبري عيدًا**»[١]، وقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٢] وفي اتخاذها عيدًا من المفاسد ما يغضب لأجله مَن في قلبه وقار لله وغيرة على التوحيد، ولكن ما لِجُرْحٍ بميت إيلام: منها الصلاة إليها، والطواف بها واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات، التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم، وكل مَن شم أدنى رائحة من العلم يعلم أن من أهم الأمور سَدَّ الذريعة إلى ذلك، وأنه ﷺ أعلم بعاقبة ما نَهَى عنه وما يؤول إليه، وإذا لعن مَن اتخذ القبور مساجد يعبد الله فيها، فكيف بملازمتها واعتياد قصدها وعبادتها! ومن جمع بين سُنَّة رسول الله ﷺ في القبور وما أَمَر به ونَهَى عنه وما عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم، رأى أحدهما مضادًّا للآخر؛ فنهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ونهى عن تسريجها[٣] وهؤلاء يوقفون عليها الوقوف على إيقاد القناديل عليها، ونهى عن أن يتخذ عيدًا وهؤلاء يتخذونها أعيادًا، ونهى عن تشريفها وأمر بتسويتها، كما في «صحيح مسلم» عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٤]، وهؤلاء يرفعونها ويجعلون عليها

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٤٤) والإمام أحمد (٢/ ٣٦٧) وصححه الشيخ الألباني (أحكام الجنائز ١/ ٢١٩) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِى عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِى حَيْثُ كُنْتُمْ**».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٤٦) وصححه الشيخ الألباني (أحكام الجنائز ١/ ٢١٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦) والترمذي (٣٢٠) والنسائي (٢٠٤٣) والإمام أحمد (١/ ٣٣٧) عن ابن عباس قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ٤٦٩١).

(٤) صحيح مسلم (٩٦٩) عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته.

القباب، ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه، كما في «صحيح مسلم» عن جابر[١] ونهى عن الكتابة عليها، كما رواه أبو داود عن جابر[٢] وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن، ويزيدون على ترابها بالجِصِّ والآجُرِّ والأحجار[٣].

وقال: آل الأمر بهؤلاء الضُّلَّال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًّا ووضعوا لها مناسك، حتى صنّف بعضهم في ذلك كتابًا سماه «مناسك حج المشاهد» ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام، فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه الرسول ﷺ لأمته وبين ما شرعه هؤلاء. والنبي ﷺ أمر بزيارة القبور لأنها تذكرة الآخرة، وأمر الزائر أن يدعو لأهل القبور، ونهاه أن يقول هُجْرًا، فهذه الزيارة التي أذن فيها لأمته وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئًا مما يعتمده أهل الشرك والبدع، أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه!

وما أحسَنَ ما قال الإمام مالك ﵀: لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أوّلَها. ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم عُوِّضُوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك، ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحَمَوا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء جعل ظهره إلى جدار

---

(١) صحيح مسلم (٩٧٠) عن عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه.

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٥٢) والنسائي (٢٠٢٧) وابن ماجه (١٥٦٣) عن جابر قال: نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها، وأن توطأ. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترمذي).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ١٨٨ - ١٩٦).

القبر ثم دعا، وقد نص على ذلك الأئمة الأربعة؛ أن يستقبل القبلة للدعاء حتى لا يدعو عند القبر، فإن الدعاء عبادة، وبالجملة فإن الميت قد انقطع عمله، فهو محتاج إلى مَن يدعو له، ولهذا شُرِعَ في الصلاة عليه من الدعاء ما لم يُشْرَعْ مثله للحي، ومقصود الصلاة على الميت الاستغفار له والدعاء له، وكذلك الزيارة مقصودها الدعاء للميت والإحسان إليه وتذكير الآخرة، فبدَّل أهل البدع والشرك قولًا غير الذي قيل لهم، فبدلوا الدعاء له بدعائه نفسه، والشفاعة له بالاستشفاع به، والزيارة التي شُرِعَت إحسانًا إلى الميت وإلى الزائر بسؤال الميت والإقسام به على الله، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو محض العبادة، وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه في المساجد(١).

ثم ذكر حديث ذات أنواط ثم قال: فإذا كان اتخاذ الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذًا له مع الله، وهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر ودعائه والدعاء عنده والدعاء به! وأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر، لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون! ومَن له خبرة بما بعث الله به رسوله، وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم، في هذا الباب وغيره، علم أن بين السلف وبينهم أبعد مما بين المشرق والمغرب، والأمر والله أعظم مما ذكرنا(٢).

وعَمَّى الصحابة قبر دانيال بأمر عمر رضي الله عنه.

ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بويع رسول الله ﷺ تحتها أرسل إليها وقطعها، قال عيسى بن يونس: هو عندنا من حديث ابن عون عن نافع.

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٩٧ - ٢٠٢).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٢٠٥).

فإذا كان هذا فعله في الشجرة التي ذكرها الله في القرآن، وبايع تحتها الصحابة ﷺ، رسولَ الله ﷺ فماذا حكمه فيما عداها؟

وأبلغ من ذلك أن رسول الله ﷺ هدم مسجد الضرار، ففيه دليل على هدم المساجد التي هي أعظم فسادًا منه، كالمبنية على القبور، وكذلك قبابها، فتجب المبادرة إلى هدم ما لعن رسولُ الله ﷺ فاعلَه، واللهُ يقيم لدينه مَن ينصره ويذب عنه(١).

وكان بدمشق كثير من هذه الأنصاب، فيسر الله سبحانه كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحِّدِين، وكانوا يقولون العامةُ للشيء منها إنه يَقْبَلُ النذر، أي يقبل العبادة من دون الله، فإن النذر عبادة يتقرب بها الناذر إلى المنذور.

ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله أن يُتَّخَذَ منه مُصَلًّى، قال قتادة في الآية: إنما أُمِرُوا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئًا ما تكلفته الأمم قبلها، ذكر لنا مَن رأى أثر أصابعه، فمازالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلولق(٢).

وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة أصحاب القبور، وهي أصل فتنة عباد الأصنام، كما ذكر الله في سورة نوح في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ الآية، ذكر السلف في تفسيرها أن هؤلاء أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم(٣).

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢٠٩ - ٢١٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٣٥).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٢) وما ذكره الإمام ابن القيم عن السلف أخرجه البخاري =

وتعظيم الصالحين إنما هو باتباع ما دَعَوا إليه دون اتخاذ قبورهم أعيادًا وأوثانًا، فأعرضوا عن المشروع واشتغلوا بالبدع، ومَن أصغى إلى كلام الله وتفهمه أغناه عن البدع والآراء، ومن بعد عنه فلابد أن يتعوض بما لا ينفعه، كما أن مَن عُمِّرَ قلبُهُ بمحبة الله وخشيته والتوكل عليه أغناه عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه، فالمُعْرِضُ عن التوحيد مُشْرِكٌ، شاء أم أبى، والمُعْرِضُ عن اتباع السنة مبتدعٌ، شاء أم أبى، والمعرض عن محبة الله عبد الصور، شاء أم أبى[١].

وهذه الأمور المبتَدَعَة عند القبور أنواع:

**أبعدها عن الشرع**: أن يَسْأَلَ الميتَ حاجتَهُ، كما يفعله كثير، وهؤلاء من جنس عُبَّاد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت كما يتمثل لعباد الأصنام، وكذلك السجود للقبر وتقبيله والتمسح به.

**النوع الثاني**: أن يَسْأَلَ اللهَ به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين، وهو بدعة إجماعًا.

**النوع الثالث**: أن يَظُنَّ أن الدعاء عنده مستجاب، وأنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد القبر لذلك، فهذا أيضًا من المنكرات إجماعًا، وما علمت فيه

---

= (٤٩٢٠) عن ابن عباس، ﵄، قال: صارتِ الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعْدُ: أمَّا «وَدّ» فكانت لكَلْب بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وأما «سُواعٌ» فكانت هذيل، وأما «يَغُوثُ» فكانت لِمُرادَ، ثم صارَت لِبَني غُطَيْفٍ بالجُرفِ عِند سَبأ، وأمَّا «يَعُوقُ» فكانت لِهَمْدان، وأمَّا «نَسْرٌ» فَلِحِمْيَرَ، لآلِ ذي الكَلاَعَ، وكلُّها أسماءُ رجالٍ صالحينَ من قوْمِ نُوحٍ، فلَّما هَلَكوا أَوْحى الشَّيطانُ إلى قَوْمِهِم أنِ انْصِبُوا إلى مَجالِسِهِمْ التي كانوا يجلسون فيها أنْصابا وسَمُّوها بأسمائهم، ففعلُوا، فلم تُعبدْ، حتى إذا هلك أولئك تَنَسَّخَ العلمُ عُبِدَتْ.

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٤).

نزاعًا بين أئمة الدين، وإن كان كثير من المتأخرين يفعله[١].

وبالجملة؛ فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام، ولم يتخلص منه إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم، وعبادتها في الأرض من قبل نوح، وهياكلها ووقوفها، وسدنتها وحجابها، والكتب المصنفة في عبادتها طبق الأرض، قال إمام الحنفاء عليه الصلاة والسلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وكفى في معرفة أنهم أكثر أهل الأرض بما صح عن النبي ﷺ أن بَعْثَ النار من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون[٢] وقد قال تعالى: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ وقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما أقدم عُبَّادُها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، وهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حَلَّ بهم، ولا يزيدهم ذلك إلا حُبًّا لها وتعظيمًا، ويوصي بعضهم بعضًا بالصبر عليها[٣].

انتهى كلام الشيخ، رحمه الله تعالى، ملخصًا، وسيأتي بقية لكلام الشيخ ابن القيم في رسائل الشيخ الآتية، إن شاء الله، في مواضع من رسائله ﷺ، متفرقة، كما ذكره في الرسالة التي كتبها حين ارتدوا أهل حُريملَا، وكذلك ذكره في رسالته لعبد الله بن سحيم في الرد على عدو الله سليمان بن سحيم، مطوع الرياض.

وقال العماد ابن كثير في «تاريخه»[٤]: وفي سنة من السنين كان للناس شجرة

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٧ - ٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٧٠).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٢٥).

(٤) البداية والنهاية (١٤/ ٣٤).

يعظمونها، ويخرجون إليها ويربطون عليها الخِرَقَ، ويخرجون إليها في يوم من السنة. قال: لم يشعر الناس إلا والشيخ تقي الدين ابن تيمية تَحَزَّمَ وأخَذ هو وجماعته الفؤوس، وخرج إليها فقطعها. قال: فوقع الإنكار من العامة عليه بسبب ذلك، فرحمه الله ورضي عنه على ما صنع؛ فإن ذلك ربما يفضي إلى الشرك، وطائفة من الكفار يعبدون الشجر، وقد ذكر ابن هشام في «السيرة» وغيره أن أهل نجران قبل مبعث النبي ﷺ كانوا يعبدون نخلة طويلة، لها عيد في السنة، إذا كان يوم ذلك العيد خرجوا إليها، وألبسوها الحلي وغيره، ويعكفون عليها، وأخبرني بعض أصحابنا أن ببلاد الهند طائفةً يعبدون الشجر، يعكفون عليها ويصلحونها ويلبسونها. انتهى كلامه رحمه الله.



## الفصل الثالث
## في سرد بعض رسائل أرسلها إلى بعض البلدان، وإلى بعض خواص الإخوان يدعوهم بالقول السديد إلى تجريد التوحيد

**فمنها** الرسالة التي أرسلها إلى أهل الأحساء، حين كتبوا الرسائل إلى أهل نجد بالإنكار عليه والتشنيع، **ومنها** رسالة أرسلها إلى مطاوعة أهل سدير والوشم والقصيم، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى مَن يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، خصوصًا محمد بن عبيد وعبد القادر العديلي(١) وابنه وعبد الله بن سحيم(٢) وعبد الله بن عضيب(٣) وحميدان بن تركي(٤) وعلي بن زامل ومحمد أبا الخيل(٥) وصالح بن عبد الله(٦)، أما بعد:

فإن الله تبارك وتعالى أرسل محمدًا ﷺ إلينا على حين فترة من الرسل، فهدى الله به إلى الدين الكامل والشرع التام، وأعظم ذلك وأكبره وزبدته هو إخلاص

---

(١) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٣/ ٥٣٧ - ٥٣٨).
(٢) انظر ترجمته في: المرجع السابق (٤/ ٣٨ - ٤٠)، ومجلة الدرعية (س٣ ع١١ و١٢) مقال للأستاذ عبد الله بن حمد العسكر.
(٣) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٤/ ٤١ - ٥٢).
(٤) انظر ترجمته في: المرجع السابق (٢/ ١٤٦ - ١٥٠).
(٥) انظر ترجمته في: المرجع السابق (٥/ ٤٦٥ - ٤٦٨).
(٦) لعله صالح بن عبدالله أبا الخيل، قاضي عنيزة، (ت ١١٨٤هـ). انظر ترجمته في: المرجع السابق (٢/ ٥١٣ - ٥١٦).

الدين لله، بعبادته وحده لا شريك له، والنهي عن الشرك، وهو ألا يُدْعَى أحد من دونه من الملائكة والنبيين، فضلًا عن غيرهم، فمِن ذلك أنه لا يُسْجَدُ إلا لله، ولا يُرْكَعُ إلا له، ولا يُدْعَى لكشف الضر إلا هو، ولا لجلب الخير إلا هو، ولا يُنْذَرُ إلا له، ولا يُحْلَفُ إلا به، ولا يُذْبَحُ إلا له، وجميع العبادة لا تصلح إلا له وحده لا شريك له، وهذا معنى قول «لا إله إلا الله»، فإن المألوه هو المقصود المعتَمَد عليه، وهذا أمر هيِّن عند مَن لا يعرفه، كبير عظيم عند مَن عرفه.

فمَن عرَف هذه المسألة عرَف أن أكثر الخلق قد لعب بهم الشيطان، وزين لهم الشرك بالله، وأخرجه في قالب حب الصالحين وتعظيمهم، والكلام في هذا ينبني على قاعدتين عظيمتين:

**الأولى**: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يعرفون الله ويعظمونه، ويحجون ويعتمرون، ويزعمون أنهم على دين إبراهيم الخليل، وأنهم يشهدون أنه لا يَخْلُقُ ولا يَرْزُقُ ولا يُدَبِّرُ إلا الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية.

فإذا عرفت أن الكفار يشهدون بهذا كله، فاعرف **القاعدة الثانية**، وهي أنهم يدعون الصالحين؛ مثل الملائكة وعيسى وعُزَيْر وغيرهم، وكل مَن ينتسب إلى شيء من هؤلاء سماه إلهًا ولا يعني بذلك أنه يَخْلُق أو يَرْزُق، بل يدعون الملائكة وعيسى ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ والإله في لغتهم هو الذي يسمَّى في لغتنا (الذي فيه سر) والذين يسمونه الفقراء شيخهم، يعنون بذلك أنه يُدْعَى ويَنْفَع ويَضُرّ، وإلا إنهم مُقِرُّون لله بالتفرد بالخلق والرزق، وليس ذلك معنى الإله، بل الإلهُ المقصودُ المدعُوُّ المرجُوُّ، لكن المشركون في زماننا أضل من الكفار الذين في زمن رسول الله ﷺ من وجهين:

**أحدهما**: أن الكفار إنما يدعون الأنبياء والملائكة في الرخاء، وأما في

الشدائد فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

**والثاني**: أن مشركي زماننا يدعون أناسًا لا يوازنون عيسى والملائكة.

إذا عرفتم هذا فلا يخفى عليكم ما ملأ الأرض من الشرك الأكبر عبادة الأصنام؛ هذا يأتي إلى قبر نبي، وهذا إلى قبر صحابي، كالزبير وطلحة، وهذا إلى قبر رجل صالح، وهذا يدعوه في الضراء وفي غيبته، وهذا يَنْذِرُ له، وهذا يذبح للجن، وهذا يدخل عليه من مضرة الدنيا والآخرة، وهذا يسأله خير الدنيا والآخرة!

فإن كنتم تعرفون أن هذا من الشرك، عبادة الأصنام، الذي يُخْرِج الرجلَ من الإسلام، وقد ملأ البر والبحر، وشاع وذاع، حتى أن كثيرًا ممن يفعله يقوم الليل ويصوم النهار، وينتسب إلى الصلاح والعبادة، فما بالكم لم تُفْشُوه في الناس وتبينوا لهم أن هذا كفر بالله مخرج عن الإسلام! أرأيتم لو أن بعض الناس أو أهل بلده تزوجوا أَخَوَاتِهِم أو عَمَّاتِهِم، جهلًا منهم، أَفَيَحِلُّ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتركه، لا يُعْلِمُهُم أن الله حرَّم الأخوات والعمات؟ فإن كنتم تعتذرون أن نكاحهم أعظم مما يفعله الناس اليوم عند قبور الأولياء والصحابة وفي غيبتهم عنها، فاعلموا أنكم لم تعرفوا دين الإسلام، ولا شهادة أن لا إله إلا الله، ودليل هذا مما تقدم من الآيات التي بينها الله في كتابه.

وإن عرفتم ذلك، فكيف يحل لكم كتمان ذلك والإعراض عنه، وقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ فإن كان الاستدلال بالقرآن عندكم هُزُوًا وجهلًا، كما هي عادتكم ولا تقبلونه، فانظروا في «الإقناع» في باب حكم المرتد، وما ذكر فيه من الأمور الهائلة التي ذكر أن الإنسان إذا فعلها فقد ارتد وحل دمه؛ مثل الاعتقاد في الأنبياء والصالحين، وجعلهم وسائط بينه وبين الله، ومثل الطيران في الهوى، والمشي في الماء، فإذا كان مَن فعل هذه الأمور منكم؛ مثل السائح الأعرج ونحوه، تعتقدون صلاحه وولايته، وقد صرح في

«الإقناع» بكفره، واعلموا أنكم لم تعرفوا معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

فإن بان لكم في كلامي هذا شيء من الغلو؛ مِن أن هذه الأفاعيل لو كانت حرامًا فلا تُخْرِجُ من الإسلام، وأن فعل أهل زماننا في الشدائد في البر والبحر، وعند قبور الأنبياء والصالحين، ليست من هذه - بَيِّنُوا لنا الصواب وأرشدونا إليه. وإن تبين لكم أن هذا هو الحق الذي لا ريب فيه، وأن الواجب إشاعته في الناس، وتعليمه النساء والرجال، فرحم الله مَن أدَّى الواجب عليه، وتاب إلى الله، وأقر على نفسه، فإن التائب عن الذنب كمن لا ذنب له، وعسى الله أن يهدينا وإياكم وإخواننا لما يحب ويرضى، والسلام.

**ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الله بن سحيم، مطوع المجمعة، قال فيها:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم، حفظه الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد وصل كتابك تطلب شيئًا من معنى كتاب المويس الذي أرسل لأهل الوشم، وأنا أجيبك عن الكتاب جملة، فإن كان الصواب فيه فنبهني وأرجع إلى الحق، وإن كان الأمر كما ذكرتُ لك من غير مجازفة، بل أنا مقتصر، فالواجب على المؤمن أن يدور مع الحق حيث دار، وذلك أن كتابه مشتمل على الكلام في ثلاثة أنواع من العلوم:

**الأول**: علم الأسماء والصفات، الذي يسمى «علم أصول الدين» ويسمى أيضًا «العقائد»، **والثاني**: الكلام على التوحيد والشرك، **والثالث**: الاقتداء بأهل العلم واتباع الأدلة وترك ذلك.

**أما الأول**: فإنه أنكر على أهل الوشم إنكارهم على مَن قال: ليس بجوهر، ولا جسم، ولا عَرَض. وهذا الإنكار جمع فيه بين اثنتين:

**إحداهما**: أنه لم يفهم كلام ابن عيدان وصاحبه.

**الثانية**: أنه لم يفهم صورة المسألة، وذلك أن مذهب الإمام أحمد وغيره من السلف أنهم لا يتكلمون في هذا النوع إلا بما تكلم الله به ورسوله، فما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله أثبتوه، مثل الفوقية والاستواء والكلام والمجيء وغير ذلك، وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله نَفَوه، مثل المِثْلِ والنِّدِّ والسَّمِيِّ وغير ذلك. وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله إثباتُه ونفيُه، مثل الجوهر والجسم والعرض والجهة وغير ذلك، فلا يثبتونه، فمن نفاه، مثل صاحب الخطبة التي أنكرها ابن عيدان وصاحبه، فهو عند أحمد والسلف مبتدِع، ومَن أثبته، مثل هشام بن الحكم وغيرهم، فهو عندهم مبتدع، والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع اقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه، هذا معنى كلام الإمام أحمد الذي في رسالة المويس، أنه قال: لا أرى الكلام إلا ما ورد عن النبي ﷺ! فمن العجب استدلاله بكلام الإمام أحمد على ضده!

ومثاله في ذلك كمثل حنفي يقول: الماء الكثير، ولو بلغ قلتين، ينجس بمجرد الملاقاة من غير تغير. فإذا سئل عن الدليل قال: قوله ﷺ: «**الماء طهور لا ينجسه شيء**»[1] فيستدل بدليل خصمه! فهل يقول هذا مَن يفهم ما يقول! وأنا أذكر لك كلام الحنابلة في هذه المسألة:

قال الشيخ تقي الدين، بعد كلام له على مَن قال إنه ليس بجوهر ولا عرض، ككلام صاحب الخطبة، قال رحمه الله:

فهذه الألفاظ لا يُطلق إثباتها ولا نفيها، كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة، ونحو ذلك من الألفاظ، ولهذا لما سئل ابن سُرَيج عن التوحيد، فذكر

---

(١) أخرجه أبو داود (٦٦) والترمذي (٦٦) والنسائي (٣٢٥) والإمام أحمد (٣/ ٣١) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٩٢٥).

توحيد المسلمين قال: وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والأعراض، وإنما بُعِثَ النبي ﷺ بإنكار ذلك. وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام وأهله مبسوط في غير هذا الموضع. والمقصود أن الأئمة، كأحمد وغيره، لما ذَكَر لهم أهلُ البدع الألفاظَ المجمَلَة، كلفظ الجسم والجوهر والحيِّز، لم يوافقوهم لا على إطلاق الإثبات ولا على إطلاق النفي[١]. انتهى كلام الشيخ تقي الدين.

إذا تدبرتَ هذا عرَفتَ أن إنكار ابن عيدان وصاحبه على الخطيب الكلامَ في هذا هو عين الصواب، وقد اتبعا في ذلك إمامهما أحمد بن حنبل وغيره في إنكارهم ذلك على المبتدعة، ففهم صاحبكم أنهما يريدان إثبات ضد ذلك، وأن الله جسم وكذا وكذا، تعالى الله عن ذلك، وظن أيضًا أن عقيدة أهل السنة هي نفي أنه لا جسم ولا جوهر ولا كذا ولا كذا، وقد تبين لكم الصواب أن عقيدة أهل السنة هي السكوت، مَن أثبَتَ بدَّعُوه، ومَن نفَى بدَّعُوه، فالذي يقول: ليس بجسم، ولا، ولا. هم الجهمية والمعتزلة، والذين يثبتون ذلك هو هشام وأصحابه، والسلف بريئون من الجميع، مَن أثبَتَ بدَّعُوه، ومَن نفَى بدَّعُوه.

فالمويس لم يفهم كلام الأحياء ولا كلام الأموات، وجعل النفيَ الذي هو مذهبُ الجهمية والمعتزلة مذهبَ السلف، وظن أن مَن أنكر النفي أنه يريد الإثبات، كهشام وأتباعه.

ولكن أعجب من ذلك استدلاله على ما فهم بكلام أحمد المتقدم، ومن كلام أبي الوفاء ابن عقيل، قال: أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا وما عَرَفَا الجوهر والعَرَضَ، فإن رأيتَ أن طريقة أبي علي الجُبَّائي وأبي هاشم خير لك من طريقة

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٠٤ - ٢٠٧).

أبي بكر وعمر فبئسما رأيت[١]. انتهى.

وصاحبكم يدعي أن الرجل لا يكون من أهل السنة حتى يتبع أبا علي وأبا هاشم بنفي الجوهر والعرض، فإن أنكر الكلام فيهما، مثل أبي بكر وعمر، فهو عنده على مذهب هشام الرافضي، فظهر بما قررناه أن الخطيب الذي يتكلم بنفي العرض والجوهر أخَذَه من مذهب الجهمية والمعتزلةَ، وابن عيدان وصاحبه أنكرا ذلك مثلما أنكره أحمدُ والعلماءُ كلُّهم على أهل البدع.

وقوله في الكتاب: ومذهب أهل السنة إثبات من غير تعطيل ولا تجسيم، ولا كيف، ولا أين... إلى آخره، وهذا من أبين الأدلة على أنه لم يفهم عقيدة الحنابلة، ولم يميز بينها وبين عقيدة المبتدعة؛ وذلك أن إنكار «الأَيْنِ» من عقائد أهل الباطل، وأهل السنة يثبتونه اتِّبَاعًا لرسول الله ﷺ كما في الصحيح أنه قال للجارية: «**أين الله؟**»[٢] فزعم هذا الرجل أن إثباتها مذهب المبتدعة، وأن إنكارها مذهب أهل السنة، كما قيل، وعكسه بعكسه. وأما الجسم فتقدم الكلام أن أهل الحق لا يثبتونه ولا ينفونه، فغلط عليهم في إثباته. وأما التعطيل والكيف فصدَقَ في ذلك، فجمع لكم أربعة ألفاظ، نصفها حقٌّ من عقيدة الحق، ونصفها باطل من عقيدة الباطل، وساقها مساقًا واحدًا، وزعم أنه مذهب أهل السنة! فجهل وتناقض.

وقوله أيضًا: ويُثْبِتُون ما أثبته الرسول ﷺ من السمع والبصر والحياة والقدرة والإرادة والعلم والكلام... إلى آخره، وهذا أيضًا من أعجب جهله؛ وذلك أن هذا مذهب طائفة من المبتدعة، يُثْبِتُون الصفات السبع ويَنْفُون ما عداها، ولو

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي (٨٥) ودرء تعارض النقل والعقل (٨/ ٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٧).

كان في كتاب الله، ويُؤَوِّلُونه. وأما أهل السنة فكل ما جاء عن الله ورسوله أثبتوه، وذلك صفات كثيرة، لكن أظنه نقل هذا من كلام المبتدعة، وهو لا يميز بين كلام أهل الحق من كلام أهل الباطل.

إذا تقرر هذا فقد ثبت خطؤه من وجوه:

**الأول**: أنه لم يفهم الرسالة التي بُعثت إليه.

**الثاني**: أنه بَهَت أهلَها بإثبات الجسم وغيره.

**الثالث**: أنه نسبهم إلى الرافضة، ومعلوم أن الرافضة من أبعد الناس عن هذا المذهب وأهله.

**الرابع**: أنه نسب مَن أنكر هذه الألفاظ إلى الرفض والتجسيم، وقد تبين أن الإمام أحمد وجميع السلف ينكرونه، فلازم كلامه أن مذهب الإمام أحمد وجميع السلف مجسِّمة على مذهب الرفض.

**الخامس**: أنه نسب كلامهما إلى الفرية الجسمية، فجعل عقيدة إمامه وأهل السنة فرية جسمية.

**السادس**: أنه زعم أن البدع اشتعلت في عصر الإمام أحمد ثم ماتت، حتى أحياها أهل الوشم، فمفهوم كلامه، بل صريحه، أن عصر الإمام أحمد وأمثاله عصر البدع والضلال، وعصر ابن إسماعيل عصر السنة والحق.

**السابع**: أنه نسبهما إلى التعطيل، والتعطيل إنما هو جحد الصفات.

**الثامن**: بَهَتَهُمَا أنهما نَسَبَا مَن قبلَهما من العلماء إلى التعطيل، لكونهما أنكَرَا على خطيب من المبتدعة، وهذا من البهتان الظاهر.

**التاسع**: أنه نسبهما إلى وراثة هشام الرافضي.

**العاشر**: أن المسلم أخو المسلم، فإذا أخطأ أخوه نصحه سرًّا وبيّن له الصواب، فإذا عاند أمكنه المجاهرة بالعداوة، وهذا لما راسلاه صنف عليهما ما علمت، وأرسله إلى البلدان: اعرفوني اعرفوني، تراي جاي من الشام!

وأما التناقض وكون كلامه يُكذب بعضه بعضًا فمن وجوه:

**منها**: أنه نسبهما تارة إلى التجسيم، وتارة إلى التعطيل، ومعلوم أن التعطيل ضد التجسيم، وأهل هذا أعداء لأهل هذا، والحق وسط بينهما.

**ومنها**: أنه نسبهما إلى الجهمية وإلى المجسمة، والجهمية والمجسمة بينهما من التناقض والتباعد كما بين السواد والبياض، وأهل السنة وسط بينهما.

**ومنها**: أنه يقول: مذهب أهل الحق إثبات الصفات. ثم يقول: ولا أين، ولا، ولا. وهذا تناقض.

**ومنها**: أنه يقول: ما أثبته الله ورسوله أثبتُّ. ثم يخص ذلك بالصفات السبع، فهذا عين التناقض، فعقيدته التي نَسَبَ لأَهْلِ السنة جمعها من نحو أربع فرق من المبتدعة، يناقض بعضهم بعضًا، ويسب بعضهم بعضًا، ولو فهمت حقيقة هذه العقيدة لجعلتها ضحكة.

**ومنها**: أنه يذكر عن أحمد أن الكلام في هذه الأشياء مذموم، إلا ما نقل عن رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعيهم، ثم ينقل لكم إثبات كلام المبتدعة ونفيهم، ويتكلم بهذه العقيدة المعكوسة، ويزعم أنها عقيدة أهل الحق.

هذا ما تيسر كتابته عَجِلًا على السراج في الليل، والمأمول فيك أنك تنظر فيها بعين البصيرة، وتتأمل هذا الأمر، واعْرِضْ هذا عليه، واطلُبْ منه الجواب عن كل كلمة من هذا، فإن أجابك بشيء فاكتبه، وإن عَرَفْتَهُ باطلًا، وإلا فراجعني فيه أبيِّنْهُ لك. ولا تستحقر هذا الأمر، فإن حَرَصْتَ عليه جدًّا عَرَّفَك

عقيدة الإمام أحمد وأهل السنة وعقيدة المبتدعة، وصارت هذه الوقعة أنفع لك من القراءة في علم العقائد شهرين أو ثلاثة بسبب الخطأ والاختلاف، مما يوضح الحق ويبين لخبائه.

**وأما النوع الثاني**: فهو الكلام في الشرك والتوحيد، وهو المصيبة العظمى، والداهية الصماء، والكلام على هذا النوع والرَّدُّ على هذا الجاهل يحتمل مجلدًا، وكلامه فيه كما قال ابن القيم: إذا قرأه المؤمن تارة يبكي وتارة يضحك. ولكن أنبهك منه على كلمتين:

**الأولى**: قوله إنهما نَسَبَا مَن قَبْلَهما إلى الخروج من الإسلام والشرك الأكبر، أفيظن أن قوم موسى لما قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ خرجوا من الإسلام؟ أفيظن أن أصحاب رسول الله ﷺ لما قالوا: «اجعل لنا ذات أنواط» فحلف لهم أن هذا مثل قول موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ أنهم خرجوا من الإسلام؟ أيظن أن النبي ﷺ لما سمعهم يحلفون بآبائهم فنهاهم وقال: «**مَن حلف بغير الله فقد أشرك**»[1] أنهم خرجوا من الإسلام! إلى غير ذلك من الأدلة التي لا تُحْصَرْ، فلم يفرِّق بين الشرك المُخْرِج عن الملة من غيره، ولم يفرق بين الجاهل والمعاند.

**والكلمة الثانية** قوله إن المشرك لا يقول «لا إله إلا الله» فيا عجبًا من رجل يدعي العلم، وجاي من الشام بِحِمْلِ كتب، فلما تكلم إذا أنه لا يعرف الإسلام من الكفر، ولا يعرف الفرق بين أبي بكر الصديق ومسيلمة الكذاب! أما علم أن مسيلمة يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويصلي ويصوم! أما علم أن غُلَاة الرافضة الذين حرَّقهم عليٌّ يقولونها! وكذلك الذين يقذفون عائشة

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٢٠٤).

ويكذِّبون القرآن! وكذلك الذين يزعمون أن جبريل غلط! وغير هؤلاء ممن أجمع أهل العلم على كفرهم، منهم مَن ينتسب إلى الإسلام، ومنهم مَن لا ينتسب إليه، كاليهود، وكلهم يقولون: «لا إله إلا الله» وهذا بيّن عند مَن له أقل معرفة بالإسلام مِن أن يُحْتَاج إلى تبيان.

وإذا كان المشركون لا يقولونها فما معنى باب «حكم المرتد» الذي ذكروا الفقهاء من كل مذهب! هل الذين ذكروهم الفقهاء وجعلوهم مرتدِّين لا يقولونها؟ هذا الذي ذكر أهل العلم أنهم أكفر من اليهود والنصارى، وقال بعضهم: مَن شك في كفر أتباعه فهو كافر. وذكرهم في «الإقناع» في باب حكم المرتد، وإمامهم ابن عربي، أيظنهم لا يقولون «لا إله إلا الله»؟ لكن هو آتٍ من الشام، وهم يعبدون ابن عربي جاعِلِين على قبره صنمًا يَعْبُدُونه! ولست أعني أهلَ الشام كلَّهم، حاشا وكَلَّا، بل لا تزال طائفة على الحق وإن قَلَّت واغتَرَبَت!

لكن العجب العجاب استدلاله أن رسول الله ﷺ دعا الناس إلى قول «لا إله إلا الله» ولم يطالبهم بمعناها، وكذلك أصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الأعاجم وقَنِعُوا منها بلفظها... إلى آخر كلامه، فهل يقول هذا الكلام مَن يتصور ما يقول؟ فنقول:

أولًا: هو الذي نقض كلامه وكذبه بقوله: دعاهم إلى ترك عبادة الأوثان. فإذا كان لم يقنع منهم إلا بترك عبادة الأوثان، تبين أن النطق بها لا ينفع إلا بالعمل بمقتضاها، وهو ترك الشرك، هذا هو المطلوب، ونحن إذا نَهَينا عن الأوثان المجعولة على قبر الزبير وطلحة وغيرهما، في الشام أو في غيره.

فإن قلتم: ليس هذا من الأوثان، وإن دعاء أهل القبور والاستغاثة بهم في الشدائد ليست من الشرك، مع كون المشركين الذين في عهد رسول الله ﷺ يخلصون لله في الشدائد ولا يدعون أوثانهم. فهذا كفر، وبيننا وبينكم كلام

العلماء، من الأولين والآخرين، الحنابلة وغيرهم.

وإن أقررتم أن ذلك كفر وشرك، وتبيّن أن قول «لا إله إلا الله» لا ينفع إلا مع ترك الشرك، وهذا هو المطلوب، وهو الذي نقول، وهو الذي أكثرتم النكير فيه، وزعمتم أنه لا يَخْرُج إلا من خراسان، وهذا القول كما في أمثال العامة «لا وجه سميح ولا بنت رجال» لا أقول صوابًا، إلا خطأ ظاهرًا وسبًّا لدين الله، ولا هو أيضًا قول باطل يصدق بعضه بعضًا، بل مع كونه خطأ فهو متناقض يكذب بعضه بعضًا، لا يصدر إلا ممن هو أجهل الناس.

وأما دعواه أن الصحابة لم يطلبوا من الأعاجم إلا مجرد هذه الكلمة، ولم يعرِّفُوهم بمعناها، فهذا قول مَن لا يفرق بين دين المرسلين ودين المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار، فإن المؤمنين يقولونها، والمنافقين يقولونها، لكن المؤمنين يقولونها مع معرفة قلوبهم بمعناها، وعمل جوارحهم بمقتضاها، والمنافقون يقولونها من غير فهم لمعناها، ولا عمل بمقتضاها، فمن أعظم المصائب وأكبر الجهل مَن لا يعرف الفرق بين الصحابة والمنافقين! لكن هذا لا يعرف النفاق، ولا يظنه في أهل زماننا، بل يظنه في زمان رسول الله ﷺ وأصحابه، وأما زمانه فصَلَحَ بعد ذلك! وإذا كان زمانه وبلدانه يُنَزَّهُون عن البدع، ومخرجها من خراسان، فكيف بالشرك والنفاق!

ويا ويح هذا القائل! ما أجرأه على الله! وما أجهله بقدر الصحابة وعلمهم حيث ظن أنهم لا يعلِّمُون الناس «لا إله إلا الله»! أما علم هذا الجاهل أنهم يستدلون بها على مسائل الفقه فضلًا عن مسائل الشرك، ففي الصحيحين أن عمر رضي الله عنه، لما أشكل عليه قتال مانعي الزكاة، لأجل قوله ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا**

**بحقها**» قال أبو بكر: فإن الزكاة من حقها[١]. فإذا كان مَنْعُ الزكاة مِن مَنْعِ حَقّ «لا إله إلا الله» فكيف بعبادة القبور، والذبح للجن، ودعاء الأولياء وغيرهم مما هو دين المشركين!

وصرح الشيخ تقي الدين في «اقتضاء الصراط المستقيم»[٢] بأن مَن ذبح للجن فالذبيحة حرام من جهتين: من جهة أنها مما أُهِلَّ به لغير الله، ومن جهة أنها ذبيحة مرتدّ، فهي كخنزير مات من غير ذكاة، ويقول: ولو سمَّى اللهَ عند ذبحها، إذا كانت نيتُهُ ذَبْحَهَا للجن. ورد على مَن قال إنه إن ذكَر اسم الله حَلَّ الأكل منها مع التحريم.

وأما ما سألتَ عنه من قوله: اللهم صل على محمد... إلى آخره، فهذه المحامل التي ذكَر غير بعيدة، لو كان الإنكار على الرجل الميت الذي صنفها، والإنكار إنما هو على الخطباء والعامة الذين يسمعون، فإن كان يزعم أن عامة أهل هذه القرى كل رجل منهم يفهم هذا التأويل، فهذا مكابرة، وإن كان يعرف أنهم ما قصدوا إلا المعاني التي لا تصلح إلا لله، لم يُمْنَعْ من الإنكار عليهم، وتبين أنه شركٌ كون الذي قالها أولًا قصد معنًى صحيحًا.

كما لو أن رجلًا من أهل العلم كتب إلى عامَّةٍ أن نكاح الأخوات حلال، ففهموا منه ظاهره، وجعلوا يتزوجون أَخَوَاتِهِم، خاصَّتُهُم وعامَّتُهُم، لم يُمْنَعْ من الإنكار عليهم، وتبين أن الله حرم نكاح الأخوات، كون القائل أراد الأَخَوات في الدين، كما قال إبراهيم ﷺ لسارة: «هي أختي»[٣] وهذا واضح بحمد الله، ولكن مَن انفتح له تحريف الكلم عن مواضعه انفتح له باب طويل عريض.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٣) ومسلم (٢٠).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٥٨).
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥٨) ومسلم (٢٣٧١).

**وأما النوع الثالث**: وهو الكلام على التقليد والاستدلال، فكلامه فيه من أبطل الباطل، وأظهر الكذب، وهو أيضًا كلام جاهل ينقض بعضه بعضًا، ونحن ما أردنا المعنى الذي ذكروا، الكلامُ على هذا طويل، ولكن أنا كتبت له كلامًا في هذا مع رسالة طويلة، فاطلبه وراجعه وتأمله، وتكلم لله في سبيل الله، بما يرضي الله ورسوله، واحذر من فتنة ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ فمن نجا منها فقد نجا من شرك كثير. ولا تغفل عن قوله في خطبة «شرح الإقناع»: من عثر على شيء مما طغى به القلم... إلى آخره، وقوله في آخرها: اعلم، رحمك الله، أن الترجيح إذا اختلفت بين الأصحاب... إلى آخره.

وإن طَمِعْتَ بالزيارة والمذاكرة من الرأس، لعلك أيضًا تحقق علم العقائد، وتميز بين حقه من باطله، وتعرف أيضًا علوم الإيمان بالله وحده والكفر بالطاغوت، فتراني أُشِير وأُلْزِم، فإن رأيت أمر الله ورسوله فهو المطلوب، وإلا فقد وهبك الله من الفهم ما تميز به بين الحق والباطل، إن شاء الله تعالى.

وهذا الكتاب لا تكتمه عن صاحب الكتاب، بل اعرضه عليه، فإن تاب وأقر ورجع إلى الله فعسى، وإن زعم أن له حجةً، ولو في كلمة واحدة، أو أن في كلامي مجازفةً، فاطلب الدليل، فإن أشكل شيء عليك فراجعني فيه حتى تعرف كلامي وكلامه، نسأل الله أن يهدينا وإياك والمسلمين إلى ما يحبه ويرضاه، وأنت لا تَلُمْنِي على هذا الكلام؛ تَرَانِي استدعيتُهُ أولًا بالملاطفة، وصبرتُ منه على أشياء عظيمة، والآن أشرَفْتُ منه على أمور ما ظَنَنْتُهَا لا في عقله ولا في دينه: منها: أنه كاتب إلى أهل الحسا يعاونهم على سب دين الله ورسوله.

**ومنها: رسالة كتبها إلى محمد بن عباد[1]، مطوع ثرمدا، وكان قد أرسل إليه**

---

(١) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٥/ ٥١٦ - ٥١٨)، وهو صاحب «تاريخ ابن عباد».

**كتابًا فيه كلام حسن، في تقرير التوحيد وغيره، وطلب من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، أن يبين له إن كان فيه شيء يخفاه، فكتب له رَحِمَهُ اللَّهُ:**

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخ محمد بن عباد، وفقه الله لما يحبه ويرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

وصلنا أوراق في التوحيد، فيها كلام من أحسن الكلام، وفقك الله للصواب، وتذكُرُ فيه أن وُدَّكَ نبين لك إن كان فيها شيء غاترك[1]، فاعلم، أرشدك الله، أن فيها مسائل غلطًا:

**الأولى**: قولك: أول واجب على كل ذكر وأنثى النظر في الوجود، ثم معرفة العقيدة، ثم علم التوحيد.

وهذا خطأ، وهو من علم الكلام الذي أجمع السلف على ذمه، وإنما الذي أتت به الرسل أول واجب هو التوحيد، ليس النظر في الوجود، ولا معرفة العقيدة كما ذَكَرْتَهُ أنت في الأوراق، أن كل نبي يقول لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

**الثانية**: قولك في الإيمان بالله وملائكته... إلى آخره: والإيمان هو التصديق الجازم بما أتى به الرسول.

فليس كذلك، وأبو طالب عمه جازم بصدقه، والذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والذين يقولون: الإيمان هو التصديق الجازم. هم الجهمية، وقد اشتد نكير السلف عليهم في هذه المسألة.

**الثالثة**: قولك: إذا قيل للعامي ونحوه: ما الدليل على أن الله ربك؟ ثم

(١) أي: يجهلك.

ذَكَرْتَ ما الدليل على اختصاص العبادة لله، وذكرت الدليل على توحيد الألوهية.

فاعلم أن الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان، كما في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ وكما يقال: رب العالمين وإله المرسلين. وعند الإفراد يجتمعان، كما في قول القائل: من ربك؟ مثاله: الفقير والمسكين نوعان في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ ونوع واحد في قوله: «افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم»[1] إذا ثبت هذا فقول المَلَكَيْنِ للرجل في القبر: «مَن ربك؟»[2] معناه: مَن إلهك؟ لأن الربوبية التي أقر بها المشركون ما يُمْتَحَنُ أحدٌ بها، وكذلك قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ فالربوبية في هذا هي الألوهية، ليست قسيمة لها، كما تكون قسيمة لها عند الاقتران، فينبغي التفطن لهذه المسألة.

**الرابعة**: قولك في الدليل على إثبات نبوة محمد ﷺ: ودليله الكتاب والسنة. ثم ذكر الآيات.

كلام مَن لم يفهم المسألة، لأن المُنْكِرَ للنبوة أو الشاكَّ فيها إذا استدلَلْتَ عليه بالكتاب والسنة يقول: كيف تستدل عليَّ بشيء ما أتى به إلا هو! والصواب في المسألة أن تستدل عليه بالتحدي بأقصر سورة من القرآن، أو شهادة علماء أهل الكتاب، كما في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أو لكونهم يعرفونه قبل أن يخرج، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧١).

كَفَرُوا۟﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات التي تفيد الحصر وتقطع الخصم.

**الخامسة**: قولك: اعلم يا أخي، لا عَلِمْتَ مكروهًا.

فاعلم أن هذه كلمة تضاد التوحيد؛ وذلك أن التوحيد لا يعرفه إلا مَن عرف الجاهلية، والجاهلية هي المكروه، فمن لم يعلم المكروه لم يعلم الحق، فمعنى هذه الكلمة: اعلم، لا علمت خيرًا. ومَن لم يعلم المكروه ليجتنبه لم يعلم المحبوب، وبالجملة فهي كلمة عامية جاهلية، ولا ينبغي لأهل العلم أن يقتدوا بالجهال.

**السادسة**: جزمك بأن النبي ﷺ قال: «**اطلبوا العلم ولو من الصين**»[(١)].

فلا ينبغي أن يجزم الإنسان على رسول الله ﷺ بما لا يعلم صحته، وهو من القول بلا علم، فلو أنك قلت: ورُوي، أو ذَكَر فلان، أو ذُكِرَ في الكتاب الفلاني. لكان هذا مناسبًا، وأما الجزم بالأحاديث التي لم تصح فلا يجوز، فتفطن لهذه المسألة، فما أكثر مَن يقع فيها.

**السابعة**: قولك في سؤال الملكين: والكعبة قبلتي، وكذا وكذا.

فالذي علمناه عن رسول الله ﷺ أنهما يَسْأَلَان عن ثلاث: عن التوحيد، وعن الدين، وعن محمد ﷺ فإن كان في هذا عندكم رابعة فأفيدونا، ولا يجوز الزيادة على ما قال الله ورسوله.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٥٣) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم**» قال البيهقي: هذا الحديث شبه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روي من أوجه كلها ضعيفة. وقال الشيخ الألباني: موضوع (ضعيف الجامع ٩٠٦) والشطر الثاني ثابت (صحيح الجامع ٣٩١٣).

**الثامنة**: قولك في الإيمان بالقدر: إنه الإيمان بأن لا يكون صغير ولا كبير إلا بمشيئة الله وإرادته، وأن يفعل المأمورات، ويترك المنهيات.

وهذا غلط؛ لأن الله سبحانه له الخلق والأمر، والمشيئة والإرادة، وله الشرع والدين، إذا ثبت هذا ففعل المأمورات وترك المنهيات هو الإيمان بالأمر، وهو الإيمان بالشرع والدين، ولا يُذكر في حَدِّ الإيمان بالقدر.

**التاسعة**: قولك: الآيات التي في الاحتجاج بالقدر، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ الآية. ثم قلت: فإياك والاقتداءَ بالمشركين في الاحتجاج على الله، وحسبك من القدر الإيمانُ به.

فالذي ذكرنا في تفسير هذه الآيات غير المعنى الذي أردتَ، فراجعه وتأمله بقلبك، فإن اتضح لك، وإلا فراجعني فيه؛ لأنه كلام طويل.

**العاشرة**: وأخَّرناها لشدة الحاجة إليها: قولك: إن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ قد أقروا بتوحيد الربوبية. ثم أوردت الأدلة الواضحة على ذلك، وإنما قاتلهم رسول الله ﷺ عن توحيد الألوهية، ولم يدخل الرجل في الإسلام بتوحيد الربوبية إلا إذا انضم إليه توحيد الألوهية.

فهذا كلام من أحسن الكلام وأَبْيَنِهِ تفصيلًا، ولكن العامَ لما وجهنا إبراهيم، كتبوا له علماءُ سدير مكاتبة وبعثها لنا، وهي عندنا الآن، ولم يذكروا فيها إلا توحيد الربوبية، فإذا كنت تعرف هذا فلأي شيء ما أخبَرْتَ إبراهيم ونَصَحْتَه أن هؤلاء ما عرفوا التوحيد، وأنهم مُنْكِرُون دين الإسلام! وكذلك أحمد بن يحيى راعي رغبة عداوته لتوحيد الألوهية والاستهزاء بأهل العارض لما عرفوه، وإن كان يقر به أحيانًا، عداوة ظاهرة لا يمكن أنها لا تبلغك، وكذلك ابن إسماعيل أنه نقض ما أبرمت في التوحيد، وتعرف أن عنده الكتاب الذي صنفه رجل من

أهل البصرة[١]، كله من أوله إلى آخره في إنكار توحيد الألوهية، وأتاكم به ولد محمد بن سليمان، راعي وثيثيه، وقرأه عندكم وجادل به جماعتنا، وهذا الكتاب مشهور عند المويس وأتباعه، مثل ابن سحيم وابن عبيد، يحتجون به علينا، ويدعون الناس إليه، ويقولون: هذا كلام العلماء. فإذا كنت تعرف أن النبي ﷺ ما قاتل الناس إلا عند توحيد الألوهية، وتعلم أن هؤلاء قاموا وقعدوا، ودخلوا وخرجوا، وجاهدوا ليلًا ونهارًا في صد الناس عن التوحيد، يقرؤون عليهم مصنفات أهل الشرك، لأي شيء لم تظهر عداوتهم وأنهم كفار مرتدون؟

فإن كان بائن لك أن أحدًا من العلماء لا يُكفر من أنكر التوحيد، أو أنه يشك في كفره، فاذكره لنا وأفدنا، وإن كنت تزعم أن هؤلاء فرحوا بهذا الدين، وأحَبُّوه ودَعَوا الناسَ إليه، ولما أتاهم تصنيف أهل البصرة في إنكار التوحيد كفّروه وكفّرُوا من عمل به، وكذلك لما أتاهم كتاب ابن عفالق[٢] الذي أرسله المويس لابن إسماعيل، وقدم به عليكم العام، وقرأه على جماعتكم، يزعم فيه أن التوحيد دين ابن تيمية، وأنه لما أفتى به كفَّره العلماء، وقامت عليه القيامة. إن كنت تقول: ما جرى من هذا شيء. فهذا مكابرة، وإن كنت تعرف أن هذا هو الكفر الصُّرَاح والردة الواضحة، ولكن تقول: أخشى الناس. فالله أحق أن تخشاه.

ولا تظن أن كلامي هذا معاتبة وكلام عليك، فوالله الذي لا إله إلا هو إنه

---

(١) هو: أحمد بن علي البصري، الشهير بالقباني، (كان حيًا سنة ١١٥٧هـ)، ألف كتابًا عنوانه «فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبدالوهاب». انظر: «دعاوى المناوئين» (ص ٤٤).

(٢) عنوان كتابه في الرد على الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «تهكم المقلدين في مدعي تجديد الدين». انظر: «دعاوى المناوئين» (ص ٤٢).

نصيحة؛ لأن كثيرًا ممن واجهناه وقرأ علينا يتعلم هذا ويعرفه بلسانه، فإذا وقعت المسألة لم يعرفها، بل إذا قالوا له بعض المشركين: نحن نعرف أن رسول الله لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، وأن النافع الضار هو الله. يقول: جزاك الله خيرًا! ويظن أن هذا هو التوحيد! ونحن نُعلمه أكثر من سنة أن هذا هو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون، فاللهَ اللهَ في التفطن لهذه المسألة، فإنها الفارقة بين الكفر والإسلام، ولو أن رجلًا قال: شروط الصلاة تسعة. ثم سردها كلها، فإذا رأى رجلًا يصلي عريانًا بلا حاجة، أو على غير وضوء، أو لغير القبلة، لم يَدْرِ أن صلاته فاسدة، لم يكن قد عرف الشروط، ولو سردها بلسانه. ولو قال: الأركان أربعة عشر. ثم سردها كلها، ثم رأى من لا يقرأ الفاتحة، ومن لا يركع، ومن لا يجلس للتشهد، ولم يفطن أن صلاته باطلة، لم يكن قد عرف الأركان، ولو سردها. فاللهَ اللهَ في التفطن لهذه المسألة، ولكن أشير عليك بعزيمة؛ أنك تاصلنا ونتذاكر معك، وكذلك أيضًا من جهة البدع، قيل لي إنك تقول فيها شيئًا ما يقوله الذي عارف مسألة البدع. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

**ومنها: رسالة أرسلها إلى محمد بن عيد[1]، من مطاوعة ثرمدا، قال فيها:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

من محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن عيد: وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه، وبعد.

وصل الكراس، وتذكرون أن الحق إن بان لكم اتبعتم، وفيه كلام غير هذا سَرَّ الخاطرَ، مِن طرفك خاصة، بسبب أن لك عقلًا، والثانية أن لك عِرْضًا تَشِحُّ به، والثالثة أن الظن فيك إن بان لك الحق أنك ما تبيعه بالزهايد.

---

(١) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٦/ ٢٧٤) وسماه «ابن عبيد»، وهو وهم.

فأما تقريركم أول الكلام أن الإسلام خمس كأعضاء الوضوء، وأنكم تعرفون كلام الله وكلام رسوله، وإجماع العلماء أن له نواقض كنواقض الوضوء الثمانية:

منها: اعتقاد القلب، وإن لم يعمل أو يتكلم، يعني إذا اعتقد خلاف ما علّمه الرسول أُمَّتَه بعدما تبين له.

ومنها: كلام باللسان، وإن لم يعمل ولم يعتقد.

ومنها: عمل بالجوارح، وإن لم يعتقد ويتكلم، ولكن مَن أظهَرَ الإسلام، وظننا أنه أتى بناقض، لا نكفِّره بالظن؛ لأن اليقين لا يرفعه الظن، وكذلك لا نكفِّر من لا نعرف منه الكفر بسبب ناقض ذُكِرَ عنه ونحن لم نتحققه.

وما قررتم هو الصواب الذي يجب على كل مسلم اعتقاده والتزامه، ولكن قبل الكلام اعلم أني عُرِفْتُ بأربع مسائل:

**الأولى:** بيان التوحيد، مع أنه لم يطرق آذان أكثر الناس.

**الثانية:** بيان الشرك، ولو كان في كلام من ينتسب إلى العلم أو عبادةٍ، من دعوة غير الله أو قصده بشيء من العبادة، ولو زعم أنهم يريدون أنهم شفعاء عند الله، مع أن أكثر الناس يظن أن هذا من أفضل القربات، كما ذكرتم عن العلماء أنهم يذكرون أنه قد وقع في زمانهم.

**الثالثة:** تكفير من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله، ثم أبغضه ونفَّر الناس عنه وجاهد مَن صدَّق الرسولَ فيه، ومَن عرَف الشرك، وأن رسول الله ﷺ بُعِثَ بإنكاره، وأقرَّ بذلك ليلًا ونهارًا، ثم مدحه وحسَّنه للناس، وزعم أن أهله لا يخطئون لأنهم السواد الأعظم. وأما ما ذَكَر الأعداء عني أني أكفّر بالظن والموالاة، أو أكفّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم يريدون

به تنفير الناس عن دين الله ورسوله.

**الرابعة**: الأمر بقتال هؤلاء خاصة ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

فلما اشتُهِرَ عني هؤلاء الأربع صدَّقني مَن يَدَّعِي أنه من العلماء، في جميع البلدان، في التوحيد وفي نفي الشرك، وردُّوا عليَّ التكفيرَ والقتالَ.

إذا تحققتَ ما ذكرتُ لك انبنى الجواب على ما ذكرتم في أول الأوراق، من إقراركم بمعرفة نواقض الإسلام بإجماع العلماء، بشرط أنكم لا تكفِّرون بالظن، ولا من لا تعرفون، فنقول:

من المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادي أو أكثرهم، فإن كابَرَ معاند لم يقدر على أن يقول إن عِنزَة وآل ظفير وأمثالهم كلهم، مشاهيرهم والأتباع، أنهم مُقِرُّون بالبعث ولا يَشُكُّون فيه، ولا يقدر أن يقول إنهم يقولون إن كتاب الله عند الحضر، وإنهم عايفينه ومتبعون ما أحدث آباؤهم مما يسمونه الحق، ويفضلونه على شريعة الله، فإن كان للوضوء ثمانية نواقض، ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض، فلما بينتُ ما صرَّحَت به آيات التنزيل، وعلَّمه الرسولُ أمتَه، وأجمع عليه العلماء: من أنكَرَ البعث، أو شك فيه، أو سَبَّ الشرع، أو سَبَّ الأذان إذا سمعه، أو فضَّل فراضة الطاغوت على حكم الله، أو سَبَّ من زعم أن المرأة تَرِث، أو أن الإنسان لا يؤخذ في القتل بجريرة أبيه وابنه - أنه كافر مرتد.

قال علماؤكم: معلوم أن هذا حال البوادي لا ننكره، ولكن يقولون «لا إله إلا الله» وهي تحميهم من الكفر، ولو فعلوا كل ذلك! ومعلوم أن هؤلاء أولى وأظهر مَن يدخل في تقريركم، فلما أظهرتُ تصديق الرسول فيما جاء به سبُّوني

غاية المسبة، وزعموا أني أكفِّر أهل الإسلام وأستحلُّ أموالهم، وصرحوا أنه لا يوجد في جزيرتنا رجل واحد كافر، وأن البوادي يفعلون من النواقض مع علمهم أن دين الرسول عند الحضر، وجحدوا كفرهم.

وأنتم تذكرون أن من رد شيئًا مما جاء به الرسول، بعد معرفته، أنه كافر، فإذا كان المويس وابن إسماعيل والعديلي وابن عباد وجميع أتباعهم كلهم على هذا، فقد صرحتم غاية التصريح أنهم كفار مرتدون، وإن ادعى مدعٍ أنهم يكفِّرُونهم، أو ادعى أن جميع البادية لم نتحقق من أحد منهم من النواقض شيئًا، أو ادعى أنهم لا يعرفون أن دين الرسول خلاف ما هم عليه، فهذا كمن ادعى أن ابن سليمان وسويِّد وابن دواس وأمثالهم، عبادٌ زهادٌ فقراء، ما شاخوا في بلد قط، ومن ادعى هذا فأسقطْ الكلام معه.

ونقول ثانيًا: إذا كانوا أكثر من عشرين سنة يقرأون ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، أن التوحيد الذي أظهر هذا الرجلُ هو دين الله ورسوله، لكن الناس لا يطيعوننا، وأن الذي أنكره هو الشرك، وهو صادق في إنكاره، ولكن لو يسلم من التكفير والقتال كان على الحق، هذا كلامهم على رؤوس الأشهاد، ثم مع هذا يُعَادُون التوحيد ومن مال إليه العداوة التي تَعْرِف، ولو لم يُكفر ويُقاتل، وينصرون الشرك نصر الذي تَعْرِف، مع إقرارهم بأنه مشرك، مثل كون المويس وخواص أصحابه ركبوا وتركوا أهليهم وأموالهم إلى أهل قبة الكواز وقبة رجب، سنة يقولون إنه قد خرج من ينكر قُبَبَكُم وما أنتم عليه، وقد أحل دماءهم وأموالهم. وكذلك ابن إسماعيل وابن ربيعة والمويس أيضًا بعدهم بسنة رحلوا إلى أهل قبة أبي طالب، وأغرَوْهُم بمن صدَّق النبيَّ ﷺ وأحلوا دماءنا وأموالنا، حتى جرى على الناس ما تعرف، مع أن كثيرًا منهم لم يُكفر ولم يُقاتل.

وقررتم أن من خالف الرسول في عُشْرِ مِعْشَار هذا، ولو بكلمة، أو عقيدة

قلب أو فعل، فهو كافر، فكيف بمن جاهد بنفسه وماله وأهله ومن أطاعه في عداوة التوحيد وتقرير الشرك، مع إقراره بمعرفة ما جاء به الرسول؟ فإن لم تكفِّروا هؤلاء ومن اتبعهم، ممن عرف أن التوحيد حق وأن ضده الشرك، فأنتم كمن أفتى بانتقاض وضوء من بزغ منه مثل رأس الإبرة من البول، وزعم أن من يتغوط ليلًا ونهارًا وأفتى للناس أن ذلك لا ينقض، وتبعوه على ذلك حتى يموت، أنه لا ينقض وضوؤه.

وتذكرون أني أكفِّرُهم بالموالاة، وحاشا وكلا، ولكن أقطع أن كُفْرَ مَن عَبَدَ قبة أبي طالب لا يبلغ عُشْرَ كُفْرِ المويس وأمثاله، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ الآيتين، وأنا أمثل لك مثالًا، لعل الله أن ينفعك به، لعلمي أن الفتنة كبيرة، وأنهم يحتجون بما تعرفون، منها ما ذكروا في الأوراق أنهم لم يقصدوا بحربكم رد التوحيد وإحياء الشرك، وإنما قصدوا دفع الشر عن أنفسهم خوف البغي عليهم، فنقول:

لو نقدِّر أن السلطان ظلَم أهل المغرب ظلمًا عظيمًا في أموالهم وبلادهم، ومع هذا خافوا استيلاءهم على بلادهم ظلمًا وعدوانًا، ورأوا أنهم لا يدفعونهم إلا باستنجاد الفرنج، وعلموا أن الفرنج لا يوافقونهم إلا أن يقولوا: نحن معكم على دينكم ودنياكم، ودينكم هو الحق، ودين السلطان هو الباطل. وتظاهروا بذلك ليلًا ونهارًا، مع أنهم لم يدخلوا في دين الفرنج، ولم يتركوا الإسلام بالفعل، لكن لما تظاهروا بما ذكرنا، ومرادهم دفع الظلم عنهم، هل يشك أحد أنهم مرتدون في أكبر ما يكون من الكفر والردة، إذا صرحوا أن دين السلطان هو الباطل، مع علمهم أنه حق، وصرحوا أن دين الفرنج هو الصواب، وأنه لا يُتَصَوَّر أنهم لا يَتِيهُون؛ لأنهم أكثر من المسلمين، ولأن الله أعطاهم من الدنيا شيئًا كثيرًا، ولأنهم أهل الزهد والرهبانية؟

فتأمل هذا تأملًا جيدًا، وتأمل ما صدَّرتم به الأوراق؛ من موافقتهم به الإسلام، ومعرفتكم بالناقض إذا تحققتموه، وأنه يكون بكلمة ولو لم تُعْتَقَد، ويكون بفعل ولو لم يُتَكَلَّم، ويكون في القلب من الحب والبغض ولو لم يَتَكَلَّم ولم يَعْمَل، تبين لك الأمر، اللهم إلا إن كنتم ذاكرين في أول الأوراق وأنتم تعتقدون خلافه، فذاك أمر آخر.

وأما ما ذكرتم من كلام العلماء فعلى الرأس والعين، ولكن عنه جوابان:

**أحدهما**: أنكم لو لم تنقلوا كلام ابن عقيل في «الفنون» وكلام الشيخ في «اقتضاء الصراط المستقيم» وكلام ابن القيم لقلت: لعلهم مخطئون، قائلون بمبلغ علمهم. هذا كله عندنا في هذه الكتب كما هو عندكم، وابن عقيل ذكر أنهم كفار بهذا الفعل - أعني دعوة صاحب التربة ودس الرقاع - وأنتم تعلمون ذلك.

وأصرح منه كلام الشيخ في قوله: ومن ذلك ما يفعله الجاهلون بمكة. يا سبحان الله، كيف تركتم صريحه في العبادة بعينها أن هذا مَن فعله كان مرتدًّا، وأن المسلم إذا ذبح للزهرة والجن ولغير الله فهو مما أُهِلَّ لغير الله به، وهي أيضًا ذبيحة مرتد، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، فصرّح أن هذا الرجل إذا ذبح للجن مرة واحدة صار كافرًا مرتدًّا، وجميع ما يذبحه للأكل بعد ذلك لا يحل؛ لأنه ذبيحة مرتد، وصرّح في مواضع من الكتاب كثيرة بكفر من فعل شيئًا من الذبح والدعوة، حتى ذكر ثابت بن قرة وأبا معشر البلخي، وذكر أنهم كفار مرتدون وأمثالهم، مع كونهم من أهل التصانيف، وأصرح من الجميع كلامُ ابن القيم في كثير من كتبه، فلما نقلتم بعض العبارة وتركتم بعضها! علمتُ أنه ليس بجهالة، ولكن الشرهة عليك لو أنك فاعل كما فعل بعض أهل الحساء، لما صنف بعضهم كتابًا في الرد علينا، يريد أن يبعثه، تكلم رجل منهم وقال: أحب

ما إلى ابن عبد الوهاب وصول هذا إليه، أنتم ما تستحون! فتركوا الرسالة.

**الجواب الثاني**: أنه على سبيل التنزل أن الشرك لا يكفر مَن فعَله، وأنه شرك أصغر، أو أنه معصية غير الكفر، مع أن جميع ما ذكرتم لا يدل على ذلك، فإن أَرَدْتَ بَيَّنْتُ لك في غير هذه المرة معاني هذه العبارات من الأدلة من كلام كل رجل، كما بينته لك من كلام الشيخ، لكن أنتم مسلِّمُون أن رسول الله ﷺ قد أنكره ونهى عنه، فلو أن رجلًا أَقَرَّ بذلك، مع كونه لم يفعله، لكنه زيَّنه للناس ورغَّبهم فيه، أليس هذا كافرًا مرتدًّا؟

ولو قدَّرنا أن الأمر الذي كرهه وصد الناس عنه، ما أمر به الرسول إلا أمر استحباب، كركعتي الفجر، أو أن الذي نهى عنه ما نهى عنه إلا نهي تنزيه، كالأكل بالشمال، والنوم للجُنُب من غير وضوء، ولو أن رجلًا عرف نهي الرسول، وزعم لأجل غرض من الأغراض أن الأكل بالشمال هو الأحب المرضي عند الله، وأن الأكل باليمين يضر عند الله، وأن الوضوء للجُنُب إذا أراد النوم يضر عند الله، وأن النوم من غير وضوء أحب إلى الله، مع علمه بما قال الرسول ﷺ أليس هذا كلام كافر مرتد! فكيف بمن سبَّ دين الله الذي بعث به جميع الأنبياء، مع إقراره ومعرفته به، ومدَح دينَ المشركين الذي بعث الله الأنبياء بإنكاره، ودعا الناس إليه مع معرفته؟

ولكن أرى لك أن تقوم في السحَر، وتدعو بقلب حاضر بالأدعية المأثورة، وتطرح نفسك بين يدي الله أن يهديك لدينه ودين نبيه ﷺ. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

**ومنها: رسالة أرسلها جوابًا لعبد الله بن سحيم، مطوع من أهل المجمعة، حين سأله عن الكتاب الذي أرسله عدو الله سليمان بن محمد بن سحيم، مطوع أهل الرياض، وكانت رسالة أرسلها إلى أهل البصرة والحسا، يشنع فيها على**

**الشيخ بالكذب والبهتان والزور والباطل الذي ما جرى وما كان، وقصده بذلك الاستنصار بكلامهم على إبطال ما أظهره الشيخ من بيان التوحيد وإخلاص الدعوة لله، وهدم أركان الشرك، وإبطال مناهج الضلال والإفك، ورام هذا أن يرتقي إلى ذلك بأسباب، ويستدعي من كل معاند مكابر جواب، وإلا فالله تعالى بفضله قد أزال اللبس والحجاب، وكشف عن القلوب المظلمات الرَّيْن والاحتجاب، ونصّ رسالة المجاب**[(١)]:

من الفقير إلى الله تعالى سليمان بن محمد بن سحيم، إلى من يصل إليه من علماء المسلمين وخُدَّام شريعة سيد ولد آدم، من الأولين والآخرين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فالذي يحيط به علمكم أنه قد خرج في قُطْرِنَا رجلٌ مبتدعٌ، جاهل، مُضِلٌّ ضالٌّ، من بضاعة العلم والتقوى عاطل، جَرَت منه أمور فضيحة، وأحوال شنيعة، منها شيء شاع وذاع وملأ الأسماع، وشيء لم يَتَعَدَّ أماكننا بعد، فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين، وورثة سيد المرسلين، ليصيدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور، لصغار بغاث الطيور، ويردوا بدعه وضلالاته، وجهله وهفواته، والقصد في ذلك القيام لله ورسوله ونصرة الدين، جعلنا الله وإياكم من الذين يتعاونون على البر والتقوى.

فمن بدعه وضلالته: أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة؛ زيد بن الخطاب وأصحابه، وهدم قبورهم وبعثرها، لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدرون أن يَحْفِرُوا لهم، فطَوَوا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا

---

(١) هذا من إنصاف الشيخ ابن غنام ؒ؛ إذ يورد رسالة هذا المناوئ للدعوة السلفية، وهي في غالبها مجرد افتراءات لا تستحق الالتفات.

الرائحة والسباع، والدافن لهم خالد وأصحاب رسول الله ﷺ.

وعمد أيضًا إلى مسجد في ذلك وهدمه، وليس داع شرعي في ذلك إلا اتباع الهوى.

**ومنها**: أنه أحرق «دلائل الخيرات»[(١)]؛ لأجل قول صاحبها: سيدنا ومولانا.

وأحرق أيضًا «روض الرياحين»[(٢)]، وقال: هذا روض الشياطين.

ومنها: أنه صحّ عنه أنه يقول: لو أقدر على حجرة الرسول هدمتها، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه وجعلت بدله ميزاب خشب. أما سمع قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾!

**ومنها**: أنه ثبت أنه يقول: الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء. وتصديق ذلك أنه بعث إليَّ كتابًا يقول فيه: أَقِرُّوا أنكم قَبْلِي جُهَّال ضُلَّال.

ومن أعظمها: أن من لم يوافقه في كل ما قال، ويشهد أن ذلك حق، يقطع بكفره، ومن وافقه وصدَّقه في كل ما قال قال: أنت موحِّد. ولو كان فاسقًا محضًا أو مَكَّاسًا، وبهذا أظهَرَ أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله.

**ومنها**: أنه بعث إلى بلداننا كتابًا مع بعض دعاته، بخط يده، وحلف فيه بالله

---

(١) لمحمد بن سليمان الجزولي (ت ٨٧٠ هـ)؛ فقيه صوفي من أهل سوسة بالمغرب، كتابه هذا عبارة عن «صلوات مبتدعة على النبي ﷺ». انظر لبيان ما فيه من انحراف: رسالة: «تنبيهات على ما في دلائل الخيرات من شطحات»؛ لأحمد السلمي، ضمن كتابه «ثلاث رسائل في الدفاع عن العقيدة» (ص ٢٧٧ - ٣٣٤٥)، وذكر العلماء الذين ردوا على كتابه.

(٢) «روض الرياحين في حكايات الصالحين»؛ للصوفي اليمني عبدالله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ). حشا كتابه بالخرافات والغلو. انظر: «كتب حذر منها العلماء»؛ للشيخ مشهور سلمان (٢ / ١٩٨).

أن عِلْمَهُ هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب إلى أخذ العلم منهم، في زعمه، وإلا فليس له مشايخ، ولا عرفه أبوه، ولا أهل العارض. فيا عجبًا إذا لم يتعلمه من المشايخ، ولا عرفه أبوه، ولا أهل قطره، فمن أين علمه! وعمن أخذه! هل أوحي إليه، أو رآه منامًا، أو علمه به الشيطان! وحَلِفُهُ هذا أشرَفَ عليه جميع أهل العارض.

**ومنها**: أنه يقطع بتكفير ابن الفارض وابن عربي[1].

**ومنها**: أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول؛ لأجل أنهم يأخذون النذر، ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده.

**ومنها**: أنه ثبت عنه لما قيل له: اختلاف الأئمة رحمة. قال: اختلافهم نقمة.

**ومنها**: أنه يقطع بفساد الوقف، ويكذِّب المرويَّ عن رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم وقفوا.

**ومنها**: إبطال الجعالة على الحج.

**ومنها**: أنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة، وقال: السلطان فاسق، لا يجوز تمجيده.

**ومنها**: أنه قال: الصلاة على رسول الله ﷺ يوم الجمعة وليلتها، وقال: هي بدعة وضلالة تَهْوِي بصاحبها إلى النار.

**ومنها**: أنه يقول: الذي يأخذه القضاة قديمًا وحديثًا، إذا قَضَوا بالحق بين الخصمين، ولم يكن بيت مال لهم ونفقة، أن ذلك رشوة. ومن هذا القول، بخلاف المنصوص عن جميع الأمة، أن الرشوة ما أُخِذَ لإبطال حق أو لإحقاق باطل، وأن للقاضي أن يقول للخصمين: لا أقضي بينكما إلا بجُعْل.

---

(١) سيأتي الحديث عنهما - إن شاء الله -.

**ومنها**: أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمي عليها ويجعلها لله تعالى، ويدخل مع ذلك دفع شر الجن، ويقول: ذلك كفر، واللحم حرام. فالذي ذكره العلماء في ذلك أنه منهي عنه فقط، وذكره في حاشية «المنتهى».

فبَيِّنُوا، رحمكم الله، ذلك للعوام المساكين الذي لَبَّسَ عليهم وأبطَلَ عليهم الاعتقاد الصحيح، فإن رأيتم أن ذلك صواب فبَيِّنُوه لنا، ونرجع إلى قوله، وإن رأيتموه خطأً فاردَعُوه وازجُرُوه، وبَيِّنُوا للناس خطأه؛ فقد افتَتَنَ بسببه ناس كثير من أهل قطرنا، فتداركوا رحمكم الله الأمر قبل أن يرسخ في النفوس، فإن الجواب متعيِّنٌ على من وقَفَ عليه، ممن له معرفة بحكم الله ورسوله؛ لأن ذلك إظهار للحق عند خفائه وإدحاض للباطل. انتهى ما ذكره صاحب الرسالة.

**وقد يسّر الله للشيخ اتصالٌ إليها، والوقوف عليها، وألهَمَه الجواب عنها والتنصُّلَ عن كثير منها، فبَيَّنَ الحق الذي قاله، وبَيَّن الكذب والزور الذي رماه به أهل الجهالة، وهذا نص الرسالة، كتبها:**

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم، وبعد:

لَفَانَا مكتوبُك، وما ذكرت فيه من ذكرك وما بلغك، ولا يخفاك أن المسائل التي ذَكَرْتَ أنها بلغتكم في كتاب من «العارض» جملتها أربع وعشرون مسألة، بعضها حق، وبعضها بهتان وكذب، وقبل الكلام فيها لا بد من تقديم أصل. وذلك أن أهل العلم إذا اختلفوا، والجهال إذا تنازعوا، ومثلي ومثلكم إذا اختلفنا في مسألة؛ هل الواجب اتِّبَاع أمر الله ورسوله وأهل العلم، أو الواجب اتِّبَاع عادة الزمان الذي أدركنا الناس عليها ولو خالَفَتْ ما ذكره العلماء في جميع كتبهم؟

وإنما ذكرتُ هذا، ولو كان واضحًا، لأن بعض المسائل التي ذَكَرْتَ أنا قلتُها، لكن هي موافقة لما ذكره العلماء في كتبهم، الحنابلة وغيرهم، ولكن هي مخالفة لعادة الناس التي نشأوا عليها، فأنكرَها عليَّ مَن أنكرَها لأجل مخالفة العادة، وإلا فقد رَأَوا تلك في كتبهم عيانًا، وأقروا بها، وشهدوا أن كلامي هو الحق، لكن أصابهم ما أصاب الذين قال الله فيهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ الآية، وهذا هو ما نحن فيه بعينه، فإن الذي راسلكم هو عدو الله ابن سحيم، وقد بَيَّنْتُ ذلك له فأَقَرَّ به، وعندنا كتب يده في رسائل متعددة أن هذا هو الحق، وأقام على ذلك سنين، لكن أنكر آخر الأمر لأسباب، أعظمها البغي أن يُنَزل الله من فضله على من يشاء من عباده، وذلك أن العامة قالوا له ولأمثاله: إذا كان هذا هو الحق فلأي شيء لم تَنْهَوْنَا عن عبادة شمسان وأمثاله؟ فتَعَذَّرُوا أنكم ما سألتمونا. قالوا: وإن لم نسألكم كيف نُشرك بالله عندكم ولا تنصحونا! وظنوا أن يأتيهم في هذا غضاضة، وأن فيه شرفًا لغيره. وأيضًا لما أنكرنا عليهم أكل السحت والرِّشَا، إلى غير ذلك من الأمور، فقام يدخل عندكم وعند غيركم بالبهتان، والله ناصر دينه ولو كره المشركون.

وأنت لا تستهوِنْ مخالفة العادة على العلماء فضلًا عن العوام، وأنا أضرب لك مثلًا بمسألة واحدة، وهي مسألة الاستجمار ثلاثًا فصاعدًا، من غير عظم ولا روث، وهو كافٍ مع وجود الماء عند الأئمة الأربعة وغيرهم، وهو إجماع الأمة لا خلاف في ذلك، ومع هذا لو يفعله أحد لصار هذا عند الناس أمرًا عظيمًا، ولَنَهَوْا عن الصلاة خلفه وبدَّعُوه، مع إقرارهم بذلك، ولكن لأجل العادة.

إذا تبين هذا؛ فالمسائل التي شنع بها منها ما هو من البهتان الظاهر، وهي

**قوله** إني مبطل كتب المذاهب، **وقوله** إني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، **وقوله** إني أدعي الاجتهاد، **وقوله** إني خارج عن التقليد، **وقوله** إني أقول إن اختلاف العلماء نقمة، **وقوله** إني أكفر من توسل بالصالحين، **وقوله** إني أكفر البوصيري لقوله «يا أكرم الخلق»، **وقوله** إني أقول: لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابًا من خشب، **وقوله** إني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ، **وقوله** إني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ، **وقوله** إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم، **وإني** أكفر من يحلف بغير الله.

فهذه اثنتا عشرة مسألة، جوابي فيها أن أقول: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾، ولكن قَبْلَه مَن بَهَتَ النبيَّ محمدًا ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين! تشابهت قلوبهم، وبَهَتُوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعُزَير في النار، فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ الآية.

وأما المسائل الأخر وهي: **أني أقول**: لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى «لا إله إلا الله» ومنها: أني أعرِّف من يأتيني بمعناها، **ومنها** أني أقول: الإله هو الذي فيه السر، **ومنها**: تكفير الناذر إذا أراد به التقرب لغير الله وأخذ النذر كذلك، **ومنها**: أن الذبح للجن كفر، والذبيحة حرام، ولو سمّى الله عليها إذا ذبحها للجن.

فهذه خمس مسائل كلها حق، وأنا قائلها، ونبدأ بالكلام عليها لأنها أم المسائل، وقبل ذلك ذكر معنى «لا إله إلا الله»، فنقول:

التوحيد نوعان: توحيد الربوبية، وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم، وهذا حق لا بد منه، لكن لا يُدْخِل الرجلَ في الإسلام لأن أكثر الناس مُقِرُّون به، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وأن الذي يُدْخِل

الرجلَ في الإسلام هو توحيد الألوهية، وهو ألا يُعْبَد إلا الله، لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَل، وذلك أن النبي ﷺ بُعِثَ وأهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله؛ فمنهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو عيسى، ومنهم من يدعو الملائكة، فنهاهم عن هذا، وأخبرهم أن الله أرسله لِيُوَحَّدَ ولا يُدْعَى أحدٌ من دونه، لا الملائكة ولا الأنبياء، فمن تبعه ووحَّد اللهَ فهو الذي شهد أن لا إله إلا الله، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة، واستنصرهم والتجأ إليهم، فهو الذي جحد «لا إله إلا الله» مع إقراره أنه لا يَخْلُقُ ولا يَرْزُقُ إلا الله.

وهذه جملة لها بسط طويل، لكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء، ولما جرى في هذه الأمة ما أخبر نبيها ﷺ حيث قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه**»[1] وكان مَن قبلَهم كما ذكر الله عنهم ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فصار ناس من الضالِّين يَدْعُون أناسًا من الصالحين في الشدة والرخاء، مثل عبد القادر الجيلاني وأحمد البدوي وعدي بن مسافر، وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح، فأنكر عليهم أهل العلم غاية الإنكار، وزجروهم عن ذلك وحذروهم غاية التحذير والإنذار، من جميع المذاهب الأربعة في سائر الأقطار والأمصار، فلم يحصل منهم انزجار، بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار، وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم من ذلك، وبيّن أهل العلم أن أمثال هذا هو الشرك الأكبر.

وأنت ذَكَرْتَ في كتابك: ما تقول يا أخي ما لنا واللهِ دليلٌ إلا من كلام أهل العلم. وأنا أقول كلام أهل العلم ﷺ، وأنا أنقله لك، وأنبهك عليه، فتفكر

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

فيه، وقم لله ساعةً ناظرًا ومناظرًا، مع نفسك ومع غيرك، فإن عَرَفْتَ أن الصواب معي، وأن دين الإسلام اليوم من أغرب الأشياء، أعني دين الإسلام الصِّرْفَ، الذي لا يُمْزَج بالشرك والبدع، وأما الإسلام الذي ضده الكفر، فلا شك أن أمة محمد ﷺ آخر الأمم، وعليها تقوم الساعة، فإن فَهِمْتَ أن كلامي هو الحق فاعمل لنفسك، واعلم أن الأمر عظيم، والخطب جسيم، فإن أشكَلَ عليك شيء فسَفَرُكَ إلى المغرب في طلبه غير كثير.

واعتبر لنفسك، حيث كَتَبْتَ لي فيما مضى أن هذا هو الحق الذي لا شك فيه، لكن لا نقدر على تغييرٍ، وتكلمت بكلام حسن، فلما غربلك الله بولد المويس، ولبّس عليك، وكتب لأهل الوشم يستهزئ بالتوحيد، ويزعم أنه بدعة، وأنه خرج من خراسان، ويسب دين الله ورسوله، لم تفطن لجهله وعظم ذنبه، وظننت أن كلامي فيه من باب الانتصار للنفس، وكلامي هذا لا يغيرك، فإن مرادي تفهم أن الخطب جسيم، وأن أكابر أهل العلم يتعلمون هذا ويغلطون فيه، فضلًا عنا وعن أمثالنا، فلعله إن أشكل عليك تواجهني، هذا إن عَرَفْتَ أنه حق. وإن كنتُ إذا نقلتُ لك عبارات العلماء عَرَفْتَ أني لم أفهم معناها، وأن الذي نقلتُ لك كلامهم أخطأوا، وأنهم خالفهم أحد من أهل العلم، فنبّهني على الحق، وأرجع إليه إن شاء الله تعالى، فنقول:

قال الشيخ تقي الدين: وقد غَلِطَ في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر ومن أهل العبادة حتى قلبوا حقيقته؛ فطائفة ظنت أن التوحيد هو نفي الصفات، وطائفة ظنوا أنه الإقرار بتوحيد الربوبية، ومنهم من أطال في تقرير هذا الموضع، وظن أنه بذلك قرر الوحدانية، وأن الألوهية هي القدرة على الاختراع ونحو ذلك، ولم يعلم أن مشركي العرب كانوا مُقِرِّين بهذا التوحيد، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الآيات، وهذا حق،

لكن لا يَخْلُصُ به عن الإشراك بالله الذي لا يغفره الله، بل لابد أن يُخْلِصَ الدين لله، فلا يَعبدَ إلا الله، فيكون دينه لله، والإله هو المَأْلُوهُ الذي تَأْلَهُهُ القلوب(١). وأطال رحمه الله الكلام.

وقال أيضًا في «الرسالة السنية» التي أرسلها إلى طائفة من أهل العبادة ينتسبون إلى بعض الصالحين ويَغْلُون فيه، فذكر حديث الخوارج ثم قال:

فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، ممن ينتسب إلى الإسلام، مَن مَرَقَ مع عبادته العظيمة، فَلْيُعْلَمْ أن المنتسب إلى الإسلام قد يَمْرُقُ من الدين، وذلك بأمورٍ:

منها الغلو الذي ذمه الله، مثل الغلو في عدي بن مسافر أو غيره، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه، فكل مَن غَلَا في نبي أو صحابي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني. أو: أنا في حسبك. ونحو هذا، فهذا كافر يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لِيُعْبَدَ ولا يُدْعَى معه إله آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى، مثل الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورة على صورهم، لم يكونوا يعتقدون أنها تُنْزِل المطر أو تُنْبِت النبات، وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تَنْهَى أن يُدْعَى أحدٌ من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة(٢). وأطال الكلام رحمه الله، فتأمل كلامه في أهل عصره من أهل النظر الذين يدَّعون العلم، ومن أهل العبادة الذين يدَّعُون الصلاح.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٤١ - ٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٣ - ٣٩٦).

وقال في «الإقناع» في بابِ حكمِ المرتد، في أوله:

فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته... إلى أن قال: أو استهزأ بالله أو رسله. قال الشيخ: أو كان مبغضًا لرسوله، أو لِمَا جاء به اتفاقًا، أو جعَل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم - كَفَرَ إجماعًا... إلى أن قال: أو أنكَرَ الشهادتين أو إحداهما(١).

فتأمل هذا الكلام بشَرَاشِرِ قلبك، وتأمل؛ هل قالوا هذا في أشياء وُجِدَت في زمانهم واشتد نكيرهم على أهلها، أو قالوها ولم تقع؟ وتأمل الفرق بين جحد الربوبية والوحدانية والبغض لما جاء به الرسول.

وقال أيضًا في أثناء الباب: ومن اعتقد أنَّ لأحدٍ طريقًا إلى الله غير متابعة محمد ﷺ أوْ لا يجب عليه اتباعُهُ، أو أن لغيره خروجًا عن اتباعه، أو قال: أنا محتاج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن. أو: في علم الشريعة دون علم الحقيقة. أو قال: إن من العلماء مَن يَسَعُهُ الخروج عن شريعته كما وسع الخَضِرَ الخروجُ عن شريعة موسى. كفر في هذا كله(٢).

ولو تعرف من قال هذا الكلام فيه وجزم بكفرهم، وعَلِمْتَ ما هم عليه من الزهد والعبادة، وأنهم عند أكثر أهل زماننا من أعظم الأولياء، لقضيت العجب.

وقال أيضًا في الباب:

ومن سبَّ الصحابة، واقترَن بِسَبِّهِ دعوى أن عليًّا إلهٌ أو نبيٌّ، أو أن جبريل غَلِطَ، فلا شك في كفر هذا، بل لا شك في كفر مَن توقف في تكفيره(٣).

---

(١) الإقناع (٤/ ٢٩٧).
(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٦٣، ٢٧/ ٥٩).
(٣) الإقناع (٤/ ٢٩٩).

فتأمل هذا، إذا كان كلامه هذا في عليٍّ، فكيف بمَن ادَّعَى أن ابن عربي أو عبد القادر إلهٌ! وتأمل كلام الشيخ في معنى الإله الذي تَأْلَهُهُ القلوب.

واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ﷺ بأنهم يَدْعُون الأولياء والصالحين في الرخاء والشدة، ويطلبون منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات، مع كونهم يَدْعُون الملائكة والصالحين، ويريدون شفاعتهم والتقرب لهم، وإلا فهم مُقِرُّون بأن الأمر لله، فهم لا يدعونهم إلا في الرخاء، فإذا جاءتهم الشدائد أخلصوا لله، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ﴾ الآية.

وقال أيضًا في «الإقناع» في الباب:

ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفِعْلُهُ، وهو عُقَد ورُقًى وكلام يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله، ومنه ما يقتل، ومنه ما يُمْرِض، ومنه ما يأخذ الرجلَ عن امرأته فيَمْنَعُهُ وطأها، ومنه ما يبغِّض أحدهما للآخر، ويحبِّب بين اثنين، ويَكْفُرُ بتعلُّمِهِ وفِعْلِهِ، سواء اعتقد تحريمه أو إباحته[1].

فتأمل هذا الكلام، ثم تأمل ما جرى في الناس، خصوصًا الصرف والعطف، تعرف أن الكفر ليس ببعيد، وعليك بتأمل هذا الباب في «الإقناع» وشرحه تأملًا جيدًا، وقِفْ عند المواضع المشكلة، وذاكر فيها كما تفعل في باب الوقف والإجارة؛ يتبين لك إن شاء الله أمر عظيم.

وأما الحنفية؛ فقال الشيخ قاسم في «شرح درر البحار»:

النذر الذي يقع من أكثر العوام، وهو أن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلًا:

---

(١) الإقناع (٤/ ٣٠٧).

يا سيدي فلان إن رُدَّ غائبي، أو عوفي مريضي، أو قُضِيَت حاجتي فلك كذا وكذا. باطل إجماعًا؛ لوجوه؛ منها أن النذر للمخلوق لا يجوز، ومنها ظن أن الميت يتصرف في الأمر، واعتقاد هذا كفر[1]. إلى أن قال: إذا عُرِفَ هذا، فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها، ويُنْقَل إلى ضرائح الأولياء، فحرام بإجماع المسلمين، وقد ابتُلِيَ الناس، لاسيما في مولد أحمد البدوي[2].

فتأمل قول صاحب «النهر» مع أنه بمصر ومقر العلماء، كيف شاع بين أهل مصر ما لا قدرة للعلماء على دفعه! فتأمل قوله: «من أكثر العوام» أتظن أن الزمان صلح بعده!

وأما المالكية؛ فقال الطرطوشي في كتاب «الحوادث والبدع»:

روى البخاري[3] عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَين، ونحن حَدِيثُو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكُفُون حولها، ويَنُوطُون بها أسلحتهم، يقال لها «ذات أنواط» فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال: «**الله أكبر، هذا كما قال بنو إسرائيل لموسى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ **لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم**»[4] فانظروا، رحمكم الله، أينما وجدتم سدرة يقصدها الناس وينوطون بها الخِرَقَ فهي ذات أنواط، فاقطعوها.

وقال ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء؛ الذين**

---

(١) البحر الرائق (٢/ ٣٢٠ - ٣٢١).

(٢) حاشية ابن عابدين (٢/ ٤٣٩ - ٤٤٠).

(٣) لم يروه البخاري، وهي في (مختصر الحوادث والبدع ص ١٨): (روى أحمد).

(٤) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) والإمام أحمد (٥/ ٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (ظلال الجنة ٧٦).

**يُصْلِحُون إذا فسد الناس»**[١] ومعنى هذا أن الله لما جاء بالإسلام، فكان الرجل إذا أسلم في قبيلته غريبًا مستخفيًا بإسلامه قد جفاه العشيرة، فهو بينهم ذليل خائف، ثم يعود غريبًا لكثرة الأهواء المضلة والمذاهب المختلفة، حتى يبقى أهل الحق غرباء في الناس لقلتهم وخوفهم على أنفسهم.

وروى البخاري عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: والله، ما أعرف فيهم من أمر محمد إلا أنهم يُصَلُّون جميعًا[٢]. وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره.

وقال الزهري: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: ما أعرف فيهم شيئًا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيِّعَت[٣]. انتهى كلام الطرطوشي[٤].

فليتأمل اللبيب هذه الأحاديث، وفي أي زمان قيلت وفي أي مكان، وهل أنكرها أحد من أهل العلم!

والفوائد فيها كثيرة، ولكن مرادي منها ما وقع من الصحابة، وقول الصادق المصدوق أنه مثل كلام الذين اختارهم الله على العالمين لنبيهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ يا عجبًا إذا جرى هذا من أولئك السادة، كيف يُنكر علينا أن رجلًا من المتأخرين غلط في قوله «يا أكرم الخلق»! كيف تعجبون من كلامي فيه وتظنونه خيرًا وأعلم منهم!

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٤٤١).

(٢) صحيح البخاري (٦٥٠).

(٣) صحيح البخاري (٥٣٠).

(٤) مختصر الحوادث والبدع (ص ١٨ - ١٩).

ولكن هذه الأمور لا علم لكم بها، وتظنون أن من وصف شركًا أو كفرًا أنه الكفر الأكبر المخرج عن الملة. ولكن أين كلامك هذا من كتابك الذي أرسَلْتَ إليّ، قبل أن يغربلك الله بصاحب الشام، وتذكر وتشهد أن هذا هو الحق، وتعتذر أنك لا تقدر على الإنكار! ومرادي أبين لك كلام الطرطوشي ما وقع في زمانه من الشرك بالشجر، مع كونه في زمن القاضي أبي يعلى، أتظن الزمان صلح بعده؟

وأما كلام الشافعية؛ فقال الإمام محدث الشام أبو شامة في كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» وهو في زمن الشارح وابن حمدان:

وقد وقع مِن جماعة مِن النابذين لشريعة الإسلام، المنتمين إلى الفقر، الذي حقيقته الافتقار من الإيمان، من اعتقادهم في مشايخ لهم ضالِّين مُضِلِّين؛ فهم داخلون تحت قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها.

ومن هذا القسم ما قد عمَّ الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة تخليقَ الحيطانِ والعُمُدِ، وسَرْجَ مواضع في كل بلد يَحْكِي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه أحدًا ممن شُهِرَ بالصلاح، فيفعلون ذلك، ويظنون أنهم يتقربون إلى الله، ثم يجاوزون ذلك إلى أن يَعْظُمَ وَقْعُ تلك الأماكن في قلوبهم، ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي بين عيون وشجر وحائط وحجر. وفي دمشق، صانها الله من ذلك، مواضع متعددة، كعوينة الحمى والشجرة الملعونة خارج باب النصر، سهل الله قطعها، فما أشبهها بذات أنواط[1]. ثم ذكر كلامًا طويلًا، إلى أن قال: أسأل الله الكريم معافاتِهِ من كل ما يخالف رضاه، ولا

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (١/ ٢٥ - ٢٦).

يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه[١].

فتأمل ذكره في هذا النوع أنه نَبْذٌ لشريعة الإسلام، وأنه خروج عن الإيمان، ثم ذكر أنه عمَّ الابتلاء به في الشام، فأنت قل لصاحبكم: هؤلاء العلماء من الأئمة الأربعة ذكروا أن الشرك عم الابتلاء به وغيره، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، وذكروا أن الدين عاد غريبًا، فهو بين اثنتين: إما أن يقول: كل هؤلاء العلماء جاهلون ضالُّون مُضِلُّون خارجون. وإما أن يدَّعي أن زمانه وزمان مشايخه صلح بعد ذلك.

ولا يخفاك أني عثرت على أوراق عند ابن عزاز، فيها إجازات له من عند مشايخه، وشيخ مشايخه رجلٌ يقال له «عبد الغني»[٢] ويُثنون عليه في أوراقهم ويسمونه «العارف بالله»، وهذا اشتُهِرَ عنه أنه على دين ابن عربيّ، الذي ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون، حتى قال ابن المُقْرِي الشافعي: من شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر. فإذا كان إمام دين ابن عربي والداعي إليه هو شيخهم، ويثنون عليه أنه العارف بالله، فكيف يكون الأمر! ولكن أعظم من هذا كله ما تقدم عن أبي الدرداء وأنس، وهما بالشام، ذلك الكلام فيه العظيم، واحتج به أهل العلم على أن زمانهم أعظم، فكيف بزماننا!

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، في «الهدي النبوي» في الكلام على حديث وفد الطائف، لما أسلموا وسألوا النبي ﷺ أن يترك لهم اللات؛ لا يهدمها سنة، ولما تكلم ابن القيم على المسائل المأخوذة من القصة قال:

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (١/ ٢٨).

(٢) هو الصوفي النقشبندي الشهير: عبدالغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ). انظر الرد على انحرافاته في: «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي»؛ للدكتور محمد أحمد لوح (١/ ٥٤٤ - ٥٤٩).

ومنها: أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت، بعد القدرة على هدمها وإبطالها، يومًا واحدًا، فإنها شعائر الشرك والكفر، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة. وهكذا حكم المشاهد التي بُنِيَت على القبور التي اتُّخِذَت أوثانًا تُعْبَد من دون الله، والأحجار التي تُقْصَد للتبرك والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، بل أعظم شركًا عندها وبها، والله المستعان، ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تَخْلُق وتَرْزُق، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سَنَنَ مَن قبلهم، وسلكوا سبيلهم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، وسلكوا سبيلهم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، وغلب الشرك على أكثر النفوس؛ لغلبة الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والسنة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهَرِمَ عليه الكبير، وطَمَسَت الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقلَّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس[(١)]. انتهى كلامه.

وقال أيضًا في الكلام على هذه القصة، لما ذَكَر أن النبي ﷺ أَخَذَ مال اللات وصَرَفَه في المصالح:

ومنها: جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه الطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين، فيجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تُسَاق إليها ويصرفها على الجند والمقاتلة ومصالح الإسلام، كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات، وكذا الحكم في وقفها، والوقف عليها باطل، وهو مال ضائع، فيصرف

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٤٤٣).

في مصالح المسلمين؛ فإن الوقف لا يصح إلا في قربة وطاعة لله ولرسوله، فلا يصح على مشهد، ولا قبر يُسْرَج عليه، ويُعَظَّم، ويُنْذَر له، ويُعْبَد من دون الله، وهذا مما لا يُخَالِفُ فيه أحدٌ من أئمة الدين ومن اتبع سبيلهم[1]. انتهى كلامه.

فتأمل كلام هذا الرجل، الذي هو من أهل العلم، وهو أيضًا من أهل الشام، كيف صرّح أنه ظهر في زمانه، فيمن يدعي الإسلام في الشام وغيره، عبادةُ القبور والمشاهد والأشجار والأحجار، التي هي أعظم من عبادة اللات والعزى أو مثله، وأن ذلك ظهر ظهورًا عظيمًا، حتى غلب الشرك على أكثر النفوس، وحتى صار الإسلام غريبًا، بل اشتدت غربته! أين هذا من قول صاحبكم لأهل الوشم في كتابه، لما ذكروا له أن في بلدانكم شيئًا من الشرك: يأبى الله أن يكون ذلك في المسلمين! وكلام هؤلاء الأئمة من أهل المذاهب الأربعة أعظم وأعظم وأَطَمُّ مما قال ابن عيدان وصاحبه في أهل زمانهما. أَفَتَرَى هؤلاء العلماء أَتَوا فِرْيَةً عظيمة ومقالة جسيمة!

فهذا ما يسر الله نقله من كلام أهل العلم على سبيل العجلة، فأنت تأمله تأملًا جيدًا، واجعل تأملك لله، مستعيذًا بالله من اتباع الهوى، ولا تفعل فِعْلَكَ أولًا.

ولما ذكرت لك أنك تأمل كلامي وكلامه، فإن كان كلامي صحيحًا لا مجازفة فيه، وأن شامِيّكم لا يعرف معنى «لا إله إلا الله»، ولا يعرف عقيدة الإمام أحمد وعقيدة الذين ضربوه، فاعرف قدره، فهو بغيره أجهل، واعرف أن الأمر أمرٌ جليلٌ. فإن كان كلامي باطلًا، ونَسَبتُ رجلًا من أهل العلم إلى هذه الأمور العظيمة بالكذب والبهتان، فالأمر أيضًا عظيم، فأَعْرَضْتَ عن ذلك كله، وكَتَبْتَ لي كتابًا في شيء آخر.

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٤٤٣).

فإن كان مرادُكَ اتباعَ الهوى، أعاذنا الله منه، وأنك مع ولد المويس كيف كان، فاترُك الجواب؛ فإن بعض الناس يذكرون عنك أنك صائر معه لأجل شيء من أمور الدنيا. وإن كنتَ مع الحق فلا أَعْذِرُكَ مِن تَأَمُّلِ كلامي هذا وكلامي الأول، وتَعْرِضهُما على كلام أهل العلم، وتُحْرِّرهما تحريرًا جيدًا، ثم تتكلم بالحق.

إذا تقرر هذا؛ فخَمْسُ المسائل التي قدَّمْتُ جوابُها في كلام العلماء، وأضيف إليها مسألة سادسة، وهي إفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم، وسميتهم «طواغيت»؛ ذلك أنهم يَدْعُون الناسَ إلى عبادتهم من دون الله عبادةً أعظَمَ من عبادة اللات والعزى بأضعاف، وليس في كلامي مجازفة، بل هو الحق؛ لأن عبادة اللات والعزى يَعبُدُونها في الرخاء ويُخْلِصُون لله في الشدة، وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم إياهم في شدائد البر والبحر، فإن كان اللهُ أوقَعَ في قلبك معرفةَ الحق والانقيادَ له، والكفرَ بالطاغوت والتَّبَرِّيَ ممن خالف هذه الأصول، ولو كان أباك أو أخاك، فاكتب لي وبَشِّرْني؛ لأن هذا ليس مثل الخطأ في الفروع، بل ليس الجهل بهذا، فضلًا عن إنكاره، مثل الزنا والسرقة، بل والله، ثم والله، ثم والله، إن الأمر أعظم. وإن وقع في قلبك إشكال فاضرَعْ إلى مُقَلِّبِ القلوب أن يهديك لدينه ودين نبيه.

وأما بقية المسائل فالجواب عنها ممكن إذا خلصنا من شهادة أن لا إله إلا الله، وبيننا وبينكم كلام أهل العلم، لكن العجب من قولك: أنا هادمٌ قبورَ الصحابة، وعبارة «الإقناع» في الجنائز: يجب هدم القباب التي على القبور؛ لأنها أُسِّسَت على معصية الرسولِ[1]. والنبيُّ ﷺ صحَّ عنه أنه بعث عليًّا لهدم القبور.

---

(١) الإقناع (١/ ٢٣٣) نقلا عن ابن القيم.

ومِثْل صاحب كتابكم لو كتب لكم أن ابن عبد الوهاب ابتدع؛ لأنه أنكر على رجل تزوَّج أخته! فالعجب كيف راج عليكم كلامه فيه!

وأما قولي: إن الإله الذي فيه السر. فمعلوم أن اللغات تختلف؛ فالمعبود عند العرب، والإله الذي يسمونه عوامُّنا «السيد، والشيخ، والذي فيه السر» والعرب الأولون يسمون الألوهية ما يسميه عوامُّنا «السر» لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضر، وكونه يصلح أن يُدْعَى ويُرْجَى ويُخَاف ويُتَوَكَّل عليه، فإذا قال رسول الله ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[1] وسُئِل بعض العامة: ما فاتحة الكتاب؟ ما فسَّرْتَ له إلا بلغة بلده؛ فتارة تقول: هي فاتحة الكتاب. وتارة تقول: هي أم القرآن. وتارة تقول: هي الحمد. وأشباه هذه العبارات التي معناها واحد، ولكن إن كان السر في لغة عوامنا ليس هذا، وأن هذا ليس هو الإله في كلام أهل العلم، فهذا وجه الإنكار، فبَيِّنُوا لنا.

وأما قول ابن سحيم في أول الرسالة: إنه عَمَدَ إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة؛ زيد بن الخطاب وأصحابه، وهدم قبورهم وبعثرها، لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدرون أن يَحْفِرُوا لهم، فطَوَوا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع، والدافن لهم خالد بن الوليد وأصحاب رسول الله ﷺ. وعَمَدَ أيضًا إلى مسجد في ذلك وهدمه، إلى آخره.

فهذا الكلام ذَكَرَ فيه ما هو حق وصدق، وذَكَرَ فيه ما هو كذب وزور وبهتان، فالذي حدث من الشيخ رحمه الله، وأتباعه، أنه هدم البناء الذي على القبور، والمسجدَ المجعولَ في المقبرة على القبر الذي يزعمون أنه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك كذب ظاهر؛ فإن قبر زيد رضي الله عنه، ومن معه من الشهداء لا

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦) ومسلم (٣٩٤).

يُعْرَف أين موضعه، بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ قُتِلُوا في أيام مُسَيْلِمَة في هذا الوادي، ولا يُعْرَف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم، ولا يُعْرَف قبر زيد مِن قبر غيره، وإنما كَذَبَ ذلك بعضُ الشياطين وقال للناس: هذا قبر زيد. فافتُتِنُوا به، وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد بالزيارة، ويجتمع عنده جمع كثير، ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات؛ فلأجل ذلك هَدَمَ الشيخُ ذلك البناء الذي على قبره، وذلك المسجدَ المبنيَّ على المقبرة، اتباعًا لما أمر الله به ورسوله مِن تسوية القبور، والنهيِ الغليظِ الشديد في بناء المساجد عليها، كما يَعرف ذلك من له أدنى مَلَكَة من المعرفة والعلم.

وقوله: وبعثرها لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدرون أن يَحْفِرُوا لهم، فطَوَوا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع. فكل هذا كذب وزور، وتشنيع على الشيخ عند الناس بالباطل والفجور، وكلامه هذا تكذبه المشاهدة؛ فإن الموضع الذي فيه تلك القبور موضع سهل لين للحفر، وأهل العُيَيْنَة والجُبَيْلَة، وغيرهما من بلدان العارض، يدفنون موتاهم في تلك المقبرة، وهي أرض سهلة، لا حجارة فيها، والحجارة والوَعْرُ عن تلك المقبرة شمالًا وجنوبًا، ولكن هذا العدو وأشباهه يرمون هذا الشيخ بالأمور الفظيعة، والأهوال الهائلة الشنيعة، لكي يَنْفِرَ السامعون لذلك عن الدخول في دين الله، وليس ذلك ببدع من الشيطان وحزبه، والحمد لله رب العالمين. آخر الرسالة، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

وقد أجاب الشيخ رحمه الله، في هذه الرسالة عما رماه به عدو الله سليمان بن سحيم؛ من الزور والكذب والبهتان، وما هو قائل به، وذكر دليله من الكتاب والسنة وأقوال أئمة أهل الإيمان، وأعرض عن بعض المسائل لم يجب عنها في هذه الرسالة، وقد أجاب عنها في غيرها، فأحسن وأجاد، وكشف حُجُبَ الضلال عن العباد.

فمن ذلك قوله: إنه أبطل الوقف، ويكذِّب بالمَرْوِيِّ عن رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم وَقَفُوا، وقد كذَب وافتَرَى فيما رمى به شيخ الوَرَى.

وصورة الوقف التي أنكرها الشيخ رحمه الله، وأبطَلَهُ هو ما كان مخالفًا لما ثبت في الأحاديث عن رسول الله ﷺ وأصحابه؛ وذلك أن كثيرًا من الجُهَّال والعامة إذا أراد أن يغيِّر فرائض الله، ويَحْرِمَ بَعْضَ أولاده من الإناث ما قَسَمَ الله له، أو يَحْرِمَ أولادَ الإناث ويَخُصَّهُ بالذكور وأولادِهِم، وَقَفَ مالَه وأشهَدَ عليه، وشَرَطَ فيه هذه الشروط المخالفة لما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ وأصحابه مِن صفة وقفهم، فلما أنكر ذلك الشيخ رحمه الله، استعظم ذلك جُهَّالُ القُضَاة؛ لأنه مخالف لعادتهم التي جَرَوا عليها، ومخالف لما ذكره بعض المتأخرين في كتبهم، فشَنَّعُوا بذلك على الشيخ، وافتَرَوْا عليه الكذب العظيم، مثل قولهم: وكذَّب المَرْوِيَّ عن رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم وَقَفُوا. وحاشاه من ذلك، بل ما صح عن رسول الله ﷺ وأصحابه فهو عنده المعمول به، المُفْتَى به، المحمول على الرأس والعين.

**وهذا نص جوابه عن شُبْهَتِهِم التي شَبَّهُوا بها في ذلك، قال رحمه الله تعالى:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

هذه كلماتٌ جوابٌ عن الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجَنَف والإثم، ونحن نذكر قبل ذلك صورة المسألة، ثم نتكلم على الأدلة.

وذلك أن السلف اختلفوا في الوقف الذي يراد به وجه الله، على غير من يرثه، مثل الوقف على الأيتام وصُوَّام رمضان أو المساكين أو أبناء السبيل.

فقال شريح القاضي وأهل الكوفة: لا يصح ذلك الوقف. حكاه عنهم الإمام أحمد.

وقال جمهور أهل العلم: هذا وقف صحيح. واحتجوا بحُجَجٍ صحيحة صريحة ترد قول أهل الكوفة، فهذه الحُجَجُ التي ذكرها أهل العلم يَحْتَجُّون بها على علماء أهل الكوفة، مثل قوله: «**صدقة جارية**» ومثل وقف عمر، وأوقاف أهل المقدرة من الصحابة على جهات البر التي أمر الله بها ورسوله، ليس فيها تغيير لحدود الله.

وأما مسألتنا فهي إذا أراد الإنسان أن يَقْسِمَ مالَهُ على هواه، وفَرَّ من قسمة الله وتمرَّد عن دين الله، مثل أن يريد أن امرأته لا ترث من هذا النخل، ولا تأكل منه إلا حياة عينها، أو يريد أن يَزِيدَ بعضَ أولاده على بعضٍ فرارًا من وصية الله بالعدل، أو يريد أن يَحْرِمَ نَسْلَ البنات، أو يريد أن يُحَرِّمَ على ورثته بيع هذا العقار لئلا يفتقروا بعده، ويُفْتِي له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صَدَقَةُ بِرٍّ تُقَرِّبُ إلى الله، ويوقِفُ على هذا الوجه قاصدًا وجه الله. فهذه مسألتنا.

فتأمل هذا بشَرَاشِرِ قلبك، ثم تأمل ما نذكره من الأدلة، فنقول:

من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر تغيير شرع الله ودينه، والتحيل على ذلك بالتقرب إليه، وذلك مثل أوقافنا هذه؛ إذا أراد أن يَحْرِمَ مَن أعطاه الله، من امرأةٍ، أو امرأةِ ابنٍ، أو نسلِ بناتٍ، أو غير ذلك، أو يُعْطِيَ مَن حَرَمَه الله، أو يَزِيدَ أحدًا عما فرَض الله، أو يَنْقُصَهُ من ذلك، ويريد التقرب إلى الله بذلك، مع كونه مُبْعِدًا عن الله، فالأدلة على بطلان هذا الوقف، وعَوْدِهِ طَلْقًا، وقَسْمِهِ على قَسْمِ الله ورسوله أكثر من أن تُحْصَرَ.

ولكن من أوضحها دليلٌ واحدٌ، وهو أن يقال لِمُدَّعِي الصحة: إذا كنت تدَّعِي أن هذا مما يحب اللهُ ورسولُه، وفِعْلَهُ أفضلُ مِن تَرْكِهِ، وهو داخل فيما حض عليه النبي ﷺ من الصدقة الجارية، وغير ذلك، فمعلوم أن الإنسان مجبول على حبه لولده، وإيثاره على غيره، حتى أصحاب رسول الله ﷺ قال الله تعالى:

﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ فإذا شرع الله لهم أن يُوقِفُوا أموالهم على أولادهم، ويزيدوا من شاء، أو يَحْرِمُوا النساء والعَصَبَةَ ونَسْلَ البنات، فلأي شيء لم يفعل ذلك أصحاب رسول الله ﷺ! ولأي شيء لم يفعله التابعون! ولأي شيء لم يفعله الأئمة الأربعة وغيرهم! أتُرَاهم رَغِبُوا عن الأعمال الصالحة ولم يَحْبُوا أولادهم، وآثروا البعيد عليهم وعلى العمل الصالح، ورغب في ذلك أهل القرن الثاني عشر! أم تُرَاهم خفي عليهم حكم هذه المسألة ولم يعلموها حتى ظهر هؤلاء فعلموها! سبحان الله! ما أعظَمَ شأنَهُ وأعَزَّ سلطانَهُ!

فإن ادعى أحدٌ أن الصحابة فعلوا هذا الوقف، فهذا عين الكذب والبهتان، والدليل على هذا أن هذا الذي تَتَبَّعَ الكتب، وحرص على الأدلة، لم يجد إلا ما ذكره، ونحن نتكلم على ما ذكره.

فأما حديث أبي هريرة الذي فيه: «**صدقة جارية**»[1] فهذا حق، وأهل العلم استدلوا به على من أنكر الوقف على اليتيم وابن السبيل والمساجد، ونحن أنكرنا على من غيّر حدود الله، وتقرَّب بما لم يَشْرَعْهُ، ولو فهم الصحابة وأهل العلم هذا الوقف من هذا الحديث لبادروا إليه.

وأما حديث عمر أنه تصدق بالأرض على الفقراء والرقاب والضيف وذوي القربى وأبناء السبيل[2] فهذا بعينه من أبين الأدلة على مسألتنا؛ وذلك أن من

---

(١) يعني حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة؛ صدقة جارية، وعلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٦٤) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رضى الله عنهما، أَنَّ عُمَرَ تَصَدَّقَ بِمَالٍ لَهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ (ثَمْغٌ) وَكَانَ نَخْلًا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى اسْتَفَدْتُ مَالًا، وَهُوَ عِنْدِى نَفِيسٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَصَدَّقْ بِأَصْلِهِ، لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ، وَلَكِنْ يُنْفَقُ ثَمَرُهُ**» فَتَصَدَّقَ بِهِ عُمَرُ، فَصَدَقَتُهُ =

احتج على الوقف على الأولاد ليس له حجة إلا هذا الحديث؛ لأن عمر قال: «لا جناح على مَن وَلِيَهُ أن يأكل بالمعروف» وأن حفصة وَلِيَتْهُ، ثم وَلِيَهُ عبدُ الله بن عمر، فاحتجوا بأكل حفصة وأخيه دون بقية الورثة، وهذه الحُجَّة من أبطل الحُجَج، وقد بينه الشيخ الموفق ﷺ، والشارح، وذكر أن أكل الولي ليس زيادة على غيره، وإنما ذلك أجرة عمله، كما كان في زماننا هذا يقول صاحب الضحية: «لِوَلِيِّهَا الجلد والأكارع» ففي هذا دليل من جهتين:

**الأول**: أن مَن وقَف مِن الصحابة، مثل عمر وغيره، لم يوقفوا على ورثتهم، ولو كان خيرًا لبادروا إليه، وهذا المصحِّح لم يصحِّح بقوله: «ثم أدناك أدناك»[1] فإذا كان وقف عمر على أولاده أفضل من الفقراء وأبناء السبيل، فما باله لم يوقف عليهم! أتظنه اختار المفضول وترك الفاضل! أم تظن أنه هو ورسول الله ﷺ الذي أمره لم يفهما حكم الله!

**الثاني**: أن من احتج على صحة الوقف على الأولاد وتفضيل البعض لم يحتج إلا بقوله: «تَلِيهِ حفصة ثم ذَوُو الرأي، وأنه يأكل بالمعروف» وقد بينّا معنى ذلك، وأنه لم يبر أحد، وإنما جعل ذلك للولي عن تعبه في ذلك، فإذا كان المستدل لم يجد عن الصحابة إلا هذا تبين لك أن قولهم: تصدق أبو بكر بداره على ولده، وتصدق فلان وفلان، وأن الزبير خصّ بعض بناته. ليس معناه كما

---

= ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِي الرِّقَابِ وَالْمَسَاكِينِ وَالضَّيْفِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلِذِي الْقُرْبَى، وَلاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ يُوكِلَ صَدِيقَهُ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ بِهِ.

(١) أخرجه الطيالسي (١٢٥٧) والنسائي في الكبرى (٤/ ٧٠٣٨) وابن أبي شيبة (٢/ ٤٢٧) والبيهقي (٨/ ٣٤٥) من حديث ثعلبة بن زهدم. وأخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٢٦) من حديث أبي رمثة. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٨٠٧٦).

فهموا، وإنما معناه أنهم تصدقوا بما ذكر صدقة عامة على المحتاجين، فكان أولاده إذا قدموا البلد نزلوا تلك الدار؛ لأنهم من أبناء السبيل، كما يوقف الإنسان مِسْقَاة ويتوضأ منها وينتفع بها هو وأولاده مع الناس، وكما يوقف مسجدًا ويصلي فيه.

وعبارة البخاري في صحيحه: وتصدَّق أنس بدارٍ فكان إذا قدم نزلها، وتصدق الزبير بدوره واشترط للمردودة من بناته أن تسكن[1]. فتأمل عبارة البخاري يتبين لك أن ما ذكر عن الصحابة، مثل من وقف نخلًا على المُفْطِرِين من الفقراء في هذا المسجد، ويقول: إن افتقر أحد من ذريتي فليُفْطِرْ معهم. فأين هذا من وقف الجَنَف والإثم!

على أن هذه العبارة كلام الحميدي، والحميدي في زمن القاضي أبي يعلى، وأجمع أهل العلم على أن مراسيل المتأخرين لا يجوز الاحتجاج بها، فمن احتج بها فقد خالف الإجماع، هذا لو فرضنا أنه يدل على ذلك، فكيف وقد بينا معناه، ولله الحمد!

إذا تبين لك أن من أجاز الوقف على الأولاد والتفضيل لم يجد إلا حديث عمر، وقوله: ليس على من وَلِيَهُ جناح. وأن الموفَّق وغيره ردوا على من احتج به - تبين لك أن حديث عمر من أبين الأدلة على بطلان الوقف الجنف والإثم.

وأما قوله: لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ ذو مقدرة إلا وقف. فهل هذا

---

(١) فتح الباري (٥/ ٤٠٦) باب: إِذَا وَقَفَ أَرْضًا أَوْ بِئْرًا وَاشْتَرَطَ لِنَفْسِهِ مِثْلَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ. ولفظه: وَأَوْقَفَ أَنَسٌ دَارًا، فَكَانَ إِذَا قَدِمَهَا نَزَلَهَا. وَتَصَدَّقَ الزُّبَيْرُ بِدُورِهِ، وَقَالَ لِلْمَرْدُودَةِ مِنْ بَنَاتِهِ أَنْ تَسْكُنَ غَيْرَ مُضِرَّةٍ وَلاَ مُضَرٌّ بِهَا، فَإِنْ اسْتَغْنَتْ بِزَوْجٍ فَلَيْسَ لَهَا حَقٌّ. وَجَعَلَ ابْنُ عُمَرَ نَصِيبَهُ مِنْ دَارِ عُمَرَ سُكْنَى لِذَوِي الْحَاجَةِ مِنْ آلِ عَبْدِ اللَّهِ.

يدل على صحة وقف الجنف والإثم! وما مثله إلا كمن رأى رجلًا يصلي في أوقات النهي، فأنكر عليه، فقال: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ ويقول: إن أصحاب رسول الله ﷺ يصلون. أو يذكر فضل الصلاة! وكذلك مسألتنا إذا قلنا: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ وغير ذلك، أو قلنا: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث»[1] أو قلنا: إن النبي ﷺ غلَّظ القول فيمن تصدق بماله كله. أو قلنا: اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم. وادَّعَوْا علينا أن الصحابة وَقَفُوا، هل أنكرنا الوقف كأهل الكوفة حتى يحتج علينا بذلك!

وأما قول أحمد: مَن رَدَّ الوقف فكأنما رَدَّ السنة. فهذا حق، ومراده وقف رسول الله ﷺ وأصحابه، كما ذكره أحمد في كلامه، وأما وقف الإثم والجَنَف فَمَن رَدَّه فقد عمل بالسنة، ورَدَّ البدعة واتبع القرآن.

وأما قوله: إن في صدقة رسول الله ﷺ أن يأكل بالمعروف، وإن زيدًا وعمرًا سَكَنَا دارَيْهِمَا التي وَقَفَا. فيا سبحان الله، من أنكر هذا! وهذا كمن وقف مسجدًا وصلى فيه وذريته، أو وقف مِسْقَاة واستسقى منها وذريته.

وقول الخرقي: والظاهر أنه عن شرط، فكذلك. وهذا شرط صحيح، وعمل صحيح، كمن وقف داره على المسجد أو أبناء السبيل، أو استثنى سكناها مدة حياته، وكل هذا يردون به على أهل الكوفة، فإن هذا ليس من وقف الجنف والإثم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٢١) والنسائي (٣٦٤١) من حديث عمرو بن خارجة، والترمذي (٢١٢٠) والنسائي (٢١٢٠) وابن ماجه (٢٧١٣) من حديث أبي أمامة (٢٧١٣) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٧٢٠، ١٧٨٩).

وأما قوله: «**ابدأ بنفسك ثم بمن تعول**»[١] وقول: «**صدقتك على رحمك صدقة وصلة**»[٢] وقوله: «**ثم أدناك أدناك**»[٣] وأشباه ذلك، فكل هذا صحيح لا إشكال فيه، لكن لا يدل على تغيير حدود الله، فإذا قال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ وَقَفَ الإنسان على أولاده، ثم أخرج نسل الإناث محتجًّا بقوله: «**ثم أدناك أدناك**» أو صلة الرحم، فمثله كمثل رجل أراد أن يتزوج خالة أو عمة فقيرة، فتزوجها يريد الصلة، واحتج بتلك الأحاديث، فإن قال: إن الله حرم نكاح الخالات والعمات. قلنا: وحرم تعدي حدود الله التي حَدَّ في سورة النساء، قال: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ فإذا قال: الوقف ليس من هذا. قلنا: هذا مثل قوله: من تزوج خالته إذا تزوجها لفقرها ليس من هذا، فإذا كان عندكم بين المسألتين فرق فبينوه.

وأما قول عمر: إن حدث بي حادث أن ثَمْغًا صدقة. هذا يستدلون به على تعليق الوقف بالشرط، وبعض العلماء يبطله، فاستدلوا به على صحته.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٩٧) بلفظ: «**ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا**» يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك.
وأخرجه البخاري (١٤٢٧) ومسلم (١٠٣٤) بلفظ: «**أفضل الصدقة أو خير الصدقة عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول**».

(٢) أخرجه الترمذي (٦٥٨) والنسائي (٢٥٨٢) من حديث سلمان بن عامر. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٣٨٥٨).

(٣) أخرجه الطيالسي (١٢٥٧) والنسائي في الكبرى (٤/ ٧٠٣٨) وابن أبي شيبة (٢/ ٤٢٧) والبيهقي (٨/ ٣٤٥) من حديث ثعلبة بن زهدم. وأخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٢٦) من حديث أبي رمثة. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٨٠٧٦).

وأما القول بأن عمر وقفه على الورثة، فيا سبحان الله، كيف يكابرون النصوص، ووقف عمر وشرطه ومصارفه في ثَمْغٍ وغيرها معروفة مشهورة!

وأما قول عمر: إلا سهمي الذي بخيبر، أردت أن أتصدق بها[1]. فهذا دليل على أن أهل الكوفة كما قدمناه، فأين في هذا دليل على صحة هذا الوقف الملعون، الذي بطلانه أظهر من بطلان أصحابه بكثير.

وأما وقف حفصة الحلي على آل الخطاب، فيا سبحان الله، هل وقفت على ورثتها أو حَرَمَت أحدًا أعطاه الله، أو أعطت أحدًا حَرَمَه الله، أو استثنت غلبة مدة حياتها! فإذا وقف محمد بن سعود نخلًا على الضعيف من آل مقرن، أو مثل ذلك، هل أنكرنا هذا! وهذا وقف حفصة، فأين هذا مما نحن فيه!

وأما قولهم إن عمر وقف على ورثته، فإن كان المراد ولاية الوقف فهو صحيح، وليس مما نحن فيه، فإن كان مراد القائل أنه ظن أنه وقف يدل على صحة ما نحن فيه، فهذا كذب ظاهر ترده النقول الصحيحة في صفة وقف عمر.

وأما كون حفصة وقفت على أخ لها يهودي[2] فهو لا يرثها، ولا ننكر ذلك.

وأما كلام الحميدي فتقدم الكلام عنه.

**وسر المسألة**: أنك تفهم أن أهل الكوفة يبطلون الوقف على المساجد، وعلى

---

(١) أخرجه النسائي (٣٦٠٣) وابن ماجه (٢٣٩٧) من حديث ابن عُمَرَ قال: قال عُمَرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ الْمِائَةَ سَهْمٍ التي لي بِخَيْبَرَ لم أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَعْجَبَ إلي منها، قد أَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بها. فقال النبي ﷺ: «**احْبِسْ أَصْلَهَا وَسَبِّلْ ثَمَرَتَهَا**» وصححه الشيخ الألباني.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٦/ ٣٣) عن ابن عمر أن صفية بنة حُيَيٍّ أوصت لابن أخ لها يهودي.

الفقراء أو القرابات الذين لا يرثونهم، فردَّ عليهم أهل العلم بتلك الأدلة الصحيحة، ومسألتنا هي إبطال هذا الوقف الذي يغيّر حدود الله، وإيتاء حكم الجاهلية، وكل هذا ظاهر لا خفاء فيه، ولكن إذا كان الذي كتبه يفهم معناه، وأراد به التلبيس على الجهال كما فعل غيره، فالتلبيس يضمحل، وإن كان هذا قدر فهمه، وأنه ما فهم هذا الذي تعرفه العوام، فالخَلَف والخليفة على الله.

وأما ختمه الكلام بقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ فيا لها من كلمة، ما أجمعها! ووالله إن مسألتنا هذه من إنكارها، وقد أتانا رسول الله ﷺ بلزوم حدود الله والعدل بين الأولاد، ونهانا عن تغيير حدود الله والتحيل على محارم الله، وإذا قدَّرنا أن مراد صاحب هذا الوقف وجه الله لأجل من أفتاه بذلك، فقد نهانا رسول الله ﷺ عن البدع في دين الله ولو صحت نية فاعلها، فقال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[1] وفي لفظ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[2] هذا نص الذي قال الله فيه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ۚ﴾ وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ فمَن قَبِلَ ما آتاه الرسول، وانتهى عما نهى، وأطاعه ليهتدي، واتبعه ليكون محبوبًا عند الله، فَلْيُوقِفْ كما أوقَفَ رسول الله ﷺ وكما وَقَفَ عمر ﷺ، وكما وقفت حفصة وغيرهم من الصحابة وأهل العلم.

وأما هذا الوقف المُحْدَث الملعون المغيّر لحدود الله، فهذا الذي قال الله فيه بعدما حَدَّ المواريثَ والحقوقَ للأولاد والزوجات وغيرهم: ﴿تِلْكَ حُدُودُ

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).

ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ وقد علمتم ما قال الرسول فيمن أعتق سِتَّةً من العَبِيدَ وما رَدَّ وأبطَلَ مِن ذلك، فهو شبيه بمَن أوقف ماله كله خالصًا لوجه الله على مسجد أو صُوَّام أو غير ذلك، فكيف بما هو أعظم وأطَمُّ من هذه الأوقاف!

وأما قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ فوالله الذي لا إله إلا الله هو، إنَّ فِعْلَ الخير اتباعُ ما شرَع اللهُ، وتبطيلُ مَن غَيَّر حدودَ الله، والإنكارُ على من ابتدع في دين الله، هذا هو فعل الخير المعلَّق به الفلاح، خصوصًا مع قوله ﷺ: «**وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة**»[١] وقوله: «**لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل**»[٢] وقوله: «**لعن الله اليهود؛ حُرِّمَت عليهم الشحوم، فجَمَلُوها فباعوها وأكلوا ثمنها**»[٣].

فليتأمل اللبيب الخالي عن التعصب والهوى، الذي يعرف أن وراءه جنة ونارًا، الذي يعلم أن الله يطلع على خفيات الضمير - هذه النصوص ويفهمها فهمًا جيدًا، ثم يُنَزِّلُهَا على مسألة وقف الجَنَف والإثم، ثم يتبين له الحق، إن شاء الله. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

هذا آخر ما ذكره الشيخ رحمه الله، في الرد على من أجاز الوقف الجنف، وبيان

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٥٤٩).

(٢) أخرجه ابن بطة في إبطال الحيل (١/ ٤٧) وحسنه الشيخ الألباني في صفة الفتوى.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦٠) ومسلم (١٥٨٢).

الوقف الصحيح الموافق لما فعله أصحاب رسول الله ﷺ.

وأما قول عدو الله ابن سحيم في تشنيعه على الشيخ رحمه الله، إنه أحرق «دلائل الخيرات» لأجل قوله: اللهم صلِّ على سيدنا ومولانا. فهذا من الكذب والزور، وقد أجاب الشيخ رحمه الله، عن هذا في بعض رسائله بقوله:

وأما «دلائل الخيرات»؛ فلذلك سبب، وذلك أني أشرت على مَن قَبِلَ نصيحتي من إخواني ألا يصير في قلبه أَجَلُّ من كتاب الله، ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن.

وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان؛ فهذا من البهتان.

وأما قوله: وأحرق أيضًا «روض الرياحين» وسماه «روض الشياطين»؛ فهذا من الكذب والزور المبين.

وأما إنكار الشيخ رحمه الله، فيه ما خالف الكتاب والسنة، وأنكره غيره من علماء المسلمين مِن تُرَّهَات الصوفية وشَطَحَاتهم التي تخالف السنة المحمدية، وتَمُجُّهَ الطباع التي سَلِمَت من العصبية، وتَنْفِر عنه الأسماع التي هي عن وقر الباطل خلية، فأين الغارة لله تعالى والغضبية؟ وأين النصرة لسنة نبيه والحمية، عند سماع مثل بعض الحكايات الردية؟ كما ذكر في بيع الجنة وغرفها العَلية، عند الحكاية السادسة والستين والأربعمائة، وفي غيرها، مثل كون الولي يجر على مركب في الهوى من الذهب، مثل قول بعضهم إن البرَّ في يمينه والبحر في شماله، فهذا مقام الربوبية بلا خفاء ولا إشكال، وليس وراءه ضلال، ودعوى بعضهم العروج إلى السماء بالأرواح كل حين، وعلمهم بما سيقع من الغيب في العالمين، وأمثال هذه الحكايات، وأشكال هذه التزاوير والخرافات، الصادرة

ممن لم يكن له إلى منهاج السنة التفات، ولم يبال بما وقع فيه من الهلكات، وما صدر منه على منصب الشرع من الجنايات، وما أتى به من البهتان والزور، مما تضيق عند سماعه القلوب والصدور ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ ولو لم يكن فيه إلا ما ذكره في خاتمة ذلك الكتاب، من ذلك الكلام الذي هو هتك للشريعة من غير ارتياب، وسلوك للغي من كل باب، مثل ما ذكر عن بعضهم من ترك الصلاة وكشف العورات بحضرة الناس، وكون هذا في العذر له وجه التماس، كما جرى لموسى مع الخضر، حسبما في القرآن قد ذُكِر، فقد ذكر كافة العلماء أن من ادعى أنه يَسَعُهُ الخروج عن الشريعة الغراء فقد أتى ضلالًا وكفرًا، وأن تلك الدعوى تُصَيِّرُهُ مرتدًّا، فيقيم عليه أهل الحق حدًّا، حتى يرجع عما خرق به الدين وتَعَدَّى.

وأما قوله: ومن أعظمها أن من لم يوافقه في كل ما قال، ويشهد أن ذلك حق، يقطع بكفره، ومن وافقه وصدقه في كل ما قال قال: أنت مُوَحِّد، ولو كان فاسقًا محضًا أو مَكَّاسًا، وبهذا ظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله.

فمراده بذلك أن من وافق الشيخ على توحيد الله وتبرأ من عبادة الأوثان؛ تاج وشمسان وإدريس وقريوه والمغربي، وتبرأ من الشرك وأهله، سمَّاه مُوَحِّدًا، ومن لم يوافقه على توحيد الله وإخلاص العبادة له بجميع أنواعها، واستمر على عبادة المخلوقين مع الله، وسب دين الله الذي يدعو إليه هذا الشيخ، يقطع بكفره. وهذا الخبيث وأشباهه لا يعرفون الشرك في العبادة، ويظنون أن المشرك إذا جعل الإنسان مخلوقًا مع الله في التدبير والملك والإحياء والإماتة والنفع والضر. وأما كونه يجعل المخلوقين وسائط بينه وبين الله، يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وقَصْدُهُ بذلك التقربُ بهم

إلى الله، وطلب شفاعتهم، فهذا عند هؤلاء المشركين من أعظم القربات، وأفضل الطاعات، ومَن أنكر هذا كَفَّرُوه وبَدَّعُوه وخَرَّجُوه، ونَسَبُوه إلى السفه والضلال، كما فعل إخوانهم من المشركين، حيث حكى الله عنهم أنهم قالوا لنوح عليه السلام، حين أمرهم بالتوحيد وإخلاص الدعوة لله: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وقال قوم هود لهود عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ إلى قوله: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وأما قوله: من وافقه في كل ما قال قال: أنت مُوَحِّد. ولو كان فاسقًا أو مَكَّاسًا.

فمراده بذلك أن من وافقه على إخلاص العبادة والدعوة لله، وتاب وأناب إلى الله مما كان يفعله من الشرك بالله، ودعوة الصالحين وغيرهم من الأحياء والأموات، وعرف معنى قوله «لا إله إلا الله» وأنها نفي وإثبات، فشطرها الأول نفي الإلهية مطلقًا، والثاني إثباتها لله دون ما سواه من أهل السموات والأرض، ومن الأحياء والأموات - سماه مؤمنًا مُوَحِّدًا، ولو كان فاسقًا أو مَكَّاسًا، وهو صادق في ذلك.

وذلك أن الإنسان إذا عرَف التوحيد، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، صدقًا من قلبه، والتزم مضمون هاتين الشهادتين، فهو عند الشيخ رحمه الله، مؤمن مُوَحِّد، ولو كان فاسقًا أو مَكَّاسًا، وكذلك عند سائر العلماء من أهل السنة والجماعة، وذلك أن الإنسان إذا دخل في الإسلام وحُكِمَ بإسلامه، لا يُخْرِجُهُ من الإسلام ما يَفْعَلُهُ من الكبائر، كالسرقة والزنا وشرب المسكر وأخذ الأموال ظلمًا وعدوانًا، وإنما يُخْرِجُهُ من الإسلام إلى الكفر هو الشركُ بالله، وإنكار ما جاء به الرسول من الدين بعد معرفته بذلك وإقامة الحجة

عليه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فثبت بهذه الآية المُحْكَمَة أن جميع الذنوب، ما خلا الشرك بالله، معلَّقة بالمشيئة؛ قد يغفرها لمن يشاء من عباده، وأن الشرك بالله لا يغفره إلا بالتوبة، ومن مات عليه فهو من أهل النار المخلَّد فيها، ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم، ولا ينفع مع الشرك بالله عملٌ البتة، ولكن هذا الرجل وأشباهه لا يعرفون إلا ظلم الأموال والمعاصي.

وأما ظلم الشرك الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وقال فيه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لما سئل: أي الذنب أعظم؟: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»[1][2].

وأما قوله: ومنها: إبطاله الجَعَالة على الحج.

فهذه مسألة فيها اختلاف بين العلماء، والذي يبطله الشيخ ﷺ، من ذلك ما أبطَلَه غيرُه من علماء المسلمين؛ وهو أنه لا يَحُجُّ إلا لأن يُعْطَى أجرةً أو جُعْلًا على ذلك، فهذا عمله باطل، ولا ثواب له في الآخرة؛ لأنه قصد بعمله الدنيا،

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٧) ومسلم (٨٦).

(٢) ستأتي رسالة الشيخ محمد إلى أهل الرياض ومنفوحة، وفيها: «.. أما في هذا ما يدل على جهالتهم وضلالتهم، إذا رأوا من يُعلم الشيوخ، وصبيانهم أو البدو، شهادة أن لا إله إلا الله، قالوا: لو قالوا لهم يتركون الحرام; وهذا من أعظم جهلهم، فإنهم لا يعرفون إلا ظلم الأموال، وأما ظلم الشرك فلا يعرفونه، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. وأين الظلم الذي إذا تكلم الإنسان بكلمة منه، أو مدح الطواغيت، أو جادل عنهم، خرج من الإسلام، ولو كان صائما قائما؟ من الظلم الذي لا يُخرج من الإسلام؟ بل: إما أن يؤدي إلى صاحبه بالقصاص، وإما أن يغفره الله، فبين الموضعين فرق عظيم». وانظرها أيضًا في: «الدرر السنية» (١٠ / ٥٥ - ٥٦).

ومن قصد بعمله الذي يُبْتَغَى به وجه اللهِ الدنيا فليس له في الآخرة من نصيب.

وصح في «الشرح الكبير» و«المغني» أنه لا يجوز الاستئجار للحج، قالا: وهو مذهب أبي حنيفة وإسحاق؛ لأنها عبادة يَخْتَصُّ فاعلها أن يكون من أهل القربة، فلم يجز أخذ الأجرة عليها كالصلاة[1].

قال الشيخ تقي الدين، رَحِمَهُ اللهُ: والمستحب أن يأخذ الحاج من غيره لِيَحُجَّ، لا أن يَحُجَّ ليأخذ، ومثله كرزق أُخِذَ على عمل صالح يفرق بين من قصد الدين، والدنيا وسيلة، والأشبه أن عكسه ليس له في الآخرة من نصيب، والأعمال التي يختص فاعلها أن يكون من أهل القربة، هل يجوز إيقاعها على غير وجه القربة؟ فمن قال: لا يجوز ذلك. لم يُجِزْ الإجارة عليها؛ لأنها بالعِوَضِ تقع غير قربة، وإنما الأعمال بالنيات، والله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أُرِيدَ به وجهه. ومن جوَّز الإجارة جوَّز إيقاعها على غير وجه القربة وقال: تجوز الإجارة عليها؛ لما فيها من نفع المستأجر. انتهى، ذكره عنه في «الاختيارات»[2] فهذه الذي ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، لمن استفتاه في الجَعَالة على الحج.

وأما قوله: إنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة، فهو صادق في ذلك، وإنما تركه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، لأنه من البدع المُحْدَثَة، وقد كره جمع من المالكية وغيرهم ذلك، وقالوا إنه من البدع المنكرة، ولم يستحب ذلك أحد من أئمة الدين.

وأما قوله: وأبطل الصلاة على رسول الله ﷺ في يوم الجمعة وليلتها.

فهذا الكلام مع بشاعة لفظه فيه إيهام وإبهام، وتشنيع بظاهره عند العوام، وتنفير لهم عن توحيد الملك العلام؛ فإن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، لم يَنْهَ عن ذلك ولم

---

(١) المغني (٣/ ٩٣) والشرح الكبير (٦/ ٦٣).

(٢) الاختيارات الفقهية (١/ ٤٩٢).

يُبْطِلُهُ، إلا الفعل الذي يُفْعَل في كثير من البلدان، وقد أبطله جماعة قبله من الأعيان[١]، وأنكره جمع من نُقَّاد هذا الشأن، وقالوا: لا يُتَقَرَّب به إلى الله تعالى ولا يُدَان؛ لأنه بدعة محضة أظهرها في مقام العبادةِ الشيطانُ، وأُشْرِبَ حُبَّهَا مَن هو في الحماقة والتعصب كالولدان، فخير الهدي هدي الرسول، وما ورد عن خلفائه مقبول، وما حدث بعد القرن السابع وكان بعده متواليًا متتابعًا، حتى صيّر واتخذ دينًا ومنهجًا جاء به الشارع، وكان للنفوس إليه أعظم داعٍ ووازع، فلا يسوغ لذوي العقول، من حملة الشرع وممارسي المنقول، أن يسكتوا عنه فلا ينتهروا صاحبه ولا يزجروه، ولا يزيلوه فورًا ويغيروه، ولا يعترضوه وينكروه، فضلًا عن كونهم يرتضون فعله، ويُقِرُّون أربابه وأهله.

وليت من دان الله تعالى به، عرَف دِينَ مَن أَصَّله ووَضَعَه، حتى يعترض على من أنكره ومنعه، فقد ذكر السيوطي في كتاب «الوسائل إلى معرفة الأوائل»[٢] أن أول ما حدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها، بعد السبعمائة، في زمن الناصر بن قلاوون، ولا شك أن ما كان من الدين إذ ذاك متخذًا مجعول، ومؤسسًا شرعه منحول، ليس مأخوذًا به ولا معمول، أما يخاف مُغْتَرٌّ مِن شؤم ذنبه وسخطه، لمولاه وربه في توسله وتوصله إليه وقربه، بعملٍ لم يشرعه سبحانه

---

(١) قال الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في رسالته التي كتبها عند دخولهم مكة مع الإمام سعود، عام ١٢١٨هـ: «فمن البدع المذمومة التي ننهي عنها: رفع الصوت في مواضع الأذان بغير الأذان، سواء كان آيات، أو صلاة على النبي ﷺ، أو ذكر غير ذلك بعد أذان، أو في ليلة الجمعة، أو رمضان، أو العيدين، فكل ذلك بدعة مذمومة. وقد أبطلنا ما كان مألوفًا بمكة، من التذكير، والترحيم، ونحوه، واعترف علماء المذاهب أنه بدعة». «الدرر السنية» (١ / ٢٣٧).

(٢) ص ٢٦ .

ولم يأذن به؟ فويل لمن يحرف الكلم عن مواضعه، وينتحل في الدين ما ليس واضعه، ويحسن ذلك في مواقعه، ويضلل من قام حسبة لله في تهيئة موانعه؟ ما جوابه إذا قام بين يدي مولاه، فيما أسداه من الدين وأبداه، وزاد على ما جاء به الرسول وأتاه؟ أَظَنَّ أن تأسيس دينه ناقص فكَمَّلَه؟ ومُحَيَّاه قبيح فحَسَّنَه وجَمَّلَه؟ نعوذ بالله مما تقوله الغلاة، ونسأله أن يجنبنا طريق الغواة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وليعلم القارئ لهذا الكتاب، والواقف على هذا الخطاب، أن خلاصة البيان عن ذلك في الجواب، أن الذي أنكره من غير شك ولا ارتياب، هو ما يُفعل في غالب الأمصار، ويُعمل في كثير من الأقطار، لا سيما الحرمين، كما صح بالمشاهدة والأخبار، وذلك أن يصعد ثلاثة أو أكثر على رؤوس المنابر، ويقرأون آيات من القرآن، ويصلون على النبي بأرفع صوت وإعلان، ويأتون بقبيح الألحان، وأصوات تحاكي غناء القِيان، ويمططون آيات الله الكريمة، ويغيرون حرمة أسمائه العظيمة، وينقلونها من معناها إلى معنى، وكفى بهذا إثمًا ووهنًا، وتغييرًا لما أراد الله بأسمائه وصفاته، لقد خَسِرَ واللهِ مَن ضَلَّ سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعًا.

وأما قوله: ومنها أنه يقول إن الذي يأخذه القضاة، قديمًا وحديثًا، إذا قَضَوا بالحق بين الخصمين، ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة، أن ذلك رشوة، وهذا قول يخالف المنصوص عن جميع الأمة أن الرشوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل، وأن للقاضي أن يقول: لا أحكم بينكم إلا بجُعْلٍ.

فقد تقدم جواب الشيخ، رحمه الله تعالى، عن ذلك في فصل ذكر المسائل، في المسألة السادسة، حين سئل عن ذلك، فأجاب وأجاد، وأصاب في ذلك منهج السداد، فَلْيُرَاجَعْ في محله.

وقول هذا الجاهل الغبي: إن الرشوة ما أخذ لإبطال حق.. إلى آخره، وقوله: إن هذا هو نص جميع الأمة، فهذا لا يشك عاقل، فضلًا عن عارف فاضل، أنها دعوى مردودة قبيحة، وحجة واهية فضيحة، لا تصدر ممن له في أدنى العلوم ممارسة، ومذاكرة ومدارسة، فالكتب من المذاهب الأربعة مصرحة، بضد ما اختلقه ووضعه، والخلاف فيها عنهم مُسَطَّر، والنزاع مُحَرَّر فيها ومُقَرَّر، ومحل الخلاف المسطور، والنزاع المقرر المشهور، فيما إذا أخذ مِن كِلَا الخصمين، وكانا في المأخوذ منهما مستويين، لا يزيد منهما أحد على أحد، فيما دَفَع إليه ونَقَد، ولم يكن القضاء متعينًا عليه، وإلا فلا شك في حرمة ما دفع إليه، وأن يكون فقيرًا محتاجًا، وإلا فلا يسلك لذلك فجاجًا، وألا يضر ذلك بالخصوم، وإلا فالاتفاق على كونه رشوة من المعلوم، وأن يأذن له في الأخذ السلطان، وأن يمنعه القضاء عن التكسب في ذلك الزمان، وأن يكون ذلك بقدر الحاجة، كما وضح المجيز لذلك منهاجه، وألا يزيد على أجرة العمل، كما اشترطه من أباحه ونقل، وألا يوجد متطوع بالقضا، وأن يكون لكل من الخصمين بما دَفَع رِضَا؛ إذ لا يحل مال امرئ بغير طيب نفس، وإن لم يكن فلا ريب أنه نجس.

هذه المسألة هي محل النزاع، وما سوى ذلك فهو محرم بالإجماع، وقد سد، ولله الحمد، أصحاب مالك، جميع تلك المناهج والمسالك، ولم يجيزوا للقاضي أخذ شيء أصلًا، ولم يأذنوا أن ينتهج لذلك سبلًا، وعباراتهم في الكتب المحررة الصحيحة، وافية بالمراد صريحة.

ونص «التبصرة» لابن فرحون الإمام، تُبين مناهج الأحكام: ويلزم القاضي أمور، منها أنه لا يقبل الهدية ولو كافأ عليها أضعافها، إلا من خواص القرابة، كالولد والوالد والعمة والخالة وبنت الأخ؛ لأن الهدية تورث إدلال المهدي

وإغضاء المُهْدَى إليه، وفي ذلك ضرر القاضي ودخول الفساد عليه، وقيل إن الهدية تطفئ نور الحكمة.

وقال ربيعة: إياك والهدية؛ فإنها ذريعة الرشوة.

وأجاز أشهب قبولها من غير الخصمين، إذا كان صديقًا، وكافأه عليها، أو كان قريبًا.

وقال سُحْنُون: لا يقبلها إلا من ذي رحم.

ولابن سحنون عن مالك: لا ينبغي لأمير ولا لِعَامِلِ صدقةٍ أن ينزل على أحد من أهل عمله، ولا يقبل له هدية ولا منفعة.

قال ابن حبيب: لم تختلف العلماء في كراهة الهدية للسلطان الأكبر، وإلى القضاة والعمال وجُبَاة المال، وهذا قول مالك ومَن قَبْلَه من أهل العلم والسنة، وكان النبي ﷺ يقبل الهدية، وهذا من خواصه، والنبي ﷺ معصوم مما يُتقى على غيره منها.

ولما ردَّ عمر بن عبد العزيز الهدية، قيل له: كان النبي ﷺ يقبلها! فقال: كانت له هدية، ولنا رشوة.

وقال ﷺ: «**يأتي على الناس زمان يُستحل فيه السُحت بالهدية**»[1].

وقال ابن عبد الغفور: وما أهدي إلى الفقيه، رجاء العون على خصمه، أو في مسألة تُعْرَضُ عنده رجاء قضاء حاجته، على خلاف المعمول به، فلا يحل له قبولها، وهي رشوة يأخذها، وكذلك إذا تنازع عنده خصمان، فأهدَيَا إليه

(١) ذكره الغزالي في الإحياء (٢/ ١٥٦) ولا أصل له، وانظر الأحاديث التي في الإحياء ولم يجد لها السبكي أصلا (طبقات الشافعية ٦/ ٣١٤).

جميعًا، أو أحدهما، يرجو كل واحد منهما أن يعينه في حجته، أو عند حاكم إذا كان ممن يَسمَع، فلا يحل له الأخذ منهما ولا من أحدهما.

قال ابن فرحون: وأرزاق الأعوان، الذين يوجههم الإمام في مصالح الناس، ورفع المدعي عليه، وغير ذلك، تكون من بيت المال، كالحكم في أرزاق القضاة، ولا ينبغي للقاضي أن يجعل لهم شيئًا في أموال المسلمين، وإذا كان لهم رزق من بيت المال فلا يجوز لهم أخذ شيء على القضايا التي يُبْعَثُون فيها، كما لا يجوز للقضاة أخذ شيء، فإن لم يُصْرَف لهم شيء من بيت المال دفع القاضي للطالب طابعًا يَرْفَع به الخصم إلى مجلس الحكم، فإن لم يرتفع واضطر إلى الأعوان، فليجعل القاضي لهم شيئًا من رزقه، إذا أمكنه وقوي عليه؛ إذ دفع المطلوب مما يلزمه، فإن عجز عن ذلك فأحسَنُ الوجوه أن يكون الطالب هو المستأجر على النهوض في إحضار المطلوب ودفعه، فيتفق مع العَوِين على ذلك بما يراه، إلا أن يتبين لرد الجواب بالطالب، وأنه امتنع من الحضور بعد أن دعاه، فإن أجرة العَوِين الذي يحضره على المطلوب. انتهى المقصود منه. ونحو هذا عبارة متأخري مذهبهم، مثل خليل وشراحه، فإنها صريحة في ذلك.

فانظر، رحمك الله، إلى كلام هؤلاء الأئمة، وتغليظهم في هذا الأمر هذا التغليظ، وسدهم الباب على القاضي أن يأخذ شيئًا من الخصمين، أو أحدهما، سواء كان له في بيت المال رزق أو لم يكن، وسواء كان غنيًّا أو فقيرًا.

وقد حرم ذلك مطلقًا أيضًا من أصحاب الشافعيِّ: الزركشيُّ صاحب «المنهاج»، كالسبكي، وشريح الروياني.

واشترط الماوردي من أصحاب الشافعي لجواز الأخذ من الخصمين عشرة شروط:

**أحدها**: أن يكون فقيرًا.

**ثانيها**: أن يقطعه النظر عن كسبه.

**ثالثها**: أن يكون أجره على الخصمين معًا بالسوية بينهما؛ لأنه لو أخذه أو الأكثر من أحدهما تطرقت إليه التهمة والريبة.

**رابعها**: أن يأذن له السلطان في الأخذ، فإن لم يأذن امتنع عليه.

**خامسها**: ألا يوجد متطوع بالقضاء، فإن وجد امتنع الأخذ؛ لأنه لا ضرورة إليه.

**سادسها**: أن يعجز الإمام عن القيام برزقه من بيت المال، فمتى أمكن الإمام القيام به من بيت المال لم يجز له أن يأخذ شيئًا منهما.

**سابعها**: أن يكون ما يأخذه غير مُضِرٍّ بالخصمين، فمتى أضرَّ بهما المأخوذ لم يجز له أن يأخذ شيئًا منهما.

**ثامنها**: أن يكون المأخوذ بقدر حاجته، أي الناجزة حال الحكومة فيما يظهر. وقال غير الماوردي: ألا يزيد على أجرة عمله. قال بعضهم: والظاهر أن كل منهما شرط. انتهى.

**تاسعها**: أن يُعْلِمَ الخصمين قبل التحاكم إليه أن من عادته الأخذ من الخصوم، فإن لم يعلما ذلك إلا بعد الحكم لم يجز له أن يأخذ شيئًا منهما ولا من أحدهما شيئًا.

**عاشرها**: أن يكون قدر المأخوذ معلومًا يتساوى فيه الخصوم، وإن تفاضلوا في المطلب، فإن فاضل بينهم لم يجز، إلا أن يتفاضلوا في الزمان(١).

---

(١) الحاوي الكبير (١٦/ ٢٩٣ - ٢٩٤).

ثم قال بعد كلام: فمن أراد السلامة لدينه، والخلاص من ورطة هذا الخلاف، وهذه التشديدات العظيمة، فليترك القضاء، أو يتطوع به، والله سبحانه يرزقه من حيث لا يحتسب، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وأما من يتولى القضاء ليتأثَّلَ به الأموال على اختلاف أنواعها، فهو الذي أخبر عنه ﷺ أنه في النار، وبأنه ذُبِحَ بغير سكين، وبغير ذلك من المصائب التي تلحقه في الدنيا والآخرة ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. انتهى ما ذكره الماوردي رحمه الله، نقله ابن حجر في فتاويه[١].

وقال في «الإنصاف» للحنابلة: إذا لم يكن له ما يكفيه ففي جواز أخذه من الخصمين وجهان، وأطلقهما في «الفروع» و«الرعاية الكبرى» و«الحاوي الصغير»: أحدهما يجوز. والثاني لا يجوز. اختاره في «الرعايتين» و«النظم». قلتُ: وهو الصواب أيضًا في باب أدب القاضي: الرشوة ما يعطى بعد طلبه، والهدية الدفع إليه ابتداءً، قاله في «الترغيب» ذكره عنه في «الفروع» في باب حكم الأرَضين المغنومة.

قال أحمد رحمه الله، فيمن ولي شيئًا من أمر السلطان: لا أجيز له أن يقبل شيئًا - يرى هدايا الأمراء غلولًا، والحاكم خاصة - لا أجيز له إلا ممن كان له به خلطة ووصلة ومكافأة قبل أن يلي[٢]. انتهى.

وروى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: مَن شَفَع لرجل ليدفع عنه مظلمة، ويرد عليه حقًّا، فأهدي له هدية، فقبلها، فذاك السحت.

---

(١) الفتاوى الفقهية الكبرى (٤/ ٣٢١).

(٢) مطالب أولي النهى (٦/ ٤٨١).

فقلنا: يا أبا عبد الرحمن، إنا كنا نَعُدُّ السحت الرشوةَ في الحكم! فقال عبد الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(١).

وروى أيضًا في تفسيره بإسناده عن مسروق قال: القاضي إذا أكل الهدية فقد أكل السحت، وإذا قبل الرشوة بلغت به الكفر(٢).

وروى أبو حيان في تفسيره أن أبا حنيفة قال: إذا ارتشى الحاكم يُعْزَل(٣).

قال أبو حيان: ومن أعظم السحت الرِّشَا في الحكم، وهي المشار إليها في قوله: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ قال الحسن: كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة، جعلها في كمه، فأراه إياها، فتكلم بحاجته، فيسمع منه، ولا ينظر إلى خصمه، فيأكل الرشوة ويسمع الكذب(٤). انتهى.

وأما قوله: ومنها أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمّي عليها ويجعلها لله تعالى، ويُدخل مع ذلك دفع شر الجن، ويقول: ذلك كفر، واللحم حرام. والذي ذكره العلماء في ذلك أنه يُنهى عنه فقط. ذكره في «حاشية المنتهى».

والذي ذكره الشيخ رحمه الله، في الذبح للجن، أو غيرهم، أنه كفرٌ يكفر به المسلم إذا ذبحه تعظيمًا له وتقربًا إليه، وإرادة أن يدفع عنه السوء والمكروه الذي جعل به، وقد نصَّ العلماء، رحمهم الله، على أن ذلك كفر وردَّة.

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» في باب تحريم الذبح لغير الله: قوله ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»(٥) أما الذبح لغير الله تعالى فالمراد به أن يذبح باسم

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٣٤).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٣٥).
(٣) البحر المحيط (٣/ ٥٠١).
(٤) البحر المحيط (٣/ ٥٠١).
(٥) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

غير الله تعالى، كمن ذبح للصليب، أو للصنم، أو لموسى أو عيسى، صلى الله عليهما وسلم، أو للكعبة، ونحو ذلك؛ فكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة، سواء كان الذابح مسلمًا أو نصرانيًّا أو يهوديًّا، نصَّ عليه الشافعي، واتفق عليه أصحابُنا، فإن قَصَدَ بذلك تعظيمَ المذبوح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفرًا، فإن كان الذابح مسلمًا قبل ذلك صار بالذبح مرتدًّا[1]. انتهى.

وقد قال الشيخ تقي الدين في «اقتضاء الصراط المستقيم» في الكلام على قوله تعالى ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾: ظاهره أن ما ذُبِحَ لغير الله تعالى، سواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم وقال فيه: باسم المسيح. ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه: باسم الله. فإن عبادة الله تعالى له بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، والعبادة لغير الله أعظم كفرًا من الاستعانة بغير الله، فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه لحرم، وإن قال فيه: باسم الله. كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدِّين، لا تباح ذبيحتهم، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن[2]. انتهى كلامه.

فانظر، رحمك الله، كيف صرح هذا الإمام بأن الذبح للجن كفر ورِدَّة عن الإسلام، وأن الذبيحة تَحْرُمُ ولو سمَّى اللهَ عليها؛ لأنها تصير ذبيحة مرتد. وكذلك تصريح الإمام النووي رحمه الله، بأن الذابح إذا قصد تعظيمَ المذبوح له والعبادةَ له كان ذلك كفرًا، وإن كان مسلمًا قبل ذلك صار بالذبح مرتدًّا. ولا

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (٦/ ٤٧٥).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٦٤ - ٦٥).

يخالف في ذلك أحد من أئمة الإسلام، بل كلهم مجمعون على ذلك، وهذا هو الذي يقول الشيخ رحمه الله، أنه كفر وردة؛ إذا ذبح للجن تقربًا إليهم، وقَصْدُهُ بذلك أن يُبْرِئَ مريضه من شكواه.

ومن العجب أن ذلك يُفْعَل في بلدان العارض وغيرها، لا ينكره أحد من علمائهم على من فعله، بل منهم من يفتي الجهال بذلك ويقول: اذبحوا على هذا الصبي، أو هذا المريض، ذبيحة سوداء للجن، ولا تسموا عليها. وقَصْدُهُ بذلك أن الجن يُزِيلُون ذلك المرض إذا ذُبِحَت لهم تلك الذبيحة، فلما أظهر الله هذا الشيخ، ونهى عن ذلك، وبلَّغ الناسَ كلامَ الله وكلامَ رسوله وكلامَ أهل العلم؛ أن ذلك كفر وردة، ينكر ذلك عليه من يزعم أنه من العلماء، فهل يشك أحد من العلماء أن ذلك كفر وشرك وعبادة للجن؟ نعوذ بالله من الطبع على القلب! وأما من ذبح مخلصًا لله في ذلك النية، وقصده بذلك أن يبرئ الله مريضه، فهذا عمل خالص لله، لا ينكره مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، فضلًا عن أن يجعله كفرًا وردة، ولكن هذا الخبيث يفتري الكذب الظاهر على الشيخ رحمه الله، عداوة منه لدين الله ورسوله، وحنقًا وحسدًا لهذا الشيخ وأتباعه؛ أن خَصَّهم الله بهذه الفضيلة وهذه النعمة والمنحة الجسيمة، ومراده بذلك إطفاء هذا النور بالكذب والزور والفجور ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

**فصل: ومنها رسالة كتبها الشيخ رحمه الله، إلى سليمان بن سحيم، صاحب تلك الرسالة التي شنَّع بها على الشيخ، المتقدمة قبل ذلك وجوابها، وكان الشيخ رحمه الله، قد راسله وتلطف له قبل ذلك، فلما تبين للشيخ أنه معاند للحق والإيمان، ومن أعوان أهل الشرك والطغيان، كتب له هذه الرسالة، وهذا نص الرسالة:**

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي يعلم به سليمان بن سحيم أنك أزعجتَ قرطاسةً فيها عجائب، فإن كان

هذا قدر فهمك فهذا من أفسد الأفهام، وإن كنت تلبِّس به على الجهال فلا أنت برابح، وقبل الجواب نذكر لك أنك أنت وأباك مصرحون بالكفر والشرك والنفاق، ولكن صائر لكم عند خمامة في معكال قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء، ونداريكم ودنا أن الله يهديكم ويهديهم، وأنت إلى الآن، أنت وأبوك لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله، أنا أشهد بهذا، شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة، أنك لا تعرفها إلى الآن ولا أبوك، ونكشف لك هذا كشفًا بينًا لعلك تتوب إلى الله وتدخل في دين الإسلام، إن هداك الله، وإلا تبين لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر حالكما، والصلاة وراءكما، وقبول شهادتكما، وخطؤكما، ووجوب عداوتكما، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وأكشف ذلك بوجوه:

**الأول**: أنكم تقرون أن الذي يأتيكم من عندنا هو الحق، وأنت تشهد به ليلًا ونهارًا، وإن جَحَدْتَ هذا شَهِدَ عليك الرجال والنساء، ثم مع هذه الشهادة أن هذا دين الله، أنت وأبوك مجتهدان في عداوة هذا الدين ليلًا ونهارًا، ومن أطاعكما، وتَبْهَتُون، وتَرْمُون المؤمنين بالبهتان العظيم، وتصورون على الناس الأكاذيب الكبار، فكيف تشهد أن هذا دين الله ثم تتبين في عداوة من تبعه؟

**الوجه الثاني**: أنك تقول إني أعرف التوحيد، وتقر أن من جعل الصالحين وسائط فهو كافر، والناس يشهدون عليك أنك تروح للمولد، وتقرأه لهم، وتحضرهم وهم ينخون، ويَنْدُبُون مشايخهم، ويطلبون منهم الغوث والمدد، وتأكل اللُقَم من الطعام المُعَدِّ لذلك، فإذا كنت تعرف أن هذا كفر فكيف تروح لهم وتعاونهم عليه وتحضر كفرهم؟

**الوجه الثالث**: أن تعليقهم التمائم من الشرك بنص رسول الله ﷺ[١] وقد ذكر تعليق التمائم صاحب «الإقناع» في أول الجنائز[٢] وأنت تكتب الحُجُب، وتأخذ عليها شرطًا، حتى أنك كتبت لامرأة حجابًا لعلها تحبل، وشَرَطَت لك أحمرين[٣]، وطالبتها تريد الأحمرين، فكيف تقول إني أعرف التوحيد وأنت تفعل هذه الأفاعيل؟ وإن أنكرت فالناس يشهدون عليك بهذا.

**الوجه الرابع**: أنك تكتب في حجبك طلاسم، وقد ذكر في «الإقناع» أنها من السحر[٤] والسحر يكفر صاحبه، فكيف تفهم التوحيد وأنت تكتب الطلاسم! وإن جحدت فهذا خط يدك موجود.

**الوجه الخامس**: أن الناس فيما مضى عبدوا الطواغيت عبادة ملأت الأرض بهذا الذي تقر أنه من الشرك، ينخونهم ويندبونهم ويجعلونها وسائط، وأنت وأبوك تقولان: نعرف هذا، لكن ما سألونا؟ فإذا كنتم تعرفونه كيف يحل لكم أن تتركا الناس يكفرون، ما تنصحانهم ولو ما سألوكم؟

**الوجه السادس**: أنا لما أنكرنا عبادة غير الله بالَغْتُم في عداوة هذا الأمر وإنكاره، وزعمتم أنه مذهب خامس، وأنه باطل، وإن أنكرتما فالناس يشهدون عليكم بذلك، وأنتم مجاهرون به، فكيف تقولون: هذا كفر ولكن ما سألونا عنه؟ فإذا قام من يبين للناس التوحيد قلتم إنه مغيِّر الدين وآتٍ بمذهب خامس؟ فإذا كنتَ تعرف التوحيد وتقر أن كلامي هذا حق؛ فكيف تجعله تغييرًا لدين الله

---

(١) أخرجه الإمام احمد (٤/ ١٥٦) من حديث عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ قال: «**من علق تميمة فقد أشرك**» وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٣٩٤).

(٢) الإقناع (١/ ٢١٠).

(٣) نقد يُتعامل به في زمانهم.

(٤) الإقناع (٤/ ٣٠٨).

وتشكونا عند أهل الحرمين؟

والأمور التي تدل على أنك أنت وأباك لا تعرفان شهادة أن لا إله إلا الله لا تُحصر، لكن ذكرنا الأمور التي لا تقدر تنكرها، وليتك تفعل فعل المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾؛ لأنهم يخفون نفاقهم، وأنت وأبوك تظهران للخاص والعام.

وأما الدليل على أنك رجل معاند ضالٌّ، على علم، مختارٌ الكفرَ على الإسلام، فمن وجوه:

**الأول**: أني كتبتُ ورقة لابن صالح من سنتين فيها تكفير الطواغيت شمسان وأمثاله، وذكرتُ فيها كلام الله ورسوله، وبينتُ الأدلة، فلما جاءتك نَسَخْتَهَا بيدك لموسى بن سليم، ثم سَجَّلْتَ عليها وقلت: ما ينكر هذا إلا أعمى القلب. وقرأها موسى في البلدان، وفي منفوحة، وفي الدرعية، وعندنا، ثم راح بها للقبلة، فإذا كنت من أول موافق لنا على كفرهم، وتقول: ما ينكر هذا إلا من أعمى الله بصيرته. فالعلم الذي جاءك بعد هذا يبين لك أنهم ليسوا بكفار بَيِّنْهُ لنا.

**الوجه الثاني**: أني أرسلت لك رسالة الشيخ تقي الدين، التي يذكر فيها أن من دعا نبيًّا أو صحابيًّا أو وليًّا، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني وأغثني. أنه كافر بالإجماع، فلما أتتك استحسنتَها وشَهِدْتَ أنها حق، وأنت تشهد به الآن، فما الموجب لهذه العداوة؟

**الوجه الثالث**: أنه إذا أتاك أحد من أهل المعرفة أقررتَ أن هذا دين الله، وأنه الحق، وقلتَه على رؤوس الأشهاد، وإذا خَلَوْتَ مع شياطينك وقصاصيبك فلك كلام آخر.

**الوجه الرابع**: أن عبد الرحمن الشنيفي، ومن معه، لما أَتَوْكَ وذاكروك، أقررتَ بحضرة شياطينك أن هذا هو الحق، وشَهِدْتَ أن الطواغيت كفار، وتَبَرَّأْتَ من طالب الحمضي وعبد الكريم وموسى بن نوح، فأي شيء بان لك بعد هذا أن هذا باطل وأن الذي تبرأت منهم وعاديتهم أنهم على حق؟

**الوجه الخامس**: أنك لما خرجت من عند الشيوخ، وأتيت عند الشنيفي، جَحَدْتَ الكلام الذي قلتَ في المجلس، فإن كان الكلام حقًّا فلأي شيء تجحده؟

وأنت وأبوك مُقِرَّان أنكما لا تعرفان كلام الله ورسوله، لكن تقولان: نعرف كلام صاحب «الإقناع» وأمثاله، وأنا أذكر لك كلام صاحب «الإقناع» أنه مُكَفِّرُكَ ومُكَفِّرٌ أباك في غير موضع من كتابه:

**الأول**: أنه ذكر في أول سطر من أحكام المرتد أن الهازل بالدين يكفر[١] وهذا مشهور عنك وعن ابن أحمد بن نوح؛ الاستهزاء بكلام الله ورسوله، وهذا كتابكم كَفَّرَكم.

**الثاني**: أنه ذكر في أوله أن المُبْغِضَ لما جاء به الرسول كافر بالإجماع، ولو عمل به[٢] وأنت مُقِرٌّ أن هذا الذي أقول في التوحيد أمر الله ورسوله، والنساء والرجال يشهدون عليكم أنكم مُبْغِضُون لهذا الدين، مجتهدون في تنفير الناس عنه، والكذب والبهتان على أهله، فهذا كتابكم كَفَّرَكم.

**الثالث**: أنه ذكر من أنواع الردة إسقاط حرمة القرآن[٣] وأنتم كذلك تستهزؤون

(١) الإقناع (٤/ ٢٩٧).
(٢) الإقناع (٤/ ٢٩٧).
(٣) الإقناع (٤/ ٢٩٧).

بمن يعمل به، وتزعمون أنهم جهال، وأنكم علماء.

**الرابع**: أنه ذكر أن من ادَّعى في عليٍّ بن أبي طالب ألوهية أنه كافر، ومن شك في كفره فهو كافر[١] وهذه مسألتك التي جادَلْتَ بها في مجلس الشيوخ، وقد صرح في «الإقناع» أن من شك في كفرهم فهو كافر، فكيف بمن جادل عنهم وادَّعى أنهم مسلمون وجعلنا كفارًا لما أنكرنا عليهم؟

**الخامس**: أنه ذكر أن السحر يكفر بتعلمه وتعليمه، والطلاسم من جملة السحر.

فهذه ستة مواضع في «الإقناع» في باب واحد، أن من فعلها فقد كفر، وهي دينك ودين أبيك؛ فإما أن تبرؤوا من دينكم هذا، وإلا أجيبوا عن كلام صاحب «الإقناع».

وكلامنا هذا لغيرك الذين عليهم الشرهة مثل الشيوخ، أو من يصلي وراءك كود إن الله يهديهم[٢] ويعزلونك أنت وأبوك عن الصلاة بالناس؛ لئلا تُفسد عليهم دينهم، وإلا فأنا أظنك لا تقبل، ولا يزيدك هذا الكلام إلا جهالة وكفرًا.

وأما الكلام الذي لَبَّسْتَ به على الناس، فأنا أبينه، إن شاء الله، كلمة كلمة؛ وذلك أن جملة المسائل التي ذكرتَ أربعًا:

**الأولى**: النذر لغير الله، تقول إنه حرام، ليس بشرك.

**الثانية**: أن من جعل بينه وبين الله وسائط كفر، أما الوسائط بأنفسهم فلا يكفرون.

---

(١) الإقناع (٤/ ٢٩٩).

(٢) أي: لعل الله يهديهم.

**الثالثة:** عبارة العلماء أن المسلم لا يجوز تكفيره بالذنوب.

**الرابعة:** التذكير ليلة الجمعة لا ينبغي الأمر بتركه.

هذه المسائل التي ذَكَرْتَ.

**فأما المسألة الأولى:** فدليلك قولهم إن النذر لغير الله حرام بالإجماع، فاستدللت بقولهم «حرام» على أنه ليس بشرك، فإن كان هذا قدر عقلك فكيف تدعي المعرفة! يا ويلك! ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، فهذا يدل على أن الشرك حرام ليس بكفر، يا هذا الجاهل المركب، ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾؟ هل يدل هذا التحريم على أنه لا يكفر صاحبه! يا ويلك! في أي كتاب وجدته إذا قيل لك: هذا حرام. أنه ليس بكفر؟ فقولك إن ظاهر كلامهم أنه ليس بكفر كذب وافتراء على أهل العلم، بل يقال: ذكر أنه حرام، وأما كونه كفر فيحتاج إلى دليل آخر. والدليل عليه أنه صرح في «الإقناع» أن النذر عبادة، ومعلوم أن «لا إله إلا الله» معناها: لا يُعبد إلا الله. فإذا كان النذر عبادة، وجعَلْتَها لغيره، كيف لا يكون شركًا!

وأيضًا: مسألة الوسائط تدل على ذلك، والناس يشهدون أن هؤلاء الناذرين يجعلونهم وسائط، وهم مُقِرُّون بذلك.

وأما استدلالك بقوله: من قال: انذرُوا لي. وأنه إذا رضي وسكت لا يكفر.

فبأي دليل؟ غاية ما يقال إنه سكت عن الأخذ الراضي، وعُلِمَ من دليل آخر، والدليل الآخر أن الرضا بالكفر كفر، صرح به العلماء، وموالاة الكفار كفر، وغير ذلك، هذا إذا قُدِّر أنهم لا يقولونه، فكيف وأنت وغيرك تشهد عليهم أنهم

يقولون، ويبالغون فيه، ويقصُّون على الناس الحكايات التي تُرسخ الشرك في قلوبهم، وتُبَغِّض إليهم التوحيد، ويكفِّرُون أهل العارض لما قالوا: لا يُعبد إلا الله.

وأما قولك: ما رأينا للترشح معنى في كلام العلماء.

فمن أنت حتى تعرف كلام العلماء!

**وأما الثانية**: وهي أن الذي يجعل الوسائط هو الكافر، وأما المجعول فلا يكفر.

فهذا كلام تلبيس وجهالة، ومن قال إن عيسى وعُزَيرًا، أو علي بن أبي طالب وزيد بن الخطاب، وغيرهم من الصالحين، يلحقهم نقص بجعل المشركين إياهم وسائط؟ حاشا وكَلَّا ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، وإنا كفرنا هؤلاء الطواغيت، أهل الخرج وغيرهم، بالأمور التي يفعلونها هم:

**منها**: أنهم يجعلون آباءهم وأجدادهم وسائط.

**ومنها**: أنهم يدعون الناس إلى الكفر.

**ومنها**: أنهم يُبغِّضُون عند الناس دين محمد ﷺ ويزعمون أن أهل العارض كفروا لما قالوا: لا يُعبد إلا الله.

وغير ذلك من أنواع الكفر، وهذا أمر أوضح من الشمس لا يحتاج إلى تقرير، ولكن أنت رجل جاهل مشرك، مُبْغِضٌ لدين الله، وتُلَبِّس على الجُهَّال الذين يكرهون دين الإسلام ويحبون الشرك ودين آبائهم، وإلا فهؤلاء الجُهَّال لو مرادهم اتباع الحق عرفوا أن كلامك من أفسد ما يكون.

**وأما المسألة الثالثة**، وهي من أكبر تلبيسك الذي تلبس به على العوام، أن أهل العلم قالوا: لا يجوز تكفير المسلم بالذنب.

وهذا حق، ولكن ليس هذا ما نحن فيه؛ وذلك أن الخوارج يكفِّرُون مَن زنا، أو مَن سرَق، أو سفَك الدم، بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كَفَر، وأما أهل السنة فمذهبهم أن المسلم لا يكفر إلا بالشرك. ونحن ما كفَّرنا الطواغيت وأتباعهم إلا بالشرك، وأنت رجل من أجهل الناس؛ تظن أن مَن صلَّى وادَّعى أنه مسلم لا يكفُرْ، فإذا كنتَ تعتقد ذلك؛ فما تقول في المنافقين الذين يُصلُّون ويصومون ويجاهدون؟ قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

وما تقول في الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**لئن أدركتُهُم لَأَقْتُلَنَّهُم قَتْلَ عادٍ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم**»[1] أتظنهم ليسوا من أهل القبلة!

ما تقول في الذين اعتقدوا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مثل اعتقاد كثير من الناس في عبد القادر وغيره، فأضرم لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، نارًا فأحرقهم بها، وأجمعت الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس أنكر تحريقهم بالنار وقال: يُقْتَلُون بالسيف[2]. أتظن هؤلاء ليسوا من أهل القبلة أم أنت تفهم الشرع وأصحاب رسول الله ﷺ لا يفهمونه؟

أرأيت أصحاب رسول الله ﷺ لما قاتلوا مَن مَنَع الزكاة، فلما أرادوا التوبة قال أبو بكر: لا نقبل توبتكم حتى تشهدوا أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار[3]. أتظن أن أبا بكر وأصحابه لا يفهمون وأنت وأبوك الذين تفهمون؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦) ومسلم (١٠٦٤).

(٢) أخرج البخاري (٦٥٢٤) عن عكرمة قال: أتى علي بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**لا تعذبوا بعذاب الله**» ولقتلتهم لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**من بدل دينه فاقتلوه**».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٦٩٨) وعبد الرزاق (٦/ ٤٣٧) من حديث عاصم بن ضمرة قال: ارتد علقمة بن علاثة عن دينه بعد النبي ﷺ فقاتله المسلمون. =

يا ويلك، أيها الجاهل المركب، إذا كنت تعتقد هذا؛ أن مَن أَمَّ القبلةَ لا يكفر، فما معنى هذه المسائل العظيمة الكثيرة التي ذكرها العلماء في باب حكم المرتد، التي كثير منها في أناس أهل زهد وعبادة عظيمة، ومنها طوائف ذكر العلماء أن مَن شك في كفرهم فهو كافر؟ ولو كان الأمر على زعمك بطَل كلام العلماء في حكم المرتد، إلا مسألة واحدة، وهي: الذي يصرِّح بتكذيب الرسول وينتقل يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا ونحوهم، هذا هو الكفر عندك! يا ويلك، ما تصنع بقوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تَعْبُدَ فِئَام من أمتي الأوثانَ**»[1]، وكيف تقول هذا وأنت تُقِرُّ أن من جعل الوسائط كفر! فإذا كان أهل العلم في زمانهم حكموا على كثير من أهل زمانهم بالكفر والشرك، أتظن أنكم صلحتم بعدهم؟ يا ويلك!

وأما مسألة التذكير، فكلامك فيها من أعجب العجاب، أنت تقول: بدعة حسنة. والنبي ﷺ يقول: «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[2]، ولم يَستثن شيئًا، تشير علينا نصدِّقُك أنت وأبوك لأنكم علماء ونكذِّب رسول الله!

والعجب مِن نَقْلِكَ الإجماع، فتجمع مع الجهالةِ المركبةِ الكذبَ الصريحَ والبهتانَ، فإذا كان في «الإقناع» في باب الأذان، قد ذكر كراهيته في مواضع

---

= قال: فأبى أن يجنح للسلم، فقال أبو بكر: لا يقبل منك إلا سلم مخزية أو حرب مجلية. قال: فقال: وما سلم مخزية؟ قال: تشهدون على قتلانا أنهم في الجنة وأن قتلاكم في النار، وتَدُون قتلانا ولا نَدِي قتلاكم. فاختاروا سلما مخزية.

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢) والترمذي (٢٢١٩) وابن ماجه (٣٩٥٢) من حديث ثوبان، ولفظه: «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**» وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٧٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢) والإمام أحمد (٤/ ١٢٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٥٤٩).

متعددة[١] أتظن أنك أعلم من صاحب «الإقناع» أم تظنه مخالفًا للإجماع! وأيضًا لما جاءك عبد الرحمن الشنيفي أَقْرَرْتَ لهم أن التذكير بدعة مكروهة، فمتى هذا العلم جاءك!

وأما قولك: أمر الله بالصلاة على نبيه على الإطلاق.

فأيضًا: أمر الله بالسجود على الإطلاق في قوله: ﴿ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾، فيدل هذا على السجود للأصنام أو يدل على الصلاة في أوقات النهي!

فإن قلتَ: ذاك قد نهى عنه النبي ﷺ.

قلنا: وكذلك نهى النبي ﷺ عن البدع، وذكر أن كل بدعة ضلالة.

ومعلوم أن هذا حادث من زمن طويل، وأنكره أهل العلم، منهم صاحب «الإقناع» وقد ذكر السيوطي في كتاب «الأوائل» أن أول ما حدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها، بعد السبعمائة، في زمن الناصر بن قلاوون، فَأَرِنَا كلام واحد من العلماء رخَّص فيه وجعله بدعة حسنة، فليس عندك إلا الجهل المركب والبهتان والكذب.

وأما استدلالك بالأحاديث التي فيها إجماع الأمة والسواد الأعظم، وقول: «**من شذ شذ في النار**»[٢] و«**يد الله على الجماعة**»[٣]، وأمثال هذا، فهذا أيضًا

---

(١) الإقناع (١/ ٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٦٧) من حديث عبد الله بن عمر، والحاكم (١/ ٢٠٢) من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**لا يجمع الله أمر أمتي على ضلالة أبدا، اتبعوا السواد الأعظم، يد الله على الجماعة، من شذ شذ في النار**» وضعفه الشيخ الألباني (ظلال الجنة ٨٠).

(٣) أخرجه النسائي (٤٠٢٠) من حديث عرفجة بن شريح الأشجعي أن النبي ﷺ قال: «**ستكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد أن يفرق بين أمة** =

من أعظم ما تُلَبِّسُ به على الجُهَّال، وليس هذا معنى الأحاديث بإجماع أهل العلم كلهم، فإن النبي ﷺ أخبر أن الإسلام سيعود غريبًا، فكيف يأمرنا باتباع غالب الناس! وكذلك الأحاديث الكثيرة، منها قوله: «**يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه**»[١] وأحاديث عظيمة كثيرة يبيّن ﷺ أن الباطل يصير أكثر من الحق، وأن الدين يصير غريبًا، ولو لم يكن في ذلك إلا قوله ﷺ: «**ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**»[٢] هل بعد هذا البيان بيان!

يا ويلك! كيف تأمر بعد هذا باتباع أكثر الناس؟ ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز، الذي يُنْكِرُ البعث منهم أكثر ممن يُقِرُّ به، وأن الذي يعرف الدين أقل ممن لا يعرفه، والذي يضيع الصلاة أكثر من الذي يحافظ عليها، والذي يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها[٣]؟ فإن كان الصواب عندك اتباعَ هؤلاء فَبَيِّنْ لنا، وإن كان عنزة وآل ظفير وأشباههم من البوادي هو السواد الأعظم، ولَقِيتَ في علمك وعلم أبيك أن اتِّبَاعَهم حَسَنٌ فاذكروا لنا.

ونحن نذكر كلام أهل العلم في معنى تلك الأحاديث ليتبين للجُهَّال الذين مَوَّهْتَ عليهم.

---

= **محمد، وأمرهم جميع، فاقتلوه كائنًا من كان، فإن يد الله على الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض**» وصححه الشيخ الألباني (صحيح النسائي).

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣١١) وضعفه الشيخ الألباني (الضعيفة ١٩٣٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) والإمام أحمد (٣/ ١٢٠) من حديث أنس، وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٠٤٢) والإمام أحمد (٤/ ١٠٢) وأخرجه أبو داود (٤٥٩٧) من حديث معاوية.

(٣) هذا في زمن الشيخ ﷺ. أما الآن فقد انتشر الخير - ولله الحمد، ونسأله المزيد من فضله -.

قال ابن القيم ﷺ في «إعلام الموقعين»:

واعلم أن الإجماعَ والحُجَّةَ والسوادَ الأعظَمَ هو العالِمُ صاحبُ الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض.

وقال عمرو بن ميمون: سمعت ابن مسعود يقول: عليكم بالجماعة؛ فإن يد الله على الجماعة. وسمعته يقول: سَيَلِي عليكم ولاةٌ يؤخرون الصلاة عن وقتها، فَصَلِّ الصلاة وحدك، وهي الفريضة، ثم صل معهم، فإنها لك نافلة. قلت: يا أصحاب محمد، ما أدري ما تُحَدِّثُون! قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة ثم تقول: صَلِّ الصلاة وحدك! قال: يا عمرو بن ميمون، لقد كنت أظنك مِن أفقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا. قال: جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحقَّ وإن كنت وحدك[١].

وقال نُعيم بن حماد: إذا فَسَدَت الجماعة، فعليك بما كان عليه الجماعة قبل أن تَفْسَدَ الجماعة، وإن كنتَ وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ[٢].

وقال بعض الأئمة، وقد ذُكِرَ له السواد الأعظم: أتدري ما السواد الأعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه[٣].

فمسخ المختلفون الذين جعلوا السوادَ الأعظَمَ والحجةَ هم الجمهور، فجعلوهم عيارًا على السنة، وجعلوا السنة بدعة، وجعلوا المعروف منكرًا؛ لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار، وقالوا: «**من شذ شذ في النار**» وما عرف المختلفون أن الشاذ ما خالف الحق، وإن كان عليه الناس كلهم، إلا واحدًا، فهم الشاذُّون، وقد شذ الناس كلهم في زمن أحمد بن حنبل، إلا نفرًا يسيرًا،

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦/ ٤٠٩).
(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦/ ٤٠٩).
(٣) قاله إسحاق بن راهويه، أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٣٨).

فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة يومئذ والمفتون والخليفة وأتباعُهُم كلهم هم الشاذُّون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، ولما لم يتحمل ذلك عقولُ الناس قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين، أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون على الباطل، وأحمد وحده على الحق! فلم يتسع علمه لذلك، فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل، فلا إله إلا الله! ما أشبه الليلة بالبارحة[١]. انتهى كلام ابن القيم.

ياسلامة ولد أم سلامة، هذا كلام الصحابة، في تفسير السواد الأعظم، وكلام التابعين وكلام السلف وكلام المتأخرين، حتى ابن مسعود ذكر في زمانه أن أكثر الناس فارقوا الجماعة، وأبلغ من هذه الأحاديثُ المذكورة عن رسول الله ﷺ من غربة الإسلام، وتفرُّقِ هذه الأمة أكثر من سبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. فإن كنت وَجَدْتَ في علمك وعلم أبيك ما يَرُدُّ على رسول الله ﷺ والعلماء، وأن عنزة وآل ظفير والبوادي يجب علينا اتباعُهُم فأخبرونا. وكتبه محمد بن عبد الوهاب. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

ومنها: **رسالة أرسلها إلى أهل الرياض ومنفوحة، وهو إذ ذاك مقيم في بلد العُيَيْنَة، وكتب إلى عبد الله بن عيسى[٢] قاضي الدِّرْعِيَّة يسجل تحتها بما رآه من الكلام، ليكون ذلك سببًا لقبول الجُهَّال والطَّغَام[٣]، وهذا نص الرسالة:**

---

(١) إعلام الموقعين (٣/ ٣٩٧ - ٣٩٨).

(٢) انظر ترجمته وابنه عبدالوهاب في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٥/ ٣٣٩ - ٣٤٠)، ومقال الأستاذ إبراهيم بن عيسى العيسي في جريدة الجزيرة (٢٦/ ٨/ ١٤٢١هـ)، وأفاد أن وفاته عام ١١٦٤هـ.

(٣) وهذا من حكمة الشيخ رحمه الله، لاسيما وقد قال في رسالته: «وشاهد هذا أن عبد الله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد، لا علماء العارض ولا غيره، أَجَلَّ منه، وهذا كلامه واصلٌ إليكم».

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ وذلك أن الله أرسل محمدًا ﷺ ليبين للناس الحق من الباطل، فبيّن ﷺ للناس جميع ما يحتاجون إليه في أمر دينهم بيانًا تامًّا، وما مات ﷺ حتى ترَك الناسَ على المَحَجّة البيضاء، ليلُها كنهارها.

فإذا عَرَفْتَ ذلك، فهؤلاء الشياطين مِن مَرَدَة الإنس، الذين يُحَاجُّون في الله من بعد ما استُجِيب له، إذا رأوا مَن يُعَلِّم الناس ما أمرَهم به محمدٌ ﷺ من شهادة أن لا إله إلا الله، وما نهاهم عنه؛ مثل الاعتقاد في المخلوقين الصالحين وغيرهم - قاموا يجادلون ويُلَبِّسُون على الناس، ويقولون: كيف تكفِّرُون المسلمين؟ كيف تسبُّون الأموات آل فلان، أهل ضيف آل فلان، أهل كذا وكذا؟ ومرادهم بهذا لئلا يَتَبَيَّنَ معنى «لا إله إلا الله» ويَتَبَيَّنَ أن الاعتقاد في الصالحين النَّفْعَ والضُّرَّ ودعاءَهُم كُفْرٌ يَنْقُل عن الملة، فيقولون الناس لهم: إنكم قبل ذلك جُهَّال، لأي شيء لم تأمروننا بهذا؟

وأنا أخبركم عن نفسي، والله الذي لا إله إلا هو، لقد طلبتُ العلم، واعتَقَدَ مَن عرَفَني أن لي معرفة، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى «لا إله إلا الله» ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي منّ الله به، وكذلك مشايخي، ما منهم رجل عرَف ذلك، فمَن زعم مِن علماء العارض أنه عرف معنى «لا إله إلا الله» أو عرَف معنى الإسلام قبل هذا الوقت، أو زعم مِن مشايخه أن أحدًا عرَف ذلك فقد كذَب وافترَى، ولَبَّس على الناس، ومدَح نفسه بما ليس فيه.

وشاهد هذا أن عبد الله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد، لا علماء العارض ولا غيره، أَجَلَّ منه، وهذا كلامه واصلٌ إليكم، إن شاء الله، فاتقوا الله عباد الله، ولا تكبَّرُوا على ربكم ولا نبيكم، واحمَدُوه سبحانه الذي مَنَّ عليكم، ويَسَّرَ لكم من يعرِّفُكم بدين نبيكم ﷺ ولا تكونوا من ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ﴾.

إذا عرفتم ذلك، فاعلموا أن قول الرجل «لا إله إلا الله» نفي وإثبات، إثبات الألوهية كلها لله وحده، ونَفْيُها عن الأنبياء والصالحين وغيرهم، وليس معنى الألوهية أنه لا يَخْلُق ولا يَرْزُق ولا يُدَبِّر ولا يحيي ولا يميت إلا الله، فإن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يُقِرُّون بهذا، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فتفكروا عبادَ الله فيما ذكَر الله عن الكفار أنهم مُقِرُّون بهذا كله لله وحده لا شريك له، وإنما كان شِرْكُهُم أنهم يَدْعُون الأنبياء والصالحين، ويَنْدُبُونهم، ويَنْذِرُون لهم، ويتوكلون عليهم، يريدون منهم أنهم يقربونهم إلى الله، كما ذكر الله عنهم ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾.

إذا عرفتم ذلك؛ فهؤلاء الطواغيت الذين يَعتقد الناس فيهم، من أهل الخرج وغيرهم، مشهورون عند الخاص والعام بذلك، وأنهم يترشحون[1] له ويأمرون به الناس، كلهم كفار مرتدُّون عن الإسلام، ومَن جادَل عنهم، أو أنكر على مَن كفَّرَهم، أو زعَم أن فِعْلَهم هذا لو كان باطلًا فلا يُخْرِجُهُم إلى الكفر، فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق، لا يُقْبَلُ خَطُّه ولا شهادته، ولا يُصَلَّى خلفه، بل

(١) ترشح للشيء: التزم أو اقتنع به، ودافع عنه بكلامه.

لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾.

ومصداق هذا أنكم إذا رأيتم مَن يخالف هذا الكلام وينكره، فلا يخلو إما أن يَدَّعِيَ أنه عارف، فقولوا له: هذا الأمر العظيم لا يُغْفَلُ عنه، فَبَيِّنْ لنا ما يُصدِّقُك من كلام العلماء إذا لم تعرف كلام الله ورسوله. فإن زعم أن عنده دليلًا، فقولوا له يكتبه حتى نعرضه على أهل المعرفة، وتُبين لنا أنك على الصواب ونتبعك، فإن نبينا ﷺ قد بيّن لنا الحق من الباطل. وإن كان المجادل يُقِرُّ بالجهل ولا يَدَّعِي المعرفة، فيا عباد الله، كيف تَرْضَوْنَ بالأفعال والأقوال التي تُغْضِبُ اللهَ ورسولَه وتُخْرِجُكُم عن الإسلام اتِّبَاعًا لرجل يقول: إني عارف. فإذا طالبتموه بالدليل عرفتم أنه لا علم عنده، أو اتِّبَاعًا لرجل جاهل، وتُعْرِضُون عن طاعة ربكم، وما بَيَّنَه نبيُّكُم ﷺ وأهلُ العلم بعده، واذكروا ما قصّ الله عليكم في كتابه لعلكم تعتبرون، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ وهؤلاء أهلَكَهُم الله بالصيحة، وأنتم الآن إذا جاءكم مَن يُخْبِرُكُم بأمر رسول الله ﷺ إذَا أنكم فريقان تختصمون، أفلا تخافون أن يصيبكم من العذاب ما أصابهم؟

والحاصل أن مسائل التوحيد ليست من المسائل التي هي مِن فن المطاوعة خاصة، بل البحث عنها وتعلُّمُها فرض لازم على العالم والجاهل، والمُحْرِمِ والمُحلِّ، والذكر والأنثى، وأنا لا أقول لكم: أطيعوني، ولكن الذي أقول لكم: إذا عرفتم أن الله أنعم عليكم وتفضل عليكم بمحمد ﷺ والعلماء بعده، فلا ينبغي لكم معاندة محمد ﷺ وقول: تكفِّرُون المسلمين؟ كيف تفعلون كذا؟ كيف تفعلون كذا؟ فإنّا لم نكفِّر المسلمين، بل ما كفَّرْنا إلا المشركين.

وكذلك أيضًا من أعظم الناس ضلالًا متصوفةٌ في معكال وغيره، مثل ولد

موسى بن جوعان وسلامة بن مانع وغيرهما، يتَّبِعُون مذهب ابن عربي[١] وابن الفارض[٢]، وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية، وهم أغلظ كفرًا من اليهود والنصارى، فكل من لم يدخل في دين محمد ﷺ ويتبرأ من دين الاتحادية فهو كافر بريء من الإسلام، ولا تصح الصلاة خلفه، ولا تُقبل شهادته.

والعَجَبُ العَجَبُ أن الذي يَدَّعِي المعرفة يزعُمُ أنه لا يعرف كلام الله، ولا كلام رسوله، بل يَدَّعِي أني أعرف كلام المتأخرين مثل «الإقناع» وغيره، وصاحب «الإقناع» قد ذكر أن مَن شَكَّ في كُفْرِ هؤلاء السادة والمشايخ فهو كافر! سبحان الله، كيف يفعلون أشياءَ في كتابهم أن مَن فعَلَها كفَر، ومع هذا يقولون: نحن أهل المعرفة وأهل الصواب، وغيرنا صبيان جُهَّال؟ والصبيان

(١) الصوفي الشهير (ت ٦٣٨هـ)، يُنظر لبيان حاله: «الفتاوى»؛ لشيخ الإسلام (المجلد الثاني)، و«الإلحادية: عقيدة ابن عربي الاتحادية»؛ للأستاذ مصطفى سلامة، و«كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق» للشيخ عبدالقادر السندي، و«العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين»؛ للفاسي؛ حيث ترجم لابن عربي وذكر فتاوى العلماء فيه. وقد طبعت الترجمة مفردة بتحقيق الشيخ علي الحلبي، و«رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي» جمع وتحقيق الشيخ موسى الدويش.

(٢) الصوفي الشهير (ت ٦٣٢هـ)، قال ابن كثير ﷺ: «ابن الفارض، ناظم التائيّة في السلوك على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد، هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة، تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي في ميزانه وحط عليه». (البداية والنهاية: ١٣-١٤٣)، قال الذهبي عن قصيدته التائية: «فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال، اللهم ألهمنا التقوى وأعذنا من الهوى فيا أئمة الدين ألا تغضبون لله؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله». (سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٣٦٨).

يقولون: أَظْهِرُوا لنا كتابكم. ويَأْبَوْنَ عن إظهاره، أمَا في هذا ما يدل على جهالتهم وضلالتهم؟

وكذلك أيضًا مِن جَهَالة هؤلاء وضَلَالتهم، إذا رأوا مَن يعلِّم الشيوخَ وصبيانَهُم، أو البدو، شهادة «لا إله إلا الله» قالوا: قولوا لهم يتركون الحرام. وهذا من عظيم جهلهم، فإنهم لا يعرفون إلا ظلم الأموال، وأما ظلم الشرك فلا يعرفون، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وأين الظلم الذي إذا تكلم الإنسان بكلمة منه، أو مدَح الطواغيت، أو جادَل عنهم خرَج من الإسلام، ولو كان صائمًا قائمًا، مِن الظلم الذي لا يُخرج من الإسلام، بل إما أن يؤدي إلى صاحبه بالقصاص، وإما أن يغفره الله؟ فبَيْنَ الموضعين فرق عظيم.

وبالجملة، رحمكم الله، إذا عرفتم ما تقدم أن نبيكم ﷺ قد بيّن الدين كله، فاعلموا أن هؤلاء الشياطين قد أحلوا كثيرًا من الحرام في الربا والبيع وغير ذلك، وحرموا عليكم كثيرًا من الحلال، وضيقوا ما وسعه الله، فإذا رأيتم الاختلاف فاسألوا عما أمر الله به ورسوله، ولا تطيعوني ولا غيري. وسلام عليكم ورحمة الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ومنَّ علينا باتباع محمدٍ عليه أفضل الصلاة والسلام، وبعد:

فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى، عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن:

إن أول واجب على كل ذكر وأنثى معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي أرسل الله بها جميع رسله، وأنزل لأجلها جميع كتبه، وجعلها أعظم حقه على عباده، كما ذكر الله لنا في كتابه، وعلى لسان رسوله، في

مواضع لا تحصى، منها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ وقال: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ الآية. وقد أمر الله عباده بالاستجابة لهذه الكلمة، فقال: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ وتوَعَّد سبحانه أفضلَ الخلق وأكرمَهم، سيِّدَ وَلَدِ آدم والنبيين قَبْلَهُ على مخالفتها، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ فكيف بغيرهم من سائر الخلق؟ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

فمَن نصَح نفسَه وأهلَه وعيالَه، وأراد النجاة من النار، فليعرف شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها العروة الوثقى، وكلمة التقوى، لا يقبل الله مِن أحد عملًا إلا بها، لا صلاةً ولا صومًا ولا حجًّا ولا صدقةً ولا جميع الأعمال الصالحة إلا بمعرفتها والعمل بها، هي كلمة التوحيد، وحق الله على العبيد، فمَن أشرَكَ مخلوقًا فيها؛ مِن مَلَكٍ مُقرَّبٍ، أو نبيٍّ مُرْسَلٍ، أو وَلِيٍّ، أو صحابيٍّ وغيره، أو صاحِبِ قبر، أو جنيٍّ، أو غيره، أو استغاث به، أو استعانه فيما لا يُطْلَبُ إلا من الله، أو نذَر له، أو ذبَح له، أو توكَّلَ عليه، أو رجاه، أو دعاه دعاء استغاثة أو استعانة، أو جعَله واسطة بينه وبين الله لقضاء حاجته لِجَلْبِ نَفْعٍ أو كَشْفِ ضُرٍّ - فقد كفَر كُفْرَ عُبَّاد الأصنام القائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ القائلين: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ كما ذكر الله عنهم في كتابه، وهم مخلَّدُون في النار، وإن صاموا وصَلَّوا وعملوا بطاعة الله الليلَ والنهارَ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية، وغيرها من الآيات.

وكذلك مَن تَرَشَّح بشيء من ذلك، أو أحب مَن تَرَشَّح له[1]، أو ذَبَّ عنه، أو جادَل عنه؛ فقد أشرَكَ شركًا لا يُغْفَرُ، ولا تُقْبَلُ ولا تَصِحُّ منه الأعمال الصالحة؛ الصوم والحج وغيرها، فإن الله لا يغفر أن يُشْرَكَ به، ولا يَقْبَلُ عمل المشركين، وقد نهى الله نبيَّه وعبادَه عن المجادلة عمَّن فعَل ما دون الشرك من الذنوب بقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ الآية، فكيف بمن جادل عن المشركين، وصد عن دين رب العالمين؟

فاللهَ اللهَ عبادَ الله، لا تغتروا بمن لا يعرف شهادة أن لا إله إلا الله، وتلطَّخَ بالشرك وهو لا يشعر، فقد مضى أكثر حياتي ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم، فلله الحمد على ما علمنا من دينه. ولا يَهُولَنَّكُم اليوم أن هذا غريب؛ فإن نبيكم ﷺ قال: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ**» واعتبروا بدعاء أبينا إبراهيم عليه السلام، بقوله في دعائه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ ولولا ضيق هذه الكراسة، وأن الشيخ محمدًا أجاد وأفاد بما أسلفه من الكلام فيها لأطللنا الكلام.

وأما الاتحادي ابن عربي صاحب «الفصوص» المخالف للنصوص، وابن الفارض الذي لدين الله محارب، وبالباطل للحق معارض، فمن تمذهب بمذهبهما فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلًا، وانتحل طريق المغضوب عليهم والضالين، المخالفين لشريعة سيد المرسلين؛ فإن ابن عربي وابن الفارض ينتحلان نحلًا تكفِّرُهما، وقد كفَّرَهم كثير من العلماء العاملين، فهولاء يقولون كلامًا أخشى المَقْتَ مِن الله في ذِكْرِه، فضلًا عمن انتحله، فإن لم يتبْ إلى الله مَن انتحل مذهبهما وجب هَجْرُهُ، وعَزْلُهُ عن الولاية إن كان ذا ولاية؛ من إمامة

(١) ترشح للشيء: التزم أو اقتنع به، ودافع عنه بكلامه.

أو غيرها، فإن صلاته غير صحيحة، لا لنفسه ولا لغيره. فإن قال جاهل: أرى عبد الله تَوّه يتكلم في هذا الأمر![1] فيعلم أنه إنما تبين لي الآن وجوب الجهاد في ذلك، عليّ وعلى غيري، لقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ إلى أن قال: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وصلى الله على محمد وآله وسلم.

**ومنها: الرسالة التي أرسلها إلى بعض البلدان قال فيها:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

اعلموا رحمكم الله أن الله بعث محمدًا ﷺ إلى الناس بشيرًا ونذيرًا، مبشِّرًا لمن اتبعه بالجنة، ومُنْذِرًا لمن لا يتبعه عن النار، وقد علمتم إقرار كل مَن له معرفةٌ أن التوحيد الذي بَيَّنَّا للناس هو الذي أرسل الله به رسله، حتى كل مطوع معاند يشهد بذلك، وأن الذي عليه غالب الناس من الاعتقادات في الصالحين وفي غيرهم هو الشرك الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾.

فإذا تحققتم هذا، وعرفتم أنهم يقولون: لو يتركون أهل العارض التكفير والقتال كانوا على دين الله ورسوله. ونحن ما جئناكم في التكفير والقتال، لكن نصحكم بهذا الذي قطعتم أنه دين الله ورسوله، إن كنتم تعلمونه وتعملون به، إن كنتم من أمة محمد باطنًا وظاهرًا، وأنا أبين لكم هذه بمسألة القبلة.

---

(١) أي: لماذا تأخر إلى هذا الوقت؟ والشيخ عبدالله بن عيسى يعتذر لنفسه عن تأخره في نُصرة الشيخ. ومع هذا التعليق التأييدي منه إلا أن ابنه صرفه عن مناصرة الدعوة - كما سيأتي إن شاء الله -.

إن النبي ﷺ وأمته يُصلُّون، والنصارى يُصلُّون، لكن قبلته ﷺ وأمته بيت الله، وقبلة النصارى مطلع الشمس، فالكل منا يصلي، ولكن اختلفنا في القبلة، ولو أن رجلًا من أمة محمد ﷺ يُقر بهذا، ولكن يكره من يستقبل القبلة ويُحب من يستقبل الشمس، أتظنون أن هذا مسلم؟ وهذا ما نحن فيه، فالنبي ﷺ بعثه الله بالتوحيد، وألاَّ يُدْعَى مع الله أحدٌ، لا نبي ولا غيره، والنصارى يدعون عيسى رسول الله، ويدعون الصالحين، يقولون: ليشفعوا لنا عند الله. فإذا كان كل مطوع مُقِرًّا بالتوحيد، فاجعلوا التوحيد مثل القبلة، واجعلوا الشرك مثل استقبال المشرق، مع أن هذا أعظم من القبلة، وأنا أنصحكم لله وأنخاكم، لا تضيعوا حظكم من الله، وتحبوا دين النصارى على دين نبيكم، فما ظنكم بمن واجه الله وهو يعلم مِن قلبه أنه عرف أن التوحيد دينه ودين رسوله، وهو يُبْغِضُهُ ويُبغضُ مَن اتَّبَعه، ويعرف أن دعوة غيره هو الشرك، ويحبه ويحب من اتبعه، أتظنون أن الله يغفر لهذا؟ والنصيحة لمن خاف عذاب الآخرة، وأما القلب الخالي من ذلك فلا، والسلام.

**ومنها: رسالة أرسلها إلى فاضل آل مزيد، رئيس بادية الشام، قال فيها:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

من محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد، زاده الله من الإيمان، وأعاذه من نزغات الشيطان، أما بعد:

فالسبب في المكاتبة أن راشد بن عربان ذكر لنا عنك كلامًا حسنًا أسر الخاطر، وذكر عنك أنك طالبٌ مني المكاتبة؛ بسبب ما يجيئك من كلام العدوان من الكذب والبهتان، وهذا هو الواجب من مثلك، أنه لا يقبل كلامًا إلا إذا تحققه، وأنا أذكر لك أمرين قبل أن أذكر لك صفة الدين:

**الأمر الأول:** أني أذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به

النبي ﷺ أمته، وأقول لهم: الكتب عندكم، انظروا فيها، ولا تأخذوا من كلامي شيئًا، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله ﷺ الذي في كتبكم فاتبعوه، ولو خالفه أكثر الناس.

**والأمر الثاني**: أن هذا الأمر الذي أنكروا عليّ، وأبغضوني وعادَوْني من أجله، إذا سألوا عنه كلَّ عالم في الشام واليمن أو غيرهم يقول: هذا هو الحق، وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أُظْهِرهُ في مكاني لأجل أن الدولة ما يَرْضَوْنَ، وابن عبد الوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق اتبعه. هذا كلام العلماء، وأظنه وصلك كلامهم.

فأنت تَفَكَّرْ في الأمر الأول، وهو قولي: لا تطيعوني، ولا تطيعوا إلا أمر رسول الله ﷺ الذي في كتبكم. وتَفَكَّرْ في الأمر الثاني أن كل عاقل مُقِرٌّ به، لكن ما يقدر يظهره، فقَدِّمْ لنفسك ما ينجيك عند الله، واعلم أن ما ينجيك إلا اتباع رسول الله ﷺ والدنيا زائلة، والجنة والنار ما ينبغي للعاقل أن ينساهن.

وصورة الأمر الصحيح أني أقول: ما يُدْعَى إلا الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى في كتابه: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ وقال في حق النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ فهذا كلام الله، والذي ذكره لنا رسول الله ووصانا به، ونهى الناس لا يدعونه، فلما ذكرت لهم أن هذه المقامات التي في الشام والحرمين وغيرهم أنها على خلاف أمر الله ورسوله، وأن دعوة الصالحين والتعلق عليهم هو الشرك بالله، الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ فلما أظهرت هذا أنكروه وكبر عليهم وقالوا: أجعلتنا مشركين! وهذا ليس إشراكًا.

هذا كلامهم، وهذا كلامي أُسْنِدُهُ عن الله ورسوله، وهذا هو الذي بيني وبينكم، فإن ذُكِرَ شيء غير هذا فهو كذب وبهتان، والذي يصدِّق كلامي هذا أن

العالِمَ ما يقدر يُظهره، حتى من علماء الشام من يقول: هذا هو الحق، ولكن لا يُظهره إلا من يحارب الدولة! وأنت ولله الحمد ما تخاف إلا الله. نسأل الله أن يهدينا وإياكم إلى دين الله ورسوله. والله أعلم.

**ومنها: رسالة أرسلها إلى ابن السويدي(١)، عالم من أهل العراق، وكان قد أرسل له كتابًا وسأله عما يقول الناس فيه، فأجابه بهذه الرسالة، وهي:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الرحمن بن عبد الله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فوصل كتابك، وسَرَّ الخاطرَ، جَعَلَك الله من أئمة المتقين، ومن الدعاة إلى دين سيد المرسلين، وأُخْبِرُك أني ولله الحمد مُتَّبع ولست بمبتدع؛ عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة، لكني بينت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات، من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يُعْبَدُ الله به؛ من الذبح والنذر والتوكل والسجود، وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يُشْرَكُ فيه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسل، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة.

وبينت لهم أن أول من أدخل الشرك في هذه الأمة هم الرافضة الملعونة، الذين يدعون عليًّا وغيره، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، وأنا صاحب منصب في قريتي، مسموع الكلمة، فأنكَرَ هذا بعض الرؤساء؛ لأنه خالف عادة نشأوا عليها.

---

(١) عبدالرحمن السويدي، المتوفى عام ١٢٠٠هـ. انظر ترجمته في «المسك الأذفر» للألوسي (ص١٣١ - ١٣٥).

وأيضًا أَلْزَمْتُ مَن تحت يدي بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الربا وشرب المسكر، وأنواع من المنكرات، فلم يمكن الرؤساءَ القدحُ في هذا وعَيبه؛ لكونه مستحسنًا عند العوام، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما آمُرُ به من التوحيد وأنهى عنه من الشرك، ولَبَّسُوا على العوام أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس، وكبرت الفتنة جدًّا، وأجلَبُوا علينا بخَيْل الشيطان ورَجِلِه، منها إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه فضلًا عن أن يفتريه، منها ما ذكرتم أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجبًا! كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟

وكذلك قولهم إنه يقول: لو أقدر أهدم قبة النبي ﷺ لهدمتها.

وأما «دلائل الخيرات» فله سبب، وذلك أني أشرت على مَن قَبِلَ نصيحتي من إخواني ألا يصير في قلبه أَجَلُّ من كتاب الله، ويظن أن القراءة فيه أجل من قراءة القرآن.

وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان، فهذا من البهتان.

والحاصل؛ أن ما ذُكِرَ عنا من الأسباب، غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك، فكله من البهتان، وهذا لو خفي على غيركم فلا يخفى على حضرتكم. ولو أن رجلًا من أهل بلدكم، ولو كان أحبَّ الخلق إلى الناس، قام يُلْزِمُ الناسَ الإخلاصَ، ويمنعهم من دعوة أهل القبور، وله أعداء وحُسَّاد أشدُّ منه رياسة وأكثر أتباعًا، وقاموا يرمونه بما تسمع، ويوهمون الناس أن هذا تنقُّصٌ بالصالحين، وأن دعوتهم من إجلالهم واحترامهم، تعلمون كيف يجري عليه، ومع هذا وأضعافه فلا بد من الإيمان بما جاء به الرسول ونصرته، كما أخذ الله على الأنبياء قبله وأممهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم

مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ فلما فرض الله الإيمان لم يَجُزْ تَرْكُ ذلك، وأنا أرجو أن الله يكرمك بنصر دينه ونبيه، وذلك بمقتضى الاستطاعة، ولو بالقلب والدعاء، وقد قال ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[١] فإن رأيتَ عَرْضَ كلامي على مَن ظَنَنْتَ أنه يَقبل مِن إخواننا فإن الله لا يُضيع أجر من أحسن عملًا.

ومن أعجب ما جرى من الرؤساء المخالفين أني لما بينت لهم كلام الله وما ذكر أهل التفسير في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ وقوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ وما ذكر الله من إقرار الكفار في قوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، وغير ذلك، قالوا: القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالنا، ولا بكلام الرسول، ولا بكلام المتقدمين، ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون. قلت لهم: أنا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشافعي والحنبلي، كلٌّ أخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم. فلما أَبَوا ذلك نقلتُ لهم كلام العلماء من كل مذهب، وذكرت ما قالوا بعدما حدَثَت الدعوة عند القبور والنذر لها، فعرفوا ذلك وتحققوه، ولم يزدهم إلا نفورًا.

وأما التكفير، فأنا أكفِّر مَن عرف دين الرسول، ثم بعدما عرَفه سَبَّه ونَهَى الناسَ عنه وعادَى مَن فعَله، فهذا هو الذي أُكفِّره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧).

(٢) وهذا فيه أبلغ رد على من يتهم الشيخ بتكفير عموم المسلمين!

وأما القتال فلم نقاتل أحدًا إلى اليوم، إلا دون النفس والحُرمة، وهم الذين أَتَوْنَا في ديارنا ولا أَبْقَوْا ممكنًا، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، وجزاء سيئة سيئة مثلها، وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعدما عرفه، والسلام.

**ومنها: رسالة أرسلها إلى مطاوعة أهل الدرعية، وهو إذ ذاك في بلد العُيَيْنَة، قال فيها:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب وعبد الله بن عبد الرحمن حفظهم الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

ذكر لي أحمد أنه مُشْكِلٌ عليكم الفتيا بكفر هؤلاء الطواغيت، مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس، والذين يعبدونهم مثل طالب وأمثاله، فيقال أولًا:

دين الله تعالى ليس لي دونكم، فإذا أفتيت أو عملت بشيء، وعلمتم أني مخطئ وجب عليكم تبيين الحق لأخيكم المسلم، وإن لم تعلموا وكانت المسألة من الواجبات، مثل التوحيد، فالواجب عليكم أن تطلبوا وتحرصوا حتى تفهموا حكم الله ورسوله في تلك المسألة، وما ذكر أهل العلم قبلكم، فإذا تبين حكم الله ورسوله بيانًا كالشمس؛ فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يرده لكونه مخالفًا لهواه، أو لما عليه أهل وقته ومشايخه، فإن الكفر كما قال ابن القيم في نونيته:

**فالكفر ليس سوى العناد ورَدِّ ما جاء الرسول به لقول فلان**
**فانظر لعلك هكذا دون التي قد قالها فتبوء بالخسران**

ومتى لم تتبين لكم المسألة لم يَحل لكم الإنكار على مَن أفتى أو عمل، حتى يتبين لكم خطؤه، بل الواجب السكوت والتوقف، فإذا تحققتم الخطأ بينتموه،

ولم تهدروا جميع المحاسن لأجل مسألة أو مائة أو مائتين أخطأت فيهن، فإني لا أدّعي العصمة، وأنتم تقرون أن الكلام الذي بيّنته في معنى «لا إله إلّا الله» هو الحق الذي لا ريب فيه.

سبحان الله! إذا كنتم تقرون بهذا، فرجل بيّن اللهُ به دينَ الإسلام، وأنتم ومشايخكم ومشايخهم لم يفهموه، ولم يميزوا بين دين محمد ﷺ ودين عمرو بن لُحَيٍّ الذي وضعه للعرب، بل دين عمرو عندهم دين صحيح، ويسمونه «رقة القلب، والاعتقاد في الأولياء» ومن لم يفعل فهو متوقف، لا يدري ما هذا، ولا يُفرق بينه وبين دين محمد ﷺ فالرجل الذي هداكم الله به لهذا، إن كنتم صادقين، لو يكون أحب إليكم من أموالكم وأولادكم لم يكن كثيرًا، فكيف يقال: أفتى في مسألة الوقف، أفتى في كذا، أفتى في كذا. كلها، ولله الحمد، على الحق، إلّا أنها مخالفة لعادة الزمان ودين الآباء.

وأنا إلى الآن أطلب الدليل مِن كل مَن خالفني، فإذا قيل له: استدل، أو اكتب، أو ذاكر. حادَ عن ذلك وتبيّن عجزه، لكن يجتهدون الليل والنهار في صد الجُهَّال عن سبيل الله ويبغونها عوجًا، اللهم إلّا إن كنتم تعتقدون أن كلامي باطل وبدعة، مثلما قال غيركم، وأن الاعتقاد في الزاهد وشمسان والمطيوية والاعتماد عليهم هو الدين الصحيح، وكل ما خالفه بدعة وضلالة، فتلك مسألة أخرى.

إذا ثبت هذا، فتكفير هؤلاء المرتدين، انظروا في كتاب الله من أوله إلى آخره، والمرجع في ذلك إلى ما قاله المفسرون والأئمة، فإن جادل منافق بكون الآية نزلت في الكفار، فقولوا له: هل قال أحد من أهل العلم أولهم وآخرهم إن هذه الآيات لا تعم مَن عَمِلَ بها مِن المسلمين؟ مَن قال هذا قبلك؟ وأيضًا فقولوا له: هذا رد على إجماع الأمة، فإن استدلالهم بالآيات النازلة في الكفار على مَن

عمل بها، ممن انتسب إلى الإسلام، أكثر من أن تُذكر.

وهذا أيضًا كلام رسول الله ﷺ فيمن فعل مثل هذه الأفاعيل، مثل الخوارج العُبَّاد الزُّهَاد، الذين يحقر الإنسان الصحابة عندهم، وهم بالإجماع لم يفعلوا ما فعلوا إلَّا باجتهاد وتقرب إلى الله.

وهذه سيرة أصحاب رسول الله ﷺ فيمن خالف الدين، ممن له عبادة واجتهاد، مثل تحريق عليٍّ رضي الله عنه مَن اعتقد فيه بالنَّار، وأجمع الصحابة على قتلهم وتحريقهم، إلَّا ابن عباس رضي الله عنهما خالفهم في التحريق، فقال: يُقْتَلُون بالسيف.

وهؤلاء الفقهاء من أولهم إلى آخرهم عقدوا باب «حكم المرتد» للمسلم إذا فعل كذا وكذا، ومصداق ذلك في هذه الكتب الذي يقول المخالف: جمعوا فيها الثمر، وهم أعلم منا، وهم وهم. انظروا في متن «الإقناع» في باب حكم المرتد، هل صرح أن مَن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم أنه كافر بإجماع الأمة، وذكر فيمن اعتقد في علي بن أبي طالب، دون ما يعتقد طالب في حسين وإدريس، أنه لا شك في كفره، بل لا يشك في كفر مَن شك في كفره؟

وأنا ألزم عليكم أنكم تحققون النظر في عبارات «الإقناع» وتقرؤونها قراءة تفهّم، وتعرفون ما ذكر في هذا، وما ذكر في التشنيع عليَّ من الأصدقاء، عرفتم شيئًا من مذاهب الآباء وفتنة الأهواء، وإذا تحققتم ذلك وطالعتم الشروح والحواشي، فإذا إني لم أفهمه وله معنى آخر، فأرشدوني، عسى الله أن يهدينا وإيَّاكم وإخواننا لما يحب ويرضى. ولا يدخل خواطركم غلظة هذا الكلام، فالله سبحانه يعلم قصدي به، والسلام.

**ومنها: رسالة أرسلها أيضًا إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب قال فيها:**

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وعبد الوهاب، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

ذُكِرَ لي أنكم زَعْلِين عليّ في ها الأيام بعض الزَّعَل، ولا يخفاك أني زَعِلٌ زَعَلًا كبيرًا، وناقد عليكم منقودًا أكبر من الزَّعَل، ولكن وابطناه! واظهراه! ومعي في ها الأيام بعض تنغص المعيشة والكدر مما يبلغني عنكم، والله سبحانه إذا أراد أمرًا فلا رادّ له، وإلَّا ما خطر على البال أنكم تَرْضَوْنَ لأنفسكم بهذا. ثم من العجب تكفّيكم عن نفع المسلمين في المسائل الصحيحة، وتقولون: لا يتعين علينا الفتيا. ثم تبالغون في مثل هذه الأمور، مثل التذكير الذي صَرَّحَت الأدلة والإجماع وكلام «الإقناع» بإنكاره[١].

ولا ودي إنكم بعدما أنزلكم الله هذه المنزلة، وأنعم عليكم بما تعلمون وما لا تعلمون، وجعلكم من أكبر أسباب قبول الناس لدين ربكم، وسُنَّة نبيكم، وجهادكم في ذلك، وصبركم على مخالفة دين الآباء، أنكم ترتدون على أعقابكم، وسبب هذا أنه ذُكِرَ لي عنكم أنكم ظننتم أني أعنيكم ببعض الكلام الذي أجبت به مَن اعتقد حِلَّ الرشوة، وأنه مزْعِلكُم. فيا سبحان الله! كيف أعنيكم به وأنا كاتب لكم تسجلون عليه، وتكونون معي أنصارًا لدين الله؟

وقيل لي إنكم ناقدون عليّ بعض الغلظة فيه على مَلفاه[٢]، والأمر أغلظ مما ذكرنا، ولولا أن الناس إلى الآن ما عرفوا دين الرسول، وأنهم يستنكرون الأمر الذي لم يألفوه، لكان شأن آخر، بل والله الذي لا إله إلَّا هو لو يعرف الناس

---

(١) الإقناع (١/ ٧٧).

(٢) الملفى: الوصول إلى مكان مطلوب.

الأمر على وجهه لأفتيت بحل دم ابن سحيم وأمثاله، ووجوب قتلهم، كما أجمع على ذلك أهل العلم كلهم، لا أجد في نفسي حرجًا من ذلك، ولكن إن أراد الله أن يتم هذا الأمر تبيّن أشياء لم تخطر لكم على بال، وإن كانت من المسائل التي إذا طلبتم الدليل بيّنا أنها إجماع أهل العلم.

وبالحاضر؛ لا يخفاكم أن معي غيظًا عظيمًا، ومضايقة من زعلكم، وأنتم تعلمون أن الله ألزم، والدين لا محاباة فيه، وأنتم من قديم لا تشكون فيّ، والآن غايتكم قريبة وداخلتكم الريبة، وأخاف أطول الكلام فيجري فيه شيء يزعلكم، وأنا فيَّ بعض الحدة، فأنا أشير عليكم وألزم أن عبد الوهاب يزورنا سواء كان يومين وإلا ثلاثة وإن كان أكثر يصير قطعًا لهذه الفتنة، ويخاطبني وأخاطبه من الرأس، وإن كان كَبُرَ عليه الأمر فيوصي لي وأعني له، فإن الأمر الذي يزيل زَعَلكُم، ويؤلف الكلمة، ويهديكم الله بسببه؛ نحرص عليه، ولو هو أشق من هذا، اللهم إلَّا أن تكونوا شايفين شيئًا من أمر الله، فالواجب عليكم اتباعه، والواجب علينا طاعتكم والانقياد لكم، وإن أبينا كان الله معكم وخلقه.

ولا يخفاكم أنه وصلني أمس رسالة في صفة مذاكرتكم في التذكير، ويطلبون مني جوابًا عن أدلتكم، وأنتم ضحكتم على ابن فيروز، وتسافهتموه، وتساخفتم عقله في جوابه، وانحرفتم تعدلون عداله، لكن ما أنا بكاتب لهم جوابًا؛ لأن الأمر معروف أنه منكم، وأخاف أن أكتب لهم جوابًا، فينشروه، فيزعلكم، وأشوف غايتكم قريبة، وتحملون الأمر على غير محمله. والسلام.

**ومنها: رسالة كتبها إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى، قال فيها:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الوهاب بن عبد الله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

وصل كتابك، وما ذَكَرْتَ فيه من الظن والتجسس وقبول خبر الفاسق، فكل هذا حق، وأريد به باطل، والعجب منك إذا كنت من خمس سنين تجاهد جهادًا كبيرًا في رد دين الإسلام، فإذا جاءك مساعد أو ابن راجح وإلا صالح بن سليم، وأشباه هؤلاء الذين تلقنهم شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأن عبادة المخلوقات كفر، وأن الكفر بالطاغوت فرض، قمت تجاهد، وتبالغ في نقض ذلك، والاستهزاء به، وليس الذي يذكر هذا عنك بعشرة ولا عشرين ولا ثلاثين، ولا أنت بمتخفٍّ في ذلك، ثم تظن في خاطرك أن هذا يخفى عليَّ، وأني أصدقك إذا قلت ما قلت، ولو أن الذي جرى عشر أو عشرون أو ثلاثون مرة أمكَنَ تعداد ذلك، وأحسن ما ذكرت أنك تقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ وتُقِرُّ بالذنب، وتجاهد في إطفاء الشرك وإظهار الإسلام، كما جاهدت في ضده، ويصير ما تُقِرُّ به كأن لم يكن، فإن كنت تريد الرفعة في الدنيا والجاه حصل لك بذلك ما لا يحصل بغيره من الأمور بأضعاف مضاعفة، وإن أردت به الله والدار الآخرة فهي التجارة الرابحة، وأتتك الدنيا تبعًا، وإن كنتَ تظن في خاطرك أنا نبغي نداهنك في دين الله، ولو كنتَ أجل عندنا مما كنت، فأنت مخالف، فإن كنت تتهمني بشيء من أمور الدنيا فلك الشرهة، فإن كان أني أدعو لك في سجودي، وأنت وأبوك أجل الناس إليَّ، وأحبهم عندي، وأمرك هذا أشق عليَّ من أمر أهل الحسا، خصوصًا بعدما استركبت أباك وخربته، فعسى الله أن يهدينا وإياك لدينه القيم، ويطرد عنا الشيطان، ويعيذنا من طريق المغضوب عليهم والضالين.

**ومنها: رسالة كتبها إلى أحمد بن محمد بن سويلم وثنيان بن سعود، قال فيها:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخوين أحمد بن محمد وثنيان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

ذُكِرَ لي عنكم أن بعض الإخوان تكلم في عبد المحسن الشريف يقول إن أهل الحسا يحبون على يدك، وإنك لابس عمامة خضراء، والإنسان لا يجوز له الإنكار إلَّا بعد المعرفة، فأول درجات الإنكار معرفتك أن هذا مخالف لأمر الله.

وأما تقبيل اليد فلا يجوز إنكار مثله، وهي مسألة فيها اختلاف بين أهل العلم، وقد قبّل زيدُ بن ثابت يدَ ابن عباس وقال: هكذا أُمِرْنَا أن نفعل بأهل بيت نَبِيِّنَا. وعلى كل حال فلا يجوز لهم إنكار كل مسألة لا يعرفون حكم الله فيها.

وأما لبس الأخضر فإنها أُحْدِثَت قديمًا تمييزًا لأهل البيت؛ لئلَّا أحد يظلمهم، أو يقصر في حقهم مَن لا يعرفهم، وقد أُوجِبَ لأهل بيت رسول الله ﷺ على الناس حقوق، فلا يجوز لمسلم أن يُسقط حقهم ويظن أنه من التوحيد، بل هو من الغلو، ونحن ما أنكرنا إكرامهم إلَّا لأجل الألوهية، أو إكرام المدَّعِي لذلك، وقيل إنه ذكر عنه أنه معتذر عن بعض الطواغيت.

وهذه مسألة جليلة ينبغي التفطن لها، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ فالواجب عليهم إذا ذُكِرَ لهم عن أحد منكرًا عدم العجلة، فإذا تحققوه أتَوا صاحبه ونصحوه، فإن تاب ورجع، وإلَّا أُنكر عليه وتُكلم فيه.

فعلى كل حال نبِّهُوهم على مسألتين:

**الأولى**: عدم العجلة، ولا يتكلمون إلَّا مع التحقق، فإن التزوير كثير.

**الثانية**: أن النبي ﷺ كان يعرف المنافقين بأعيانهم، ويقبل علانيتهم ويَكِلُ سرائرهم إلى الله، فإذا ظهر منهم وتحقق ما يوجب جهادَهُم جاهَدَهُم.

وغير ذلك: عبد الرحمن بن عقيل رجع إلى الحق، ولله الحمد، ولكن وُدِّي

أقرأ عليه رسالة ابن شلهوب وغيرها. وأنت يا أحمد على كل حال أرسل المجموع مع أول مَن يُقْبِل وأرسلها فيه، خذه من سليمان، لا تغفل، تراك خالفت خلافًا كبيرًا في ها المجموع. والسلام.

**ومنها: رسالة أرسلها إلى عبد الله بن سويلم، حين غضب على ابن عمه أحمد في شدته على المنافقين، قال فيها:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخ عبد الله بن عبد الرحمن، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

ذكَر لي ابن زيدان أنك يا عبد الله زَعْل على أحمد بعض الزَّعَل لما تكلم في بعض المنافقين، ولا يخفاك أن بعض الأمور كما قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ وذلك أني لا أعرف شيئًا يُتَقَرَّب به إلى الله أفضل من لزوم طريقة الله ﷺ في حال الغربة، فإن انضاف إلى ذلك الجهاد عليها للكفار والمنافقين كان ذلك تمام الإيمان، فإذا أراد أحد من المؤمنين أن يجاهد، فأتاه بعض أخوانه فذكر له أن أمرك للدنيا، أخاف أن يكون هذا من جنس ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ فأنتم تأملوا تفسير الآية، ثم نَزِّلُوه على هذه الواقعة.

وأيضًا في «صحيح مسلم» أن أبا سفيان مر على بلال وسلمان، وأجناسهما، فقالوا: ما أَخَذَت سيوفُ الله من عنق عدو الله مأخذها! فقال أبو بكر: تقولون هذا لشيخ قريش وسيدها! ثم أتى النبيَّ ﷺ فذكر له ذلك، فقال: «**يا أبا بكر، لئن كنتَ أغضَبْتَهُم لقد أَغْضَبْتَ رَبَّك**»[1] ومن أفضل الجهاد جهاد المنافقين في

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٠٤).

زمن الغربة، فإذا خاف أحد منكم مِن بعض إخوانه قصدًا مسيئًا فلينصحه برفق وإخلاص لدين لله، وترك الرياء والقصد الفاسد، ولا يَفِلَّ عزمه عن الجهاد، ولا يتكلم فيه بالظن السيئ وينسبه إلى ما لا يليق، ولا يدخل خاطرك شيء من النصيحة، فلو أدري أنه يدخل خاطرك ما ذكرته، وأنا أجد في نفسي أن وُدِّي من ينصحني كلما غَلِطْتُ، والسلام.

**ومنها رسالة كتبها إلى أحمد بن إبراهيم، مطوع مرات، من بلدان الوشم، وكان قد أرسل إليه رسالة، فأجابه الشيخ بهذه:**

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن إبراهيم، هدانا الله وإياه، وبعد:

ما ذَكَرْتَ من مسألة التكفير، وقولك: ابسُط الكلام فيها. فلو بيننا اختلاف أمكنني أن أبسط الكلام أو امتنع، وأما إذا اتفقنا على الحكم الشرعي، لا أنت بمنكر الكلام الذي كتبت إليك، ولا أنا بمنكر العبارات التي كتبت إليّ، وصار الخلاف في أناس مُعَيَّنين أقروا أن التوحيد الذي ندعو إليه دين الله ورسوله، وأن الذي نَنْهَى عنه في الحرمين والبصرة والحسا هو الشرك بالله، ولكن هؤلاء المُعيَّنُون هل تركوا التوحيد بعد معرفته وصدوا الناس عنه، أم فرحوا به وأَحَبُّوه ودانوا به وتبرؤوا من الشرك وأهله؟ فهذا ليس مرجعها إلى طالب العلم، مرجعها إلى علم الخاص والعام.

مثال ذلك: إذا صح أن أهل الحسا والبصرة يشهدون أن التوحيد الذي نقول دين الله ورسوله، وأن هذا المفعول عندهم في الأحياء والأموات هو الشرك بالله، ولكن أنكروا علينا التكفير والقتال خاصة، والمرجع في المسألة إلى الحضر والبدو، والنساء والرجال، هل أهل قبة الزبير وقبة الكواز تابوا من دينهم وتبعوا ما أقروا به من التوحيد، أم هم على دينهم؟ ولو يتكلم الإنسان بالتوحيد

فسلامته على أخذ ماله، فإن كنت تزعم أن الكواوزة وأهل الزبير تابوا من دينهم وعادَوْا مَن لم يَتُبْ، فتبعوا ما أَقَرُّوا به وعادَوْا مَن خالفه، هذا مكابرة، وإن أقررتم أنهم بعد الإقرار أشد عداوة ومَسَبَّةً للمؤمنين والمؤمنات، كما يعرفه الخاص والعام، وصار الكلام في أتباع المويس وصالح بن عبد الله؛ هل هم مع أهل التوحيد أم هم مع أهل الأوثان، بل أهل الأوثان معهم، وهم حزبة العدو وحاملو الراية، فالكلام في هذا نحيله على الخاص والعام. فوُدِّي إنك تسرع بالنفور، فتتوجه إلى الله وتنظر نظر مَن يؤمن بالجنة والخلود فيها، ويؤمن بالنار والخلود فيها، وتسأله بقلب حاضر أن يهديك الصراط المستقيم.

هذا مع أنك تعلم ما جرى من ابن إسماعيل وولد ابن ربيعة سنة الحبس، لما شكونا عند أهل قبة أبي طالب يوم يكسيه صايه[١]، وجميع مَن معك من خاص وعام معهم إلى الآن، وتعرف روحة المويس وأتباعه لأهل قبة الكواز[٢]، وسية طالب يوم يكسيه صايه، ويقول لهم: طالع أناس ينكرون قببكم، وقد كفرروا وحل دمهم ومالهم.

وصائر هذا عندك، وعند أهل الوشم، وعند أهل سدير والقصيم، من فضائل المويس ومناقبه، وهم على دينه إلى الآن، مع أن المكاتيب التي أرسلها علماء الحرمين مع المزيودي سنة الحبس عندنا إلى الآن تتناك[٣]، وقد صرحوا فيها أن من أقر بالتوحيد كفر، وحل ماله ودمه، وقُتِلَ في الحل والحرم، ويذكرون دلائل

---

(١) الصايه: القماش الناعم.

(٢) مسجد بمدينة البصرة، نسبة للشيخ محمد أمين الكواز، أحد شيوخ الطريقة الشاذلية الصوفية، (ت ٩٥٣هـ)، ودُفن بالمسجد! وانظر: «الكشاف الأثري في العراق»؛ للدكتور قحطان صالح (ص٢٧٨).

(٣) أي: تنتظرك.

على دعاء الأولياء في قبورهم، منها قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ﴾ فإن كانت ليست عندك، ولا صبرت إلى أن تجيء؛ فأرسل إلى ولد محمد بن سليمان في وشيقر، ولسيف العتيقي، يرسلونها إليك، ويجيبون عن قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ أنهم يُدعون على أنهم المعطون المانعون بالأصالة، وأما دعوتهم على أنهم شفعاء فهو الدين الصحيح، ومَن أنكره قُتِلَ في الحل والحرم.

وأيضًا جاءنا بعض المجلد الذي صنَّف القباني[1]، واستكتبوه أهل الحسا وأهل نجد، وفيه نقل الإجماع على تحسين قبة الكواز وأمثالها، وعبادتها وعبادة سية طالب، ويقول في تصنيفه إنه لم يخالف في تصنيفه إلّا ابن تيمية وابن القيم وعشرة أنا عاشرُهُم، الجميع اثنا عشر، فإذا كان يوم القيامة اعتزلوا وحدهم عن جميع الأمة! وأنتم إلى الآن على ما تعلم، مع شهادتكم أن التوحيد دين الله ورسوله، وأن الشرك باطل.

وأيضًا مكاتيب أهل الحسا موجودة، فأما ابن عبد اللطيف وابن عفالق وابن مطلق فحَشو بالزبيل، أعني سبابة التوحيد، واستحلال دم مَن صدّق به أو أنكر الشرك، ولكن تعرف ابن فيروز أنه أَقْرَبُهُم إلى الإسلام، وهو رجل من الحنابلة، وينتحل كلام الشيخ وابن القيم خاصة، ومع هذا صنَّف مصنفًا أرسله إلينا قرر فيه أن هذا الذي يُفْعَلُ عند قبر يوسف وأمثاله هو الدين الصحيح، واستدل في تصنيفه بقول النابغة:

أيا قبر النبي وصاحبيه ... ووامصيبتنا لو تعلمونا

---

(١) أحمد بن علي البصري، (كان حيًا سنة ١١٥٧هـ)، وعنوان كتابه «فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبدالوهاب». انظر: «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» (ص ٤٤).

وفي مصنف ابن مطلق الاستدلال بقول الشاعر:

**وكن لي شفيعًا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغنٍ عن سواد بن قارب**

ولكن الكلام الأول أبلغ من هذا كله، وهو شهادة البدو والحضر، والنساء والرجال أن هؤلاء الذين يقولون: التوحيد دين الله ورسوله، ويُبْغِضُونه أكثر من بُغْضِ اليهود والنصارى، ويسبونه ويصدون الناس عنه، ويجاهدون في زواله، وتثبيت الشرك بالنفس والمال، خلاف ما عليه الرسل وأتباعهم، فإنهم يجاهَدون ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾.

وأما قولك: أبغى أشاور إبراهيم. فلا وُدِّي تصير ثالثًا لابن عباد وابن عيد، أما ابن عباد فيقول: أي شيء أفعل بالعناقر! وإلَّا فالحق واضح، ونصحتُهُم وبيّنتُ لهم. وابن عيد أنت خابره، حاول إبراهيم في الدخول في الدين، وتعذر من الناس أن إبراهيم ممتنع! يا سبحان الله! إذا كان أهل الوشم وأهل سدير وغيرهم يقطعون أن كل مطوع في قرية لو ينقاد شيخها، ما منهم أحد يتوقف، كيف يكون قدر الدين عندكم؟ كيف قدر رضا الله والجنة؟ كيف قدر النار وغضب الله؟

ولكن ودي تفكر فيما تعلم: لما اختلف الناس بعد مقتل عثمان، وبإجماع أهل العلم أنهم لا يقال فيهم إلَّا الحسنى، مع أنهم عثوا في دمائهم، ومعلوم أن كلًّا من الطائفتين؛ أهل العراق وأهل الشام، معتقدة أنها على الحق والأخرى ظالمة، ونبغ من أصحاب عليٍّ من الشرك بعليٍّ، وإجماع الصحابة على كفرهم وردتهم وقتلهم، لكن حرَّقهم عليٌّ، وابن عباس يرى قتلهم بالسيف، أترى أهل الشام لو حملهم مخالفةُ عليٍّ على الاجتماع بهم والاعتذار عنهم والمقاتلة معهم، لو امتنعوا، أترى أحدًا من الصحابة يشك في كفر مَن التجأ إليهم، ولو أظهر البراءة من اعتقادهم، وإنما التجأ إليهم وزين مذهبهم لأجل الاقتصاص

من قتلة عثمان؟ فتفكر في هذه القضية، فإنها لا تبقي شبهة، إلا على مَن أراد الله فتنته.

وغير ذلك، قولك: أريد أمانًا على كذا وكذا. فأنت مخالف، والخاص والعام يفرحون بجيتك مثلما فرحوا بجية ابن غنام والمنقور وابن عضيب[١]، مع أن ابن عضيب أكثر الناس سبًّا لهذا الدين إلى الآن، وراحوا مُوَقَّرِين مَحْشُومِين، كيف لو تجيء أنت؟ كيف تظن أن يجيئك ما تكره؟ فإن أردت تجديد الأمان على ما بغيت فاكتب لي، ولكن تعرف حرصي على الكتب، فإن عزمت على الراضة[٢]، وعجّلتها عليّ قبلك، فتراها عليّ بنوّ الخير، وإن ما جاز عندك كلها فبعضها، ولو مجموع ابن رجب، ترى ما جاءنا فهو عاريَّة موداة، وإن لم تأتنا، قال ابن القيم في النونية:

**يا فرقة جهلت نصوص نبيها وقصوده وحقائق الإيمان**
**فسَطَوا على أتباعه وجنوده بالبغي والتكفير والطغيان**
**لله حقٌّ لا يكون لغيره ولعبده حق هما حقان**
**لا تجعلوا الحقين حقًّا واحدًا من غير تمييز ولا فرقان**

المراد تعريفك لما صدقتك أن لك نظرًا في الحق، أن في ذلك الزمان مَن يكفِّر العلماء إذا ذكروا التوحيد، ويظنونه تنقيصًا للنبي ﷺ فما ظنك بزمانك هذا؟ وإذا كان المكفرون ممن يُعَدُّون من علمائهم، فما ظنك بولد المويس

---

(١) قال ابن بشر في «عنوان المجد» (١ / ٣٥) في أحداث سنة ١١٧٠هـ: «ثم إن عبدالعزيز رحل من البلد، وأناخ في سدير، وأرسل إلى قضاتهم، وهم حمد بن غنام قاضي بلد الروضة، ومحمد بن عضيب قاضي بلد الداخلة، وإبراهيم بن حمد المنقور قاضي بلد الحوطة، وأمرهم يرحلون معه لمواجهة الشيخ، فرحلوا معه».

(٢) الراضة: التأني وعدم العجَلة.

وفاسد[١] وأمثالهما؟ يوضحه تسجيلهم على جواب علماء مكة ونشره وقراءته على جماعتهم ودعوتهم إليه.

ذكر ابن عبد الهادي في مناقب الشيخ، لما ذكر المحنة التي نالته بسبب الجواب في شد الرحل، فالجواب الذي كفَّروه بسببه ذكر أن كلامه في هذا الكتاب أبلغ منه، فالعجب إذا كان هذا الكتاب عندك، وعلماء في زمن الشيخ كفَّروه بكلام دونه، فكيف بالمويس وأمثاله لا يكفروننا بمحض التوحيد؟ وذكر ابن القيم في النونية ما يصدق هذا الكلام، لما قالوا له إنك مثل الخوارج، رد عليهم بقوله:

مَن لي بمثل خوارج قد كفَّرُوا    بالذنب تأويلًا بلا إحسان

ثم ذكر في البيت الثاني أن هؤلاء يكفروننا بمحض الإيمان، والخوارج يكفرون بالذنوب.

وكلامي هذا تنبيه أن إنكار التوحيد متقدم، وكذلك التكفير لمن اتبعه، وأنت لا تعتقد أن الزمان صلح بعدهم، ولا تعتقد أن المويس وأمثاله أجلّ وأورع من أولئك الذين كفّروا الشيخ وأتباعه.

وعند ابن عبد الهادي من كتبه كتاب «الإغاثة» مجلد، ولفانا من الشام مع مربد[٢]، وسببه أن رجلًا من فقهاء الشافعية يقال له ابن البكري عثر على جواب للشيخ في الاستغاثة بالموتى في الشدائد، فأنكر ذلك وصنّف مصنفًا في جواز

---

(١) صالح بن عبدالله، الذي ذكره في أول الرسالة، وماكان صالحًا!

(٢) مربد بن أحمد التميمي (ت ١١٧١هـ)، له ترجمة في «علماء نجد» (٦ / ٤١٦ - ٤٢٠). قال عنه: «قاضي بلدة حريملاء، إلا أنه صار من الأعداء الألداء للشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الصحيحة السلفية، وصار يُحذر منها، ويُشوه سمعة دعاتها والقائمين عليها». ثم ذكر أنه كان السبب في التشويش على الصنعاني في أمر دعوة الشيخ.

الاستغاثة بالنبي ﷺ في كل ما يُسْتَغَاث اللهُ فيه، وصرح بتكفير الشيخ في ذلك الكتاب، وجعله مستنقصًا للأنبياء، وأورد فيه آيات وأحاديث، فصنّف الشيخ كتاب «الاستغاثة» ردًّا على ابن البكري، وقرر فيه مذهب الرسل وأتباعهم، وذكر أن الكفار لم يبلغ شركهم هذا، بل ذكَر الله عنهم أنهم إذا مسهم الضر أخلصوا ونَسُوا ما يُشركون.

والمقصود أن في زمن الشيخ، ممن يدعي العلم والتصنيف، مَن أنكر التوحيد وجعله سبًّا للأنبياء والأولياء، وكفَّر مَن ذهب إليه، فكيف تزعم أن عَبَدَةَ قبة الكواز وأمثالها ما أنكروه، بل تزعم أنهم قَبِلُوه ودانوا به، وتبرأوا من الشرك، ولا أنكروا إلَّا تكفير مَن لا يَكفر؟

وأعظَمُ وأَطَمُّ أنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله، وتبرأوا من الدين كله، واستهزأوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث، وفضَّلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزأوا بها، مع إقرارهم بأن محمدًا رسول الله، وأن كتاب الله عند الحضر، لكن كذّبوا وكفّروا واستهزأوا عنادًا، ومع هذا تنكرون علينا كفرهم، وتصرحون بأن مَن قال «لا إله إلَّا الله» لا يكفر، ثم تذكر في كتابك أنك تشهد بكفر العالم العابد، الذي ينكر التوحيد ولا يُكفر المشركين، ويقول: هؤلاء السواد الأعظم، ما يتيهون! فإن قلتم: إن الأولين، وإن كانوا علماء، فلم يقصدوا مخالفة الرسول، بل جهلوا. وأنتم وأمثالكم تشهدون ليلًا ونهارًا أن هذا الذي أخرجنا للناس؛ من التوحيد وإنكار الشرك، أنه دين الله ورسوله، وأن الخلاف منا التكفير والقتال، ولو قدّرنا أن غيركم يُعذر بالجهل فأنتم مصرحون بالعلم، والله أعلم.

**ومنها: رسالة أرسلها إلى عبد الرحمن بن ربيعة[1]، مطوع أهل ثادق، وهي هذه:**

---

(١) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٣/ ١٧٢ - ١٧٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على رسول الله ﷺ من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الرحمن بن ربيعة، سلمه الله تعالى، وبعد:

وصل كتابك تسأل عن مسائل كثيرة، وتذكر أن مرادك اتباع الحق، منها مسألة التوحيد، ولا يخفاك أن النبي ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**إن أوّل ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله، فإنهم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات...**» إلى آخره[1] فإذا كان الرجل لا يُدْعَى إلى الصلوات الخمس إلَّا بعد ما يعرف التوحيد وينقاد له، فكيف بمسائل جزئية اختلف فيها العلماء؟

فاعلم أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل، من أولهم إلى آخرهم، إفراد الله بالعبادة كلها، ليس فيها حق لمَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولا نبيٍّ مُرْسَلٍ، فضلًا عن غيرهم، فمن ذلك لا يُدْعَى إلَّا إيَّاه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ فمن عبد الله ليلًا ونهارًا، ثم دعا نبيًّا أو وليًّا عند قبره، فقد اتخذ إلهين اثنين، ولم يشهد أن لا إله إلَّا الله؛ لأن الإله هو المدعوُّ، كما يفعل المشركون اليوم عند قبر الزبير أو عبد القادر أو غيرهما، وكما يُفْعَل قبل هذا عند قبر زيد وغيره. ومَن ذبَح لله ألف أضحية، ثم ذبَح لنبي أو غيره، فقد جعل إلهين اثنين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الآية، والنُّسُك هو الذبح.

وعلى هذا فَقِسْ، فمن أخلص العبادة كلها، ولم يشرك فيها غيره، فهو الذي شهد أن لا إله إلَّا الله، ومَن جعَل فيها مع الله غيره فهو المشرك الجاحد لقوله

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

«لا إله إلّا الله» وهذا الشرك الذي ذكره اليوم قد طبّق مشارق الأرض ومغاربها، إلّا الغرباء المذكورين في الحديث ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾.

وهذه المسألة لا خلاف فيها بين أهل العلم من كل المذاهب، فإذا أردت هذا فتأمل باب «حكم المرتد» في كل كتاب وفي كل مذهب، وتأمل ما ذكروه في الأمور التي تجعل المسلم مرتدًّا، يحل دمه وماله. منها: مَن جعل بينه وبين الله وسائط، كيف حكى الإجماع في «الإقناع» على ردته[1] ثم تأمل ما ذكروه في سائر الكتب، فإن عرفتَ أن في المسألة خلافًا، ولو في بعض المذاهب، فنبِّهْني.

وإن صح عندك الإجماع على تكفير مَن فعل هذا، أو رضيه، أو جادل فيه، فهذه خطوط المويس وابن إسماعيل وأحمد بن يحيى عندنا في إنكار هذا الدين، والبراءة منه ومن أهله، وهم الآن مجتهدون في صد الناس عنه، فإن استقمت على التوحيد وتبيّنت فيه، ودعوت الناس إليه بعداوة هؤلاء، خصوصًا ابن يحيى؛ لأنه مَنْ أنجسهم وأعظمهم كفرًا، وصبرت على الأذى في ذلك - فأنت أخونا وحبيبنا، وذلك محل المذاكرة في المسائل التي ذكرت، فإن بان الصواب معك وجب علينا الرجوع إليك، وإن لم تستقم على التوحيد علمًا وعملًا ومجاهدة فليس هذا محل المراجعة في المسائل، والله أعلم.

**ومنها: رسالة أرسلها جوابًا لرجل من أهل الحسا يقال له «أحمد بن عبد الكريم»، وكان قد عرف التوحيد وكفَّر المشركين، ثم إنه حصل له شبهة في ذلك، بسبب عبارات رآها في كلام الشيخ تقي الدين، ففهم منها غير مراد الشيخ، رحمه الله. قال فيها:**

---

(١) الإقناع (٤/ ٢٩٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن عبد الكريم، سلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، أما بعد:

وصل مكتوبك، تقرر المسألة التي ذكرت، وتذكر أن عليك إشكالًا تطلب إزالته، ثم ورد منك مراسلة تذكر أنك عثرت على كلام للشيخ أزال عنك الإشكال، فنسأل الله أن يهديك لدين الإسلام، وعلى أي شيء يدل كلامه، على أن مَن عبد الأوثان عبادة أكبر من عبادة اللات والعزى، وسَبَّ دينَ الرسول بعدما شهد به مثل سَبِّ أبي جهل، أنه لا يكفر بعينه! بل العبارة صريحة واضحة في تكفير مثل ابن فيروز وصالح بن عبد الله وأمثالهما كفرًا ظاهرًا ينقل عن الملّة، فضلًا عن غيرهما، هذا صريح واضح في كلام ابن القيِّم الذي ذكرتَ، وفي كلام الشيخ الذي أزال عنك الإشكال في كفر مَن عَبَد الوَثَنَ الذي على قبر يوسف وأمثاله، ودعاهم في الشدائد والرخاء، وسَبَّ دينَ الرسل بعدما أَقَرَّ به، ودان بعبادة الأوثان بعدما أَقَرَّ بها.

وليس في كلامي هذا مجازفة، بل أنت تشهد به عليهم، ولكن إذا أعمى الله القلب فلا حيلة فيه، وأنا أخاف عليك من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ والشبهة التي دَخَلَت عليك هذه البُضَيْعَة التي في يدك، تخاف تغدى أنت وعيالك إذا تَرَكْتَ بلد المشركين، وشاكٌّ في رزق الله، وأيضًا قرناء السوء أضلوك كما هي عادتهم، وأنت، والعياذ بالله، تنزل درجة درجة، أول مرة في الشك، وبلد الشرك، وموالاتهم، والصلاة خلفهم، وبراءتك من المسلمين مداهنة لهم، ثم بعد ذلك طحت على ابن غنام وغيره، وتبرأت من ملة إبراهيم، وأشهدتهم على نفسك باتباع المشركين من غير إكراه، لكن خوفًا ومداراة، وغاب عنك قوله تعالى في عمار بن ياسر وأشباهه:

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فلم يستثن الله إلا مَن أُكْرِهَ وقلبه مطمئن بالإيمان، بشرط طمأنينة قلبه، والإكراه لا يكون على العقيدة، بل على القول والفعل، فقد صرّح بأن مَن قال المُكَفِّرَ أو فَعَلَه فقد كَفَر، إلَّا المُكْرَهَ، بالشرط المذكور، وذلك أن ذلك بسبب إيثار الدنيا، لا بسبب العقيدة، فَتَفَكَّرْ في نفسك؛ هل أكرهوك وعَرَضُوك على السيف مثل عمار أم لا؟ وتَفَكَّرْ؛ هل هذا بسبب أن عقيدته تغيرت أم بسبب إيثار الدنيا؟

ولم يبق عليك إلَّا رتبة واحدة، وهي أنك تصرح، مثل ابن رفيع، تصريحًا بسبة دين الأنبياء، وترجع إلى عبادة العيدروس وأبي حديدة وأمثالهما، ولكن الأمر بيد مقلب القلوب، فأول ما أنصحك به أنك تفكر؛ هل هذا الشرك الذي عندكم هو الشرك الذي ظَهَرَ نبيك ﷺ يَنْهَى عنه أهلَ مكة، أم شرك أهل مكة نوع آخر أغلظ منه، أم هذا أغلظ؟ فإذا حَكَمْتَ المسألةَ وعَرَفْتَ أن غالب مَن عندكم سمع الآيات، وسمع كلام أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين، وأَقَرَّ به، وقال: أشهد أن هذا هو الحق، ونعرفه قبل ابن عبد الوهاب. ثم بعد ذلك يصرِّح بِمَسَبَّة ما شَهِدَ أنه الحق، ويصرِّح بحُسْنِ الشرك وأتباعه، وعدم البراءة من أهله، فتَفَكَّرْ؛ هل هذه مسألة، أو مسألة الرِّدَّة الصريحة التي ذكرها أهل العلم في الردة؟

ولكن العجب من دلائلك التي ذكرت كأنها أتت ممن لا يسمع ولا يُبصر، أما استدلالك بترك النبي ﷺ ومن بعده تكفير المنافقين وقتلهم، فقد صرح الخاص والعام ببديهة العقل أنهم لو يُظهرون كلمة واحدة، أو فعلًا واحدًا من عبادة الأوثان، أو مَسَبَّة التوحيد الذي جاء به الرسول ﷺ أنهم يُقْتَلُون شَرَّ قِتْلَة، فإن كنت تزعم أن الذين عندكم أظهروا اتباع الدين الذي تشهد أنه دين الرسول ﷺ

وتبرأوا من الشرك بالقول والفعل، ولم يبق إلّا أشياء خفية تظهر على صفحات الوجه، أو فلتة لسان في السر، وقد تابوا من دينهم الأول، وقتلوا الطواغيت، وهدموا البيوت المعبودة، فقل لي.

وإن كنت تزعم أن الشرك الذي خرج عليه رسول الله ﷺ أكبر من هذا، فقل لي.

وإن كنت تزعم أن الإنسان إذا أظهر الإسلام لا يكفر إذا أظهر عبادة الأوثان، وزعم أنها الدين، وأظهر سب دين الأنبياء، وسماه دين أهل العارض، وأفتى بقتل مَن أخلص لله الدين وإحراقه وحل ماله، فهذه مسألتك، وقد قررتها وذكرت أن من زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا لم يقتلوا أحدًا، ولم يكفروه من أهل الملّة!

أما ذكرت قول الله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ إلى قوله: ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾ واذكر قوله: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا ۚ﴾ إلى قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ﴾ الآية، واذكر قوله في الاعتقاد في الأنبياء: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ واذكر ما صح عن رسول الله ﷺ أنه أشخَصَ رجلًا معه الراية إلى مَن تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله[1] فأي هذين أعظم؛ تَزَوُّجُ امرأة الأب أو سَبُّ دين الأنبياء بعد معرفته؟

واذكر أنه قد هم بغزو بني المصطلق، لما قيل إنهم منعوا الزكاة، حتى كذّب الله مَن نقل ذلك.

واذكر قوله في أعبد هذه الأمة وأشدهم اجتهادًا: «**لئن أدركتُهم لأَقْتُلَنَّهم قَتْلَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣١٤) ومسلم (١٦٩٦).

**عاد، أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة»**[١].

واذكر قتال الصديق وأصحابه مانعي الزكاة، وسبي ذَرَاريهِم وغنيمة أموالهم[٢].

واذكر إجماع الصحابة على قتل أهل مسجد الكوفة، وكفرهم وردتهم، لما قالوا كلمة في تقرير نبوّة مسيلمة، ولكن الصحابة اختلفوا في قبول توبتهم لما تابوا، والمسألة في «صحيح البخاري» وشرحه في «الكفالة».

واذكر إجماع الصحابة لما استفتاهم عمر على أن مَن زعم أن الخمر تحل للخواص، مستدلًّا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾[٣] مع كونه من أهل بدر.

وأجمع الصحابة على كفر مَن اعتقد في عليٍّ مثل اعتقاد هؤلاء في عبد القادر ورِدَّتِهِم وقَتْلِهِم، فأحرقهم علي بن أبي طالب ﷺ، وهم أحياء، فخالفه ابن عباس في الإحراق، وقال: يُقْتَلُون بالسيف[٤]. مع كونهم من أهل القرن الأول، أخذوا العلم عن الصحابة.

واذكر إجماع أهل العلم، من التابعين وغيرهم، على قتل الجعد بن درهم وأمثاله، قال ابن القيم:

**شكر الضحية كلُّ صاحب سُنَّة     لله درك من أخي قربان**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٣) ومسلم (٢٠).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).
(٣) أخرجه عبد الرزاق (٩/ ٢٤٠).
(٤) أخرج البخاري (٦٥٢٤) عن عكرمة قال: أتى علي بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**لا تعذبوا بعذاب الله**» ولقتلتهم لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**من بدل دينه فاقتلوه**».

ولو ذهبنا نعدد مَن كفّره العلماء، مع ادِّعائه الإسلام، وأَفْتَوا بِرِدَّتِه وقَتْلِهِ لطال الكلام، لكن مِن آخر ما جرى قصة بني عُبَيدٍ ملوك مصر وطائفتهم، وهم يَدَّعُون أنهم من أهل البيت، ويُصلون الجمعة والجماعة، ونصبوا القضاة والمفتين، وأجمع العلماء على كفرهم ورِدَّتِهِم وقتالِهِم، وأن بلادهم بلاد حرب، يجب قتالهم، ولو كانوا مُكْرَهِين مُبْغِضِين لهم.

واذكر كلامه في «الإقناع» وشرحه في الردة، كيف ذكروا أنواعًا كثيرة موجودة عندكم، ثم قال منصور: وقد عمّت البلوى بهذه الفرق، وأفسدوا كثيرًا من عقائد أهل التوحيد، نسأل الله العفو والعافية[1]. هذا لفظه بحروفه، ثم ذكر قتل الواحد منهم وحكم ماله، هل قال واحد من هؤلاء من الصحابة إلى زمن منصور إن هؤلاء يكفر أنواعهم لا أعيانهم؟

وأما عبارة الشيخ التي لَبَّسُوا بها عليك، فهي أغلظ من هذا كله، ولو نقول بها لكفّرنا كثيرًا من المشاهير بأعيانهم، فإنه صرّح فيها بأن المُعَيَّنَ لا يكفرُ إلَّا إذَا قامت عليه الحجة، فإن كان المُعَيَّنَ لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة، فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبي بكر ﷺ، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله، وخلا من شيء يُعْذَرُ به فهو كافر، كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن، مع قول الله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ وقوله: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وإذا كان كلام الشيخ ليس في الشرك والردة، بل في المسائل الجزئيات، سواء كانت من الأصول أو الفروع، ومعلوم أنهم يذكرون في كتبهم؛ في مسائل الصفات، أو مسألة القرآن، ومسألة الاستواء، أو غير ذلك، مذهب السلف،

---

(١) كشاف القناع (٦/ ١٧١).

ويذكرون أنه الذي أمر الله به ورسوله، والذي درج عليه هو وأصحابه، ثم يذكرون مذهب الأشعري أو غيره، ويرجحونه ويسبون مَن خالفه، فلو قدَّرنا أنها لم تقم الحجة على غالبهم، قامت على هذا المُعَيَّنِ الذي يحكي المذهبين؛ مذهب رسول الله ﷺ ومَن معه، ثم يحكي مذهب الأشعري ومَن معه، فكلام الشيخ في هذا النوع، يقول إن السلف كفروا النوع، وأمَّا المُعَيَّنُ؛ فإن عرف الحق وخالف كفَر بعينه، وإلَّا لم يكفر.

وأنا أذكر لك من كلامه ما يُصدق هذا لعلك تنتفع، إن هداك الله، وتقوم عليك الحجة قيامًا بعد قيام، وإلَّا فقد قامت عليك وعلى غيرك قبل هذا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «اقتضاء الصراط المستقيم» في الكلام على قوله ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۗ﴾: ظاهره أن ما ذُبِحَ لغير الله حرم، سواء لفظ به أو لم يلفظ، وهذا أظهر من تحريم ما ذُبح لِلَّحْمِ وقال فيه: باسم المسيح. ونحوه، فإن عبادة الله والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فكذلك الشرك بالنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه، وعلى هذا لو ذبح لغير الله متقربًا إليه، وإن قال فيه: بسم الله. كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدِّين، لا تباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا الباب ما قد يفعله الجاهلون بمكة وغيرها من الذبح للجن[1]. انتهى كلامه بحروفه.

فانظر كلامه لمن ذبح لغير الله، وسمى الله عليه عند الذبح، أنه مرتد تحرم ذبيحته، ولو ذبحها للأكل، لكن هذه الذبيحة تحرم من جهتين: من جهة أنها مما أُهِل به لغير الله، وتحرم أيضًا لأنها ذبيحة مرتد. يوضح ذلك ما ذكرته أن

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٥٩).

المنافقين إذا أظهروا نفاقهم صاروا مرتدين، فأين هذا من نسبتك عنه أنه لا يُكفر أحدًا بعينه؟

وقال أيضًا في أثناء كلامه على المتكلمين ومن شاكلهم، لما ذكر عن أئمتهم شيئًا من أنواع الردة والكفر، قال رحمه الله:

وهذا إذا كان في المقالات الخفيّة، فقد يقال إنه فيها مخطئ ضال، لم تقم عليه الحجة التي يكفُرُ صاحبها، لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة، التي يعلم المشركون واليهود والنصارى أن محمدًا ﷺ بُعِثَ بها وكَفَّر مَن خالفها؛ مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة أحدٍ سواه من النبيين والملائكة وغيرهم، فإن هذا أظهر شرائع الإسلام، ثم تجد كثيرًا من رؤوسهم وقعوا في هذه الأنواع، فكانوا مرتدين، وكثير منهم تارة يرتد عن الإسلام ردّة صريحة، وتارة يعود إليه مع مرض في قلبه ونفاق، والحكاية عنهم في ذلك مشهورة، وقد ذكر ابن قتيبة من ذلك طرفًا في أول «مختلف الحديث» وأبلغ من ذلك أن منهم مَن صنّف في الردة، كما صنّف الرازي في عبادة الكواكب، وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين[(١)]. هذا لفظه بحروفه.

فانظر كلامه في التفرقة بين المقالات الخفية وبين ما نحن فيه في كفر المعين، وتأمل تكفيره رؤوسهم فلانًا وفلانًا بأعيانهم، وردتهم ردة صريحة، وتأمل تصريحه بحكاية الإجماع على ردة الفخر الرازي عن الإسلام، مع كونه عند علمائكم من الأئمة الأربعة، هل يناسب هذا لما فهمت من كلامه أن المعين لا يكفر، ولو دعا عبد القادر في الرخاء والشدة، ولو أحب عبد الله بن عون وزعم أن دينه حسن، مع عبادته أبي حديدة، ولو أبغضك واستنجسك، مع أنك أقرب

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٤ - ٥٥).

الناس إليه، لما رآك ملتفتًا بعض الالتفات إلى التوحيد، مع كونك توافقهم على شيء من شركهم وكفرهم؟

وقال الشيخ أيضًا في ردّه على بعض المتكلمين وأشباههم:

والقوم، وإن كان لهم ذكاء وفطنة، وفيهم زهد وأخلاق، فهذا لا يوجب السعادة إلَّا بالإيمان بالله وحده، وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن، وأهل الرأي والعلم بمنزلة الملك والإمارة، فكل منهم لا ينفعه ذلك إلَّا أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويتخذه إلهًا دون ما سواه، وهو معنى قول «لا إله إلَّا الله» وهذا ليس في حكمتهم، ليس فيها الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة المخلوقات، بل كل شرك في العالم إنما حدث بزي جنسهم، فهم الآمرون بالشرك، الفاعلون له، ومَن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه، بل يُقِرُّ هؤلاء وهؤلاء، وإن رجّح الموحِّدين ترجيحًا ما، فقد يرجح غيرُهُ المشركين، وقد يُعْرِضُ عن الأمرين جميعًا، فتدبر هذا فإنه نافع جدًّا. وكذلك الذين كانوا في ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد، بل يسوِّغون الشرك ويأمرون به، وهم إذا ادَّعَوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد التي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين كله لله، وعبادته وحده لا شريك له، وهذا شيء لا يعرفونه، والتوحيد الذي يَدَّعُونه إنما هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات، فلو كانوا موحدين بالكلام؛ وهو أن يصفوا الله بما وصفته به رسله، لكان معهم التوحيد دون العمل، وذلك لا يكفي في النجاة، بل لا بد أن يعبد الله وحده، ويتخذه إلهًا دون ما سواه، وهو معنى قوله «لا إله إلَّا الله» فكيف وهم في القول معطِّلُون جاحدون، لا موحِّدُون ولا مخلصون[١]. انتهى.

(١) مجموع الفتاوى (٩/ ٣٥ - ٣٧).

فتأمل كلامه، واعرضه على ما غرك به الشيطان من الفهم الفاسد، الذي كذّبت به اللهَ ورسولَه وإجماعَ الأمة، وتحيزت به إلى عبادة الطواغيت، فإن فهمت هذا، وإلّا أشير عليك أنك تكثر من التضرع والدعاء إلى مَن الهدايةُ بيده، فإن الخطر عظيم، فإن الخلود في النار جزاء الردّة الصريحة ما يَسْوَى بُضَيِّعَة تربح تومانًا أو نصف تومان، وعندنا ناس يجون بعيالهم بلا مال، ولا جاعوا ولا شحذوا، وقد قال الله في هذه المسألة: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، والله أعلم.

**ومنها: رسالة أرسلها إلى إخوانه من أهل سدير، بسبب أمر جرى بين أهل الحوطة من بلدان سدير، قال فيها:**

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى مَن يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

يجري عندكم أمور تجري عندنا من سابق، وننصح إخواننا إذا جرى منها شيء حتى فهموها، وسببها أن بعض أهل الدين ينكر منكرًا، وهو مصيب، لكن يخطئ في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ الآية، وقال ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا؛ أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تُناصِحُوا مَن وَلَّاه الله أمركم**»[1].

وأهل العلم يقولون: الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى

(١) أخرجه مسلم (١٧١٥).

ثلاث؛ أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه، ويكون رفيقًا فيما يأمر به وينهى عنه، صابرًا على ما جاءه من الأذى. وأنتم محتاجون للحرص على فهم هذا والعمل به، فإن الخلل إنما يدخل على صاحب الدين من قلة العمل بهذا، أو قلة فهمه. وأيضًا يذكرون العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره، فاللهَ اللهَ في العمل بما ذكرتُ لكم والتفقه فيه، فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مَضَرَّةً على الدين، والمسلم ما يسعى إلَّا في صلاح دينه ودنياه.

وسبب هذه المقالة التي وقعت بين أهل الحوطة، أن صار أهل الدين واجبًا عليهم إنكار المنكر، فلما غلظوا الكلام صار فيه اختلاف بين أهل الدين، فصار فيه مضرة على الدين والدنيا، وهذا الكلام وإن كان قصيرًا فمعناه طويل، فلازمٌ تأملوه وتفقهوا فيه واعملوا به، فإن عملتم به صار نصرًا للدين واستقام الأمر، إن شاء الله.

والجامع لهذا كله أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره، أن يُنصح برفق خفية ما يشترف أحد[1]، فإن وافق وإلَّا استلحق عليه رجلًا يقبل منه بخفية، فإن لم يفعل فيمكن الإنكار ظاهرًا، إلَّا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق، واستلحق عليه ولا وافق، فيرفع الأمر يمنا خفية.

وهذا الكتاب كل أهل بلد ينسخون منه نسخة ويجعلونها عندهم، ثم يرسلونه لحَرمة والمجمعة، ثم للغاط والزلفى. والله أعلم.

**ومنها: رسالة أرسلها إلى أحمد بن يحيى[2]، مطوع من أهل رغبة، قال فيها:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن يحيي، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

---

(١) أي: لا يعرف به أحد.

(٢) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١/ ٥٥٣ - ٥٥٤).

ما ذكرت من طرف مراسلة سليمان فلا ينبغي أنها تزعلك: الأولى: أنه لو خالف فمثلك يحلم، ولا يأتي بغايته هذا ولا أكثر منه، وثانيًا: أنك إذا عرفت أن كلامه ما له فيه قصد إلَّا الجهر في الدين، ولو صار مخطئًا فالأعمال بالنيَّات، والذي هذه مقصده يُغتفر له، ولو جهل عليك. ونحن ملزمون عليك لزمة جيدة، وربك ونبيك ودينك لزمتهم لزمة تتلاشى فيها كل لزمة.

وهذه الفتنة الواقعة ليست في مسائل الفروع التي ما زال أهل العلم يختلفون فيها من غير نكير، ولكن هذه في شهادة أن لا إله إلَّا الله، والكفر بالطاغوت، ولا يخفاك أن الذي عادانا في هذا الأمر هم الخاصة، ليسوا بالعامّة، هذا ابن إسماعيل والمويس وابن عبيد، جتنا خطوطهم في إنكار دين الإسلام الذي حكاه في «الإقناع» في باب حكم المرتد الإجماع من كل المذاهب؛ أن مَن لم يَدِنْ به فهو كافر، وكاتبناهم، ونقلنا لهم العبارات، وخاطبناهم بالتي هي أحسن، وما زادهم ذلك إلَّا نفورًا، وزعموا أن أهل العارض ارتدوا لما عرفوا شيئًا من التوحيد! وأنت تفهم أن هذا لا يسعك التكفي عنه، فالواجب عليك نصر أخيك ظالمًا أو مظلومًا، وإن تفضل الله عليك بفهم ومعرفة، فلا تُعذر لا عند الله ولا عند خلقه من الدخول في هذا الأمر، فإن كان الصواب معنا فالواجب عليك الدعوة إلى الله، وعداوة مَن صرّح بسب دين الله ورسوله، وإن كان الصواب معهم، أو معنا شيء من الحق وشيء من الباطل، أو معنا غلو في بعض الأمور، فالواجب منك مذاكرتنا ونصيحتنا، وتورينا عبارات أهل العلم، لعل الله أن يردنا بك إلى الحق.

وإن كان إذا حررت المسألة إذًا أنها من مسائل الاختلاف، وأن فيها خلافًا عند الحنفيّة أو الشافعيّة أو المالكيّة، فتلك مسألة أخرى. وبالجملة فالأمر عظيم، ولا نعذرك من تأمُّلِ كلامنا وكلامهم، ثم تعرضه على كلام أهل العلم،

ثم تبين في الدعوة إلى الحق، وعداوة مَن حادّ الله ورسوله، منا أو من غيرنا. والسلام.

**ومنها: رسالة أرسلها إلى عبد الله بن عيسى، مطوع الدرعية، قال فيها:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقال ابن القيِّم في «إعلام الموقعين»: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما: إمَّا الاستجابة للرسول، وإمَّا اتباع الهوى[1].

وذكر كلامًا في تقرير ذلك، إلى أن قال:

ثم أخبر سبحانه أن مَن تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكَّم الطاغوت وتحاكم إليه. يعني الآيات في النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ قال: والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده؛ من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم مَن يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم، إذا تأملتها، وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممَن أعرَض عن طاعة الله ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين من هذه الأمة، وهم الصحابة ومَن تبعهم، وقال الله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ والزُّبُر: الكتب. أي كل فرقة صنفوا كتبًا

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٤٧).

أخذوا بها وعملوا بها دون كتب الآخرين، كما هو الواقع سواء، وقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال ابن عباس: تَبْيَضُّ وجوه أهل السُّنَّة والائتلاف، وتَسْوَدُّ وجوه أهل الفرقة والاختلاف[1]. هذا كله كلام ابن القيِّم.

وقال الشيخ تقي الدين في كتاب «الإيمان»:

قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية، وفي حديث عدي بن حاتم أنه قال للنبي ﷺ: إنا لسنا نعبدهم! قال: «**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟**» قلت: بلى. قال: «**فتلك عبادتهم**» رواه الإمام أحمد والترمذي وغيره[2]. وقال أبو العالية: إنهم وجدوا في كتاب الله ما أُمِرُوا به وما نُهُوا عنه، فقالوا: لن نَسْبِقَ أحبارَنا بشيء، فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا! لقوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾[3] انتهى كلام ابن تيمية.

فتأمل هذا الكلام بشراشر قلبك، ثم نزِّلْهُ على أحوال الناس وحالك، وتفكر في نفسك، وحاسبها؛ بأي شيء تدفع هذا الكلام؟ وبأي حجة تحتج يوم القيامة على ما أنت عليه؟ فإن كان عندك شبهة فاذكرها، فأنا أبيِّنها، إن شاء الله تعالى، والمسألة مثل الشمس، ولكن مَن يهد الله فلا مضل له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وإن لم يتسع عقلك لهذا فتضرع إلى الله بقلب حاضر، خصوصًا في الأسحار، أن يهديك للحق، ويريك الباطل باطلًا، وفِرَّ بدينك، فإن الجنَّة والنَّار قدامك، والله المستعان، ولا تستهجن هذا الكلام، فوالله ما أردتُ به إلَّا الخير. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٢٥٩) وتفسير ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٢٤).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) وحسنه الشيخ الألباني (غاية المرام ٦).
(٣) الإيمان (٢/ ٨٠).

**ومنها: رسالة أرسلها إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى، قال فيها:**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد أن تفضلتم بالسؤال، فنحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو بخير وعافية، جعلكم الله كذلك، وأحسن من ذلك، وأبلغوا لنا الوالد السلام، وسلمه الله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وغير ذلك: في نفسي عليه بعض الشيء، من جهة هالمكاتيب لما حبسها عنا هجسنا فيه الظن الجميل، ثم بعد ذلك سمعنا بعض الناس يذكر أنه معطيها بعض السفهاء يقرؤونها على الناس، وأنا أعتقد فيه المحبة، وأعتقد أيضًا أن له غاية وعقلًا، وهو صاحب إحسان علينا وعلى أهلنا، فلا وُدِّي يعقبه بالأذى ويكدر هذه المحبة بلا منفعة في العاجل والآجل، وأنا إلى الآن ما تحققت ذلك، وأهوجس فيه بالهاجوس الجيد.

وذكر أيضًا عنه بعضُ الناس بعضَ الكلام الذي يشوش الخاطر، فإن كان يرى أن هذا ديانة ويعتقده من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأنا ولله الحمد لم آت الذي أتيت بجهالة، وأُشْهِدُ الله وملائكته إن أتاني منه أو ممن دونه في هذا الأمر كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، وأترك قول كل إمام اقتديت به، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يفارق الحق، فإن كانت مكاتيب أولياء الشيطان وزخرفة كلامهم، الذي أَوْحَى إليهم ليجادل في دين الله لما رأى أن الله يريد أن يُظهر دينه، غَرَّتْهُ، وأَصْغَتْ إليها أفئدتكم، فاذكروا لي حجة مما فيها، أو كلها، أو في غيرها من الكتب، مما تقدرون عليه أنتم ومَن وافقكم، فإن لم أجاوبه عنها بجواب فاصل بيِّن، يعلم كل مَن هداه الله أنه الحق، وأن تلك هي الباطل، فأَنْكِرُوا عليَّ. وكذلك عندي من الحجج الكثيرة الواضحة ما

لا تقدرون أنتم ولا هم أن تجيبوا عن حجة واحدة منها، وكيف لكم بملاقاة جند الله ورسوله؟

وإن كنتم تزعمون أن أهل العلم على خلاف ما أنا عليه، فهذه كتبهم موجودة، ومن أشهرهم وأغلظهم كلام الإمام أحمد، كلهم على هذا الأمر، لم يَشِذَّ منهم رجل واحد، ولله الحمد، ولم يأت عنهم كلمة واحدة أنهم أرخصوا لمن لم يعرف الكتاب والسنة في أمركم هذا، فضلًا عن أن يوجبوه.

وإن زعمتم أن المتأخرين معكم، فهؤلاء سادات المتأخرين وقادتهم؛ ابن تيمية وابن القيم، وابن رجب عندنا له مصنف مستقل في هذا، ومن الشافعية الذهبي وابن كثير وغيرهم، وكلامهم في إنكار هذا أكثر من أن يُحصر، وبعض كلام الإمام أحمد ذكره ابن القيم في «الطرق الحكمية» فراجعه، ومن أدلة شيخ الإسلام ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية، فقد فسرها رسول الله ﷺ والأئمة بعده بهذا الذي تسمونه «الفقه» وهو الذي سماه الله شركًا واتخاذهم أربابًا، لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافًا.

والحاصل؛ أن من رزقه الله العلم يعرف أن هذه المكاتيب التي أتتكم، وفرحتم بها وقرأتموها على العامة، من عند هؤلاء الذين تظنون أنهم علماء، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ إلى قوله: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ لكن هذه الآيات ونحوها عندكم من العلوم المهجورة، بل أعجب من هذا أنكم لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله، ولا تُنكرون هذه الأوثان التي تُعْبَدُ في الخرج وغيره، التي هي الشرك الأكبر بإجماع أهل العلم، وأنا لا أقول هذا وحدي.

❑ ❑ ❑

## الفصل الرابع
## في المسائل التي سئل عنها فأجاب، وتركتُ كثيرًا منها لئلا يطول الكتاب

سُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ، عن معنى «لا إله إلا الله»؛ فأجاب بقوله:

اعلم، رحمك الله، أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون، وليس المراد بقولها باللسان مع الجهل بمعناها؛ فإن المنافقين يقولونها، وهم تحت الكفار، في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يُصلون ويتصدقون، ولكن المراد بقولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض ما خالفها ومعاداته، كما قال النبي ﷺ: «**مَن قال لا إله إلا الله مخلصًا**»[1] وفي رواية «**خالصًا من قلبه**»[2] وفي رواية «**صدقًا من قلبه**»[3] وفي حديث آخر: «**مَن قال: لا إله إلا الله. وكفر بما يعبد من دون الله**»[4] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات، نفي الألوهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات، حتى محمد ﷺ حتى جبريل، فضلًا عن غيرهما من الأولياء والصالحين، إذا فهمت ذلك فتأمل هذه الألوهية التي أثبتُّها لله ونفيتُها عن محمد

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣).

وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة خردل، فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا «السر والولاية» والإله معناه: الولي الذي فيه السر. وهو الذي يسمونه الفقراء «الشيخ» ويسمونه العامة «السيد» وأشباه هذا، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة، يرضى أن الإنسان يلتجئ إليهم، ويرجوهم، ويستغيث بهم، ويجعلهم واسطة بينه وبين الله، فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائط، هم الذين يسمونهم الأولون «الآلهة» والواسطة هو الإله، فقول الرجل «لا إله إلا الله» إبطال للوسائط.

وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين:

**الأول**: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وقتلهم، ونهب أموالهم، واستحل نساءهم كانوا مُقِرِّين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يَخْلُق ولا يَرْزُق، ولا يحيي ولا يميت، ولا يدبر الأمر إلا الله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ وهذه مسألة عظيمة مهمة، وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كله، ومُقِرُّون به، ومع هذا لم يُدْخِلْهُمْ ذلك في الإسلام، ولم يُحَرِّمْ دماءهم وأموالهم، وكانوا أيضًا يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون، ويتركون أشياء من المحرمات خوفًا من الله ﷻ.

ولكن **الأمر الثاني** هو الذي كفَّرهم وأحلَّ دماءهم وأموالهم، وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وهو أنه لا يُدْعَى ولا يُرْجَى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يُستغاث بغيره، ولا يُذبح لغيره، ولا يُنذر لغيره، لا مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، ولا نبيٍّ مرسلٍ، فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومَن ذبح لغيره فقد كفر، ومَن نذر لغيره فقد كفر، وأشباه ذلك. وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يَدْعُون الصالحين، مثل الملائكة وعيسى وعُزَير، وغيرهم من الأولياء، فكفروا بهذا، مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر.

إذا عَرَفْتَ هذا عَرَفْتَ معنى «لا إله إلا الله» وعَرَفْتَ أن مَن نَحَا نبيًّا أو مَلَكًا، أو ندبه واستغاث به، فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ.

فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر، لكن هؤلاء الصالحون مُقَرَّبُون، ونحن ندعوهم، وننذر له، وندخل عليهم، ونستغيث بهم، نريد بذلك الوجاهة والشفاعة، وإلا نحن نفهم أن الله هو المدبر.

فقل: كلامُكَ هذا مذهب أبي جهل وأمثاله؛ فإنهم يدعون عيسى وعُزَيْرًا والملائكة والأولياء، يريدون ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

فإذا تأملتَ هذا تأملًا جيدًا عَرَفْتَ أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية، وهو التفرد بالخلق والرزق والتدبير، فهم يَنْخَون عيسى والملائكة والأولياء، يقصدونهم أنهم يقربونهم إلى الله ويشفعون لهم عنده، وعَرَفْتَ أن مِن الكفار، خصوصًا النصارى، مَن يعبد الله الليل والنهار، ويزهد في الدنيا، ويتصدق بما دخل عليه منها، معتزل في صومعة عن الناس، ومع هذا هو كافر عدو لله مُخَلَّد في النار؛ بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء، يدعوه ويذبح له وينذر له – تبين لك كيف صفة الإسلام الذي دعا إليه نبيك ﷺ وتبين لك أن كثيرًا من الناس عنه بمَعْزِلٍ، وتبين لك معنى قوله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**».

فاللهَ اللهَ يا إخواني، تمسكوا بأصل دينكم، وأولُهُ وآخرُهُ وأُسُّهُ ورأسُه شهادةُ أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناه، وأحبوها وأحبوا أهلها، واجعلوهم

إخوانكم لو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادُوهُم، وأَبْغِضُوهم وأَبْغِضُوا مَن أحبَّهم، أو جادل عنهم، أولم يكفرهم، وقال: ما عليَّ منهم. أو قال: ما كلفني الله بهم. فقد كذَب هذا على الله وافترَى، فقد كلَّفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم، ولو كانوا إخوانهم وأولادهم. فاللهَ اللهَ، تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئًا. اللهم تَوَفَّنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه، تبيّن لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرًا من الذين قاتلهم رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ، فلم يدعوا أحدًا منهم، ولم يستغيثوا به، بل أخلصوا لله وحده لا شريك له، واستغاثوا به وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا. وأنت ترى المشركين من أهل زماننا، ولعل بعضهم يدَّعي أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة، إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله، مثل معروف أو عبد القادر الجيلاني، وأجلّ من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب، وأجلّ من هؤلاء مثل رسول الله ﷺ فالله المستعان، وأعظم من ذلك وأَطَمُّ أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة، مثل شمسان وإدريس ويوسف وأمثالهم، والله سبحانه أعلم.

### المسألة الثانية:

سُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ، عن قوله تعالى في سورة هود: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ فأجاب بقوله:

ذُكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع ما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه:

**فمن ذلك** العمل الصالح الذي يفعله كثيرٌ من الناس ابتغاء وجه الله؛ من صدقة وصلة وإحسان إلى الناس، ونحو ذلك، وكذلك ترك ظلم، أو كلام في عرض، مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصًا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازى به بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم، ونحو ذلك، ولا همة لهم في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يُعْطَى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة من نصيب. وهذا النوع ذكره ابن عباس[(١)].

وقد غلط فيه بعض مشايخنا بسبب عبارة ذكرها في «الإقناع» في أول باب النية، لما قسّم الإخلاص مراتب وذكر هذا، ظن أنه يسمى إخلاصًا مدحًا له، وليس كذلك، وإنما أراد أنه لا يُسمى رياء، وإلا فهو عمل حابط في الآخرة.

**النوع الثاني**، وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكر مجاهد في الآية أن الآية نزلت فيه[(٢)] وهو أن يعمل أعمالًا صالحة، ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة، وكما ذكر لمعاوية حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين أول مَن تُسَعَّرُ بهم النار، وهم الذي تعلم العلم ليقال عالم، وتصدق ليقال جواد، وجاهد ليقال شجاع - بكى معاوية بكاءً شديدًا، ثم قرأ هذه الآية[(٣)].

**النوع الثالث**: أن يعمل الأعمال الصالحة ويقصد بها مالًا، مثل الحج لمال

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ١٣٦).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٢٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٨٢) وصححه الشيخ الألباني (التعليق الرغيب ١ / ٢٩ - ٣٠).

يأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذُكر أيضًا هذا النوع في تفسير هذه الآية، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**تعس عبد الدينار...**» إلى آخره[1].

وكما يتعلم الرجل لأجل مدارسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم، أو يتعلم القرآن، أو يواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقعٌ كثيرًا، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم؛ عملوا لمصلحة يحصّلونها، والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة في أعين الناس، ولا يحصل لهم طائل.

والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم؛ لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يطلبوا الخير الكثير العظيم الدائم، وهو الجنَّة، ولم يرهبوا من الشر العظيم، وهو النار.

**النوع الرابع**: أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفِّره كفرًا يُخرجه عن الإسلام، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله، أو تصدقوا، أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك، أو كفر أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة؛ لأنهم على أعمال تُخرجهم من الإسلام تمنع قبول أعمالهم. فهذا النوع أيضًا قد ذُكر في الآية عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منها، قال بعضهم: لو أعلم أن الله يقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

فهذا قَصَدَ وجهَ الله والدارَ الآخرة، لكن فيه مِن حب الدنيا والرياسة والمكث

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٣).

والمال ما حمله على ترك كثير مِن أمر الله ورسوله أو أكثر، فصارت الدنيا أكبر قصده، ولذلك قبل قصد الدنيا، وذلك القليل كأنه لم يكن، كقوله ﷺ: «**فإنك لم تصلِّ**»[(١)].

والأول أطاع الله ابتغاء وجه الله، لكن أراد الثواب في الدنيا، وخاف على الحظ والعيال، مثلما يقول الفَسَقَة، فصحّ أن يقال: قصد الدنيا. والثاني والثالث واضح.

لكن بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله، طالبًا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالًا كثيرة أو قليلة قاصدًا بها الدنيا، مثل أن يحج بعده لأجل الدنيا، كما هو واقع، فهو لما غلب عليه منهما.

وقد قال بعضهم: القرآن كثيرًا ما يذكر أهل الجنَّة الخُلَّص وأهل النار الخُلَّص، ويسكت عن صاحب الشائبتين. وهو هذا وأمثاله، ولهذا خاف السلف من حبوط الأعمال.

وأما الفرق بين الحبوط والبطلان؛ فلا أعلم بينهما فرقًا. والله أعلم.

**المسألة الثالثة:**

قال ﷺ: سألني الشريف عما نُقاتل عليه وعما نُكفر به الرجل، فأجبته وبيَّنت له أيضًا الكذب الذي بهت به الأعداء، فسألني أن أكتب له، فأقول: أركان الإسلام الخمسة؛ أولها الشهادتان، ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقَرَّ بها وتركها تهاونًا، ونحن وإن قاتلناه على فعلها فلا نُكفره بتركها، والعلماء اختلفوا

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧) ومسلم (٣٩٧).

في كفر التارك لها كسلًا من غير جحود، ولا نقاتل إلاَّ ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان، وأيضًا نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر. فنقول: أعداؤنا على أنواع:

**النوع الأول**: مَن عرف أن التوحيد دين الله ورسوله الذي أظهرناه للناس، وأقرّ أيضًا أن هذه الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر، الذي هو دين غالب الناس، هي الشرك بالله الذي بعث الله رسوله ينهى عنه ويقاتل أهله؛ ليكون الدين كله لله، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلمه، ولا دخل فيه، ولا ترك الشرك. فهذا كافر، نقاتله بكفره؛ لأنه عرف دين الرسول فلم يتبعه، وعرف دين الشرك فلم يتركه، مع أنه لا يُبغض دين الرسول ولا مَن دخل فيه، ولا يمدح الشرك ولا يزينه للناس.

**النوع الثاني**: مَن عرف ذلك كله ولكنه تبين في سب دين الرسول مع أعدائه أنه عامل به، وتبيّن في مدح مَن عَبَدَ يوسفَ والأشعري، ومَن عَبَدَ أبا علي والخضر من أهل الكويت، وفضَّلهم على مَن وحّد الله وترك الشرك. فهذا أعظم من الأول، وفيه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وهو ممن قال الله فيه: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾.

**النوع الثالث**: مَن عرف التوحيد وأحبّه واتّبعه، وعرف الشرك وتركه، ولكن يكره مَن دخل في التوحيد، ويحب مَن بقي على الشرك، فهذا أيضًا كافر، وهو ممن ورد فيه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

**النوع الرابع**: مَن سَلِمَ من هذا كله، ولكن أهل بلده مُصرحون بعداوة التوحيد واتباع الشرك وساعون في قتالهم، ويتعذر عليهم تركه، وظنه يشق عليه، ويقاتل

أهل التوحيد من أهل بلده، ويجاهد بماله ونفسه، فهذا أيضًا كافر؛ فإنهم لو يأمرون بترك صوم رمضان، ولا يمكنه الصيام إلاَّ بفراقهم فعل، ولو يأمرونه بتزويج امرأة أبيه، ولا يمكنه ذلك إلاَّ بمخالفتهم فعل، وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله، مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكثر مما ذكرنا بكثير، وهذا أيضًا كافر، وهو ممن قال الله فيه: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ فهذا الذي نقول.

وأمَّا الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على مَن قدر على إظهار دينه، وإنا نكفِّر مَن لم يكفِّر ولم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا مِن الكذب والبهتان الذي يعتدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفِّر مَن عَبَدَ الصنم الذي على قبر عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما؛ لأجل جهلهم وعدم من يُفهمهم، فكيف نكفِّر مَن لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يُكفر ويقاتل؟ ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾! بل نُكفر تلك الأنواع الأربعة لأجل محادَّتهم لله ورسوله. فرحم الله امرأً نظر لنفسه، وعرف أنه ملاقٍ الله الذي عنده الجنة والنار، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

## المسألة الرابعة:

سأل ثنيان بن سعود عن قوله تبارك وتعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ وعن الحديث المذكور في مسند أحمد أن نوحًا عليه السلام نهى بنيه عن الشرك وأمرهم بـ(لا إله إلاَّ الله)[1] فأجاب بقوله:

---

(١) المسند (٢/ ٢٤٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ١٥٣٢).

من محمد بن عبد الوهاب إلى ثنيان بن سعود، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد سألتم عن معنى قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وكونها نزلت بعد الهجرة، فهذا مصداق كلامي لكم مرارًا عديدة، أن الفهم الذي يقع في القلب غير فهم اللسان، وذلك أن هذه المسألة من أكثر ما يكون تكرارًا عليكم، وهي التي بوّب لها الباب الثاني في كتاب التوحيد، وذلك أن العالم لا يُسمى عالمًا إلاَّ إذا أثمر فيه العلم، فإذا لم يُثمر فهو جاهل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ وقال عن يعقوب: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ والكلام في تقرير هذا يطول.

إذا ثبت أن العلم هو الذي يستلزم العمل، فمعلوم أن تفاضل الناس في الأعمال تفاضل لا ينضبط، وكل ذلك بسبب تفاضلهم في العلم، ويكفيك في هذا استدلال الصديق على عمر في قصة أبي جندل، مع كونها من أشكل المسائل التي وقعت في الأولين والآخرين، شهادة أن محمدًا رسول الله.

وسر المسألة أن العلم بـ(لا إله إلاَّ الله) ليس أمرًا واحدًا لا يتفاضل، بل تفاضُلُ الناس في هذه المسألة لا يعلمه إلاَّ الله،، وشبه هذا قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۞ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ فإن العلم بهذه الأصول الكبار يتفاضل فيه الأنبياء فضلًا عن غيرهم.

وأما نهي نوح عليه السلام بنيه عن الشرك وأمرهم بـ(لا إله إلاَّ الله) فليس هذا تكرارًا، بل هذان أصلان مستقلان كبيران، وإن كانا متلازمَين، فالنهي عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت، و(لا إله إلاَّ الله) والإيمان بالله، وهذا وإن كان متلازمًا فنوضحه لكم، والواقع أن كثيرًا من الناس يقول: لا أعبد إلاَّ الله، وأنا أشهد بكذا، وأقر بكذا. ويكثر الكلام، فإذا قيل له: ما تقول في فلان وفلان إذا عَبد وعُبد من دون الله؟ قال: ما عليّ من الناس، الله أعلم بحالهم!

ويظن بباطنه أن ذلك لا يجب عليه، فمن أحسن الاقتران أن الله قرن بين الإيمان بالله والكفر بالطاغوت والبداءة بالكفر به على الإيمان بالله، وقرن أيضًا بين الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، مع أن الوصية بـ(لا إله إلاَّ الله) ملازمة للذكر بهذه اللفظة والإكثار منها، وتبين عظمة قدرها، كما بيَّن النبي ﷺ فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ على غيرها من السور، وذكر أنها تعدل ثلث القرآن مع قصدها، وكذلك حديث موسى ﷺ، فإن في ذلك ما يقتضي كثرة الذكر بهذه الكلمة؛ كما في الحديث: «**أفضل الذكر (لا إله إلاَّ الله)**»[1] ثم أنتم في أمان الله وحفظه، والسلام.

## المسألة الخامسة:

سأله الشيخ عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم، في أول إسلامهما، عن قول الشيخ تقي الدين: مَن جحد ما جاء به الرسول وقامت به الحجة فهو كافر. فأجاب بقوله:

إلى الأخوين عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم، سلام عليكم ورحمة الله، وبعد:

فما ذكرتموه من قول الشيخ: من جحد كذا وكذا، وأنكم شاكُّون فيه؛ هؤلاء الطواغيت وأتباعهم هل قامت عليهم الحجة أم لا؟ فهذا من العجب العجاب، كيف تشكون في هذا وقد وضحته لكم مرارًا؟ فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣) والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٠٨) وابن ماجه (٣٨٠٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ١٥٢٦).

خفية، مثل الصرف والعطف، فلا يكفر حتى يعرف.

وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هي القرآن، فمن بلغه فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله، مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها نوع آخر.

فإن أشكل عليكم ذلك فانظروا قوله ﷺ في الخوارج: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم**»[١] وقوله: «**شر قتلى تحت أديم السماء**»[٢] مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم، ومع الإجماع أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والاجتهاد، وهم يظنون أنهم مطيعون لله، وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها.

وكذلك قَتْلُ عليٍّ رضي الله عنه، الذين اعتقدوا فيه، وتحريقهم بالنار، مع كونهم تلاميذ الصحابة، ومع عبادتهم وصلاحهم وصيامهم، وهم أيضًا يظنون أنهم على حق.

وكذلك إجماع السلف على تكفير ناس من غلاة القدرية، وغيرهم، مع كثرة علمهم وشدة عبادتهم، مع كونهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا، ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم لأجل أنهم لم يفهموا، فإن هؤلاء كلهم لم يفهموا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٠٠) والإمام أحمد (٥/ ٢٥٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترمذي).

إذا علمتم ذلك؛ فهذا الذي أنتم فيه، وهو الشك في أناس يعبدون الطواغيت، ويعادُون دين الإسلام، ويزعمون أنه ردة؛ لأجل أنهم ما فهموا، كلُ هذا أظهر وأبيَنُ مما تقدم، إلاَّ الذين حرقهم عليٌّ فإنه يشابه هذا.

وأما إرسال كلام الشافعية أو غيرهم فلا يتصور أن يأتيكم أوضح مما أتاكم، فإن كان عليكم بعض الإشكال فارغبوا إلى الله أن يزيله عنكم.

وأيضًا ذكر لي محمد بن سليمان أنه جرى عندكم مسألتان:

**الأولى**: صورة المقاصة؛ يريد بعض الناس أن يحتال على المنهي عنه، من بيع الطعام قبل قبضه، ويقول للخشير[1] إذا جاء بدراهم التمر: بعها عليّ بتمر، قدر الذي في ذمته. ثم يتساقطان، ويجعل هذه من المقاصة المباحة.

وكذلك ذكروا: إذا اشترى منه سلعة، وشرط عليه أن يوفيه بها، صح العقد وفسد الشرط، أن بعض الناس يريد أن يجعل هذه حيلة إلى قلب الدَّيْن الذي في ذمته دَيْنًا آخر، وينسب الصحة إلى «الإقناع» و«المنتهي» وهما من أشد الناس كلامًا وتحريمًا لمثل هذا، حتى أنهما يحرمان صورًا، مع كون المتعاقدان لم يقصدا الحيلة، لئلا يُتخذ ذريعة، مثل العينة وغيرها.

وأنا ذكرت لكم مرارًا: إذا ادعى أحد في هذا وأمثاله الجواز، فاسألوا عن الحيل المحرّمة التي هي مخادعة لله؛ ما معناها وما صورتها؟

مثال ذلك: أنك لو تسألني عن رجل اشترى منك سلعة بعشرين مشخصًا[2]، وهي تساوي العشرين ثيابًا أو طعامًا أو غيرها، قلت لك: هذا صحيح بالإجماع. فإذا سألتني عن إبرائه من العشرين مشخصًا، بعدما ثبتت في ذمته،

---

(١) أي: الشريك.

(٢) عملة ذهبية كانت متداولة عندهم.

قلت: هذا من الإحسان بالإجماع. فإذا قلت: إنه لم يشتر مني، ولم أبرئه إلاَّ لأنه يريد أن يقرضني مائتي مشخص بربح عشرين، وقال لي: هذا ربا لا يصح، ولكن بعني سلعة تساوي عشرين، ثم بعد ذلك أبرئني منها. قلت لك: هذا صريح الربا والمخادعة لله بلا شك، وكذلك أشباه هذه الصورة، فالذي يجعل التحيل على بيع الطعام قبل قبضه من المقاصة، أو يجعل بيع السلعة ليوفيه بها حيلة إلى حل كون رأس السَلم دينًا، مع تصريحهم بتحريمه، بلا هذه الحيلة[1]، اسألوه: ما الفرق بين هذه الصورة وبين تلك؟ فإنه لا يجد فرقًا إلاَّ بالمكابرة.

وهنا فائدة ينبغي التنبيه لها، وهي أن الحيل على الربا قد نشأتم عليها أنتم ومشايخكم، ويسمونها (التصحيح)، والأمور التي نشأ الإنسان عليها صعب عليه مفارقتها بالكلية، والاستجابة لله والرسول وترك مذهب الآباء وما عليه المشايخ، إنه عظيم، لا يوافق عليه أكثر الخلق، فأمر الحيل ومسائله مثل أمر الشرك، فكما أنكم لم تفهموا الشرك أول مرة ولا ثانية ولا ثالثة، ولم تفهموه كله إلى الآن، كذلك الحيل، لأجل نشأتكم عليها، وتسميتها (التصحيح) تحتاج منكم إلى نظر وفطنة، فأكثروا التدبر لها والمطالعة، والتمثيل في «إغاثة اللهفان»[2] وغيرها، والله أعلم.

## المسألة السادسة:

سأله محمد بن صالح عن رشوة الحاكم الذي ورد عنه ﷺ أنه لعن الراشي

---

(١) أي: بدون هذه الحيلة.

(٢) (١ / ٣٣٨ ومابعدها): «فصل: ومن مكايده التي كاد بها الإسلام وأهله: الحيل والمكر والخداع، الذي يتضمن تحليل ما حرم الله، وإسقاط ما فرضه، ومضادته في أمره ونهيه، وهي من الرأي الباطل الذي اتفق السلف على ذمه..».

والمرتشي[١] وذلك أنه وقع بينه وبين سليمان بن سحيم[٢] مجادلة في ذلك. فقال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في الجواب:

سألتم، رحمكم الله، عن رشوة الحاكم الذي ورد عن رسول الله ﷺ أنه لعن الراشي والمرتشي، وذكر له أن بعض الناس حملها على ما إذا حكم الحاكم بغير الحق، وأما إذا أخذ رشوة من صاحب الحق وحكم له به فهي حلال، مستدلاً بقوله ﷺ: «**أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله**»[٣] وأنكم استدللتم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وأجابكم بأنها نزلت في كعب بن الأشرف، وبأن الناس فرضوا لأبي بكر لما تولى الأمر درهمين كل يوم، وكذلك قول مَن قال: لا أحكم بينكما إلاَّ بجُعل.

فأقول: أما صورة المسألة فهي أشهر من أن تُذكر، بل هي تُعْلَمُ بلا اضطرار، فإن حكام زماننا لما أخذوا الرشوة أنكَرَت عليهم العقول والفطر بما جبلها الله، من غير أن يعلموا أن الشارع نهى عنها، ولكن إذا جادل المنافق بالباطل فربما يروج على المؤمن، فيحتاج إلى كشف الشبهة، فنقدِّم قبل الجواب مقدمة، وهي:

أن الله سبحانه لما أظهر شيئًا من نور النبوّة في هذا الزمان، وعرف العامة شيئًا من دين الإسلام، وافق أنه قد ترأَّس على الناس رجال من أجهل العالمين،

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٨٠) والترمذي (١٣٣٧) وابن ماجه (٢٣١٣) والإمام أحمد (٢/ ١٦٤) من حديث عبد الله بن عمرو. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٥١١٤).

(٢) وهذا مما يدل على أن عداوته للشيخ لأجل أنه حال بينه وبين رغباته الدنيوية. ولهذا قال الشيخ في الفتيا - كما سيأتي -: «إن هذا الدين يريد أن يحول بينهم وبين مآكلهم الباطلة المحرّمة الملعونة».

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٠٥).

وأبعدهم عن معرفة ما جاء به محمد ﷺ وقد صاروا في الرياسة بالباطل وفي أكل أموال الناس، ويدّعون أنهم يعملون بالشرع، ولا يعرفون شيئًا من الدين، إلاَّ شيئًا من كلام بعض الفقهاء في البيع والإجارة والوقف والمواريث، وكذلك في المياه والصلاة، ولا يميزون حقه من باطله، ولا يعرفون مستند قائله، وأما العلم الذي بعث الله به محمدًا ﷺ فلم يعرفوا منه خبرًا، ولم يقفوا منه على عين ولا أثر، فقد تزاحمت بهم الظنون ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ ومصداق هذا كله أن الداعي لما أمرهم بتوحيد الله، ونهاهم عن عبادة المخلوقين، أنكروا ذلك وأعظموه، وزعموا أنه جهالة وضلالة، مع كون هذه المسألة أبين في دين محمد ﷺ من كون العصر أربعًا والمغرب ثلاثًا، بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمدًا ﷺ دعا الناس إلى ذلك وجادل عليه وقاتل عليه، فهؤلاء الذين يزعمون أنهم علماء اشتد إنكارهم علينا لما تكلمنا بذلك، وزعموا أنه دين ومذهب خامس، وأنهم لم يسمعوه من مشائخهم ومن قبلهم.

وبالجملة فهذا الحق قد خالف أهواءهم من جهات متعددة:

**الأولى**: أنهم لا يعرفونه، مع كونهم يظنون أنهم من العلماء.

**الثانية**: أنه فيه مألف عادة نشأوا عليها، ومخالفة العادات شديدة.

**الثالثة**: أنه مخالف لعلمهم الذي بأيديهم، وقد أُشْرِبُوا حبه، كما أُشْرِبَت بنو إسرائيل حب العجل.

**الرابعة**: أن هذا الدين يريد أن يحول بينهم وبين مآكلهم الباطلة المحرّمة الملعونة.

إلى غير ذلك من الأمور التي يبتلي الله بها العباد، فلما ظهر هذا الأمر اجتهدوا في عداوته وإطفائه بما أمكنهم، وجاهدوا في ذلك بأيديهم وألسنتهم،

فلما غلظ الأمر وبهرهم نور النبوّة، ولم يجئ على عاداتهم الفاسدة، فتفرّقوا فيه كما تفرّق إخوانهم الأوّلون، فبعضهم قال: مذهب ابن تيمية! كما لمزوا رسول الله ﷺ بابن أبي كبشة، وبعضهم قال: كتب باطلة. كقوله: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ وبعضهم قال: هذا يريد الرياسة، كما قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وتارة يرمون المؤمنين بالمعاصي، كما قالوا لنوح، فأجابهم بقوله: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وتارة يرمونه بالسفاهة ونقص العقل، كما قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ فأجابهم الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ الآية، وتارة يضحكون من المؤمنين ويستهزئون بأفعالهم التي خالفت العادات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ وتارة يكذبون عليهم الأكاذيب العظيمة، كقوله: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ وتارة يذمون دين الإسلام بما يوجد من بعض المنتسبين إليه، من رثاثة الفهم والمسكنة، كما قالوا: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ وتارة تقطع قلوبهم من الحسرة والغيظ إذا رأوا الله رفع بهذا الدين أقوامًا ووضع به آخرين، كقولهم: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ إلى غير ذلك من الأمور التي يطول ذكرها.

وبالجملة، فمن شرح الله صدره للإسلام، ورزقه نورًا يمشي به في الناس، تبينت له هذه الأمور التي وقعت في وقتنا هذا كثيرًا من معاني القرآن، وتبين له شيء من حكمة الله في ترداد هذا في كتابه لشدة الحاجة إليه، فيقال لهؤلاء المردة آكلي أموال الناس بالباطل، ومُذهبي أديانهم مع أموالهم، ما قال عمر بن عبد العزيز: رويدًا يا ابن نباتة، فلو التقت حَلَقَتَا البطان ورُد الفيء إلى أهله لأتفرغنّ لك ولأهل بيتك، حتى أدعهم على المحجة البيضاء، فطالما تركتم الحق وأوضعتم في الباطل.

**وأما المسألة والجواب عنها فنقول:**

قد عُلِمَ بالكتاب والسُّنَّة والفِطر والعقول تحريم الرشوة وقبحها، والرشوة هو ما يأخذه الرجل على إبطال حق وإعطاء باطل. وهذه يسلّمها لك منازعك، وهي أيضًا ما يؤخذ على إيصال حق إلى مستحقه، بل يسكت ولا يدخل فيه حتى يعطيه رشوة، فهذه حرام منهي عنها بالإجماع، ملعون من أخذها، فمن ادعى حلها فقد خالف الإجماع.

وقوله: بأي شريعة حكمت بتحريم هذا؟

فنقول: حكمت به شريعة رسول الله ﷺ وأجمع على ذلك علماء أمته، وأحل ذلك المرتشون الملعونون.

ومن أنواع الرشوة: الهدايا التي تُدفع إلى الحاكم بسبب الحكم، ولو لم يكن لصاحبها غرض حاضر، لا أعلم أحدًا من العلماء رخّص في مثل هذا، والعجب إذا كان في كتابكم الذي تحكمون فيه: يجب العدل بين الخصمين في لحظِه ولفظه ومجلسه وكلامه والدخول عليه. فأين هذا من أكل عشرة حمران على أحد الخصمين، وإن لم يعطه أخذ بدلها من صاحبه وحكم له! سبحان الله، أي شريعة حكمت بحِلّ هذا؟ أم أي عقل أجازه؟ ما أجهل مَن يجادل في مثل هذا وأقل حياؤه وأقوى وجهه!

وأمَّا أدلّته التي استدلّ بها؛ فلا تنس قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ الآية، ولما جادل النصارى رسول الله ﷺ في ألوهية عيسى، واحتجوا عليه بشيء من القرآن، وكذلك الخوارج يستدلون على باطلهم بمتشابه القرآن، وكذلك الذين ضربوا الإمامَ أحمدَ يستدلون عليه بشيء من متشابه القرآن، وما أنزل الله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ إلاَّ لما يعلم الله في حاجة عباده إليها.

وأما استدلال هذا الجاهل الظالم بقوله: «**أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله**» فجوابه من وجوه:

**الأول**: أن المؤمنين إذا فسروا شيئًا من القرآن بكلام رسول الله ﷺ وآله وأصحابه، وكلام المفسرين، ليس لهم فيه إلاَّ النقل، اشتد نكيرهم عليهم، ويقول القرآن: لا يحل لكم تفسيره ولا يعرفه إلاَّ المجتهدون. وتارة تفترى الكذب وتقول: إن ابن عباس إذا أراد أن يفسره خرج إلى البريَّة خوفًا من العذاب. وأمثال هذه الأباطيل والخرافات، ومرادهم بذلك سد الباب، فلا يُفتح لهم طريق إلى هذا الخير، فيكون نقلنا لكلام المفسرين منكرًا، وتفسيرك كتاب الله على هواك وتحريفك الكلم عن مواضعه حسنًا! هذا من أعجب العجاب.

**الوجه الثاني**: أن هذا لو كان على ما أوّلته فهو في الأخذ على كتاب الله، وأنتم متبرئون من معرفة كتاب الله والحكم به، وشاهدون على أنفسكم بذلك.

**الوجه الثالث**: أن هذا لو كان فيما ذهبت إليه لكان مخصوصًا بتحريم الرشوة التي أجمع الصحابة على تحريمها.

**الوجه الرابع**: أن حمل الحديث على هذا من الفرية الظاهرة والكذب البحت على رسول الله ﷺ، فإن معنى ذلك في الإنسان الذي يداوي المريض بالقرآن، فيأخذ على الطب والدواء، لا على الحكم وإيصال الحق إلى مستحقه، ويدل عليه اللفظ الآخر: «كل فتى أكل برقية باطل فقد أكل برقية حق» والقصة شاهدة بذلك يوضحه.

**الوجه الخامس**: وهو أن يقال لهذا الجاهل الجهل المركب: مَن استدل قبلك بهذا الحديث على أن الحاكم إذا أراد أن يوصل الحق إلى مستحقه يجوز

له أن يشترط لنفسه شرطين، فإن حصل له وإلا لم يفعل؟ فإن وجده في كتاب فليبين مأخذه، وما ظنه بأهل العلم الأولين والآخرين الذين أجمعوا على ذلك؟ لا يجوز أن يظن أن إجماعهم باطل، وأنهم لم يفهموا كلام نبيهم حتى فهمه هو!

وأما استدلاله بأن الناس فرضوا لأبي بكر ﷺ، لما وُلِّيَ عليهم كل يوم درهمين، فهذا مِن جهله، ومثل هذا مثل مَن يدعي حل الزِّنا الذي لا شبهة فيه، ويستدل على ذلك بأن الصحابة يطؤون زوجاتهم! وهذا الاستدلال مثل هذا سواء بسواء، وذلك أن استدلاله بقصة أبي بكر ﷺ، تدل على شدة جهله بحال السلف الصالح، فإن النبي ﷺ كان يعطي العمال من بيت المال، وكان الخلفاء الراشدون يأكلون من بيت المال ويفرضون لعمالهم، ولا أعلم عاملًا في زمن الخلفاء الراشدين يأكل من ذلك، بل الزكاة التي هي للفقراء جعل الله فيها نصيبًا للعمال الأغنياء، ولكن أبا بكر ﷺ، لما وُلِّيَ واشتغل بالخلافة في الحرفة، وضع رأس ماله في بيت المال، واحترف للمسلمين فيه، فأكل بسبب وضع ماله في بيت المال وبسبب الحرفة، فأين هذا من أكل الرشوة التي حرمها الله ورسوله؟ وأين هذا من الحاكم الذي إذا وقعت الخصومة كان أكثرهم باطلًا؟ ﴿سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

فإن قالوا: لما عُدم بيت المال أكلنا من هذا.

قلنا: هذا مثل مَن يقول: أنا أزني لأني أعزب لا زوجة لي! فهو هذا من غير مجازفة.

وقولهم: نفعل هذا لأجل مصلحة الناس.

فنقول: ما على الناس أضر من إبليس ومنكم، أذهبتم دنياهم وآخرتهم، والناس يشهدون عليكم بذلك، هؤلاء أهل شقَّة شرطوا لابن إسماعيل ثلاثة

وثلاثين أحمر، ويسكت عن الناس، ويريحهم من أذاه، ولا يحكم بين اثنين ولا يفتي، فلم يفعل، واختار حرفته الأولى.

وأما جوابه لمن استدل عليه ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ بقوله: نزلت في كعب بن الأشرف. فهذا ترس قد أعده الجهال الضلال لرد كلام الله إذا قال لهم أحد: قال الله كذا. قالوا: نزلت في اليهود، ونزلت في النصارى، نزلت في فلان.

وجواب هذه الشبهة الجاهلة الظالمة الفاسدة من وجوه:

**الأول:** أن يُقال: معلومٌ أن القرآن نزل بأسباب، فإن كان لا يُستدل به إلاَّ في تلك الأسباب بطل استدلاله بالقرآن، وهذا خروج من الدين.

**الثاني:** أنك تقول: لا يجوز لنا تفسير القرآن. فكيف فسرت هذه الآية بأنها خاصة بابن الأشرف؟

**الثالث:** مَن نَقَلتَ عنه من العلماء أن الآية إذا نزلت في رجل كافر أنها لا تعم مَن عمل بها من المسلمين؟ من قال بهذا القول قبلك؟ وعمن نقلته؟

**الرابع:** أن هذا خروج من الإجماع، فما زال العلماء من عصر الصحابة فمن بعدهم يستدلون بالآيات التي نزلت في اليهود وغيرهم على من يعمل بها، ولكن هؤلاء الجاهلون الظالمون ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

فأما الكلام في الطواغيت مثل إدريس وآل شمسان فالكلام على هذا طويل، ولكن هؤلاء الذين يخاصمونك لا يعبأون بكلام الله ولا كلام رسوله شيئًا، ولا عندكم ما في كتابهم، فقل إذا كان كتابكم قد صرح تصريحًا لا مزيد عليه، ونقل الإجماع على أن من فعل عشر معشار فعل هؤلاء الطواغيت أنه كافر حلال الدم

والمال، وقد صرح بأن مَن شك في كفرهم فهو كافر، فكيف إذا مدحهم وأثنى عليهم؟ فكيف إذا ضم إلى ذلك مدح طريقتهم، مثل ما يفعله ناس من الظالمين في الرياض، يمدحون طريقتهم ويمدحونهم، ويذمون دين الإسلام ويسبونه وأهله، ويسمونه السبابة؟

ومنهم مَن ينصر مذهب ابن عربي وابن الفارض ويدعون إليه، وهؤلاء عند المجادل الذي يدعي أنه يعرف «الإقناع» ويعمل به من الخواص، ولو يقال: لا يُصَلَّى خلفهم ولا تُقْبَلُ شهادتهم، وأنهم فسقة؛ لأنكر علينا هذا الذي يدعي أنه فقيه، بل هم أحبابه وأصحابه وأنصاره، فكيف لو يقال: إنهم كفار مرتدون يجب قتلهم إن لم يتوبوا؟ فخاصمه بكتابه؛ فإن بين من العبادات غير ما فهمنا فيذكره بدليله، وإن زعم أن كتابه باطل؛ فيذكر الدليل على بطلانه، وإن ذكر جوابًا آخر يريد أن يجمع بين كتابه وبين عدم تكفير هؤلاء، فهو كمن يريد أن يجمع بين المجوسية والإسلام، فإن قال: ما رأيناهم فعلوا. قلنا: وأنت أيضًا ما رأيت فرعون ولا هامان كفروا، ولا رأيت أبا جهل وأبا لهب، ولا رأيت ظلم الحجاج، ولا رأيت الذين ضربوا الإمام أحمد، وأنت تشهد بهذا كله. فإن قال: هذا متواتر. قلنا: وكفر هؤلاء وادعاؤهم الربوبية متواتر عند الخاص والعام والرجال والنساء، وهم الآن يُعبدون ويدعون الناس إلى ذلك، ومع هذا كله: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، ولكن إذا أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين فلابد من ذلك، والله أعلم.

**المسألة السابعة:**

سئل رحمه الله عن هذه المسائل المفيدة:

**الأولى**: إذا رأينا حديثًا في بعض الكتب، مثل «الآداب» أو «شرح الأربعين» لابن حجر الهيتمي أو «المنازل» أو «المشارق»[١] أو «الإقناع» أو «المنتهى» ونسبه صاحبه إلى الصحيحين أو بعض المسانيد، هل يسوغ الأخذ به والعمل به ولو لم نقف على الأصل؟

**الثانية**: إذا وجدنا روايتين عن الإمام أحمد مختلفتين، أو أقوالًا للأصحاب مختلفة، وكُلٌّ يُدْلِي بدليل، هل يجوز العمل بكل منهما؟ وإذا حكى بعض العلماء مثل صاحب «الفروع» أو غيره كلامًا للإمام أحمد، أو للأصحاب وأمثالهم في مسألة، ولم يذكر استدلالهم على ذلك بشيء، أو ذكر أن فلانًا قال كذا، وفلانًا قال كذا بضد القول الأول، ما الحكم في ذلك؟ وإذا قال: الصحيح أو المذهب كذا. هل يعمل به؟

**الثالثة**: إذا فسر بعض الأصحاب معنى حديث واستدل به على حكم، وفسره آخر بضده واستدل به على حكم يقابل الأول، أو نقل عن الإمام تفسير حديث، أو نقل آخر عنه ضده، مثل حديث الإغلاق، قال ابن القيم عن الإمام أحمد: فُسر بالإكراه.

**الرابعة**: قولهم: لا إنكار في مسائل الاجتهاد، وعلى مَن اجتهد أو قلّد مجتهدًا حيًّا أو ميتًا. وإذا ورد حديثان متضادان في الحكم، مثل حديث القلتين[٢] وبئر بُضاعة[٣] ذكر بعض العلماء أن حديث بئر بُضاعة مطلق وحديث

---

(١) لعله: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار»؛ للقاضي عياض.

(٢) أخرجه أبو داود (٦٣) والترمذي (٦٧) والنسائي (٥٢) وابن ماجه (٥١٧) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤١٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٦٦) والترمذي (٦٦) والنسائي (٣٢٦) وصححه الشيخ الألباني (الإرواء ٢٥).

القلتين مقيّد، فيُحمل المطلق على المقيّد، وذكر غيره أن هذا - أي حديث القلتين - استدلوا على صحته، وأن غيره يُحمل عليه، بأنه ﷺ سئل عن إناء ولغ فيه كلب فأمر بإراقته، ولم يسأل: هل تغير أم لا؟

**الخامسة**: الثلاث طلقات المجموعة، ذكر الشيخ منصور في «شرح الإقناع» وقوعها يروى عن ابن عباس وعن عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر. قال: وعن مالك بن الحارث قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إن عمي طلّق امرأته ثلاثًا. فقال: إن عمك عصى الله وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجًا[١]. وروى النسائي[٢] بإسناده عن محمود بن لبيد قال: أخبر رسول الله ﷺ أن رجلًا طلّق امرأته ثلاث تطليقات جميعًا، فغضب وقال: «**أيُلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم!**» حتى قام رجل فقال: يا رسول الله أفلا أقتله![٣] انتهى.

وأما ما روى طاووس عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر؛ الثلاث واحدة... إلى آخره، فقال الأثرم: سألت أبا عبد الله عن حديث ابن عباس: بأي شيء أدفعه؟ قال: ادفعه برواية الناس عن ابن عباس بوجوه خلافه. ثم ذكر عن ابن عباس خلافه من وجوه أنها ثلاث[٤]. انتهى

**السادسة**: قول أهل العلم: إن اتفاق الأئمة حجة واختلافهم رحمة، فما معنى كون اختلافهم رحمة؟ واحتج بهذه مَن اتبع المجتهدين.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٦/ ٢٦٦) وأبو بكر ابن أبي شيبة (٥/ ١١).
(٢) أخرجه النسائي (٣٤٠١) وصححه الشيخ الألباني (غاية المرام ٢٦١).
(٣) كشاف القناع (٥/ ٢٤٠ - ٢٤١).
(٤) كشاف القناع (٥/ ٢٤١).

**السابعة**: الحلف بالطلاق، ذكر الشيخ منصور في «شرح الإقناع» نقلًا عن اختيارات أبي العباس: قال أبو العباس: تأملت نصوص أحمد فرأيته يأمر باعتزال الرجل امرأته في كل يمين حلف الرجل عليها[1] انتهى. فهذا من أبي العباس يدل على أن مذهب الإمام أحمد يدل على صحة الحلف بالطلاق.

**الثامنة**: مسألة الوقف على الأولاد، ذكر مصنّف «المنتهى» في شرحه عن مسند الحميدي أن أبا بكر وسعدًا وعمرو بن العاص وحكيم بن حزام تصدقوا على أولادهم بدور المدينة.

**التاسعة**: قوله تبارك وتعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ وقوله: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ ما معنى سوء الظن بالله؟ وقوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ ما معناه؟ وما معنى إدخال البخاري إياه في كتاب الطب؟[2]

وكذلك الحديث الذي أورده «**ما من مسلم يصيبه أذى**...»[3] فإن فسرتم الأذى بجميع المكروهات، كما هو المشهور من معنى اللفظ الأخير «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همّ ولا حزن ولا أذى**...»[4] فعطف الأذى على ما تقدم، والعطف يقتضي المغايرة، هل المراد الذي لم يصدر منه شرك بالكلية أم لا؟

وما معنى قولهم: من الشرك التصنع للمخلوق المسلم، وخوفه ورجاؤه؟

---

(١) الاختيارات الفقهية (١/ ٥٧١) وكشاف القناع (٥/ ٢٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٠) ومسلم (٢٥٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٤٧) ومسلم (٢٥٧١).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٤١).

وهل المراد به الشرك الأكبر أو الأصغر؟

وقوله: «**أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن بي خيرًا فله، وإن ظن بي شرًّا فله**»[(١)] وما معناه؟

والحديث الذي فيه النهي عن قيل وقال، وعن كثرة السؤال، وإضاعة المال؟[(٢)]

وقوله ﷺ: «**الشؤم في ثلاثة: في المرأة والولد والفرس**»[(٣)] ما معناه؟

وترك الخارص الثلث أو الرابع، هل هو صحيح أم لا؟ فإن قلتم: لا. فما معنى الحديث الذي استدل به مَن جوَّزه، وهو قوله للعباس: «**هي عليّ ومثلها معها**»؟[(٤)]

وقوله: «**الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران**»[(٥)] هل المراد حفظ حروفه ويحصل الفضل بذلك، أم لا، والحفظ مع فهم المعاني؟ وما معنى المشقة والتعاهد؟

وما معنى قوله: «**طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة**»[(٦)] أفتونا مأجورين؟

**فأجاب** رحمه الله:

اعلم، أرشدك الله، أن الله ﷻ بعث محمدًا ﷺ بالهدى الذي هو العلم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٩١) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤٣١٥).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٧) ومسلم (٥٩٣).
(٣) أخرجه البخاري (٤٨٠٦).
(٤) أخرجه البخاري (١٤٨٦) ومسلم (٩٨٣).
(٥) أخرجه البخاري (٤٩٣٧) ومسلم (٧٩٨).
(٦) أخرجه مسلم (٢٠٥٩).

النافع، ودين الحق الذي هو العمل الصالح، إذا كان مَن ينتسب إلى الدين منهم مَن يتعانى بالعلم والفقه ويصول به كالفقهاء، ومنهم مَن يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين، ومن أعظم ما امتن الله به عليه وعلى أمته أن أعطاه جوامع الكلم، فيذكر الله تعالى في كتابه كلمة واحدة، تكون قاعدة جامعة، يدخل تحتها من المسائل ما لا يحصى، وكذلك يتكلم رسول الله ﷺ بالكلمة الجامعة، ومن فهم هذه المسألة فهمًا جيدًا فهم قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهذه الكلمة أيضًا من جوامع الكلم؛ إذ الكامل لا يحتاج إلى زيادة، فعُلم منه بطلان كل محدث بعد رسول الله ﷺ وأصحابه، كما أوصانا بقوله: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[1] فَهِمَ معنى قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله، أي في كتابه، وإلى الرسول، أي إلى سنته، علمنا قطعًا أن مَن رَدَّ إلى الكتاب والسنة ما تنازع فيه الناس وجد فيه ما يفصل النزاع، وهذه كلمات يسيرة تحتاج إلى بسط طويل، وتشير إلى حظ جليل، وإنما قدمتها لأن مَن عرفها انجلى عنه إشكالات كثيرة في مسائل لا تحصر، منها بعض هذه المسائل والمسئول عنها، من ذلك جواب:

**المسألة الثانية**: إذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه، فنقول: في محل النزاع التَّرَادُّ إلى الله والرسول، لا إلى كلام أحمد، ولا إلى كلام أصحابه، ولا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢) والإمام أحمد (٤/ ١٢٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٥٤٩).

إلى الراجح المرجح من الروايتين والقولين خطأ قطعًا، وقد يكون صوابًا.

وقولك: إذا استدل كل منهما بدليل. فالدلائل الصحيحة لا تتناقض، بل يصدق بعضها بعضًا، لكن قد يكون أحدهما أخطأ في الدليل، إما مستدلًّا بحديث لا يصح، وإما فهم من كلمة صحيحة مفهومًا مخطئًا.

وبالجملة؛ فمهما رأيت الاختلاف فرده إلى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإن لم يتبين واحتجت إلى العمل فقلّد مَن تثق بعمله ودينه.

وهل يتخير الرجل عند ذلك، أو يتحرى، أو يقلد الأعلم أو الأورع؟ فيه كلام ليس هذا موضعه، فتبين بهذا جواب المسألة الثانية والثالثة والرابعة.

**وأما المسألة الأولى**: فإن كان صاحب الدلائل ثقة مأمونًا ونسبه إلى الصحيحين وغيرهما جاز العمل بقوله، ولا أحد منع ذلك.

**وأما المسألة الخامسة**: وهي قول مَن قال: لا إنكار في مسائل الاجتهاد. فجوابها يُعلم من القاعدة المتقدمة، فإن أراد القائل مسائل الخلاف كلها، فهذا باطل يخالفه إجماع الأمة، فما زال الصحابة ومَن بعدهم ينكرون على مَن خالف أو أخطأ كائنًا مَن كان، ولو كان أعلم الناس وأتقاهم، وإذا كان الله قد بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق، وأمرنا بالتباعد وترك ما خالفه، فمن تمام ذلك أن مَن خالف من العلماء مخطئًا فيه على خطئه وأنكر عليه.

وإن أريد مسائل الاجتهاد، مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب، فهذا كلام صحيح، لا يجوز للإنسان أن يُنكر الشيء لكونه مخالفًا لمذهبه، أو لعادة الناس، فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم، لا يجوز أن يُنكر إلا بعلم، وهذا كله داخل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

**وأما المسألة السادسة**: وهي قولك إذا ورد حديثان متضادان، مثل حديث

القلتين وحديث بئر بُضاعة. . . الخ، وهذه عبارة لا ينبغي، إلى أن قال: وحاشا كلام الله وكلام رسوله من التضاد، بل كله حق، يُصدق بعضه بعضًا، والواجب على المؤمن في مثل هذا أن يُحسن الظن بكلام الله وكلام رسوله، ويقول كما أمر الله به: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ فإذا تبين له الحق فليقل به ويعمل به، وإلا فليُمسك وليقل: الله ورسوله أعلم. فإن الله تعالى ابتلى الناس بالمتشابه، كما ابتلاهم بالمحكم، ليعلم مَن يقف حيث وقفه الله، ممن يقول على الله بلا علم.

نعم، قد يرد حديثان متضادان، ولكن أحدهما ليس بصحيح، وقد يكون أحدهما ناسخًا، لكنه قليل جدًّا، ومع ذلك لا يرد المنسوخ إلا وقد يرد ما يثبته.

وأما قولك: ما يسوغ لمثلنا؟ فالذي يسوغ، بل يجب، ما وصفت لك، وهو طلب علم ما أنزل الله على رسوله وردّ ما تنازع فيه المسلمون، فإن علّمه الله شيئًا فليقل به، وإلا فليُمسك ويقول: الله أعلم. ويجعله من العلم الذي لا يعرفه، فلو بلغ الإنسان في العلم ما ما بلغ؛ لكان ما علمه قليلًا بالنسبة إلى ما لم يعلمه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

**وأما المسألة السابعة**: فكونها مروية عن الصحابة فمُسَلم، ويكفي في ذلك ما ورد عن المُحَدَّث المُلْهَم الذي أمرنا باتباع سنته، ثاني الخلفاء، عمر بن الخطاب، ولكن ليس في هذا ما يرد القول الآخر.

وأما الحديث: «**أيُلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟**» فهذا يدل على أن جمع الثلاث لا يجوز.

وأما كونه ألزم بها، فلم يُذكر في الحديث، والذي يقول إنها واحدة لا يقول إن التلفظ بها يجوز، بل يقول هو منكر من القول وزور، كما في الحديث.

وأما رد الإمام أحمد ﷺ، ذلك بمخالفة رواية له، فهذه مبنية على مسألة

أصولية، وهي أن الصحابي إذا أفتى بخلاف ما روى هل يقدح فيه؟ والصحيح أنه لا يقدح فيه، فإن الحجة في روايته لا في رأيه، وبالجملة فالمسألة مسألة طويلة لعل المذاكرة تقع فيها شفاهًا.

**وأما المسألة الثامنة**: وهي قول مَن قال: اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة. فليس المراد به الأئمة الأربعة، بل إجماع الأمة كلهم، وهم علماء الأمة.

وأما قولهم: اختلافهم رحمة. فهذا باطل، بل الرحمة في الجماعة، والفرقة عذاب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فلما سمع عمر أن ابن مسعود وأُبيًّا اختلفا في صلاة الرجل في الثوب الواحد، صعد المنبر وقال: اثنان من أصحاب رسول الله ﷺ فعن أي فتياكم يصدر المسلمون؟ لا أجد اثنين اختلفا بعد قيامي هذا إلا فعلت وفعلت[1].

لكن قد روي عن بعض التابعين أنه قال: ما أحسب اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ إلا رحمة للناس، لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة، ومراده شيء آخر غير ما نحن فيه، ومع هذا فهو قول مستدرَك؛ لأن الصحابة بأنفسهم ذكروا أن اختلافهم عقوبة وفتنة.

**وأما المسألة التاسعة**: وهي مسألة الحلف بالطلاق، فغاية ما ذكره أنه مذهب أحمد، ومذهب غيره يخالفه، ومَن كانت الحجة معه فهو المصيب.

وأما مسألة الوقف فالكلام فيها طويل يحتاج إلى مذاكرة.

وبالجملة؛ فلا نُنكر إلا ما خالف أمر الله ورسوله، وطريقة الصحابة

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٧٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٣٨).

وأتباعهم، وأما ما فعله الصحابة فعلى الرأس والعين.

وأما قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ فقد بسط الكلام عليها في «الهدي»[1] على وقعة أُحد، وقد فسره بأشياء كثيرة نقولها ونعتقدها، ولا نظن إلا أنها عقل وصواب، فتأمل كلامه تأملًا جيدًا.

وأما قوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ وإدخال البخاري لها في كتاب الطب، فمراد البخاري أن هذه الأمراض التي يكرهها العبد هي مما يُكفر الله بها عن المؤمن سيئاته ويُطهره بها؛ لأن قوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ عام في جزاء الدنيا والآخرة. وأما إدخاله هذا في كتاب الطب فواضح، وأهل العلم يذكرون في الباب ما هو أبعد من هذا تعلقًا واستطرادًا.

وأما قوله: «**ما من مسلم يصيبه أذى...**» فهو عام، وأما عطف الأذى على الوصب والنصب والهمّ، فمن عطف العام على الخاص، وهو كثير جدًّا في كلام العرب وفي كلامنا.

وأما سؤالكم: هل هذا في المسلم الذي لم يصدر منه شرك بالكلية؟ أما الشرك الذي يصدر من المؤمن، وهو لا يدري، مع كونه مجتهدًا في اتباع أمر الله ورسوله، فأرجو ألا يُخرجه هذا من الوعد، وقد صدر من الصحابة أشياء من هذا الباب، كحلفهم بآبائهم وحلفهم بالله، وقولهم: ما شاء الله وشاء محمد. وقولهم: اجعل لنا ذات أنواط. ولكن إذا بان لهم الحق اتبعوه، ولم يجادلوا فيه حمية الجاهلية لمذهب الآباء والعادات.

وأما الذي يدعي الإسلام، وهو يفعل من الشرك الأمور العظام، فإذا تليت

---

(١) زاد المعاد (٢/ ١٩٦ - ٢١٢).

عليه آيات الله استكبر عنها، فليس هذا بالمسلم. وأما الإنسان الذي يفعلها بجهالة، ولم يتيسر له من ينصحه، ولم يطلب العلم الذي أنزله الله على رسوله، فقد أخلد إلى الأرض واتبع هواه، ولا أدري ما حاله.

وأما قول مَن قال: من الشرك التصنع للمخلوق. فلعل مراده التصنع بطاعة الله الذي يسمى الرياء، وهو كثير جدًّا، فهذا صحيح في أمور لا يفطن لها صاحبها.

وأما خوف المخلوق، فالمراد به الخوف الذي يحملك أن تترك ما فرض الله عليك، وتفعل ما حرّم الله عليك، خوفًا من ذلك المخلوق.

وأما الرجاء، فلعل المراد الذي يُخرج العبد عن التوكل على الله والثقة بوعده، وكل هذه الأمور كثيرة جدًّا.

وأما قوله: «**الشؤم في ثلاث...**» الخ، فهذا أشكل على مَن قبلنا، حتى إن عائشة كذّبته وقالت: هذا كلام أهل الجاهلية[١]. ولكنه صح، وقد تكلموا في تفسيره، ولم يتبين لي معناه، والله أعلم بمراد رسوله.

وأما ترك الخارص الثلث، فقد سمع الجماعة فيها ما تيسر؛ وبالجملة فأرجح الأقوال فيها عندي قول أكثر أهل العلم أنه غير مطرد، بل يترك قدر ما يأكله ويخرجه رطبًا باجتهاد الخارص، وعلى هذا تجتمع الأدلة، ويصدق بعضها بعضًا.

وأما ما ورد من الفضل في حفظ القرآن: هل المراد حفظه مع حفظ المعاني؟ فلا يحضرني جواب يفصل المسألة، ولكن حفظه مع عدم الفهم لا يوجد، فهذا

---

(١) أخرجه الطبري في تهذيب الآثار، مسند علي (٣٧).

من النبي ﷺ والخلفاء لا أعلمه، وأظنه لو وجد في زمانهم لكان مشهورًا، كشهرة الرجل الذي يُسمى عندنا «حمار الفروع»! لما ذكر أنه يحفظ الفروع ولا يفهمه، وقد قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ وذكر ابن القيم[1] أن هذه لو نزلت في التوراة فالقرآن كذلك لا فرق بينهما، ولذلك ذم الذين يقرأون بلا فهم، كقوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ أي: تلاوة بلا فهم. والمراد من إنزال القرآن فهم معانيه والعمل به، لا مجرد تلاوته.

وأما قوله: «**طعام الواحد يكفي الاثنين...**» الخ، فلا أعلم له معنى غير ظاهره.

وأما إغلاق الباب وقت الجذاذ، فلا أتجسر على الجزم بتحريمه، ولكن أظنه لا يجوز في هذا المعنى من الكتاب والسنة وكلام أهل العلم، من ذلك ما ذكره الله في سورة ﴿نٓ﴾ عن أصحاب الجنة ﴿إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ وهم لم يغلقوا الباب، بل تحيلوا بالصرام في وقت يأتي فيه المساكين.

وأما تأخير الزكاة فلا يجوز، ومن استدل بحديث: «**هي عليّ ومثلها معها**» فقد أخطأ خطأ واضحًا، الأول: أن ظني أن الحديث لا يدل على المسألة المسئول عنها، فإن المسألة المسئول عنها أن صاحب المال هل يحل له تأخير الزكاة عن وقتها لحاجة أو غيرها؟ والمسألة التي قال بعض أهل العلم: الحديث يدل عليها، ليست هذه، بل إذا رأى الإمام أو الساعي أن يؤخر الزكاة لمصلحة، وهذه مسألة غير الأولى، والدليل أن أحمد سئل عن تأخير الزكاة فمنعه وتشدد فيه، وسئل عن الساعي إذا أراد تأخيرها في سنة مجدبة فرخّص له، واستدل بفعل عمر.

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٦٥).

مثال ذلك: أن ولي اليتيم إذا قيل له إنه يجوز له بيع عقاره لمصلحة، هل يحل لأحد أن يستدل بهذه المسألة، إذا كان عندهم ليتيم دار أو عقار لا يعلم بها وليه، فأراد أن يعطي الولي أو اليتيم عنها لمصلحة المعطى، هل يقول أحد إن هذا جائز؟ ولو استدل أحد على جوازه، يبيع وليه عقاره لمصلحة لعده الناس ضحكة.

فينبغي لطالب العلم أن يتفطن لصورة المسألة في الدليل الذي يدل عليها، أو يحيل نظره في ذلك، فإن كثيرًا من الأغاليط وقعت في مسألة واضحة جدًّا، ويستدل بشيء من القرآن أو السنة، وهو لا يدل على ذلك، كما فعله الرافضة والقدرية والجهمية وغيرهم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية. فنسأل الله تعالى أن يهدينا لما يحبه ويرضاه.

**المسألة الثامنة:**

سئل الشيخ رحمه الله، عن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الصفات، فأجاب:

توحيد الربوبية هو الذي أقرّ به الكفار، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وأما توحيد الألوهية فهو إخلاص العبادة لله وحده من جميع الخلق؛ لأن الإله في كلام العرب هو الذي يُقصد للعبادة، وكانوا يقولون: إن الله سبحانه هو إله الآلهة، لكن يجعلون مع الله آلهة أخرى، مثل الصالحين والملائكة وغيرهم، يقولون: إن الله يرضى هذا، ويشفعون لنا عنده.

فإذا عرفتَ هذا معرفة جيدة؛ تبين لك غربة الدين، وقد استدل عليه سبحانه

بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم، لأنه إذا كان هو المدبر وحده، وجميع مَن سواه لا يملكون مثقال ذرة، فكيف يدعونه؟ أيدعون غيره معه مع إقرارهم بهذا؟

وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات، لكن الكفار أعقل ممن أنكر الصفات، والله أعلم.

**المسألة التاسعة:**

سُئِلَ رحمه الله: ما قول الشيخ رحمه الله، في تسمية المعبودات أربابًا، إذ الرب يُطلق على المالك، والمعبود على الإله، وكل اسم من أسمائه، جل وعلا، له معنى يخصه بالتخصيص دون التداخل بالتعميم.

والجواب: الرب والإله في صفة الله، تبارك وتعالى، متلازمة غير مترادفة، فالرب من الملك والتربية بالنِعم، والإله من التأله، وهو القصد لجلب النفع ودفع المضرة بالعباد، ولذلك صارت العرب تُطلق الرب على الإله، فسموا معبوداتهم أربابًا من دون الله لأجل ذلك، أي لكونهم يسمون الله ربًّا بمعنى إلهًا.

**المسألة العاشرة:**

سئل رحمه الله، عن مسائل:

**الأولى:** أحاديث الوعد والوعيد، وقول وهب بن منبه: «**مفتاح الجنة: لا إله إلا الله...**» الخ[1].

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب الجنائز، باب: في الجنائز، ومن كان آخر كلامه (لا إله إلا الله) انظر: فتح الباري (٣/ ١٠٩) وقال البوصيري: رواه إسحاق بن راهويه بإسناد حسن (إتحاف الخيرة ٨/ ٢٣٠).

**الثانية**: حديث أنس: «**مَن صلى صلاتنا...**» الخ[١].

**الثالثة والرابعة**: شيء من أحاديث الوعد والوعيد.

**الخامسة**: الحديث الذي فيه «**يخرج من ثقيف كذاب...**» الخ[٢].

**السادسة والسابعة**: قوله: «**ألا أخبركم بأهل الجنة...**» الخ[٣].

فأجاب: الحمد لله، الذي يجب العلم به أن كل ما قال الرسول حق يجب الإيمان به، ولو لم يعرف الإنسان معناه، وفي القرآن آيات في الوعد والوعيد كذلك، وأشكل الكل على كثير من الناس، من السلف ومَن بعدهم، ومِن أحسن ما قيل في ذلك: اقرأوها كما جاءت. معناه: لا تتعرضوا لتفسير لا علم لكم به. وبعض الناس تكلم فيها ردًّا لكلام الخوارج والمعتزلة الذين يُكفرون بالذنوب، ويخلدون أصحابها في النار، أنه ينفي الإيمان عن بعض الناس لكونه لم يتمه، كقوله للأعرابي: «**صلّ فإنك لم تصل**».

والجواب الأول أصوب وأهون وأوسع، وهو الموافق لقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ الآية.

إذا فهمت ذلك **فالمسألة الأولى** واضحة، ومراده الرد على مَن ظن دخول الجنة بالتوحيد وحده بدون الأعمال، وأما إذا أتى به وبالأعمال، وأتى بسيئات

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٢٠، ٣٩٤٤) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤٢٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) ولفظه: «**وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال**» قال: «**وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعًا، لا يبتغون أهلا ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك**» وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش.

ترجح على حسناته، أو تُحبط عمله، فلم يتعرض وهب لذلك بنفي ولا إثبات، لأن السائل لم يُرِدْهُ.

**وأما الثانية**: وهي قوله: «مَن صلى **صلاتنا...**» فهو على ظاهره، معناه: لو عُرِفَ منه النفاق، فما أظهره نفاق وعليه وباله، وإلا فمعلوم أن مَن صدَّق مسيلمة، أو أنكر البعث، أو أنكر شيئًا من القرآن، أو غير ذلك من أنواع الردة، أنه لم يدخل في الحديث.

**وأما الثالثة والرابعة**: التي فيها أحاديث الوعد والوعيد؛ فسبق الجواب عنهما.

وأما قوله: أما الكذاب فقد عرفناه[١]. هو رجل من ثقيف، خرج يطلب بدم الحسين وأهل البيت، وانتصر، وقتل مَن قَتَلَهم، ثم ملك العراق، وغلط مرة فسيّر إليه ابن الزبير عسكرًا، فقتلوه وفتحوا العراق، لأنه أظهر الزندقة وادعى النبوة. وأما المبير، وهو الذي يفني الناس بالقتل، فهو الحجاج المعروف.

**وأما السادسة**: فلا علمت أن الحديث صحيح.

**وأما السابعة**: فقوله: «كل ضعيف» فهو ضد القوي. والمتضعف قيل إنه المتواضع، و«العتل» قيل هو الغليظ الجافي، و«الزنيم» المعروف بالشر، والمتكبر معروف، والذي لا زَبْرَ له فسَّره بقوله: «**لا يبتغون أهلًا ولا مالًا**» و«الشنظير» فسره بالغاش، وباقي الأوصاف في الخير والشر معروفة.

## المسألة الحادية عشرة:

سُئِلَ رحمه الله، عن الوعيد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه، هل هو صحيح أم غير

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢٢٣٣).

ذلك؟ أيضًا: نبهني عبد الوهاب في خطه للموصلي أنك ما رضيت قوله: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في مشيئته وإرادته، حتى إني أفكر فيها، ولا بان لي فيها شيء أيضًا سوى المذكور عند النووي: «**اللهم إني أسلمت نفسي إليك...**» إلخ[١]، بيِّن لي معناه جزاك الله خيرًا.

**الجواب**: الوعيد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه ثابت عند أهل الحديث، فإن كنتَ قد حفظت القرآن أو شيئًا منه ثم نسيته فودي أن تعود إليه.

وأما قوله في الخطبة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في مشيئته وإرادته، فعجب، كيف يخفى عليك هذا؟ والشهادة للألوهية، والمذكور في الخطبة توحيد الربوبية الذي أقر به الكفار.

وأما قوله: «**اللهم إني أسلمت نفسي إليك**» فترجع إلى الإخلاص والتوكل، ولو كان بينهما فروق لطيفة، والله أعلم.

## المسألة الثانية عشرة:

قال السائل: عفا الله عنك، خطبتُ ووقفتُ على: (يوم يبعثر من في القبور، ويحصل ما في الصدور)، ثم قلت: جعلنا الله وإياك من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، بارك الله لي ولكم.. إلخ، ولا فطنت إلا بعدما انقضت الصلاة، وأردت أن آمر المؤذن يؤذن ونعيد الخطبة والصلاة، ثم تأملت: (يوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور)، وإذا كأنها آية تقوم بالمعنى وتجزئ، ثم كثر علي الهم والتردد.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١١) ومسلم (٢٧١٠).

وأيضا، عفا الله عنك، عندي دبيش ولي عييل[١]، وحاير، تطمع نفسي لمنزلة الفقراء، ولو لم يكن إلا سبقهم إلى الجنة بما ذكر، ويعارض ذلك: أي الفقير الصابر أو الغني الشاكر أفضل، وقوله ﷺ: «**إن تذر ورثتك**...» الخ[٢] بين لي حد الشكر وحد الصبر.

أيضا قوله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله. صادقا**...» الحديث، واللفظ الآخر «**مخلصا، دخل الجنة**» ما معنى الصدق والإخلاص؟ والفرق بينهما.

أيضا: حديث البطاقة[٣] وما معه من سجلات الذنوب حتى وضعت في كفة، والبطاقة في كفة، فرجحت بتلك السجلات لما تضمنت من الإخلاص.

وما تقول فيمن خالف شيئا من واجبات الشريعة ماذا يقع عليه؟

وما معنى: «**كل ذنب عصى الله به شرك**»؟

وهل يقع في جزء من الكفر؟ والمراد به الكفر بالله أو بالإله مع صغره؟

---

(١) الدبيش: تصغير: الدبش، وهو الحيوان الذي يُقتنى؛ كالإبل والبقر والغنم. والعييل: جمع: العيال.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٥) ومسلم (١٦٢٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٧٧٦)، ونصه: قال ﷺ: «**إن الله سيُخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلًا، لكل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئ؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يارب، فيقول الله تعالى: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لاظلم عليك اليوم. فتُخرج بطاقه فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فيقول: احضر وزنك، فيقول: يارب، ما هذه البطاقه مع هذه السجلات؟ فيقول: فإنك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كفه، والبطاقه في كفه، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقه، لا يثقل مع اسم الله شيئ**».

وما معنى قول من قال: كفر دون كفر؟ وقول من قال: نعمة أي نعمة؟

أيضا: وماذا ترى في الرؤيا التي ذكرت لك؟

أيضا: تفكرت في الإيمان قوته وضعفه، وأن محله القلب، وأن التقوى ثمرته مركبة عليه، فبقوته تقوى وبضعفه تضعف، وهذا فهمي، ولكن ورد علي شبهة: أعرف ممن خالف دين الإسلام وصد عنه تقوى من بعض التعديات، ولاسيما أموال الناس. وإلا العبادة البدنية والمالية مثل الصلاة والزكاة تكون عادة وفطرة، أي شيء ترى في ذلك منه؟ وما ذكرت لك في أول السؤال صحيح أم لا؟

**الجواب وبالله التوفيق:**

**أما مسألة** الخطبة في الجمعة فلا علمت فيها خلافا، وأرجو أن تكون تامة.

**وأما مسألة** الغنى والفقر، فالصابر والشاكر، كل منهما من أفضل المؤمنين، وأفضلهما أتقاهما، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وأما حد الصبر وحد الشكر فلا عندي علم، إلا المشهور بين العلماء أن الصبر عدم الجزع، والشكر أن تطيع الله بنعمته التي أعطاك.

وأما قوله: «**مَن قال: لا إله إلا الله صادقًا**» والحديث الآخر: «مخلصًا» فمسألة الصدق والإخلاص كبيرة، ولما ذكر الإمام أحمد الصدق والإخلاص قال: بهما ارتفع القوم. ولكن يقربها إلى الفهم التفكر في بعض أفراد العبادة؛ مثل الصلاة والإخلاص؛ فالإخلاص فيها يرجع إلى إفرادها عما يخالف كثيرًا من الرياء والطبع والعبادة وغير ذلك، والصدق يرجع إلى إيقاعها على المشروع، ولو أبغضه الناس في ذلك.

وحديث البطاقة ذكر الشيخ أنه رُزِقَ عند الخاتمة قولُها على ذلك الوجه، والأعمال بالخواتيم، مع أن على بقيته إشكالًا، والله أعلم.

وأما معنى: «**كل ذنب عصى الله به شرك أو كفر**» فالشرك والكفر نوع، والكبائر نوع آخر، والصغائر نوع آخر، ومن أصرح ما فيه حديث أبي ذر فيمن لقي الله بالتوحيد قوله: «**وإن زنى وإن سرق**»[(١)] مع أن الأدلة كثيرة. وإذا قيل: مَن فعل كذا فقد أشرك أو كفر. فهو فوق الكبائر، وما رأيتَ مني ما يخالف ما ذكرت لك فهو بمعنى الذي هو أخفى من دبيب النمل. وقول القائل: كفر نعمة، خطأ رَدَّه الإمام أحمد وغيره. ومعنى أنه ليس يخرج من الملة مع كبره.

والرؤيا أرجو أنها من البشرى، ولكن الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره.

وقولك: إن الإيمان محله القلب؛ فالإيمان أجمع السلف على أن محله القلب والجوارح جميعًا، كما ذكره الله تعالى في سورة الأنفال وغيرها. وأما كون الذي في القلب والذي في الجوارح يزيد وينقص فذاك شيء معلوم؛ فالسلف يخافون على الإنسان إذا كان ضعيف الإيمان سُلِبَ الإيمان كله.

وأما الشبهة التي وردت عليك؛ إذا كان الرجل مخالفًا دينَ الإسلام ويصد عنه، ولكن فيه ورع عن بعض المحرمات، فأنت خابر أن الإنسان يكفر بكلمة واحدة، فكيف الصد عن سبيل الله؟ واذكر قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فإذا كانت الكراهة تحبط الورع الذي تذكر، كيف الصد مع الكراهة؟ واليهود والنصارى فيهم أهل زهد أعظم من الورع، والله أعلم.

## المسألة الثالثة عشرة:

سُئِلَ رحمه الله: ما يقول الشيخ، شرح الله صدره ويسّر أمره، في مسائل أشكلت عليّ، فيما يجب علينا من معرفة الله إذا كان موجب الإلهية الربوبية، وأشوفك

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٧) ومسلم (٩٤).

قليل التعريج عليها عند تقرير التوحيد للألوهية، ويشكل عليّ أيضًا كون مشركي العرب أقروا به، يكون من غير معرفة لوضوحه، أم توغلوا في التقليد ولم يلتفتوا للحقيقة الموجبة للعبادة، أم زعمتم أن هذا شيء يرضاه الرب، أم كيف الحال؟

وأيضًا كلمة التوحيد كونها محتوية على جميع الدين، من إنزال الكتب وإرسال الرسل، أنها نافية جميع المقصودات المسماة بالآلهة الباطلة، إذا حدها القصد، فتسمى بذلك من غير استحقاق؛ لأنها مخلوقة مربوبة مقهورة، والواحد في القصد هو الواحد في الخلق، أرى بعض الناس تكلم في معناها وعلمها، وأن لفظها مجردة من غير معرفة لا يفيد شيئًا، لكن نظرت في حديث الشفاعة الكبرى عند قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ وإخراجه العصاة من أمته بإذن ربه، حتى قال: «**ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله**»[1] هذا مشكل عليّ جدًّا، وفهمي قاصر عن معرفته، إذا كان كلمة التوحيد هي الغاية وتقييدها بالمعرفة مع العمل، وإخراجه ﷺ مَن كان في قلبه أدنى مثقال ذرة خردل من إيمان، فأنت جزاك الله خيرًا بيِّن لي معنى هذه الكلمة، لا أَضِلّ ولا أُضِلّ. وأخبرك يوم أنا غافل عن الفهم في الربوبية، ما فهمي جيد في الألوهية، فلما بان لي شيء من معرفتها، واتضح لي بعض المعرفة في الألوهية بضرب المثل: أن فيصل ما استعبد لعريعر إلا لأجل كبر ملك عريعر، مع أنه قبيل له[2]، وأظن غالب الناس كذلك، وفيهم مَن لا يرى الربوبية ولا يعتبرها، أويتهاون بها، وهذا نسمعه من بعضهم، فجزاك الله خيرًا، صرِّح لي بالجواب.

**فأجاب**: إلى الأخ حسن، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣).

(٢) عريعر بن دجين، حاكم الأحساء (ت ١١٨٨هـ). وفيصل، لعله فيصل بن سويط، شيخ قبيلة الظفير (ت ١١٨٩هـ). وقبيل له: أي: مثيل له وفي مكانته.

سرني ما ذكَرتَ من الإشكال، وانصرافك إلى الفكر في توحيد الربوبية، ولا يخفاك أن التفصيل يحتاج إلى طول، ولكن ما لا يُدرك كله لا يُترك جله.

فأما توحيد الربوبية فهو الأصل، ولا يغلط في الإلهية إلا مَن لم يعطه حقه، كما قال تعالى فيمن أقر بمسألة منه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ ومما يوضح لك الأمر أن التوكل من نتائجه، والتوكل من أعلى مقامات الدين ودرجات المؤمنين، وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ الآية، وأما عبادته ﷺ بالإخلاص دائمًا في الرخاء والشدة فلا يعرفونها، وهي نتيجة الإلهية، وكذلك الإيمان بالله واليوم الآخر والإيمان بالكتب والرسل وغير ذلك، وأما الصبر والرضا والتسليم والتوكل والإنابة والتفويض والمحبة والخوف والرجاء فمن نتائج توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الألوهية هو أشهر نتائج توحيد الربوبية، وهذا وأمثاله لا يعرف إلا بالتفكر لا بالمطالعة وفهم العبارة.

وأما الفرق بينهما؛ فإن أفرد أحدهما مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ فهو توحيد الإلهية، مثل قوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وأمثال ذلك، فإذا قُرن بينهما فُسرت كل لفظة بأشهر معانيها؛ كالفقير والمسكين.

وأما ما ذكرتَ من أهل الجاهلية، كيف لم يعرفوا الإلهية إذا أقروا بالربوبية، فهل هو كذا وكذا، فهو بمجموع ما ذكرت وغيره، وأعجب من ذلك ما رأيتُ وما سمعتُ، ممن يدعي أنه أعلم الناس ويفسر القرآن ويشرح الحديث بمجلدات، ثم يشرح البُردة[١] ويستحسنها، ويذكر في تفسيره وشرحه للحديث

(١) القصيدة المشهورة في مدح النبي ﷺ؛ للبوصيري (ت ٦٩٦هـ). وهي محشوة بالغلو والشركيات. انظر نقدها في رسالة «القوادح العقدية في قصيدة البصيري البردية»؛ للشيخ أحمد السلمي، ضمن كتابه «ثلاث رسائل في الدفاع عن العقيدة» (ص ٥ - ٢٧٦).

أنه أشرك، ويموت ما عرف ما خرج من رأسه، هذا هو العجب العجاب، أعجب بكثير من أناس لا كتاب لهم، ولا يعرفون جنة ولا نارًا، ولا رسولًا ولا إلهًا.

وأما كون (لا إله إلا الله) تجمع الدين كله، وإخراج مَن قالها من النار إذا كان في قلبه مثقال ذرة، فلا إشكال في ذلك، وسر المسألة أن الإيمان يتجزأ، ولا يلزم من ذهاب بعضه ذهاب كله، بل هذا مذهب الخوارج، فالذي يقول الأعمال كلها من (لا إله إلا الله) فقوله الحق، والذي يقول: يخرج من النار مَن يقولها وفي قلبه من الإيمان مثقال ذرة؛ فقوله الحق، والسبب ما ذكرتُ لك من التجزؤ، وبسبب الغفلة عن التجزؤ غلط أبو حنيفة وأصحابه في زعمهم أن الأعمال ليست من الإيمان والإسلام.

## المسألة الرابعة عشرة:

سُئِلَ رحمه الله، عن معنى قول النبي ﷺ في حديث معاذ: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا...**» الخ، إلى أن قال: أفلا أبشر الناس؟ قال: «**لا تبشرهم فيتكلوا**»[1] ومعنى: «**لا يدخل أحدٌ الجنة بعمله**»[2].

أيضًا: ما معنى عقد اللحية والضرب بالأرض، هو الذي نعرف أن بعضهم يخط خطوطًا ثم يعدها: إن ظهرت شفعًا فكذا، وإن ظهرت وترًا فكذا، أم غير ذلك؟

وتفسير الحسن الجبت برنة الشيطان، ما رنة الشيطان؟

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨) ومسلم (٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦).

وحديث: «ومَن ردته الطيرة فقد أشرك، وكفارة ذلك أن تقول: **اللهم لا طير إلا طيرك...**» الخ[(١)] أم كيف يزول ذلك الشرك؟ فهذا اللفظ مع أن الطيرة مخامرة باطنة، واللفظ وحده لا يفيد، أو فائدة قليلة؟

وما معنى الفخر والطعن؟

وما معنى مكر الله بالعبد؟

وما الفرق بين الروح والرحمة؟

وما معنى: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب**»[(٢)]، ذاتٌ أورثتها المتابعة ومعرفة الدين، أو إيثار معرفة متابعة الأمر والنهي عند ورود الشهوات.

وأيضًا: كسوة المرأة إذا كانت كسوة عرس، هل للمرأة أن تطلب من الزوج كسوة بدن، أم هي كسوة بدن حتى يحول عليها الحول؟ وأيضًا: قيد الكسوة بالحول صواب؟ وأيضًا: إذا كان صوابًا فهل هو بكل أحد للعالي والمتوسط والداني أم فيها تفصيل؟ وأيضًا: إذا عريت قبل مضي الحول يجب على الزوج أن يكسوها أم لا؟ وأيضًا: إن مضى بعض الحول.

**الجواب:**

أما حديث معاذ فالمعنى عند السلف: الحلال ظاهر، وهو من الأمور التي يقولون: أَمِرُّوها كما جاءت. أعني نص الوعد والوعيد، لا يتعرضون للمشكل منه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن ابن عمر (٢/ ٢٢٠) وصححه الشيخ الألباني في إصلاح المساجد.

(٢) أخرجه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥).

وأما قوله: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**» فتلك مسألة أخرى على ظاهرها، وهو أن الله لو يستوفي حقه كما يستوفي السيد حقه من عبده لم يدخل أحد الجنة، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ الآية.

وعقد اللحية لا أعلمه، ولكن ذكر في الآداب ما يقتضي أنه شيء يفعله بعض الناس في الحرب على وجه التكبر.

وأما الصرف فهو مشهور جدًّا، حتى إن بعض الناس يخط، فمن وافق خطه فذاك، والذي يبدو للذهن أنه عام في كل أنواع الخط، وخط ذلك النبي عُدم، لا يوجد مَن يعرفه.

ورنة الشيطان، لا أعرف مقصود الحسن[1]، بل عادة السلف يفسرون اللفظ العام ببعض أفراده، وقد يكون السامع يعتقد أن ذلك ليس من أفراده، وهذا كثير في كلامهم جدًّا، ينبغي التفطن له.

---

(١) قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في «فتح المجيد» (٢/ ٤٧٩-٤٨٠): «قوله: قال الحسن: رنة الشيطان. قلت: ذكر إبراهيم بن محمد بن مفلح: أن في تفسير بقي بن مخلد: أن إبليس رن أربع رنات: رنة حين لُعن، ورنة حين أُهبط، ورنة حين وُلد رسول الله ﷺ، ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب. قال سعيد بن جبير: لما لعن الله تعالى إبليس، تغيرت صورته عن صورة الملائكة، و رن رنة، فكل رنة منها في الدنيا إلى يوم القيامة، رواه ابن أبي حاتم. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، رن إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده. رواه الحافظ الضياء في المختارة. الرنين: الصوت، و قد رن يرن رنينًا. وبهذا يظهر معنى قول الحسن رحمه الله تعالى». قلت: الذي في المسند (٥/ ٦٠): «والجبت، قال الحسن: إنه الشيطان»، ونقله عنه ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾. فلعله الصواب، وأن «رنة الشيطان» محرفة من «إنه الشيطان».

وقوله في الطيرة: «**وكفارة ذلك أن تقول...**» الخ، فالطيرة تعم أنواعًا، منها ما لا إثم فيه، كما قال عبد الله: وما منا إلا، ولكن الله يُذهبه بالتوكل[١]. فإذا وقع في القلب شيء، وكرهه ولم يعمل به، بل خالفه وقال لم يضره، فإن قال من الحسنات شيئًا فهو أبلغ وأتم في الكفارة، فلو قدرنا أن تلك الطيرة من الشرك الخفي، أو الظاهر، ثم تاب وقال هذا الكلام على طريق التوبة فكذلك.

وأما الفخر بالأحساب، فالأحساب الذي يُذكر عن مناقب الآباء السالفين التي نسميها المراجل، إذا تقرر هذا؛ ففخر الإنسان بعمله منهي عنه، فكيف افتخاره بعمل غيره؟

وأما الطعن في الأنساب ففُسر بالموجود في زماننا، ينتسب إنسان إلى قبيلة، ويقول بعض الناس: ليس منهم، من غير بينة، بل الظاهر أنه منهم.

وأما مكر الله؛ فهو أنه إذا عصاه وأغضبه أنعم عليه بأشياء يظن أنها من رضاه عليه.

وأما الفرق بين الروح والرحمة فلا أعرفه، ولعله فرق لطيف؛ لأن الروح فُسر بالرحمة في مواضع.

وأما قوله: «**لا يؤمن أحدكم...**» الخ، ففُسر بأن المراد اعتقاد ذلك بالقلب، والعمل بذلك الاعتقاد، فإذا كان في القلب ضده وكرهه وصار الكلام والعمل بمقتضى الأمر الممدوح فهو ذلك.

وأما كسوة العرس، وتقييد الكسوة بالحول مطلقًا ومقيدًا، فالذي يُفْتَى به أن هذه الأمور ترجع إلى عُرف الناس، وهو مذهب الشيخ وابن القيم، وأظنه المنقول عن السلف، فأما في العدة فعليه الكسوة والنفقة، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦١٤) وابن ماجه (٣٥٢٨) والإمام أحمد (١/ ٤٣٨) مرفوعًا، وصححه الشيخ الألباني (الصحيحة ٤٢٩).

المسألة الخامسة عشرة:

وسئل، عفا الله عنه، عن كون الأذان أوله التكبير وختم بالتكبير.

كذلك قول الله ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ما معنى هذا التكرار؟ هل هو تأكيد أم غير ذلك؟

وعن الإيمان والإسلام، هل هما نوع واحد أم نوعان؟

وعن حديث القرض الذي يقال إنه بثمانية عشر ضعفًا[١] صحيح أم لا؟

الجواب:

ذكروا أن التكبير مناسب في الأذان؛ لأنه مشروع على الأمكنة العالية، كقوله: «كنا إذا هبطنا سبحنا، وإذا علونا كبرنا»[٢].

وأما قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ إلى آخره، فذكروا في تفسيرها أن الكلمة الأولى إعلام بأنه سبحانه شهد بهذا، كذلك كل عالم يشهد به، وليس هذا ثناء على نفسه مجردًا، بل هو قيام بالقسط. وأما الكلمة الثانية فهي تعليم وإرشاد.

وأما الإسلام والإيمان هل هما نوع واحد؟ فذكر العلماء أن الإسلام إذا ذُكر وحده دخل فيه الإيمان، كقوله: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ وكذلك الإيمان إذا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢٢) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبًا: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر. فقلت: يا جبريل، ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة» وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف ابن ماجه ٥٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٣).

أُفرد، كقوله في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ فيدخل فيه الإسلام، وإذا ذُكرا معًا كقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فالإسلام الأعمال الظاهرة، والإيمان الأعمال الباطنة، كما في الحديث: «**الإسلام علانية والإيمان في القلب**»[1] وقوله سبحانه في الحديث: «**أخرجوا مِن النار مَن في قلبه مثقال ذرة...**» إلى آخره[2] يوافق ما ذكرناه، فإن الإيمان أعلى من الإسلام، ويخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام، ولا يُخرجه من الإسلام إلا الكفر، فيخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام الذي ينفعه، وإن كان ناقصًا، كما في آية الحجرات ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْـًٔا﴾ وحقيقة الأمر أن الإيمان يستلزم الإسلام قطعًا، وأما الإسلام فقد يستلزمه وقد لا يستلزمه. وحديث القرض لا يصححه الحفاظ، والله أعلم.

## المسألة السادسة عشرة:

سُئِلَ رحمه الله تعالى عن مسائل:

**الأولى**: قوله في باب حكم المرتد: أو استهزأ بالله وكتبه أو رسله كفر. وما وصف هذا الاستهزاء المكفِّر.

**الثانية**: قول الشيخ: وكان مبغضًا لما جاء به الرسول اتفاقًا. فما معنى هذا؟ وقوله: أو جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم ويتوكل عليهم. ما وصف هذه الوسائط والتوكل والدعاء والسؤال؟

**الثالثة**: قولهم: أو أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين، كَفَرَ. فما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٣٥) وضعفه الشيخ الألباني (تخريج الطحاوية ٣٩٠).
(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٨٣).

وصف هذا الدين والقول المكفِّر؟

**الرابعة** قوله: أو نطق بكلمة كُفْرٍ، ولم يعلم معناها، فلا يكفر بذلك. هل المعنى: نطق بها ولم يعرف شرحها. أو: نطق بها ولم يعلم أنها تكفره؟

**الخامسة**: قولهم: ومَن أطلق الشارع كفره، كدعواه إلى غير الله... إلى آخره، فللعلماء فيه أقوال أيها أقرب إلى الصواب.

**السادسة**: الذبح للجن؛ قال الشيخ: وأما ما يذبحه الآدمي خوفًا من الجن فمنهي عنه، ونحن لم نفهم إلا هذا من النهي، فإذا قلنا يكفر من ذبح للجن فما دليلنا على المخالف؟

**السابعة**: قولهم: إذا دعاه إمام أو نائبه. وقولهم: ولا يكفر ولا يقاتل قبل الدعاية. هل المتغلب على بلد حكمه حكم الإمام في الدعاية وإقامة الحدود أم لا؟ وهل يلزمه ذلك شرعًا أم لا؟ فإذا تركه وهو يقدر عليه فما حكمه؟

**الثامنة**: المسائل الفروعية؛ من الطهارات والصلاة والزكاة والحج والمعاملات والأنكحة والدعاوى، وغيرها عندنا، أتَعَلُّمُها وتعليمُها، بعد معرفة الله وتوحيده وإفراد العبادة له، أنه هو الفقه المتفق على فضله، وهو العلم النافع، وهو الأفضل بعد الجهاد؟ وهل الفتوى من كتب الترجيح المسماة عند أهل العلم أفردوا فيها الراجح عندهم وأورد القول المقابل المقوى عندهم في بعض المسائل، أم الفتوى من المطولات، فربما أطلقوا الأقوال؟ فلم ندرِ ما نفتي به أو نعمل به من الأقوال إلا من كتب المتأخرين وكتب أهل الترجيح، ونحن فرضنا التقليد، فما نفتي به منه؟

**التاسعة**: بعض الناس يحتج علينا أن المرتد لا يُقتل إلا بعد الاستتابة وقبلها ثبوت الردة، فما الجواب؟

**العاشرة**: قولهم في الاستسقاء: لا بأس بالتوسل بالشيوخ والعلماء المتقين. وقولهم: يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح. وقيل: يستحب. قال أحمد إنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه، وقال أحمد وغيره في قوله ﷺ: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»[(١)] الاستعاذة لا تكون بمخلوق. فما معنى هذا الكلام؟ وما العمل عليه منهما أم على قوله فما المعنى؟ وقولهم في الشرح: قال إبراهيم الحربي: الدعاء عند قبر معروف الترياق المجرب. فما معنى هذا الكلام؟ قال في «الفروع»[(٢)]: قال شيخنا: قصده الدعاء عند رجاء الإجابة بدعة لا قربة باتفاق الأئمة. فما معنى هذا الكلام؟

**الحادية عشرة**: قال في «الإقناع» في آخر الجنائز: ولا بأس بلمسه - أي القبر - باليد، وأما التمسح به والصلاة عنده، أو قصده لأجل الدعاء عنده، معتقدًا أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء في غيره، أو النذر له ونحو ذلك[(٣)]. قال الشيخ: وليس هذا من دين المسلمين، بل هو مما أُحدث من البدع القبيحة التي هي من شعب الشرك[(٤)]. هل هذا شرك أصغر أم أكبر؟ مع قوله هناك في باب النذر: قال الشيخ: النذر للقبور وأهل القبور، كالنذر لإبراهيم ﷺ أو الشيخ فلان، نذر معصية لا يجوز الوفاء به[(٥)]. مع قوله في الجنائز قبله: قال في الشرح: يُكره البناء على القبور. إلى أن قال ابن القيم: يجب هدم القباب[(٦)]. إلى أن قال:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).
(٢) الفروع (٢/ ١٢٧).
(٣) الإقناع (١/ ٢٣٧).
(٤) الإقناع (١/ ٢٣٧).
(٥) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٤٦).
(٦) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٠).

ويُكره المبيت عنده وتجصيصه وتزويقه... إلى آخره[١] إلى أن قال: فالظاهر من هذا الكراهة أو التحريم. فهل يترتب على هذا غير الكراهة أو التحريم؟ أفدنا جزاك الله خيرًا.

**فأجاب رحمه الله تعالى بعد السلام**: فسرني ما ذكرت، ألهمك الله التوفيق، ولا تعتذر من السؤال، فإن هذا هو الواجب عليك وعلى غيرك، كما قالوا: مفتاح العلم السؤال. ولكن اعلم أن المسائل والعلوم المهجورة لا يفهمها الإنسان إلا بعد المراجعة والمذاكرة، ولو كانت واضحة، وهذه المسائل من العلوم المهجورة، كما ذكرت، فعل الطلبة في باب حكم المرتد مع أن معرفة الله ومعرفة حقه أجلّ العلوم وأشرفها، لا تستحِ من المراجعة وكثرة السؤال، ما بقي عليك شيء من الإشكال، وقولك إن أهل العلم لم يشرحوها فكثير من الكتب لم يوجد عندكم، وإلا جميع ما ذكرت قد شرحوه.

**فالمسألة الأولى**: قد استدل العلماء عليها بقوله تعالى في حق بعض المسلمين المهاجرين في غزوة تبوك: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية، وذكر السلف والخلف أن معناها عام إلى يوم القيامة، فيمن استهزأ بالله أو القرآن أو الرسول، وصفة كلامهم أنهم قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء[٢]. يعنُون بذلك رسولَ الله والعلماءَ في الصحابة، فلما نقل الكلامَ عوفُ بن مالك، أتى القائلُ يعتذر أنه قاله على وجه اللعب، كما يفعل المسافرون، فنزل الوحي أن هذا كفر بعد الإيمان، ولو كان على وجه المزح، والذي يعتذر يظن أن الكفر إذا قاله جادًّا أو لاعبًا.

---

(١) كشاف القناع (٢/ ١٤٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ١٧٢) وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٩).

إذا فهمتَ أن هذا هو الاستهزاء، فكثير من الناس يتكلم في الله ﷻ، بالكلام الفاحش عند وقوع المصائب، على وجه الجد، وأنه لا يستحق هذا، وأنه ليس بأكبر الناس ذنبًا، وكذلك مَن يدعي العلم والفقه إذا استدللنا عليه بآيات الله أظهر الاستهزاء. وهذه المسألة لعلك لا تحررها تحريرًا تامًّا إلا من الرأس إذا أوقفناك على نصوص أهل العلم ذكروا أشياء لعل كثيرًا من الناس لا ينكرها لو سمعها.

**الثانية:** قوله: أو كان مبغضًا لما جاء به الرسول، ولم يشرك بالله، لكن أبغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه، فما هو حال مَن يدعي العلم، ويقرر أنه دين الله ورسوله، ويبغضونه أكثر من دين اليهود والنصارى، بل يعادون مَن التفت إليه، ويُحلون دمه وماله، ويرمونه عند الحكام؟ وكذلك الرسول أتى بالإنذار عن الشرك، بل هو أول ما أنذر عنه، وأعظم ما أنذر عنه، ويقرون أنه أتى بهذا، ويقولون خلق الله ما ينبهون وينصرون بالقلب واللسان واليد والتكفير بالاتفاق فيمن أبغض النهي عنه، وأبغض الأمر بمعاداة أهله، ولو لم يتكلم ولم ينصر، فكيف إذا فعل ما فعل؟

وكذلك مَن جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم، إجماعًا. وذكروا أن هذا بعينه هو الذي يفعله أهل زمانهم عند القبور، فكيف بزماننا؟ يبينه لك قول الشارح لما ذكر هذا، وذكر بعده أنواعًا من الكفر المخرج عن الله، قال: لقد عمّت البلوى بهذه الفِرَق، وأفسدوا كثيرًا من عقائد أهل التوحيد، نسأل الله العفو والعافية[1]. انتهى كلامه في شرح «الإقناع» فإذا كان هذا في زمنه، لم يذكره عن عشرة أو مائة، بل عمت البلوى في مصر والشام في

---

(١) كشاف القناع (٦/ ١٧١).

زمن الشارح، فأظنك تقطع أن أهل القصيم ليسوا بخير من أهل مصر والشام في زمن الشارح، فتفطن لهذه المعاني وتدبرها تدبرًا جيدًا.

واعلم أن هذه المسألة أمّ المسائل، أو لها ما بعدها، فمن عرفها معرفة تامة تبين له الأمر، خصوصًا إذا عرف ما فعل المويس وأمثاله مع قبة الكواز وأهلها، وما فعله هو وابن إسماعيل وابن ربيعة وعلماء نجد، في مكة سنة الحبس، مع أهل قبة أبي طالب، وإفتاءهم بقتل مَن أنكر ذلك، وأن قتلهم وأخذ أموالهم قربة إلى الله، وأن الحرم الذي يحرم اليهودي والنصراني لا يحرمهم، ثم تفكر في الأحياء الذين صالوا معهم، هل تابوا من فعلهم ذلك، وأسلموا، وعلموا أن عشر معشار ما فعلوا ردة عن الإسلام بإجماع المذاهب كلها، أم هم اليوم على ما كانوا عليه بالأمس؟ والمويس وابن إسماعيل وأحزابهما إلى اليوم علماء يعظَّمون ويُترحَّم عليهم، ومَن دعا الناس إلى التوحيد وترك الشرك هم الخوارج الذين خرجوا من الدين! فالله الله، استعن بالله في فهم هذه المسألة، واحرص على ذلك لعلك أن تخلص من هذه الشبَكة، فلو سافر المسلم إلى أقصى المشرق أو المغرب في تحرير هذه المسألة لم يكن كثيرًا والفكرة فيها في أمرين:

**أحدهما**: في صورة المسألة وما قاله الله ورسوله وقال العلماء.

**الفكرة الثانية**: إذا عرفت التوحيد الذي دعت إليه الرسل، أولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ وأقرَّ به مَن أقرَّ، كيف فعلوا وكيف أحيَوه؟ دخلوا فيه أم عادَوه وصدوا الناس عنه؟ وكذلك لما عرفت ما جاء به من إنكار الشرك والوسائط، وعرفوا قول العلماء إنه الذي عمّت به البلوى في زمانهم، هل فرحوا بالسلامة منه ونهوا الناس عنه، أم زيّنوه للناس وزعموا أن أهله السواد الأعظم، وثبتوه بما قدروا عليه من الأقوال والأعمال، وجاهدوا في تثبيته كجهاد الصحابة

في زواله؟ فالله الله، بادر ثم بادر ثم بادر، فقد قال النبي ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**» فأنت تعرف بدءه يوم قيل للنبي ﷺ: مَن معك على هذا؟ قال: «**حر وعبد**» ومعه يومئذ أبو بكر وبلال.

وقد قال الفضيل بن عياض وهو في زمانه، وهو قبل الإمام أحمد: لا تترك طريق الحق لقلة السالكين، ولا يغرك الباطل لكثرة الهالكين.

ومع هذا وأمثاله من البيان أضعاف أضعاف ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ وما أشكل عليك من هذا فراجع فيه، فإن كلام العلماء في أنه الشرك الأكبر، وأنه اشتهر عند كثير من زمانهم أكثر من أن يحصر.

**وأما الثالثة**: فالقول الصريح في الاستهزاء بالدين مثل ما قدمت لك، وأما الفعل فمثل مد الشفة، وإخراج أدر من العين، مما يفعله كثير من الناس عندما يؤمر بالصلاة والزكاة، فكيف بالتوحيد؟

**الرابعة**: إذا نطق بكلمة الكفر ولم يعلم معناها صريحًا واضحًا أنه يكون نطق بما لا يعرف معناه. وأما كونه أنه لا يعرف أنها لا تكفره فيكفي فيه قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ ثم يعتذرون للنبي ﷺ ظانين أنها لا تكفرهم، والعجب ممن يحملها على هذا وهو يسمع قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أيظن أن هؤلاء ليسوا كفارًا؟ ولكن لا تستنكر الجهل الواضح لهذه المسائل لأجل غربتها، ومن أحسن ما يكشف لك الإشكال ما قدمت لك بإجماع العلماء أن هذا كثر في زمانهم، وأيضًا علماء بلدانهم أكثر من علماء بلدانكم.

**الخامسة**: أن مَن أطلق الشارع كفر بالذنوب، فالراجح فيها قولان:

**أحدهما**: ما عليه الجمهور أنه لا يُخرج من الملة.

**والثاني**: الوقف، كما قال الإمام أحمد: أَمِرُّوها كما جاءت. يعني لا يقال يخرج ولا ما يخرج، وما سوى هذين القولين غير صحيح.

**السادسة**: قوله: الذبح للجن منهي عنه، فاعرف قاعدة أهملها أهل زمانك، وهي أن لفظ التحريم والكراهة، وقوله (لا ينبغي) ألفاظ عامة تُستعمل في المكفِّرات والمحرّمات التي هي دون الكفر، وفي كراهة التنزيه التي هي دون الحرام، مثل استعمالها في المكفِّرات قولهم: لا إله إلا الله، لا تنبغي العبادة إلا له. وقوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ولفظ التحريم مثل قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ وكلام العلماء لا ينحصر في قولهم (يحرم كذا) لما صرحوا في مواضع أخر أنه كفر، وقوله (يكره) كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى قوله: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾ وأما كلام الإمام أحمد في قوله (أكره كذا) فهو عند أصحابه على التحريم.

إذا فهمتَ هذا؛ فهم صرحوا أن الذبح للجن ردة تُخرج، وقالوا: الذبيحة حرام، ولو سمى عليها. قالوا: لأنها يجتمع فيها مانعان:

**الأول**: أنها مما أُهلّ به بغير الله، **والثاني**: أنها ذبيحة مرتد، والمرتد لا تحل ذبيحته، وإن ذبحها للأكل وسمى عليها، وما أشكل عليك في هذا فراجعني، وأذكر لك لفظهم بعينه.

**السابعة**: إذا ادعاه إمام أو نائبه، فالأئمة مُجْمِعُون في كل مذهب أن مَن تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت

الدنيا، لأن الناس في زمن طويل، قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا، ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يُعرف أن أحدًا من العلماء ذكر أن شيئًا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم.

وقولك: هل يجب عليك؟ فنعم يجب على مَن قدر عليه، وإن لم يفعل أثم، ولكن أعداء الله يجعلون هذه الشبهة حجة في رد ما لا يقدرون على جحده، كما أني لما أمرت برجم الزانية قالوا: لابد من إذن الإمام. فإن صح كلامهم لم يصح ولايتهم القضاء ولا الإمامة ولا غيرها.

**الثامنة**: مسائل: الحلال والحرام والبيوع والأنكحة وغيرها من أهم أمور الدين وأفضل الأعمال، ولكن تفصيل ما ذكرت من الراجح يحتاج إلى تطويل لا تحتمله الأوراق، ولعله بالمذاكرة إذا التقينا إن شاء الله.

**التاسعة**: لا يُقتل المرتد إلا بعد الاستتابة، فهذا صحيح، ولم أفعل ذلك مع أحد قاتلناه إلا بعد اللُّتيا والتي من الاستتابة.

**العاشرة**: قولهم في الاستسقاء: لا بأس بالتوسل بالصالحين. وقول أحمد بالتوسل بالنبي ﷺ خاصة، مع قولهم إنه لا يستغاث بمخلوق، فالفرق ظاهر جدًّا، وليس الكلام مما نحن فيه، فكون بعضٌ يرخص بالتوسل بالصالحين، وبعضهم يخصه بالنبي ﷺ وأكثر العلماء ينهي عن ذلك ويكرهه، فهذه المسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور أنه مكروه، فلا نُنكر على مَن فعله، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد، لكن إنكارنا على مَن دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى، ويقصد القبر، ويتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر، أو غيره، يطلب فيه تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإعطاء الرغبات، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصًا له الدين لا يدعو مع الله أحدًا، ولكن يقول في دعائه: أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين. أو

يقصد قبر معروف أو غيره، يدعو عنده، لكن لا يدعو إلا الله مخلصًا له الدين، فأين هذا مما نحن فيه؟

**الحادية عشرة**: في لمس القبر أو قصده للدعاء عنده، فليس هذا من دين المسلمين، فهذا هو الصواب بلا ريب، وكون الشارح ذكر كلام الحربي أن قبر معروف ترياق مجرب[١] فهذا لا يُنكر، لأن العلماء يذكرون في المسألة القولين أو أكثر، ويرجحون الراجح، أو يتوقف بعضهم، ولكن كلام الشيخ بضد كلام الحربي، مخالفٌ له منكرٌ له، ولكن ليكن منك على بال ما أخرج الصحيحان أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات . . .**»[٢] فتدبر هذا، وأَرْعِهِ سمعك، وأحضِرْ قلبك: إذا كان الرسول ﷺ ما أمره أن يدعوهم إلى الصلوات الخمس، إلا إن استجابوا للتوحيد، فكيف بمن لا يهمه في دينه إلا بعض مسائل الاجتهاد، مع ما يراه من سب الناس للتوحيد، واستحلالهم دم مَن دان به وماله، ودعوتهم إلى الشرك الأكبر، ودعواهم أن أهله السواد الأعظم، ثم مع هذا إذا أخذهم السيف كرهًا قالوا: ما خالفنا، والناس يكذبون علينا، وعرفنا الكذب، وإلا جميع ما جرى منهم لم يُقروا به ولم يتوبوا منه، والرسول ﷺ هذه وصيته لمعاذ، فاتق الله في تدبر هذا الحديث، وتدبر ما عليه أعداء الله من العداوة للتوحيد.

وأما المسائل التي ذكر في الجنائز؛ مِن لمس القبر والصلاة عنده وقصده لأجل الدعاء، أو كذا وكذا، فهذا أنواع:

---

(١) كشاف القناع (٢/ ٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

أما بناء القباب عليها؛ فيجب هدمها، ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر، وكذلك الصلاة عنده، وقصده لأجل الدعاء، فكذاك لا أعلمه يصل إلى ذلك، ولكن هذه الأمور من أسباب حدوث الشرك، فيشتد نكير العلماء لذلك، كما صح عنه ﷺ أنه قال: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[١] وذكر العلماء أنه يجب التغليظ في هذه الأمور لأنه يفتح باب الشرك، كما أنه أول ما حدث في الأرض بسبب وَدٍّ وسُوَاعٍ ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرٍ، لما عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم يتذكرون بها الآخرة، ثم بعد ذلك بقرون عُبِدُوا، فكذلك في هذه الأمة كما قال ﷺ: «**لتتبعن سَنَنَ مَن كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» فأول ما حدث الصلاة عند القبور والبناء عليها، من غير شرك، ثم بعد ذلك بقرون وقع الشرك، وأول ما جرى من هذا أن بني أمية لما بنوا مسجد الرسول ﷺ وسَّعُوه واشتروا بيوتًا حوله، ولم يمكنهم إدخال بيت النبي ﷺ الذي فيه قبره وقبر صاحبيه، ولكن أدخلوا البيت في المسجد لأجل توسيع المسجد، ولم يقصدوا تعظيم الحجرة لذلك، لكن قصدوا تعظيم المسجد، ومع هذا أنكره علماء المدينة، حتى قُتل خبيب بن عبد الله بن الزبير بسبب إنكاره ذلك، فانظر إلى سد العلماء الذرائع.

وأما النذر له ودعاؤه والخضوع له فهو من الشرك الأكبر، فتأمل ما ذكره البغوي في تفسير سورة نوح، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ﴾ الآية، وما ذكر أيضًا في سورة النجم في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ أن اللات قبر رجل صالح، فتأمل الأصنام التي بُعثت الرسل بتغييرها، كيف تجد فيها قبور

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥) ومسلم (٥٢٩).

الصالحين؟ والحمد لله رب العالمين، وهذا آخر ما وُجد في ذلك، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

**المسألة السابعة عشرة:**

سُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ، عن الجد هل يكون بمنزلة الأب في الميراث؟ وما حجة مَن قال بذلك؟ وعن قسم المال جزافًا، وما معنى الاحتساب في نفقة الأهل؟

وعن قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وقوله في كلام البقر والذئب: «**آمنت به أنا وأبو بكر وعمر...**» إلى آخره[1].

**فأجاب** رَحِمَهُ اللَّهُ: أما كون الجد أبًا فرُجح بأمور:

**أحدها**: العموم، واستدل ابن عباس على ذلك بقوله ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾.

**الثاني**: محض القياس، كما قال ابن عباس: **ألا يتقي الله زيدٌ؛ يجعل ابن الابن ابنًا، ولا يجعل أب الأب أبًا!**.

**الثالث**: أنه مذهب أبي بكر الصديق.

**الرابع**: أن الذين ورّثوا الإخوة معه اختلفوا في كيفية ذلك، كما قال البخاري لما ذكر قول الصديق: ويُذكر عن علي وابن مسعود وزيد أقاويل مختلفة.

**الخامس**: أن الذين ورّثوهم لم يجزموا، بل معهم شك، وأقروا أنهم لم يجدوه في النص، لا بعموم ولا غيره.

**السادس**: وهو أبينها كلها، أن هذا التوريث وكيفياته لو كان من الله لم يُتصور أن يهمله النبي ﷺ مع صعوبته والاختلاف فيه بالكلية. وأما حجة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٢٤).

المخالف منهم فمُقِرُّون أنه محض رأي لا حجة فيه إلا قياسًا، فيما زعموا.

وأما قسم المال جزافًا فأرجو أنه لا بأس به؛ كما في ثمرة النخل.

وأما المساقاة كما أردتم فلا أدري، وأنا أكرهه.

وأما معنى الاحتساب في نفقة الأهل فمُشْكِلٌ عليّ.

وأما قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ فمن أعظم الأدلة على تفاوت الإيمان ومراتبه، حتى الأنبياء، فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمنًا، فإذا كان محتاجًا إلى الأدلة التي توجب له الطمأنينة فكيف بغيره؟ ولذلك قال ﷺ في الصحيح: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**»(١).

وأما قوله في كلام البقرة والذئب: «**آمنت به أنا وأبو بكر وعمر**» ولَيْسَا في ذلك المكان، فكان هذا من الإيمان بالغيب المخالف للمشاهدة، وذلك أن الناس يشاهدون البهائم لا تتكلم، فلما أخبر ﷺ أن هذا جرى فيما مضى، تعجبوا من ذلك مع إيمانهم، فقال: «**آمنت به أنا وأبو بكر وعمر**» فلما ذكرهما لهذا المقام العظيم، الذي طلب إبراهيم في مثله العيان ليطمئن قلبه، مع كونهما ليسا في المجلس محل ذلك، دل على أن إيمانهما أعلى من إيمان غيرهما، خصوصًا لما قرنهما بإيمانه ﷺ ومع هذا فأمور الإيمان من الأمور الميتة، لكن لعلكم تفهمون منها شيئًا إذا قرأتم في كتاب الإيمان، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

**المسألة الثامنة عشرة:**

سُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ، عن قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ الآية.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣٧) ومسلم (١٥١).

**فأجاب** رَحِمَهُ اللهُ: اعلم، رحمك الله، أن الله سبحانه عالم بكل شيء، يعلم ما يقع على خلقه، وما يقعون فيه، وما يرد عليه من الواردات إلى يوم القيامة، وأنزل هذا الكتاب المبارك، الذي جعله تبيانًا لكل شيء، وجعله هدى لأهل القرن الثاني عشر ومن بعدهم، كما جعله هدى لأهل القرن الأول ومن بعدهم، ومن أعظم البيان الذي فيه بيانُ الحجج الصحيحة، والجوابُ عما يعارضها، وبيانُ بطلان الحجج الفاسدة ونفيها، فلا إله إلا الله، ماذا حُرِمَهُ المُعْرِضُون عن كتاب الله من الهدى والعلم؟ ولكن لا معطي لما منع الله.

هذه التي سألت عنها فيها بيان بطلان شبهٍ يحتج بها بعض أهل النفاق والريب، في زماننا هذا، في قضيتنا هذه، وبيان ذلك: أن هذه في آخر قضية آدم وإبليس، وفيها من العبر والفوائد العظيمة لذريتهما ما يجل عن الوصف؛ فمن ذلك أن الله أمر إبليس بالسجود لآدم، ولو فعل لكان فيه طاعة لربه، وشرفًا له، ولكن سولت له نفسه أن ذلك نقص في حقه، إذا خضع لواحد دونه في السن ودونه في الأصل، على زعمه، فلم يطع الأمر، واحتج على فضله بحجة، وهي أن الله خلقه من أصلٍ خيرٍ من أصل آدم، ولا ينبغي أن الشريف يخضع لمن دونه، بل العكس، فعارَضَ النصَّ الصريح بفعل الله، الذي هو الخلق، فكان في هذا عبرة عظيمة لمن رد شيئًا من أمر الله ورسوله، واحتج بما لا يجدي، فلما فعل لم يعذره الله بهذا التأويل، بل طرده، ورفع آدم وأسكنه الجنة، فكان مع عدو الله من الحفظ والفطنة ودقة المعرفة ما يجل عن الوصف، فتحيل على آدم حتى ترك شيئًا من أمر الله، وذلك بالأكل من الشجرة، واحتج لآدم بحجج، فلما أكل لم يعذره الله بتلك الحجج، بل أهبطه إلى الأرض وأجلاه من وطنه، ثم قال: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ يقول تعالى: لأُجْلِيَنَّكُم عن وطنكم. فإن بعد هذا الكلام وهو أني أرسل إليكم هدى

من عندي، لا أكلكم إلى رأيكم، ولا رأي علمائكم، بل أُنزل عليكم العلم الواضح الذي يبين الحق من الباطل، والصحيح من الفاسد، والنافع من الضار ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ ومعلوم أن الهدى هو هذا القرآن، فمن زعم أن القرآن لا يقدر على الهدى منه، إلا مَن بلغ رتبة الاجتهاد، فقد كذّب الله بخبره أنه هدى، فإنه على هذا القول الباطل لا يكون هدىً إلا في حق الواحد من الآلاف المؤلفة، وأما أكثر الناس فليس هذا في حقهم، بل الهدى في حقهم أن كل فرقة تتبع ما وجدت عليه الآباء! فما أبطل هذا من قول؟ وكيف يصح لمن يدعي الإسلام أن يظن بالله وكتابه هذا الظن؟

ولما عرف سبحانه أن هذه الأمة سيجري عليها ما جرى على من قبلها، من اختلافهم على أكثر من سبعين فرقة، وأن الفرق كلها تترك هدى الله إلا فرقة واحدة، وأن كل الفرق يقرون أن كتاب الله هو الحق، لكن يعتذرون بالعجز، وأنهم لو يتعلمون كتاب الله ويعملون به لم يفهموا الغموض، قال: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ وهذا تكذيب هؤلاء الذين ظنوا في القرآن ظن السوء.

قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة[١]. وبيان هذا أن هؤلاء الذين يزعمون أنهم لو تركوا طريقة الآباء واقتصروا على الوحي لم يهتدوا بسبب أنهم لا يفهمون، كما قالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ فرد الله عليهم بقوله: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ فضمن لمن اتبع القرآن أنه لا يضل كما ضل مَن اتبع الرأي، فتجدهم في المسألة الواحدة يحكون سبعة أقوال أو ستة، ليس منها قول صحيح، والذي ذكره الله في كتابه في تلك المسألة بعينها لا يعرفونه.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٨٩).

والحاصل؛ أنهم يقولون: لا نترك القرآن إلا خوفًا من الخطأ، ولم نُقبل على ما نحن فيه إلا للعصمة. فعكس الله كلامهم، وبيَّن أن العصمة في اتباع القرآن إلى يوم القيامة.

وأما قوله: ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ فهم يزعمون أن الله يرضى بفعلهم ويثيبهم عليه في الآخرة، ولو تركوه واتبعوا القرآن لغلطوا وعوقبوا، فقد ذكر الله أن مَن اتبع القرآن أمن من المحذور، الذي هو الخطأ عن الطريق، وهو الضلال، وأمن من عاقبته، وهو الشقاء في الآخرة، ثم ذكر الفريق الآخر الذي أعرض عن القرآن فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ وذكرُ الله هو القرآن الذي بيَّن الله لخلقه فيه ما يُحب ويكره، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ الآيتين، فذكر الله لمن أعرض عن القرآن وأراد الفقه من غيره عقوبتين:

**إحداهما**: المعيشة الضنك. ففسرها السلف بنوعين:

**أحدهما**: ضنك الدنيا، وهو أنه إن كان غنيًّا سُلِّط عليه خوف الفقر، وتعب القلب والبدن في جميع الدنيا، حتى يأتيه الموت ولم يتهنَ بعيش.

**الثاني**: الضنك في البرزخ، وهو عذاب البرزخ. وفُسر الضنك في الدنيا أيضًا بالجهل، فإن الشك والحيرة لهما من القلق وضيق الصدر ما لهما، فصار في هذا مصداق قوله في الحديث عن القرآن: «**من ابتغى الهدى من غيره أضله الله**»[(١)] فبان لك أن الله عاقبهم بضد قصدهم، فإنهم قصدوا معرفة الفقه، فجازاهم بأن أضلّهم وكدّر عليهم معيشتهم بعذاب قلوبهم، لخوف الفقر، وقلة غناء أنفسهم، وعذاب أبدانهم، بأن سلّط عليهم الظلمة والفقر، وأغرى بينهم

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٠٦) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ٢٠٨١).

العداوة والبغضاء، فإن أعظم الناس تعاديًا هؤلاء الذين ينتسبون إلى المعرفة.

ثم قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ والعمى نوعان: عمى القلب، وعمى البصيرة، فهذا المُعرض عن القرآن لما عميت بصيرته في الدنيا عن القرآن، جازاه الله أن حشره يوم القيامة أعمى.

قال بعض السلف: أعمى عن الحجة، لا يقدر على المجادلة بالباطل كما كان يصنع في الدنيا. ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ فذكر الله أنه يقال له: هذا بسبب إعراضك عن القرآن في الدنيا وطلبك العلم من غيره.

قال ابن كثير[١] في الآية ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾: أي خالف أمري وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه، وأخذ من غيره هداه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح ولا تنعُّم، وظاهره أن قومًا أعرضوا عن الحق، وكانوا في سعة من الدنيا، فكانت معيشتهم ضنكًا، وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مُخلفًا لهم معايشهم، من سوء ظنهم بالله. ثم ذكر كلامًا طويلًا، وذكر ما ذكرته من أنواع الضنك، والله ﷻ أعلم.

## المسألة التاسعة عشرة:

سُئِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن رجل خاشر خشراء[٢]، وطلبوا ضمان أخيه، وقال له أخوه: لا أضمن عليك إلا أن ترهنني رهانة، وأرهنه نصف نخلة في هذا الدَّين الذي ضمن، والنصف الآخر مرهون عند غيره، وعليه دين غير هذا كثير، وذُكر لنا عنك أن الرهن لا يصح، وأن ديّانيه مشتركون فيما عنده، وهذه كثيرة الوقوع،

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٢٢).

(٢) أي: شارك شركاء.

وغالب مَن يديّنونه الديانون فقير، فإن لم يصح له رهن ولا وفاء، إلا من الجميع، ولم يحجر عليه، فاذكر لنا صورة المسألة، وأنا طالعتها، ولا رأيت الاختلاف إلا في التبرعات المالية، كالعتق والصدقة، وذكروا أن مذهب الإمام أحمد وغيره نفوذ تصرفه ولو استغرق ماله، وخالف الشيخ ابن تيمية في ذلك وقال: لا ينفذ؛ لأن عليه واجبًا. وأما غير التبرعات فلا وجدنا شيئًا، فأنت اذكر لنا من مأخذ المسألة، والذي ظهر لنا في هذا أن هذه المسألة إن قيل بها ما احتيج لحجر الحاكم، أو من أن يستغرق الدَين ماله، لم ينفذ تصرفه، ويلزم على هذا لوازم كثيرة، فأنت اذكر لنا شيئًا نعتمد عليه، فإن الخطب كبير، أفتنا مأجورًا؟

**أجاب** رَحِمَهُ اللَّهُ:

صورة المسألة أن الراجح الذي عليه كثير من العلماء، أو أكثرهم، أن الرهن لا يلزم إلا بالقبض، وقبض كل شيء هو المتعارف، وقبض الدار والعقار هو تسلم المرتهن له، ورفع يد الراهن عنه، هذا هو القبض بالإجماع، ومَن زعم أن قوله مقبوض يصير مقبوضًا، خارج الإجماع، مع كونه زورًا مخالفًا للحس. إذا ثبت هذا فيجوز ما أفتينا بلزوم هذا الرهن، إلا لضرورة وحاجة، فإذا أراد صاحبها أن يأكل أموال الناس، ويخون في أمانته لمسألة مختلف فيها، فالرجوع إلى الفتوى بقول الجمهور في هذه المسألة، فإن رجعت إلى كتاب الله وسنة رسوله في إيجاب العدل وتحريم الخيانة، فهذا هو الأقرب قطعًا، وإن رجعت إلى غالب كلام العلماء فهم لا يلزمون ذلك، إلا برفع يد الراهن، وكونه في يد المرتهن.

وأما قولك: لم أجد الخلاف إلا في الصدقة والهبة. فهذا هو العجب،

أتُرَاهم يُبطلون العتق الذي هو من أحب الأشياء إلى الله، ويسري في ملك الغير، ويردون الصدقة بعدما يأخذها الفقير لأجل العدل ووفاء الدين، ويمنعونه في الرهن ولو كان صحيحًا؟

وأما قولك: إن صح هذا لم يحتج إلى الحجر. فيقال: إن الحجر يمنع تصرفه مطلقًا، ولو كان فيه إصلاح لنفسه أو للغرماء، وأما هذه المسألة فتصرفه صحيح كله، إلا ما عصى الله فيه ورسوله، وخان أمانته، وظلم الناس، فهذا هو المطابق للعقل والنقل، ولكن هذا أوحشته الغربة،كما استُوحش من إنكار الشرك، والله أعلم.

## المسألة العشرون:

سُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ، عن هذه المسألة، وهي قلب الدَّين في ذمة المدين بتمر أو غيره.

**فأجاب بقوله**: من محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن عبد الله بن إسماعيل، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد وصل كتابك تسأل عن المسألة التي يفعلها كثير، إذا ورد له على رجل دراهم، وأراد أن يقلبها بزاد، و أخرج من بيته دراهم، وصحح بها وأوفاه بها، وأنا قد ذكرت لك أنها من الحيل الباطلة التي يُنكرها الإمام أحمد وغيره من الأئمة، وأغلظوا القول في أهلها، وذلك أن عندهم لابد من كون رأس مال السَلم مقبوضًا في مجلس العقد، وعندهم أن كونه دينًا - أعني رأس مال السلم - رِبًا، وهذه بعينها مسألتكم، إلا أنه لما اعترف بكونه ربا، أحضر من بيته عدة الدَّين المقلوب وعقد بها، والعارف والشهود ومَن حضرهم يعلمون أن المكتوب هو الدين الحالّ، والتاجر يقول له: أوفني أو اكتبها. والمشتري يقول: ورد له دراهم وكتبتها منه. ويفهمون أن الدراهم الحاضرة غير مقصودة، ويسمون هذا

العقد التصحيح، وهذا لا يُنكره إلا مكابر معاند، وحينئذ فعباراتهم والحيل التي تحل حرامًا أو تُحرم حلالًا لا تجوز في شيء من الدين، وهي أن يُظهرا عقدًا صحيحًا، ومرادهما التوصل به إلى عقد غير صحيح، هذا معنى عبارة «الإقناع» وشرحه، فإن جادلكم أحد في أن هذه الصورة غير داخلة في ذلك؛ فقل له: مثل صورة الحيل المحرمة، فإنه لا يذكر شيئًا من الصور إلا ومسألتكم مثلها أو أشد بطلانًا.

وأعجب من هذا أن ابن القيِّم ذكر في «إعلام الموقعين» في صورة أحسن من هذه وأقرب إلى الحل ما صورته: لو أراد أن يجعل رأس مال السَلم دينًا، يوفيه إياه في وقت آخر، بأن يكون معه نصف دينار، ويريد أن يُسلم إليه دينارًا غير معين في كُر حنطة[1]، فالحيلة أن يُسلم إليه دينارًا غير معين، ثم يوفيه نصف الدينار، ثم يعود فيستقرضه منه، ثم يوفيه إياه، فيفترقان وقد بقي له في ذمته نصف دينار، وهذه الحيلة من أقبح الحيل، فإنهما لا يخرجان بها عن تأخير رأس مال السَلم، ولكن توصلا إلى ذلك بالقرض الذي جعلا صورته مبيحة لصريح الربا، ولتأخير رأس مال السَلم، وهذا غير القرض الذي جاءت به الشريعة، وإنما اتخذه المتعاقدان تلاعبًا بحدود الله[2]. انتهى كلامه.

فانظر، فهذا كان كلامه فيمن أراد أن يُسلم إلى رجل مائة محمدية من بيته، باطنًا وظاهرًا، ولكن لم يُحضر في المجلس إلا خمسين، وكتبها عليه، ثم استقرضها وكتبها أخرى، إلى أن يخرج بالخمسين في آخر النهار أو غد، فكيف بكلامه في التحيل على قلب الدَّين وجعله رأس مال السَلم؟ وإذا كان هذا كلامه

---

(١) الكُر - بضم الكاف -: كيل معروف بالعراق.

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ٣٠٨ - ٣٠٩).

في «إعلام الموقعين» وهو الذي ينسبون عنه إذا أراد أن يشتري دابة بخمسين، وجاء رجل وربّحه في الخمسين خمسًا، أو أكثر أو أقل، وقال: أنا موكلك، تشتريها ثم تبيعها على نفسك. وهذه الحيلة الملعونة التي هي أغلظ من الربا، واستباح بها إلى الآن أكثر المطاوعة الربا الصريح، وينسبونها إلى «إعلام الموقعين»، وحاشاه منها، بل هذا صفة كلامه في رأس مال السَلم الحاضر إذا تأخر قبض بعضه إلى آخر النهار، فضلًا عن هذه وأمثالها، ومع هذا فالله سبحانه لا مرد لحكمه، ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۖ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾، والسلام.

## المسألة الحادية والعشرون:

قال ﷺ: سألني رجل عن وقف نخل تعطل، وبيع نصفه لإصلاح النصف الآخر بمائة أحمر، واستأجروا بمائة الأحمر مَن يسقي النصف الآخر عشر سنين، فمات الذي استأجره لمّا مضى بعض من المدة، وهي سنتان، وأراد ورثته أن يتموا باقي مدته، وأراد المؤجر الفسخ.

فأجبت: أن الإجارة صحيحة ثابتة، لا تنفسخ بموت المستأجر، فإذا تمّم الورثة ما على ميتهم استحقوا ما استحقه، وليس للمؤجر الفسخ، ودليل هذا أن القول بانفساخ الإجارة، أو المساقاة، قول ضعيف رده أهل العلم بالنص الثابت، من ذلك أن النبي ﷺ لما ساقى أهل خيبر لم يجدد الخلفاء بعده عقدًا، فإذا ثبت هذا فقد أمر الله بالوفاء بالعقود بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ﴾ وهذا اللفظ عام من جوامع الكلم، فمن ادعى في صورة من العقود أنه لا يجوز، ولا يجوز الوفاء به لأجل موت أو غيره، فعليه الدليل ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾.

## المسألة الثانية والعشرون:

قال رحمه الله تعالى: الذي يعلم به ويقف على هذا من الإخوان المتبعين محمدًا ﷺ أن ابن صباح[1] سألني عما يُنسب إليّ فأجبته، فطلب مني أن أكتب له في ورقة، فكتبت له:

الحمد لله، أما بعد: فما ذكره المشركون عني أني أنهى عن الصلاة على النبي ﷺ أو أني أقول أني لي أمر هدمت قبة النبي ﷺ أو أني أتكلم في الصالحين أو أنهى عن محبتهم، فكل هذا كذب وبهتان، افتراه عليّ الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل، مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس، الذين يأمرون الناس أن ينذروا لهم وينتخوهم ويندبوهم، كذلك فقراء الشياطين الذين ينتسبون إلى الشيخ عبد القادر رحمه الله، وهو منهم بريء كبراءة علي بن أبي طالب من الرافضة، فلما رأوني آمر الناس بما أمرهم به نبيهم ﷺ ألا يعبدوا إلا الله، وأن مَن دعا عبد القادر فهو كافر، وعبد القادر منه بريء، وكذلك مَن انتخى الصالحين أو الأولياء، أو ندبهم، أو سجد لهم، أو نذر لهم، أو قصدهم بشيء من أنواع العبادة، التي هي حق الله على العبيد، وكل إنسان يعرف أمر الله ورسوله، لا يُنكر هذا الأمر، بل يقرُّ به ويعرفه.

وأما الذي ينكره، فهو بين أمرين؛ إن قال: إن دعوة الصالحين واستغاثتهم والتذلل لهم، وصيرورة الإنسان فقيرًا لهم، أمر حسن، ولو ذكر الله ورسوله أنه كفر. فهذا مُصرح بتكذيب الله ورسوله، ولا خفاء في كفره، فليس معنا له كلام.

---

(١) عبدالله بن صباح، حاكم الكويت في عصر الشيخ (ت ١٢٢٩هـ). انظر: «العلاقات بين الدولة السعودية والكويت»؛ للدكتور عبدالله العثيمين (ص ٨١ - ٨٧)، و«أمراء وعلماء من الكويت على عقيدة السلف»؛ للشيخ دغش العجمي (ص ٣٤ - ٣٥).

وأما كلامنا مع رجل يؤمن بالله واليوم الآخر، ويُحب ما أحب الله ورسوله، ويُبغض ما أبغض الله ورسوله، لكنه جاهل، قد لبست عليه الشياطين دينه، ويظن أن الاعتقاد في الصالحين حق، ولو يدري أنه كافر يدخل صاحبه في النار، فنحن نبيِّن لهذا ما يوضح الأمر فنقول:

الذي يجب على المسلم أن يتبع أمر الله ورسوله ويسأل عنه، فالله سبحانه أنزل القرآن وذكر لنا فيه ما يحبه وما يبغضه، وبيَّن لنا فيه ديننا وأكمله، وكذلك محمد ﷺ أفضل الأنبياء، فليس على وجه الأرض أحد أحب من الصحابة له، فهم يحبونه أكثر من أنفسهم وأولادهم، ويعرفون قدره، ويعرفون أيضًا الشرك والإيمان، فإن كان أحد من المسلمين في زمان النبي ﷺ دعاه، أو نذر له، أو ندب له، أو أحد من أصحابه جاء عند قبره بعد موته يسأله، أو يندبه، أو يدخل عليه ملتجئًا به عند القبر، فاعرف أنه أمر صحيح حسن، ولا تُطِعْني ولا غيري.

وإن كان إذا سألت وجدت أنه ﷺ تبرأ ممن اعتقد في الأنبياء والصالحين، وقتلهم، وسباهم وأولادهم، وأخذ أموالهم، وحكم بكفرهم، فاعرف أن النبي ﷺ لا يقول إلا الحق، ولا يأمر إلا بالحق، والواجب على كل مؤمن اتباعه فيما جاء به.

وبالجملة؛ فالذي أُنكره الاعتقاد في غير الله فيما لا يجوز صرفه لغيره، فإن كنتُ قلته من عندي فارم به، أو من كتاب الله لقيته ليس عليه عمل فارم به كذلك، أو نقلته عن أهل مذهبي فارم به أيضًا. وإن كنتُ قلته عن أمر الله ورسوله، وعما أجمع عليه العلماء في كل مذهب، فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُعرض عنه لأجل أهل زمانه، أو أهل بلده، أو أن أكثر الناس في زمانه أعرضوا عنه.

واعلم أن الأدلة على هذا من كلام الله وكلام رسوله كثيرة جدًّا، لكن أُمثل

لك بدليل واحد ينبهك على غيره، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ ذكر المفسرون في تفسيرها أن جماعة كانوا يعتقدون في عيسى عليه السلام، وعُزير، فقال الله تعالى هؤلاء عبيدي كما أنتم عبيدي، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي.

فيا عباد الله تفكروا في كلام ربكم تبارك وتعالى، إذا كان ذكر عن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أن دينهم الذين كفّرهم هو الاعتقاد في الصالحين، وإلا فالكفار يخافون الله ويرجونه ويحجون ويتصدقون، ولكنهم كفروا بالاعتقاد في الصالحين، وهم يقولون: إنما اعتقدنا فيهم ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ ويشفعون لنا، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فيا عباد الله إذا كان الله ذكر في كتابه أن دين الكفار هو الاعتقاد في الصالحين، وذكر أنهم اعتقدوا فيهم، ودعَوهم، وندبوهم لأجل أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، هل بعد هذا البيان بيان؟

فإذا كان مَن اعتقد في عيسى ابن مريم، مع أنه نبي من الأنبياء، وندبه وانتخاه، فقد كفر، فكيف بمن يعتقد في الشياطين، كالكلب أبو حديدة، وعثمان الذي في الوادي، والكلاب الأُخر في الخرج، وغيرهم في سائر البلدان، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله؟

وأنت يا مَن هداه الله، لا تظن أن هؤلاء يحبون الصالحين، بل هؤلاء أعداء الصالحين، وأنت والله الذي تحب الصالحين، لأن مَن أحب قومًا أطاعهم، فمن أحب الصالحين وأطاعهم لم يعتقد إلا في الله، وأما مَن عصاهم ودعاهم، يزعم أنه يحبهم، فهو مثل النصارى الذين يدعون عيسى ويزعمون محبته، وهو

بريء منهم، ومثل الرافضة الذين يدعون علي بن أبي طالب وهو بريء منهم.

ولنختم الكتاب بكلمة واحدة، وهي أني أقول: يا عباد الله، لا تطيعوني، ولكن تفكَّروا واسألوا أهل العلم من كل مذهب عما قال الله ورسوله، وأنا أنصحكم: لا تظنون أن الاعتقاد في الصالحين مثل الزنا والسرقة، بل هي عبادة الأصنام، مَن فعله كفر، وتبرأ من رسول الله ﷺ، يا عباد الله تفكروا وتذكروا، والسلام.

**الثالثة والعشرون:**

قال رحمه الله: الذي يعلم به الأخ مقرن بن عبد الله، بعد إبلاغ السلام، أن ابن صالح سألني عن التذكير، فقلت: إنه بدعة، فذكر أن عندنا مَن لا يعرف الجمعة إلا به، وذُكر له أن رسول الله ﷺ أعلم منا بصالح أمته، وهو سَنَّ الأذان، ونهى عن الزيادة، فإذا فتح الله لكم بابًا في اتباع نبيكم ﷺ فلا تتثقلوا من قطع العادات في طاعة الله ورسوله، والسلام.

**الرابعة والعشرون:**

قال رحمه الله: إلى الأخ سليمان، وبعد:

مسألة الخُمس، فاعلم أن الأمر أمران: أمر تأمر به، وأمر يفعله الغير وتحتاج إلى الإنكار فيه، والثاني نتوسع فيه، إلا أن نرى منكرًا صريحًا.

إذا ثبت هذا، فمسألة الخُمس لا أكره فعلهم، إذا أخذوه باسم الخُمس. وأما سهم النبي ﷺ وذوي القربى ففيه كلام طويل. وقد ذُكر أن أبا بكر وعمر لم يعطيا بني هاشم، فالذي أرى أن يجري في المصالح حتى يتبين فيه حكم. وأما مصرف المصالح عندكم فهذا الذي تذكر أنهم يفعلونه، ما علمت فيه خلافًا،

لكن لا يُقتصر عليه، بل من المصالح ما هو أهم منه. وأما عقوبة مَن تخلَّف وعصى الأمر يأخذ شيئًا من ماله، فقد ذكر ابن القيِّم أن بعض السلف أفتى به، وظاهر كلامه أنه مقرر له، والسلام.

**الخامسة والعشرون:**

قال ﷺ: يعلم مَن يقف عليه أني وقفت على أوراق بخط ولد ابن سحيم، يريد أن يصد بها الناس عن دين الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله، فأردت أن أنبه على ما فيها من الكفر الصريح وسب دين الإسلام، وما فيها أيضًا من الجهالة التي يعرفها العامة.

فأما تناقض كلامه فمن وجوه:

**الأول**: أنه صنّف الأوراق يسبنا، ويردُ علينا في تكفير كل مَن قال (لا إله إلا الله) وهذا عمدة ما يشبّه على الجهال، وعقد لها فصلًا في أوراقه يقول: أما مَن قال (لا إله إلا الله) لا يكفر، ومن أَمَّ القبلة لا يكفر. فإذا ذكرنا لهم الآيات التي فيها كفره وكفر أبيه وكفر الطواغيت يقول: نزلت في اليهود، نزلت في النصارى، نزلت في فلان! ثم رجع في أوراقه يُكذب نفسه ويوافقنا ويقول: مَن قال إن النبي ﷺ قال: أملس الكف كفر، ومَن قال كذا كفر، وتارة يقول ما يوجد الكفر فينا، وتارة يقرر الكفر أعجب ليأتيه.

**الثاني**: أنه ذكر في أوراقه أنه لا يجوز الخروج عن كلام العلماء، وهو صادق في ذلك، ثم ذكر فيها كفر القدرية، والعلماء لا يكفرونهم، فكفر أناسًا لم يكفروا، وأنكر علينا تكفير أهل الشرك!

**الثالث**: أنه ذكر معنى التوديك أنها تصرف جميع أنواع العبادات، من الأقوال والأفعال، لله وحده، ولا تجعل فيها شيئًا لملَك مقرّب ولا نبي مرسل،

وهذا حق، ثم يرجع يكذب نفسه ويقول إن دعاء شمسان وأمثاله في الشدائد، وينذر له ليبرؤوا المريض، ويفرّجوا عنه المكروه الذي لم يصل إليه عبدة الأوثان، بل يُخلصون لله في الشدائد، ويجعل هذا ليس من الشرك، ويستدل على كفره الباطل بالحديث الذي فيه: «**إن الشيطان يئس أن يعبد في جزيرة العرب...**»[1] إلى آخره.

**الرابع**: أنه قسَّم التوحيد إلى نوعين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ويقول إن الشيخ بيَّن ذلك، ثم يرجع يرد علينا في تكفير طالب الحضر وأمثاله، الذين يُشركون بالله في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ويزعمون أن حسينًا وإدريس ينفعون ويضرون، وهذه الربوبية، ويزعم أنهم يُنتخون ويُندبون، وهذا توحيد الألوهية.

**الخامس**: أنه ذكر في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أنها كافية في التوحيد، فوحّد نفسه في الأفعال، فلا خالق إلا الله، وفي الألوهية فلا يُعبد إلا الله، وبالأمر والنهي فلا حكم إلا لله، فيُقرر هذه الأنواع الثلاثة ثم يكفر بها كلها ويرد علينا، فإذا كفّرنا مَن قال: إن عبد القادر والأولياء ينفعون ويضرون، قال: كفرتَ الإسلام. وإذا كفرنا مَن يدعو شمسان وتاجًا وحطابًا قال: كفرتم الإسلام. والعجب أنه يقول: إن من التوحيد توحيد الله بالأمر والنهي، فلا حكم إلا لله. ثم يرد علينا إذا عملنا بحكم الله ويقول: مَن عمل بالقرآن كفر، والقرآن ما يُفسّر.

**السادس**: أنه ينهى عن تفسير القرآن ويقول: ما يُعرف. ثم ينحرف يفسر ويقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فيها كفاية، فلما فسرها كفر بها.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢).

**السابع**: أنه ذكر أن التوحيد له تعلق بالصفات، وتعلق بالذات، وقبل ذلك قد كتب إلينا أن التوحيد في ثلاث كلمات: إن الله ليس على كل شيء، وليس في شيء، ولا من شيء، فتارة يذكر أن التوحيد إثبات الصفات، وتارة يقول ذلك ويقول توحيد إنكار الصفات.

**الثامن**: أنه ذكر آيات وأحاديث في النهي عن الشرك وقال: المراد بهذه الآيات والأحاديث الشرك الخفي والشرك الجلي، كشرك عبّاد الشمس، لا على العموم كما يتوهمه الجهال، فصرح أن مراد الله ومراد النبي ﷺ لا يدخل فيه إلا عبادة الأوثان، وأن الشرك الأصغر لا يدخل فيه، وسمى الذين أدخلوه (الجهال) ثم في آخر الصحيفة يعينه، قوله: ويُطلق الشرك بعبارات أُخَر، وكل ذلك في قوله ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فرد علينا في الصحيفة، وكذب على الله ورسوله في أن معنى ذلك بعض الشرك، ثم رجع يقرر ما أنكره ويقول: إن الشرك الأكبر والأصغر داخل في قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

**التاسع**: أنه ذكر أن الشرك أربعة أنواع: شرك الربوبية، وشرك الألوهية، وشرك العبادة، وشرك الملك، وهذا كلام مَن لا يفهم ما يقول، فإن شرك العبادة هو شرك الألوهية، وشرك الربوبية هو شرك الملك.

**العاشر**: أنه قال في مسألة الذبح والنذر: ومَن قال إن الذبح والنذر عبادة؛ فهو منه دليل على الجهل؛ لأن العبادة ما أُمر به شرعًا، من غير اطراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي، والبهم لا يفهم معنى العبادة، فاستدل على النفي بدليل الإثبات.

**الحادي عشر**: أنه بعد أربعة أسطر أكذب نفسه في كلامه هذا، فقال: مَن ذبح لمخلوق، يقصد به التقرب، أو لرجاء نفع، أو لدفع ضرر، من دون الله، فهذا كفر. فتارة يرد علينا إذا قلنا إنه عبادة، وتارة يُكفر مَن فعله.

**الثاني عشر**: أنه قرر أن مَن ذبح لمخلوق لدفع ضر أنه كفر، ثم إنه يُقرر أن الذبح للجن ليس بكفر.

**الثالث عشر**: أنه رد علينا في الاستدلال بقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ ثم رجع يقرر ما قلنا بكلام البغوي: كان ناس يذبحون لغير الله، فنزلت فيهم الآية. فيا سبحان الله من عقول تفهم أن هذا الرجل من البقر الذي لا تميز بين التين والعنب.

## السادسة والعشرون:

سأله الشيخ أحمد بن مانع عن مسائل، فأجاب بقوله:

من محمد بن عبد الوهاب إلى أخيه أحمد بن مانع، حفظه الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فنحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بخير وعافية، أتمّها الله علينا وعليكم في الدنيا والآخرة، وكل مَن تسأل عنه فهو طيب، والأمور على ما تحب، والإسلام يزداد ظهورًا، والشرك يزداد وهنًا، نسأل الله تمام نعمته، وسر الخاطر ما ذكرت من جهة جماعتكم، عسى الله أن يهدينا وإياكم الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم؛ فإنه عليه سهل هين، مع كونه سفت عليه الرياح حتى وارته، وصاحب الورقة الذي اسمه عثمان بن عقيل إن كنت تظن أنه صادق ماهو بمنافق؛ فلا يخلى بلا كشف الشبهة التي أوردها.

وأما المسائل التي ذكرت، فاعلم **أولًا** أن الذي اتضح لم يضره كثرة المخالف ولا قلة الموافق، وقد عرفتَ بعض غربة التوحيد الذي هو دين الإسلام، من الصلاة والصوم، ولم يضره ذلك، فإذا فهمتَ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى

﴿ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وتحققتَ أن هذا حتم على المؤمنين كلهم، فاعلم أن مسألة الأوقاف فيها النزاع معروف في كتب المختصرات، ذكر في شرح «الإقناع»[(١)] حول الوقف أنهم اتفقوا على صحة وقف المساجد والقناطر، يعني نفعها لا الوقف عليهما، واتفقوا فيما سوى ذلك.

إذا تبين هذا؛ فأنت تعلم أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(٢)] وفي لفظ حديث صحيح «**مَن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(٣)] وتقطع أن الرسول ﷺ لم يأمر بهذا، ولو يكن الصحابة أسبق الناس إليه وأحرصهم عليه، وتقطع أيضًا أن الرسول ﷺ أتى إليه، وهو من أعظم الأشياء ذريعة إلى تغيير حدود الله، هذا على تقدير أن العالم المنسوب إليه هذا يصحح مثل أوقافنا، وأنى ذلك! وحاشا وكلا! بل هم يُبطلون الوقف الذي يُقصد به وجه الله على أمر مباح! ويقولون: لا بد منه على أمر قربة.

وأما كونه جعل ماله بعد الورثة على بر لم يرد إلا بعد انقراضهم، وعادتنا نفتي ببطلان مثل هذا، ولا نلتفت إلى هذا المصرف الثاني، وذكر بطلان مثل هذا في «الشرح الكبير» وغيره.

**وأما المسألة الثانية**: وهي وقف المرأة على ولدها، وليس لها زوج... الخ، فكذلك تعرف أن الوقف على الورثة ليس من دين الرسول ﷺ ولو شرعه لكان أصحابه أسرع الناس إليه، سواء شرط على قسم الله أم لا، وهذا في الحقيقة يريد أمرين: الأول: تحريم ما أحل الله لهم من بيعه وهبته والتصرف

---

(١) الإقناع (٢/ ٣٠٢).
(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).
(٣) أخرجه مسلم (١٧١٨).

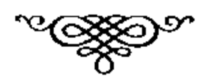
فيه، والثاني: يحرم زوجات الذكور وأزواج الإناث، فيشابه مشابهة جيدة ما ذكر الله عن المشركين في سورة الأنعام، ولكن كون الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يأمر به كافٍ في فساده، صلحت نية صاحبه أم فسدت.

**وأما المسألة الثالثة**: إذا لم يعرف؛ هل هذا وقف على مَن يرث أم لا؟ ولكن الإفاضة على أنه ممَن يرث، فأنا لا أدري عن هذه المسألة شيئًا، لكن أرى التوقف عنها، ولا يُنزع من يد مَن يأكله إلا ببينة.

**وأما المسألة الرابعة**: وهي الوقف على المحتاج من ذريته، فهو صحيح، ذكره البخاري عن ابن عمر؛ أنه وقف نصيبه من دار عمر على المحتاج من آل عبد الله(١).

**وأما المسألة الخامسة**: وهي مسألة الجمعة، فهي باطلة؛ لكونها وقفًا على الورثة، وأيضًا يحرم بعضهم، وأيضًا لم تُشرع.

وأما بيع الإنسان نصيبه من هذه الصُبرة على صاحب العقار أو غيره؛ فلا يجوز، بل الصُبرة باطلة من أصلها، فإن كان هذا الجواب أزال عنك الإشكال، وإلا فلو ذكرت لي طوّلت لك، وذكرت لك العبارات والأدلة، والسلام.



(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٤).

## الفصل الخامس
## في ذكر كلامه على آيات متفرقة من القرآن، وما فُتح عليه في ذلك من البيان[(١)]

كان، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجاد على ضريحه من البر مقذفة هامعة، قد أُعطي في القرآن فهمًا وقادًا حديدًا، ومقولًا باهرًا مصيبًا سديدًا، ومنطقًا موفقًا مجيدًا، فكان إذا تكلم على الآيات ونزلها على الواقع بهر السامع كلامه، وكتب على كثير من السور مسائل كثيرة، مثل تفسير سورة يوسف والحجر والزمر والنمل.

ونذكر في هذا الفصل كلامه على الآيات المتفرقة من كل سورة، على ترتيب المصحف الكريم، ونذكر كلامه على سورة الفاتحة بكمالها، لأجل ما فيه من الفوائد العظيمة. وكان سبب تأليفه لسورة الفاتحة أن الأمير عبد العزيز، حفظه الله تعالى، كتب له، وهو إذ ذاك في بلد العيينة، يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة، فكتبها له، وهو إذ ذاك صغير السن؛ قد ناهز الاحتلام، قال ﷺ:

اعلم أن مقصود الصلاة وروحها ولبها هو إقبال العبد على الله فيها، والسهو عن حضور القلب، ويدل على ذلك الحديث الذي في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق؛ يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعًا لا يذكر**

---

(١) يُنبه هنا إلى أن ابن غنام ﷺ ينتقي من تفسير الشيخ محمد ﷺ، ولم يورد جميع كلامه في التفسير. ويُنظر في: «مجموعة مؤلفات الشيخ».

**الله فيها إلا قليلًا»**[١] فوصفه بإضاعة الوقت بقوله «يرقب الشمس» وبإضاعة الأركان بذكره النقر، وبإضاعة حضور القلب بقوله: «**لا يذكر الله فيها إلا قليلًا**» إذا فهمت ذلك فافهم نوعًا واحدًا من الصلاة، وهو قراءة الفاتحة، لعل الله أن يجعل صلاتك في الصلاة المقبولة المضاعفة المكفرة للذنوب، ومن أحسن ما يفتح لك الباب في فهم الفاتحة: حديث أبي هريرة الذي في صحيح مسلم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: حمدني عبدي. فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله: أثنى عليَّ عبدي. فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال الله: مجدني عبدي. فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل» انتهى الحديث[٢] فإذا قال الإنسان هذا، وعلم أنها نصفان، نصف لله، وهو أولها إلى قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ونصف العبد دعاء يدعو به لنفسه، وتأمل أن الذي علّمه هذا هو الله تعالى، وأمره أن يدعو به ويكرره في كل ركعة، وأنه سبحانه من فضله وكرمه ضمن إجابة هذا الدعاء بإخلاص وحضور، قلب؛ تبيَّن له ماذا أضاع أكثر الناس:

**قد هيئوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل**

فأنا أذكر لك معاني هذه السورة العظيمة لعلك تصلي بحضور قلب، ويعلم قلبك ما نطق به لسانك، فإن ما نطق به اللسان ولم يعتقده القلب ليس بعمل

---

(١) أخرجه مسلم (٦٢٢).
(٢) أخرجه مسلم (٣٩٥).

صالح، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وأبدأ بمعنى البسملة، ثم الاستعاذة على طريق الاختصار والإيجاز.

فمعنى «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»: ألوذ وأعتصم بالله، وأستجير بجنابه من هذا العدوان الذي يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أُمرت به، أو يحثني على فعل ما نُهيت عنه. لأنه أحرص ما يكون على العبد إذا أراد عمل الخير، من صلاة أو قراءة أو غير ذلك، وذلك أنه لا حيلة لك في دفعه إلا بالاستعاذة بالله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فإذا طلبت من الله أن يعيذك منه، واعتصمت به، كان هذا سببًا لحضور القلب، فاعرف معنى هذه الكلمة، ولا تقلها باللسان كما عليه أكثر الناس.

وأما البسملة، فمعناها: أدخل في هذا الأمر من قراءة أو دعاء أو غير ذلك «بسم الله» لا بحولي ولا قوتي، بل أفعل هذا الأمر مستعينًا بالله، متبركًا باسمه تبارك وتعالى، هذا في كل أمر، تسمى في أوله، من أمر الدين أو أمر الدنيا. فإذا أحضرت في قلبك أن دخولك في القراءة مستعينًا بالله، متبرئًا من الحول والقوة، كان هذا أكبر الأسباب في حضور القلب وطرد الموانع من كل خير ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: اسمان مشتقان من الرحمة، أحدهما أبلغ من الآخر، مثل العلام والعليم، قال ابن عباس: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر. أي أكثر من الآخر رحمة.

وأما الفاتحة؛ فهي سبع آيات، ثلاث ونصف لله، وثلاث ونصف للعبد، فأولها ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فاعلم أن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، فأخرج بقوله (الثناء باللسان) الثناء بالفعل، الذي يسمى (لسان الحال) فذلك من نوع الشكر، وقوله (على الجميل الاختياري) الذي

يفعله الإنسان بإرادته، وأما الجميل الذي لا صنع لك فيه، مثل الجمال ونحوه، فالثناء به يُسمى مدحًا لا حمدًا.

والفرق بين الحمد والشكر، أن الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان إحسانًا إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر، لأنه لا يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله يُحْمَدُ على ما له من الأسماء الحسنى، وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وغير ذلك من الآيات.

وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ والحمد إنما يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه.

والألف واللام في قوله ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ للاستغراق، وجميع أنواع الحمد لله لا لغيره. فأما الذي لا صنع للمخلوق فيه، مثل خلق الإنسان، وخلق السمع والبصر، والسماء والأرض، والأرزاق وغير ذلك، فواضح. وأما ما يُحمد عليه المخلوق، مثل ما نثني به على الصِبا بخير، والأنبياء والمرسلين، وعلى مَن فعل معروفًا، خصوصًا إن أسداه إليك، فهذا كله أيضًا بمعنى خلق ذلك الفاعل، وأعطاه ما فعل به ذلك، وحببه إليه، وقوّاه عليه، أو غير ذلك من أفضال الله الذي لو يخيل منها لم يحمد ذلك المحمود، فصار الحمد كله لله بهذا الاعتبار.

وأما قوله ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فـ(الله) علم على ربنا تبارك وتعالى، ومعنى الإله أي المعبود، لقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: المعبود في السماوات، والمعبود في الأرض، ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى

ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ الآية. وأما (الرب) فمعناه المالك المتصرف. وأما (العالمين) فهم اسم لكل ما سوى الله تبارك وتعالى، فكل ما سواه؛ من ملك ونبي وإنس وجن وغير ذلك، مربوب مقهور، يتصرف فيه، فقير، محتاج إليه، كلهم صامدون إلى واحد لا شريك له في ذلك، وهو الغني الصمد.

وذكر بعد ذلك ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وفي قراءة ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وذكر في أول هذه السورة التي هي أول المصحف الألوهية والربوبية والملك، كما ذكره في آخر سورة في المصحف ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى، ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن، ثم ذكرها مجموعة في آخر ما يطرق سمعك من القرآن، فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع، ويبذل جهده في البحث عنه، ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في أول القرآن، ثم في آخر القرآن، إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتهما، ومعرفة الفرق بين هذه الصفات، فكل صفة لها معنى غير الصفة الأخرى.

فإذا عرفتَ أن معنى (الله) الإله، وعرفت أن الإله هو المعبود، ثم دعوت الله وذبحت له أو نذرت له، فقد عرفت أن هذا لله، وإن دعوت مخلوقًا، طيبًا أو خبيثًا، أو ذبحت له أو نذرت له، فقد زعمت أنه هو الله، فمن عرف أنه جعل شمسان أو تاجًا برهة من عمره هو الله، عرف ما عرفت بنو إسرائيل لما عبدوا العجل، فلما تبين لهم ارتاعوا وقالوا لما ذكر الله عنهم: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

وأما الرب فمعناه المالك المتصرف، فالله تعالى مالك كل شيء وهو المتصرف فيه، وهذا حق، ولكن أقرّ به عبّاد الأصنام الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كما ذكر الله فيهم في القرآن في غير موضع، كقوله: ﴿قُلۡ مَن

يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فمن دعا الله في تفريج كربته وقضاء حاجته، ثم دعا مخلوقًا في ذلك، خصوصًا إن قرن بدعائه المخلوق، فنسبه نفسه إلى عبوديته، مثل قوله في دعائه: فلان عبدك. أو قول: عبد عليّ، أو عبد النبي، أو عبد الزبير. قد أنزل بالربوبية في دعائه عليًا أو الزبير بدعاء الله تبارك وتعالى، وأقر له بالعبودية ليأتي له بهذا من شرائع تسميته نفسه عبد الله، قد أقر له بالربوبية، ولم تر بأنه رب العالمين، بل جحد بعض ربوبيته.

فرحم الله عبدًا نصح نفسه وتفطن لهذه المهمات، وسأل عن كلام أهل العلم، وهم أهل الصراط المستقيم، هل فسروا هذه السورة بهذا أم لا؟

وأما الملك فيأتي الكلام عليه، وذلك أن قوله مالك وفي القراءة الأخرى ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ فمعناه عند جميع المفسرين كلهم ما فسره الله به بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ فمن عرف تفسير هذه الآية، وعرف تخصيص الملك بذلك، مع أنه ﷻ مالك كل شيء، ذلك اليوم وغيره، عرف تخصيصه بهذه المسألة الكبيرة العظيمة، التي بسبب معرفتها دخل الجنة مَن دخلها، وبسبب الجهل بها دخل النار مَن دخلها، فيا لها من مسألة لو رحل الرجل فيها أكثر من عشرين سنة لم يوفها حقها، فأين هذا المعنى والإيمان بما جاء به القرآن مع قوله ﷺ: «**يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئًا**»[1] من قول صاحب البردة:

**ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تحلى باسم منتقم**

(١) أخرجه البخاري (٣٥٢٧) ومسلم (٢٠٥).

فإن لي ذمة منه بتسميتي محمدًا وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن في معادي آخذًا بيدي فضلًا وإلا فقل يا زلة القدم

فليتأمل الناصح لنفسه هذه الأبيات ومعناها، ومَن فُتِنَ بها من العباد، وممن يدَّعي أنه من العلماء اختاروا تلاوتها على تلاوة القرآن، هل يجتمع في قلب عبد التصديق بهذه الأبيات والتصديق بقوله: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ وقوله: «**يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا**» لا والله، لا والله، كما لا يجتمع في قلبه أن موسى صادق، وأن فرعون صادق، وأن محمدًا صادق على الحق، وأن أبا جهل صادق على الحق، والله ما استويا، ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان.

فمن عرف هذه المسألة، وعرف البُردة ومَن فتن بها، عرف غربة الإسلام، عرف أن العداوة لنا واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا ليس عن التكفير والقتال، بل هم الذين بدأونا بالتكفير والقتال، بل عند قوله: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ وعند قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ وقوله: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ الآية.

فهذه بعض المعاني من قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ بإجماع المفسرين كلهم، وقد فسر الله سبحانه في سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ كما قدمتُ لك، فاعلم أرشدك الله أن الحق لا يتبين إلا بالباطل كما قيل: وبضدها تتميز الأشياء

فتأمل ما ذكرتُ لك ساعة بعد ساعة، ويومًا بعد يوم، وشهرًا بعد شهر، وسنة بعد سنة، لعلك أن تعرف ملة إبراهيم ودين نبيك محمد، فتحشر معهما، ولا تُصَدّ عن الحوض يوم الدين كما يُصَدّ عنه مَن صَدَّ عن طريقهما، ولعلك أن تمر على الصراط المستقيم يوم القيامة ولا تزل عنه كما زلّ عنه مَن زلّ عن صراطهما المستقيم في الدنيا، فعليك بإدامة دعاء الله بدعاء الفاتحة مع حضور قلب وخوف وتضرع.

وأما قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالعبادة كمال الخضوع، وكمال المحبة والخوف والذل، وقدم المفعول وهو ﴿إِيَّاكَ﴾ وكرر للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك. وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، فالأول: التبري من الشرك، والثاني: التبري من الحول والقوة، فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إياك نوحد، ومعناه أنك تعاهد ربك ألا تشرك في عبادتك أحدًا، لا ملكًا ولا نبيًّا ولا غيرهما، كما قال تعالى للصحابة: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ فتأمل هذه الآية، واعرف ما ذكرتُ لك في الربوبية أنها التي نُسبت إلى تاج ومحمد بن شمسان، فإذا كان الصحابة لو فعلوها مع الرسل لكفروا بعد إسلامهم، فكيف بمن فعلها في تاج وأمثاله؟

وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هذا فيه أمران:

**أحدهما**: سؤال الله الإعانة، وهو التوكل والتبري من الحول والقوة، **وأيضًا**: طلب الإعانة من الله كما مرّ أنها من نصف العبد.

وأما قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فهذا هو الدُّعاء الصريح الذي هو حظ العبد من الله، وهو التضرع إليه، والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم، الذي لم يُعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه، كما منّ الله على رسوله ﷺ بعد الفتح بقوله: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ والهداية هنا الإرشاد والتوفيق، وليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة التي تتضمن العلم النافع والعمل الصالح على وجه الاستقامة بالكمال والثبات إلى أن يلقى الله.

والصراط: الطريق الواضح، المستقيم: الذي لا عِوج فيه. والمراد بذلك الدين الذي أُنزل على رسول الله ﷺ ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، فأنت دائمًا في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى

طريقهم. وعليك من الفرائض أن تصدق الله في أنه هو المستقيم، وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة فليس بمستقيم، بل معوجّ، وهذا أول واجبات هذه الآية، وهو اعتقادك ذلك بالقلب.

وليحذر المؤمن من خدع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملًا وتركه مفصلًا، فإن أكثر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله ﷺ على الحق، وأن مَن خالفه على الباطل، فإذا جاء بما لا تهوى أنفسهم يكونون كما قال الله تعالى: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾.

وأما قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى، وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون[١] ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم، وهو يُقِرُّ أن ربَّه فارِضُه عليهم، وأن يدعو بهذا الدعاء ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فيا سبحان الله، كيف يُعلمه الله ويختار له، ويفرض عليه أن يدعو به دائمًا، مع أنه لا حذر عليه منه، ولا يتصور أن فعله هذا من ظن السوء بالله! هذا آخر الفاتحة.

وأما قوله: ﴿آمين﴾ فليست من الفاتحة، ولكنها تأمين على الدعاء، ومعناها: اللهم استجب. فالواجب تعليم الجاهل لئلا يظن أنها من كلام الله، والله أعلم. تمت ولله الحمد.

**وقال أيضا رحمه الله، في مسائل ذكرها على سورة الفاتحة:**

**الأولى:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيها التوحيد.

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي (١٠٤٠) وصححه الشيخ الألباني (تخريج الطحاوية ٥٩٤).

**الثانية:** ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ فيها المتابعة.

**الثالثة:** أركان الدين الحب والرجاء والخوف، فالحب في الأولى، وهي ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ والرجاء في الثانية، وهي ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ والخوف في الثالثة، وهي ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

**الرابعة:** هلاك الأكثر في الجهل بالآية الأولى، أعني استغراق الحمد لله، واستغراق ربوبية العالمين.

**الخامسة:** أول المنعم عليهم، وأول المغضوب عليهم والضالين.

**السادسة:** في ذكر المنعم عليهم ظهور الكرم والحمد.

**السابعة:** ظهور القدرة والمجد في ذكر المغضوب عليهم والضالين.

**الثامنة:** دعاء الفاتحة مع قوله: «**لا يستجيب دعاء من قلب غافل**»[1].

**التاسعة:** قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ فيه حجية الإجماع.

**العاشرة:** ما في الجملة من هلاك الإنسان إذا وكل إلى نفسه.

**الحادية عشرة:** ما فيها من النص على التوكل إذا وكل الإنسان إلى نفسه.

**الثانية عشرة:** ما فيها من التنبيه على بطلان الشرك.

**الثالثة عشرة:** التنبيه على بطلان البدع.

**الرابعة عشرة:** آيات الفاتحة، كل آية لو يفهمها الإنسان كان فقيهًا، وكل آية أفرد معناها بالتصنيف.

**وقال الشيخ رحمه الله ورضي عنه:** قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) وحسنه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٤٥).

مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ فيه مسائل:

**الأولى**: كون أناس من أهل الكتاب إذا وقعت المسألة، وأرادوا إقامة الدليل عليها، تركوا كتاب الله كأنهم لا يعلمون، واحتجوا بما في الكتب الباطلة.

**الثانية**: أن من العجب احتجاجهم بذلك على رسول من الرسل.

**الثالثة**: أن الكلام يدل على أنهم يعلمون، لقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

**الرابعة**: أن المسائل الباطلة قد تُنسب إلى الأنبياء كذبًا عليهم.

**الخامسة**: أن الكتب قد تضاف إلى بعض الصديقين.

**السادسة**: أن ذلك مما تتلو الشياطين على زمان الأنبياء، كما وقع أشياء في زمن النبي ﷺ.

**السابعة**: أن الشياطين مزجت به الحق في زمن سليمان.

**الثامنة**: بيان ضلال مَن ضل ممن يدعي العلم في شأن سليمان، ممن نسب ذلك إليه واستحسنه، أو قدح في سليمان، كما ضل أناس كثير في عليٍّ لما قُتِلَ عثمان.

**التاسعة**: أن مَن فعل السحر كفر ولو عرف أنه باطل.

**العاشرة**: أن الشياطين يُعلمونه الناس.

**الحادية عشرة**: أن العبد لو بلغ ما بلغ في العلم والعمل فلا يأمن مكر الله.

**الثانية عشرة**: لا ينبغي له التعرض للفتن وثوقًا لنفسه، بل يسأل الله العافية.

**الثالثة عشرة**: سعة حلم الله ومغفرته ورحمته.

**الرابعة عشرة**: يجعل بعض نظره إلى القضاء والقدر.

**الخامسة عشرة:** أن النساء من أكبر الفتن.

**السادسة عشرة:** أن طاعة الهوى جماع الشر، كما أن مخالفته الخير.

**السابعة عشرة:** أن الشرك الأكبر مما يخطر بالبال.

**الثامنة عشرة:** أن التلفظ بالشرك بكلمة واحدة لا يُشترط في كفر مَن تكلم بها عقيدة القلب ولا عدم الكراهة للشرك.

**التاسعة عشرة:** أن المتكلم لا يُعذر، ولو أراد أن يقضي به غرضًا مهمًّا.

**العشرون:** أن قتل النفس أعظم من الزنا.

**الحادية والعشرون:** أن المعاصي بريد الكفر.

**الثانية والعشرون:** أن بعضها يجر إلى بعض.

**الثالثة والعشرون:** أن عقوبة المعصية قد تكون أكبر مما يظن العالم.

**الرابعة والعشرون:** أن قبول التوبة بلا عذاب لا يحصل لكل أحد بل هو فضل من الله.

**الخامسة والعشرون:** أن من النعيم تعذيبَ العبدِ بذنبه في الدنيا.

**السادسة والعشرون:** حسن الظن بالله.

**السابعة والعشرون:** القاعدة التي هي خاصية العقل، وهو ارتكاب أدنى الشرين لدفع أعلاهما، وتفويت أدنى الخيرين لتحصيل أعلاهما.

**الثامنة والعشرون:** أن السحر نوعان.

**التاسعة والعشرون:** أن له تأثيرًا، لقوله: ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾.

**الثلاثون:** الإرشاد إلى التوكل بكونه لا يضر أحدًا إلا بإذن الله.

**الحادية والثلاثون:** أن في مَن يدعي العلم مَن اختار كتب السحر على كتاب الله.

**الثانية والثلاثون:** أنهم يعارضون به كتاب الله.

**الثالثة والثلاثون:** أن اتباع كتابٍ غير كتاب الله ضلال.

**الرابعة والثلاثون:** لا تأمن الكتب، ولا مَن ينتسب إلى العلم على دينك.

**الخامسة والثلاثون:** أن فساد العلماء يُفسد الرعية.

**السادسة والثلاثون:** أن السحر وقع في زمن خلافة النبوة، حتى إن عمر وغيره أمر بقتل الساحر ولم يستتبه كما استتاب المرتد.

**السابعة والثلاثون:** أن الحسد سبب لرد كتاب الله.

**الثامنة والثلاثون:** أن الحاسد قد يُبغض الناصح ويسعى في قتله.

**التاسعة والثلاثون:** أن الحسد يحمله على رد حظه من الله في الدنيا والآخرة.

**الأربعون:** أنه من أخلاق اليهود.

**الحادية والأربعون:** أن المحسود يرفعه الله على الحاسد.

**الثانية والأربعون:** أن بالطاعة خير الدنيا والآخرة، وبالمعصية العكس.

**الثالثة والأربعون:** أن في مَن ينتسب إلى العلم مَن يختار الكفر على الإيمان، مع علمه أن مَن اختاره لا حظ له في الآخرة.

**الرابعة والأربعون:** أن الإنسان يجتمع فيه الضدان: يعلم ولا يعلم.

**الخامسة والأربعون:** بيان غبنهم والتسجيل على فرط جهلهم في هذا الشرط.

**السادسة والأربعون:** أن السبب في هذا الشرط اشتراء شيء خسيس تافه من الدنيا.

**السابعة والأربعون:** أنهم لمحبتهم ما هم عليه من الجاهلية وغرامهم نبذوا كتاب الله الذي عندهم وراء ظهورهم كأنهم لا يعرفونه.

**الثامنة والأربعون**: أن الذي حملهم على هذه العظائم أنهم أتاهم أمر من الله موافق لدينهم، لكن مخالف لعاداتهم الجاهلية.

**التاسعة والأربعون**: الفرق بين المعجزات والكرامات وبين ما يفعله الشياطين تشبهًا بذلك وتشبيهًا.

**الخمسون**: التنبيه على قول الصحابي: «**أوَ يأتي الخير بالشر؟**» وجوابه ﷺ(١).

**الحادية والخمسون**: أنه لا ينبغي للإنسان أن يُنكر ما لم يُحط به علمًا، فقد ضل بالتكذيب بهذه القصة فئام من الناس؛ لظنهم أنها تخالف ما علموه من الحق، وتكلم بسببها ناس في نبي الله سليمان بن داود، عليه السلام.

وقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فيه مسائل:

الأولى: كون أناس ممن ينتسبون إلى العلم والدين يجري منهم هذا عمدًا جرأة على الله، وما أكثر مَن ينكر هذا.

**الثانية**: التنبيه على كثرة هذا الصنف.

**الثالثة**: كون المنتسب إلى العلم يتمنى إضلال غيره إذا عجز عنه.

**الرابعة**: أن سبب هذا الأمر الغريب هو الحسد، لا خوف مضرة ولا طلب مصلحة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٥) ومسلم (١٠٥٢).

**الخامسة**: أن المنتسب إلى العقل والعلم قد يسعى فيما يعلم أنه مصلحة لدنياه ليزيله، وفيما يعلم أنه مضرة لدنياه ليأتي به، فإنهم يعلمون أن زوال المفاسد وحصول المصالح في هذا الدين، وكانوا يستفتحون على مَن ظلمهم، فلما جاء حملهم الحسد على ما ذكر.

**السادسة**: أن الحسد سبب للكفر، كما وقع لهؤلاء ولإبليس.

**السابعة**: ذكر العفو الذي هو من أسباب العز وقهر الخصم، كما ورد في الحديث.

**الثامنة**: الرفق في الأمر وفعله بالتدريج، كما فعل عمر بن عبد العزيز.

**التاسعة**: أنه سبحانه يُمهل ولا يُهمل.

**العاشرة**: الإشعار بالنسخ قبل وقوعه.

**الحادية عشرة**: تسلية المظلوم المحسود.

**الثانية عشرة**: التنبيه على العلة.

**الثالثة عشرة**: أن الظالم الحاسد يذله الله، كما جرى لهؤلاء يوم القيامة، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

**الرابعة عشرة**: وهي الاستدلال بالصفات على الأفعال.

**الخامسة عشرة**: وهي الاستدلال بالقدرة على ما لا يُظَنُّ وقوعه.

**السادسة عشرة**: وهي الاستدلال بها على جعل العفو سببًا لعز العافي وذلة المعفوِّ عنه، عكس ما يظن الأكثر، وأما الاستدلال بها على ما كذَّب به الجهال استبعادًا، مثل عذاب القبر وغيره، أو مثل الصراط والميزان وغيرهما، أو ما يجري في الدنيا من تبديل الأحوال من الغنى إلى الفقر وضده، ومن الذل إلى

العز وضده - فأكثر من أن يُحصر، ولكن مِن أحسن ما فيها.

**المسألة السابعة عشرة:** وهي تنبيه أعلم الناس على أشكل المسائل بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ والله ﷻ أعلم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

**ذكر ما في بعض قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ من بيان الحق وإبطال الباطل: الأول: إذا كانت المُحَاجَّة في الله سبحانه مِن أقرب ما يكون إليه من المختلفين في مسألة التوحيد، وبيان ذلك بمعرفة الله تعالى فيما اجتمعنا وإياكم عليه، ومعرفة حالنا وحالكم في مسألة، وذلك أنا مُجْمِعُون على استوائنا وإياكم في العبودية، بخلاف ملوك الدنيا، فإن بعض الناس يكون أقرب إليهم من بعض بالقرابة وغيرها، ومُجْمِعُون أيضًا أنه لا يظلم أحدًا من عبيده، بل كل نفس ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ بخلاف ملوك الدنيا؛ فإنهم يأخذون مال هذا ويعطونه هذا، فإذا كان الأمر كذلك فكيف تَدَّعُون أنكم أولى بالله مِنَّا ونحن له مخلصون وأنتم به مشركون؟ وكيف يُظَنُّ به أنه يساوي بين مَن قَصَدَه وحده لا شريك له، ومَن قَصَد غيره وأعرض عنه؟ وهل يظن عاقل أو سفيه برجل من بني آدم، خصوصًا إذا كان كريمًا، أن مَن قصده وضاف عنده يُكْرَهُهُ ولا يَضْيفُهُ، ويخص بالرضا والكرامة والضيافة مَن أعرض عنه وضاف عند غيره، مع استواء الجميع في القرب منه والبعد؟ هذا لا يُظَنُّ في الآدمي فكيف يظن برب العالمين؟ فتبيّن بقضية العقل أن ما جاءت به الرسل من الإخلاص هو الموافق للعقل، وما فعل المشركون هو العجاب المخالف للعقل، فيا لها من حجة! ما أعظمها وأبينها، لكن لمن فهمها كما ينبغي.

**قال الشيخ** رَحِمَهُ اللهُ: ذكر بعض ما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ

فَأَتَمَّهُنَّ﴾ إلى الجزء[١]، ففي الآية الأولى مسائل:

**الأولى: أنه تعالى حكيم، لا يضع الأشياء إلا في مواضعها، لأنه ما جعله إمامًا إلا بعدما أتم ما ابتلاه به، وسئل بعضهم: أيما: الابتلاء أوالتمكين؟ فقال: الابتلاء ثم التمكين.**

**الثانية:** إذا كان يبتلي الأنبياء، هل يفعلونه أم لا؟ فكيف بغيرهم؟

**الثالثة:** الثناء على إبراهيم بأنه أتم الكلمات التي ابتلاه بها، وقيل إن الله لم يَبْتَلِ أحدًا بهذا الدين فأتمه إلا إبراهيم، ولهذا قال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾.

**الرابعة:** أنه سبحانه جازاه على ذلك بأمور: منها أنه جعله للناس إمامًا، ولما عَلِمَ ﷺ كِبَرَ هذه العطية سألها للذرية، وهي **الخامسة**.

**والسادسة:** أن الله أجابه أن هذه المرتبة لا ينالها ظالم، ولو من ذرية الأنبياء.

**السابعة:** أن هذا يدل على أن الإمامة في الدين تحصل لغير الظالم، فليست بمختصة.

**الثامنة:** معرفة قدر هذه المرتبة التي أكرم بها، وهي الإمامة في الدين.

**وأما الآية الثانية[٢] ففيها مسائل:**

كونه سبحانه جعل البيت الذي بناه إبراهيم مثابة مع المشاق العظيمة، وذلك من الآيات.

---

(١) قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

**الثانية**: أنه جعله آمنًا عند الكفار، وذلك من أعجب الآيات.

**الثالثة**: أمره أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى، وهذا من الخصائص، فيتفطن المؤمن لشبهة المبتدعة؛ لأنه لا يجوز أن يُتخذ من مقام غيره مصلى.

**الرابعة**: أن فيها الرد على أهل الكتاب الذين لا يعظمونه، مع ما فيه من الآيات، ومع ما عندهم من العلم بذلك.

**وأما الآية الثالثة**(١) **ففيها مسائل:**

**الأولى**: ذكره أنه عهد إلى إبراهيم وإسماعيل أن يطهراه لهذه الطائفة، ولذلك أنزل الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾.

**الثانية**: أن فيها الرد على أهل الكتاب والمشركين.

**الثالثة**: العجب العجاب معاكستهم هذا الأمر، فلا يردون عنه إلا الطائفة المأمور بتطهيرهم له.

**الرابعة**: أنه نعتهم بالطُّوَّاف والرُّكَّع السُّجُود والعُكُوف، فدل على أن نفس العكوف فيه عبادة.

**الخامسة**: أن التقدم عند الله بالأعمال الصالحة لا بالنسب، فأمر بتطهيرهم له وإن لم يكونوا من ذريته، وأمر بطرد ذريته عنه إذا لم يكونوا كذلك.

**وأما الآية الرابعة**(٢) **ففيها مسائل:**

**الأولى**: دعوة إبراهيم للبلد وأهله، ولا يناقض تحريمه يوم خلق الله السماوات والأرض.

---

(١) الهامش السابق.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

**الثانية**: دعوة إبراهيم للبلد وأهله بالأمن والرزق.

**الثالثة**: الآية العظيمة في إجابة هذه الدعوة.

**الرابعة**: تخصيصه بها من آمن بالله واليوم الآخر.

**الخامسة**: قوله ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ فلما دعا بأمر الدين منع الله الظالم من ذريته، ولما خص بالأمر الآخر ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ قال الله ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ وذلك للفرق بين الدارين.

**السادسة**: أنه لما أخبر أن ذلك للمؤمن وغيره، فقد يتوهم منه كرامة الجميع، فأخبر أنه لو عم العاصي فيه بالأمن والرزق فإنه يضطره إلى عذاب النار.

**السابعة**: أن المجاورة عنده كما أنها تنفع المطيع فهي تضر العاصي، لقوله: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ ولذلك انتقل ابن عباس منها إلى الطائف.

**وأما الآية الخامسة**[1] **ففيها مسائل**:

**الأولى**: التصريح بأن الاثنين بَنَيَاهُ.

**الثانية**: جلال الله وعظمته في قلوب الذين يعرفونه لدعوتهما بالقبول، وكان بعض السلف إذا قرأها يبكي ويقول: خليل الله يرفع قواعد بيت الله، ويخاف ألا يقبله!

**الثالثة**: توسلهما بالصفات.

**الرابعة**: طلبهما أن يرزقهما الله الإسلام، وهُمَا هُمَا! والغفلة عن هذه الكلمة من العجائب.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

**الخامسة**: إشراكهما في الدعوة بعض الذرية، ففيها رغوب المؤمن وحرصه على صلاح ذريته.

**السادسة**: طلبهما أن يعلمهما المناسك، ففيها حرصهما على العمل بالنص مع عصمتهما.

**السابعة**: طلبهما أن يتوب عليهما، وهُمَا هُمَا! ففيها خوفهما من الذنوب.

**الثامنة**: التوسل بالصفات.

**التاسعة**: التعليل بكونه التواب الرحيم، ولولا ذلك لاستحقا العقوبة.

**العاشرة**: الرد على المشركين وأهل الكتاب.

**الحادية عشرة**: أن دعوتهما بهذه النعمة، التي هي أعظم النعم، للذرية، جعلها الذرية من أعظم المصائب.

**وأما الآية السادسة[١] ففيها مسائل:**

**الأولى**: دعوتهما للذرية ببعثة الرسول، فكانت عندهم أعظم البلاء، مع دعواهم أنهم على ملتها.

**الثانية**: أنهما أرادا بذلك أن يعلمهم الكتاب والحكمة، ويتلو عليهم الآيات ويزكيهم، قيل إن استماع التلاوة والتزكي بها فرض عين، وأما علم الكتاب والحكمة ففرض كفاية.

**الثالثة**: أن نسبة الزكاة إلى السبب لا بأس به، مع أن المزكي في الحقيقة هو الله وحده.

---

(١) قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

الرابعة: التوسل بالصفات.

**وأما الآية السابعة[١] فهي من جوامع الكلم وأظهر البراهين، فنذكر شيئًا من ذلك:**

**الأولى:** أنه بيَّن أن ملة إبراهيم هي الإسلام، ومنه تعظيمه وحجه، ومع إقرار علماء أهل الكتاب بذلك يرغبون عنه، وهذه مسألة مهمة، يدل عليها قوله: «**ومن رغب عن سنتي فليس مني**»[٢].

**الثانية:** أن أكثر الناس رغبوا عن اسم الإسلام، وعندهم لا فضيلة فيه، ولا بد عندهم من نسبة دين خاص.

**الثالثة:** أعجب من ذلك أنهم لا يعرفون معنى الإسلام، بل هذا عندهم صورة لا معنى لها.

**الرابعة:** أعجب من الجميع أنهم إذا بُيِّنَ لهم معناه اشتد إنكارهم لذلك، مع قراءة هذه الآية وأمثالها.

**الخامسة:** التي سيق الكلام لأجلها: أنك إذا عرفت مِلَّته فالواجب الاتباع لا مجرد الإقرار مع الرغوب عنها.

**السادسة:** أن مَن فعل ذلك لم يضر إلا نفسه.

**السابعة:** أن ذلك في غاية الجهل والسفه الواضح، مع ادعائهم الكمال في العلم.

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١).

**الثامنة**: كيف يطلب أفضل من طريقه، والله سبحانه هو الذي اصطفاه ووعده في الآخرة ما وعده بسبب طريقه.

**وأما الآية الثامنة**[١] **ففيها مسائل**:

**الأولى**: أن مسألة الإسلام الذي هو سبب الكلام والخصومة أن الله سبحانه هو الذي أمره بذلك.

**الثانية**: أنه استجاب لله فيما أمره فقال ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

**الثالثة**: وصفه ربه سبحانه بما يوضح المسألة، وهو الربوبية للعالم كله، فانظر رحمك الله إلى هذا التقرير والثناء والتوضيح للإسلام، مع حقارته وإنكاره عند مَن يقرأ هذه الآيات وما بعدها.

**وأما الآية التاسعة**[٢] **ففيها العجب العجاب**:

**الأولى**: أن الله سبحانه ذكر أن إبراهيم وصى بالإسلام ابنَيْهِ، وهُمَا هُمَا!

**الثانية**: أن يعقوب وصى بها بَنِيه، وهُمْ هُمْ!

**الثالثة**: تحريضه الذرية على ذلك بأن الله الذي اختاره لهم، فلا ترغبوا عن اختيار الله.

**الرابعة**: أنه مع هذا التقرير الواضح عند مَن يدَّعي كمال العلم، ويدَّعي اتباع الملة، أحقر الطرائق، ولا مدح فيه، ولا يصير من المسكوت عنه إلا مَن رغب عنه إلى اسم غيره، وإلا مَن اقتصر عليه اتخذوه هزوًا، فاعتقدوا غاية جهله، بل

---

(١) قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

أفتوا بكفره وقتله. وأما قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ فحرضوهم على لزوم ذلك إلى الممات، وعدم الزيادة عليه، لما في طبع الإنسان من طلب الزيادة، خصوصًا مع طول الأمل.

**وأما الآية العاشرة[(١)] ففيها مسائل:**

**الأولى:** وصية يعقوب عند الموت، ولم يكتف بما تقدم.

**الثانية:** لبنيه وهُمْ هُمْ!

**الثالثة:** لشدة التحريض وكبر الأمر عنده أخرجه مخرج السؤال.

**الرابعة:** أنه قال ﴿مِنۢ بَعۡدِى﴾ لأن الغالب أن الأتباع بعد موت كبيرهم ينقصون.

**الخامسة:** جوابهم له ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ﴾ الآية، لأن في هذا معنى الحجة وظهور الأمر أن مَن اتبع الصالحين يسلك طريقهم، وأما كونه يترك طريقهم بزعمه أنه اتباع لهم؛ فهذا خلاف العقل.

**السادسة:** قولهم ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ يعنون للخلائق كلهم، لكن مهتد وضال.

**السابعة:** إخباره لهم بلزومهم الإسلام بعد موته.

**الثامنة:** ذكرهم له أن ذلك الإسلام لله وحده لا شريك له، ليس لك ولا لآبائك منه شيء.

**التاسعة:** أن العم أبٌ؛ لأن إسماعيل عمه، لكن مع التغليب.

**العاشرة:** أن ذلك من أوضح الحجج على ذريتهم، مع إقرارهم بذلك، ومع

---

(١) قوله تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِى قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

هذا يزعمون أنهم على ملتهم مع تركها وشدة العداوة لمن اتبعها.

**الحادية عشرة**: أن فيها ردًّا عليهم في المسألة الخاصة، وهي اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا.

**وأما الآية الحادية عشرة[١] ففيها مسائل:**

**الأولى**: المسألة التي ضل بها كثير، وهي ظنهم أن صلاح آبائهم ينفعهم.

**الثانية**: البيان أن الذي ينفع الإنسان عمله.

**الثالثة**: أن الذي يضره عمله، ولا يضره معصية أبيه وابنه.

**وأما الآية الثانية عشرة[٢] ففيها مسائل وهي من جوامع الكلم أيضًا:**

**الأولى: أن مَن دعا إلى أي ملة كانت، وهي من الملل الممدوحة السالم أهلها، قيل له:** ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ لأنها إن كانت باطلة فواضح، وإن كانت صحيحة فملة إبراهيم أفضل، كما قال ﷺ: «**أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة**»[٣].

**الثانية**: وهي مما ينبغي التفطن لها: أنه سبحانه وصفها بأن إبراهيم حنيفًا بريئًا من المشركين، وذلك لأن كلًّا يدعيها، فمن صدق قوله بالفعل، وإلا فهو كاذب.

**الثالثة**: أن الحنيف معناه المائل من كل دين سوى الإسلام لله.

---

(١) قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٨٧) وحسنه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٦٠).

**الرابعة**: أن من الناس مَن يدعي أنه لا يُشرك، وأنه مخلص، ولكن لا يتبرأ من المشركين، وملة إبراهيم الجمع بين النوعين.

**وأما الآية الثالثة عشرة[١] ففيها مسائل:**

**الأولى**: أمر الله سبحانه أن نقول ما ذكر في الآية، وليس هذا من إظهار العمل الذي إخفاؤه أفضل.

**الثانية**: الإيمان بجميع المُنزل.

**الثالثة**: عدم التفريق بينهم.

**الرابعة**: التصريح بالإسلام.

**الخامسة**: التصريح بإخلاصنا ذلك لله، وليس هذا من باب الثناء على النفس، بل من بيان الدين الذي أنت عليه، ولهذا قال بعض السلف: ينبغي لكل أحد أن يُعَلِّمَ هذه الآيةَ أهلَ بيته وخَدَمَه.

**وأما الآية الرابعة عشرة[٢] ففيها مسائل:**

**الأولى**: قوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ وفيها التصريح أن الإيمان هو العمل.

**الثانية**: أن هذا الكلام في غاية إنصاف الخصم.

**الثالثة**: أن الذي لا ينقاد له ليس داؤه داءَ جَهالةٍ بل مُشاقَّة.

---

(١) قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

**الرابعة**: أنك إذا أنصفته وأصر فهو سبب الانتقام لله منه.

**الخامسة**: الاستدلال بالصفات.

**وأما الآية الخامسة عشرة**[(١)] **ففيها مسائل**:

**الأولى**: قوله ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي دين الإسلام. فدل على أن ذلك هو العمل.

**الثانية**: الدلالة الواضحة، وهي أنه لا أحسن من الدين الذي تولى الله بيانه والأمر به.

**الثالثة**: أنكم، أيها الخصوم، افتخرتم بإسلامكم للأنبياء والصالحين، فإسلامنا لله وحده، ومعنى ذلك لزوم هذا الدين الذي تولى الله بيانه.

**وأما الآية السادسة عشرة**[(٢)] **ففيها مسائل**:

**الأولى**: أمر الله لنا أن نُحَاجُّهُم بهذه الحجة القاطعة، فإذا كان الله رب الجميع، وأيضًا إنه بإقراركم عدل لا يظلم، بل كل عامل فعمله له، وافترقنا في كوننا قاصدينه مخلصين له وأنتم قصدتم غيره، فكيف يساوي بينكم وبيننا، أو يخص بكرامته مَن أعرض عنه دون مَن قصده؟ هذا لا يدخل عقل عاقل.

**الثانية**: أن الخصوم مُحَاجَّتُهُم في الله لا في غيره، مع فعلهم هذا في الخصومة.

**وأما الآية السابعة عشرة**[(٣)] **ففيها مسائل**:

**الأولى**: إن كانت الخصومة في الصالحين، ودعواهم أنهم على طريقهم،

---

(١) قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾.

(٣) قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

فهم لا يقدرون أن يدَّعوا أن رسول الله ﷺ وأصحابه على طريقتهم، فلا يقدرون أنهم على غيرها، ولكن يعتذرون أنهم لا يقدرون عليها، فكيف هذا التناقض؟ يَدَّعُون أنهم تابعوهم مع تحريمهم اتباعهم وزعمهم أن أحدًا لا يقدر عليه!

**الثانية**: قوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ فهذه لا يقدر أحد أن يعارضها، فإذا سلمها، وسلم لك أن العلم الذي أنزله الله ليس هو لعدم القدرة، فهذا الذي عليه غيره، وهذا إلزام لا محيد عنه.

**الثالثة**: أن منهم مَن يعرف الحق ويكتمه خوفًا من الناس، مع كونه لا يُنكره، فلا أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله، فكيف بمن جمع مع الكتمان دَفْعَهَا وسَبَّهَا وتكفيرَ مَن آمن بها؟

**الرابعة**: الوعيد بقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ والله أعلم.

**وقال** رضي الله عنه: قوله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآيتين[1]، إذا عَرَفْتَ أن سبب نزولها قول أهل الكتاب: نحن مسلمون نعبد الله، إلا إن كنت تريد أن نعبدك! عَرَفْتَ أنها من أوضح ما في القرآن من تقرير الإخلاص والبراءة من الشرك، ومن أعظم ما يبين لك طريق الأئمة المهديين من الأئمة المضلين، وذلك أن الله وصف أئمة الهدى بالنفي والإثبات، فنفى عنهم أن يأمروا أتباعهم بالشرك بهم، أو بالشرك بالملائكة والأنبياء، وهم أصلح المخلوقات، وأثبت

(١) قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

أنهم يأمرون أتباعهم أن يصيروا ربانيين، فإذا كان مَن أنزله الله بهذه المنزلة لا يتصور أن يأمر أتباعه بالشرك به، ولا بغيره من الأنبياء والملائكة، فغيرهم أظهر وأظهر، وإذا كان الأمر الذي يأمرهم به كونهم ربانيين، تبين طريقة الأنبياء وأتباعهم من طريقة أئمة الضلال وأتباعهم.

ومعرفة الإخلاص والشرك، ومعرفة أئمة الهدى وأئمة الضلال، أفضل ما حصَّل المؤمن، لكن فيه من البيان قول اليهود: إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عَبَدَت النصارى عيسى. وقول النصارى: تريد ذلك إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عَبَدَت اليهود عُزيرًا. إن عبادة غير الله من أنكر المنكرات ببديهة العقل، ولكن الهوى يُعمي ويُصِمُّ.

وفيه: معرفة الإنسان بعيب عدوه، ولا يعرف ما فيه من ذلك العيب بعينه، ولو كان فيه منه أضعاف مضاعفة.

وفيه: ما على مَن قرأ القرآن من الحق؛ مِن تَعَلُّمِ معانيه.

وفيه: أن عليه أن يعمل به.

وفيه: أن يكون ربانيًّا.

وفيه: أن سبب ذلك درس الكتاب وعلمه وتعليمه.

وفيه: أن المسلم إذا أشرك بالأنبياء والصالحين كفر بعد إسلامه.

وفيه: معرفة أعداء رسول الله ﷺ بما هو عليه من العدل والتواضع، كيف يتفوهون له بهذا الكلام وهم تحت يده محتاجون له؟

وفيه: أن مَن أشرك بشيء فقد اتخذه ربا.

وفيه: أن قوله في القرآن ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ليس كما يقول الجاهلون، لأن أهل الكتاب لا يتركون عبادة الله.

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ الآيتين(١).

فيه: ما هو من أبين الآيات للخاص والعام، وكونه ﷺ مذكورًا مُبَشَّرًا به في كتب الأنبياء.

وفيه: حجة على أن دعوته عامة في الظاهر والباطن.

وفيه: أن الإيمان به لا يكفي عن نصرته، بل لا بد من هذا وهذا.

وفيه: أخذه تعالى الميثاق على الأنبياء بذلك، دليل على شدته إلا على مَن يسره الله عليه.

وفيه: أن مَن آتاه الله الكتاب والحكمة أحق بالانقياد للحق إذا جاء به من بعده، بخلاف ما عُرِفَ مِن حال الأكثر مِن ظنهم أنه لو اتبعه غيرهم فهو نقص في حقهم.

وفيه: مزيد التأكيد بقوله: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾.

وفيه: إشهادهم مع شهادته سبحانه.

وفيه: أن مَن تولى بعد ذلك فجُرمه أكبر.

وفيه: أن الآخر مصدق لما معهم لا مخالف له، فإذا كان هذا في أهل الملل فكيف بأهل الملة الواحدة، إذا ضلوا ثم جاءهم من يرشدهم إلى دينهم الذي أنزل الله عليهم، وهو الذي ينتحلونه، فإن تولوا بعد معرفته فأولئك هم

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

الفاسقون، فإن جمعوا مع التولي تكذيبه، فإن جمعوا مع التكذيب الاستهزاء، فإن جمعوا مع ذلك عداوته الشديدة، فإن أضافوا إلى ذلك تكفير من صدق كتابهم ونبيهم واستحلال دمه وماله، فإن أضافوا إلى ذلك كله اتباع دين المشركين أعداء نبيهم، ونصره بما قدروا عليه، وبذل النفوس والأموال في نصرته وعداوة دين نبيهم، وإزالته من الأرض حتى لا يُذكر الله فيها، فالله المستعان، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾.

ومن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[(١)].

**الأولى**: سبب النزول يدل على شدة الحاجة لها، فإذا احتاجوا فكيف بغيرهم؟

**الثانية**: الخوف على مثلهم الردة بذلك، فكيف بمن دونهم.

---

(١) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

**الثالثة**: أن فيمَن أوتي الكتاب مَن يدعو إلى الردة، مثل ما أن فيهم مَن يدعو إلى الله.

**الرابعة**: التصريح بأن ذلك بعد الإيمان.

**الخامسة**: لطف الله تعالى بعبيده بدعوتهم بهذا الوصف.

**السادسة**: استبعاد الكفر ممن تتلى عليه آيات الله وفيهم رسوله، فإذا مضت الثانية فالأولى باقية.

**السابعة**: أن آيات الله لا نظير لها في دفع الشر في سائر الكلام، كما أن رسوله لا نظير له في سائر الأشخاص في دفع ذلك.

**الثامنة**: الرد على أعداء الله الذين يزعمون أن القرآن لا يُفهم معناه.

**التاسعة**: أن الاعتصام بحبل الله جامع.

**العاشرة**: أن الطرق فيها المعوجّ وفيها المستقيم.

**الحادية عشرة**: ذكر حق تقاته.

**الثانية عشرة**: لطافة الخطاب.

**الثالثة عشرة**: لزوم الإسلام إلى الممات.

**الرابعة عشرة**: فيه التنبيه على قوله: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[1] لأن ذلك سبب النزول.

**الخامسة عشرة**: كون الإسلام طاعة الرسول ومعصية أولئك.

**السادسة عشرة**: خوفك الردة وإن كنتَ من الصالحين.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١) ومسلم (٦٥).

**السابعة عشرة:** ذكر الاعتصام بحبل الله، وهو القرآن، ففيه دليل على أنه عصمة.

**الثامنة عشرة:** الأمر بالاجتماع على ذلك.

**التاسعة عشرة:** تأكيده ما تقدم بالنهي عن الافتراق.

**العشرون:** تذكيرهم بالنعمة العظمى، وهي إنقاذهم من النار بعد أن كانوا على شفا جُرف منها.

**الحادية والعشرون:** ذكره هذا البيان الواضح في آياته.

**الثانية والعشرون:** أن الفائدة في تعليمهم العلم تذكر المتعلم واهتداؤه.

**الثالثة والعشرون:** ذكر الأمر بطائفة متجردة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**الرابعة والعشرون:** تخصيصها بالفلاح.

**الخامسة والعشرون:** نهيه عن مشابهة الذين تفرقوا واختلفوا من بعد مجيء الآيات.

**السادسة والعشرون:** فيه دليل على أن الله ذكر في دواء هذا الداء ما فيه الشفاء.

**السابعة والعشرون:** وعيد مَن ارتكب هذا المنهي عنه بالعذاب الأليم.

**الثامنة والعشرون:** بياض الوجوه وسوادها.

**التاسعة والعشرون:** أن الذين اسودت وجوههم الذين كفروا بعد إيمانهم، ففيه أن الواقعة كفر بعد الإيمان أو تجر إليه.

**الثلاثون:** الوعد الجزيل لمن سلم من ذلك.

**الواحدة والثلاثون**: أن هذه النصائح والمواعظ هي آيات الله.

**الثانية والثلاثون**: أنه سبحانه يتلوها على رسوله لأجلنا.

**الثالثة والثلاثون**: تذكيرنا بأن تلك التلاوة بالحق.

**الرابعة والثلاثون**: الاعتقاد بأنه لا يريد ظلم أحد من العالمين.

**الخامسة والثلاثون**: تذكيرنا بأن له ما في السماوات وما في الأرض.

**السادسة والثلاثون**: تذكيرنا بالرجوع إليه.

**وأما قوله تعالى**: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾، وفيها من المسائل:

**الأولى**: أمره ﷺ بمحاجتهم بهذه الحجة الواضحة، للجاهل والبليد، لكن بشرط التفكر والتأمل، فيا سبحان الله! ما أقطعها من حجة! وكيف يخالف مَن أقَرَّ بها!

**الثانية**: إذا تحققت معنى هذا الكلام، مع ذكر الله تعالى له في مواضع من كتابه، عرفت الشرك الأكبر وعبادة الأوثان.

وقول بعض أئمة المشركين: إن الذي يُفْعَلُ في زماننا شرك أصغر، في غاية الفساد، فلو نُقدر أن في هذا أصغر وأكبر لكان فعل أهل مكة مع العزى، وفعل أهل الطائف مع اللات، وفعل أهل المدينة مع مناة، هو الأصغر، وفعل هذا هو الأكبر، ولا يستريب في هذا عاقل، إلا أن طُبع على قلبه.

**الثالثة**: أن إجابة دعاء مثل هؤلاء وكشف الضر عنهم لا يدل على محبته لهم ولا أن ذلك كرامة، وأنت تفهم لو يجري شيء من هذا في زماننا على يدَي بعض الناس ما يظن فيه أهل العلم، مع قراءتهم هذا ليلًا ونهارًا.

**الرابعة**: معرفة العلم النافع والعلم الذي لا ينفع، فمع معرفتهم أن ما يكشفه إلا الله، ومن معرفتهم بعجز معبوداتهم، ونسيانهم إياها ذلك الوقت، يعادون الله هذه المعاداة، ويوالون آلهتهم تلك الموالاة، قال تعالى: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾.

**وأما قوله تعالى**: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، ففيها مسائل:

**الأولى**: ذكر سنته سبحانه في خلقه.

**الثانية**: أن ذلك تسليطه البأساء وهو القحط والمجاعة، والضراء وهو الأمراض.

**الثالثة**: أنه سبحانه أخبرنا بمراده أنه سلَّط ذلك عليهم ليتوبوا فيُحَصِّلُوا سعادة الدنيا والآخرة، وليس مراده تعذيبهم على عِظَمِ جهالتهم وعُتُوِّهِم كيف لم يتضرعوا لما جاءهم ذلك، ليعرفك أن هذا من أعظم الجهالة والعُتُوِّ.

**الرابعة**: ذكر السبب الذي منعهم من ذلك، مع اقتضاء العقل والطبع له، وهو قسوة القلب، وكون عدوهم زيَّن لهم ما أغضب الله عليهم، فلم يعرفوا قبحها بل استحسنوها.

**الخامسة**: أنهم لما فعلوا هذه الفعلة العظيمة فُتِحَت عليهم أبواب كل شيء، فيا لها من مسألة!

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

**السادسة:** أنهم استبشروا بسبب عذابهم كما استبشر قوم لوط بسبب أضيافه.

**السابعة:** أنه لم يأخذهم حتى وقع الفرح.

**الثامنة:** أن ذلك الأخذ بغتة.

**التاسعة:** أنه بعد ذلك النعمة.

**العاشرة:** أنه سبحانه المحمود على إنعامه لأوليائه ونصرهم.

**وأما قوله تعالى:** ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾(١)، ففيها مسائل:

**الأولى:** أمر الله سبحانه رسوله أن يخبرهم بأنه بريء من ادعاء خزائن الله.

**الثانية:** إخبارهم بالبراءة من ادّعاء علم الغيب.

**الثالثة:** إخبارهم بالبراءة من دعوى أنه مَلَك، وأنت ترى مَن ينتسب إلى العلم كيف اعتقاده في هذه المسائل بالمعاكسة.

**الرابعة:** الاقتصار على ما يوحى إليه، واليوم عند الناس هُوَ هُوَ!

**الخامسة:** أن الذي يقتصر على الوحي هو البصير، وضده الأعمى ومَن يدعي

---

(١) قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

العلم، بالعكس في هذه والتي قبلها، ولست أعني العمل بل عقيدة القلب.

**السادسة**: حثه سبحانه على التفكر، الذي هو باب العلم، كما حث عليه سبحانه في غير موضع.

**السابعة**: الإنذار الخاص لهذه الطائفة المنعوتة بهذين الوصفين.

**الثامنة**: أن مَن فقدهما لم تنفعه النذارة.

**التاسعة**: فائدة الإنذار وثمرته واحتياج هذه الطائفة لها.

**العاشرة**: النهي عن طرد المتصفين بما ذكر.

**الحادية عشرة**: شأن صلاة العصر والصبح.

**الثانية عشرة**: عظمة الإخلاص.

**والثالثة عشرة**: كون الأمر اليسير كبيرًا مع الإخلاص.

**الرابعة عشرة**: ذكر القاعدة الكلية المأخوذة منها هذه الجزئية، وهي: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

**الخامسة عشرة**: أن طردهم يخاف أن يوصل الرجل الصالح إلى درجة الظالمين، ففيه التحذير من إيذاء الصالحين.

**السادسة عشرة**: أن حسن النية في ذلك ليس عذرًا.

**السابعة عشرة**: أن منعهم من الجلوس مع العظماء في مجلس العلم هو الطرد المذكور.

**الثامنة عشرة**: ذكر فتنته سبحانه بعض خلقه ببعض.

**التاسعة عشرة**: ذكر بعض الحكمة في ذلك.

**العشرون**: أن من ذلك رفعة مَن لا يظن الناس فيه ذلك.

**الحادية والعشرون:** أن الدين إن صح فهو المنة العظيمة التي لا يساويها منن الدنيا.

**الثانية والعشرون:** أن من الفتنة حرمانه سبحانه مَن لا يظن الناس أنه يُحرمها.

**الثالثة والعشرون:** المسألة العظيمة الكبيرة، وهي الاستدلال بصفات الله على ما أشكل عليك من القدرة، لأنه سبحانه رد عليهم ما وقع في أنفسهم من استبعاد كون الله حرمهم، وخص هؤلاء بالكرامة.

**الرابعة والعشرون:** جلالة هذه المسألة، وهي مسألة علم الله، لأنه سبحانه رد بها على الملائكة لما قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ الآية، كما ترى.

**الخامسة والعشرون:** أنه متقرر عند الكفار عبدة الأوثان منكري البعث أن الله سبحانه حكيم يضع الأشياء في مواضعها، والأشعرية يزعمون أنه لا يفعل شيئًا لشيء. والله أعلم.

**وأما قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1]، ففيه أربعة عشر جوابًا لمن أشار عليك بموافقة السواد الأعظم على الباطل؛ لأجل ما فيه من مصالح الدنيا، والهرب من مضارها. ولكن ينبغي أن تعرف أولًا أن الكلام مأمور به مؤمن نفيه.

---

(١) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

**فالأول**: أن تجيبه بقوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ وهذا تصوره كاف في فساده.

**الثاني**: ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ وهذا أيضًا كذلك.

**الثالث**: هذا المثل الذي هو أبلغ ما يُرغبك في الثبات، ويُبغض إليك موافقته.

**الرابع**: قولك، إذا زعم أن الهدى في موافقة فلان وفلان، بدليل الأكثر، فتجيبه ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾.

**الخامس**: أن تجيبه بقوله ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فإذا أمرتني بالإسلام لفلان وفلان، فالله أمرني بما لا أحسن منه.

**السادس**: أن تقول: وأمرنا بإقامة الصلاة، وهذه خصلة مسلمة لا جدال فيها، ولا يقيمها إلا الذي أمرتني بتركه، والذين أمرتني بموافقتهم لا يقيمونها.

**السابع**: أنّا مأمورون بتقوى الله، وأنت تأمرني بتقوى الناس.

**الثامن**: أن هذا الذي أمرتني بتركه أمره هو الذي إليه تحشرون، كما قال السحرة لفرعون لما دعاهم إلى ذلك ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

**التاسع**: أنه هو الذي خلق السماوات والأرض بالحق، وهذا مقتضى ما نهيتني عنه، والذي تأمرني به يقتضي أنه خلقها باطلًا.

**العاشر**: أن هذا الذي تأمرني بترك أَمْرِهِ حَشرُ هذا الخلق العظيم ما دونه إلا قوله ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

**الحادي عشر**: أن هذا الذي أمرتني بترك أمره ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ وقد قال ما لا يخفى عليك، ووعد عليه بالخلود في النعيم، ونهى عما أمرتني به، وتوعد عليه بالخلود في الجحيم، وهو لا يقول إلا الحق، فكيف مع هذا أطيعك؟

**الثاني عشر**: أن له المُلك يوم يُنفخ في الصور، فإذا أقررت بذلك اليوم، وأن عذابه ونعيمه دائمَان، فما ترجو في الشفاعات كلها باطلة ذلك اليوم، وقد بيّن تعالى معنى ملكه لذلك اليوم في آخر الانفطار.

**الثالث عشر**: أنه عالم الغيب والشهادة، فلا يمكن التلبيس عليه، بخلاف المخلوق، ولو أنه نبي.

**الرابع عشر**: أنه هو الحكيم الخبير، فلا يجعل مَن اتبع أمره، ولو خالف الناس، كمن ضيّع أمره موافقة للناس، حاشاه من ذلك! ولهذا يقول الموحدون يوم القيامة إذا قيل لهم قد ذهب الناس: فارقناهم في الدنيا أحوج ما كنا إليهم... إلى آخره، والله أعلم.

**ومن قوله تعالى**: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

---

(١) قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ

**الأولى**: قوله ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ السؤال عن معنى الآلهة، فإنها جمع إله، وهو أعلى الغايات عند المسلم والكافر، فكيف يتخذ جمادًا، وهذا أعجب وأبعد عن العقل من جعل الحمار قاضيًا؛ لأن الحيوان أكمل من الجماد، فإذا كان هذا من خشب أو حجر لم يعص الله، فكيف بمن اتخذ فاسقًا إلهًا مثل نمرود وفرعون، فإن كان اتخذه بعد موته فأعجب وأعجب!

**الثانية**: القدح في حجتهم؛ لأن السواد الأعظم، ليس لهم حجة إلا هي، فيدل على الرسوخ في مخالفتهم بالأدلة اليقينية لقوله ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾.

**الثالثة**: قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإن ذلك من أعظم الأدلة على المسألة ببديهة العقل؛ لأن مَن رأى نخلًا كثيرًا لا يتخالجه شك أن المدبِّرَ له ليس نخلة واحدة منه، فكيف بملكوت السماوات والأرض؟

**الرابعة**: أن هذا النفي إنما نفي لأجل الإثبات.

**الخامسة**: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ فلم يكمل غيره حتى كمل.

**السادسة**: عظم مرتبة اليقين عند الله، لجعله التعليم علة لإيصاله إليه.

**السابعة**: براءته من شركهم، نفى أولًا كونها لا تُسْتَحَقُّ، وثانيًا عن نفسه الالتفات إليها.

---

نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾.

**الثامنة**: نفي النقائص عن ربه.

**التاسعة**: ذكر توجهه الذي هو العمل.

**العاشرة**: ذكر الدليل الذي دله على النفي والإثبات.

**الحادية عشرة**: تحقيقه ذلك بكونه حنيفًا، وهذه المسألة التي قال الله في ضدها ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

**الثانية عشرة**: تصريحه لهم بما ذكر، ولم يُدَارِ مع كثرتهم ووحدته.

**الثالثة عشرة**: تصريحه بالبراءة منهم بقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

**الرابعة عشرة**: قوله: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ ولم يذكر حجتهم؛ لأن كلامه كاف عن كل ما يقولون.

**الخامسة عشرة**: أنهم لما خُصموا رجعوا إلى التخويف، كفعل أمثالهم، فذكر أنه لا يخاف إلا الله؛ لتفرده بالضر والنفع، بخلاف آلهتهم، فذكر النفي والإثبات.

**السادسة عشرة**: سعة العلم، وما قبله سعة القدرة، وهما اللتان خلق العالم العلوي والسفلي لأجل معرفتنا لهما.

**السابعة عشرة**: مَن ادعى معرفتهما وأشكل عليه التوحيد فعجب، ولذلك قال: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

**الثامنة عشرة**: قوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ إلى آخره، يدل على أنها حجة عقلية تعرفها عقولهم.

**التاسعة عشرة**: قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يدل على أن مَن أشكلت عليه هذه الحجة فليس له علم.

**العشرون**: البشارة العظيمة والخوف الكثير في فصل الله هذه الخصومة إذا عرف ما جرى للصحابة وما فسرها لهم به النبي ﷺ.

**الحادية والعشرون**: تعظيمه سبحانه هذه الحجة بإضافتها إلى نفسه، وأنه الذي أعطاها إبراهيم ﷺ عليهم.

**الثانية والعشرون**: أن العلم بدلائل التوحيد وبطلان الشبه فيه يرفع الله به المؤمن درجات.

**الثالثة والعشرون**: معرفة أن الرب تبارك وتعالى حكيم يضع الأشياء في مواضعها.

**الرابعة والعشرون**: كونه عليمًا بمن هو أهل لها، كما قال تعالى: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾.

**الخامسة والعشرون**: ذكر نعمته على إبراهيم بالذرية التي أنعم عليهم بالهداية.

**السادسة والعشرون**: أن العلم والهداية أفضل النعم؛ لقوله: ﴿وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ﴾.

**السابعة والعشرون**: هدايتهم وأصولهم وفروعهم ومَن في درجتهم.

**الثامنة والعشرون**: ذكره الذين هداهم الله، وهو الصراط المستقيم، وهو المقصود من القصة.

**التاسعة والعشرون**: التنبيه على استقامته.

**الثلاثون: القاعدة الكلية أن هذا الطريق هو هدى الله، ليس للجنة طريق إلا هو.**

**الحادية والثلاثون**: التنبيه على أن الهداية إليه بمشيئته، ليظهر العجب وتُشكر النعمة.

**الثانية والثلاثون:** العظيمة التي لم يعرفها أكثر مَن يدعي الدين، وهو تكفير مَن أشرك وحبوط عمله، ولو كان من أزهد الناس وأعبدهم.

**الثالثة والثلاثون:** أنه أعطاهم ثلاثة أشياء: الكتاب والحكم والنبوة، فلا يرغب عن طريقهم إلا مَن سفه نفسه.

**الرابعة والثلاثون:** ما في قوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ﴾ إلى آخره، من التحريض على الحرص على طلب العلم من طريقهم، وما فيه من التنفير من الجهل وتقبيحه.

**الخامسة والثلاثون:** قوله: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ أن دينهم واحد، وأن شرعهم شرع لنا.

**السادسة والثلاثون:** النهي عن البدع، فإن في التحريض عليه نهيًا عن ضده.

**السابعة والثلاثون:** كون النذير البشير مع مقاساة الشدائد في ذلك لم يطلب منا أجرًا عليه.

**الثامنة والثلاثون:** كونه ذكرى، ففيه الرد على مَن يقرأ بلا تدبر.

**التاسعة والثلاثون:** قوله: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ فيه تكذيب مَن قال: لا يعرفه إلا المجتهد.

الأربعون: الحصر فيما ذكر. والله سبحانه أعلم.

**ومن كلامه رحمه الله، على آيات من سورة الأعراف:**

**الآية الأولى**[1]: فيها: وصفه بأنه كتاب.

---

(١) قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وهي الآية الثانية من السورة. فالشيخ بدأ بها، متجاوزًا الآية الأولى من السورة: ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾؛ لأنها من الحروف المقطعة. فليُتنبه لهذا في عد الآيات التالية.

**الثانية**: كونه منزلًا إليه.

**الثالثة**: النهي عن الحرج.

**الرابعة**: التفريع.

**الخامسة**: ذكر الحكمة في ذلك، وهي الإنذار العام والذكرى الخاصة.

**الآية الثانية**(١): فيها الأمر باتباعه.

**الثانية**: التحريض على ذلك بأنه منزل إلينا من ربنا.

**الثالثة**: النهي عن اتباع ما سواه.

**الرابعة**: أنه لابد من هذا وهذا.

**الخامسة**: ذكر أن التذكر منا قليل.

**الآية الثالثة**(٢): ذكر عقوبات مَن لم يفعل.

**الثانية**: أن ذلك كثير.

**الثالثة**: أن البأس جاءهم وقت الغفلة.

**الآية الرابعة**(٣): فيها: ذكر إقرارهم بالظلم عند نزوله.

**الثانية**: أن ذلك الإقرار ليس لهم دعوى غيره.

**الآية الخامسة**(٤): فيها: لما ذكر عقوبات الدنيا توعد بالحساب.

**الثانية**: أن الحساب متوقف على الرسالة.

---

(١) قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾.

(٣) قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

(٤) قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

**الثالثة**: أنه عام حتى المرسلين.

وفي **الآية السادسة**[(١)]: أنه يقص عليهم ما فعلوا.

**الثانية**: أنه شهيد على الجزئيات.

وفي **الآية السابعة والثامنة**[(٢)]: الوعيد بالميزان.

**الثانية**: أنه الحق لقطع الأطماع.

**الثالثة**: أن الفلاح بسبب ثقله.

**الرابعة**: أن الخسارة بسبب خفته.

**الخامسة**: ذكر سبب الخفة.

**الآية التاسعة**[(٣)]: ذكر نعمته بالتمكين في الأرض.

**الثانية**: ذكر نعمته بما فيها من المعايش.

**الثالثة**: ذكر قلة شكرهم[(٤)].

وأما **قوله** ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ إلى آخر القصة[(٥)]، قال ابن القيم[(٦)]:

---

(١) قوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

(٤) يُنظر تكملة كلامه على بقية الآيات في: «مجموعة مؤلفات الشيخ» (٤ / ٧١ - ٧٦).

(٥) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الأعراف ١١ - ٢٧ .

(٦) الروح (١/ ١٧١).

قال ابن عباس: ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ يعني آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ لذريته، ومثال هذا ما قال مجاهد: ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ يعني آدم ﴿صَوَّرْنَاكُمْ﴾ يعني في ظهر آدم(١). وفي الحديث المعروف أنه أخرجهم من ظهر آدم في صورة الذر(٢) ونظيره ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ والله سبحانه يخاطب الموجودين، والمراد آباؤهم، كقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وغير ذلك من الآيات، وقد يستطرد سبحانه من الشخص إلى النوع، كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ إلى آخره، فالمخلوق من سلالة آدم، ومن نطفةٍ ذريتُهُ. وقيل إن ﴿صَوَّرْنَاكُمْ﴾ لآدم أيضًا.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ فأضاف النفخ إلى نفسه، وفي الصحيح في حديث الشفاعة: «**فيقولون: أنت آدم، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء**»(٣) فذكروا له أربع خصائص، فالمنفوخ منه الروحُ المضافةُ إلى الله إضافة تخصيص وتشريف، والله هو الذي نفخ في طينته عن تلك الروح، هذا الذي دل عليه النص، وأما كون النفخة مباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده، أو أنها بأمره، كقوله في مريم ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ مع قوله ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ إلى آخره، فهذا يحتاج إلى دليل، فإنه أضاف النفخ في مريم لكونه بأمره، وإلى الملَك لكونه المباشر للنفخ.

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٣٢٠).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٨) والإمام أحمد (١/ ٢٧٢) والحاكم (١/ ٨١) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٧٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧٦).

**وفي القصة فوائد عظيمة وعِبَرٌ لمن اعتبر:**

**منها**: أنه خلق آدم من تراب، من أبين الأدلة على المعاد، كما استدل عليه سبحانه في غير موضع، وعلى قدرته سبحانه وعظمته ورحمته وهيبته وإنعامه وكرمه، وغير ذلك من صفاته.

**ومنها**: أنها من أدلة الرسل عامة، ومن أدلة محمد ﷺ خاصة.

**ومنها**: الدلالة على الملائكة وعلى بعض صفاتهم.

**ومنها**: الدلالة على القدر خيره وشره، فقد اشتملت على أصول الإيمان الست في حديث جبريل.

**ومنها**: وهو أعظمها، أنها تفيد الخوف العظيم الدائم في القلب، وأن المؤمن لا يأمن حتى تأتيه الملائكة عند الموت تبشره، وذلك من قصة إبليس، وما كان فيه أولًا من العبادة الطاعة، ففي ذلك شيء من تأويل قوله ﷺ: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع...**» إلى آخره[1].

**ومنها**: ألا يأمن عاقبة العذاب، ولو كان قبله طاعات كثيرة، وهو ذنب واحد، فكيف إذا كانت الذنوب بعدد رمل عالج؟ ومن هذا قول بعض السلف: نضحك ولعل الله اطلع على بعض أعمالنا فقال: اذهبوا فلا أقبل منكم عملًا! أو كلامًا هذا معناه، وأبلغ منه قوله ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه**»، قال علقمة: كم من كلامٍ مَنَعَنِيهُ حديثُ بلال[2]. يعني هذا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٦٩) من حديث بلال بن الحارث. وأخرجه البخاري (٦٤٧٨) ومسلم (٢٩٨٧) من حديث أبي هريرة.

**ومنها**: أنها تخلع من القلب داء العُجب، الذي هو أشد من كثير من الكبائر.

**ومنها**: وهي من أعظمها، أنها تعرف المؤمن شيئًا من كبرياء الله وعظمته وجبروته، ولا يُدْلَى عليه ولو بلغ في الطاعة ما بلغ، وقد وقع في هذه الورطة كثير من العباد، فمستقل ومستكثر.

**ومنها**: التحذير من معارضة القدر بالرأي، لقوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ وهذه بلية عظيمة، لا يتخلص منها إلا مَن عصمه الله، لكن مكثر ومقلل.

**ومنها**، وهو من أعظمها: تأدب المؤمن من معارضة أمر الله ورسوله بالرأي، كما استدل بها السلف على هذا الأمر، ولا يتخلص من هذا إلا مَن سبقت له من الله الحسنى.

**ومنها**: عدم الاحتجاج بالقدر عند المعصية، لقوله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ بل يقول كقول أبيه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ الآية.

**ومنها**: معرفة قدر المتكبر عند الله، خصوصًا مع قوله: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾.

**ومنها**: الفخر بالأصل، وقد ورد عن النبي ﷺ التشديد في ذلك[1] والفخر منهي عنه مطلقًا، ولو كان بحق، فكيف إذا كان بباطل؟

**ومنها**: الشهادة لما كان عليه السلف أن البدعة أكبر من الكبائر؛ لأن معصية اللعين كانت بسبب الشبهة، ومعصية آدم بسبب الشهوة.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري حدثه أن النبي ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**».

**ومنها**: عدم الاغترار بالعلم، فإن اللعين كان من أعلم الخلق، فكان من أمره ما كان.

**ومنها**: عدم الاغترار بالرتبة والمنزلة، فإنه كان له منزلة رفيعة، وكذلك بلعام وغيره ممن له علم.

**ومنها**: معرفة العداوة التي بين آدم وذريته، وبين إبليس وذريته، وأن هذا سببها لما طُرِدَ عدوُّ الله، ولكن بسبب آدم لما لم يخضع له. وهذه المعرفة مما يَغْرِسُ في القلب محبة الرب جل جلاله، ويدعوه إلى طاعته، وإلى شدة مخالفة الشيطان؛ لأنه سبحانه ما طرد إبليس ولعنه، وجعله بهذه المنزلة الوضيعة بعد تلك المنزلة الرفيعة، إلا لأنه لم يخضع لنا، فليس من الإنصاف والعدل موالاته وعصيان الْمُنعِمِ، جل جلاله، كما ذكر هذه الفائدة بقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾.

**ومنها**: معرفة شدة عداوة عدو الله لنا، وحرصه على إغوائنا بكل طريق، فيعد المؤمن لهذا الحرب عدته، ولا يعلم قوة عدوه وضعفه عن محاربته إلا بمعونة الله، كما قال قتادة: إن عدوًّا يَرَانا هو وقَبِيلُهُ من حيث لا نراهم إنه لشديد المؤنة، إلا من عصم الله. وقد ذكر الله عداوته في القرآن في غير موضع، وأمرنا باتخاذه عدوًّا.

**ومنها**: وهو من أعظمها، معرفة الطرق التي يأتينا منها عدو الله، كما ذكر الله تعالى عنه في القصة أنه قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ وإنما يعرف عظمة هذه الفائدة بمعرفة شيء من معاني هذا الكلام: قال جمهور المفسرين: انتصب «صراط» بحذف «عليَ» التقدير: لأقعدن لهم على صراطك.

قال ابن القيم[١]: والظاهر أن الفعل مضمر، فإن القاعد على الشيء ملازم له، فكأنه قال: لألزمنه ولأرصدنه. ونحو ذلك، قال ابن عباس[٢]: دينك الواضح ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يعني الدنيا أو الآخرة، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ يعني الآخرة أو الدنيا ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ قال ابن عباس: أُشَبِّهُ عليهم أمْرَ دينهم[٣]. وعنه أيضًا: مِن قِبَلِ الحسنات[٤]. وقوله ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ الباطل، أُرَغِّبُهُم فيه. قال الحسن: السيئات، يحثهم عليها ويزينها في أعينهم[٥]. قال قتادة: أتاك الشيطان يا بن آدم من كل وجه، إلا أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله[٦].

وهذا يوافق قول مَن قال: ذكر هذه الأوجه للمبالغة في التوكيد. أي أتصرف لهم في الإضلال من جميع جهاتهم. ولا يناقض ما ذكر السلف، فإن ذلك على جهة التمثيل، فالسبل التي للإنسان أربعة فقط، فإنه تارة يأخذ على جهة شماله، وتارة على يمينه، وتارة أمامه، وتارة يرجع خلفه، فأي سبيل من هذه سلكها وجد الشيطان عليها راصدًا له، فإن سلكها في طاعة ثبطه، وإن سلكها بالمعصية حداه.

وأنا أمثل لك مثالًا واحدًا لما ذكر السلف، وهو أن العدو، الذي من بني آدم، إذا أراد أن يمكر بك لم يستطع أن يمكر إلا في بعض الأشياء، وهي

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٠٢ - ١٠٣).
(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٩).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٧٩).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٨٠).
(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٨١).
(٦) تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٩).

الأشياء الغامضة، والأشياء التي ليست بعالية، فلو أراد أن يمكر بك في أمر واضح بيِّن، مثل التردي من جبل أو بئر، وأنت ترى ذلك، لم يستطع، خصوصًا إذا عرفت أنه قد مكر بك مرات متعددة، ولو أراد ليمكر بك لتتزوج عجوزًا شوهاء، وأنت تراها، لم يستطع ذلك، وأنت ترى اللعين، أعاذنا الله منه، يأتي الآدمي في أشياء واضحة بيِّنة أنها من محارم الله، فيحمله عليها حتى يفعلها، ويزينها في عينه حتى يفرح بها، ويزعم أن فيها مصلحة، ويذم مَن خالفه، كما قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾.

وهذا معنى قول مَن قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ مِن قِبَلِ الدنيا[١]. فإنهم يعرفونها وعيوبها، ومجمعون على ذمها، ثم مع هذا لأجلها قطعوا أرحامهم، وسفكوا دماءهم، وفعلوا ما فعلوا. وهذا معنى قول مجاهد: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من حيث يبصرون[٢]. فهو لم يقنع بإتيانه من الجهة التي يجهلون أنها معصية، مثل ما فسر به مجاهد ﴿خَلْفِهِمْ﴾ قال: من حيث لا يبصرون[٣]. ولا من جهة الغيب، كما قال فيها بعضهم: الآخرة، أُشَكِّكُهُم فيها[٤]. لم يقنع بذلك عدو الله حتى أتاهم في الأمور التي يعرفونها عيانًا أنها النافعة، وضدها الضار، وفي الأمور التي يعرفون أنها سيئات، وضدها حسنات، ومع هذا أطاعوه في ذلك، إلا من شاء الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٧٨).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٧٨).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٧٩).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٧٩).

وقال تعالى حكاية عنه: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ الآية، قال الضحاك: ﴿مَّفْرُوضًا﴾ معلومًا[١]. وحقيقة الفرض التقدير، والمعنى أن مَن اتبعه فهو من نصيبه المفروض، فالناس قسمان: نصيب الشيطان ومفروضه، وحزب الله وأولياؤه.

وقوله: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ يعني عن الحق ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ قال ابن عباس: تسويف التوبة وتأخيرها. وقال الزجاج: أجمَعُ لهم مع الإضلال أن أُوهِمُهُم أنهم ينالون مع ذلك حظهم من الآخرة.

وقوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ البتك: القطع. وهو هاهنا قطع آذان البَحِيرة.

وقوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: دين الله[٢]. وقال ابن المسيب والحسن وإبراهيم وغيرهم[٣]: معنى ذلك أن الله فطر عباده على الفطرة، وهي الإسلام، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الآية، وفي الصحيح: «**ما من مولود يولد إلا على الفطرة، وأبواه يهودانه...**» الحديث[٤] فجمع ﷺ بين الأمرين؛ تفسير الفطرة بالتهويد وغيره، وتغيير الخلقة بالجدع، وهما اللذان أخبر إبليس أنه لابد أن يغيرهما.

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢١٢).
(٢) تفسير الطبري (٩/ ٢١٨).
(٣) تفسير الطبري (٩/ ٢١٩ - ٢٢٠).
(٤) أخرجه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨).

ثم قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ فوَعْدُهُ ما يصل إلى قلب الإنسان، نحو: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا وتعلو، والدنيا دُوَل، ستكون لك. ويطوِّل أمله، ويعده الحسنى على شركه ومعاصيه، ويمنِّيه الأماني الكاذبة على اختلاف وجوهها، فالوعد في الخير، والتمني في الطلب والإرادة.

**ومنها**: أن معرفة هذه القصة تزرع في قلب المؤمن حب الله تعالى، الذي هو أعظم النعم على الإطلاق، وذلك من صنعه بالإنسان وتشريفه، وتفضيله على الملائكة، وفعله بإبليس ما فعل لمّا أبى أن يسجد له، وخلقه إياه بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسكانه جنته.

وقد خاطب الله سبحانه بني إسرائيل الموجودين في زمن النبي ﷺ بما فعل مع آبائهم، وذكَّرهم بذلك واستدعاهم به، وذكر أنه فعل بهم، كقوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ وغير ذلك. وذكر النعم هي أصل الشكر، الذي هو الدين، لأن شكرها مبني على معرفتها وذكرها، فمعرفة النعم من الشكر، وهي أم الشكر، كما في الحديث: «**من أُسْدِيَ إليه معروفٌ فذكره فقد شكره، فإن كتم فقد كفره**»[1] هذا في الأشياء التي تصدر من بني آدم، فكيف بنعم المنعم على الحقيقة والكمال؟ واجتمع الصحابة يومًا في دار يتذاكرون ما منّ الله عليهم به من بعثة محمد ﷺ وجلس الفضيل وابن أبي ليلى يتذاكرون.

**ومنها**: أن التأويل الفاسد في رد النصوص ليس عذرًا لصاحبه، كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس في شبهته التي ألقاها، كما لم يعذر مَن خالف النصوص متأولًا مخطئًا، بل كان ذلك التأويل زيادة في كفره.

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١٤) من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «**من أبلي بلاء فذكره فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره**» وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٥٩٣٣).

**ومنها**: أن مثل هذا التأويل ليس على أهل الحق أن يناظروا صاحبه ويبينوا له الحق، كما يفعلون مع المخطئ المتأول، بل يبادر إلى عقوبته بالعقوبة التي يستحقها بقدر ذنبه، والإعراض عنه إن لم يقدر عليه، كما كان السلف الصالح يفعلون هذا وهذا، فإنه سبحانه لما أبدى له إبليس شبهته فعل به ما فعل، ولما عتب على الملائكة في قيلهم أبدى لهم شيئًا من حكمته وتابوا.

وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله ﷺ في غزاته التي فتح الله فيها مكة، فإنه لما أعطى المؤلفةَ قلوبُهُم وجدت عليه الأنصارُ، عاتبهم واعتذروا، وقَبِلَ عذرهم وبيّن لهم شيئًا من الحكمة[١]. ولما قال له الرجل العابد: اعدل. قال له كلامًا غليظًا، واستأذنه بعض الصحابة في قتله، ولم ينكر عليه، لكن ترك قتله لعذرٍ ذكره[٢]. ولما فعل خالد بن الوليد ببني جذيمة ما فعل[٣] رد عليهم ما أخذ

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٢) ومسلم (١٠٥٩) من حديث أنس بن مالك قال: لما فتحت مكة قسم الغنائم في قريش فقالت الأنصار: إن هذا لهو العجب؛ إن سيوفنا تقطر من دمائهم، وإن غنائمنا ترد عليهم! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجمعهم فقال: «**ما الذي بلغني عنكم؟**» قالوا: هو الذي بلغك. وكانوا لا يكذبون، قال: «**أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم! لو سلك الناس واديًا أو شعبًا، وسلكت الأنصار واديًا أو شعبًا، لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار**».

(٢) أخرجه البخاري (٣١٣٨) ومسلم (١٠٦٣) من حديث جابر بن عبد الله قال: أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة، منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل. قال: «**ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل! لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق! فقال: «**معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه!**».

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٨٤) من حديث ابن عمر قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا (أسلمنا) فجعلوا يقولون =

منهم ووَدَاهم ولا نعلم أنه عاتب خالدًا، ولا منعه ذلك من تأميره على الناس.

**ومنها**: أن الشبهة إذا كانت واضحة البطلان لا عذر لصاحبها، فإن الخوض معه في إبطالها تضييع للزمان وإتعاب للحيوان، مع أن ذلك لا يَرْدَعُه عن بدعته، وكان السلف لا يخوضون مع أهل الباطل في رد باطلهم، كما عليه المتأخرون، بل يعاقبونهم إن قدروا، وإلا أعرضوا عنهم، وقال أحمد لمن أراد أن يرد عليهم: اتق الله، ولا تنصب نفسك لهذا، فإن جاءك مسترشدٌ فأرشده.

وهو سبحانه لما قال اللعين: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ قال: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ ولما قالت الملائكة ما قالت قال: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم بيّن لهم ما بيّن حتى أذعنوا.

**ومنها**: معرفة قدر الإخلاص عند الله، وحماية الله أهله، لقول اللعين: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ فعرف عدو الله أنه لا سبيل له على أهل الإخلاص.

**ومنها**: أن كشف العورة مستقر قُبْحُهُ في الفطر والعقول، لقوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ وقد سماه الله فاحشة.

**ومنها**: أنه لا ينبغي للمؤمن أن يغتر بالفجرة، بل يكون على حذر منهم، ولو قالوا ما قالوا، خصوصًا أولياء الشيطان، الذين تسبق شهادةُ أحدِهم يمينَه، ويمينُهُ شهادتَه، فإن اللعين حلف ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

---

= (صبأنا، صبأنا) فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره! حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه، فرفع النبي ﷺ يديه فقال: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**» مرتين.

**ومنها**: أن زخرفة القول قد تُخْرِج الباطل في صورة الحق، كما في الحديث: «**إن من البيان لسحرًا**»[١] فإن اللعين زخرف قوله بأنواع؛ منها تسمية الشجرة شجرة الخلد، ومنها تأكيد قوله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ وغير ذلك ما ذكر في القصة، فينبغي للمؤمن أن يكون من زخرف القول على حذر، ولا يقنع بظاهره حتى يَعْجُمَ العودَ.

**ومنها**: أن في القصة شاهدًا لما ذكر في الحديث: «**إن من العلم جهلًا**»[٢] أي من بعض العلم ما العلمُ به جهلٌ، والجهل به هو العلم، فإن اللعين من أعلم الخلق بالحيل التي لا يعرفها آدم، من أن الله علّمه الأسماء كلها، فكان ذلك العلم من إبليس هو الجهل، وفي الحديث: «**إن الفاجر خِبٌّ لئيم، وأن المؤمن غِرٌّ كريم**»[٣] وأبلغ من ذلك وأعم منه قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فقيل لهم ما قيل وعوتبوا، فكانت توبتهم أن قالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ فكان كمالهم ورجوعهم عن العَتْبِ وكمال علمهم أن أقروا على أنفسهم بالجهل، إلا ما علّمهم سبحانه، ففي هذه القصة شاهد للقاعدة الكبرى في الشريعة، المُنَبَّهِ عليها في مواضع، منها قوله ﷺ: «**وسَكَت عن أشياء رحمةً لكم، غير نسيان، فلا تبحثوا عنها**»[٤].

**ومنها**: أنه لا ينبغي أن يغتر بخوارق العادة، إذا لم يكن مع صاحبها استقامة

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠١٢) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٩٩١).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٩٠) والترمذي (١٩٦٤) وحسنه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٦٥٣).

(٤) أخرجه الدارقطني (٤/ ١٨٥) والحاكم (٤/ ١٢٩) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٥٩٧).

على أمر الله، فإن اللعين أنظره الله تعالى، ولم يكن ذلك إلا إهانة له، وشقاء له، وحكمة بالغة يعلمها العليم الخبير، فينبغي للمؤمن أن يميز بين الكرامات وغيرها، ويعلم أن الكرامة هي لزوم الاستقامة.

**ومنها**: أن الأمور التي يحرصون عليها أهل الدنيا قد تكون عقوبة ومحنة، الجاهل يظنها نعمة، مثل المال والجاه وطول العمر، فإن الله أعطى اللعين من النَّظِرَةِ ما أعطاه.

**ومنها**: أن يعلم المؤمن أن الذنوب كثيرة، ولا نجاة له منها إلا بمعونة الله وعفوه، وأن كثيرًا منها قد لا يعلمه من نفسه، فإن أكثر الكبائر القلبية؛ مثل الرياء والكبر والحسد وترك التوكل والإخلاص وغير ذلك، قد يتلطخ بها الرجل وهو لا يشعر، ولعله يتورع عن بعض الصغائر الظاهرة، وهو في غفلة عن هذه العظائم.

**ومنها**: أن يعرف قدر معصية الحسد، وكيف آل باللعين حسده إلى أن فعل به ما فعل.

**ومنها**: وهو من أحسنها، أن يعرف صحة ما ذُكِرَ عن بعض السلف أن مَن لم يجاهد في سبيل الله ابتُلِيَ بالجهاد في سبيل الشيطان، ومَن بَخِل في إنفاقه المالَ في طاعة الله ابتُلِيَ بإنفاقه في المعاصي وفيما لا ينفعه، ومَن لم يَمْشِ في طاعة الله خطوات مَشَى في معصية الله أميالًا، وأشباه ذلك. والدليل من القصة شيء أبلغ من هذا بكثير، فإن اللعين أبى أن يسجد لزعمه أن ذلك نقصًا في حقه، ثم صار بعد ذلك يَكْدَح جَهْدَه في القيادة والدياثة وأنواع الرذائل.

**ومنها**: أن في القصة معنى قوله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدَانه أو ينصِّرَانه أو يمجِّسَانه...**» إلى آخره[1] ومن ذلك قوله حكاية عن

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨).

إبليس: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ فإنهم ذكروا في معناه، أي: آمرهم بتغيير خلق الله، وهي فطرته التي فطر عباده عليها، وهي الإسلام لله وحده لا شريك له.

**ومنها**: أن فيها معنى القاعدة الكبرى في الشريعة المذكورة في مواضع، منها قول النبي ﷺ: «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(١) وهي من قوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ فإنهم ذكروا أن معناه قطع آذان البَحِيرة تقربًا إلى الله على عادات الجاهلية.

**ومنها**: أن تفيد المعنى العظيم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ وما في معناه من النصوص، وذلك مستفاد مِن مَنْعِ اللعين، فإنه مع علمه بجبروت الله وأليم عذابه، وأنه لا محيص له عنه، ويعرف من الأمور ما لا يعرفه كثير من أهل العلم، ومع ذلك لم يَتُبْ ولم يرجع، بل أصر وعاند، وطلب النَّظِرَةَ لأجل المعصية، مع علمه بعقابه، وعدم مصلحة مِن فعله. وهذا باب عظيم من معرفة الرب وقدرته، وتقليبه القلوب كيف يشاء، وتيسيره كل عبد لما خلق له، فيفعله باختياره.

**ومنها**: أن الله سبحانه قد يعاقب العبد، إذا غضب عليه، بعقوبات باطنة في دينه وقلبه، لا يعرفها الناس، مع إمداده إياه في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ كما فعل إبليس.

**ومنها**: أن فيها شهادة لما ذكر عن بعض السلف أن من عقوبة السيئةِ السيئةُ بعدها.

**ومنها**: أن تفيد القاعدة المعروفة أن الجزاء من جنس العمل، وذلك أن قَصْدَهُ

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨).

الترفعُ، فقيل له: اخرج إنك من الصاغرين. فقَصَدَ العزَّ؛ فأذله الله بأنواع الذل.

**ومنها**: الشهادة لصحة الكلام المذكور عن بعض السلف في قوله: والله إن معالجةَ التقيِّ التقوى أهونُ من معالجة غيرِ التقيِّ الناسَ. وقول مَن قال: مصانعة وجهٍ واحدٍ أهون من مصانعة ألف وجه. وبيان ذلك أن اللعين لما تخيّل أن عليه من أمر الله شيئًا من النقص، فلو قدَّم طاعة الله وآثرها على هواه وسجد لآدم، فلو قدِّر أن ما تخيله صحيح، وأن ذلك غضاضة، لكان في جنب ما أتاه من الشر والهوان والصغار جزءًا يسيرًا، والله المستعان، فكيف ولو فعل ذلك لكان فيه شرفه وسعادته، كما هو عادة الله في خلقه أن «**مَن تواضع لله رفعه**»[1].

**ومنها**: أن الفاجر قد يعطيه الله سبحانه كثيرًا من القوى والإدراكات في العلوم والأعمال، حتى في صحة الفراسة، كما ذُكِرَ عن اللعين، حيث تفرَّس فيهم أن يُغْوِيَهُم إلا المخلَصِين، فصدَّق الله فراسته في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإن قيل: في الحديث: «**اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله**»[2] ولا يناقض ما ذكرناه، بل يدل على أن المؤمن أتم في هذه الخصلة من غيره وأصدق، كما كان في العلم والإيمان والأعمال والحلم والصبر وغير ذلك، ولو كان للفجار شيء من هذا.

**ومنها**: الشهادة للقاعدة المعروفة في الشريعة؛ أن كل عمل لا يُقْصَدُ به وجه الله فهو باطل، لاستثنائه المخلَصِين.

**ومنها**: الشهادة للقاعدة الثانية؛ وهي أن كل عمل على غير اتباع الرسول غير مقبول، لقوله في القصة: ﴿ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ الآية، فقسّم

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨٣٠٧) وحسنه الشيخ الألباني (الصحيحة ٢٣٢٨).
(٢) أخرجه الترمذي (٣١٢٧) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٢٧).

الناس إلى قسمين؛ إلى أهل الجنة، وهم الذين اتبعوا الهدى المنزَّل من الله، وأهل الشقاق والضلال، وهم مَن أعرَض عنه. فانتظمت هذه القصة لهاتين الآيتين العظيمتين، اللتين هما من أكبر قواعد الشريعة على الإطلاق؛

**القاعدة الأولى**: فيها حديث عمر: «**إنما الأعمال بالنيات**»[١].

**والقاعدة الثانية**: فيها حديث عائشة: «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منها فهو رد**»[٢].

**الثامنة عشرة**[٣]: فيها: تذكيره ما يواري السوأتين.

**الثانية**: تذكيره بإنزال الريش.

**الثالثة**: تذكيره بإنزال لباس التقوى.

**الرابعة**: إخباره بخير اللباسين.

**الخامسة**: ذكره أن ذلك من آياته.

**السادسة**: ذكره الحكمة في ذلك.

**التاسعة عشرة**[٤]: إخباره وإنذاره عن فتنة الشيطان.

---

(١) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٣) هكذا في المخطوط والطبعة الهندية. ويعني: قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾. وهي الآية (٢٦) من السورة. قال محققو «مؤلفات الشيخ» (٤ / ٧٦): «في هذا الموضع من المخطوطة شيء من الخطأ في عد الآيات». فليُتنبه لما يأتي من الآيات.

(٤) قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

**الثانية**: تمثيله بما لا يستطيع أحد دفعه.

**الثالثة**: ما جرى في طاعته من التعب العاجل.

**الرابعة**: نزعه عنهما لباسهما.

**الخامسة**: مراده في ذلك.

**السادسة**: تنبيه هذا على المهم، وهو كونهم يروننا ولا نراهم.

**السابعة**: القاعدة الكلية، وهي من مسائل الصفات.

**العشرون**(١): فيها: إنكاره عليهم هذه الفاحشة.

**الثانية**: الرد على مَن أنكر التحسين والتقبيح العقلي.

**الثالثة**: إنكار حجتهم الأولى والثانية.

**الرابعة**: أمره بالقول الذي فيه تنزيه الله عن ذلك.

**الخامسة**: اشتمال هذا الكلام على ما لم يُحْصَ من المسائل.

**السادسة**: أن معرفة الله نفي ما لا يجوز عليه.

**السابعة**: إنكاره القول عليهم بلا علم.

**الحادية والعشرون**(٢):

**الأولى**: أمره أن تقول هذا الإثبات.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

**الثانية**: الاستدلال بالصفات على الأفعال.

**الثالثة**: الاستدلال بالعموم.

**الرابعة**: ذكر أمره بالعدل.

**الخامسة**: إقامة الوجه عند كل مسجد.

**السادسة**: دعوته بالإخلاص.

**السابعة**: ذكر المعاد.

**الثامنة**: الاستدلال عليه بالمبدأ.

**التاسعة**: ذكر الإيمان بالقدر، بذكر الهداية والإضلال.

**العاشرة**: الإشارة إلى الأمرين.

**الحادية عشرة**: ذكر الأمر العظيم، وهي اتخاذهم الشياطين أولياء.

**الثانية عشرة**: ذكر حسبانهم أنهم مهتدون.

**الثالثة عشرة**: أن ذلك ليس عذرًا.

**الثانية والعشرون**[1]: ذكر الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد.

**الثانية**: ذكر الأكل والشرب.

**الثالثة**: ذكر النهي عن السرف.

**الرابعة**: ذكره أنه لا يحب المسرفين.

**وقوله** ﷻ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

---

(١) قوله تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[(١)]، هذه الآيات ذكرها الله سبحانه بعدما رد على الكفار عبادات يتقربون بها إليه ولم يشرعها:

**منها**: أنهم إذا حجوا طافوا بالبيت عراة، يقولون: الثياب التي عصينا الله فيها لا نطوف فيها. فقال الله ردًّا عليهم: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ والفاحشة في هذا الموضع إخراج العورة للعبادة، مثلما يفعل كثير من الناس، يكشف عورته للاستنجاء، وغيره ينظره، يريد بالاستنجاء في هذه الحالة التقرب إلى الله، فلما رد عليهم الباطل، أخبرهم بالحق الذي شرعه، فقال: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ وهو العدل ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وهو إقامة الصلاة بحقوقها ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ﴾ يقول: ادعوه بهذا الشرط، لا تدعوا مع الله أحدًا، يقول: الأمور التي تعبدوني بها ما أمرتكم بها، والأمور التي أمرتكم بها لا تفعلونها، فالظلم والبغي ضد القسط، وهو جاهكم وسمتكم الذي تبذلون فيه الأعمار والأموال، وإقامة الوجه عند كل مسجد لا تفعلونها، بل إن فعلتم صلَّيتم صلاة لا تُجْزِي، والإخلاص ليس عندكم، ودينكم الذي ترجون عليه الثواب هو الشرك. إذا فهمت هذا فتأمل أحوال من تعرف، ونَزِّل هذه الآية على أحوالهم ترى العجب!

ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي لابد أن يخلقكم للبعث كما بدأ خلقكم من نطفة. ثم قال: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ﴾ فهذا القَدَرُ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فجمع في هذه الآية الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان

---

(١) سبقت.

بالشرع، والإيمان بالقدر، وذكر فيها تفصيل الشرع الذي أمر به، وذكر حال مَن عكس الأمر، فجعل المنكر معروفًا والمعروف منكرًا.

ثم ختم الآية بهذه المسألة العظيمة، وهي: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ فلا أجهل ممن هرب عن طاعة الله واختار طاعة الشيطان، ومع هذا يحسب أنه مهتدٍ مع هذا الضلال الذي لا ضلال فوقه. والله أعلم.

**الثالثة والعشرون**: ذكر الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد.

**الثانية**: إضافتها إلى الله.

**الثالثة**: تنبيهه على العلة بقوله ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾.

**الرابعة**: أمره أن نقول هذا القول.

**الخامسة**: ذكر تفصيل الآيات.

**السادسة**: ذكر أهل هذا التفصيل.

**الرابعة والعشرون**: أمر أن نقول هذا القول.

**الثانية**: حصر المحرمات فيما ذكر.

**الثالثة**: تحريم الفواحش.

**الرابعة**: تحريم الإثم والبغي بغير الحق.

**الخامسة**: تحريم الشرك.

**السادسة**: ذكر هذا القيد العظيم.

**السابعة**: تحريم القول على الله بلا علم.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ الآية[١]، فيه مسائل:

**الأولى:** تفصيل شيء من قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾.

**الثانية:** معنى قوله: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبُعِثْتُ إلى الناس عامة**»[٢].

**الثالثة:** الملاطفة في الدعوة إلى الله لقوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ أضافهم إلى نفسه.

**الرابعة:** التي أرسلت الرسل وخلقت الخلق لأجلها.

**الخامسة:** تفسير الإله.

**السادسة:** دعاؤهم بالرغبة.

**السابعة:** دعاؤهم بالتخويف.

**الثامنة:** جواب الملأ لهذا الكلام بهذه الجهالة.

**التاسعة:** كون أهل الباطل ينسبون أهل الحق إلى الجهالة، بل إلى السفاهة، بل إلى السحر، بل إلى الجنون.

**العاشرة:** حسن جوابه لهم ومقابلته الإساءة بالتي هي أحسن.

**الحادية عشرة:** تعريفهم بأنهم إنما ردوا وعَصَوا رب العالمين.

---

(١) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥) ومسلم (٥٢١).

**الثانية عشرة:** تعريفهم بما فيه من الخصال التي لا غناء لهم عنها.

**الثالثة عشرة:** تعريفهم أن تلك الخصال لا تقتضي الحسد، بل تقتضي المحبة والانقياد.

**الرابعة عشرة:** لما عرّفهم أن الرسالة التي أتتهم منه وعظهم بأنه رب العالمين.

**الخامسة عشرة:** تعريفهم أن هذا الذي استغربوا، ونسبوا مَن قاله إلى الجهالة والجنون، هو الواجب في العقل، وهو أيضًا حظهم ونصيبهم من الله، ففي هذا الكلام من أوله إلى آخره؛ مِن تحقيقِ الحق وذِكْرِ أدلته العقلية، وإبطالِ الباطل وذِكْرِ الأدلة العقلية على بطلانه، ما لا يخفى على مَن له بصيرة.

**السادسة عشرة:** ذكر أنهم كذبوه مع هذا البيان، ففصل الله الخصومة بما ذكر أنه فعل بالفريقين.

**السابعة عشرة:** ذكر أن ذلك بسبب التكذيب بآياته، فدل على أنه أتاهم بآيات الله.

**الثامنة عشرة:** أن السبب في ذلك التكذيب هو العمى والجهالة، فهي وصفهم لا وصف خصومهم.

**وأما قصة عاد[١] فنذكر ما فيها من الفوائد خاصة:**

**الأولى:** التبيين أن أعظم التقوى اتقاء الشرك.

**الثانية:** وصفه الملأ منهم بالكفر.

**الثالثة:** وصفهم نبيهم بالسفاهة التي هي أبلغ من الجهل.

---

(١) قوله تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ سورة الأعراف ٦٥-٧٢.

**الرابعة:** وصفهم إياه بالكذب.

**الخامسة:** استعطافه إياهم بأمانته.

**السادسة:** وعظه إياهم بتلك الآية الواضحة العظيمة.

**السابعة:** فيه ما يدل على أنهم يعلمون ذلك، لقوله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ﴾.

**الثامنة:** وعظه إياهم بتذكيرهم نعمة الله باستخلافهم في الأرض بعد قوم نوح.

**التاسعة:** وعظه بزيادة النعمة على أهل زمانهم بزيادتهم في الخلق بسطة.

**العاشرة:** ذكر أن ذلك لا يدل على الكرامة، بل قد يكون السبب للإهانة.

**الحادية عشرة:** ذكر أن هذا الذي كرهوه هذه الكراهة هو سبب فلاحهم.

**الثانية عشرة:** ذكر ما أجابوا به عن هذا الكلام الذي هو في غاية الحسن.

**الثالثة عشرة:** ذكره أن هذا الخلاف بينه وبينهم في توحيد العبادة لا في أصل العبادة.

**الرابعة عشرة:** ذكر أن عمدتهم اتباع السواد الأعظم.

**الخامسة عشرة:** زيادة العقوبة لهم ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾.

**السادسة عشرة:** ذكر أن الصدق ممدوح عندهم، وكذلك الكذب مذموم عندهم.

**السابعة عشرة:** ذكر المسألة المهمة، وهي إنكاره عليهم الاعتماد على ذلك الدليل، مع كونه لم ينزل فيه نص من الله.

**الثامنة عشرة:** كونه بيّن لهم كبر جهالتهم؛ كيف تجاسروا على الجدال بذلك.

**التاسعة عشرة:** معرفة الأشياء التي لا حقيقة لها من الحقائق.

**العشرون:** كون الشيء معمولًا به قرنًا بعد قرن، من غير نكير، لا يدل على صحته.

**الحادية والعشرون:** أمره إياهم بانتظار الوعيد.

**وأما قصة ثمود[1] فنذكر ما فيها من الزوائد على القصتين أيضًا:**

**الأولى:** وعظه إياهم بالآية العظيمة.

**الثانية:** استعطافهم بذكر ربوبية مَن جاءت منه لهم.

**الثالثة:** ذكر إضافة الناقة إلى الله.

**الرابعة:** تفسير البينة لهذا.

**الخامسة:** تخصيص الله إياهم بناقته.

**السادسة:** العجب العجاب من كراهتهم الأمر المطلوب منهم، وهو كف الأذى عن ناقة الله التي فيها من نعم الدين والدنيا لِمَن قَبِلَها ما لا يظنه الظانون.

**السابعة:** أنه مع هذا توعدهم بالوعيد الشديد إن لم يكفوا عنه الأذى.

**الثامنة:** تذكيرهم بنعمة الله عليهم بالقصور في السهل.

**التاسعة:** نعمة الله عليهم في هذه القوة العظيمة، وهي قدرتهم على نحت الجبال بيوتًا.

**العاشرة:** تذكيرهم بنعم الله، فدل على أنهم يعرفون ذلك.

**الحادية عشرة:** وعظه إياهم أن الذي ينهاهم عنه هو الفساد في الأرض، وهو قبيح بإجماع العقلاء.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ إلى قوله: ﴿تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ سورة الأعراف ٧٣ - ٧٩ .

**الثانية عشرة**: ذكر قبح جوابهم لهذه الموعظة البليغة التي جمعت لهم خير الدنيا والآخرة.

**الثالثة عشرة**: نعته الملأ منهم بالكِبر.

**الرابعة عشرة**: أن الذي استجابوا للحق هم الضعفاء، وأما الملأ المستكبرون فهذا جوابهم وفعلهم.

**الخامسة عشرة**: جمعهم بين هذه الثلاث: عقر الناقة، والعتو عن أمر ربهم، وقولهم لرسولهم هذا.

**السادسة عشرة**: ذكر قولهم: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فلم يذكر إنكارهم الرسل من حيث الجملة.

**السابعة عشرة**: ذكر توليهم عنهم لما وقع عليهم ما استعجلوه.

**الثامنة عشرة**: ذكره أنه لم يبق من الحرص على دنياهم وعلى آخرتهم ممكن.

**التاسعة عشرة**: ذكر أن العلة في عدم القبول عدم المحبة للناصح لا عدم البيان.

**وأما قصة لوط[١] فسنذكر أيضًا ما فيها من الزيادة على القصص الثلاث:**

**الأولى**: التصريح أن هذا الفعل لم يُفعل قبلهم.

**الثانية**: موعظة نبيهم إياهم بذلك، فدل على أنه متقرر عندهم أن أول مَن ابتدع القبيح ليس لغيره.

**الثالثة**: تعظيم هذه الفاحشة بمخاطبتهم بالاستفهام.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ سورة الأعراف ٨٠ - ٨٤ .

**الرابعة**: تغليظها بالألف واللام، فدل على الفرق بينها وبين الزنا، لقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾.

**الخامسة**: تنبيههم على مخالفة العقول والشهوة، لقوله: ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ فتتركون موضع الشهوة مع حسنه عقلًا ونقلًا، وتتبدلون به غير المشتَهَى مع قبحه عقلًا ونقلًا.

**السادسة**: تنبيههم على العلة أنها ليست الشهوة بل السَرف.

**السابعة**: هذا الجواب العجاب، تلك النصيحة والبيان بأدلة العقل والنقل.

**الثامنة**: إقرارهم أن آل لوط الطيبون، وأنهم الأخابث.

**التاسعة**: تصريحهم أن هذا هو الذي نقموه عليهم وجعلوه سببًا لإخراجهم من البلد.

**العاشرة**: ما في إهلاك امرأته من الدلالة على التوحيد، والدلالة على أن مَن أحب قومًا حُشِرَ معهم وإن لم يعمل عملهم.

**الحادية عشرة**: ذكر الأمر بالنظر في عاقبة المجرمين.

**وقوله** ﷻ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾[1]، فيه مسائل:

**الأولى**: معرفة أن لا إله إلا الله؛ كما في قصة آدم وإبليس، ويعرف ذلك مَن عرف أسباب الشرك، وهو الغلو في الصالحين، والجهل بعظمة الله.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾.

**الثانية**: معرفة أن محمدًا رسول الله، يعرفه مَن عرف عداوة علماء أهل الكتاب له.

**الثالثة**: معرفة الدين الصحيح والدين الباطل، لأنها نزلت في إبطال دينهم الذي نصروا، وتأييد دينه الذي أنكروا.

**الرابعة**: معرفة عداوة الشيطان ومعرفة حِيله.

**الخامسة**: أن مَن انسلخ من الآيات أدركه الشيطان، ومَن لم ينسلخ منها حَمَتْهُ منه، ثم صار أكثر مَن انتسب إلى العلم يظن العكس.

**السادسة**: خوف الخاتمة، كما في حديث ابن مسعود.

**السابعة**: عدم الاغترار بغزارة العلم.

**الثامنة**: عدم الاغترار بصلاح العمل.

**التاسعة**: عدم الاغترار بالكرامات وإجابة الدعاء.

**العاشرة**: أن الانسلاخ لا يُشترط فيه الجهل بالحق أو بغضه.

**الحادية عشرة**: أن مَن أخلد إلى الأرض واتبع هواه، لو عرف الحق أحبه ولوعرف الباطل أبغضه.

**الثانية عشرة**: معرفة الفتنة، فإنه لا بد منها، فليتأهب ويسأل الله العافية، لقوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ الآيتين[1].

**الثالثة عشرة**: عدم أمن مكر الله.

---

(١) قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

**الرابعة عشرة:** عقوبة العاصي في دينه ودنياه.

**الخامسة عشرة:** ذكر مشيئة الله، وذكر السبب من العبد.

**السادسة عشرة:** أن محبة الدنيا تكون سببًا لردة العالم عن الإسلام.

**السابعة عشرة:** تمثيل هذا العالِم بالكلب في اللهث على كل حال.

**الثامنة عشرة:** أن هذا مثَل لكل مَن كذّب بآيات الله، فليس مختصًّا.

**التاسعة عشرة:** كونه سبحانه أمر بقص القصص على عباده.

**العشرون:** ذكر الحكمة في الأمر به.

**الحادية والعشرون:** قوله: ﴿سَآءَ مَثَلًا﴾ كقوله: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾(١).

**قوله:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه ثمان حالات:

**الأولى:** ترك عبادة غير الله مطلقًا، ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل والإخافة الثقيلة، كما جرى لسعد مع أمه.

**الحال الثانية:** أن كثيرًا من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه، لا يَفْطِنُ لما يريد الله من قلبه؛ من إجلاله وإعظامه وهيبته، فذكر هذه الحال بقوله: ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾.

**الحال الثالثة:** إن قدَّرنا أنه ظن وجود الذكر والفعل منه، فلابد من تصريحه

---

(١) قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

بأنه من هذه الطائفة، ولو لم يَقْضِ هذا الفرض إلا بالهرب عن بلاد كثير من الطواغيت الذين لا يبلغون الغاية في العداوة، حتى يُصرح بأنه من هذه الطائفة المحاربة لهم.

**الحال الرابعة**: إن قدَّرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث، فقد لا يبلغ الجد في العمل بالدين والجد والصدق، وهو إقامة الوجه للدين.

**الحال الخامسة**: إن قدَّرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع، فلابد له من مذهب ينتسب إليه، فأُمِرَ أن يكون مذهبه الحنيفية، وتَرْكُ كل مذهب سواها ولو كان صحيحًا، ففي الحنيفية عنه غنية.

**الحال السادسة**: أنَا إن قدَّرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس، فلابد أن يتبرأ من المشركين، فلا يُكَثِّرْ سوادهم.

**الحال السابعة**: إنّا إن قدَّرنا أنه ظن وجود الحالات الست، فقد يدعو من غير قلبه نبيًا أو غيره لشيء من مقاصده، ولو كان دينًا يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا أو كذا خصوصًا عند الخوف أنه لا يدخل في هذا الحال.

**الحال الثامنة**: إن ظن سلامته من ذلك، لكن غيره من إخوانه فعله خوفًا، أو لغرض من الأغراض، هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين، أو يقول: كيف أكفره وهو يحب الدين ويبغض الشرك؟ وما أعَزَّ مَن تَخَلَّص من هذا! بل ما أَعَزَّ مَن يفهمه وإن لم يعمل! بل ما أَعَزَّ مَن لا يظنه جنونًا! والله أعلم.

**بسم الله الرحمن الرحيم: ذكر ما في صدر سورة هود[1] من العلوم:**

**الأولى**: ذكرمعرفة الله.

---

(١) قوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ سورة هود ١ - ١١ .

ذكر أنه حكيم.

**الثانية:** أنه خبير.

**الثالثة:** أنه قدير.

**الرابعة:** أنه ذكر شيئًا من تفصيل العلم في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ الآية.

**الخامسة:** ذكر شيئًا من تفاصيل القدرة في قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ﴾ الآية.

**السادسة:** خلق السماوات والأرض في ستة أيام.

**السابعة:** كون عرشه على الماء.

**الثامنة:** ذكر شيئًا من تفصيل الحكمة في قوله: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾.

**التاسعة:** كونه وكيلًا على كل شيء.

**الثاني**[١]: الإيمان باليوم الآخر.

**ذكر:** أنه إليه المرجع.

**الثاني:** ﴿وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ﴾.

**الثالث:** ذكر الجنة والنار.

**الرابع:** ذكر العرض عليه.

**الخامس:** كلام الأشهاد.

**السادس:** ضل عنهم افتراؤهم.

---

(١) يعني: العلم الثاني.

**السابع:** كونهم هم الأخسرون في الآخرة.

**الثالث**[(١)]: تقرير الرسالة.

**ذكر أولًا:** المسألة الكبرى.

**الثانية:** أنه نذير من الله وبشير لنا.

**الثالثة:** تقرير صحة رسالته باعتراضهم بقولهم إنها ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ مع موافقتها للعقل.

**الرابعة:** تقريرها بقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾.

**الخامسة:** تقريرها بمعرفة العلماء بها.

**السادسة:** تقريرها بالتحدي.

**السابعة:** تقريرها بأنها الحق من الله.

**الرابع**[(٢)]: ذكر الوعد والوعيد.

**ذكر:** المتاع الحسن لمن قبله.

**الثاني:** ذكر عذاب اليوم الكبير لمن أبى.

**الثالث:** ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾.

**الرابع:** وعيد مَن أراد الدنيا.

**الخامس:** وعيد مَن افترى عليه.

**السادس:** وعد المؤمنين المخبتين.

---

(١) يعني: العلم الثالث.

(٢) يعني: العلم الرابع.

**السابع:** وعيد مَن كفر.

**الثامن:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ بالقرآن.

**الخامس**(١): ذكر الأمر والنهي.

**فذكر:** النهي عن الشرك والأمر بالإخلاص.

**الثانية:** الأمر بالاستغفار والتوبة.

**الثالثة:** الأمر بالمضي على أمر الله، وإن اعترضوا بالشبهة الفاسدة.

**الرابعة:** أمره بالتحدي.

**الخامسة:** نهيه عن الفِرْيَة فيه.

**السادس**(٢): أمور مدحها لنفعلها.

**منها:** الصبر.

**الثانية:** عمل الصالحات.

**الثالثة:** مدح العلم الصادر عن اليقين.

**الرابعة:** مدح معرفة القرآن.

**الخامسة:** ذكر نتيجة الأمرين.

**السادسة:** الإيمان.

**السابعة:** الإخبات إلى الله.

**السابع**(٣): أمور كَرِهَها، ذَكَرَها لِتُتْرَكَ.

---

(١) يعني: العلم الخامس.

(٢) يعني: العلم السادس.

(٣) يعني: العلم السابع.

**منها**: التولِّي.

**الثانية**: ثني الصدر.

**الثالثة**: الاعتراض على الحق الصريح.

**الرابعة**: استبطاء وعيد الله.

**الخامسة**: كون الإنسان يئوسًا عند الضراء.

**السادسة**: كونه كفورًا عندها.

**السابعة**: كونه فرحًا عند النعماء.

**الثامنة**: فخورًا عندها، ولو كانت بعد ضراء، والتي قبلها ولو كانت بعد سراء.

**التاسعة**: نتيجة معرفة الإيمان.

**العاشرة**: فائدة النتيجة.

**الحادية عشرة**: كونه يريد الدنيا.

**الثانية عشرة**: كونه يفتري على الله الكذب.

**الثالثة عشرة**: الصد عن سبيل الله.

**الرابعة عشرة**: بغي العوج لها.

**الثامن**[1]: المنثور.

**ذكر**: أن الأكثر لا يؤمنون.

**الثانية**: ذكر مثل المؤمنين.

---

(١) يعني: العلم الثامن.

**الثالثة:** ذكر مثل الكافرين.

**الرابعة:** التنبيه على التذكير بالحالين.

**الخامسة:** كونهم ما يستطيعون السمع.

**السادسة:** الفرق بين العالم والجاهل.

**السابعة:** كون عرشه على الماء.

**وقوله** ﷻ، ولما ذكر قصة نوح: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾، إذا تأمل الإنسان حاله أولًا، وما تعلم من العلوم من أهله، ثم تفكر في هذه القصة، هل علم منها زيادة على ما عنده أولا؟ عرف مسائل:

**الأولى:** عظمة الشرك، ولو قصد ما فيه صاحبه التقرب إلى الله، وذلك ما فعل الله بأهل الأرض لما عبدوا ودًّا وسُوَاعًا ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا.

**الثانية:** شدة بطشة الله وعقوبته، حيث أرسل الطوفان فأهلك الطيور والدواب وغير ذلك.

**الثالثة:** معرفة آيات رسول الله ﷺ حيثما قصه، مع كونهم يعلمون أنه لم يأخذ ممن يعلم ما عند أهل الكتاب، فلم يستطيعوا أن يردوا عليه مع شدة العداوة.

**الرابعة:** التحقيق بكون المخلوق ليس له من الأمر شيء، ولو كان نبيًّا مرسلًا، لسبب ما فيها من قصة ابن نوح.

**الخامسة:** تبيين الله سبحانه الحجج الباطلة، والتحذير منها، مع أنها عندنا أولى، وعند أكثر الناس حجج صحيحة.

**السادسة**: تبرؤ الرسل من دعوى أن عندهم خزائن الله، أو علم الغيب، مع أن الطواغيت في زمننا ادَّعوا ذلك وصُدِّقوا وعُبِدُوا لأجل ذلك.

**السابعة**: التحذير من استحقار الفقراء والضعفاء، لقوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، مع أنه سائغ ممن يدعي العلم ويستحسنه الناس منهم.

**الثامنة**: وهي من أعظم الفوائد، التحذير من الشبهة التي أَدْخَلَت أكثَرَ الناس النارَ، وهي السواد الأعظم، والنفرة من القليل، لقوله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

**التاسعة**: معرفة شيء من عظمة الله في تأديبه الرسل، لما قال لنوح: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

**العاشرة**: وهي من أهمها، أن فيها شاهدًا لقول الحسن: نضحك، ولعل الله اطّلع على بعض أعمالنا وقال: لا أغفر لكم. وذلك من قوله: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ مع سخريتهم منه.

**الحادية عشرة**: التحذير من اتباع رؤساء الدنيا، وقبول حججهم، لقوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ وهم الأشراف والرؤساء.

**الثانية عشرة**: بيان الله تعالى لتلك الحجج، فقوله: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ فيه القياس الفاسد، وقولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ احتجاج بما ليس حجة، وقولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ احتجاج برؤيتهم، وهو مِن أفسد الحجج، وقولهم: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ احتجاج بالظن.

**الثالثة عشرة**: أنهم لم يُصرحوا بأن هذا الذي عليه نوح وأتباعه أمر الله ثم

جاهروا بعصيانه، بل قالوا: ﴿نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ وقالوا: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ وغير ذلك، وأنت ترى الذي يكون من أهل العلم والعبادة، كيف يُقِرُّون ويجادلون بالكفر، ويحسبون أنهم مهتدون!

**وقال** رضي الله عنه، **في الكلام على قوله حكايةً عن يوسف**: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾:

دعاهم يوسف عليه السلام، إلى التوحيد بأنواع من الأدلة:

**أحدها**: أنه ذكر أن هذا العلم الذي تميّز به عليهما، وعلى غيرهما، أنه من تعليم ربه إياه، فالذي يعطي ويمنع هو الذي يستحق العبادة.

**الثاني**: أنه حكيم، يضع الأشياء في مواضعها، فشرفني بسببين: ترك الشرك، وفعل التوحيد.

**الثالث**: أن ذلك الفعل والترك هو ملة الأنبياء.

**الرابع**: أن الشرك لم يُرخص فيه لأحد من الأنبياء كما قد يُرخص في غيره.

**الخامس**: أنه منفي عما سوى الله، فليس يصح منه شيء لغيره ولو علت درجته.

**السادس**: أن الهداية إلى ذلك مجرد منة الله على العبد، وهو أفضل النعم.

**السابع**: أن الله إذا يسر لك العلم لذلك فهو من فضله عليك.

**الثامن**: أن الإسلام واتباع ملة الأنبياء هو العلم بذلك والعمل به، لا مجرد العلم.

**التاسع**: أنه ذكر لهم ما يُحرضهم على القبول، وهو أن الداعي من أهل ذلك البيت.

**العاشر**: أن مع هذا البيان الواضح فأكثر الناس لا يشكر.

**ثم قرره بالأدلة العقلية، وذلك من وجوه:**

**الأول**: أن الله خير من المخلوقين.

**الثاني**: أنه واحد، وأولئك أرباب متفرقون.

**الثالث**: أنه قهار، وهم عاجزون.

**الرابع**: العجب العجاب، إعراضكم عنه بإقبالكم على أسماء لا حقيقة لها.

**الخامس**: أن تلك الأسماء أنتم ابتدعتموها.

**السادس**: نفي الأدلة عنها، وهي إنزال الله الحجة بذلك.

**السابع**: تقرير القاعدة الكلية أن أمر التشريع من الله لا غيره.

**الثامن**: أن الذي له الحُكْمُ حَكَمَ بهذا وألزَمَ به، واختُصَّ به عن جميع ما سواه.

**التاسع**: أن هذا هو الدين الصحيح فقط.

**العاشر**: أن مع وضوحه بالنقل والعقل وإجماع الأئمة وغير ذلك لا يعلمه إلا قليل.

## ومن قصة أول سورة الكهف[1]:

ذكر ابن عباس أن سبب نزولها أن قريشًا بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعَيط إلى أحبار يهود فقالوا: سَلُوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، فإنهم أهل الكتاب الأول. ففعلوا، فقالوا: سَلُوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهنَّ فهو نبيٌّ

(١) قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ سورة الكهف ١ - ٩ .

مرسل، وإلا فهو مُتَقَوِّل، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، فإن لهم حديثًا عجيبًا، وسلوه عن طوَّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه عن الروح. فأقبَلَا فقالا: جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد. فسألوه عن الثلاث فقال: «أخبركم» ولم يستثن، فمكث خمس عشرة ليلة لا يأتيه جبريل، فشق ذلك عليه، حتى جاء بالسورة، فيها المعاتبة على حزنه عليهم، وخبر مسائلهم[١].

**ففي الآية مسائل:**

**الأولى:** حمده نفسه على إنزاله الكتاب، الذي هو أكره شيء أتاهم في أنفسهم، مع كونه أَجَلَّ ما أعطاهم من النعم.

**الثانية:** أن الإنزال على عبده فيه إبطال مذهب النصارى والمشركين، وفيه نعمة عليهم حيث أنزل على رجل منهم.

**الثالثة:** أنزله معتدلًا لا عوج فيه، ففيه معنى قوله: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾.

**الرابعة:** أن الأعداء والمشبهين لا يجدون فيه مغمزًا، بل ليس فيه إلا ما يكسرهم.

**وقوله:** ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ ذكر الفائدة في إنزاله، فذكر ثلاثًا:

**الأولى:** ليُنذر عذاب الله، فيصير سببًا للسلامة منه.

**الثانية:** بشارة مَن انقاد إليه بالحظ المذكور.

**الثالثة:** الإنذار عن الكلمة العظمى التي تَفَوَّهَ بها مَن تَفَوَّهَ تقربًا إليه بتعظيم الصالحين.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥٩٢ - ٥٩٣).

**الرابعة**: الدليل على أن كلامهم لم يصدر عن علم، لا منهم ولا ممن قبلهم.

**الخامسة**: تعظيم الكلمة، كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾.

**السادسة**: أن الكذب يُسمى كذبًا، ويُسمى صاحبه كاذبًا، ولو ظن أنه صادق، ويصير من أكبر الكذابين المفترين.

**وقوله**: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ أي: قاتلها أسفًا على هلكتهم. ففيه ما عليه رسول الله ﷺ من الشفقة عليهم، وتسلية الله سبحانه له.

**وقوله**: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا﴾ فيه مسائل:

**الأولى**: التسلية للمؤمن عمن أدبر.

**الثانية**: أن حكمة الله التزيين ليبين الأحسن عملًا من غيره.

**الثالثة**: أن جميعها يصير صعيدًا جُرزًا، أي لا ينبت فيه.

**وقوله**: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ يعني أن قصتهم مع كونها عجيبة فيها مسائل جليلة، أعظمها الدلالة على التوحيد، وبطلان الشرك، والدلالة على نبوته ﷺ ومَن قَبْلَه، والدلالة على اليوم الآخر، ففي الآيات المشاهَدَة مِن خلق السماوات والأرض وغير ذلك ما هو أعجب وأدل على المراد من قصتهم، مع إعراضهم عن ذلك.

وأما دلالتها على التوحيد وبطلان الشرك فواضح.

وأما دلالتها على النبوات فكذلك، كما جعلها أحبار يهود آية لنبوته.

وأما دلالتها على اليوم الآخر، فمِن طول مكثهم لم يتغيروا، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾.

**وقوله**: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ الآية، فيه مسائل:

**الأولى:** كونهم فعلوا ذلك عند الفتنة، وهذا هو الصواب عند وقوع الفتن؛ الفرار منها.

**الثانية:** قولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي من عندك، لا نحصلها بأعمالنا ولا بحيلتنا.

**الثالثة:** قولهم: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ طلبوا من الله أن يجعل لهم من ذلك العمل رَشدًا، مع كونه عملًا صالحًا، فما أكثَرَ ما يقصِّر الإنسان فيه، أو يرجع على عقبه، أو يثمر له العُجب والكبر، وفي الحديث «**وما قَضَيْتَ مِن قضاء فاجعل عاقبته رشدًا**»[1].

**وقوله تعالى:** ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ إلى قوله: ﴿مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾[2]، ففيه مسائل:

**الأولى:** من آيات النبوة، وإليه الإشارة بقوله «الحق».

**الثانية:** أنهم فتية، وهم الشبان، وهم أقبل للحق من الشيوخ، عكس ما يظن الأكثر.

**الثالثة:** قوله إنهم ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ فلم يَسْبِقُوا إلا بالإيمان بالله.

**الرابعة:** ما في الإضافة إلى ربهم من تقرير التوحيد.

**الخامسة:** في قوله: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ أن مِن ثواب الحسنةِ الحسنةَ بعدها، ومَن عمل بما يَعلَم أورثه الله تعالى علم ما لا يعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٣٩) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤٠٤٧).

(٢) قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ﴾ إلى قوله: ﴿أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ سورة الكهف ١٣ - ١٦ .

**السادسة**: أن المؤمن أحوج إلى أن يربط الله على قلبه، ولولا ذلك الربط افتتنوا.

**السابعة**: قولهم: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فهذه الربوبية هي الألوهية.

**الثامنة**: المسألة الكبرى، أن مَن ذبح لغير الله ودعا غيره فقد كذب بقول «لا إله إلا الله» وقد دعا إلهين اثنين واتخذ رَبَّيْنِ.

**التاسعة**: المسألة العظيمة المشكلة على أكثر الناس، مع أنه إذا وافقهم بلسانه، مع كونه مؤمنًا حقًّا كارهًا لموافقتهم، فقد كذب في قوله «لا إله إلا الله» واتخذ إلهين اثنين، وما أكثر الجهل بهذه والتي قبلها.

**العاشرة**: أن ذلك لو يصدر منهم، أعني موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهرهم، مع كراهتهم لذلك فهو قوله: ﴿شَطَطًا﴾، والشطط الكفر.

**الحادية عشرة**: قوله: ﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖ﴾ فهذه المسألة مفتاح العلم، وما أكبر فائدتها لمن فهمها.

**الثانية عشرة**: قوله: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ ففيه أن مثل هذا مَن افترى الكذب على الله، وأنه أعظم أنواع الظلم، ولو كان صاحبه لا يدري، بل قصد رضاء الله.

**الثالثة عشرة**: قوله: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فيه اعتزال أهل الشرك، واعتزال معبوديهم، وأن ذلك لا يجرك إلى ترك ما معهم من الحق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْ﴾.

**الرابعة عشرة**: قوله: ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ فيه شدة صلابتهم في دينهم، حيث عزموا على ترك الرياسة العظيمة، والنعمة العظيمة، واستبدلوا بها كهفًا في رأس جبل.

**الخامسة عشرة:** حسن ظنهم بالله، ومعرفتهم ثمرة الطاعة، ولو كان مباديها ذهاب الدنيا، حيث قال: ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾.

**السادسة عشرة:** الدليل على الكلام المشهور؛ أن التعب يُثمر الراحة، والراحة تُثمر التعب.

**السابعة عشرة:** عدم الاغترار بصورة العمل الصالح، فرُب عمل صالح في الظاهر لا يُثمر خيرًا، أو عمل صالح يهيئ لصاحبه مرفقًا.

**العشرون:** قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ فيه مسائل:

**الأولى:** كما أماتهم سبحانه لحكمة بعثهم لحكمة.

**الثانية:** أن الصواب في المسائل المُشكلة عدم الجزم بشيء، بل قول «الله أعلم» فالجهل بها هو العلم.

**الثالثة:** التورع في المأكل.

**الرابعة:** كتمان السر.

**الخامسة:** المسألة العظيمة، وهي قولهم: ﴿إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ عرفوا أنه لابد من أمرين: إما الرجم وإما الإعادة في الملة، فإن وافقوا على الثانية لم يُفلحوا أبدًا، ولو كان في قلوبهم محبة الدين وبغض الكفر.

**وقوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾(١)، فيه مسائل:

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ سورة الكهف ٢١ .

**الأولى:** أن الإعثار عليهم لحكمة.

**الثانية:** معرفة المؤمن إذا أُعْثِرَ عليه أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها، كما رد سبحانه موسى إلى أمه لتعلم أن وعد الله حق، فتأمل هذا العلم ما هو!

**الثالثة:** أن ﴿ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ لما وقع بينهم النزاع، وذلك أن بعض الناس يزعم أن البعث للأرواح خاصة، فأَعْثَرَ عليهم ليكون دليلًا على بعث الأجساد.

**الرابعة:** أن الذين غلبوا على أمرهم قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ فإذا تأملتَ ما قالوا، وأن الذي حملهم عليه محبة الصالحين، ثم ذكرت قوله ﷺ: «**أولئك إذا مات الرجل الصالح بَنَوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[(١)] عرفت الأمر.

**وقوله:** ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الآية[(٢)]، فيه مسائل:

**الأولى:** إخبار بالغيب.

**الثانية:** بيان الجهل والباطل بالتناقض.

**الثالثة:** الإنكار على المتكلم بلا علم.

**الرابعة:** إسناد الأمر في هذه المسائل إلى علم الله سبحانه.

**الخامسة:** الرد على أهل الباطل بالإسناد إليه.

السادسة: أن من العلماء مَن يعرف عدتهم، لكنهم قليل.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧) ومسلم (٥٢٨).

(٢) قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ سورة الكهف ٢٢ .

**السابعة:** النهي عن المراء في شأنهم.

**الثامنة:** الاستثناء.

**التاسعة:** النهي عن استفتائنا أحدًا من هؤلاء فيهم.

**العاشرة:** ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، فيه مسائل:

**الأولى:** النهي عن مثل هذا الكلام.

**الثانية:** الرخصة مع الاستثناء.

**الثالثة:** الأمر بذكر الله عند النسيان.

**الرابعة:** الاستثناء يقع في مثل هذا.

**الخامسة:** هذا الدعاء عند النسيان، إن صح التفسير بذلك.

**وقوله:** ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ إلى آخر الكلام[1]، فيه مسائل:

**الأولى:** النص على مدة لبثهم.

**الثانية:** الرد على المخالف بقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾.

**الثالثة:** الرد عليه بقوله: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

**الرابعة:** الرد عليه بقوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾.

**الخامسة:** قولهم: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾.

**السادسة:** كونه لا يشرك في حكمه أحدًا.

**السابعة:** النهي عن إشراك مخلوق في حكم الله، على قراءة الجزم.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ سورة الكهف ٢٥ - ٢٩.

**الثامنة**: الحث على تلاوة الوحي، وإن عارضه شبهة أو شهوة.

**التاسعة**: تقريره ذلك بقوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾.

**العاشرة**: تقريره ذلك بقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾.

**الحادية عشرة**: الكبيرة، وهي أمره نبيَّه أن يصبر نفسه مع مَن ذكر.

**الثانية عشرة**: لا يضر المؤمن كراهة نفسه لذلك إذا جاهدها.

**الثالثة عشرة**: أن بلوغهم هذه الرتبة بسبب فعلهم ما ذكر.

**الرابعة عشرة**: أن صلاة البَردين بإخلاص توصل إلى المراتب العالية.

**الخامسة عشرة**: فيه قوله: «**رُبَّ أُشْعَثَ أُغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ، لا يُؤْبَهُ له، لو أقسَمَ على الله لَأَبَرَّهُ**»(١).

**السادسة عشرة**: النهي عن طلوع العين عنهم إرادةً لمجالسة الأجلاء.

**السابعة عشرة**: المسألة الكبرى، وهي اختلاف أمر الدنيا والآخرة عند الله.

**الثامنة عشرة**: أنه لما ذكر المحثوث على مجالستهم ذكر ضدهم.

**التاسعة عشرة**: نهيه عن طاعة الضد.

**العشرون**: سبب ذلك.

**الحادية والعشرون**: ذكر الخصال الثلاث: إغفال القلب عن ذكر الله، واتباع الهوى، وانفراط الأمر.

**الثانية والعشرون**: إثبات القَدَر، وهو الإغفال.

**الثالثة والعشرون**: لا يخرجه من الذم أن قلبه يفهم غير ذلك فهمًا جيدًا.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٥٤) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤٥٧٣).

**الرابعة والعشرون:** قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الآية.

**وأما قصة موسى والخضر ﷺ[١]، ففيها مسائل:**

**الأولى: ما يتعلق بجلال الله وعظمته.** وفيه مسائل:

**الأولى:** سعة العلم بقوله: «**ما نقص علمي وعلمك**»[٢] وهذا من أعظم ما سمعنا من عظمة الله.

**الثانية:** الأدب مع الله لقوله: «فعتب الله عليه».

**الثالثة:** الأدب معه أيضًا في قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾.

**الرابعة:** معرفة أنواع سعة جود الله تعالى، ومن ذلك العلم اللدني.

**الخامسة:** الأدب معه تعالى بمعرفة أن له أسرارًا في خلقه تخفى على الأنبياء، فلا ينبغي الغفلة عن هذه المهمة.

**السادسة:** الأدب معه في تعليق الوعد بمشيئة الله مع العزم.

**السابعة:** معرفة شيء من عظيم قدرة الله من إحياء الموتى، وجعله سبيل الحوت في الماء طريقًا، وغير ذلك، ومعرفة هذا مع الأُولَى هما اللتان خُلِقُ العالم العلوي والسفلي لأجل معرفتنا بهما.

**الثاني:** ما يتعلق في أحوال الأنبياء. وفيه مسائل:

**الأولى:** أن النبي يجوز عليه الخطأ.

**الثانية:** أنه يجوز عليه النسيان.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ سورة الكهف ٦٠ - ٨٢.

(٢) هو حديث الخضر وموسى، الطويل المشهور، أخرجه البخاري (١٢٢) ومسلم (٢٣٨٠).

**الثالثة**: فضل نبينا ﷺ بعموم الرسالة، لقوله: «موسى بني إسرائيل».

**الرابعة**: ما جُبِلَ عليه موسى ﵇ من الشدة في أمر الله.

**الخامسة**: أنه لا يُنْكَرُ إصابة الشيطان للأنبياء بما لا يقدح في النبوة، لقوله: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ مع قوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

**السادسة**: ما عليه الإنسان من البشرية، ولو كان نبيًّا، وذلك من أدلة التوحيد، وذلك من وجوه، منها قوله: ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾.

**الثالث**: مسائل الأصول، وفيه مسائل، أعظمها التوحيد، ولكن سبق آنفًا، فنقول:

**الأولى**: الدليل على اليوم الآخر؛ لأن من أعظم الدلالة إحياءَ الموتى في دار الدنيا.

**الثانية**: إثبات كرامات الأولياء، على القول بعدم نبوة الخَضِرِ.

**الثالثة**: أنه قد يكون عند غير النبي ﷺ ما ليس عند النبي.

**الرابعة**: إذا احتمل اللفظ معانيَ فأظهَرُهَا أَوْلَاها، كما قال الشافعي.

**الخامسة**: إثبات الصفات كما هو مذهب السلف.

**الرابعة**: ما فيها من التفسير:

**الأولى**: أن المذكور هو الخضِر، لا كما قال الحر بن قيس.

**الثانية**: موسى هو المشهور ﵇، خلافًا لِنَوْفٍ[1].

---

(١) نوف البكالي، أحد التابعين. أخرج البخاري (٤٧٢٥) عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفًا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل إنما هو موسى آخر، فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبيّ بن كعب عن =

**الثالثة**: أن النبي ﷺ فسر لهم ألفاظ القرآن كلها كما بلغها.

**الرابعة**: قوله: ﴿أَلَمْ أَقُل﴾.

**الخامسة**: أن قوله: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، المراد: سفينة سالمة من العيب.

**السادسة**: أن غداءهما هو الحوت.

**السابعة**: أن قوله: ﴿عَجَبًا﴾ أي لموسى وفتاه.

**الثامنة**: لا يجوز تفسير القرآن بما يؤخذ من الإسرائيليات، وإن وقع فيه مَن وقع.

---

= النبي ﷺ: «أن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: بلى، لي عبدٌ بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب، ومن لي به؟ قال: تأخذ حوتًا فتجعله في مكتل، حيثما فقدت الحوت فهو ثَمّ، وأخذ حوتًا فجعله في مكتل، ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون، حتى أتيا الصخرة، وضعا رؤوسهما، فرقد موسى واضطرب الحوت، فخرج فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار مثل الطاق، فقال هكذا مثل الطاق، فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، ولم يجد موسى النصَب حتى جاوز حيث أمره الله، قال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا، فكان للحوت سرَبا ولهما عجَبا، قال له موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتدا على آثارهما قصصا، رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب، فسلم موسى، فرد عليه، فقال: وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما عُلمت رشدا، قال: يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، قال: هل أتبعك؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبرا، وكيف تصبر على ما لم تُحط به خُبرا.. ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة، كلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر؛ فحملوه بغير نول.. - الحديث -».

**التاسعة**: أن السلف يشددون في ذلك تشديدًا عظيمًا، لقوله: «كذب عدو الله».

**العاشرة**: أن الوعد على العمل الصالح ليس مختصًّا بالآخرة، بل يدخل فيه أمور الدنيا، حتى في الذرية بعد موت العامل.

**الخامس**: أدب العالم مع المتعلم، ففيه مسائل:

**الأولى**: تسمية التلميذ الخادم فتى.

**الثانية**: أن تلك الخدمة مما يرفع الله بها كما رفع.

**الثالثة**: تعلم العالم ممن دونه.

**الرابعة**: اتخاذ ذلك نعمة يبادر إليها، لا نعمة يُبغضها.

**الخامسة**: التعلم بعد الرياسة.

**السادسة**: الرحلة في طلب العلم.

**السابعة**: رحلة الفاضل إلى المفضول.

**الثامنة**: ركوب البحر لطلب العلم.

**التاسعة**: اشتراط الشيخ على المتعلمِ الشروطَ.

**العاشرة**: التزام المتعلم للشروطَ.

**الحادية عشرة**: الاعتذار بالنسيان.

**الثانية عشرة**: قبول الاعتذار.

**الثالثة عشرة**: قبول المتعلم، لقوله: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾ إلى آخره.

**الرابعة عشرة**: قبول نصيحة الشيخ؛ لعلمه منك ما لا تعلمه من نفسك، وإن كنتَ أفضل منه.

**الخامسة عشرة**: أن من المسائل ما لا يجوز السؤال عنه.

**السادسة عشرة**: أن من المسائل ما لا ينبغي للمسئول أن يجيب عنه.

**السابعة عشرة**: إعفاء المتعلم مما يكره.

**الثامنة عشرة**: مفارقة المتعلم إذا خالف الشرط.

**التاسعة عشرة**: احتمال المشاق في طلب العلم، لقوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾.

**السادس**: ما فيها من مسائل الفقه:

**فالأولى**: عمل الإنسان في مال الغير بغير إذنه إذا خاف عليه الهلاك.

**الثانية**: من شرط الجواز خوف الهلاك، بل قد يجوز للإصلاح، لقصة الجدار.

**الثالثة**: أنه ليس من شرط المسكين في الزكاة أنه لا مال له.

**الرابعة**: أنه استدل بها على أنه أحسن حالًا من الفقير.

**الخامسة**: أنه لا بأس بالسؤال في بعض الأحوال، لقوله: ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾.

**السادسة**: أن مَن لم يُعْطَ يَتَعَزَّ بهذه القصة، وكم ممن هان على الناس وهو جليل عند الله، وقد قيل:

**فإن رُدِدْتَ فما في الرد منقصة ... عليك قد رُدَّ موسى قَبْلُ والخَضِرُ**[1]

**السابعة**: أن الإجارة تجوز بغير بعض الشروط التي شرط بعض الفقهاء.

---

(١) البيت لابن الوردي.

**الثامنة**: أنه يجوز أخذ الأجرة على العمل الذي لا يُكلف، خلاف ما توهمه بعضهم.

**التاسعة**: الترحم على الأنبياء، وأنه لا ينقص من قدرهم، بل هو من السُّنَّة.

**العاشرة**: أن تمني العلم ليس من التمني المذموم.

**الحادية عشرة**: أن السلام ليس من خصائص هذه الأمة.

**الثانية عشرة**: كيف الجواب إذا سئل: أي الناس أعلم؟

**الثالثة عشرة**: خطأ مَن قال: تخلو الأرض من مجتهد.

**الرابعة عشرة**: التعزي باختيار الله، وحسن الظن فيما تكره النفوس.

**الخامسة عشرة**: الخوف من مكر الله عند النعم.

**السادسة عشرة**: قوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ لا يعد من الشكوى.

**السابعة عشرة**: الفَرْقُ من المسألة المأمور بها والمنهي عنها، وإن كان معذورًا بل مأجورًا.

**الثامنة عشرة**: سفر الاثنين من غير ثالث للحاجة.

**التاسعة عشرة**: أن الخضِر معروف في ذلك الزمان، لقوله: «لما عرَفُوه حَمَلُوه بلا نَوْلٍ».

**العشرون**: أن احتمال المنة في مثل هذا لا بأس به.

**الحادية والعشرون**: شكره نعمة الخلق.

**السابع**: المنثور الجامع:

**الأول**: القصة بجملتها من أعجب ما سُمِعَ، ولا يُعْرَفُ في نوعها مثلُهَا.

**الثانية**: عين الحياة، وما لله من الأسرار في بعض المخلوقات.

**الثالثة**: ما ابتُلِيَ به موسى عليه السلام، مما لا يحتمله، وعده الصبر وتعليقه بالمشيئة.

**الرابعة**: نسيان الفتى الحوت في ذلك اليوم، وتلك الليلة، ونصف اليوم الثاني، مع أنه لم يُكَلَّفْ إلا ذلك، ومع أن زادهما يُحْمَلُ على الظهر.

**الخامسة**: الأمر العظيم في الماء لما صار طاقًا[1]، حتى قيل إن هذا لم يقع إلا له منذ خُلقت الدنيا.

**السادسة**: أن الشيطان يتسلط تسلطًا لا يُعْرَفُ، لكونه تسلط على يوشع بالنسيان العجيب.

**السابعة**: الفرق بين العبودية الخاصة والعبودية العامة.

**الثامنة**: الرد على منكري الأسباب، لأنه سبحانه قادر على إنجاء السفينة، وتثبيت أَبَوَيْ الغلام، وإخراج الكنز له بدون ما جرى.

**التاسعة**: الرد على مَن قال إن موسى لا يجوز له السكوت عنه، لأنه اعتذر من النسيان، ولأنه لا يعد من نفسه ترك واجب.

**العاشرة**: الحكم بالظاهر، لقوله عليه السلام: ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾.

**الحادية عشرة**: تسمية المدينة قرية.

**الثانية عشرة**: أن التأويل في كلام الله وكلام العرب غير ما يريد المتأخرون.

**الثالثة عشرة**: أن المال قد يكون رحمة، وإن كان مكنوزًا.

**الرابعة عشرة**: فائدة طلب العلم للرشد.

---

(١) قال النووي في «شرح مسلم» (١٥/ ١٣٨): «الطاق عقد البناء، وجمعه طيقان وأطواق، وهو الأزج، وما عُقد أعلاه من البناء، وبقي ما تحته خاليًا».

**الخامسة عشرة:** نصيحة العالم المتعلم إذا أراد السؤال عما لا يحتمله.

**السادسة عشرة:** أن ذلك الممنوع قد يكون أفضل ممن يعرف ذلك.

**السابعة عشرة:** أن الكلام يقتصر على المتبوع، لقوله: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ كما قيل: ﴿ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾.

**وقوله** ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾، فيها خمس مسائل:

**الأولى:** كون الله فرض على نبيه أن يخبرنا عن نفسه الخبر، الذي تصديقه ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ بتوحيد الألوهية، وإلا فتوحيد الربوبية لم ينكره الكفار الذين كذبوه وقاتلوه.

**الثالثة:** تعظيمه بقوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ كما تقول لمن خالفك: كلامي مع مَن يدعي أنه من أمة محمد.

**الرابعة:** أن من شروط الإيمان بالله واليوم الآخر ألا يُشرك بعبادة ربه أحدًا، ففيه التصريح بأن الشرك في العبادة ليس في الربوبية، وفيه الرد على مَن قال: أولئك يستشفعون بالأصنام، ونحن نستشفع بالصالحين. لأنه قال: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ فليس بعد هذا بيان.

وافتتح الآية بذكره براءة النبي ﷺ الذي هو أقرب الخلق إلى الله وسيلةً، وختمها بقوله: ﴿وَٰحِدًا﴾.

اعلم، رحمك الله، أنه لا يعرف هذه الآية المعرفة التي تنفعه إلا من يميز بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية تميزًا تامًا، وأيضًا يَعرف ما عليه غالب الناس؛ إما طواغيت ينازعون الله في توحيد الربوبية الذي لم يصل شرك المشركين إليه، وإما مصدِّق لهم تابع لهم، وإما رجل شاكٌّ لا يدري ما أنزل الله على رسوله،

ولا يميز بين دين الرسول ودين النصارى. والله أعلم.

**وقوله** ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾ الآيتين[1]، فيه مسائل:

**الأولى**: أن الله أمر الرسل بهذا، مع اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم، فيدل على أنه من عظيم الأمور.

**الثانية**: أن الرسل إذا أُمِرُوا بذلك فغيرهم أولى بالحاجة إلى ذلك، فأفاد أن هذا يحتاج إليه أعلم الناس حاجة شديدة.

**الثالثة**: إذا فُرِضَ هذا على الرسل، مع اختلاف الأزمنة والأمكنة، فكيف بأمة واحدة، نبيها واحد، وكتابها واحد؟

**الرابعة**: أن خطاب الرسل عامٌ للأمم، بدليل قوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم﴾.

**الخامسة**: الأمر بالأكل من الطيبات، ففيه رد على الغُلَاة الذين يمتنعون عنها، وفيه رد على الجُفَاة الذين لا يقتصرون عليها.

**السادسة**: الأمر بالإصلاح والعمل مع الأكل من الطيبات، ففيه رد على ثلاث طوائف:

**أولها**: الآكلون الطيبات بلا شكر، والشكر هو العمل المرضيّ.

**وثانيهم**: مَن يعمل العمل غير الخالص، مثل المرائي وقاصد الدنيا.

**وثالثهم**: الذي يعمل مخلصًا لكنه على غير الأمر.

**السابعة**: المسألة العظيمة التي سبق الكلام لأجلها، وهي فرض الاجتماع في المذهب وتحريم الافتراق، فإذا فرضه على الأنبياء مع اختلاف الأزمنة

---

(١) قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

والأمكنة، فكيف بأمة واحدة، ونبيها واحد، وكتابها واحد، ودينها واحد؟

**الثامنة**: ذِكْرُهُ سبحانه فِعْلَهم الذي صَدَر منهم، بعدما عرفوا الوصية العظيمة بالاجتماع والنهي عن الافتراق، وأنهم تقطعوا أمرهم بينهم زُبرًا كل حزب بما لديهم فرحون، فذكر أنهم قابلوا الوصية بعدما سمعوها بما يضادُّها غاية المضادّة، وهو أنهم تركوا الاجتماع وتفرقوا، ثم بعد ذلك كل فرقة صنَّفَت لها كتبًا غير كتبِ الآخرين، ثم قال: كل فرقة فَرِحَت بما تَرَكَت من الهدى، وفَرِحَت بما ابتَدَعَتْهُ من الضلال. كما قيل:

**حَلَفَت لنا ألا تَخُونَ عهودها    فكأنها حَلَفَت لنا ألا تَفِي**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[1]،

فيه مسائل:

**الأولى**: التنبيه على جلالة القرآن وعظمته.

**الثانية**: التنبيه على وضوحه، وقوله ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ فيه علامة النبوة.

**الثالثة**: أن العلم بيِّن، يعرفه أهل القرآن والإيمان، وإن جهله غيرهم.

قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى آخره.

**فيه**: ذم العلو في الأرض.

**الثانية**: ذم جعل الرعية شِيَعًا.

**الثالثة**: التنبيه على كبر هذا الظلم.

---

(١) سيفسر الشيخ الآيات (من ١ - ٤٢) من سورة القصص، وهي قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾.

**الرابعة**: التسجيل عليه أنه من هذه الطائفة، فمن أراد من الرؤساء أن يكون منهم مثله فهذا فِعْلُهُ، ومَن أراد اتِّبَاع الخلفاء الراشدين فقد بان فعلهم.

**وقوله**: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى آخره.

**هذه** الإرادة القدرية، بخلاف قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ وأمثالها، فهي إرادة شرعية.

**الثانية**: أن ابتلاءهم بالاستضعاف سبب المنة عليهم، وكونهم أئمة، وكونهم الوارثين، والتمكين لهم في الأرض، وتعريف عدوهم بما يحذره، فهذه خمس فوائد نتيجة تلك البلوى.

**الثالثة**: تبيين قدرته العظيمة لعباده.

**الرابعة**: أن الحذر لا يفك من القدر[١].

**وقوله**: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ إلى آخره.

**هذا** وحي إلهام، ففيه إثبات كرامات الأولياء.

**الثانية**: أنها أُمِرَت بإلقائه في اليم وبُشِّرَت بأربع.

**وقوله**: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾.

**فيه**: حكمة هذا الالتقاط.

**الثانية**: أن اللام لام العاقبة.

**الثالثة**: أن الإنسان قد يختار ما يكون هلاكه فيه.

**الرابعة**: أن ذلك القدر بسبب خطايات سابقة.

**وقوله**: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ إلى آخره.

---

(١) أي: لاينفع.

فيه أن المرأة الصالحة قد يتزوجها رجل سوء.

**الثانية:** قولها: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ فيه محبة الفأل.

**الثالثة:** ذكر الترجي.

**الرابعة:** عدم الشعور.

**وقوله:** ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ الآية.

**فيه:** ما ابتليت به.

**الثانية:** لولا منة الله عليها بالربط.

**الثالثة:** لتكون من المؤمنين.

**الرابعة:** أن الإيمان يزيد وينقص.

**وقوله:** ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ الآية.

**فيه:** أن التوكل واليقين لا ينافي السبب.

**الثانية:** تسبب الأخت أيضًا.

**الثالثة:** عدم شعورهم مع ذكائهم وظهور العلامات.

**وقوله:** ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ الآية.

هذا التحريم قدري، وأما قوله: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ وأمثالها، فتحريم شرعي.

**الثانية:** أن هذه العلامة الظاهرة في كلامها، ولم يفهموه مع فطنتهم.

**وقوله:** ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ إلى آخره.

**فيه:** أن الرد لثلاث فوائد.

**الثانية**: تفاوت مراتب العلم لقوله: ﴿وَلِتَعْلَمَ﴾.

**الثالثة**: أن بعض المعرفة لا يسمى علمًا، يصح نفيه من وجه وإثباته من وجه.

**الرابعة**: المسألة العظيمة الكبيرة، تسجيل الله تبارك وتعالى على الأكثر أنهم لا يعلمون أن وعده حق.

**وقوله**: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾.

**فيه**: أن ذلك لا يتأتى إلا بعد بلوغ الأشد والاستواء.

**الثانية**: الفرق بين العلم والحكم.

**الثالثة**: ذكره أنه يفعل ذلك بالمحسنين، كما فعل ضده مع الذين كانوا خاطئين.

**الرابعة**: ترغيب عباده في الإحسان.

**الخامسة**: أن من جزاء الحسنةِ الحسنةَ بعدها.

**السادسة**: فيه أسرار القدر.

**وقوله**: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ إلى آخره.

**فيه**: أن الرجل الصالح قد يتسخر له الفاجر ويُنَشَّأُ في حجره.

**الثانية**: قد ييسر الكمال العظيم بسبب أعظم المكروهات.

**الثالثة**: أن قتل الرجل صار ذنبًا.

**الرابعة**: نسبة ذلك إلى عمل الشيطان.

**الخامسة**: قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾.

**السادسة**: ذكر توبته عليه السلام.

**السابعة:** ذكر مغفرة الله له.

**الثامنة:** ذكر سبب المغفرة.

**التاسعة:** شكر نعمة الخلق.

**العاشرة:** كون شكرها عدم مظاهرة المجرمين.

**وقوله:** ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ إلى آخره.

**فيه:** أن هذا الخوف غير المذموم في قوله: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

**الثانية:** أن ذلك الترقب لا يُذَمُّ.

**الثالثة:** ما جبل عليه ﷺ من الشدة.

**الرابعة:** قوله لذلك الرجل: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ أن مثل ذلك لا يُذَمُّ.

**الخامسة:** العمل بالقرائن.

**السادسة:** الفرق بين الصلاح بالقوة وبين إرادته الفساد في الأرض بالتجبر.

**وقوله:** ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ إلى آخره.

**فيه:** قوة ملكهم.

**الثانية:** ما عليه الرجل من محبة الحق وأهله.

**الثالثة:** تأكيده عليه بالأمر بالخروج، وذكره أنه له من الناصحين بعد النذارة.

**وقوله:** ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾

فيه: أن ذلك الخوف والترقب لا يُذَمُّ.

**الثانية:** استغاثته بالله مع فعله السبب.

**الثالثة:** أن كراهة الموت لا تُذَمُّ.

**الرابعة**: أن الظالم يوصف بالظلم، وإن كان في تلك القضية غير ظالم.

**وقوله**: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ إلى آخره.

**فيه**: أنه توجه من غير سبب.

**الثانية**: سؤاله الله أن يدخله الطُّرُقَ.

**الثالثة**: أن «عسى» في هذا الموضع سؤال.

**وقوله**: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ إلى آخره.

**فيه**: ما أعطي ﷺ من القوة.

**الثانية**: إحسانه إليهما في هذا الحال.

**الثالثة**: مخاطبة النساء لمثله.

**الرابعة**: ظهور النساء في خدمة أموالهن للحاجة.

**الخامسة**: تأدبهما في عدم مزاحمة الرجال.

**السادسة**: ذكرها له السبب.

**السابع**: أن المانع له عدم القوة لا الترتيب.

**الثامنة**: سؤاله ربه.

**التاسعة**: تأدبه في السؤال بذكر حاله للاستعطاف، العاشرة أن الشكوى لا تُذَمُّ.

**وقوله**: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾ إلى آخره.

فيه: التنبيه على الحياء.

**الثانية**: الثناء على المرأة.

**الثالثة**: إرسالها إلى الرجل المجهول للحاجة.

**الرابعة**: عدم إنكاره للأجرة على العمل الصالح.

**الخامسة**: قوله: ﴿لَا تَخَفْ﴾ لأنهم ليس لهم سلطان عليهم.

**السادسة**: كونهم معروفين بالظلم عندهم.

**وقوله**: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ إلى آخره.

**فيه**: أن المرأة قد تصيب وجه الرأي.

**الثانية**: ما أُعْطِيَت من الذكاء.

**الثالثة**: أن طاعتها في مثل هذا لا تُذَمُّ.

**الرابعة**: الولاية لها ركنان: القوة والأمانة، فالأمانة ترجع إلى خشية الله، والقوة ترجع إلى تنفيذ الحق.

**الخامسة**: أن الاحتياط للمال لا يذم.

**وقوله**: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ﴾ إلى آخره.

**فيه**: أن هذه الإجارة صحيحة، بخلاف قول كثير من الفقهاء مِن مَنْعِهِم الإجارة بالطعام والكسوة للجهالة.

**الثانية**: أن المنفعة يصح جعلها مهرًا للمرأة، خلافًا لمن منع ذلك.

**الثالثة**: أن هذه المهنة لا نقص فيها، كيف وقد قال ﷺ: «**ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم**»[1].

**الرابعة**: أنها صفة كمال لا يكمل إلا بها.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٦٢).

**الخامسة**: أن ذكر مثل هذا في الإجارة، وهي قوله: ﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ﴾ لا يُبطل الإجارة.

**السادسة**: المسألة الكبيرة الدقيقة، وهي قوله ﷺ: «**قضى أطيب الأجلين، أن رسول الله إذا قال فعل**»(١).

**السابعة**: تأكيد العقد بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾.

**وقوله**: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾

**فيه**: أنه قام هذه المدة أجرتُه فيها طعام بطنه وعفة فرجه.

**الثانية**: تسمية ذلك النور نارًا.

**الثالث**: هذا الفرج بعد الشدة الذي أُفرد بالتصنيف، ولم يذكروا لهذه نظيرًا ولا ما يقاربها.

**الرابعة**: أنهم مع هذه الشدة بالبرد ولا نار معهم.

**الخامسة**: أنهم ضلوا الطريق.

**السادسة**: جواز مثل هذا السفر للحاجة.

**السابع**: ذكر الموضع الذي ناداه منه.

**الثامنة**: إثبات الصفات.

**التاسعة**: الرد الواضح على الجهمية في قولهم هذا عبارة.

**العاشرة**: تقريبه نجيًّا، فذكر النداء والمناجاة لاختصاص موسى بهذه المرتبة، ولذلك ذكرها إبراهيم ﷺ إذ طُلِبَت منه الشفاعة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٣٨).

**الثانية عشرة:** كونه أُمِرَ بإلقاء العصا فصارت آية.

**الثالثة عشرة:** كونه أُمِرَ بإدخال اليد آية أخرى.

**الرابعة عشرة:** كونه ولَّى مُدْبِرًا ولم يُعَقِّبْ.

**الخامسة عشرة:** قوله: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾.

**السادسة عشرة:** تبشيره أنه من الآمنين.

**السابعة عشرة:** كونه أُمِرَ بضم جناحه من الرهب.

**الثامنة عشرة:** تسميتها برهانًا.

**التاسعة عشرة:** كونه من ربك.

**العشرون:** كونها إلى فرعون وملئه.

**الحادية والعشرون:** التعليل بأنهم قوم ظالمون.

**الثانية والعشرون:** هذه العطية العظيمة في تلك الشدة العظيمة.

**الثالثة والعشرون:** اعتذاره بقتل النفس والخوف منهم.

**الرابعة والعشرون:** اعتذاره برثاثة لسانه.

**الخامسة والعشرون:** طلبه الاعتضاد بأخيه.

**السادسة والعشرون:** طلبه الرسالة.

**السابعة والعشرون:** تعليله بخوف تكذيبهم.

**الثامنة والعشرون:** إجابة الله إياه.

**التاسعة والعشرون:** تبشيره أنه يجعل لهما سلطانًا فلا يَصلون إليهما.

**الثلاثون:** تبشيره بغلبته وغلبة أتباعه.

**وقوله:** ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ إلى آخره.

**فيه:** أنه أتاهم بآيات منسوبة إلى الله، وأنها بينات.

**الثانية:** أنهم قابلوها بما ذكر.

**الثالثة:** أنهم احتجوا بقولهم فيها بعدم سماعهم لهذا في آبائهم.

**الرابعة:** جواب موسى ﷺ.

**وقوله:** ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾ إلى آخره.

**هذا** الإنكار الذي هو غلبة الكفر.

**الثانية:** قوله لهامان: ﴿فَأَوْقِدْ لِى﴾ كيف اجترأ على الله في قول العاصين.

**الثالثة:** استدل بها الأئمة على الجهمية.

**وقوله:** ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

**وصفهم** بأن فيهم المُهْلَك، وأنهم عدموا المَنْجى، ولذلك أخذهم بما ذكر.

**الثانية:** أمر المؤمن بالنظر في عاقبتهم.

**الثالثة:** أنه أتى بلفظ الظالمين ليبين أن ذلك مختص بهم.

**وقوله:** ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾

**هذا** الجَعْلُ القدري، وأما قوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ وأمثاله، فهذا الجَعْلُ الشرعي.

**الثانية:** أن معرفة هذا يوجب الحرص على النظر في الأئمة، إذا كان منهم مَن جعله الله يدعو إلى النار، ومنهم مَن قال فيه: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾.

**الثالثة:** ذكر مآلهم في القيامة.

**الرابعة**: ما أبقى على ألسنة الناس في الدنيا.

**الخامسة**: مآلهم في الآخرة.

**وأما الزيادة التي في سورة طه**[1]، **فالأولى**: استفهام التقرير الدال على عظمة القصة والتحريض على أفهامها.

**الثانية**: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ دليل على أنه ضل الطريق.

**الثالثة**: أُمر بخلع النعلين.

**الرابعة**: إخباره أنه بذلك الوادي.

**الخامسة**: الإخبار بأنه مطهّر.

**السادسة**: تبشيره بأن الله اختاره.

**السابعة**: أمره بالاستماع.

**الثامنة**: أن أول ذلك المسائل على الإطلاق التوحيد، وهو إفراده بالعبادة.

**التاسعة**: أمره بإقامة الصلاة.

**العاشرة**: تعليل ذلك.

**الحادية عشرة**: وقت الإقامة.

**الثانية عشرة**: قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ إلى آخره، لما ذكر الإيمان بالله ذكر الإيمان باليوم الآخر.

**الرابعة عشرة**: أن علته الإيمان.

**الخامسة عشرة**: مبالغته سبحانه في إخفائها.

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ سورة طه ٩ – ٧٥ .

**السادسة عشرة:** الحكمة في إقامتها.

**السابعة عشرة:** تحذيره من صاحب السوء.

وقوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ إلى آخره.

**فيه:** سؤاله عنها، وهو أعلم.

**الثانية:** جوابه ﷺ.

**الثالثة:** أمره بأخذها ولا يخاف، فإنه سيعيدها.

**الرابعة:** أن ذلك من الآيات الكبرى.

**الخامسة:** تعليله الذهاب إلى فرعون بطغيانه.

**السادسة:** سؤاله ﷺ.

**السابعة:** أنه لم يسأل حَلَّ لسانه بل عقدةً منه.

**الثامنة:** أن مراده ليفقهوا كلامه.

**التاسعة:** أنه علّمه ما سأله لأجل يُسَبِّحانِهِ ويذكرانه كثيرًا.

**العاشرة:** تعليله بقوله: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾.

**الحادية عشرة:** إجابة سؤاله.

**الثانية عشرة:** ذكر مِنَّتِهِ عليه مِن قِبَلٍ ثمانية أمور.

**الثالثة عشرة:** نهيهما ألا يَنِيَا في ذكره.

**الرابعة عشرة:** رفقه سبحانه ومحبته للرفق.

**الخامسة عشرة:** شكواهما إلى الله تعالى الرفق.

**السادسة عشرة:** الفرق بين التذكر والخشية.

**السابعة عشرة:** شكواهما.

**وقوله:** ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ إلى آخره، فيه من الرفق والتلطف أمور:

**أحدها:** ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، فإن أطعت ما أطعت إلا هو.

**الثانية:** ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ فالمطلوب أن يرسل جيرانه ورعيته ولا يعذبهم.

**الثالثة:** ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾، قد قطع عذرك.

**الرابعة:** إضافته إلى الله.

**الخامسة:** ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾، أي هذا هو الذي فيه السلامة، التي هي مطلوبة لكل أحد، خصوصًا الملوك.

**السادسة:** ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾، أي: كما دللناك على أمور السلامة دللناك على طريق الهلاك.

**السابعة:** لم يقولا: إن العذاب لك إذا توليت. بل كلام عام.

**الثامنة:** ذكر سبب العذاب.

**التاسعة:** الفرق بين التكذيب والتولي.

**وقوله:** ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ إلى آخره.

**هذا:** جواب اللعين بهذا الكلام اللين.

**الثانية:** جواب موسى عليه السلام الجواب الباهر.

**الثالثة:** التفكر في الخلق والهداية.

**الرابعة:** جواب اللعين عن هذه.

**الخامسة**: جواب موسى ﷺ عن شبهته، وهي أن العلم أجل الفوائد عند المناظرة.

**السادسة**: ذكر العلم والكتاب.

**السابعة**: أن ذلك الكتاب ليس لخوف نسيان أو خطأ.

**الثامنة**: الاستدلال بالآيات الأرضية والسماوية.

**التاسعة**: ذكر إسباغ نعمته.

**العاشرة**: ذكر أن في ذلك لآيات لكن لهذه الطائفة.

**الحادية عشرة**: لما ذكر الأرض ذكر ما جرى لنا وما يجري لنا فيها.

**وقوله**: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾

**فيه**: الفرق بين التكذيب والتولي والإباء.

**الثانية**: ما أكثر الله له ولقومه من الآيات.

**الثالثة**: مكابرته في تسمية ذلك سحرًا.

**الرابعة**: رميه موسى بنية طلب الملك.

**الخامسة**: معارضة آيات الله بالسحر.

**السادسة**: اهتمامه بذلك الموعد.

**السابعة**: دعاء الإنصاف بقوله: ﴿سُوًى﴾.

**الثامنة**: إجابة موسى إياه.

**التاسعة**: ذكر جميع كيده قبل إتيانه.

**العاشرة**: وعظه إياهم.

**الحادية عشرة**: كونه يقول: ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾.

**الثانية عشرة**: قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ كلمة جامعة.

**الثالثة عشرة**: سرهم بينهم بما ظنوه في موسى وأخيه.

**الرابعة عشرة**: اغترارهم بطريقتهم.

**الخامسة عشرة**: ذكرهم الاجتماع والإتيان صفًّا.

**السادسة عشرة**: قوله: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾.

**السابعة عشرة**: دعواهم الإنصاف في الخصومة.

**الثامنة عشرة**: احتضار إلقائهم أولًا.

**التاسعة عشرة**: هذا السحر العظيم.

**العشرون**: إيجاس الخيفة في مثل هذا غير مذموم.

**الحادية والعشرون**: بشارة الله إياه.

**الثانية والعشرون**: أمره له بإلقاء العصا.

**الثالثة والعشرون**: ما فعلت العصا.

**الرابعة والعشرون**: القاعدة الكلية، ما فعلوا ﴿كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾.

**الخامسة والعشرون**: ما فعلوا السحرة من سرعة انقيادهم لما عرفوه فعلهم وقولهم.

**السادسة والعشرون**: كون الإيمان برب هارون وموسى.

**السابعة والعشرون**: قولهم وما ذكر أنه يفعل بهم.

**الثامنة والعشرون**: جوابهم لهذا الطاغي الغادر، وهي سبع جمل، كل جملة مستقلة.

**وفي سورة الأعراف من الزيادة**[١]: **قوله** عليه السلام: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾.

**الثانية**: استعظام الله سحرهم.

**الثالثة**: قوله: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ الآيتين.

**الرابعة**: قوله لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ لهذا.

**الخامسة**: قولهم: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

**السادسة**: قولهم: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ إلى آخره.

**السابعة**: سؤالهم الله هذه المسألة.

**الثامنة**: كلام الملأ له.

**التاسعة**: جوابه لهم.

**العاشرة**: نصيحة موسى لقومه فيها أمران وثلاثة أخبار.

**الحادية عشرة**: ردهم على موسى.

**الثانية عشرة**: جوابه لهم.

**الثالثة عشرة**: إخبار الله أنه أخذهم بالسنين ونقص من الثمرات.

**الرابعة عشرة**: ذكر الحكمة في ذلك.

**الخامسة عشرة**: أنهم لم يفهموا مراد الله بالحسنة والسيئة التي تأتيهم، بل عكسوا الأمر.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ سورة الأعراف ١٠٤ - ١٣٧.

**السادسة عشرة:** قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

**السابعة عشرة:** كون الأكثر لا يعلمون هذه المسألة.

**الثامنة عشرة:** شدة عنادهم.

**التاسعة عشرة:** ذكره إرسال الآيات عليهم.

**العشرون:** كونهم مع ذلك استكبروا.

**الحادية والعشرون:** قوله: ﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾.

**الثانية والعشرون:** كلامهم لموسى لما وقع عليهم الرجز.

**الثالثة والعشرون:** نكثهم ما قالوا.

**الرابعة والعشرون:** قوله: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ بالفاء.

**الخامسة والعشرون:** ذكره السبب.

**السادسة والعشرون:** ذكره فضله على الضعفاء.

**السابعة والعشرون:** أن ذلك سبب صبرهم.

**الثامنة والعشرون:** تدمير ما استعملوا وما كانوا يَعْرِشُون.

**وأما في سورة الشعراء من الزيادة[١]: قوله:** ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾.

**الثانية:** جواب موسى عليه السلام.

**الثالثة:** قوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

**الرابعة:** جواب موسى عليه السلام.

**الخامسة:** قوله: ﴿لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ﴾.

---

(١) قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ سورة الشعراء ١٨ - ٦٨.

**السادسة:** جواب موسى عليه السلام.

**السابعة:** قوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾ إلى آخره.

**الثامنة:** جواب موسى عليه السلام.

**التاسعة:** كونه فزع إلى القدرة لما بهرته الحجة.

**العاشرة:** جواب موسى عليه السلام.

**الحادية عشرة:** جوابه لموسى عليه السلام.

**الثانية عشرة:** عناده لما أتته الآيات.

**الثالثة عشرة:** قوله: ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾.

**الثالثة عشرة:** توسلهم بعزة فرعون.

**الرابعة عشرة:** قولهم: ﴿لَا ضَيْرَ﴾.

**الخامسة عشرة:** قولهم: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ الآية.

**السادسة عشرة:** كونه أمره أن يسري بهم.

**السابعة عشرة:** كونه ذكر لهم أنهم متّبعون.

**الثامنة عشرة:** إرساله في المدائن حاشرين.

**التاسعة عشرة:** ذكره لرعيته لما حشرهم.

**العشرون:** ذكره المقام والنعيم والكنوز والجنات التي سُلبوا.

**الحادية والعشرون:** كونه أورث الجميع بني إسرائيل.

**الثانية والعشرون:** اتّباعهم إياهم مشرقين.

**الثالثة والعشرون:** قولهم: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ﴾.

**الرابعة والعشرون**: جواب موسى عليه السلام لهم.

**الخامسة والعشرون**: ذكره أنه أمره أن يضرب بعصاه، فكان ما كان.

**السادسة والعشرون**: ذكره صفة نجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء.

**السابعة والعشرون**: تنبيه العباد علي فائدة القصة.

**الثامنة والعشرون**: هذا العجب العجاب؛ عدم إيمان الأكثر مع ذلك.

**التاسعة والعشرون**: ذكره: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

**وأما ما في سورة النمل من الزيادة**[1]؛ فقوله: ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

**الثانية**: تسبيحه في هذا المقام.

**الثالثة**: قوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾.

**الرابعة**: الاستثناء.

**الخامسة**: ذكره أن اليد في جملة تسع آيات.

**السادسة**: جحدهم الآيات مع اليقين.

**السابعة**: أن سببه الظلم والعلو.

**وأما ما في سورة يونس من الزيادة**[2]؛ قول موسى: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إلى آخره.

**الثانية**: قوله: ﴿لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾.

---

(١) قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾ إلى قوله: ﴿عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ النمل ٨ - ١٤ .

(٢) قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ يونس ٧٧ - ٩٢ .

**الثالثة:** ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

**الرابعة:** قوله: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾.

**الخامسة:** القاعدة الكلية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

**السادسة:** كونه يحق الحق بكلماته.

**السابعة:** ولو كره المجرمون.

**الثامنة:** ما آمن لموسى إلا من ذكر.

**التاسعة:** أنه على خوف من فرعون وملئه.

**العاشرة:** وصف فرعون بالعلو والإسراف.

**الحادية عشرة:** نصيحة موسى.

**الثانية عشرة:** التوكل من لوازم الإسلام والإيمان.

**الثالثة عشرة:** جوابهم وقبولهم النصح.

**الرابعة عشرة:** دعاؤهم وما فيه من الفوائد.

**السادسة عشرة:** قوله: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا﴾ إلى آخره.

**السابعة عشرة:** كون المؤمن داعيًا.

**الثامنة عشرة:** قوله في هذا المقام: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ إلى آخره.

**التاسعة عشرة:** كلام فرعون عند الغرق.

**العشرون:** ما أجيب به.

**الحادية والعشرون:** ذكر غفلة الجميع عن آياته.

**وفي سورة هود**[١]: قوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾.

**الثانية**: كونه يوم القيامة يقدمهم ويوردهم النار.

**وفي سورة الإسراء**[٢]: ذكر أن التسع كلها بينات.

**الثانية**: أمره نبيه ﷺ بسؤال بني إسرائيل.

**الثالثة**: قول فرعون له.

**الرابعة**: جوابه.

**الخامسة**: أنه عوقب بنقيض قصده.

**السادسة**: قوله: ﴿وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ إلى آخره.

**وفي سورة الحج**[٣]: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ إلى آخره.

**وفي سورة الصافات**[٤]: كون فعل فرعون معهم كرب عظيم.

**وفي سورة المؤمن**[٥]: قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾.

**الثانية**: إلى الثلاثة.

**الثالثة**: جوابهم له.

**الرابعة**: ما قالوه لما جاءهم الحق من عند الله.

**الخامسة**: أن ذلك الكيد في ضلال مبين.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾ هود ٩٦ - ٩٨.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾ الاسراء ١٠١ - ١٠٤.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ إلى قوله: ﴿كَانَ نَكِيرِ﴾ الحج ٤٢ - ٤٤.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ الصافات ١١٤ - ١١٥.

(٥) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ غافر ٢٣ - ٤٦.

**السادسة:** قوله: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ الآية.

**السابعة:** قول موسى.

**الثامنة:** كلام المؤمن وما فيه من الفوائد.

**التاسعة:** جواب فرعون.

**العاشرة:** قول المؤمن الثاني، وما فيه من الأصول، ووصف القيامة، وتذكيرهم برسالة يوسف وما فعلوا.

**الحادية عشرة:** قول: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾ إلى آخره.

**الثانية عشرة:** كون كيده في تباب.

**الثالثة عشرة:** قول المؤمن الثالث وما فيه من المعارف.

**الرابعة عشرة:** وقاية الله له مكرهم.

**الخامسة عشرة:** كونهم يُعْرَضُون على النار.

**السادسة عشرة:** استدلال العلماء على عذاب القبر.

**وفي سورة الزخرف**[1]: مقابلتهم آيات الله بالضحك منها.

**الثانية:** قوله: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ﴾ إلى آخره.

**الثالثة:** قوله: ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

**الرابعة:** خطبة فرعون وما فيه من استدلاله على النفي والإثبات.

**الخامسة:** قوله: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ﴾ إلى آخره.

**السادسة:** قوله: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا﴾ إلى آخره.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ﴾ الزخرف ٤٦ - ٥٦.

**وفي سورة الدخان**(١): قوله: ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾.

**الثانية:** وصفه نفسه بالأمانة.

**الثالثة:** نهيه إياهم عن العلو على الله.

**الرابعة:** قوله: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ﴾ إلى آخره.

**الخامسة:** قوله: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾.

**السابعة:** ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾.

**الثامنة:** عدم الإنظار.

**التاسعة:** أن فعله لهم عذاب مهين.

**وفي سورة المؤمنين**(٢): كونهم كلهم قومًا عالين.

**الثانية:** حجتهم على عدم الإيمان لهما.

**الثالثة:** التنبيه على أنهم من جملة من أهلك ليس مختصًا بهم.

**وفي سورة الذاريات**(٣): ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾.

**الثانية:** قوله: ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

**وفي سورة القمر**(٤): تكذيبهم بالآيات كلها.

**الثانية:** تكذيبهم بالنذير.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ الدخان ١٧ – ٣٠.

(٢) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ المؤمنون ٤٥ - ٤٨.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ الذاريات ٣٨ – ٣٩.

(٤) قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ القمر ٤١ – ٤٣.

**الثالثة**: ذكر العبرة لهذه الأمة فيهم.

**وفي سورة المزمل**[١]: المسألة الكبيرة لهذه الأمة.

**وفي النازعات**[٢]: قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ إلى آخره.

**الثانية**: قوله: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾

**الثالثة**: الكلمة العظيمة.

**الرابعة**: الجمع بين الآخرة والأولى.

**الخامسة**: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣]، فيه مسائل:

**الأولى**: الجواب عن قول المشركين: هذا في الأصنام، وأما الصالحون فلا.

قوله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ عام فيه ما سوى الله.

**الثانية**: أن المسلم إذا أطاع مَن أشار عليه في الظاهر كفر، ولو كان باطنه يعتقد الإيمان، فإنهم لم يريدوا من النبي ﷺ تغيير عقيدته، ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن ينتسب إلى الإسلام في إظهار الموافقة للمشركين خوفًا منهم، ويظن أنه لا يكفر إذا كان قلبه كارهًا.

---

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ المزمل ١٥ - ١٧.

(٢) قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ إلى قوله: ﴿لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ النازعات ١٥ - ٢٦.

(٣) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر ٦٤ - ٦٧.

**الثالثة**: أن الجهل وسخافة العقل موافقتهم في الظاهر، وأن العقل والفهم والذكاء هو التصريح بمخالفتهم، ولو ذهب مالُكَ، خلافًا لما عليه أهل الجهل من اعتقاد أن بذل دينك لأجل مالك هو العقل، وذلك في آخر الآية ﴿أَيُّهَا الْجَٰهِلُونَ﴾.

**وأما الآية الثانية ففيها مسائل**:

**الأولى**: شدة الحاجة إلى تعلم التوحيد، فإذا كان الأنبياء يحتاجون إلى ذلك ويحرصون عليه، فكيف بغيرهم، ففيها رد على الجهال الذين يعتقدون أنهم عرفوه فلا يحتاجون إلى تعلمه.

**الثانية**: المسألة الكبرى، وهي كشف الشبهة لعلماء المشركين الذين يقولون: هذا شرك، ولكن لا يكفر من فعله؛ لكونه يؤدي الأركان الخمسة. فإذا كان الأنبياء لو يفعلونه كفروا فكيف بغيرهم.

الثالثة: أن الذي يكفِّر المسلم ليس عقيدة القلب خاصة، فإن هذا الذي ذكرهم الله لم يريدوا منه ﷺ تغيير العقيدة، كما تقدم، بل إذا أطاع المسلم مَن أشار عليه بموافقتهم، لأجل ماله أو بلده أو أهله، مع كونه يعرف كفرهم ويبغضهم، فهذا كافر، إلا من أُكره.

**وأما الآية الثالثة**؛ ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ قرأها على المنبر، وقال: «**إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السماوات بيمينه**» ثم ذكر تمجيد الرب تبارك وتعالى نفسه، وأنه يقول: «**أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك العزيز، أنا الكريم**» قال ابن عمر: فرجف برسول الله ﷺ حتى قلنا: لَيَخِرَّنَّ به[١].

(١) أخرجه بهذا اللفظ النسائي في السنن الكبرى (٤/ ٤٠٢).

## وفيها ثلاث مسائل أيضًا:

**الأولى**: التنبيه على سبب الشرك، وهو أن المشرك بان له شيء من جلالة الأنبياء والصالحين، ولم يعرف الله ﷻ، وإلا لو عرفه لكفاه وشفاه من المخلوق، وهذا معنى قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية.

**المسألة الثانية**: ما ذكر الله تبارك وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعل هذا، وهذا قدر ما تحتمله العقول، وإلا فعظمة الله وجلاله أجل من أن يحيط بها عقل، كما قال: «**ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم**»(١) فمَن هذا بعضُ عظمته وجلاله كيف يُجْعَلُ في رتبته مخلوق لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا! هذا هو أظلم الظلم وأقبح الجهل، كما قال العبد الصالح لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

**الثالثة**: أن آخر الآية، وهو قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ينبهك على الحكمة في كونه سبحانه يغفر الكبائر، ولا يغفر الشرك، وتزرع بُغض الشرك وأهله، ومعاداتهم في قلبك، وذلك أن أكبر مسبة بعض الصحابة، مثل أبي بكر وعمر، لو يُجعل في منزلته بعض ملوك زماننا، مثل سليمان أو غيره، مع كون الكل منهم آدمي، والكل ينتسب إلى دين محمد، والكل يأتي بالشهادتين، والكل يصوم رمضان ويصلي، فإذا كان من أقبح المسبة في زماننا لأبي بكر أن يسوَّى بينه وبين بعض الملوك في زماننا، فكيف يُجعل للمخلوق من الماء المهين ولو كان نبيًّا بعض حقوق من هذا بعض عظمته وجلاله، من كونه يُدْعَى كما يُدْعَى، ويُخَاف كما يُخاف، ويُعْتَمَد عليه كما يُعْتَمَد عليه؟ هذا أعظم الظلم

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٢٤) من قول ابن عباس.

وأقبح المسبة لرب العالمين، وذلك معنى قوله في آخر الآية: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ولكن رحم الله مَن تنبه للكلام، وهو المعنى الذي نزلت فيه هذه الآيات، من كون المسلم يوافقهم في شيء من دينهم الظاهر، مع كون القلب بخلاف ذلك، فإن هذا هو الذي أرادوا من النبي ﷺ فافهمه فهمًا حسنًا، لعلك تعرف شيئًا من دين إبراهيم عليه السلام، الذي بادر أباه وقومه بالعداوة عنده، والله أعلم.

**وهذه مسائل مستنبطة من قوله تعالى:** ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾

قال الشيخ رحمه الله: فيها عشر درجات:

**الدرجة الأولى:** تصديق القلب أن دعوة غيره باطلة، وقد خالف فيها مَن خالف. الثانية: أنها منكر يجب فيها البغض، وقد خالف فيها من خالف.

**الثالثة:** إنها من الكبائر والعظائم المستحقة للمقت والمفارقة، وقد خالف فيها من خالف.

**الرابعة:** إن هذا هو الشرك بالله الذي لا يغفره، وقد خالف فيها من خالف.

**الخامسة:** إن المسلم إذا اعتقده أو دان به كفر، وقد خالف فيها من خالف.

**السادسة:** أن المسلم الصادق إذا تكلم به هازلًا أو خائفًا أو طامعًا كفر بذلك، وأنى ينزل القلب هذه الدرجات ويصدقه بها؟

**السابعة:** أنك تعمل معه عملك مع الكفار؛ من عداوة الأب والإبن وغير ذلك.

**الثامنة:** أن هذا معني لا إله إلا الله، والمألوه والإلهية عمل من الأعمال، وكونه منفيًا عن غير الله ترك من التروك.

**التاسعة:** القتال علي ذلك؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

**العاشرة:** أن الفاعل للدعوة لغير الله لا تُقبل منه الجزية كما تُقبل من اليهود،

ولا تُنكح نساؤهم كما تُنكح نساء اليهود؛ لأنه أغلظ من اليهود كفرًا. وكل درجة من هذه الدرجات إذا نزلتها تخلّف عنك بعض من كان معك، والله أعلم.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**هذه مسائل مستنبطة من سورة «اقرأ»:**

**الأولى**: الأمر بالقراءة.

**الثانية**: الجمع بين التوكل والسبب، خلافًا لغلاة المتفقهة وغلاة المتصوفة.

**الثالثة**: السر الذي في الإضافة في قوله ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ المقتضي للتوكل.

**الرابعة**: وصفه سبحانه بالخلق الذي هو أظهر آياته.

**الخامسة**: ذكر خلقه الإنسان خاصة.

**السادسة**: كونه من علق.

**السابعة**: تكرير الأمر بالقراءة.

**الثامنة**: الوصف بأنه الإكرام.

**التاسعة**: ذكر التعليم بالقلم الذي هو في المرتبة الرابعة.

**العاشرة**: تعليم الإنسان خاصة ما لم يعلم.

**الحادية عشرة**: أن الذكر بالقلب واللسان أفضل من الذكر بالقلب وحده.

**الثانية عشرة**: الحث على التواضع لقوله: ﴿مِنۡ عَلَقٍ﴾.

**الثالثة عشرة**: معنى: اعرف نفسك تعرف ربك.

**الرابعة عشرة**: معنى أن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما إلى يوم القيامة[(١)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٠٤) من قول معاذ بن جبل. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترمذي).

**الخامسة عشرة:** الجمع بين الخلق والتعليم.

**السادسة عشرة:** الدلالة على النبوة.

**الثامنة عشرة:** الرد على الجهمية.

**التاسعة عشرة:** أن الاستحالة تُطَهِّرُ.

**العشرون:** الرد على القدرية.

**الحادية والعشرون:** الرد على الجبرية.

**الثانية والعشرون:** أن العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية.

**الثالثة والعشرون:** ذكر شرف العلم.

وأما آخرها[(١)]: ففيه مسائل:

**الأولى:** أن الغنى من أسباب الطغيان.

**الثانية:** أنه ينشأ عن رؤية الغنى لا عن الغنى.

**الثالثة:** التنبيه على الفرق بين طلب العلم وطلب المال.

**الرابعة:** أن هذا وصف الإنسان، فإن خرج عن طبعه فبفضل الله وبرحمته.

**الخامسة:** الإيمان باليوم الآخر.

**السادسة:** الوعظ بذلك اليوم عن الطغيان.

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾.

**السابعة**: تسلية المَطْغِيِّ عليه بذلك.

**الثامنة**: كونه إلى رب محمد، ففيه الجزاء على الأعمال.

**التاسعة**: تقرير الشرع بالعقل، لقوله: ﴿أَرَءَيْتَ﴾.

**العاشرة**: كون ذلك النهي عن آثار الطغيان.

**الحادية عشرة**: تقرير ذلك بتصوير الحادثة أنه نهى عبدًا صلى لربه.

**الثانية عشرة**: التوقف عما لا يعلم، وإلا فلا يلوم إلا نفسه.

**الثالثة عشرة**: أن ذلك عام فيمن تنكر عليه، فيما يفعله، وفيما يأمر به غيره.

**الرابعة عشرة**: الاستدلال على الناهي واستجهاله بقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾.

**الخامسة عشرة**: الاستدلال بالقاعدة الكلية على المسائل الجزئية.

**السادسة عشرة**: أن العلم بذلك ليس هو الإقرار.

**السابعة عشرة**: أن العلم بالأسماء والصفات أجل العلوم.

**الثامنة عشرة**: الدلالة على التوحيد.

**التاسعة عشرة**: الدلالة على النبوة.

**العشرون**: أن السورة فيها ذكر الإيمان بالأصول الخمسة.

**الحادية والعشرون**: كون العقوبة قد تُعَجل في الدنيا.

**الثانية والعشرون**: ما يُرجى للحق من نصر الله للضعفاء على الأقوياء.

**الثالثة والعشرون**: أن المال والقوة قد يكونان سببًا لشر الدنيا والآخرة.

**الرابعة والعشرون**: أن بعض أعداء الله قد يُكْشَفُ له، فيرى بعينه من الآيات ما لا يراه المؤمن، كالسامري.

**الخامسة والعشرون**: الجمع بين قوله: ﴿كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ فوصفه بفساد القول والعمل.

**السادسة والعشرون**: أنه لو دعا ناديه أو دنا من النبي ﷺ لعوجل، ولكن رُفِعَ عنه ذلك لكونه ترك ما في نفسه.

**السابعة والعشرون**: النهي عن طاعة مثل هذا.

**الثامنة والعشرون**: أنه ختمها بالسجود الذي هو أشرف أفعال الصلاة، وافتتحها بالقراءة التي هي أشرف أقوالها.

**التاسعة والعشرون**: الأمر بالاقتراب من الله، ففيه معنى «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»[1].

**الثلاثون**: تسلية المُحِقِّ إذا سُلِّطَ عليه مثل هذا، وأَمْرُهُ بالصلاة.

**وأما قوله**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ الآيات، ففيه مسائل:

**الأولى**: الدعوة إلى الله، لا يقتصر على نفسه.

**الثانية**: خطابه بالمدثر.

**الثالثة**: أن الداعي يبدأ بنفسه فيصلح عيوبها.

**الرابعة**: تعظيم الله سبحانه علمًا وعملًا.

**الخامسة**: هجران الرجز.

**السادسة**: قوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.

**السابعة**: قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ فأمره بالطريق إلى القوة، على ما تقدم، فهو الصبر خالص.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٢).

**ففيها** آداب الداعي؛ لأن الخلل يدخل على رؤساء الدين من ترك هذه الوصايا أو بعضها:

**فمنها**: الحرص على الدنيا، فنهى عنه بقوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.

**ومنها**: عدم الجد، فنبه عليه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾.

**ومنها**: رؤية الناس فيه العيوب المنفرة لهم عن الدين كما هو الواقع.

**ومنها**: التقصير في تعظيم العلم الذي هو من التقصير في تعظيم الله.

**ومنها**: عدم الصبر على مشاق الدعوة.

**ومنها**: عدم الإخلاص.

**ومنها**: عدم هجران الرجز والتقصير في ذلك، وهو من أضرها على الإنسان، وهو من تطهير الثياب، لكن أفردت بالذكر كنظائره.

فأول «اقرأ» فيه الأمر بطلب العلم، وأول «المدثر» فيه الأمر بالعمل به.

**الثانية**: أول «اقرأ» فيه معرفة الله، وأول «المدثر» فيه الأدب مع الله.

**الثالثة**: أول «اقرأ» فيه الاستعانة، وأول «المدثر» فيه الصبر.

**الرابعة**: أول «اقرأ» فيه الإخلاص، والاستعانة وأول «المدثر» فيه إخلاص الصبر.

**الخامسة**: أول «اقرأ» فيه الاستعانة، وأول «المدثر» فيه العبادات.

**السادسة**: أول «اقرأ» فيه فضله عليك، وأول «المدثر» فيه حقه عليك.

**السابعة**: أول «اقرأ» فيه أدب المتعلم، وأول «المدثر» فيه أدب العالم.

**الثامنة**: أول «اقرأ» فيه معرفة الله ومعرفة النفس، وأول «المدثر» فيه الأمر والنهي.

**التاسعة**: أول «اقرأ» فيه معرفتك نفسك وبربك، وأول «المدثر» فيه العمل المختص والمتعدي.

**العاشرة**: أول «اقرأ» فيه أصل الأسماء والصفات، وهما العلم والقدرة، وأول «المدثر» فيه أصل الأمر والنهي، وهو الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك.

**الحادية عشرة**: في أول «اقرأ» ذكر العلم الذي لا يستقيم العمل إلا به، وأول «المدثر» فيه ذكر الصبر الذي لا يستقيم العمل إلا به.

**الثانية عشرة**: في أول «اقرأ» ذكر التوكل، وأنه يفتح المغلق، وأول «المدثر» فيه الصبر الذي يفتحه.

**الثالثة عشرة**: في أول «اقرأ» العمل المختص، وأول «المدثر» فيه العمل المتعدي.

**الرابعة عشرة**: في «اقرأ» ست مسائل من الخبر، وأول «المدثر» ست مسائل من الإنشاء.

**الخامسة عشرة**: في أول «اقرأ» ذكر بدء الخلق، وأول «المدثر» ذكر الحكمة فيه.

**السادسة عشرة**: في أول «اقرأ» ذكر أصل الإنسان، وأول «المدثر» فيه كماله.

**السابعة عشرة**: في أول «اقرأ» الربوبية العامة، وأول «المدثر» الربوبية الخاصة.

**الثامنة عشرة**: في أول «اقرأ» شاهد لقوله: «اعقلها واتكل»، وفي أول المدثر الصبر الذي هو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

**التاسعة عشرة**: في أول «اقرأ» ابتداء النبوة، وأول «المدثر» ابتداء الرسالة.

**العشرون**: في السورتين شاهد لقوله: العلم قبل القول والعمل.

**ومن «اقرأ» إلى آخره**[1]:

أن قريشًا صريح آل إبراهيم، وأيضًا ولاة البيت الحرام، وأيضًا خُصُّوا بنعمٍ؛ مثل الرحلتين ودفع الفيل، وأما أهل الكتاب فأهل العلم، وذرية الأنبياء، وجرى من الكل على رسالة الله ما جرى.

**الثانية**: أن هذا من الرئيسين؛ أبي لهب وأبي جهل، ذُكر عنهما ما ذكر.

**الثالثة**: أن أهل الكتاب لم يتفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم.

**الرابعة**: أنهم لم يؤمروا إلا بما تعرفه العقول، وبما ينبغي للعاقل أن يلتزمه ولا يبغي به بدلًا لحسنه وسهولته.

**الخامسة**: أن الذي استدلوا به من أشق الأشياء وأكثرها عذابًا، وينبغي للعاقل البعد عنه لقبحه وصعوبته.

**السادسة**: أن مع سهولة الذي تركوا وحسنه، وقبح الذي انتقلوا إليه ومشقته، أُشْرِبُوه في قلوبهم، فلم ينتقلوا عنه إلا بعد كذا وكذا.

**السابعة**: أنه سبحانه توعد بالنار الذين كفروا من أهل الكتاب، ومن العامة، وقدم أهل الكتاب في الذكر.

**الثامنة**: أن العامة أُشْرِبُوا حب دينهم، وصبروا على المشقة فيه، مع أنهم لا يعرفون جنة ولا نارًا، وهذا من العجائب.

**التاسعة**: التنبيه على كبر النعمة بإنزال الكتاب بذكر الليلة التي أنزل فيها.

**العاشرة**: أن له سبحانه خصائص من الأزمنة كما له من الأمكنة.

---

(١) أي السور القصيرة بعدها.

**الحادية عشرة**: أن الأعمال تتضاعف، وإن تساوت في الظاهر، بما يجل عنه الوصف.

**الثانية عشرة**: عطف الروح على الملائكة.

**الثالثة عشرة**: أن خشية الله جامعة للدين كله.

**الرابعة عشرة**: النص على العبادة بالإخلاص.

**الخامسة عشرة**: ذكر الحنفاء.

**السادسة عشرة**: عطف العبادتين على ذلك.

**السابعة عشرة**: نصه أنه دين القيمة.

**الثامنة عشرة**: بيان أن من ساء عمله شر من الجُعْلَان ولو علم.

**التاسعة عشرة**: كون الضد خير البرية.

**العشرون**: الآية الجامعة الفاذة.

**الحادية والعشرون**: ذكر شيء من تفاصيل القيمة؛ من شهادة الأرض وغير ذلك.

**الثانية والعشرون**: معاملة الإنسان ربه لقوله: ﴿لَكَنُودٌ﴾.

**الثالثة والعشرون**: كونه شاهدًا لذلك.

**الرابعة والعشرون**: نعته بشدة حب المال.

**الخامسة والعشرون**: ما فيها من ذكر الحساب والحوض والميزان، ورؤية النار، في الموقف.

**السادسة والعشرون**: إخلاص الصلاة.

**السابعة والعشرون**: إخلاص النحر.

**الثامنة والعشرون:** الأمر بختم العمل بالتسبيح والاستغفار.

**التاسعة والعشرون:** الأمر بالتصريح للكفار بالبراءة من معبوديهم.

**الثلاثون:** التصريح لهم ببراءتهم من عبادة الله.

**الحادية والثلاثون:** التصريح لهم بالبراءة من معبوديهم.

**الثانية والثلاثون:** التصريح لهم بالرضا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا.

**الثالثة والثلاثون:** بيان العقيدة السلفية.

**الرابعة والثلاثون:** البراءة من عقيدة المتكلمين.

**الخامسة والثلاثون:** الأمر بالاستعاذة مما ذكر في سورة الفلق.

**السادسة والثلاثون:** الأمر بالاستعاذة من الشيطان.

**الرابعة والثلاثون:** التنبيه على شدة الحاجة إلى ذلك، لكونه أفرد له سورة وختم بها المصحف.

**التاسعة والثلاثون:** النهي عن الهمز واللمز.

**الأربعون:** النهي عن الاغترار بالمال.

**الحادية والأربعون:** النهي عن دعِّ اليتيم.

**الثانية والأربعون:** النهي عن عدم الحض على طعام المسكين.

**الثالثة والأربعون:** النهي عن السهو عن الصلاة.

**الرابعة والأربعون:** النهي عن الرياء.

**الخامسة والأربعون:** النهي عن البخل.

**السادسة والأربعون:** النهي عن شنآنه ﷺ.

**السابعة والأربعون**: الاعتبار بأبي لهب، في كون المال والولد وشرف البيت والسيادة يُعْطَاه مَن هو من أكفر الناس.

**الثامنة والأربعون**: النهي عن حمل الحطب.

**التاسعة والأربعون**: النهي عن النميمة.

**الخمسون**: النهي عن الحسد.

**الحادية والخمسون**: النهي عن النفث في العقد.

**الثانية والخمسون**: النهي عن الوسوسة في صدور الناس.

**الثالثة والخمسون**: الإخبار برؤية الجحيم ثم رؤيتها.

**الرابعة والخمسون**: السؤال عن النعيم.

**الخامسة والخمسون**: خسران الإنسان، إلا المستثنى.

**وفيها**: ذكر النار ذات اللهب وصَلْيِها، واطِّلَاعها على الأفئدة، وكونها مؤصدة.

**وفيها**: من الأعمال الممدوحة الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والحث على الشكر بذكر الرحلتين.

**وفيها**: أن النعم إذا كانت خاصة فلها شكر خاص، والحث على الاعتبار بأيام الله بقصة الفيل.

**وفيها**: من القصص قصة الفيل والرحلتين، وقصة أبي لهب، وقصة سحر اليهود.

**وفيها**: من الوعظ العجب العجاب.

**وأما** أدلة التوحيد ففي مواضع، وأما أدلة النبوة ففي مواضع.

**وقال رحمه الله ورضي عنه:** قصة سبب نزول ﴿تَبَّتْ﴾ إلى آخرها، ففيها مسائل:

**الأولى:** ما فيها من دلائل الإلهية.

**الثانية:** ما فيها من دلائل النبوة.

**الثالثة:** ما فيها من فضائل الرسول ﷺ وقوله الحق الذي لا يقدر غيره يقوله.

**الرابعة:** أن هذا هو العقل والصواب، أعني صعود الجبل والصياح في هذه المسألة(١) ولو عَدَّه أكثر الناس سفهًا، بل جنونًا.

**الخامسة:** شدة الخطر العظيم فيمن عذل من فعل ذلك.

**السادسة:** لعل الكلمة الذي لا يلقي لها بالًا يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه، ولعله يعتقدها نصيحة أو صلة رحم.

**السابعة:** مراقبة العواقب في إعطاء الله نعم الدنيا؛ من المال والولد والبيت الرفيع والرياسة.

**الثامنة:** تعظيم أمر النميمة.

**التاسعة:** أن الولد من الكسب، ففيه دليل على **«إن أطيب ما أكلتم من**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٨) من حديث بن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: «يا صباحاه!» فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد. فاجتمعوا إليه، فقال: «يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب» فاجتمعوا إليه، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقيَّ؟» قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» قال: فقال أبو لهب: تبًّا لك! أما جمعتنا إلا لهذا! ثم قام، فنزلت هذه السورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم»[١].

**العاشرة:** أن الله سبحانه لم ينزل هذا إلا مصلحة للأمة إلى يوم القيامة.

والله ﷻ أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

**قال رحمه الله في تفسير سورة «الإخلاص»:**

عن عبد الله بن حبيب قال: خرجنا في ليلة مطر مظلمة، فطلبت النبي ﷺ ليصليَ لنا، فأدركناه، فقال: «قل» فلم أقل شيئًا. قال: قلت: يا رسول الله، ما أقول؟ قال: «**قل هو الله أحد والمعوذتين، حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء**»[٢] قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

والأحد: الذي لا نظير له. والصمد: الذي تصمُدُ الخلائق كلها إليه في جميع الحاجات، وهو الكامل في صفات السؤدد. فقوله ﴿أَحَدٌ﴾ نفي للنظير والأمثال، وقوله ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ إثبات صفات الكمال، وقوله ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ نفي للصاحبة والعيال ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ نفي للشركاء لذي الجلال.

**تفسير سورة الفلق:**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

(١) أخرجه الترمذي (١٣٥٨) وابن ماجه (٢٢٩٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٥٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٨٢) والترمذي (٣٥٧٥) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ٦٤٩).

فمعنى أعوذ: أعتصم وألتجئ وأتحرز. وتضمنت هذه الكلمة مستعاذًا به ومستعاذًا منه ومستعيذًا به.

فأما المستعاذ به، فهو الله وحده رب الفلق، الذي لا يستعاذ إلَّا به، وقد أخبر الله عمن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رَهَقًا، وهو الطغيان، فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

والفلق هو بياض الصبح إذا انفلق من الليل، وهو من أعظم آيات الله الدالة على وحدانيته.

**وأما** المستعيذ فهو رسول الله ﷺ وكلُّ مَن اتبعه إلى يوم القيامة.

**وأما** المستعاذ منه فهو أربعة أنواع:

**الأول**: قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وهذا يعم شرور الأولى والآخرة، وشرور الدين والدنيا.

**والثاني**: قوله: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ والغاسق: الليل، إذا وقب: أي أظلم ودخل في كل شيء، وهو محل تسلط الأرواح الخبيثة.

**الثالث**: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ وهذا من شر السحر، فإن النفاثات السواحر اللاتي يَعْقِدَن الخيوط ويَنْفُثْنَ على كل عقدة حتى ينعقد ما يريد من السحر. والنفاثات مؤنث، أي الأرواح والأنفس، لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة.

**الرابع**: شر الحاسد إذا حسد، وهذا يعم إبليس وذريته؛ لأنهم أعظم الحُسَّاد لبني آدم.

أيضًا وقوله: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ لأن الحاسد إذا أخفى الحسد، ولم يعامل أخاه إلا بما يحبه الله، لم يضره ولم يضر المحسود.

تفسير سورة الناس:

بسم الله الرحمن الرحيم

وأما قوله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فقد تضمنت أيضًا ذكر ثلاثة:

**الأولى**: الاستعاذة، وقد تقدمت.

**الثاني**: المستعاذ به.

**والثالث**: المستعاذ منه.

**فأما** المستعاذ به؛ فهو الله وحده لا شريك له (رب الناس) الذي خلقهم ويرزقهم، ودَبَّرَهم، وأوصل إليهم مصالحهم، ومنع عنهم مَضَارَّهم ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ أي المتصرف فيهم، وهم عبيده ومماليكه، المُدَبِّرُ لهم كما يشاء، الذي له القدرة والسلطان عليهم، فليس لهم مَلِكٌ يهربون إليه إذا دهمهم أمر، يَخْفِضُ ويَرْفَعُ، ويَصِلُ ويقطع، ويعطي ويمنع ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ أي معبودهم الذي لا معبود لهم غيره، فلا يُدْعَى ولا يُرْجَى ولا يَخْلُقُ إلَّا هو، فخلقهم وصورهم وأنعم عليهم، وحماهم مما يضرهم بربوبيته، وقَهَرهم، وأمرهم ونهاهم، وصرَّفَهم كما يشاء بملكه، واستعبدهم بإلهيته الجامعة لصفات الكمال كلها.

وأما المستعاذ منه؛ فهو الوسواس، وهو الخفي الإلقاء في النفس، إمَّا بصوت خفي لا يسمعه إلَّا مَن ألقى إليه، وإمَّا بصوت، كما يوسوس الشيطان إلى العبد.

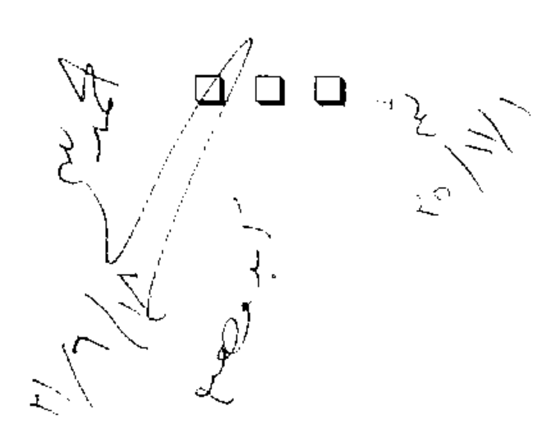
وأما الخناس؛ فهو الذي يَخْنَسُ ويتأخر ويختفي، وأصل الخنوس الرجوع إلى وراء، وهذان وصفان لموصوف محذوف، وهو الشيطان، وذلك أن العبد إذا غفَل جثَم على قلبه وبذَر فيه الوساوس، التي هي أصل الشر، فإذا ذكَر العبدُ ربَّه واستعاذ به خنَس.

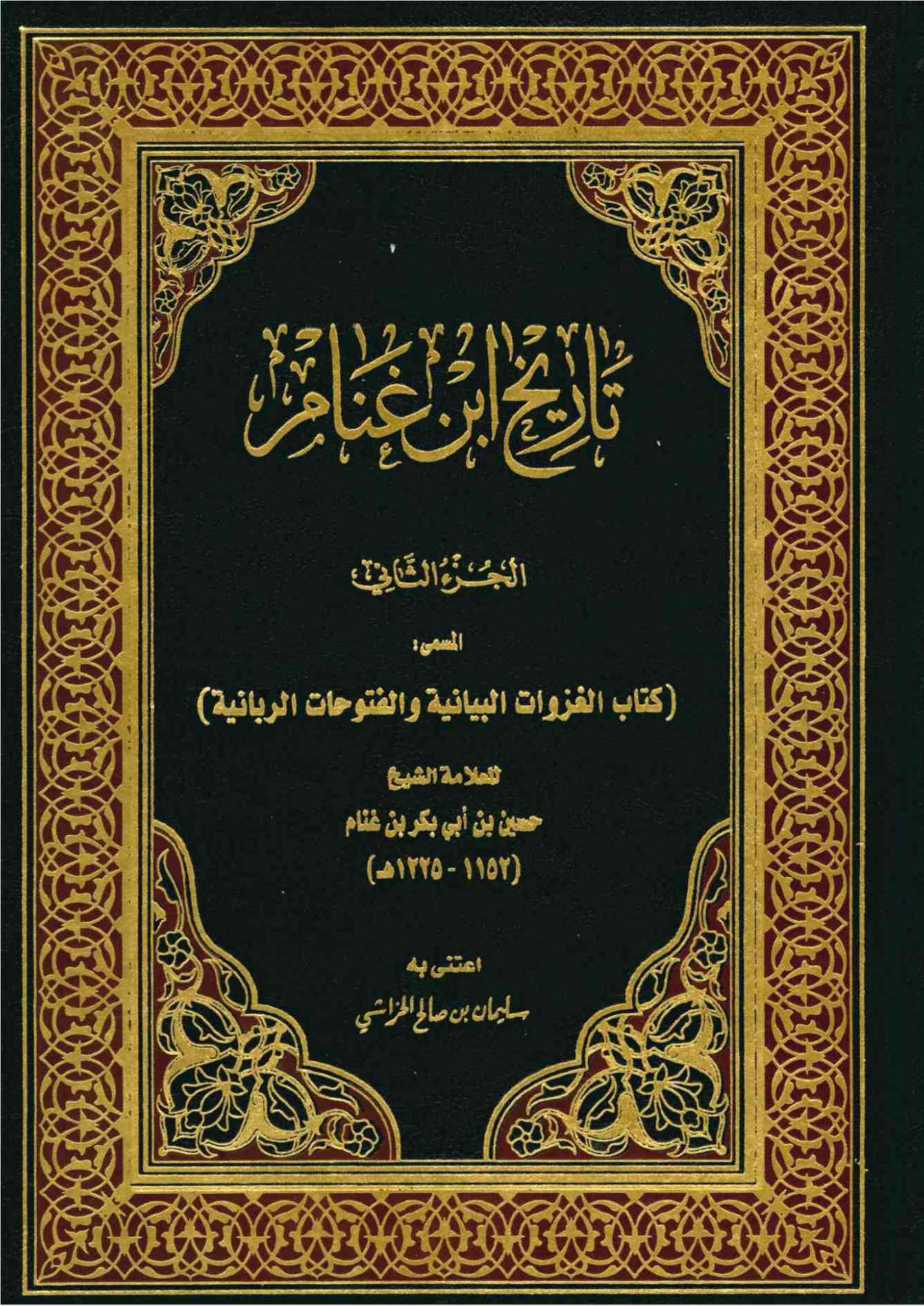
قال قتادة: الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب، فإذا ذكَر العبدُ ربَّه خنَس. ويقال: رأسه كرأس الحية، يضعه على ثمرة القلب، يُمَنِّيه ويُحَدِّثه، فإذا ذكَر اللهَ خنَس. وجاء بناؤه على «الفَعَّال» الذي يتكرر منه، فإنه كلما ذُكِرَ اللهُ انخنس، وإذا غفل عاد.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ يعني أن الوسواس نوعان: إنس وجن، فإن الوسوسة الإلقاء الخفي، لكن إلقاء الإنس بواسطة الأذن، والجني لا يحتاج إليها، ونظير اشتراكهما في الوسوسة اشتراكهما في الوحي الشيطاني، في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾ والله أعلم.

والحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

آخر ما وجدنا من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ورضي عنه، بمنه وكرمه، آمين.




تاريخ ابن غنام
الجزء الثاني
المسمى:
(كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية)
للعلامة الشيخ
حسين بن أبي بكر بن غنام
(١١٥٢ - ١٢٢٥هـ)
اعتنى به
سليمان بن صالح الخراشي

# تاريخ ابن غنام

# تاريخ ابن غنام

## الجزء الثاني

المسمى :

(كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية)

للعلاّمة الشيخ

حسين بن أبي بكر بن غنام

( ١١٥٢ — ١٢٢٥ هـ )

- رحمه الله -

اعتنى به

سليمان بن صالح الخراشي


بسم الله الرحمن الرحيم

# كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية وذكر السبب الذي حمل على ذلك

لم يزل الشيخ رحمه الله، مقيمًا في بلد العُيَنية على الحالة الموصوفة والطريقة المعروفة، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعلِّم الناس دينهم، ويُميت ما قدَر عليه من البدع، ويقيم الحدود، ويأمر الوالي بإقامتها.

**وفي تلك الأيام** جرت قضية استنكرتها قلوب أهل الزيغ والجهل والرَّدَى، الذين لم يستنشقوا مِن عَرْفِ الشريعة ريح الهدى، وهي أن امرأة من أهل العُيَينة زنت، فأقرت على نفسها بالزنا، وتكرر ذلك منها أربعًا، فأعرض الشيخ عنها، ثم أقرت، وعادت إلى الإقرار مرارًا، فسأل عن عقلها فأُخبِرَ بتمامه وصحته، فأمهلها أيامًا رجاء أن ترجع عن الإقرار إلى الإنكار، فلم تزل مستمرة على إقرارها بذلك، فكانت أقرت أربع مرات في أيام متواليات، فأمر الشيخ رحمه الله، الوالي برجمها؛ لكونها قد أحصَنَت، وبذلك الإقرار قد صرحت وأعلنت، فأمر الشيخ عند ذلك أن تُشَدَّ عليها ثيابها، وتُرجَمَ بالحجارة على الوجه المشروع، فخرج الوالي عثمان وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت، وكان أولَ مَن رجمها عثمانُ المذكور، فلما ماتت أمَر أن يغسّلوها وأن تكفَّن ويصلَّى عليها.

فلما جرت هذه القضية كثر القيل والقال من أهل البدع والضلال، وطارت قلوبهم خوفًا وفزعًا، وانخلعت ألبابهم رهبًا وجزعًا، وداخَلَهم من حصول تلك القضية السوية، والخصلة المرضية السُّنية، والفعلة المحمودة السَّنية، ما لم يعاينوا قبله مثله حزَن، ولم يعرِّج على أسماعهم في سابق الزمن، وذلك لما أَلِفُوه من الضلال والشرك، وما عاشوا فيه من الفواحش والإفك، كيف وقد

أتاهم ما لم يحتسبوا! ودَهَمَهم ما لم يرتقبوا! وطاف بهم ما لم يسعهم منه أن يهربوا، ومَجَّت الأسماع، ونفرت تلك الطباع، ما ليس لهم به دفاع، مع كونه الحكم المشروع بالسنة والإجماع!

فيالله العجب! كيف تنكر القلوب والعقول سنة الرسول، وتطاولت ألسنة العلماء على مَن نَصَر الشريعة وحَميت، ولكن الحب يُعمي ويُصِمّ، لم يكن لهم عدول ولا إباء، عن سنة الأسلاف والآباء، وكذلك شأن النفوس، إلى الباطل تميل، ولا يجد وازعًا في نفسه إلى الحق إلا القليل، ونحمد الله المولى الجليل أن جَعَل الشيخَ مِن هذا القبيل، وبنصر السنة كفيل.

ثم إن الشيخ لما أعياهم ردّ ما قاله من تلك المسائل الجليلة، عدلوا إلى ردها بالمكر والحيلة، فشَكَوه إلى شيخهم الظالم سليمان آل محمد رئيس بني خالد والحسا، وكان قبَّحه الله مغرمًا بالزنا، مجاهرًا به غير مختفٍ بذلك، وحكاياته في ذلك مشهورة، وقصصه فيه غير محصورة، فأغرَوه به وصاحوا عنده، وقالوا إن هذا يريد أن يخرجكم من ملككم، ويسعى في قطع ما أنتم عليه من الأمور، ويحسم مادة الأمكاس والعشور! فلما خوَّفوه بزوال محبوبه وتفويت مطلوبه، كتب إلى عثمان المذكور يأمره بقتله، أو إجلائه عن وطنه، وألزم عليه في ذلك غاية الإلزام، وشدد عليه في حصول القصد والمرام، وصرح له في المكتوب بأنك إن لم تفعل المطلوب فما لك عندي مستباح، وليس علينا في ذلك من جناح. فآثَرَ الدنيا على الدين، وسلك منهج المُبْطِلين، وأمر الشيخ بالخروج، ولم يكن إلى قتله سُلَّمٌ ولا عُرُوج، وذلك لما اقتضته الحكمة الإلهية والعناية الصمدانية، من إحياء دارس السنة المحمدية والآثار السلفية.

فخرج الشيخ إلى بلد الدِّرعية والسدَّة المرعية المحروسة، إن شاء الله، عن كل بلية، فنزل على عبد الله بن سويلم تلك الليلة، فأقام عنده ذلك اليوم، ثم

بعده انتقل إلى تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم، فلما سمع بذلك الأميرُ محمدُ بن سعود، أسكنه الله دار الخلود، قام من فَوره مسرعًا إليه، ومعه إخوته ثنيان ومشاري، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم، فسلم عليه، وبادره بالقبول والتقبيل، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولادَه مِن جميع مَن عاداه وكادَه، إلا أنه طلب من الشيخ ﷺ، العهد والميثاق ألا يرحل عن بلده إلى سائر الآفاق، وهذا من عناية الله تعالى بهذا الرجل وتوفيقه، وإهدائه إلى سبيل الخير وطريقه، و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

وكان الأمير محمد بن سعود في جاهليته بحسن السيرة معروفًا، وبالوفاء وحسن المعاملة موصوفًا، مشهورًا بذلك، دون مَن هنالك، فعند ذلك أعطاه الشيخ عقد المرام ألا يخرج عنه إلى بلاد، وبعد ذلك قام يدعو الناس إلى ما خُلِقُوا لأجله، ويحث على ذلك بخَيْلِه ورَجِلِه، حسب الاستطاعة، لا يفتُرُ عن ذلك ساعة، وكذلك قام معه وزراؤه وأعوانه وأنصاره، من أهل الدرعية وإخوانه، ومن مشاهيرهم ثنيان بن سعود ومشاري بن سعود وفرحان بن سعود والشيخ أحمد بن سويلم والشيخ عيسى بن قاسم ومحمد الحزيمي وعبد الله بن دغيثر وسليمان الوشيقري وحمد بن حسين وأخوه محمد وغيرهم، فجرَّدوا للدعوة أمضى سِنَان، وأرْخَوا في ذلك العنان، من غير تراخٍ ولا تَوَانٍ، وشَهَروا سيف العزم، وباتر الهمة والحزم، جزاهم الله خيرًا.

**وكانت هذه الأمور المذكورة، والأفعال المقررة المسطورة، في حدود سنة سبع وخمسين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية**، فلما استقر به القرار، في محروسة تلك الديار، وساعده على إعلان تلك الدعوة للملك القهار، مَن ذكرناه آنفًا من الأخيار، حشرهم الله في زمرة الأبرار، فبقي، رحمة الله عليه وأجزل

ثوابه لديه، قريبًا من سنتين، من غير شك ولا مَين، يناصح الناس ويكشف عن الحق حجب الالتباس، ويشيد السنة النبوية أقوى أساس.

وفي خلال هذه المدة أقبل إلى الدرعية للهجرة، مَن أحسن الله قصده، منهم: عبد الله بن محسن وإخوانه زيد، وسلطان المعامرة، وعبد الله بن غنام وأخوه موسى، وهاجر مع هؤلاء خلق كثير. وبعد أيام قليلة لم يجد عثمان عن القدوم على الشيخ وابن سعود من حيلة، لما رأى من جماعته وشاهده، وعلم أن الله رفع للدين مصاعده، فأقبل إليهم وقدم عليهم، وحاول الشيخَ في الرجوع إلى بلده، فأحال الأمر على محمد بن سعود، فأبى ولم يسعفه بالمقصود، فرجع على عقبه، ولم يفز بغاية طلبه، فأضمر العداوة والشر، وجدَّ في الغدر والمكر.

**وفي أثناء تلك المدة أيضًا** ناصح الشيخُ والأميرُ محمد بن سعود دهامَ بن دواس، رئيس البلدة المعروفة بالرياض، فاجتهدوا في ذلك غاية الاجتهاد، فلم يكن له إلى قَبُول الحق ارتياض، بل أعرض عنه نهاية الإعراض، واعتاض الدنيا عن الآخرة، وبئس الاعتياض، وحمله على ذلك البغي والحسد، الذين قل أن يخلو منهما جسد، وينجو منهما أحد، وإلا فهو قد أقر بأن هذا هو الدين، وأن ما يدعو إليه هو الحق المبين، وقد صح النقل عنه، والنطق بذلك منه، ولكن حقت عليه كلمة العذاب، وسبق له ذلك في أم الكتاب، فأبطن عداوة هذا الدين، وأظهر موالاة المبطلين.

وكان هذا الدين قد فشا في بلده ودخل فيه كثير منهم، فإذا رأى مِن جماعته مَن يُحب هذا الدين ويفشيه، أخذ يصادره ويؤذيه، وإذا رأى عدوًّا يُقرِّبُه ويؤيه، فجعل يتزايد في العداوة، ويتظاهر بقمع الحق لما كتب له من الشقاوة، ويعلن بالقبائح الشنيعة والفضائح الفظيعة، إذ كانت من أخلاقه القديمة وأفعاله القبيحة الذميمة.

وكان أبوه رئيسًا في بلد منفوحة متغلبًا عليها، فقَتَل أناسًا من جماعته من المزاريع ظلمًا وعدوانًا، فبقي بعد ذلك زمانًا ثم مات، وتولى بعده ابنه محمد، فقام عليه ابنُ عمه زامل بن فارس، هو وبعض أهل منفوحة فقتلوه، وأجْلَوا إخوانه، ومِن جملتهم دهام وإخوته عبد الله وتركي ومشلب وفهد، فاستوطنوا الرياض، وكان واليها إذ ذاك زيد بن موسى أبا زرعة.

فلما قُتل زيد المذكور، على غير سبب مأثور، وكان الذي قتله أحد بني عمه، وكان معتوه العقل، صعد عليه، وهو نائم في عليّةٍ له[1]، فذبحه بسكين معه، فلما قتله جاءه عبد لزيد يقال له خميس، فقتله ورماه من رأس العليّة، فتغلب العبد المذكور على بلد الرياض، وكان أولاد زيد إذ ذاك صغار، وزعم أنه قابض لهم حتى يتأهلوا لذلك، فأقام واليًا عليها مدة يسيرة نحو ثلاث سنين، ثم هرب خميس من الرياض خوفًا من أهلها؛ لأمور جرت منه، فأقام في الحائر مدة، ثم أتى منفوحة، فأقام بها مدة، ثم عدا عليه رجل من أهلها، كان قتل أباه زمن رياسته على الرياض، فقتله.

ثم بقيت الرياض مدة يسيرة بلا رئيس، وكان دهام بن دواس مدة تغلب خميس على الرياض خادمًا له، فلما بقيت الرياض بعد هروب خميس بلا رئيس، ترأَّس فيها دهام بن دواس، بشبهة أن ابن زيد أبا زرعة هو ابن أخت دهام، فزعم أنه يكون نائبًا عنه في ذلك حتى يكبر ويعقل، ثم بعد ذلك يتخلى له عن الولاية وينصل، وهيهات الرجوع عن الأخلاق والطباع، وردع النفوس المجبولة على البغي والأطماع، فجرى مع ابن أخته على عادته وسنته، وعامله بما رسخ فيه مِن جَوْرِه وسطوته، فأجلاه عن البلاد، وأخلفه ذلك الميعاد.

---

(١) العليّة: سطح البيت.

فبعد صدور هذه القضية، واشتهاره بهذه الفعلة الردية، كرهه أهل الرياض، وسَعَوا في عزله، إذ لم يكن لهم حيلة إلى قتله، فاجتمعوا عليه، وأحاطوا بقصره وحصروه فيه، وكانوا عامة وغوغاء، ليس لهم رئيس يرجعون إلى أمره، ولا مصدر يصدرون عن رأيه وفكرته، فأرسل أخاه مشلبًا راكبًا فرسًا إلى محمد بن سعود أمير الدرعية، يطلب منه النجدة والنصرة على تلك الرعية، ويتضرع أن يعينه على دفع تلك البلية، فعند ذلك قام له محمد بالنصرة أتم قيام، وأرسل إليه من الجنود فئام، ورئيسهم مشاري بن سعود، فبلغ دهام بمجيئهم المرام والمقصود، فخرج من قصره مع تلك الجنود، وقتلوا من أهل الرياض ثلاثة أو أربعة رجال، ثم فروا بلا توانٍ ولا إمهال. فبعدها قر ملكه فيها، وأقام رئيسها وواليها، وأقام مشاري عنده شهور، ولم يتوقع ما صدر من الخبيث من الشرور، فاستفحل أمره وتعاظم فُجْرُه ونُكْرُه، وتزايد على الرعية شَرُّه، وتوالَى عليهم ضَرُّه، وتظاهر بأمور، وأعلن بفجور، تحاكي الأفعال النمرودية، والقضايا الفرعونية.

**فمنها** أنه غضب يومًا على امرأة، فأمر بفمها أن يخاط، ويتكرر في شفتيها تردد المخاط.

**ومنها** أنه غضب يومًا على رجل، فقطع من فخذه قطعة، وقال: لا بد أن يُسِيغَهَا مُضغة مُضغة. فحاول الرجل المعذَّب، بعد أن لم يجد له مهرب، أن يأكلها بعد أن تشوى، فلم يسعفه بذلك، فأكلها، نعوذ بالله من البلوى.

**ومنها** أنه غضب يومًا على رجل مسجون، ذُكِرَ له أنه فَكَّ بأسنانه الحديد، فأمر بمقمعة من حديد، فضُربت بها أسنانه، فتساقطت في مرة بلا ترديد.

**ومنها** أنه غضب على رجل آخر، فأمر بقطع لسانه، فقطعه بعض أعوانه.

وله قضايا مثل هذه كثيرة، ونظائر محققة شهيرة.

فلم يزل في تلك الحال، وأهل بلده يُعَانون منه التنكيل والوبال، ثم لما منَّ الله تعالى بظهور هذا الدين، ولمعت شوارق الحق المبين، ونادى منادي المولى الكريم ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾، دُعِيَ دهام إلى هذا الحق الواضح، والبرهان الساطع اللائح، فأبى ونفر، وأعرض واستكبر، بل صد الخلقَ عن الدخول فيه وحذّر، وأخذ يسعى لأهله بالمكائد، ويترصد في عداوتهم المراصد، ويستليح[1] كل معاند وجاحد.

فأول ما تظاهر في هذا الدين بالعداوة والحرابة، وجمع لذلك أعوانه وأحزابه، أخزاه الله تعالى وجعل النار مآبه، أنه خان بأهل منفوحة، وهم إذ ذاك قد دخلوا في هذا الدين، وللأمير محمد بن سعود من المتَّبِعين، وهو إذ ذاك مُظْهِرٌ لمحمد بن سعود الصداقة والاتفاق، ولم يتبين منه قبل هذه الخيانة شقاق.

وحاصل ما جرى منه، وصفة ما صدر عنه، أنه عدا عليهم صباحًا، ومعه بعض البوادي، فرقان من آل ظفير، وأهل منفوحة على غرة وغفلة، لم يتبين من العداوة لهم شيء، فكمن لهم في أحد دور البلد ليلًا، وأمر البوادي والخيل أن تُغِير على بعض الزروع والنخيل، لكي يخرج أهل البلد، فيعقبهم الكمين على البيوت، فلما أصبح الصباح، وغارت الخيل والبادية على النخيل، وفزع أهل البلد عليهم، ولم يبق في البلاد أحد من المقاتلة، خرج الكمين ودهام معهم، فلم يخطئوا قصر الإمارة، فصعدوه وقهروا البلد، وأقاموا في ذلك ساعة، فلما

---

(١) جاء في «لسان العرب» (مادة: لوح): «ألاحَ بثوبه ولَوَّح به: أخذ طَرَفَه بيده من مكان بعيد، ثم أداره ولمَع به؛ ليُرِيَهُ مَن يُحب أن يراه». فلعل معناها: يستميل، ويتعاون مع كل معاند وجاحد.

علم بذلك مَن خرَج، رجَع على عقبه وانزعج، وهموا بالرحيل والنقلة، بلا تثبيط ولا مهلة، حتى أن الله أعقبهم بالنصر والفرج، فانشرح صدر كل موحِّد وابتهج.

وسبب ذلك أن علي بن مزروع، وطائفة معه من أهل الدين، ثبت الله أقدامهم، وأعانهم وأعظم إكرامهم، صعدوا بعض البيوت المشرفة على قصر الإمارة، وبقُوا يرمونهم منه حتى قتلوا منهم أناسًا، فلما أعيتهم الحِيَل وضاقت عليهم السبل، وتحققوا أنهم إن بقُوا ساعة هلكوا، بعدما جزموا أنهم ولوها وملكوا، رموا بأنفسهم من وراء الجدار، إذ لم يكن لهم على معاينة الحِمَام اصطبار، فهربوا وقد لبسوا ثياب الخزي والخيانة والعار، وتَرَدَّوا برداء الرَّدَى والشَّنَار، وصار عقبى مَن ناوأهم وأخفاهم عنده في تلك الدار، شناعة السمعة وحلول الدمار، وقُتل مِن أشرارهم ورؤسائهم وفُجَّارِهم درع الصمعر وخضير الصمعر وزهمول الفضلي، وغيرهم نحو الأحد عشر، وأصيب دهام صوابين، وقُتِل حصانه، وقُطِعَت أصابع رجله، وهرب هو ومَن معه، يَعَضُّ أنامله من شؤم فعله، ويتجرع حرارة الجرح والصَّلَف، ويتحسى مرارة الندم والأسف.

ثم لمَّا تظاهر بعداوة الدين وعداوة ابن سعود، وتمزَّى بذلك وتميَّز، وسوَّل له الشيطان أنه للسياسة قد أحرز، حاربه ابن سعود، فلما تيقن ذلك، حمله الشيطان من التِّيه والطغيان، على نذر جَزُور لتاج بن شمسان؛ إن قطعَ ابن سعود عليَّ الفواره[1] عادِين على بلادي، فلما بلغ ابن سعود وإخوانه المسلمين ذلك، تعاهدوا على أن أول عدوة يعدونها عليه تكون في قصره، فوَفَّوا بذلك الوعد، وبذلوا لتحقيقه الجهد، فأتوا إلى باب القلعة التي فيها قصره، فشذبوا الباب

(١) غرب مدينة الرياض، أصبح الآن حيًا من أحيائها.

بالمنشار، ودخلوا بيت ناصر بن معمر وتركي بن دواس، فعقروا فيهما إبلًا كثيرة، ورمَوه بالرصاص وهو في عِلّيته، ثم خرجوا سالمين، ولله الحمد.

ثم بعد ذلك بيسير عدا ابن دواس على العماريّة[١]، فقتل عبد الله بن علي وعقروا أبله، فلما بلغ ابنَ سعود ذلك جمع أهل الدرعية وأهل عرقة، فرأى أنه يرصدهم ويكمن لهم في فيضة لبن[٢]؛ لأنها طريقهم الذي يرجعون منها، وكان ابن دواس قد كمن فيها، ورصد هو وإخوانه خوفًا على عدوته أن يشد عليهم الطريق، ولم يشعر بذلك ابن سعود وجماعته، حتى توافى الفريقان في الفيضة، واقتتلوا ساعة، ثم انهزم دهام وجماعته، والمسلمون بأثرهم، حتى طلعت عليهم عدوة ابن دواس التي صدرت من العمارية، فلم يشعر المسلمون إلا وهم خلفهم، فانكسروا، ولم يقتل إلا رجلان أو ثلاثة منهم، أكرمهم الله بالشهادة، ورجع كل منهم وقصد بلاده.

**ثم بعدها بمدة يسيرة** جرت واقعة مذكورة شهيرة تدعى وقعة الشياب؛ لأنه قد قُتل منها شياب من آل ابن شمس من أهل الرياض، وصفتها أن عثمان بن معمر مع جماعته من أهل العُيَينة، ومحمد بن سعود مع جماعته من أهل الدرعية، ساروا جميعًا إلى أهل الرياض، فلما قربوا من البلد، أغار بعضهم على نواحيها وكمن بعضهم، فخرج دهام مع أهل الرياض، فالتقَوا بمكان يسمى الوشام[٣] خارج السور، فلما خرج الكمين عليهم انهزموا، ولم يأل أحد على أحد، بل كل منهم عربد وشرد، وقُتل منهم نحو العشرة من المشهورين، منهم أحمد بن علي بن ناصر وشايبان من آل شمس.

---

(١) بلدة تقع شمال غرب الرياض بحوالي ٢٠ كم.

(٢) غرب الرياض.

(٣) روضة معشبة تجتمع فيها السيول. أصبح الآن من أحياء مدينة الرياض.

**ثم بعدها** الوقعة المسماة بوقعة العبيد، وذلك أن ابن سعود خرج في أهل الدرعية، وقراها خاصة، وسار على أهل الرياض، وعبأ كمينه في جرف يقال له جرف عبيان، ثم أغار على البلد، فخرج ابن دواس ومَن معه مِن المقاتلة خارج السور، فلما التقى الفريقان خرج الكمين، فرجع دهام ومن معه مكسورًا، وقُتل منهم نحو العشرة، غالبهم عَبِيد، ولهذا سميت بهم الوقعة بلا ترديد، وتسمى أيضًا وقعة غيبة؛ لأن القتلة بقُوا فيها أيامًا بلا دفن، وكفى بذلك مصيبة، وبقي دهام بعدها متحسرًا، وفي أمره متندمًا متحيرًا، إلا أنه للحرب في تهيؤ واستعداد، وفي التأهب للملاقاة وجمع الأمداد، طلبًا للمقاضاة والأخذ بالثأر ليشفي الفؤاد، فأجمع أمره، وصمم رأيه وفكره، أن يأتي إلى الدرعية ويغير، ويجعل الكمين فيما خفي من الحفير، فجمع الحاضرة والبادية، فأصبحت خيله على البلاد عادية، فخرجوا إليه سراعًا، ولم تألوا المقاتلة غير القتال دفاعًا، بل باعوا النفوس دفعًا عن الحرم، حتى كشفه الله تعالى فانهزم، غير أن المسلمين لما ظهر عليهم الكمين، ولى غالبهم مُدْبِرين، وقُتل خمسة من المسلمين، ومن مشاهيرهم فيصل ابن الأمير محمد بن سعود، وأخوه سعود ابن الأمير محمد. وكان الأمير محمد، رحمة الله عليه، حين خرج ورأى أن الغارة لم تُفِدْ، ولم تعرج على نقص أحد، أشار برأي مبارك ميمون، وهو أنهم إلى بلادهم يرجعون، ولا يناشبونهم القتال، خوفًا من الكمين بالرجال، ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورًا، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

وبعد هذه شمّر الأمير محمد للحرب ساعده، ولم تكن همته عن القتال قاعدة، بل كانت إلى ذُرَى المعالي صاعده، وفي هذه الواقعة من الفوائد النافعة والمصالح الجامعة، لمحمد والمسلمين، ما لا نَحُدُّه ولا نَعُدُّه تحريرًا ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ **وكانت هذه الوقائع المسطرة، والأفعال المقررة، في حدود السنة التاسعة والخمسين بعد المائة والألف.**

**ثم دخلت سنة الستين بعد المائة والألف.**

وفيها وقعة تسمى وقعة دلقة[1] وذلك أن أهل العُيَينة وأهل حُرَيْمِلَاء وأهل الدِّرْعِيَّة وقُرَاها وأهل منفوحة، خرجوا في ربيع الأول يريدون الرياض ومصادمة أهلها فيها، فانفلت رجل من أهل حريملاء يقال له أبو شيبة من آل داود، فأنذر دهام وجماعته، فلم يأتهم المسلمون إلا وهم مستعدون للقتال، فصبحهم المسلمون في جوف البلد، فلذا سميت وقعة دلقة فاقتتلوا فيها قتالًا شديدًا، وحمي القتل عند باب القصر، والتقى دهام بن دواس مع حمد بن محمد بن منيس، وكان فاتكًا، وتقاتلا رَجِلَيْنِ، فضرب حمدُ بن محمد دهامًا ضربات بالسيف في جسده ورأسه، حتى أتى موسى بن عيسى الحريص إلى حمد بن محمد من خلفه، فقتله وصار سببًا لسلامة دهام، بعد أن أشرف على الحِمَام، ثم لم يكن جزاؤه له مع فعله فيه الجميل إلا المعاقبة والتنكيل؛ وذلك أن موسى بن عيسى بان له الإسلام وأراد الهجرة، فذُكِرَ ذلك لدهام، فأمر بقطع يده ورجله فقُطِعَتَا، ونَفَاه إلى الدرعية، فلم يبرح إلا ثلاثة أيام فمات.

وقُتل ذلك اليوم من أهل الرياض محمدُ بن سودا وسرحان البكاوي وابن مسيفر وثمانية غيرهم، وأما الجراحات فكثير، واستُشهد من المسلمين حمدُ بن محمد وحمودُ بن حسين بن داود وسليمانُ الزير وحسن الشميري وغيرهم. وكانت تلك الغزوة من غير رضا عثمان بن معمر ومشورته، لما يتهمونه من النفاق وموالاته لأهل الباطل خفية، إلا أن هذه الوقعة زادته رجسًا إلى رجسه، وخَبُثَ بها دَغَلُ نفسه.

ثم لما رجع كلٌ إلى بلده، وآب إلى مسكنه ومعهده، ومر أهل حريملاء على

---

(١) موضع في الرياض. «معجم مدينة الرياض» (ص ٤٠).

العُيَينة، طلب عثمان بن معمر من أمير حريملاء محمد بن مبارك العهد والميثاق، على الإخاء والمصافاة والاتفاق، وذلك لما أبطن من الشر، كما كان شأن ذوي النفاق، مع أن قلبه قد مُلِئَ من الرعب والوجل، وخالطه الخوف والذل والخجل، ثم إن عثمان غشيه الندم، وجلَّله الفشل، حيث لم يكن مع الغُزاة قد عزم، وخشي وقوع الإذلال والإهانة، وتصديق ما يُرمَى به من النفاق والخيانة، فأرسل إلى الشيخ وإلى الأمير محمد بن سعود، يستشفع إليه بكل صديق وودود، في قبول العذر والاعتذار، والصفح عن التخلف الذي صار، فقَبِلَا منه جَلِيَّ عذره، رجاء منهما ألا يعود إلى مكره، ثم إنه قدم إليهم ووفد عليهم، ومعه وجوه أهل حريملاء والعُيَينة، وعاهد الشيخ ومحمد بن سعود على الجهاد، والقيام بالنصرة والاستعداد، ولو إلى أية بلاد، فتوهموا فيه الصدق والوفا، وغاب عنهم ما كمن بقلبه واختفى، فعندها رأَّسُوه وكبَّرُوه، ورفعوه على المسلمين وأمَّرُوه، وصار ابن سعود له منقادًا، ولأمره طالبًا مرتادًا، ولا يخالفه ولا يشاققه، بل يتابعه ويوافقه، في السفر والبلاد، والغزو والجهاد.

وكان من أعظم ما على عثمان به نُقم، وأوضح ما رُمي به واتُّهِم، أنه أرسل إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمداء، وأمره أن يركب إلى دهام مع جماعته، ويَسُوسُه ويزين له الاتفاق مع عثمان والقدوم عليه إلى العيينة، ويتفوه في المجالس والمحافل، أنه لمنهج الإصلاح مائل، ولتكثير سواد المسلمين فاعل، والله أعلم أنه خائن خاتل، فحسَّن له تلك الأفعال، وقدم إبراهيم مع دهام بلا إمهال، فاجتمعوا عند عثمان في ذلك المكان، وكان ذلك من غير مشورة للشيخ وابن سعود ولا غيرهم من الأعيان، فصار سببًا لما ناله من الذل والهوان، فحين علم بذلك أهل البلد، ورأوا دهامًا إليه قصد، شق عليهم ذلك وعابوه، ولكنهم من الفتك به هابوه، وذلك أنهم عرفوا مراده وقصده، وتحققوا ما بذل فيه طاقته

وجهده، لما يشاهدونه منه، ويأثرون عنه، من موالاته أهل الضلال والمبطلين، وإبعاده عن حزب الموحدين، فاجتمع أهل البلد جميعًا، وساروا إليه سريعًا، فلما اجتمعوا عنده، ورأى ما أصابهم من الكآبة والشدة، مَوَّه عليهم مطلوبه وقصده، وقال لهم: ليس لي مراد، إلا الإرسال للشيخ من تلك البلاد، حتى يحضر عقد الصلح، ويتم بمجيئه المرام والصلح، ويدخل دهام في دائرة الإسلام، ويحكم عليه العهد غاية الإحكام، فاطمأنت نفوس القوم، لأجل قوله ذلك اليوم.

ثم إنه أرسل إلى الشيخ تلك الليلة، وأعملوا في قدومه الحيلة، يحثه على المجيء والحضور، ويستدعيه إلى ما دبره من الأمور، وقد ألقى الله في رَوْعِ الشيخ خيانته، وتحقق أنه لم يُوف أمانته، بل حُكى أن الشيخ جاءه النذير، يحذره عن الحضور والمسير، وأبدى غاية الامتناع، وتعذر عن الموافاة والاجتماع، فلما أخبرهم الرسول، بعدم القدوم والمثول، عرف المسلمون من أهل البلد، ما أعمله عثمان من المكر واجتهد، فحصروا ابن دواس في قصر عثمان، وهموا به إذا خرج بلا استئذان، فلما جنَّ الظلام خرج دهام هاربًا، ولبلده طالبًا، وللهوان والخزي كاسبًا، وكان صدور هذا الأمر منه، والتفوه بالمكر عنه، قبل أن يأتي إلى الشيخ والأمير محمد، ويأخذ منهما العهد المجدد، فلما تحقق عثمان من جماعته الغيظ والغضب، خاف من وقوع الشقاق وارتقب، وأخذ يصانعهم ويرضيهم بقوله، ويعتذر إليهم مما صدر عن فعله، لعلهم إلى ما كانوا من محبته يرجعون ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

ثم لما أبطل الله تعالى كيدهم وما أرادوا، وعلموا أنهم تضمخوا بقذر الخيانة وما أفادوا، ووصل إبراهيم بن سليمان إلى ثرمداء، تدرع لباس الحرابة وارتدى، وتنصل عن الدين واعتدى، وفارق منهج الحق والهدى، وبادر المسلمين بالحرب وابتدا.

**ثم دخلت السنة الحادية والستون بعد المائة والألف.**

**وفيها** جرت وقعة تسمى وقعة البنية[١] وذلك أن عثمان بن معمر لما أُعطِيَ العهدَ وأُمِّرَ، كما ذكرنا، سار بمن معه من أهل العُيَينة وأهل حُرَيملاء ومحمد بن سعود وأهل الدرعية وقراها وأهل ضرما إلى الرياض، فأتوها من شرقيها يمشون في وادي الوتر، حتى نزلوا بين العود والبنية، فلم يجر ذلك اليوم قتال، إلا أن رجالًا من المسلمين تراموا مع أهل البلد من بعيد، فقُتل من أهل الرياض سليمانُ بن حبيب وأناسٌ معه، وأصيب منهم كثير، ودخل قلوبَهم من الرعب أمرٌ كبير، واستُشهد من المسلمين عبدُ الله بن عبيكة وابن عقيل.

فلما كان آخر اليوم سار المسلمون إلى منفوحة، وأقاموا بها ثلاثة أيام، يتداولون الرأي ويبرمونه غاية الإبرام، حتى انتظم الرأي واتفق، واجتمع الفكر واتسق، على المسير إلى الرياض والمكابرة، ومنازلتهم بالجد والمصابرة، فتعبأ المسلمون للقتال، وافترقوا فرقتين للمحال، فعمدت فرقة إلى صياح[٢]، فدخلوه وقت الصباح، فاستولوا على ما فيه من الأموال، وذلك بعد شدة القتال، وقُتل من مشاهيرهم موسى بن عبد القادر. والفرقة الأخرى ساروا أهل حريملاء وأهل عرقة، فعمدوا إلى مقرن[٣]، فدخلوها حتى وصلوا إلى الظهيرة، وكان جملة أهل البلد قد اجتمعوا فيها عند قصر دهام بن دواس، فاقتتلوا مليًّا، ثم خرج مَن ذكرنا من المسلمين بعدما اجتمع أهل البلد منهزمين، وقُتل من المسلمين خمسة وعشرون رجلًا، فخرجوا مسرعين.

---

(١) موضع في مدينة الرياض، غرب البطحاء.

(٢) حي من أحياء الرياض. كان قديمًا هو ومعكال ومنفوحة بلدان مستقلة.

(٣) كانت بلدة عامرة تقع في قلب مدينة الرياض. انظر تحديدها في «معجم مدينة الرياض» (ص ٧٩ - ٨٠).

ثم إن دهامًا وقومه لما فرغوا من قتال تلك الطائفة، أسرعوا في المسير إلى صياح، وكان مَن وَلِيَها مِن المسلمين، إذ ذاك في البيوت والنخيل متفرقين، فدهمهم فيها دهام، وأكرم الله بالشهادة مَن قرب له الحِمَام، وجاءهم بمن معه بغتة، وكان افتراقهم ذلك اليوم فلتة، فقُتل منهم عشرون، وكان جملة من استشهد ذلك اليوم خمسة وأربعون. ثم لما ظهر المسلمون عن البلاد، اجتمعوا خارجها فهدموا جدران البنية، وهدموا تلك المربعة المبنية، فلهذا سميت بهذا الاسم، ووُسِمَت بهذا الوسم، ثم رجع كلٌّ إلى بلاده، ووطن أهله وأولاده.

**وفي السنة المسطورة** جرت وقعة تسمى وقعة الخريزة، وسُمِّيَت بذلك لكون القتال في مكان يقال له الخريزة[1] وذلك أن عثمان بن معمر سار بأهل العيينة وحريملاء، وعبد العزيز بن محمد بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرما، فساروا جميعًا، وأميرهم عثمان بن معمر، حتى نزلوا بصياح، فلم يكن لأهله عن الخروج من براح، فخرجوا إليهم سراعًا، وراموا عن البلد دفاعًا، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وقُتل من أهل الرياض ستة تقريبًا لا تحديدًا، وقُتل من أهل العيينة نحو عشرة رجال، ومن أهل الدرعية ومنفوحة ستة بلا إشكال، وقطعوا من الثمار المعلقة، أربعة من النخيل محققة، ثم رجعوا إلى بلدانهم، وساروا إلى أوطانهم.

**وفي السنة المسطورة أيضًا** جرت وقعة عظيمة تسمى وقعة البطين؛ لكون الواقعة والقتال صدر في مكان يقال له البطين[2] وذلك أن عثمان بن معمر سار بأهل العيينة وحريملاء، وعبد العزيز، حرسه الله تعالى، بأهل الدرعية وقراها

---

(١) قال ابن بشر (١/ ٢١): «موضع في صياح».

(٢) قال ابن بشر (١ / ٢١): «موضع قريب من ثرمدا».

وأهل ضرما، والأمير على الجميع عثمانُ، فساروا إلى ثرمدا، فنزلوا بها ليلًا حتى انغلق الصبح وبدا، وقد جعل المسلمون لهم خارج البلد كمينًا، يكون لهم إذا نَشَبَ القتال مُعينًا، فلما أصبح الصباح، واتضح النور ولاح، خرج أهل البلد إليهم، وأقبلوا للقتال عليهم، وتناشبت الرجال، وضاق مجال القتال، خرج إذ ذاك عليهم الكمين، فولَّوا الكفار مُدْبِرِين، ومنح الله تعالى المسلمين أكتافهم، وقتل أشرافهم، وكانت القتلى نحو السبعين، على سبيل التحقيق لا التخمين.

ثم بعد ذلك التجأوا إلى قصر يسمى الحريص، فتحصنوا فيه وخلت البلاد من المقاتلة، فأشار عبد العزيز وجماعة معه على عثمان بدخول البلد والمعاجلة، فأبى عثمان من ذلك وكانت منه مكيدة ومخاتلة، فعند ذلك استطال عليه عبد العزيز بالكلام، ووبخه ولامه غاية الملام. ثم إن عبد العزيز، حفظه الله تعالى، نهض مريدًا دخول البلاد، من غير توقف ولا استرداد، وأمر بذلك جميع أتباعه، فبادروا لامتثال أمره واتِّبَاعِه، ولكن كان الذي معه ذلك اليوم نَزْر يسير، ومع عثمان الجم الغفير. ثم إن عثمان بن معمر بعد تلك المراجعة، وصدور تلك المنازعة، ارتحل راجعًا إلى بلاده، وبقي عبد العزيز متحيرًا بين الدخول فيفوز بمراده، أو اللحوق بعثمان فيوافقه في ارتياده، حتى اختار الله تعالى له ما اختار، فجَدَّ في لحوقه فلم يأته إلا آخر النهار.

وأعظمُ ما صرّف في رأي عبد العزيز عن دخول البلاد، قلةُ مَن بقي معه من الأجناد، فأشار عليه وجوه مَن بقي معه، أن يلحق بعثمان فلحق به وتبعه، إلا أن الأحوال متغايرة، والقلوب بينهما متنافرة، فلما أضاء صبح الليلة، وأسفر جمع عبد العزيز حرس الله تعالى جميع الغنيمة، وأحضَرَ ونادى بالرحيل في قومه وثوّر، وأخذ سائرًا على طريق الخبرة، لما أجمع على المفارقة أمره، وقال: لا

بد من إحضارها عند الشيخ وابن سعود، حتى يقسماها على المنهج المحمود. فقدم بها عليهم، وأحضرها لديهم.

وفي تلك السنة أيضًا غزا المسلمون ثرمدا مرة ثانية، ولم تكن همتهم عن الجهاد وانية، والأمير عليهم عثمان، ولم يخرج من أهل البلد للقتال إنسان، فدمر المسلمون المزارع، إذ لم يَحُلْ دونها من مدافع، ثم انقلبوا مسرعين، وإلى بلدهم راجعين.

وفيها أيضًا غزا المسلمون تادق، فلما وصلوا إلى قرب تلك المرافق، وكان وصولهم ليلًا، وعبأوا الجيش واستعد الكمين، حتى ينشب القتال ويستبين، فلما خرج المقاتلة، ظهر الكمين بالمعاجلة، فأخذوا عند ذلك منهج الفرار، ولم يكن لهم على لقاء المسلمين من قرار، وقُتل منهم عند الانكسار محمد بن سلامة وستة معه، وأخذوا جميع الغنم المرتبعة.

**ثم دخلت السنة الثانية والستون بعد المائة والألف.**

وفيها وقعة تسمى الحبونية[1] سميت بذلك لأن القتال بها صار، وهُدم ما بها من جدار، وذلك أن المسلمين ساروا إلى الرياض، وأميرهم محمد بن سعود، رحمه الله تعالى، فلم يصلوا إليها إلا وضوء الصبح قد انتشر، وخرج أهل البلد إذ لم يأتهم ما يوجب الحذر، هذا وجيش المسلمين قد استعلى على تلك البروج، فلم يكن لأهل البلد إليها من عروج، وأخذوا يَتَرَامَوْنَ معهم بالرصاص، ولكن ليس إلى المقاربة من سبيل ولا مناص، وقد قُتل بينهم رجال في ذلك المجال، فقُتل من المسلمين ثلاثة: عبد الله بن شوذب وعبد الله بن حمود وغنام بن دعيج، وقُتل من أهل الرياض سبعة، منهم عبد الله بن سبيت،

(١) حي كبير في جنوب الرياض.

فلما غربت الشمس ذلك اليوم سار المسلمون إلى منفوحة.

وقد وقعت في هذه السنة وقعات كثيرة، لكنها صغار، فلهذا لم يكن لنا إلى تعدادها اعتبار.

**ثم دخلت السنة الثالثة والستون بعد المائة والألف.**

**وفيها** مقتل عثمان بن معمر، جزاء لما أبطنه وأضمر، وذلك أنه لما تزايد شره على أهل التوحيد، وأخذ يعمل في إذلالهم بلا ترديد، وظهر للمسلمين بغضه، وبدا لهم منه هجرانه ورفضه، وتبين لهم موالاته لأهل الباطل، وما ربك عما أراده بغافل، وتحقيق تقريبه للمنافقين واستئلافه، واشتهر شقاقه للمسلمين واختلافه، وكانت حاله بذلك شهيرا[1]، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.

فلما تحقق الشيخ عنه ما ذُكر، وتيقن ما سُطر، وجاءه أهل البلاد كافة، وشكوا إليه خشية الغدر والمخافة، وتثبت في تسطير هذه الأنقال، وتحرير ما يُرمَي به من سيئ الأفعال، وتحقيق ما له أُنمِيَ وخشي، على المسلمين وقوع ما به رمي، قال لمن قدم إليه ووفد عليه من أهل العيينة: أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله، وعلى موالاة من والاه، ومعاداة من حاربه أو ناواه، ولو أنه أميركم عثمان. فأعطوه على ذلك صفقة الإيمان، فتتابعوا على البيعة أفواجًا، فمُلئ قلب عثمان من ذلك رعبًا وانزعاجًا، فعند ذلك زاد ما به من الغل

(١) قال ابن بشر (١ / ٢٣): «قيل إنه أتاه كتاب من محمد بن عفالق يُحرصه على معاداة المسلمين، ونقض بيعتهم، وعدهم». قلت: انظر مراسلاته مع ابن عفالق عدو الدعوة في بحث «موقف عثمان بن معمر من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»؛ للدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف. ضمن كتابه «بحوث علمية محكمة» (ص ٢٩٣ - ٣٠٩).

والحقد، وزين له الشيطان أنه لا يفوز بالقصد، حتى يفتك بأهل الإيمان، ويُجْلِيَ مَن يُسلِم لأقصى البلدان، فينجلي ما بقلبه من الهم والأحزان، فأرسل لابن سويط[١] وإبراهيم بن سليمان[٢] يحثهم ويدعوهم إلى المجيء عنده والاجتماع، حتى يُنْفِذَ ما عزم عليه بالمسلمين من الإيقاع.

فلما تحقق أهل الإسلام، ما عزم عليه من ذلك المرام، وأبرز الملك العلام، لذوي الألباب من الأنام، مصداق قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾، فتعاطى الأيمانَ على قتله من أهل التوحيد أناس، أرادوا بذلك القربة وإراحة الناس، وإزاحة ما عزم عليه من إيقاع النقمة والبأس، ومن مشاهيرهم حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد، فأبطل الله بهم ذلك المكر والكيد، فلما انقضت صلاة الجمعة، وخرج سَرَعَانُ الناس مُسْرِعَة، قتلوه في مسجده ومصلاه، وأريح المسلمون من أذاه، فلم يَنْتَضِ لذلك سِنَان، بل لم تنتطح لمقتله عنزان، بل أُغْمِدَت، واللهُ المحمودُ، قواضب الفتنة، وأُخْمِدَت لواهب المحنة، واطمأن المسلمون، ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾، ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

فلما قُدِمَ إلى الدرعية بتحقيق هذه القضية، وأسرع بذلك إلى الشيخ والأمير محمدٍ البشيرُ، عجَّل الشيخ إلى العُيَيْنَة المسير، وذلك لُما خشيه من الاختلاف، وعدم الموافقة والائتلاف، وقدم عليهم ثالث يوم، فهدأت لمقدمه نفوس القوم، وتجاذبوا عنان الرأي والمشورة، والقضية في ذلك مشهورة، في الترئيس والتأمير، وتفويض الرياسة والتدبير، والكل بما يوافق مراده مشير، إلا أن أهل

---

(١) رئيس الظفير.

(٢) رئيس ثرمدا.

التوحيد والإيمان، لا سيما من باشر أو سعى في قتل عثمان، حاولوا ألا يؤمَّر مِن حَمُولة ابن معمر، ولا يولى عليهم منهم إنسان، خشية أن ينالهم منه ذل وهوان، فلم يوافقهم الشيخ في مرادهم، ولم يعرِّج على اجتهادهم، بل أبى وأعرض عن ذلك، وجنح إلى تمهيد المسالك، وإيضاح المحجة للسالك، فرأَس عليهم مشاري بن معمر، وكبَّره فيهم وأمَّر، وكان ذلك منتصف رجب، كما حققه مَن حَسَب.

**وفي هذه السنة أيضًا** وقعة تسمى وقعة البطحاء[١] وذلك أن المسلمين عَدَوْا على الرياض ليلًا، فدخلوا البلاد، واستحر القتال والجلاد، عند باب المروة، بعدما دخلوها فجوة، فلما تراجع على المسلمين الإفزاع، نهد[٢] غالبهم إلى الخروج والإسراع، ودارت الحروب على سبعة، وحصلت لهم من الله إعانة ومنعة، منهم: علي بن عيسى الدروع وسليمان بن موسى الباهلي ومحمد بن حسن الهلالي وعلي بن عثمان بن ريس وعبد الله بن سليمان الهلالي وإبراهيم الحر، فاقتتلوا أشد القتال، مع ضيق المعترك والمجال، فقتل تلك الساعة، من مشركة تلك الجماعة، ناصر بن معمر وجنيدل وخمسة أخر، ولم يُقتل من المسلمين إلا عبد الله بن سليمان وسليمان بن جابر من الأولين.

**وفيها أيضًا** جرت وقعة تسمى وقعة الوطية[٣]، وكانت من أعظم قضية، وذلك أن المسلمين غَزَوا، وأميرهم عبد العزيز، حفظه الله، وساروا إلى ثرمدا سريعًا، فجاءهم النذير، فاجتمعوا مع أهل وثيثيه ومرات جميعًا، فلم يأتهم

(١) حي من أحياء الرياض، يقع شرق دخنة.
(٢) يقال: نهد القوم إلى بعضهم البعض؛ أي تجمعوا واستعدوا للحرب.
(٣) قال ابن بشر (١ / ٢٤): «موضع معروف في بلد ثرمدا».

الجيش والأجناد إلا وهم في أتم الاستعداد وتأهب للجلاد، وقد برزوا خارج البلاد، ولكن المسلمون قد أعدوا لهم كمينًا، فلما استمر القتال مليًّا، خرج عليهم ذلك الكمين، فانهزموا مدبرين، وقتل منهم خمسة وعشرون، منهم أمير وثيثيه علي بن زامل، وسبيهان، وكثير من تلك الشجعان.

**ثم دخلت السنة الرابعة والستون بعد المائة والألف.**

**وفيها** عدا المسلمون على الرياض، فاقتتلوا داخل البلد حتى ذهب الصبر والجَلَد، وتلاحقت أهل البلاد على المسلمين، فخرجوا بعد القتال منهزمين، وقد قُتل أناس من المشركين، وقُتل نحو الثمانية من المسلمين، منهم علي بن عيسى الدروع، خانه القضاء فلم يَفر لمّا كثرت عليه الجموع ﷺ، وكان من الفتاك والشجعان، المشهورين بالعلو على الأقران، والصبر عند الطعان، في ذلك الوقت والزمان.

**وفيها** ارتد إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن أمير ضرما، ورجع عن الإسلام وخان، وقَتلَ من أشراف جماعته وقومه، لشؤم فعله ولومه، عمر الفقيه ورشيد العيزار وابن عيسى، لكونهم من أهل الإسلام والدين، وفي الدنيا من أهل الثروة والتمكين، فأَخذَ مالهم بعد قتلهم أجمعين، فلم يَقُم بعد هذه الفعلة، سوى أربعة شهور في المُهلة، حتى قُتل هو وأولاده هبدان وسلطان، وأناس غيرهم من الأعوان، المشهورين بالتعدي والطغيان، وهرب مَنْ سَلم إلى سائر البلدان.

وصفة ما صدر: أن آل سيف السايرة صقر وإخوانه وإبراهيم بن سلطان آل ذباح، تعاهدوا وتعاطوا الأيمان، على الفتك به لما ارتد وخان، فأَتَوه مع جماعته وهم في المجلس قعود، فقتلوهم وفازوا بالمقصود، ثم بعد هذه القضية المسطورة، ولّى الأمير محمد بن سعود عبدَ الرحمن إمارة ضرما المذكورة.

**وفيها** غزا المسلمون الزلفي، وأميرهم إذ ذاك عبد العزيز، فلما وصلوا الحسي[1] حُمَّ عبد العزيز، حفظه الله، فأمَّر على الغزو عبدَ الله بن عبد الرحمن، وانقلب راجعًا، فأغار الغزو على الزلفي، وأخذ غنمًا كثيرة ثم رجع.

**ثم دخلت السنة الخامسة والستون بعد المائة والألف.**

**وفيها** جرت خيانة أهل رغبة لأهل سدير والوشم، وذلك أن أهل سدير والوشم وجرّو معهم آل ظفير، وحزّبوا على أهل رغبة، وهم إذ ذاك قد دخلوا في الإسلام، وجرت عليهم الأحكام، فحصروهم في البد أيام، ثم إن بعض أهل البلاد، جنحوا إلى طريق الفساد، وأدخلوا تلك الأحزاب والأجناد، وحقن الله دماء أهل التوحيد من ذوي الإفساد، إلا أنهم أخذوا جمع أموال البلاد، وصب الله على أهلها سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد، فأصبحوا بعد حلول هذه المصائب عليهم والنِّقم، يَعَضُّون أنامل الأسف والندم، على ما حَلَّ بهم ودَهَم.

**وفيها** أيضًا حزّب أهل الضلال؛ أهل الوشم وأهل سدير وأهل الجنوب وآل ظفير وجلوية ضرما، فساروا إلى ضرما، وحصروا أهلها أيامًا، وعزموا أن يطيلوا بها مقامًا، وفي مدة هذه الإقامة، كلٌّ شَدَّ للقتال ساعده وشدد سهامه، حتى أنهم في بعض أيام الحصار، نصبوا السلالم على رفيع ذلك الجدار، وأرخصوا في نيل مطلوبهم غالي الأعمار، طلبًا للفوز بالمنى والأوطار، وأخذًا بأَنَفةِ الثأر، فصعد منهم السور، مَن قرُب أجلُه من الحضور، وكانوا نحو الثلاثين، فلم يرجع منهم أحد، وقُتل غيرهم خلق كثير يزيدون على العشرين في العدد، وغالب القتلى من أهل الحريق، ومنهم حمد بن عثمان الهزاني على التحقيق، ثم رجعوا بعد ذلك خاسرين، ومن مرادهم خائبين.

---

(١) تبعد عن الرياض شمالًا حوالي ٩٠ كم.

وفيها غزا المسلمون الخرج، وأميرهم في تلك الغزوة مشاري بن معمر، فأغار على الدلم، وأخذوا جميع سوائم الغنم، ثم انقلبوا راجعين، ولبلدانهم طالبين، فاقتفى أهل الخرج آثارهم، بعد ما تحقق عدتهم وعرف أخبارهم، فوقعت في عفجة الحائر الموافاة، وحصلت المصادمة والملاقاة، فأناخ لهم المسلمون، وكلهم للموت مستوطنون، لأن عددهم على الأربعين لا يزيد، والفزع فوق المائة بالتوكيد، فوطّنُوا نفوسًا عن الفرار أَبِيَّة، وأخلصوا عند ذلك النية لخالق البرية، وصبروا عند هذه البلية، فجرى القتال من بعيد، والكل يرمي بالبنادق ويجيد، فلما رأى المسلمون ذلك لا يجدي ولا يفيد، نَهَدُوا عليهم للاختلاط، وعاجلوهم لقصد الارتباط، فلما عاينوا من المسلمين الموت، عرفوا أن لا منجا سوى الهروب والفوت، فكلٌ منهم امتطى راحلته ونار[1]، وآثر الهروب والفرار، ولم يكن لهم على ملاقاة المسلمين اصطبار، وقَتَلَ المسلمون منهم قريبًا من الثلاثين رجل، منهم شريقان قرُب له الأجل، وأخذوا كثيرًا من الركايب والسلاح، وبدا للمسلمين في ذلك الطلب الفلاح، وكان خيرة لهم وصلاح، كما قيل:

الصبر كالصبر مُرٌّ في مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

وأعلى من ذلك وأرفع، وأعلى منه وأنفع، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

وفيها غزا المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، متع الله به المسلمين، وأغاروا على فريق بدو يقال له (دهيمان) فأخذوهم أجمعين، وقُتِلَ من المسلمين اثنان: علي بن عثمان بن ريس وابن جري عمران.

وفيها وقعت من أهل حريملاء الردة والافتتان، واجتمع على ذلك كل إنسان،

---

(١) نار: هرب.

من أهل الفساد والعصيان، وتمالأوا على قتل مَن عندهم مِن أهل التوحيد والإيمان، وحملهم على ذلك الشيطان، وزين لهم ما كانوا عليه سابقًا من البغي والطغيان، وزخرف لهم سننهم القديمة في غابر الزمان، وأظهر لهم أن شوارق الدين والإيمان تُعْقِبُهم الذلة والهوان، فصار كل منهم إلى الفتنة ظمآن، وإلى لقاء الردة ولهان، فلهذا أوضحوا سبل الفتنة والردة، وأخذوا في تهيئة أسبابها المُعَدَّة، وأقاموا جهرًا أعوجَهَا، وشادُوا طريقها ونهجها، وتبينت لها منهم أسباب، وتوهم المسلمون منهم قبل وقوعها فتح باب، وعرفوا أنهم على الدين ليسوا بماكثين، بل ناقضين للعهد ناكثين.

واستنشق الشيخ من أخيه سليمان، أنه لأسباب الردة معوان، وأنه يُلْقِي إلى الرُؤسَا، وخاصة من الجُلَسَا، شُبهًا كثيرة، وإنما دعاه إلى هذا الحسدُ لأخيه والغيرة، فلأجل إلقائه عليهم الشُبه، وترويجه عليهم بما خفي معنىً واشتبه، كاتبه الشيخ وناصحه، بل أنبه وكافحه، وحذره شؤم العاقبة، وبين له أنه لا يُدرك مطالبه، فلم تُجْدِهِ النصائحُ والإنذار، ولم يجنح إلى منهج الاعتبار ومحجة الاستبصار، والطمأنينة والسكنى في تلك الديار، بل طلب واختار ركوب كواهل الأخطار.

وكان سليمان قبل أن يُطير من الردة اللهب، حين عزله الشيخ وعتب، أرسل إلى الشيخ رسالة، حبَّر فيها كلامه ومقاله، وزخرف فيها أقواله، ولكنها للعهد قد تضمنت، ولعقد الإيمان قد حوت وأحكمت، أنه إن وقع من أهل حريملاء ارتداد، لا يقيم يومًا في تلك البلاد، فلم يَفِ بذلك الوعد، بل أخلف الميثاق والعهد، وآثر السكنى والبقاء، أيام الفتنة والشقاء، كيف لا وهو أبو غدرها، والباعث على تأسيس أمرها، والداعي إلى تأسيس قبيحها ونُكرها.

وصفة ما جرى وصدر، وظهر منهم وبدر، أن كبار القرية، الذين تعاهدوا

على القرية، عزلوا محمد بن عبد الله بن مبارك، وكان هو الأمير، وولي التنفيذ والتدبير، وأصابه منهم إنسان، يسمى ابن حوشان، ثم أجْلَوه مع أولاده، عن مسكنه وبلاده، وفر غيره من أهل الدين، إلى بلدان المسلمين، منهم عدوان بن مبارك وابنه مبارك بن عدوان وعثمان بن عبد الله أخو الأمير وعلي بن حسن وناصر بن جديع وغيرهم، فأتوا إلى الشيخ وإلى الأمير محمد بن سعود، فأخبروهم بذلك الأمر المشهود، وشرحوا لهم تلك الأفعال، وبينوا لهم مَن نَهَدَ فيها من الرجال.

ثم بعد ذلك بأيام قلائل، أرسلوا حمولة الأمير وعصابته إليه الرسائل، وزينوا له المجيء والقدوم، وحسنوا له الإقبال والهجوم، ووعدوه بعد الوصول، المساعدة على المأمول، والقيام معه والتبيين، ورده في منصبه والتمكين، فاستشار الشيخ في ذلك والأمير، ولم يكن أحد منهما بذلك مشير، وقالا: إن كان لا بد أنت فاعل، فإني لمدد معك جاعل، يكون لك عونًا على من هو خاتل. فأبى عن المراد، وأقبل بمن معه من العباد، حتى دخل تلك البلاد، وكان دخوله في غسق الدجا، فلم يشعر به جماعته إلا حين توغل وفجا، فلما تلألأ من الفجر نوره، وولى من الظلام ديجوره، تبين عند أهل البلد مجيئه وحضوره، فلم يكن لهم عليه بد من القيام، فأقبل عليه منهم فئام، وجَرَّعُوه كأس الحِمَام، وكَتب له الشهادةَ ومَن معه المَلِكُ العَلّام، إلا مبارك بن عدوان فهرب، وأعجزهم في الطلب، وكان جملة المقتولين ثمانية، كانت مناياهم دانية، ولم يحصل من رفاقته النصرة له والنجدة، ولم يُنجحوا مراده وقصده، بل خذلوه وتركوه مع من جاء وحده، ولا ينفع الحذر إذا حُمَّ القدر ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ بل ينقطع أمدها وأملها.

ثم بعد ذلك اجتهدوا في أسباب الحرابة، وأعدوا للحرب عدته وأسبابه،

وانتفخ منهم السَحْر[١] لما جرى وصدر، ولم يكن لهم عزم ولا همة، بعد إتيانهم تلك المدلهمة، إلا البناء على البلاد والتسوير، مخافة الخراب والتدبير، ثم أرسلوا إلى مشاري بن معمر، أن يدخل معهم في هذا الأمر المقرر، فأعرض عن ذلك وأنكر، وبقوا على ذلك الحصار، ومكايد الأضرار، بقية تلك السنة، لا تُخالط أجفانهم في الدجى سِنَة، وكانت تلك القضية في شوال، من غير شبهة ولا إشكال.

**ثم دخلت السنة السادسة والستون بعد المائة والألف.**

عدا أهل حريملاء على أهل الدرعية، فلم يحصلوا من ذلك بالأمنية، ثم عدا المسلمون عليهم مرات، وكروا عليهم في بلادهم كرات.

**وفي آخر تلك السنة** ارتد أهل منفوحة عن الدين، ونبذوا عهد المسلمين، وطردوا محمد بن صالح إمام المصلين، ﴿أَللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾، فلما وقعت هذه الواقعة، خرج مهاجرًا من نفسه إلى الحق وازعة، وإلى الدين نازعة، وللباطل وأهله رادعة، وللشيطان قامعة، وفي أسباب الخير طامعة، وكان من خرج منهم في يوم سبعين، ثم بعده تلاحق أناس منهم مسترسلين.

**ثم دخلت السنة السابعة والستون بعد المائة والألف.**

**وفيها** طلب دهام، من الأمير محمد بن سعود الدخول في الذمام، وأن تجرى عليه وعلى بلاده أحكام الإسلام، ويقوم بتلك الوظائف والأحكام، وقصده بذلك الخديعة وإحكام حبلها أشد الإحكام، فطلب عليه خيل وسلاح، فلم ير بذلك بأسًا ولا جناح، ورغب في منهاج الإصلاح، فبذل ما طلب، وجنح للهداية ورغب، واستدعى من الشيخ رجلًا إمامًا، يطيل عنده مقامًا، وينشر في

---

(١) السَحْر: الرئة.

بلده للرعية أحكامًا، فأرسل إليه عيسى بن قاسم، فكان بشرائع الإسلام حاكم، وبتعليم التوحيد قائم، يقوم بذلك ويقعد، ويدل على الله تعالى ويرشد، ويجد حسب طاقته ويجمد، فانتفع به من أهل الرياض جماعة، حصلوا من التوحيد على بضاعة، وصارت لهم فيه قدم، ولهذا هاجروا لما نبذ دهام العهد وخرم، وسيأتي ذكرهم في محله، عند تحرير الارتداد ونقله.

**وفيها** جمع الشيخ أهل الإسلام من جميع البلدان، وبين المواعظ في الكلام غاية البيان، لما تظاهر من تظاهر بالردة والخذلان، وأوضح ما يجري على أهل التوحيد، من فجار العبيد ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ وكشف لهم معاني آيات القرآن، وما ذكر في محكم التبيان، وكلهم لقوله ﷺ، منصتون، ولما يلقيه من الحكم والمواعظ يسمعون، ويتلو عليهم ما به ينتفعون ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وبشرهم بالنصر والظفر، وحصول المنى وقضاء الوطر، إن برحوا على الدين واستقاموا، ولم يبرحوا عنه بل ثبتوا عليه وداموا، وأمرهم بالرجوع إلى الله والتوبة، وصدق النية والأوبة، وتصدقوا بصدقات كثيرة، وسألوا الله النصر وتيسيره.

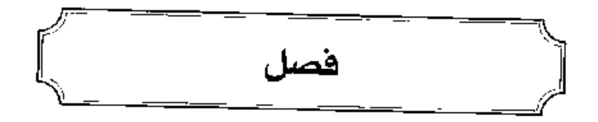
**وفيها** مقتل أولاد سيف السيايرة صقر وإخوانه، لما قاموا مع الباطل وأعوانه، وهموا بقتل الأمير، فأخبره بذلك النذير، فبادر إلى قتلهم، خشية فعلهم، فبادر بذلك وأسرع، وقتلهم بفوره أجمع، ولم يعاود على قتلهم أحد، بل جد في ساعته واجتهد.

**وفيها** مقتل سليمان بن خويطر، وسبب ذلك أنه قدم بلدة حريملا خفية، وهم إذ ذاك بلد حرب، فكتب معه سليمان بن عبد الوهاب إلى أهل العيينة كتاب، وذكر فيه شُبهًا مزخرفة، وأقاويل مغيرة محرفة، وأحاديث أوهى من نسخ العنكبوت، وأمره أن يقرأها في المحافل والبيوت، وألقى في قلوب أناس من

أهل العيينة، شُبَهًا مُضِرَّة شينة، غيَّرت قلوب من لم يتحقق بالإيمان، ولم يعرف مصادر الكلام بالإتقان، فكان يفعل ما به أُمر، فلما تحقق حاله واختبر، أمر الشيخ به أن يُقتل فقُتل، وامتُثِلَ أمرُه وقُبِل.

ثم إن سليمان على حالته لم يزل، يرسل الشُبَه في الكتب لأهل العيينة مع من خرج منهم ودخل، ويبذل في ذلك الجد في العمل.

ثم إن الشيخ أرسل لأهل العيينة رسالة[١]، أبطل فيها ما مَوَّهَ به سليمان وما قاله، وعطَّل فيها كلامه وأقواله، نَحَا فيها منهج الصدق، وبيَّن واضح الصواب والحق، فهي تجر زخر تياره وطمي، وسحاب هَمَل ودقه وهمى، زين فلكها بنجوم الحق الزواهر، وأشحن فلكها بعلوم التوحيد الزواخر، تلين قلوب السامعين لقولها، ويصغي لها أهل الهدى بمسامع، دلائلها محروسة عن معارض، وآياتها محفوظة عن مدافع، وهذا فصلها بحروفها.



## فصل

قال الشيخ رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه، قال: كنت، وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان. قال: فسمعت برجل في مكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي حتى قدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا، جُرَآءُ عليه قومُهُ، فتلطفت حتى

(١) تُسمى: «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد»، طُبعت مرارًا. ومن آخر شروحها: «فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد»؛ لمدحت آل فراج.

دخلت عليه بمكة، فقلت: وما أنت؟ فقال: «**أنا نبي**» قلت: وما (نبي)؟ قال: «**أرسلني الله**» فقلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: «**أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحَّدَ اللهُ لا يُشْرَكُ به شيء**»، فقلت: ومن معك على هذا؟ قال: «**حر وعبد**» قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال. فقلت: إني مُتَّبِعُكَ. فقال: «**إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، أَلَا تَرَى حالي وحالَ الناس! ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سَمِعتَ بي قد ظَهَرتُ فَأْتِنِي**» قال: فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكنت في أهلي، فجعلت أتخبر الأخبار، وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم نفر من أهل يثرب، من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراعًا، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك. فقدمت المدينة، فقلت: يا رسول الله، أتعرفني؟ قال: «**أنت الذي لقيتني بمكة**» قال: فقلت: يا نبي الله، أخبرني عما علَّمَك الله وأجهَلُهُ، أخبرني عن الصلاة. قال: «**صلِّ صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس، وحتى ترتفع؛ فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وهي حينئذ يسجد لها الكفار، ثم صلِّ؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة؛ فإنها حينئذ تُسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فإن الصلاة محضورة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار...**» وذكر الحديث[1].

قال أبو العباس رحمه الله: فقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب؛ بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان، وأنه حينئذ يسجد لها الكفار، ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله، وأكثر الناس قد لا يعلمون

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢).

أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان، ولا أن الكفار يسجدون لها، ثم إنه ﷺ نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسمًا لمادة المشابهة، ومن هذا الباب أنه كان إذا صلى إلى عود أو عمود جعله على حاجبه الأيمن، ولم يصمد إليه صمدًا، ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عُبِدَ مِن دون الله في الجملة، ولهذا يُنهَى عن السجود لله بين يدي الرجل؛ لما فيه من مشابهة السجود لغير الله[١]. انتهى كلامه.

فليتأمل المؤمن الناصح لنفسه ما في هذا الحديث من العبر، فإن الله سبحانه يقص علينا أخبار الأنبياء وأتباعهم ليكون للمؤمنين من المستأخرين عبرة، فيقيس حاله بحالهم، وقص قصص الكفار والمنافقين لِتُجْتَنَب ويُجْتَنَب من تلبس بها أيضًا.

فمما فيه من الاعتبار أن هذا الأعرابي الجاهل لما ذُكر له أن رجلًا بمكة يتكلم بالدين بما يخالف الناس، لم يصبر حتى ركب راحلته، فقدم عليه وعلم ما عنده، لما في قلبه من محبة الدين والخير، وهذا فُسِّر به قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ أي: حرصًا على تعلم الدين ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ أي: أفهمهم. فهذا يدل على أن عدم الفهم في أكثر الناس اليوم عدل منه سبحانه؛ لما يعلم ما في قلوبهم من عدم الحرص على الدين، فتبين أن من أعظم الأسباب الموجبة لكون الإنسان من شر الدواب، هو عدم الحرص على التعليم، وإذا كان هذا الجاهل يطلب هذا الطلب، فما عذر مَن ادعى اتباع الأنبياء، وبلغه عنهم ما بلغه، وعنده من يُعرِض عليه التعليم، ولا يرفع بذلك رأسًا، فإن حضر أو استمع فكما قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٤/ ١٢٧ - ١٢٨).

وفيه من العبر أيضًا أنه لما قال: «**أرسلني الله**» قال: بأي شيء أرسلك؟ قال بكذا وكذا، فتبين أن زبدة الرسالة الإلهية والدعوة النبوية هي توحيد الله، بعبادته وحده لا شريك له، وكسر الأوثان، ومعلوم أن كسرها لا يستقيم إلا بشدة العداوة وتجريد السيف، فتأمل زبدة الرسالة.

وفيه أيضًا أنه فهم المراد من التوحيد، وفهم أنه أمر كبير غريب، ولأجل هذا قال: من معك على هذا؟ قال: «**حر وعبد**» فأجابه أن جميع العلماء والملوك والعامة مخالفون له، ولم يتبعه على ذلك إلا مَن ذُكر، فهذا أوضح دليل على أن الحق قد يكون أقل القليل، وأن الباطل قد يملأ الأرض.

ولله دَرُّ الفضيل بن عياض رحمه الله، حيث يقول: لا تستوحش من الحق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين. وأحسن منه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي الصحيحين[١] أن بَعْث النار مِن كل ألفٍ تسعةٌ وتسعون وتسعمائة، وفي الجنة واحد من كل ألف، ولما بكوا من هذا لما سمعوه قال ﷺ: «**إنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية، فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن تمت وإلا أكملت من المنافقين**»[٢] قال الترمذي: حسن صحيح.

فإذا تأمل الإنسان ما في هذا الحديث من صفة بدء الإسلام، ومَن اتَّبع الرسول ﷺ إذ ذاك، ثم ضم إليه الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم أيضًا أنه قال ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**»[٣] تبين له الأمر إن هداه الله

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٠).

(٢) الجامع للترمذي (٣١٦٨) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الترمذي).

(٣) صحيح مسلم (١٤٥).

وانزاحت عنه الحجة الفرعونية: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ والحجة القرشية: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾.

وقال أبو العباس ﷺ، تعالى، في (اقتضاء الصراط المستقيم) في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾: وأيضًا: فإن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ظاهره أنه ما ذبح لغير الله، سواء لفظ به أو لم يلفظ، حرام، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذُبح للحم وقال فيه: باسم المسيح. ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه: باسم الله. فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، والعبادة لغير الله أعظم كفرًا من الاستعانة بغير الله، فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه لحرم، وإن قال فيه: باسم الله. كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدِّين، لا تباح ذبائحهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا ما يُفعَل بمكة وغيرها من الذبح للجن[1]. انتهى كلام الشيخ، وهو الذي ينسُبُ إليه بعضُ أعداء الدين أنه لا يكفِّر المعيَّن، فانظر رحمك الله إلى تكفيره من ذبح لغير الله من هذه الأمة، وتصريحه أن المنافق يصير مرتدًّا بذلك، وهذا في المعين؛ إذ لا يُتصوَّر أن تحرم إلا ذبيحة معين.

وقال أيضًا في الكتاب المذكور: وكانت الطواغيت الكبار التي تشد إليها الرحال ثلاثة: اللات والعزى ومناة، وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب، فكانت اللات لأهل الطائف، وذكروا أنه في الأصل رجلًا صالحًا يَلُتُّ السَّوِيق للحاجّ، فلما مات عكفوا على قبره، وأما العزى فكانت لأهل مكة قريبًا من عرفات، وكانت شجرة يذبحون عندها ويدعون، وأما مناة فكانت لأهل

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٦٤ - ٦٥).

المدينة، وكانت حذو قُديد من ناحية الساحل، ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم، ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله وأنواعه، حتى يتبين له تأويل القرآن، فلينظر إلى سيرة النبي ﷺ وأحوال العرب في زمانه، وما ذكره الأزرقي في (أخبار مكة) وغيره من العلماء.

ولما كان لأهل الشرك شجرة يعلقون عليها أسلحتهم، ويسمونها (ذات أنواط) فقال بعض الناس: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط. فقال: «**الله أكبر، إنها السَّنَن، لتركبنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم**»، فأنكر ﷺ مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم، فكيف بما هو أَطَمُّ من ذلك أو هو الشرك بعينه؟[1]

إلى أن قال: فمِن ذلك عدة أمكنة بدمشق، مثل مسجد يقال له (مسجد الكف) الذي فيه تمثال كف يقال إنه كف علي بن أبي طالب، حتى هدم الله ذلك الوثن، وهذه الأمكنة كثيرة موجودة في أكثر البلاد، وفي الحجاز منها مواقع[2].

ثم ذكر كلامًا في نهيه ﷺ عن الصلاة عند القبور، فقال: العلة لما يُفضي إليه ذلك من الشرك، وذكر ذلك الشافعي وغيره، وكذلك الأئمة من أصحاب أحمد ومالك، كأبي بكر الأثرم، عللوا بهذه العلة، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ ذكر ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم، ذكر هذا البخاري في صحيحه[3] وأهل التفسير كابن جرير وغيره.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣١٣ - ٣١٤).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣١٨).

(٣) صحيح البخاري (٤٩٢٠).

ومما يبين صحة هذه العلة أنه لعن من يتخذ قبور الأنبياء مساجد، ومعلوم أن قبور الأنبياء لا يكون ترابها نجسًا، وقال في نفسه: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**» فعُلم أن نهيه عن ذلك كنهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، فسَدَّ الذريعة لئلا يُصَلَّي في هذه الساعة، وإن كان المصلِّي لا يصلِّي إلا لله ولا يدعو إلا إياه، لئلا يفضي ذلك إلى دعائها والصلاة عندها.

وكِلَا الأمرين قد وقع، فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب، ويدعوها بأنواع الأدعية، وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الأولين والآخرين، حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، وصنف فيه بعض المشركين كتابًا على مذهب المشركين، مثل أبي معشر البلخي وثابت بن قرة، وأمثالها ممن دخل في الشرك وآمن بالجبت والطاغوت، وهم ينتسبون إلى الكتاب، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1]. انتهى كلام الشيخ، رحمه الله تعالى.

فانظر، رحمك الله، إلى هذا الإمام الذي نَسَب عنه مَن أزاغ قلبه عدمَ تكفير المعيَّن، كيف ذكر عن مثل الفخر الرازي، وهو من أكابر أئمة الشافعية، ومثل أبي معشر، وهو من المشهورين المصنفين، وغيرهما أنهم كفروا وارتدوا عن الإسلام، والفخر هو الذي ذكره الشيخ في الرد على المتكلمين، لما ذكر تصنيفه الذي ذكر هنا، قال: وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين. وسيأتي كلامه إن شاء الله تعالى.

وتأمل ما ذكر أيضًا في اللات والعزى ومناة، وجعله بعينه هذا الذي يُفعَل بدمشق وغيرها.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٠٤ - ٤٠٥).

وتأمل قوله على حديث ذات أنواط هذا، قوله في مجرد مشابهتهم في اتخاذ شجرة: فكيف بما هو أطم من ذلك من الشرك بعينه. فهل الزائغ بعد هذا متعلق بشيء من كلام هذا الإمام؟

وأنا أذكر لفظه الذي احتجوا به على زيغهم، قال ﷺ: أنا من أعظم الناس نهيًا عن أن يُنسَب معيَّن إلى تكفير أو تبديع أو تفسيق أو معصية، إلا إذا عُلم أنه قد قامت الحجة الرسالية التي مَن خالفها كان كافرًا تارة وفاسقًا أخرى(١). انتهى كلامه.

وهذا صفة كلامه في المسألة، في كل موضع وقعنا عليه من كلامه، لا يذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الإشكال، أن المراد بالتوقيف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة، وإذا بلغته حُكم عليه بما تقتضيه تلك المسألة من تكفير أو تفسيق أو معصية.

وصرح ﷺ، أيضًا أن كلامه أيضًا في غير المسائل الظاهرة، فقال في الرد على المتكلمين، لما ذكَر أن بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الإسلام كثيرًا، قال: وهذا إذا كان في المقالات الخفية، فقد يقال إن مخطئ ضالٌّ، لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها، لكن يصدر هذا منهم في أمور يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله ﷺ بُعث بها وكفَّر من خالفها، مثل عبادة الله وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبيين وغيرهم، فإن هذا أظهر شعائر الإسلام، ومثل إيجابه للصلوات الخمس وتعظيم شأنها، ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر، ثم تجد كثيرًا من رؤوسهم وقعوا فيها، فكانوا مرتدين، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين، كما

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٩).

فعل أبو عبد الله الرازي. يعني الفخر الرازي، قال: وهذه ردة صريحة[١].

فتأمل هذا، وتأمل ما فيه من تفصيل الشبهة التي يذكرها أعداء الله، لكن من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا. على أن الذي نعتقد، وندين الله به، ونرجو أنه يثبتنا عليه، أنه لو يغلط أو أَجَلُّ منه في هذه المسألة، وهي مسألة المسلم إذا أشرك بعد بلوغ الحجة، أو المسلم الذي يفضِّل هذا على الموحدين، أو يزعم أنه على حق، أو غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر، الذي بينه الله ورسوله، وبينه علماء الأمة، أنا نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله، ولو غلط من غلط، فكيف والحمد لله ونحن لا نعلم عن واحد من العلماء خلافًا في هذه المسألة، وإنما يلجأ مَن شاقَّ فيها إلى حجة فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وحجة قريش: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾.

وقال الشيخ رحمه الله، في الرسالة السنية، لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين وأمره ﷺ بقتالهم، قال: فإذا كان على عهد النبي ﷺ وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام، من مرق منه، مع عبادته العظيمة، حتى أمر ﷺ بقتالهم، فيُعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضًا من الإسلام، وذلك بأسباب، منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه، حيث قال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ الآية. وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، حرَّق الغالية من الرافضة، فأمر بأخاديد خُدَّت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها، واتفق الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس كان مذهبه أن يُقتلوا بالسيف بلا تحريق، وهو قول أكثر الصحابة، وقصتهم معروفة عند العلماء.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٤ - ٥٥).

وكذلك الغلو في بعض المشايخ، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه، فكل مَن غَلَا في نبي أو رجل صالح، وجعَل فيه نوعًا من الإلهية، مثل أن يقول: سيدي فلان انصرني. أو: أغثني. أو: ارزقني. أو: اجبرني، وأنا في حسبك. ونحو هذه الأقوال، فكل هذا شرك وضلال، يُستتاب صاحبُه، فإن تاب وإلا قُتل، فإن الله إنما أرسَل الرسل وأنزل الكتب لِيُعبد وحده، لا يجعل معه إله آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى، مثل المسيح والملائكة والأصنام، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق، وتُنزل المطر، وتُنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورهم أو صورهم، ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فبعَث اللهُ رسولَه يَنهَى أن يُدعَى أحدٌ من دونه ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية، قال طائفة من السلف: كان أقوام يدْعون المسيح وعُزيرًا والملائكة[1].

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، آيات، ثم قال: عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الدين، وهي أصل التوحيد الذي بعث به الرسل وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ وكان ﷺ يحقق التوحيد ويُعلمه أمته، حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت. قال: «**أجعلتني مع الله ندًّا! بل: ما شاء الله وحده**»[2] ونهى عن الحلف بغير الله، وقال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[3] وقال في مرض موته: «**لعن الله اليهود والنصارى؛**

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٣ - ٣٩٩).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٢١١٧) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤٩٥).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٢٠٤).

**اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** يُحذر ما فعلوا[١]. وقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبَد**»[٢] وقال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ حيثما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغني**»[٣].

ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يُشرَع بناء المسجد على القبور، ولا الصلاة عندها؛ وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور، ولهذا اتفق العلماء على أنه مَن سلَّم على النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها؛ لأنه إنما يكون لأركان بيت الله، فلا يُشَبَّهُ بيت المخلوق ببيت الخالق، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين، ورأسه الذي لا يقبل الله عملًا إلا به، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ وقال ﷺ: «**من كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله. دخل الجنة**»[٤] والإله هو الذي يَألَهُهُ القلب، عبادةً له، واستغاثةً له، ورجاءً له، وخشيةً وإجلالًا[٥]. انتهى كلامه.

فتأمل أول الكلام وآخره، فيمن دعا نبيًّا أو وليًّا، مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني. ونحوه، أنه يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل، هل يكون هذا إلا في

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥) ومسلم (٥٢٩).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٤٦) وصححه الشيخ الألباني (أحكام الجنائز ١/ ٢١٧).
(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٤٤) والإمام أحمد (٢/ ٣٦٧) وصححه الشيخ الألباني (أحكام الجنائز ١/ ٢١٩).
(٤) أخرجه أبو داود (٣١١٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٤٧٩).
(٥) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٧ - ٤٠٠).

المعيَّن؟ والله المستعان. وتأمل كلامه في اللات والعزى ومناة، وما ذكر بعده، يتبين لك الأمر إن شاء الله تعالى.

وقال ابن القيم ﷺ، في شرح (المنازل) في باب التوبة: وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يَتَّخِذَ من دون الله ندًّا يحبه كما يحب الله، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبتهم الله، ويغضبون لمتنقص معبودهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحدٌ رَبَّ العالمين، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا جهرة، وترى أحدهم قد اتخذ ذِكْرَ معبوده على لسانه، إن قام وإن قعد، وإن عثر وإن استوحش، لا ينكر ذلك، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله، وشفيعه عنده، وهكذا كان عُبَّاد الأصنام سواء، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذوها من البشر، قال الله تعالى حاكيًا عن أسلاف هؤلاء: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ فهذا حال مَن اتخذ مِن دونه وليًّا يزعم أنه يقربه إلى الله تعالى، وما أَعَزَّ مَن تَخَلَّصَ مِن هذا، بل ما أعَزَّ مَن لا يُعَادي مَن أنكَرَه. والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين وأسلافهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد أنكر الله ذلك عليهم في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له[1]. ثم ذكر الشيخ ﷺ، فصلًا طويلًا في تقرير هذا الشرك الأكبر.

ولكن تأمل قوله: وما أَعَزَّ مَن تَخَلَّصَ مِن هذا، بل ما أعَزَّ مَن لا يُعَادي مَن أنكَرَه. يبين لك بطلان الشبهة التي أدلى بها الملحدون، وزعم أن كلام الشيخ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٩ - ٣٤٠).

في هذا الفصل - أعني الفصل الأول - في الشرك الأكبر، على الآية التي في سورة سبأ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وتكلم عليها، ثم قال: والقرآن مملوء من أمثالها، ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته، ويظنه في قوم قد خَلَوا ولم يعقبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، كما قال عمر بن الخطاب: إنما تُنقَضُ عُرَى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية. وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وما ذمه، وقع فيه وأقره، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية، فتنتقض بذلك عُرَى الإسلام، ويعود المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والبدعة سنة، والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد والتوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانًا، والله المستعان[1].

## فصل

وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والحلف بغير الله، وقول: هذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله وقصده.

ثم قال الشيخ رحمه الله، بعدما ذكر الشرك الأكبر والأصغر: ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ، ومن أنواعه التوبة للشيخ، فإنها شرك عظيم، ومن أنواعه

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٤١).

النذر لغير الله، وابتغاء الرزق من عند غيره، والتوكل على غير الله، والعمل لغير الله، والإنابة والخضوع والذل لغير الله، وإضافة نعمة لغيره، ومن أنواعه طلب الحوائج من عند الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم.

وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عمن استغاث به أو سأله أنه يشفع إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، فإن الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، والله لم يجعل سؤال غيره سببًا لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، والميت محتاج إلى من يدعو له، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم، ونسأل الله لهم العافية والمغفرة، فعكس المشركون هذا، وزادوهم زيارة العبادة، وجعلوا قبورهم أوثانًا تُعْبَدُ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى تنقص الأموات، وهم قد تنقَّصُوا الخالق بالشرك، وأولياءَه الموحِّدين بذمِّهم ومعاداتهم، وتنقَّصُوا مَن أشركوا به غاية التنقُّصِ؛ إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به. وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم! ولله در خليله إبراهيم حيث يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وما نجا من شرَك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله[1]. انتهى كلامه.

والمراد من هذا أن بعض الملحدين نسب إلى الشيخ أن هذا شرك أصغر، وشبهته أنه ذكره في الفصل الثاني الذي ذكر في أوله الأصغر، وأنت رحمك الله

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٤٣ - ٣٤٦).

تجد الكلام من أوله إلى آخره في الفصل الأول والثاني صريحًا لا يحتمل التأويل، من وجوه كثيرة، أن دعاء الموتى والنذر لهم ليشفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر الذي بعث عليه النبي ﷺ فكفَّر مَن لم يَتُب منه، وقاتله وعاداه، وآخر ما صرح به قوله آنفًا: وما نجا من شرَك هذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين... إلى آخره.

فتأمل، إن الإسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل هذا الشرك، فإن لم يعادِهم فهو منهم، وإن لم يفعله، وقد ذكر في (الإقناع) عن الشيخ تقي الدين أن من دعا عليَّ بن أبي طالب فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر[1] فإذا كان هذا حال من شك في كفره، مع عداوته له ومقته له، فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولا يعادِهِ؟ فكيف بمن أحبه؟ فكيف بمن جادل عنه وعن طريقته وتعذَّر: إنا لا نقدر على التجارة وطلب الرزق إلا بذلك. وقد قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ فإذا كان هذا قول الله تعالى فيمن تعذَّرَ عن التبيين في العمل ومعاداة المشركين، بالخوف على أهله وعياله، فكيف بمن اعتذر في ذلك بتحصيل التجارة؟ ولكن الأمر كما تقدم عن عمر: إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية. فلهذا لم يفهم به معنى القرآن، وأنه أشر وأفسد من الذين قالوا: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ ومع هذا فكلام هؤلاء الكفار نفاق، وإلا فهم يعتقدون أن أهل التوحيد ضالُّون مُضِلُّون، وأن عبدة الأوثان أهل الحق والصواب، كما صرح به إمامهم في الرسالة التي أتتكم قبل هذه، خطه بيده، ويقول: بيني وبينكم أهل هذه الأقطار، وهم خير أمة أخرجت للناس، وهم كذا وكذا. فإن كان يريد التحاكم إليهم، ويصفهم بأنهم خير أمة

(١) الإقناع (٤/ ٣٠٠ - ٣٠١).

أخرجت للناس، فكيف يصفهم أيضًا بالشرك ومخالطتهم للحاجة؟ وما أحسَنَ قَولَ أصدَقِ القائلين: ﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ فرحم الله امرأ نظر لنفسه، وتفكر فيما جاء به محمد ﷺ من عند الله بمعاداة من أشرك بالله، من قريب أو بعيد، وتكفيرهم، وقتالهم حتى يكون الدين كله لله، وعلم بما حكم محمد ﷺ فيمن أشرك بالله، مع ادعائه للإسلام، وما حكم به في ذلك الخلفاء الراشدون، كعلي بن أبي طالب وغيره لما حرقهم بالنار، مع أن غيرهم من أهل الأوثان الذين لم يدخلوا في الإسلام لا يُقتَلُون بالتحريق، والله الموفق.

وقال أبو العباس بن تيمية في الرد على المتكلمين، لما ذكر أحوال بعض أئمتهم قال:

وكل شرك في العالم إنما حدث برأي جنسهم، فهم الآمرون بالشرك، والفاعلون له، ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم يَنهَ عنه، بل يُقِرُّ هؤلاء وهؤلاء، وإن رجح الموحدين ترجيحًا فقد يرجح غيره المشركين، وقد يعرض عن الأمرين جميعًا، فتدبر هذا فإنه نافع جدًّا، ولهذا كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمرون بالشرك، وكذلك الذين كانوا في ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد، بل يسوّغون الشرك، أو يأمرون، أو لا يوجبون التوحيد، وقد رأيتُ من مصنفاتهم في عبادة الملائكة وعبادة الأنفس المفارقة أنفس الأنبياء وغيرهم ما هو أصل الشرك، وهم إذا ادّعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله، وعبادته وحده لا شريك له، وهذا شيء لا يعرفونه، فلو كانوا موحدين بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل، وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة، بل لا بد أن يعبد الله ويتخذه إلهًا دون ما

سواه، وهو معنى قوله لا إله إلا الله[١]. انتهى كلام الشيخ.

فتأمل، رحمك الله، هذا الكلام، فإنه مثلما قال الشيخ فيه نافع جدًّا، ومن أكبر ما فيه من الفوائد أنه يبين لك حال مَن أَقَرَّ بهذا الدين، وشهد أنه الحق، وأن الشرك هو الباطل، وقال بلسانه ما أُرِيدَ منه، ولكنه لا يدين بذلك، إما بغضًا له أو عدم محبة، كما هو حال المنافقين الذين هم بين أظهرنا، وإما إيثار الدنيا، مثل تجارة وغيرها، فيدخلون في الإسلام ثم يخرجون منه، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ الآية، وقال: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ فإذا قال هؤلاء بألسنتهم: نشهد أن هذا دين الله ورسوله، ونشهد أن المخالف له باطل، وأنه الشرك بالله. غرَّ هذا الكلامُ ضعيفَ البصيرة.

وأعظم من هذا وأَطَمُّ أن أهل حُرَيملاء ومَن وراءهم يصرِّحُون بمَسَبَّةِ الدين، وأن الحق ما عليه أكثر الناس، ويستدلون بالكثرة على حسن ما هم عليه من الدين، ويفعلون ويقولون ما هو من أكبر الردة وأفحشها، فإذا قالوا: التوحيد حق والشرك باطل. وأيضًا لم يُحدثوا في بلدهم أوثانًا، جادل الملحد عنهم وقال: إنهم يقرون أن هذا شرك، وأن التوحيد هو الحق، ولا يضرهم عنده ما هم عليه من السب لدين الله، وبغي العوج له، ومدح الشرك، وذبهم دونه بالمال واليد واللسان، والله المستعان.

وقال أبو العباس أيضًا في الكلام على كفر مانع الزكاة:

والصحابة لا يقولون: هل أنت مُقِرٌّ بوجوبها أو جاحد لها؟ هذا لم يُعهَدْ عن

---

(١) مجموع الفتاوى (٩/ ٣٤ - ٣٥).

الخلفاء والصحابة، بل قال الصديق لعمر رضي الله عنهما: والله لو منعوني عَنَاقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. فجعل المُبيحَ للقتال مجرَّدَ المنع لا جَحْدَ الوجوب، وقد روي أن طوائف كانوا يقرون بالوجوب، لكن بخلوا بها، ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة، وهي قتل مقاتلتهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، والشهادة على قتلاهم بالنار، وسَمّوْهُم جميعهم (أهل الردة) وكان من أعظم فضائل الصديق عندهم أن ثبَّته الله عند قتالهم، ولم يتوقف كما توقف غيره، فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله. وأما قتال المُقِرِّين بنبوة مسيلمة فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم. انتهى.

فتأمل كلامه في تكفير المعين والشهادة عليه إذا قُتل بالنار، وسبي حريمه وأولاده عند منع الزكاة، فهذا الذي ينسبون عنه أعداء الدين عدم تكفير المعين. قال رحمه الله بعد ذلك: وكفر هؤلاء وإدخالهم في أهل الردة قد ثبت باتفاق الصحابة المستند إلى نصوص الكتاب والسنة، انتهى كلامه.

ومن أعظم ما يجلو الإشكال في مسألة التكفير والقتال عند مَن قَصدُهُ اتباعُ الحق، إجماعُ الصحابة على قتال مانع الزكاة، وإدخالهم في أهل الردة وسبي ذراريهم، وفعلهم فيهم ما صح عنهم، وهو أول قتال وقع في الإسلام على مَن ادَّعَى أنه من المسلمين، فهذه أول واقعة وقعت في الإسلام على هذا النوع، أعني المدعين للإسلام، وهي أوضح الواقعات التي وقعت من العلماء عليهم من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا.

وقال الإمام أبو الوفاء ابن عقيل: لما صعبت التكاليف على الجُهَّال والطَّغَام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم؛ إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا

وكذا. وإلقاء الخرق على الشجر اقتداءً بمن عبد اللات والعزى[١]. انتهى كلامه.

والمراد منه قوله: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع.

وقال أيضًا: لقد عظّم الله الحيوان، لا سيما ابن آدم، حيث أباحه الشرك عند الإكراه، فمن قدم حرمة نفسك على حرمته، حتى أباحك أن تتوقى عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه، لحقيق أن تُعظم شعائره وتوقر أوامره وزواجره، وعصم عرضك بإيجاب الحد بقذفك، وعصم مالك بقطع يد مسلم في سرقته، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقتك، وأقام مسح الخف مقام مسح الرجل إشفاقًا عليك في مشقة الخلع واللبس، وأباحك الميتة سدًّا لرمقك وحفظًا لصحتك، وزجرك عن مَضَارِّكَ بحدٍّ عاجل ووعيد آجل، وخرق العوايد لأجلك، وأنزل الكتب إليك - أيحسُنُ بك مع هذا الإكرام أن تُرَى على ما نهاك منهمكًا، وعما أمرك مرتكبًا، وعن داعيه معرِضًا، ولداعي عدوك فيه مطيعًا، يعظمك، وهو هو، وتهمل أمره وأنت أنت! هو حط رتب عباده لأجلك، وأهبط إلى الأرض من امتنع من سجدة يسجدها لك، هل عاديت خادمًا طالت خدمته لك لترك صلاة! هل نفيته من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهي! فإن لم تعترف اعتراف العبيد للموالي فلا أقل أن تقتضي نفسك إلى الحق سبحانه اقتضاء المكافئ المساوئ، وما أوحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان بينا أن يكون بحضرة الحق وملائكة السماء سجودًا له تترامى به الأحوال والجهالات، إلى أن يوجد ساجدًا لصورة في حجر، أو لشجرة من الشجر، أو لشمس أو لقمر، أو لصورة ثور خائر، أو لطائر صفر، ما أوحش زوال النعم، وتغير الأحوال،

---

(١) نقله عنه الإمام ابن القيم (إغاثة اللهفان ١/ ١٩٥).

والحَور بعد الكَور! لا يليق بهذا الحي الكريم الفاضل على جميع الحيوانات ألا يُرَى إلا عابدًا لله في دار التكليف، أو مُجَازًا لله في دار الجزاء والتشريف، وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير موضعها. انتهى كلامه.

والمراد أنه جعل أقبح حال وأفحشها من أحوال الإنسان أن يشرك بالله، ومثَّلَه بأنواع، منها السجود لشمس أو لقمر، ومنها السجود لصورة، كما يسجد للصور التي في القباب على القبور، والسجود قد يكون بالجبهة على الأرض، وقد يكون بالانحناء من غير وصول إلى الأرض، كما فُسّر به قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ قال ابن عباس: أي رُكعًا.

وقال ابن القيم في (إغاثة اللهفان) في إنكار تعظيم القبور: وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين إلى أن صنّف بعض غُلَاتهم في ذلك كتابًا سماه (مناسك المشاهد) ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في عبادة الأصنام[١].

وهذا الذي ذكره ابن القيم رجل من المصنفين يقال له (ابن المفيد) فقد رأيتُ ما قال فيه بعينه، فكيف ينكر تكفير المعين؟

وأما كلام أتباع سائر الأئمة في التكفير فنذكر منه قليلًا من كثير.

أما كلام الحنفية؛ فكلامهم في هذا من أغلظ الكلام، حتى أنهم يكفِّرُون المعيَّنَ إذا قال: مصيحف أو مسيجد. أو صلّى صلاة بلا وضوء، ونحو ذلك.

وقال في (النهر الفائق): واعلم أن الشيخ قاسم قال في شرح (درر البحار) أن النذر الذي يقع من أكثر العوام، بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلًا: يا سيدي

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٩٧ - ٢٠٢).

فلان، إن رُد غائبي أو عوفي مريضي فلك من الذهب والفضة أو الشمع أو الزيت كذا. باطل إجماعًا لوجوه.. إلى أن قال: ومنها ظن أن الميت يتصرف في الأمر، واعتقاد هذا كفر... إلى أن قال: وقد ابتُلِيَ الناس بذلك، ولا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي(١). انتهى كلامه.

فانظر إلى تصريحه أن هذا كفر، مع قوله أنه يقع من أكثر العوام، وأن أهل العلم قد ابتُلُوا بما لا قدرة لهم على إزالته.

وقال القرطبي كَلَلهُ، لما ذكر سماع الفقراء وصورته، قال: هذا حرام بالإجماع، وقد رأيت فتوى شيخ الإسلام جمال الملة أن مستحل هذا كافر. ولما علم أن حرمته بالإجماع لزم أن يكفر مُستَحِلُّهُ.

فقد رأيتَ كلام القرطبي وكلام الشيخ الذي نقل عنه في كفر مَنْ استحل السماع، مع كونه دون ما نحن فيه بالإجماع بكثير كثير.

وقال أبو العباس كَلَلهُ: حدثني الحصيري عن والده الشيخ الحصيري، إمام الحنفية في زمانه، قال: كان فقهاء بخارى يقولون في ابن سينا: كان كافرًا ذكيًّا(٢).

فهذا إمام الحنفية في زمنه حكى عن فقهاء بخارى أنهم يقولون في ابن سينا، وهو رجل معيَّن مصنِّف، يتظاهر بالإسلام.

وأما كلام المالكية في هذا فهو أكثر من أن يُحصَرَ، وقد اشتهر عن فقهائهم سرعة الفتوى والقضاء بقتل الرجل عند الكلمة التي لا يَفطِنُ لها أكثر الناس، وقد ذكر القاضي عياض في آخر كتاب (الشفا) من ذلك طرفًا، ومما ذكروا أن

---

(١) حاشية ابن عابدين (٢/ ٣٣٩ - ٤٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٩/ ٤٠).

مَن حلف بغير الله على وجه التعظيم كفر.

وكل هذا دون ما نحن فيه بما لا نسبة بينه وبينه.

وأما الشافعية؛ فقال صاحب (الروض) ﷺ: إن المسلم إذا ذبح للنبي ﷺ كفر. وقال أيضًا: مَن شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر.

وكل هذا دون ما نحن فيه.

وقال ابن حجر في (شرح الأربعين) في الكلام على حديث ابن عباس «**إذا سألت فاسأل الله**» ما معناه: أنه من دعا غير الله فهو كافر، وصنّف في هذا النوع كتابًا مستقلًا سماه (الإعلام بقواطع الإسلام) ذكر فيه أنواعًا كثيرة من الأقوال والأعمال، كل واحد منها ذكر أنه يُخرج من الإسلام، ويكفر به المعيَّنُ، وغالبها لا يساوي عشر معشار ما نحن فيه.

وتمام الكلام في هذا أن يقال: الكلام هنا في مسألتين:

**الأولى**: أن يقال: هذا الذي يفعله كثير من العوام عند قبور الصالحين، ومع كثير من الأحبار والأموات والجن؛ من التوجه إليهم ودعائهم لكشف الضر، والنذر لهم لأجل ذلك، هل هو الشرك الأكبر الذي فعله قوم نوح ومَن بعدهم، إلى أن انتهى الأمر إلى قوم خاتم الرسل قريش وغيرهم، فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ينكر عليهم ذلك، ويكفرهم ويأمر بقتالهم حتى يكون الدين كله لله، أم هذا شرك أصغر وشرك المتقدمين نوع غير هذا؟

فاعلم أن الكلام في هذه المسألة سهلٌ على مَن يسَّره الله عليه، بسبب أن علماء المشركين اليوم يُقِرُّون أنه الشرك الأكبر ولا ينكرونه، إلا ما كان من مسيلمة الكذاب وأصحابه، كابن إسماعيل وابن خالد، مع تناقضهم في ذلك واضطرابهم، فأكثر أحوالهم يُقِرُّون أنه الشرك الأكبر، ولكن يعتذرون أن أهله لم

تبلغهم الدعوة، وتارة يقولون: لا يكفر إلا من كان في زمن النبي ﷺ. وتارة يقولون إنه شرك أصغر، وينسبونه إلى ابن القيم في (المدارج) كما تقدم، وتارة لا يذكرون شيئًا من ذلك، بل يُعظمون أهله وطريقتهم في الجملة، وأنهم خير أمة أخرجت للناس، وأنهم العلماء الذي يجب رد الأمر عند التنازع إليهم، وغير ذلك من الأقاويل المضطربة.

وجواب هؤلاء كثير في الكتاب والسنة والإجماع، ومِن أصرح ما يُجَابون به إقرارُهم في غالب الأوقات أن هذا هو الشرك الأكبر، وأيضًا إقرار غيرهم من علماء الأقطار، مع أن أكثرهم قد دخل في الشرك وجاهد أهل التوحيد، لكن لم يجد بُدًّا من الإقرار به لوضوحه.

**المسألة الثانية**: الإقرار بأن هذا هو الشرك الأكبر، لكن لا يكفر به إلا من أنكر الإسلامَ جملة وكذَّب الرسولَ والقرآنَ، واتَّبع يهودية أو نصرانية أو غيرهما. وهذا هو الذي يجادل به أهل الشرك والعناد في هذه الأوقات، وإلا المسألة الأولى قلَّ الجدال فيها، ولله الحمد، لِمَا وقع من إقرار علماء الشرك بها.

فاعلم أن تصوّر هذه المسألة تصورًا حسنًا يكفي في إبطاله من غير دليل خاص لوجهين:

**الأول**: أن مقتضى قولهم: إن الشرك بالله وعبادة الأصنام لا تأثير لها في التكفير؛ لأن الإنسان إن انتقل عن الملة إلى غيرها، وكذَّب الرسولَ والقرآنَ فهو كافر، وإن لم يعبد الأوثان، كاليهود، فإذا كان مَن انتسب إلى الإسلام لا يكفر إذا أشرك الشرك الأكبر؛ لأنه مسلم يقول: لا إله إلا الله. ويصلي ويفعل كذا وكذا، لم يكن للشرك وعبادة الأوثان تأثيرٌ، بل يكون ذلك كالسواد في الخلقة والعمى والعرج، وإن كان صاحبها يدعي الإسلام فهو مسلم، وإن ادعى ملة غيرها فهو كافرٌ، وهذه فضيحة عظيمة كافية في رد هذا القول الفظيع.

**الوجه الثاني**: أن معصية الرسول ﷺ في الشرك وعبادة الأوثان بعد بلوغ العلم كفرٌ صريحٌ بالفطر والعقول والعلوم الضرورية، فلا يُتَصَور أنك تقول لرجل، ولو من أجهل الناس وأبلدهم: ما تقول فيمن عصى الرسول ولم يَنْقَدْ له في ترك عبادة الأوثان والشرك، مع أنه يدعي أنه مسلم متَّبع؟ إلا ويبادر في الفطرة الضرورية إلى القول بأن هذا كافر، من غير نظر في الأدلة أو سؤال أحد من العلماء، ولكن لغلبة الجهل، وغرابة العلم، وكثرة مَن يتكلم بهذه المسألة من الملحدين، اشتبه الأمرُ فيها على بعض العوام من المسلمين الذين يحبون الحق، فلا تحقرها وأَمْعِن النظر في الأدلة التفصيلية، لعل الله أن يمنَّ عليك بالإيمان الثابت، ويجعلك أيضًا من الذين يهدون بأمره.

ومِن أحسن ما يُزيل الإشكال فيها ويَزيد المؤمنَ يقينًا ما جرى من النبي ﷺ وأصحابه، والعلماء بعدهم، فيمن انتسب إلى الإسلام؛ كما ذكر أنه ﷺ بعث البَرَاء معه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله[١] ومثل هَمِّه بغزو بني المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة، ومثل قتال الصدّيق وأصحابه لمانعي الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين[٢] ومثل إجماع الصحابة في زمن عمر على تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه إن لم يتوبوا، لما فهموا من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ حلَّ الخمر لبعض الخواص[٣] ومثل إجماع الصحابة رضي الله عنهم في زمن عثمان رضي الله عنه على تكفير أهل المسجد الذين ذكروا كلمة في نبوة مسيلمة، مع أنهم لم يتبعوه، وإنما اختلف الصحابة في قبول توبتهم، ومثل تحريق علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣١٤) ومسلم (١٦٩٦).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).
(٣) أخرجه عبد الرزاق (٩/ ٢٤٠).

أصحابه لما غَلَوا فيه، ومثل إجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر المختار بن أبي عبيد ومَن اتَّبَعَه، مع أنه يدَّعي أنه يطلب بدم الحسين وأهل البيت، ومثل إجماع التابعين ومَن بعدهم على قتل الجعد بن درهم، وهو مشتهر بالعلم والدين، وهلم جرًّا مِن وقائع لا تُعَدّ ولا تُحصَى.

ولم يقل أحد من الأولين والآخرين لأبي بكر الصديق وغيره: كيف تقاتل بني حنيفة وهم يقولون: لا إله إلا الله. ويصلون ويزكون! وكذلك لم يستشكل أحدٌ تكفير قدامة وأصحابه لو لم يتوبوا، وهلّم جرًّا إلى زمن بني عبيد الذين ملكوا المغرب ومصر والشام وغيرها، مع تظاهرهم بالإسلام وصلاة الجمعة والجماعة ونصب القضاة والمفتين، لمَّا أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا، ولم يستشكل أحد من أهل العلم والدين قتالهم ولم يتوقف فيه، وهم في زمن ابن الجوزي، وصنّف ابن الجوزي كتابًا لما أُخِذَت مِصْرُ منهم سماه (النصر على مصر) ولم يسمع أحد من الأولين والآخرين أن أحدًا أنكر شيئًا من ذلك أو استشكله لأجل ادعائهم الملَّة، أو لأجل قول (لا إله إلَّا الله) أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام، إلَّا ما سمعنا من هؤلاء الملاعين في هذه الأزمان، من إقرارهم أن هذا هو الشرك، ولكن مَن فعَله، أو حسَّنه، أو كان من أهله، أو ذم التوحيد، أو حارب أهله لأجله، أو أبغضهم لأجله أنه لا يكفر؛ لأنه يقول (لا إله إلَّا الله) أو لأنه يؤدي أركان الإسلام الخمسة، ويستدلون بأن النبي ﷺ سماه الإسلام. هذا لم يُسمَع قط إلَّا من هؤلاء الملحدين الجاهلين الظالمين، فإن ظفروا بحرف واحد من أهل العلم، أو أحد منهم، يستدلّون به على قولهم الفاحش الأحمق فليذكروه، ولكن الأمر كما قال اليمني[1] في قصيدته:

أحاديث لا تُعْزَى إلى عالم فلا ... تساوي فلسًا إن رجعت إلى النقدِ

---

(١) الصنعاني، في قصيدته في مدح الشيخ - كما سبق -.

ولنختم الكلام في هذا النوع بما ذكره البخاري في صحيحه حيث قال: (باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان) ثم ذكر بإسناده قوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة**»(١) وذو الخلصة صنم لدوس يعبدونه، فقال ﷺ لجرير بن عبد الله: «**ألا تريحني من ذي الخلصة؟**» فركب إليه بمن معه فأحرقه وهدمه، ثم أتى النبي ﷺ قال: فبرك على خيل أحمس ورجالها خمسا(٢). وعادة البخاري رحمه الله، إذا لم يكن الحديث على شرطه ذكره في الترجمة، ثم أتى بما يدل على معناه، مما هو على شرطه، ولفظ الترجمة، وهو قوله تغير الزمان حتى تعبد الأوثان لفظ حديث أخرجه غيره من الأئمة، والله تعالى أعلم.

ولنذكر من كلام الله ورسوله وكلام أئمة العلم جملا في جهاد القلب واللسان ومعاداة أعداء الله وموالاة أوليائه، وأن الدين لا يصح ولا يدخل الإنسان فيه إلا بذلك فنقول:

باب وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين:

وقوله الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ الآية، وقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

---

(١) صحيح البخاري (٧١١٦).

(٢) صحيح البخاري (٣٠٢٠).

قال الإمام الحافظ محمد بن وضاح: أخبرنا غير واحد أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات: اعلم يا أخي أن ما حملني على الكتاب إليك ما ذكَر أهلُ بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السُّنَّة، وعيبك لأهل البدعة، وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم، فقمعهم الله بك، وشد بك ظهر أهل السُّنَّة، وقواك عليهم بإظهار عينهم والطعن عليهم، فأذلهم الله بك، وصاروا ببدعتهم مستترين، فأبشر، أي أخي، بثواب ذلك، واعتد به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياء سُنَّة رسوله! وقد قال رسول الله ﷺ: «**من أحيا شيئًا من سُنَّتي كنت أنا وهو كهاتين في الجنة وضم بين أصبعيه**»[1] وقال: «**أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه، كان له مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة**»[2] فمتى يُدرك هذا أجر شيء من عمله، وذكر أيضًا: «**إن لله عند كل بدعة كيد بها أهل الإسلام وليًّا لله يذب عنها وينطق بعلامتها**»[3] فاغتنم يا أخي هذا الفضل، وكن من أهلهن، فإن النبي ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من كذا وكذا**» وعظم القول فيه، فاغتنم ذلك وادع إلى السُّنَّة حتى يكون لك بذلك أُلفة وجماعة يقومون مقامك إن حدث بك حدث، فيكونون أمة بعدك، فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة، كما جاء في الأثر، فاعمل على بصيرة ونية وحسبة، فيرد الله بك

---

(١) أخرج الترمذي (٢٦٧٨) من حديث أنس مرفوعًا: «**من أحيا سنتي فقد أحياني، ومن أحياني كان معي في الجنة**» وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ٦٣٨٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٠٥) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٧١٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٤٠٠) وقال الشيخ الألباني: موضوع (ضعيف الجامع ١٩٥١).

المبتدع المفتون الزائغ الحائر، فتكون خلفًا من نبيك ﷺ فإنك لن تلقى الله بعمل شبهة. وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب، فإنه جاء الأثر: «**من جالس صاحب بدعة نُزعت منه العصمة، ووُكل إلى نفسه، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى في هدم الإسلام**»[١] وجاء: «**ما من إله يُعبد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى**» وقد وقعت اللعنة من رسول الله ﷺ على أهل البدع، وأن الله لا يقبل منهم صرفًا ولا عدلًا، ولا فريضة ولا تطوعًا، وكلما ازدادوا اجتهادًا وصومًا وصلاة ازدادوا من الله بعدًا، فارفُضْ مجالسهم وأَذِلَّهم وأَبْعِدْهُم كما أبعَدَهم الله وأذلَّهم رسول الله ﷺ وأئمة الهدى من بعده[٢]. انتهى.

واعلم، رحمك الله، أن كلامه وما يأتي من كلام أمثاله من السلف، في معاداة أهل البدع والضلال ضلالة لا تخرج من الملة، لكنهم شددوا في ذلك وحذروا منه لأمرين:

**الأول**: غِلَظُ البدعة في الدين في نفسها، فهي عندهم أجلُّ من الكبائر، يعاملون أهلها كما يعاملون به أهل الكبائر، كما تجد قلوب الناس اليوم أن الروافض عندهم، ولو كان عالمًا أو عابدًا، أبغض وأشد من السني المجاهر بالكبائر.

**الأمر الثاني**: أن البدع تجر إلى الردة الصريحة، كما وجد من كثير من أهل البدع.

---

(١) أخرج الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٩٦) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٩٧) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام**».

(٢) البدع والحوادث (١/ ٨).

فمثال البدعة التي شددوا فيها مثال تشديد النبي ﷺ على مَن عبَد الله عند قبر رجل صالح، مما وقع من الشرك الصريح الذي يُصَيِّرُ المسلم مرتدًّا، فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وما نحن فيه من الكلام في الردة ومجاهدة أهلها، أو النفاق الأكبر ومجاهدة أهله، وهذا هو الذي نزلت فيه الآيات المحكمات، مثل قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ الآية، وقوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾.

وقال ابن وضاح في كتاب (البدع والحوادث) بعد حديث ذكره: إنه سيقع في هذه الأمة فتنة الكفر وفتنة الضلالة، لا يحل فيها السبي والأموال، وهذا الذي نحن فيه فتنة ضلالة لا يحل فيها السبي ولا الأموال[١]. انتهى كلامه.

وقال رحمه الله أيضًا: أخبرنا رجل عن ابن المبارك قال: قال ابن مسعود: إن لله عند كل بدعة كِيدَ بها أهلُ الإسلام وليًا من أوليائه، يذُبُّ عنها وينطق بعلامتها، فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله. قال ابن المبارك: وكفى بالله وكيلًا[٢].

ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قال: لأن أردَّ رجلًا عن رأي سيئ أحبُّ إليَّ من اعتكاف شهر[٣].

أخبرنا أسد عن أبي إسحاق الحذّاء عن الأوزاعي قال: كان بعض أهل العلم يقول: لا يقبل الله من ذي بدعة صلاة ولا صيامًا ولا صدقة ولا جهادًا ولا حجًّا

---

(١) البدع والحوادث (١/ ٢٧٢).
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٤٠٠) وقال الشيخ الألباني: موضوع (ضعيف الجامع ١٩٥١).
(٣) البدع والحوادث (١/ ٦) من قول عبد الكريم بن أبي أمية.

ولا صرفًا ولا عدلًا، وكانت أسلافكم تشتد عليهم ألسنتهم وتشمئز منهم قلوبهم ويحذرون الناس بدعتهم. قال: ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس ما كان لأحد أن يهتك عنهم سترًا ولا يظهر منهم عورة، الله أولى بالأخذ بها أو بالتوبة عليها، وأما إذا جهروا فنشرُ العلم حياةٌ، والبلاغُ عن رسول الله ﷺ رحمةٌ يعتصم بها على مصرّ بإلحاده(١).

ثم روى بإسناده قال: جاء رجل إلى حذيفة، وأبو موسى الأشعري قاعد، فقال: أرأيت رجلًا قاعدًا حتى ضرب بسيفه غضبًا لله حتى قُتل، أفي الجنة هو أم في النار؟ قال أبو موسى: في الجنة. فقال حذيفة: استفهِمْ الرجل وأفهِمْهُ ما تقول. حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فلما كان في الثالثة قال: والله لا نستفهمه. فدعا به حذيفة فقال: رويدك، إن صاحبك لو ضرَب بسيفه حتى ينقطع، فأصاب الحق حتى يُقتل عليه، فهو في الجنة، وإن لم يصب الحق ولم يوفقه الله فهو في النار. ثم قال: والذي نفسي بيده، لَيَدْخُلَنَّ النار مثلُ الذي سُئلتُ عنه أكثر من كذا وكذا(٢).

ثم ذكر بإسناده عن الحسن قال: لا تجالس صاحب بدعة؛ فإنه يُمرض قلبك(٣).

ثم ذكر بإسناده عن سفيان الثوري قال: مَن جالَسَ صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله النار، وإما أن يقول: والله ما أبالي ما تكلموه، وإني واثق بنفسي. فمن أَمِنَ اللهَ

---

(١) البدع والحوادث (١/ ٦).
(٢) البدع والحوادث (١/ ٨٧).
(٣) البدع والحوادث (١/ ١٢٤).

على دينه طرفة عين سلبه إياه[١].

ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قال: من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام[٢].

أخبرنا أسد قال: أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب قال: قال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يُلبِسُوا عليكم ما تعرفون. قال أيوب، وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب[٣].

أخبرنا زيد عن محمد بن طلحة قال: قال إبراهيم: لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم؛ فإني أخاف عليكم أن ترتد قلوبكم[٤].

أخبرنا أسد بالإسناد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم مَن يخالل**»[٥].

أخبرنا أسد أخبرنا مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال: دخل على محمد بن سيرين يومًا رجل، فقال: يا أبا بكر، أقرأ عليك آية من كتاب الله، لا أزيد على أن أقرأها ثم أخرج. فوضع أصبعيه في أذنيه ثم قال: أُحَرِّجُ

(١) البدع والحوادث (١/ ١٢٥).

(٢) البدع والحوادث (١/ ١٢٦) وأخرج الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٩٦) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٩٧) عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام**».

(٣) البدع والحوادث (١/ ١٣٠).

(٤) البدع والحوادث (١/ ١٣٣).

(٥) البدع والحوادث (١/ ١٣٥) وأخرجه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) وحسنه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٣٥٤٥).

عليك إن كنت مسلمًا لمَا خَرَجتَ من بيتي. قال: فقال: يا أبا بكر، إني لا أزيد على أن أقرأ ثم أخرج! قال: فقال بإزاره يشده عليه وتهيأ للقيام، فأقبلنا على الرجل فقلنا: قد حَرَّجَ عليك إلا خَرَجتَ، أفَيَحِلُّ لك أن تُخْرِجَ رجلًا من بيته! قال: فخرج، فقلنا: يا أبا بكر، ما عليك لو قرأ آية ثم خرج! قال: إني والله لو ظننت أن قلبي يثبُتُ على ما هو عليه ما باليتُ أن يقرأ، ولكني خفت أن يلقي في قلبي شيئًا أجهد أن أخرجه من قلبي فلا أستطيع[١].

أخبرنا أسد قال: أخبرني ضمرة عن ابن شوذب قال: سمعت عبد الله بن القاسم وهو يقول: ما كان عبدٌ على هوًى فتركه إلا إلى ما هو أشر منه. قال: فذكرت هذا لبعض أصحابنا فقال: تصديقه في حديث عن النبي ﷺ: «**يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى فُوقه**»[٢].

أخبرنا أسد قال: أخبرني موسى بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال: كان رجل يرى رأيًا فرجع عنه، فأتيت محمدًا فرحًا بذلك أخبره، فقال: أشعرت أن فلانًا ترك رأيه الذي كان يرى! فقال: انظروا إلى ماذا يتحول! إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله «**يمرقون من الإسلام لا يعودون إليه**»[٣].

ثم روى بإسناده عن حذيفة أنه أخذ حصاة بيضاء، فوضعها في كفه ثم قال: إن الدين قد استضاء استضاءة هذه، ثم أخذ كفًّا من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها، ثم قال: والذي نفسي بيده لَيَجِيئَنَّ أقوام يدفنون هذا الدين

---

(١) البدع والحوادث (١/ ١٤٨).
(٢) البدع والحوادث (١/ ١٥٣) والحديث أخرجه البخاري (٧٥٦٢).
(٣) البدع والحوادث (١/ ١٥٤).

كما دَفَنْتُ هذه الحصاة[١].

أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن أبي الدرداء قال: لو خرج رسولُ الله ﷺ إليكم اليوم ما عرف شيئًا مما كان عليه وهو وأصحابه إلا الصلاة. قال الأوزاعي: فكيف كان اليوم! قال عيسى، يعني الراوي عن الأوزاعي: فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان![٢]

أخبرنا محمد بن سليمان بإسناده عن علي قال: تعلموا العلم تُعرَفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله؛ فإنه سيأتي بعدكم زمان ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم[٣].

أخبرنا يحيى بن يحيى بإسناده عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال: ما أعرف شيئًا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة[٤].

حدثني إبراهيم بن محمد بإسناده عن أنس قال: ما أعرف منكم شيئًا كنت أعهده على عهد رسول الله ﷺ ليس قولكم: لا إله إلا الله[٥].

أخبرنا أسد بإسناده عن الحسن قال: لو أن رجلًا أدرك السلف الأول ثم بُعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئًا. قال، ووضع يده على خده: إلا هذه الصلاة. ثم قال: أما والله لمن عاش في هذه النكراء[٦]، ولم يدرك هذا السلف الصالح، فرأى مبتدعًا يدعو إلى بدعته، ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه،

---

(١) البدع والحوادث (١/ ١٦٤).
(٢) البدع والحوادث (١/ ١٦٩).
(٣) البدع والحوادث (١/ ١٧٢).
(٤) البدع والحوادث (١/ ١٨٨).
(٥) البدع والحوادث (١/ ١٨٩).
(٦) أي: الأمور المُنكرة.

فعصمه الله من ذلك، وجعل قلبه يحن إلى ذكر هذا السلف الصالح، يسأل عن سبيلهم، ويقتص آثارهم، ويتبع سبيلهم، ليعوض أجرًا عظيمًا، فكذلك فكونوا إن شاء الله[١].

حدثني عبد الله بن محمد بإسناده عن ميمون بن مهران قال: لو أن رجلًا نُشر فيكم من السلف ما عرف فيكم غير هذه القبلة[٢].

أخبرنا محمد بن قدامة بإسناده عن أم الدرداء قالت: دخل عليّ أبو الدرداء مغضبًا فقلت له: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم من أمر محمد شيئًا إلا أنهم يصلون جميعًا[٣].

وفي لفظ: لو أن رجلًا يعلم الإسلام وأهمه ثم تفقده ما عرف منه شيئًا[٤].

حدثني إبراهيم بإسناده عن عبد الله بن عمرو قال: لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خَلَيَا بمصحفهما في بعض هذه الأودية، لَأَتَيَا الناس اليوم ولا يعرفان شيئًا مما كانا عليه[٥].

قال مالك: وبلغني أن أبا هريرة تلا قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فقال: والذي نفسي بيده، إن الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجًا كما دخلوا فيه أفواجًا[٦].

---

(١) البدع والحوادث (١/ ١٩٠).
(٢) البدع والحوادث (١/ ١٩١).
(٣) البدع والحوادث (١/ ١٩٢).
(٤) البدع والحوادث (١/ ١٩٣).
(٥) البدع والحوادث (١/ ١٩٦).
(٦) البدع والحوادث (١/ ١٩٥).

قف وتأمل، رحمك الله، إذا كان هذا في زمن التابعين، بحضرة أواخر الصحابة، فكيف يغرّ المسلم الكثرة أو تشكل عليه ولا يستدل بها على الباطل؟

ثم روى ابن وضاح بإسناده عن أبي أمية قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت: يا أبا ثعلبة، كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قول الله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: أما والله لقد سألت بها خبيرًا؛ سألتُ عنها رسول الله ﷺ قال: «**ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوًى مُتَّبَعًا، ودنيا مؤثَرَة، وإعجابَ كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع أمر العوام؛ فإن من ورائكم أيامًا، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله**» قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال: «**أجر خمسين منكم**»[(١)].

ثم روى بإسناده عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «**طوبى للغرباء**» ثلاثًا، قالوا: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: «**أناس صالحون قليل، في ناس سوء كثير، مَن يبغضهم أكثر ممن يحبهم**»[(٢)].

أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن المعافري قال: قال رسول الله ﷺ قال: «**طوبى للغرباء؛ الذين يُمَسِّكون بكتاب الله حين يترك، ويعملون بالسنة حين تطفأ**»[(٣)].

أخبرنا أسد عن سالم بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**بدأ الإسلام**

---

(١) البدع والحوادث (١/ ٢٣١) وأخرجه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ٢٣٤٤) وقال: لكن فقرة أيام الصبر ثابتة.
(٢) البدع والحوادث (١/ ١٨٠).
(٣) البدع والحوادث (١/ ١٨١).

**غريبًا، ولا تقوم الساعة حتى يكون غريبًا؛ فطوبى للغرباء حين يفسد الناس، ثم طوبى للغرباء حين يفسد الناس»**[١].

أخبرنا أسد بإسناده عن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**» فقيل: وما الغرباء، يا رسول الله؟ قال: «**الذين يصلحون عند فساد الناس**»[٢]. هذا آخر ما نقلته من كتاب (الحوادث والبدع)[٣] للإمام الحافظ محمد بن وضاح، رحمه الله تعالى.

قال المؤلف: وتأمل، رحمك الله تعالى، أحاديث الغربة، وبعضها في الصحيح، مع كثرتها وشهرتها، وتأمل إجماع العلماء كلهم أن هذا قد وقع من زمن طويل، حتى قال ابنُ القيم: الإسلام في زماننا أغرب منه في أول ظهوره[٤]. فتأمل هذا تأملًا جيدًا، لعلك أن تسلم من الهوة الكبيرة التي هلك فيها أكثر الناس، وهي الاقتداء بالأكثر والسواد الأكبر، والنفرة من الأقل، فما أَقَلَّ مَن سَلِمَ منها! ما أَقَلّه ما أَقَلَّه!

ولنختم ذلك بالحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه الله تعالى في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره**»[٥] وفي رواية: «**يهتدون بهديه، ويستنون بسنته، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن**

(١) البدع والحوادث (١/ ١٨٣).
(٢) البدع والحوادث (١/ ١٨٢).
(٣) البدع والحوادث (١/ ٣ - ١٩٦).
(٤) مدارج السالكين (٣/ ١٩٨).
(٥) أخرجه مسلم (٥٠).

**جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**[١] انتهى ما نقلته، والحمد لله رب العالمين.

وقد رأيت للشيخ تقي الدين رسالة كتبها وهو في السجن إلى بعض إخوانه، لما أرسلوا إليه يشيرون عليه بالرفق بخصومه ليتخلص من السجن، أحببت أن أنقل أولها لعظيم منفعته، قال:

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا ﷺ تسليمًا، أما بعد:

فقد وصَلَت الورقة التي فيها رسالة الشيخَين الجليلَين العالمَين الناسكَين القُدْوتَين، أيَّدَهما الله وسائرَ الإخوان بروح منه، وكتَب في قلوبهم الإيمان، وأدخلَهم مُدْخَلَ صِدْق، وأخرَجَهم مُخْرَجَ صِدْق، وجعل لهم مِن لَدُنْهُ ما يتمّ به من السلطان؛ سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان، وسلطان القدرة والنصرة بالسِّنَان والأعوان، وجعلهم من أوليائه المتقين، وحزبه الغالبين، لمن ناوأهم من الأقران، ومن أئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والإيقان، واللهُ مُحَقِّق ذلك ومُنْجِز وعده في السر والإعلان، ومنتقم من حزب الشيطان، لكن على ما اقتضت ومَضَت به سنته من الابتلاء والامتحان، الذي يميز الله به أهل الصدق والإيمان من أهل النفاق والبهتان؛ إذ قد دلَّ على أنْ لا بد من الفتنة لكل من ادَّعَى الإيمان، والعقوبة لذوي السيئات والطغيان، فقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠).

أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ فأنكر سبحانه على مَن يظن أن أهل السيئات يفوقون الطالب الغالب، أو أن مُدَّعِي الإيمان يُتْرَكُ بلا فتنة تميز بين الصادق والكاذب، وأخبر في كتابه أن الصدق بالإيمان لا يكون إلا بالجهاد في سبيله، فقال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ وأخبر سبحانه بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة، الذي يعبد الله فيها على حرف، وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر من هو عليه، بل لا يثبت على الإيمان إلا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾ الآية، وقد قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وأخبر سبحانه عند وجود المرتدِّين، فلا بد من وجود المحبِّين المحبوبين المجاهدين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ الآية، وهؤلاء الشاكرون لنعمة الإيمان الصابرون على الامتحان، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ﴾ فإذا أنعم الله على الإنسان بالصبر والشكر كان جميع ما يقضى له من القضاء خير له، كما قال النبي ﷺ: «**لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيرًا له؛ إن أصابته سَرَّاءُ فشَكَر كان خيرًا له، وإن أصابته ضَرَّاءُ فصَبَر كان خيرًا له**»(١) والصابر الشكور هو المؤمن الذي ذكر الله في غير موضع من كتابه، ومن لم يُنعم الله عليه بالصبر

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

والشكر فهو بِشَرِّ حالٍ، وكل واحد من السراء والضراء في حقه تفضي به إلى قبح المآل، فكيف إذا كان ذلك في الأمور العظيمة التي هي من محن الأنبياء والصديقين، وفيها تثبت أصول الدين، وحفظ الإيمان والقرآن من كيد أهل النفاق والإلحاد والبهتان، فالحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكريم وجهه وعز جلاله، والله المسئول أن يثبتكم وسائر المؤمنين في الحياة الدنيا والآخرة، ويتم نعمته عليكم الباطنة والظاهرة، وينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الكافرين والمنافقين، الذين أمرنا بجهادهم والإغلاظ عليهم في كتابه المبين[1]. انتهى كلام أبي العباس رحمه الله.

ومن جواب له رحمه الله، لما سئل عن الحشيشة؛ ما يجب على مَن يدَّعِي أن أكلها جائز؟ فقال: أكل هذه الحشيشة حرام، وهي من أخبث الخبائث المحرمة، سواء أَكَلَ منها كثيرًا أو قليلًا، لكن الكثير منها المسكر حرام باتفاق المسلمين، ومن استحل ذلك فهو كافر، يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتِلَ كافرًا مرتدًّا، لا يُغَسَّلُ ولا يُصَلَّى عليه ولا يُدْفَنُ بين المسلمين، وحكم المرتد شرٌّ من حكم اليهود والنصارى، سواء إن اعتقد أن ذلك يحل للعامة، أو للخاصة الذين يزعمون أنها لقمة الذكر والفكر، وأنها تحرك الساكن، وتنفع في الطريق، وكان بعض السلف ظن أن الخمر يباح للخاصة متأوِّلًا لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ فاتفق عمر وعلي وغيرهما من علماء الصحابة على أنهم إن أقروا بالتحريم جُلِدُوا، وإن أَصَرُّوا على الاستحلال قُتِلُوا[2]. انتهى ما نقلته من كلام الشيخ.

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢١١ - ٢١٤).
(٢) مجموع الفتاوى (٣٤/ ٢١٣ - ٢١٤).

فتأمل كلام هذا الذي يُنْسَبُ إليه عدمُ تكفير المعيَّن إذا جاهَر بسبِّ دين الأنبياء، وصار مع أهل الشرك، ويزعم أنهم على الحق، ويأمر بالمصير معهم، ويُنكر على مَن لا يسبّ التوحيد ويدخل مع المشركين لأجل انتسابه إلى الإسلام، انظر كيف كفَّر المعيَّنَ، ولو كان عابدًا، باستحلال الحشيشة، ولو زعم حلَّها للخاصة التي تعينهم على الفكرة، واستدل بإجماع الصحابة على تكفير قدامة وأصحابه إن لم يتوبوا، وكلامُهُ في المعيَّن، وكلامُ الصحابة في المعيَّن، فكيف بما نحن فيه مما لا يساوي استحلالُ الحشيشة جزءًا من ألف جزء منه! والحمد لله رب العالمين، انتهى.

**وفي هذه السنة أيضًا** جرت وقعة تسمى وقعة الغفيلي، وهو رجل في قصر من قصور ضرما، فعزم على الردة، وصمم عليها قصده، فأرسل إلى إبراهيم بن سليمان، يخبره بذلك الأمر والشأن، ويستنجده بأن يرسل إليه أعوان، فأرسل إليه بعض الجيش، لكي تطمئن نفسه ويسكن ما بها من الطيش، فعثر على ما نواه وأراد، واطلع على حاله أميرُ البلاد، فأرسل إلى الأمير محمد بن سعود، يخبره بالأمر المعقود، فجهز الأمير جيشًا في ساعته، من أهل العيينة وأهل الدرعية وغيرهما من جماعته، وبادروا إلى قصر ضرما بالمسير، ليعالجوا ذلك التدبير، وسار معهم محمد بن عبد الله أمير ضرما وغالب قومه، بعد التهيؤ في الحال والاستعداد في القتال، فلما قارب البلد، كمن في زرع الذرة وقعد، فلما مضى هزيع من الليل، سمعوا وقع حوافر الخيل، فبدروهم بالجملة، وقتلوهم فورًا من غير مهلة، ولم يسلك منهم فج الانهزام، إلا من نجا برأس طِمِرَّةٍ ولجام[1]،

---

(١) الطمِرّة: الفرس. وأخذه من قول حسان بن ثابت - رضي الله عنه -:

إن كنتِ كاذبة الذي حدثتني ... فنجوتِ منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمِرّة ولجام

وقُتِلَ من أهل ثرمدا، ممن أقبل منهم واعتدى، على سبيل التحقيق لا التخمين، قريب من نحو سبعين، وأُسِرَ أناس من الأماثل، منهم عبد الكريم بن زامل.

**ثم دخلت السنة الثامنة والستون.**

**وفيها** فتح الله تعالى للمسلمين حريملا، أخذوها بالسيف عَنْوة، وبغتوا أهلها بها فجوة؛ وذلك أن عبد العزيز، فسح الله له في الأجل، وبلغه غاية الأمل، غزا بالمسلمين، وكانوا نحو الثمان من المئين، وخيلهم لا تزيد على عشرين، فأناخ شرقي البلاد، وقد اشتد ظلام الدجنة في السواد، وقد عبَّأ المسلمين، وجعل ذلك الكمين في موضعين، فصار الأمير عبد العزيز في شعب عوجا[1]، ومبارك بن عدوان مع مائتي رجل، وأقاموا بالجزيع[2] فوجًا، فلما بدا جبين النهار، وأسفر وجهه واستنار، وأخذ أهل الفلاحة في الانتشار، شنّ الشعواء وأغار، فلم يكن لأهل البلد عن الظهور اصطبار، فعند ذلك نشب القتال، وتلاحمت الأبطال، وظهر الكمين الأول، فكان كلٌ مِن أهل البلد على الصبر قد عوَّل، وأرخصوا عند ذلك المُهَج، ولم يكن أحد لمنهج الفرار قد انتهج، حتى بدا نهم الكمين الثاني، فلم يكن أحد على القرار ثاني، بل جدوا في الفرار بلا تواني، وملك المسلمون أعقابهم، وحققوا مطالبهم، فقتلوا منهم مائة، عجَّل الله ذهابهم، وأراد استئصالهم وعذابهم، ونال المسلمون بذلك غاية الآمال والمنال، وغنموا تلك الذخائر والأموال، وطاف على أهل ذلك الأفعال، طائف العذاب والوبال، وقُتِلَ من المسلمين سبعة رجال، ودخل المسلمون البلد، ولم يكن أحد من أهل الشرك إلا شرد، وأعطى عبد العزيز بقية

---

(١) بين بلدتَي حريملا والقرينة.

(٢) من أحياء حريملاء، يقع شرقها.

الناس الأمان، وكانت البلد فيئًا من الله على سبيل الامتنان، وخرج هاربًا منها مختفيًا ابن عبد الوهاب سليمان، وأمَّر عبدُ العزيز مباركَ بن عدوان، وبئس الأمير كان، لأنه آثر بعد ذلك سبيل الشيطان، كما يأتي بيان ردته، في شهره وسنته، وقد أعطاه عبد العزيز من الأموال، كلَّ نفيس عزيز، وخيَّره في البيوت والمنازل، وفي البساتين والأصائل، وأخذ ما شاء من تلك الدار، واختار ما طاب من العقار، ولما توقف في حكم أموال أهل هذه البلدة الناسُ، كشف الشيخ، رحمه الله تعالى، عن ذلك حُجُبَ الالتباس، وأماط عن وجه الحكم الأدناس، وبت الحكم بأنها على المسلمين من جملة الإلباس، نظير ما صدر وجرى، من فعل السلف الكبرى. وكان ما ذُكِرَ لثمان مضت من جمادى الأولى يوم الجمعة، وأقبل عبد العزيز بتلك الأموال والغنائم إلى الدرعية، ثم وقعت فيها المقاسم.

**وفيها** تظاهر على نُصرة الدين، ومحاربة أهل الضلال والمشركين، عامة أهل شقرا، فأدركوا بذلك عزًّا وفخرًا، وأحرزوا ثوابًا وأجرًا، فاجتمعوا على ذلك بعد الافتراق، واضمحل ما كان منهم قبل ذلك من الاختلاف والشقاق.

**وفيها** محاربة ابن دواس الثانية في شعبان، بدت الردة من دهام، واجتمع هو وابن فارس على محاربة المسلمين والإسلام، بلا سبب من المسلمين لذلك باعث، بل على سبيل الاختيار أصبح للعهد ناكث، فأول ما جرى منه عدا على أهل أبي الكباش، وانقلب راجعًا منحاش[1]، ولما تظاهر دهام بذلك الاعتدا، وعدل عن سنن الاهتدا، وتبين ذلك منه وبدا، ضاق على أهل الدين والهدى، من أهل بلده السكنى عند أهل الردى، فأجمعوا على الهجرة، وكلٌّ حقق عليها

(١) أي: هارب.

رأيه وأمره، فتركوا الأموال والوطن، وباعوها بأغلى وأعلى ثمن، على مُولي المنن، فمن مشاهيرهم: محمد بن صالح وسعيد بن عمران، أهل الهجرة الأولى من الرياض إلى منفوحة ابن ذهلان عبد الرحمن وابن صالح وسعيد بن عمران وحمد أبا الحويل ومحمد بن دخيّل وعياله أحمد وموسى وعبد الله وموسى بن محمد وقاسم ومانع وعيسى بن نوح وعلي بن نوح وسعد بن نوح وأخوه موسى وعبد الرحمن بن جندل وموسى بن زياد وابنه محمد وعبد الرحمن بن سويدان وسليمان بن سحيم وسليمان بن حمد بن صالح وراشد بن نفيسة وعلي بن نفيسة وإبراهيم بن نفيسة وسليمان بن نفيسة وموسى أبا الحويل وعبد الرحمن أبا الحويل، ثم هاجر جميع مَن ذكرنا مِن منفوحة إلى الدرعية لما ثبت أسباب الردة من ابن فارس.

ثم هاجر معهم من مشاهير أهل منفوحة: حسين بن عثمان وعثمان بن حسين وسليمان بن حسين ومحمد بن حمد بن حسين وسلطان بن عبد الله ومحمد ابنه وإبراهيم بن سلطان وسليمان بن حسين وإخوته ناصر وسلامة وموسى والمخاضيب عبد الرحمن وعياله عبد الله وحمد وعيسى وعيال محمد علي يحيى وموسى وعلي بن مزروع وعبد الله وحسن والسحوم دهمش وعمر وحمد ومطلق ومن الزمامات يحيى وموسى وآل نديان ثلاثة محمد والمغيليث وراشد وعلي ومنصور بن قاسم وسويلم بن قراش وعثمان بن مجلي وعربيد وعثمان العليوي ومحمد بن طفل ومبارك بن مرجان وغيث بن سحيم وولده ومحمد بن هلال وأخوه حمد وثالثهم علي وراشد التخيفي وعثمان التخيفي وسليمان الشعيبي وعبد الله بن نفيسة وعبد القادر وعيسى بن سرحان وعبد الله بن رشيدان ومفرج بن رشيدان ومفرج بن جلال وعيسى بن سعدون وولده محمد.

وفيها اجتمع دهام وابن فارس وأهل الوشم وأهل سدير وأهل ثادق وجلوية حريملا، فغزوا حريملا وحزّبوا عليها، وساروا جميعًا، فوصلوها وسلطان الليل قائم، والكرى على الأجفان حاكم، وغالب الأحراس نائم، فدخلوا في حلة تسمى الحِسْيان[١]، ولم يشعر بهم من البلد إنسان، حتى ملكوا تلك البساتين والحلة، واستعد كل منهم للقتال وملك محله، فأخبر بذلك الشأن مبارك بن عدوان، فنهض عليهم مع جماعة معه في الليل، فرجعوا ولم يخرجوهم من النخيل، فلما أصبح الصباح، اغتدى للحرب وراح، واجتمع مبارك مع قومه، والتقى معهم صبح يومه، وحمي بينهم القتال، وأخرجوا طائفة من تيك الجبال، وبقي طائفة من الرجال، وغالبهم من أهل حريملا من الجلوية محتصرين في البيوت خوف الاغتيال، ومكثوا نحو خمسة أيام، في أشر مقام، وفي مدة هذه الإقامة، كل يشد للرمي سهامه، وقَتَلُوا من أهل البلد، نحو ثمانية عشر من العدد، ثم بعد ذلك تسوّر المسلمون عليهم الدور، وحاق عليهم المكر والفجور، وحان عليهم القضاء المحتّم المسطور، فقُتِلُوا قِتْلَةَ رجل واحد، وكان دهام على مقتلهم واجد، وأخذوا ما معهم من سلاح، وغدا دهام بالخزي وراح، وكان جملة المقتولين من الأحزاب ستين، وقد دعا مبارك أناسًا من أهل حرْمة محصورين، وأعطاهم ذمة المسلمين، فخرج منهم على الأسر عشرة، فخان بهم وقتل منهم ستة قضى بهم وطره، ولم يشعر بذلك الشيخ وابن سعود، ولما جاءهم الخبر نقموا عليه بما صدر، كيف وفي الحديث **«ثلاثة أنا خصمهم»** وذكر رجلًا أعطى بي فغدر[٢] فأخذ منهما الغضب غايته، وبلغ حده ونهايته.

---

(١) من أحياء حريملاء.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٢٧).

ثم دخلت السنة التاسعة والستون.

وفيها تقشع عن أهل القويعية غمام الشرك والشر والأذى، وزال عن أبصار بصائرهم القذى، واستنشقوا من عَرْفِ الحق شذا، وداخل أفئدتهم من التوحيد شائبة، وهبت لهم من ذلك سائبة، فصارت قلوبهم للدخول فيه طالبة، ولالتزام أحكام الإسلام راغبة، فأقبلوا على الشيخ والأمير محمد، حين أرادوا ذلك الطريق الأحمد، وقدم محروس الدرعية، كبار أهل القويعية، فبايعوا على الإسلام، والتزموا جميع الأحكام، ولقد صدقوا في تلك البيعة، ووفوا وأقاموا متجملين بجمال ذلك اللباس، فما خلعوه ولا نفوا، وكان أول من صار إلى التوفيق وداعِيَه، ودَعَتْهُ منه أذن واعيه، ناصر بن جماز العريفي وسعود بن حمد، فكل منهما سارع إلى ذلك الشأن ونهد، وبادر إلى الوفود فوفد، وهاجروا إلى ديار الإسلام، فنالوا الفوز والمرام.

وفيها سار المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، متع الله تعالى به المسلمين، في رفعة وتمكين، إلى منفوحة والرياض، فعَدَوْا على منفوحة، ودخلوا نخيل الصبيخة[1]، وأخذوا دوابًّا كثيرة، إبلًا وبقرًا وحميرًا، ثم خرج عليهم الأفزاع، فهزمهم المسلمون بالقتل والدفاع، وقتل منهم علي أبا الماسح وغيره، ثم جاءهم بعد ذلك أهل الرياض بالمدد، واستحرّ بينهم وبين المسلمين القتال والجَلَد، وكلٌّ شمَّر للجِلَاد واجتهد، حتى صاح بأحزاب الضلال، منادي الهوان والإذلال، فولَّوا مدبرين، ولبلدهم طالبين، ورجعوا بالخيبة والحسرة، وكم لهم مثلها من مرة، وكان دهام في تلك الأيام باديًا على أهل سدير والوشم، في تدبير الحرب والانتظام، والسياسة والمواعدة على المسلمين

(١) موضع مشهور يقع جنوب منفوحة.

والإسلام، وكان عند عبد العزيز بذلك خبر، قبل أن يرحل إلى منفوحة وبعد ما صدر، فلما رجع إلى الدرعية، وتحقق القضية، خرج مسرعًا يريد له الرصد، فكمن له قرب ضرما فإذا هو قد وفد، ولكنه شعر بالمسلمين، فولى مع من معه مدبرين، فطلبه المسلمون أشد الطلب، ولكنه جدّ في الفرار والهرب، ورمى عن الركاب كل ثقيل، وترك من المطي كل ظهر لا يسرع في الغارة والزميل، وأخذ المسلمون ما طرحه وترك، ولحق ببلده عبد العزيز وانفرك[(١)]، ثم إن عبد العزيز، حرسه الله تعالى، استأذن الغزاة في إعطاء جميع الغنيمة للمهاجرين، فطابت بذلك نفوسهم أجمعين، فأذنوا له في ذلك.

**ثم دخلت السنة السبعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** وقعة تسمى وقعة الرشا[(٢)]، عند من ترعرع في ذلك الوطن ونشأ، وكانت على أهل منفوحة، لأن المسلمين نقضوا البناء المعدّ لحجر السيل على النخيل المسمى عند أهل البلد بذلك، ودخل المسلمون عليهم البيوت والدور، ثم إن دهامًا أتاه الخبر المسطور، فنهض من ساعته، مع مقاتلة جماعته، بعدما قال لمن جاءه بذلك المقال: اثبتوا لهم ساعة؛ فإني أدهمهم مع الجماعة. فأقبل ابن دواس على المسلمين، وقد صاروا بهدم أساس الرشا مشتغلين، فقاتل من المسلمين من عند ذلك الأساس، حتى هزمهم مقاتلة أهل الرياض مع ابن دواس، وتصادم دهام في ذلك الظلام، مع واحد من فرسانه وحفدته وأعوانه، وتصافق الفرسان عند ذلك الطعان، وسقطا كلٌّ منهما على الأرض، وأخذ المسلمون على هيئة واجتماع، وخرج الذين دخلوا وسط الدور، بعد قتال

---

(١) انفرك: انصرف عن قصده.

(٢) قال ابن بشر (١ / ٣٣): «وهو حاجز للسيل عند بلد منفوحة».

مشهور، قُتِلَ فيه عبد الوهاب بن مشرف، وخرجوا عنها بعد ما قارب كل منهم الحِمام وأشرف، وصادفوا بعد أن خرجوا من تلك البلاد، دهام بن دواس ومن معه من الأجناد، فلم يعرفوهم وظنوهم من أهل الدور أمداد، وقد عرف المسلمون دهامًا وقومه، وظن كلٌ منهم أنه ملاق حِمامه ويومه، فحقن الله تعالى دماهم، وأنجح سولهم ومناهم، إلا أنهم قتلوا ثلاثة رجال، من أهل الرياض ذوي الضلال، قد عرفوهم بالرؤوس، فجرّعوهم من الحِمام مرّ الكؤوس، ورجع المسلمون إلى بلادهم، وقد استشهد منهم عشرة في تعدادهم.

وفيها أيضًا حزّب أهل الوشم وأهل سدير على شقرا، وراموا بذلك من الهتك أمرًا، فساروا وقد ملئت قلوبهم بالحقد والضغائن، فنزلوا بأجمعهم في قرية القراين، وأقاموا بها من الأيام ثلاثة، وكل يوم يناوشون أهل شقرا الحرب من غير توان ولا رثاثة، ويقع بينهم في قتال وطعان ومجال، حتى أراد الكبير المتعال الخذلانَ لأهل الضلال، فجاء محمد بن سعود الخبر، وتيقنه خبرًا فجرد صارم العزم للمسير، وأخبر بذلك أهل شقرا، وعين لهم الزمن المعلوم، وبيّن لهم يوم القدوم، الذي أجرى الله فيه القضاء المحتوم، على من هو لاستئصال المسلمين يروم، فلما جاء ذلك اليوم، وحان الذل بالقوم، خرج إليهم أهل شقرا، ليشغلوهم بالحرب قسرًا، خشية أن ينهزموا إن نالوا من مجيء المسلمين خبرًا، فلما نشب القتال وحمي، طلع عليهم عبد العزيز الكمي[1]، فلم يجدوا غير الهزيمة ملاذًا، ولا سوى قرية القراين معاذًا، فولّوا إليها مدبرين، وبقُوا بها منحصرين، وولي المسلمون أكتافهم في الهزيمة، ولولا قرب القرية لكانت المقتلة عظيمة، وقَتَل المسلمون منهم نحو خمسة عشر، وكان منهم من هو

---

(١) أي: الشجاع.

مشتهر، منهم حمد المُعيّى وسويد بن زايد وغيرهما، وأخذوا ركابًا وسلاحًا وفرسًا، ثم حصروهم في القرائن وأطالوا لهم مجسًا، وأقاموا قريبًا من عشرين يومًا في الحصار، في غاية الضنك والضيق حتى أيقنوا بالدمار، ولكن الله لما أراد لهم السلامة، أقبل ابن سويط وقومه ففهموا أخباره وأعلامه، فخرجوا ليلًا مختفين، وللنجاة طالبين.

**وفيها** قتل غزو بن فايز[1] في مكان يقال له الحسي[2]، وذلك أن المسلمين جاءهم عنه الخبر، فجرد له عبد العزيز ونفر، وكمن له في الحسي ورصد، حتى جاء إليه ووفد، فاستأصل المسلمون شأفته، وقتلوا جماعته، وأضحى ابن فايز في أيديهم أسيرًا، حتى بذل في فداء نفسه مالًا كثيرًا، وكان جملة ما أعطى وأظهر، خمسمائة أحمر[3].

**وفيها** أيضًا وقعة باب القبلى، وذلك أن عبد العزيز، حرسه الله تعالى، شمَّر ساعده للحرب والانتهاض، وسار بالمسلمين حتى نازل الرياض، وأعدّ في الليل الكميّ والكمين، قبل أن يفلق عمود الصبح ويستبين، فلما انجلى من الليل ظلامه، ونُشرت من الصبح أعلامه، وانتشر في الطريق الأنام، ظهرت غارة المسلمين والإسلام، فأسرع أهل الرياض إليهم، وشرعوا الأسنة عليهم، وأطلقوا الأعنة لديهم، فلم يكن غير لحظة أو ساعة، حتى كان الهروب طريق تلك الجماعة، وسبب ذلك حين عاينوا الموت في الكمين، وتيقنوا أن الله تعالى لهم معين، فعمدوا إلى الباب من الهرب، وكلٌ أراد الدخول قبل الآخر

---

(١) قال ابن بشر (١ / ٣٤): «ابن فايز المليحي السبيعي».

(٢) قال ابن بشر (١ / ٣٤): «قرب بلد حريملا والصفرة».

(٣) نقد يُتعامل به في زمنهم.

وطلب، وتضايقوا عند الباب، وتكسرت في الدخول الحراب، وقُتِلَ منهم ثمانية رجال، دنت منيتهم بلا إمهال، منهم كنعان الفريد وصالح وابن نعران ورطيبان وغيرهم، وقتل من المسلمين عبد الله بن نوح.

**وفيها** سار عبد العزيز، حرسه الله تعالى، إلى الرياض، ونزل البنية، وخرّب جميع زروع الشمسية.

**وفيها** غزا المسلمون الوشم، وأميرهم إذ ذاك محمد بن عبد الله أمير ضرما، فوافق المسلمين في طريقهم ذلك غزو للصمدة(١)، أكثر من المسلمين هنالك، ففر المسلمون منهم، وجدوا في الفرار عنهم، وأسروا منهم بعض الناس، ففدوا أنفسهم من الأحباس.

**وفيها** غزا المسلمون وشيقر، وأميرهم عبد العزيز، فلما وصلوا إلى تلك البلاد، وكمنوا لهم في تلك الوهاد، وخرج المقاتلة للجلاد، واشتد الحرب، وكثر بينهم الطعن والضرب، طلع عليهم ذلك الدفين، وأقبلوا إلى المعركة مسرعين، فلم يثبت أهل البلاد، بعد شدة ذلك الجلاد، أن ولَّوا على أعقابهم مدبرين، وقُتِلَ منهم أربعة رجال محقَّقين.

**وفيها** غزا المسلمون أهل ثادق، وأميرهم عبد العزيز، سلك الله تعالى به أحسن الطرائق، فلما وصلوا إلى حلتها، نزلوا قريب نخلها ومحلتها، فناوش المسلمين الحرب أهلها، وكان الحائل بينهم نخلها، فترامَوا الرصاص بينهم من بعيد، وكان ذلك الرامي يصيب ويفيد، وقطع المسلمون عليهم نخلًا، وعرفوا أن هذا شأن المسلمين فعلًا، وقُتِلَ منهم ثمانية رجال، وأقاموا محتصرين يديرون الفكرة والاحتيال، فلم يكن لهم سوى الإقبال على الإسلام من إمهال،

---

(١) من الظفير.

وطلبوا ذلك من عبد العزيز فأعطاهم، وحقق لهم مطلوبهم ومناهم، وقدموا مع الغزو إلى الشيخ في الدرعية، وأخبروه بحاصل القضية، وأمّر عليهم دخيّل بن سويلم، وأرسل معهم أحمد بن سويلم، يعلّمهم التوحيد والأحكام، ويحكم لهم الشرائع غاية الإحكام، وقد قُتِلَ من المسلمين ثمانية رجال، منهم محمد بن دغيثر ومحمد بن مانع وغيرهما.

**وفيها** غزا المسلمون أهل جلاجل، وعبد العزيز، حرسه الله تعالى، أميرهم الذي يرجع إليه سياستهم وتدبيرهم، فسار بالمسلمين ممن معه وساعده وتبعه، فنازل أهل جلاجل، وكان لإعداد الكمين فاعل، فلما خرج إليه منهم كل مقاتل، ونشب القتال وكان كل قرم لقِرنه خاتل، هزم الله تعالى أهل جلاجل، فولوا مدبرين على الأعقاب، ودخلوا البلد وغلقوا دونهم الأبواب، ونهب المسلمون من بيوت البلد ما استطرف، ثم رجع عبد العزيز بمن معه وانكف، وأقبل معه من مطاوعة سدير: حمد بن غنام وإبراهيم المنقور وابن عضيب، وذلك لما طلبهم عبد العزيز، وقصده قدومهم على الشيخ وموافاتهم له وقراءتهم عليه وأخذهم عنه، وأقبل معه أيضًا بابن سعدون وابن حماد، مخافة أن يُزَيِّنَا لأهل العودة الارتداد، ولما قدم عبد العزيز الدرعية، ومن معه من تلك الجلوية، أتاه أمير العودة عبد الله بن سلطان، وطلب منه المنة والإحسان، على ابن حماد وابن سعدون، واختار حرسه الله تعالى طريق الموافقة والهون، وإلا فهو قد تفرس فيهما أن أسباب الردة منهما تكون، فأطلقهما لأجل وجاهته، ولم يدرِ ما يصدر عليه من جماعته، فلما وصلوا البلاد، أخذوا للردة في الاستعداد، فلما هيأوا أسبابها على المراد، لم يجدوا ما تطيب به النفس، ويتم لهم به السرور والإنس، سوى قتل من غمرهم بذلك الجميل، ومقابلته بالصنع الوبيل، فقتلوا عبد الله بن سلطان، مقابلة لذلك الإحسان، وهذا شأن من وضع

المعروف في غير محله، وصرفه إلى غير أهله، يجازيه بقبيح فعله، كما قالت العرب في أمثالها: سَمِّنْ كلبَك يأكُلْكَ. وقال الشاعر:

**ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر**

وقال المتنبي:

**إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا**

**فوضع الندا في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندا**

**وفيها** غزا المسلمون الرياض، وأميرهم عبد العزيز، وقصدهم يرصدون دهام إذا خرج إلى منفوحة يوم العيد، وكان عادته يوم العيد يخرج للسلام على ابن زامل، وأقاموا بين البلدين يرصدون، ولم يكونوا بما نووا يظفرون، إلا أنهم في تلك الإقامة، خرج زيد الصمعر فوافقوه فجرعوه حِمَامَه، ثم رجع عبد العزيز ومن معه من المسلمين إلى بلادهم سالمين.

**ثم دخلت السنة الحادية والسبعون.**

**وفيها** غزا المسلمون ثرمدا، وأميرهم عبد العزيز، أعزه الله بالطاعة، ونصره وأتباعه، فساروا إلى ثرمدا، وجرت وقعة تسمى وقعة النقيب، وذلك أن المسلمين لما اشتد غسق الدياجي، لم يكن لهم دون دخول البلد من مفاجي، وقد جعلوا لهم خارج البلد كمينين للرصد، فلما زال سواد الظلام، وذهب ذلك الإظلام، وسعى العباد خارج البلاد، وقد أخبروا بالمسلمين، وما هم عليه مجتمعين، وعرفوا أن المسلمين دخلوا حائطًا نقبوا لهم نقبًا في جداره، وأقاموا فيه متوارين بين نخيله وأشجاره، والكمين الثاني خارج البلد، لم يشعر به أحد، فاجتمع أهل تلك البلاد والحلة، على من عرفوا في النخل مكانه ومحله، وبقوا ساعة بقربه وحياله، ينتظرون من يخرج من ذلك النقب ورجاله، فلما أراد من فيه

الخروج، لم يكن لهم عن ذلك النقب من عروج، فقاموا يخرجون منه واحدًا واحدًا، ولم يكن أحد منهم لغيره فاقدًا، واستمروا على ذلك يخرجون منه أرسالًا، ولا يفهمون لمن يخرج منه حالًا، حتى اسود النقب وأظلم، وسد ضوؤه بعد أن أعلم، فتيقنوا مصاب أصحابهم، وتحققوا مصارعهم في انقلابهم، فلما تبين للمسلمين ذلك، خرج جميع من هنالك، ووقعت معركة بينهم عظيمة، وحقق الله تعالى على تلك البلاد الهزيمة، وقُتِلَ منهم اثنا عشر، منهم عبد المحسن بن إبراهيم رئيس ثرمدا، ومنهم بشر بن بلاع، واستشهد من المسلمين في تلك الغزو قريب من عشرين، منهم عيسى بن ذهلان ومحمد بن عبد الرحمن بن موسى ومفرج بن جلال.

**وفيها** غزا مبارك بن عدوان بركب معه من أهل حريملا، فوافق عبد الله بن سليمان معه أسير، ثم بعد وصوله حريملا منّ عليه وأطلقه من غير قليل من المال ولا كثير، ولم يستشر في ذلك الشيخ ولا محمد بن سعود، فنقموا عليه بذلك الفعل غير المحمود.

**وفيها** غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز وساروا إلى سدير؛ فاستولوا على الحوطة والجنوبية، وذلك لأن أهل البلادين أرسلوا للأمير يريدون منه القدوم والتيسير، ومرادهم الدخول في الإسلام، والاستمرار تحت الذمام، فأسفعهم بالمقصد والمأمول، وأسرع إليهم المجيء والوصول، فلما دخلها عبد العزيز ومن معه فزع عليهم أهل سدير ولم يفوزوا بمرام، ثم رجع عبد العزيز بعد أن نصب لهم في كل بلدة أميرًا وإمام.

**وفيها** خرب المسلمون زروع منفوحة.

**وفيها** غزا المسلمون جلاجل أيضًا، وأميرهم عبد العزيز، فأخذوا منها سوارح الغنم، ثم لحقهم الطلب، فاقتتل مع المسلمين ثم بعد ذلك ولى وانهزم،

وملك المسلمون أعقابهم، ولم يكن سوى البيوت مآبهم، وقُتِلَ منهم ستة رجال، في تلك الساعة والحال.

**وفيها** أتى المسلمين الخبر، أن عريعر[١] كبير الحسا يريد التخريب على الإسلام وأهله، وقد صرّح بذلك في قوله لا فعله، وأخذ المسلمون للحرب في الاستعداد وتحصين البلاد.

**وفيها** في شهر رمضان سار المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، إلى الرياض، وجرت وقعة عظيمة على أهل الرياض، تسمى وقعة أم العصافير[٢]، وذلك أن المسلمين قدموها ليلًا، وجعلوا لهم رجالًا وخيلًا، أعدوا لهم رجالًا في مكان يقال له القبّة[٣] كمينًا، فلما أصبح الصباح وخرج إليهم أهل البلاد كان الله للمسلمين معينًا، فاستمر بينهم القتال، وضاق في المعترك المجال، حتى كشف الله تعالى جميع أفزاع الضلال[٤]، وقُتل منهم تركي بن دواس وابن فريان والجبري وحمود بن ماجد، ولم يُقتل من المسلمين غير واحد، ثم انقلب المسلمون إلى بلادهم، بعد تحصيل مراهم.

**وفيها** سار المسلمون، وأميرهم عبد العزيز حرس الله مهجته، إلى الرياض، فنزلوا البنية وملكوها، وتلاحقت عليهم الأفزاع، من منفوحة والرياض فاقتتلوا

---

(١) عريعر بن دجين (ت ١١٨٨هـ). قال الأستاذ عبدالكريم الوهبي في كتابه «بنو خالد وعلاقتهم بنجد» (ص ٣٥٩): «بلغ شخصه حدًا من الشهرة حتى أُطلق لقب آل عريعر على معظم زعماء آل حميد؛ سواء كانوا من خلفه أو من أسلافه».

(٢) مكان قديم يقع وسط مدينة الرياض.

(٣) بناء قديم يقع وسط مدينة الرياض. قال في «معجم مدينة الرياض» (ص ٦٥): «أحدثها رجل مبتدع اسمه تاج بن شمسان».

(٤) الأفزاع: الجماعة يفزعون للنُصرة والمدد.

في تلك الأراضي والبقاع، وكان القتال من بعيد بالبنادق، والكل من الطائفتين غير مقارب ولا موافق، وقُتِلَ بالرمي ذلك اليوم، ومن أولئك القوم، ثنيان بن مبيريك عبد الزرعات، وآخر يقال له الدفين، واستشهد من المسلمين راشد بن غانم وحميد بن قاسم وغيرهم نحو ثلاثة، ثم ثوّر الأمير عبد العزيز من تلك الأماكن، فأناخ بالغذوانة[١] في ذلك الباطن، فأمر المسلمين جزاه الله تعالى خيرًا، وأعظم له أجرًا، أن يبنوا في ذلك الباطن قصرًا، يكون للمسلمين حصنًا وثغرًا، فأقاموا سبعة أيام في ذلك البناء والإحكام، ثم بعد الفراغ منه والتمام، أرخص لمن أراد من الغزاة أهله والقدوم عليهم من المشاة على الأقدام، وبقي هو مع الجيش بعض أيام.

وفيها جرت ردة مبيريك[٢] بن عدوان، واتّباعه منهج الشيطان، وذلك أنه لما رجع من غزو البنيّة، وبناء القصر إلى الدرعية، عزله الشيخ ومحمد بن سعود الأمير، عن الإمارة في حريملا والتدبير، وأمّرا حمد بن ناصر بن عدوان، وأرسلا معه مفرج بن شعلان، وذلك لأنهما تخوفا على المسلمين منه، لأمور صدرت نسبت عنه، فاسترخص مبيريك الشيخ ومحمد الأمير، أنه يريد العيينة ثم يُسرع إليهما بالمسير، فأرخصا له في ذلك، فلما خرج مورّيًا بالسير إلى هنالك، اجتمع في ذلك الطريق مع أناس من أهل حريملا، فعاودهم على الردة، فلبّى له منهم فريق، ثم سار يريد حريملا مع من وافقه من جماعته، فلم يصل إليها إلا بعد ما ملك حمد بن ناصر ومن معه قصر إمارته، فدعا مبيريك أهل البلد لنصره ومعونته، فلم يُجبه أحد إلا بخذلانه ومهونته، فحين تحقق الأمر وعاينه، وعرف

---

(١) قال ابن بشر (١ / ٤٠): «موضع معروف غربي الرياض».

(٢) تصغير: مبارك.

من جماعته المعاداة والمباينة، ولى على وجهه مدبرًا، وبقي على فعله نادمًا متحسرًا، وصارت منيخ[١] له وِجْهَه، فولى حريملا دبُره، ومنح تيك وجهه، وقُتِلَ ممن ساعده على الردة رجال، وفر الباقون باستعجال، ولما أتي الشيخ ومحمد الأمير، بما رامه مبيريك من التدبير، أرسلا إلى عبد العزيز وأخبراه بذلك، فجمع من عنده من الغزاة هنالك، فأخبرهم بالواقع والحادث، وأن ابن عدوان للعهد ناكث، وطلب منهم تجديد العهد والمبايعة، على الموت والمتابعة، فلما صدقوا في النية، وأخلصوا لله الطوية، وساروا يريدونه ودخلوا في طريقهم الدرعية، لقضاء بعض الحوائج والأغراض، فلما عزموا على النهوض والانتهاض، وراحوا سائرين إلى النعمية[٢]، فإذا البشير يفاجئهم بحصول الأمنية، فرجع عبد العزيز من فوره إلى الدرعية، ليبشر الشيخ ووالده بالقصة والقضية، فحمدا الله تعالى وشكراه، وسبحاه وكبراه، ثم سار بعد ذلك عبد العزيز إلى حريملاء تركيدًا للبلاد، وتطييبًا لقلوب أولئك العباد.

وفيها حزّب مبيريك بن عدوان وجمع من أهل سدير والوشم والمجمعة، من كل مريد شيطان، وقصده بذلك حريملا ليشفي منها الفؤاد، ويفوز منها بالظفر والمراد، فأتى الأمير محمد والشيخ الخبر، بما جرى وصدر، فأرسلا عبد العزيز والمسلمين إلى تلك البلاد، ليساعدوا أهلها ويحفظوها عن ذوي الفساد، فجاء الخبر مبيريك بن عدوان، فلم يقدر على وصول ذلك المكان، ولكنه سار مع أصحابه، وجملة أعوانه وأحزابه، فأناخ على البلدة، المسماة رغبة، فقاتلهم، ثم طلب من أناس من أهلها الخيانة له، فوافقه على ما أراده وطلبه،

---

(١) جبل في المجمعة، يُطلق اسمه قديمًا على: المجمعة وحرمه.

(٢) شمال الدرعية.

وأُدْخل بعض البيوت والدور، ثم أخرج منها بعد الحرب والقتال مكسور، إلا أن أمير رغبة وابنه راضي قُتل، وولى مبيريك بمن معه خاسرًا لمأموله لم ينل، ثم قدم عبد العزيز رغبة ومن معه من المسلمين، وأجلى من وافق مبيريك أجمعين، وأمر بهدم السور، خشية وقوع مثل ذلك الأمر المحظور.

**ثم دخلت السنة الثانية والسبعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** أتى الخبر الشيخ ومحمد الأمير، أن عريعر يريد الخروج على نجد والتسيير، فأمروا جميع بلدان المسلمين، بالبناء والاستعداد والتحصين، وقام عبد العزيز، حرسه الله تعالى، بالجد والاجتهاد، وشمر ساعده في البناء والاستعداد، فبنى على الدرعية سورين منضودين بالبروج، خشية التسور والعروج، ثم خرج بعد ذلك عريعر مع أهل الحسا وكافة بني خالد وأهل سدير والوشم والرياض والخرج، وكل منكر للحق جاحد، وعلى الباطل معين مساعد، وللضلال مؤيد معاضد، فأناخ أهل سدير والوشم والمحمل، ورئيسهم مبيريك بن عدوان، على أهل حريملا، وأقاموا يقاتلونهم ثلاثة أيام، فلم يكن لهم سبيل على أهل الإيمان، بل قُتل منهم رجال في أيام ذلك القتال، ثم رحلوا عنها وثوَّرُوا منها، وطلبوا من عريعر المدد والإمداد، ومساعدتهم بالجيوش والأجناد، فأمدهم بآل عبيد الله من بني خالد، وفرقان من عن-زة كبيرهم ابن هذال، فأناخ الجميع على تلك البلدة، والكل منهم قد بذل جده وجهده، وأرهف سنانه، ونخا أصحابه وأعوانه، فأحاطوا بالبلاد، ودخلها منهم ثلاث جنادب[1] للجلاد، فانتدب إليهم أهل تلك المحلة، وأخرجوهم مهزومين من النخيل والمحلة، وأركبوهم ولله الحمد غارب الهوان والذلة، وكفى بذلك عارًا

(١) هكذا. ولعله قالها إما لتحقيرهم، أو لتكثيرهم بأنهم كالجراد.

ومذلة، وقتَلُوا منهم رجالًا عشرة، والجرح أكثر من أن نعده ونحصره، ثم خرج أهل البلاد بعد ذلك النصر والناموس، وصدور ذلك الفعل المانوس، وساروا جملة مسرعين، إلى مناخ تلك الأحزاب المجتمعين، فحين عاينوا ذلك الإقبال، ووجوه الرجال، ولوا على أعقابهم مدبرين، وانهزموا راجعين، وأخذوا أهل البلاد كثيرًا من الأمتعة والزاد، ثم اجتمع ما ذكرناه آنفًا، بمن هو للتوحيد محاربًا مجانفًا، وحصل التوافق مع عريعر ومن معه، واتفق رأيه مع من ساعده وتبعه، أنهم يُلقون عصا التسيار، بالجبيلة محلة الصحب الأخيار، وينزلون تلك الفيافي والقفار، ويقاتلون أهلها إذا أسفر النهار، فعند ذلك ساروا جميعًا إليها، ونزلوا بأجمعهم عليها، وطنّبوا تلك الخيام، على ذلك المقام، وأثبتوا العمد والأطناب، على رفيع تلك الهضاب، وراموا تغيير منهج الحق والصواب، بما جاؤوا به من الباطل والضلال والإعجاب، إن ربك لسريع العقاب، فأمدهم المسلمون برجال، وبقوا أيامًا في أشد الجلاد والقتال، ثم إن أهل الباطل والضلال عَدَوا على القلعة وحاولوا الدخول، فلم يكن لهم إليه سبيل ولا وصول، وجاءهم وهم في ذلك المكان، من ورائهم أناس من أهل الإيمان، فلم يَلْوِ منهم أحد على أحد، بل كلٌ منهم امتطى قدميه وشرد، وقُتِلَ منهم في أيام القتال، ستون من الرجال، وقُتِلَ من المسلمين نحو العشرة، ثم ولت تلك الأحزاب منهزمة منكسرة.

وفيها طلب أهل المحمل[1] من الشيخ ومحمد بن سعود الدخول في

---

(١) المحمل: إقليم من أقاليم نجد، وهو مجموعة من الأودية الصغيرة المنحدرة على السفح الغربي لجبل طويق (العارض)، ما بين سدير و الوشم إلى الشمال من شعيب حريملا، و أهم بلدانه: ثادق و رغبة و البير والبرة والعويند. ومعظم ما كان يُعرف بالمحمل يقع حاليًا ضمن حدود محافظة ثادق.

الإسلام، فأعطوا ذلك المرام، وطلب عليهم نصف الزرع وربع الثمرة؛ فالتزموا بتلك الأمور المقدرة.

**وفيها** غزا عبد العزيز بالمسلمين، فساروا ونزل بالقصب، وجعل له كمينًا خارج البلد، يشد أعقاب من بادر إلى ذوي الغارة وطلب، فلما تبين الفجر وانجلى، وارتفع ضياؤه وعلا، وتبينت لأهل البلاد حال المسلمين، خرجوا إلى القتال أجمعين، فلما استمر بينهم القتال، خرج عليهم الكمين باستعجال، فولَّوا مدبرين، وبقوا ببلدهم منحصرين، وقُتِلَ منهم سيف بن ثقبة، ثم بعد ذلك طلبوا من عبد العزيز الدخول في الإسلام، وأن تجري عليهم تلك الشرائع والأحكام، فوافقهم على ذلك المرام، وصالحهم على النخيل بثلاثمائة أحمر، فقبلوا ذلك المقرر.

**ثم دخلت السنة الثالثة والسبعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** غزا عبد العزيز، أعزه الله تعالى، على الأعدا وأعلى به منار الهدى، فسار بأهل التوحيد، وغلّب العنَق على التوخيد[1]، فلم تطب له راحة في ذلك المسير، حتى أصبح على المجمعة مغير، وعدا على تلك البلد، وقتل فيها من وجد، فقتل في ذلك اليوم علي بن دخان وأربعة من أولئك القوم، وعقروا كثيرًا من الدواب، ثم انصرف إلى بلاده بحسن مآب.

**وفيها** غزا عبد العزيز بلدان الخرج، فسار إلى الدلم ودخلها ليلًا، وهجم وقتل من أهلها ثمانية رجال، وأخذ من دكاكين كثير أموال، ثم خرج منها وانصرف عنها، وعدا على قرية نعجان، فظهر عليهم أهلها فكسروهم بلا توان، وقتلوا منهم عودة بن علي، ثم رجعوا سالمين.

---

(١) العنَق: السير بين الإبطاء والإسراع. والتوخيد: السير السريع.

**وفيها** أيضًا سار المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، إلى ثرمدا، فنازلوها بعد أن استنار الصبح وبدا، وكمنوا لأهلها على العادة، طلبًا للإفادة، فلما خرج أهلها إليهم، وأسرعوا إلى الفزع عليهم، وجرى بينهم القتال، انكسر أهلها بعد ظهور الكمين بلا إمهال، فقتل المسلمون منهم نحو أربعة رجال، وأصيب مبارك بن مزروع من المسلمين في ذلك المجال، ثم بعد ذلك أرخص عبد العزيز لمن معه من الرجالة، أن يعمدوا إلى أهلهم، وسار هو بالجيش إلى الخرج وأجمع رأيه عليه وحاله، فشنّ على أهل الدلم الغارة، وقد سبقه عليهم النذارة، فلما أغار عليهم خرجوا مسرعين، فاقتتلوا أشد القتال مع المسلمين، ثم شدّ المسلمون عليهم، وعمدوا بالصدق إليهم، فانكشفوا مسرعين إلى الديار، وتحصنوا بذلك الجدار، وقتل المسلمون منهم سبعة، وأخذوا إبلا مجتمعة، ثم بعدما صدر من الدلم، جمع رأيه وعزم، أن يغزو الوشم، فسار على وجهته، وتصمم عزمه وهمته، فأناخ على وشيقر ليلًا وهيأ الكمين، فشعر أهل البلاد بالمسلمين، فخرجوا جميعًا إليهم، وأقبلوا للقتال عليهم، والكل قد صدق الطعان، في ذلك الوقت والزمان، حتى غشيتهم حملة الكمين، وخالطتهم أسنة الدفين، فولّوا على أعقابهم مدبرين، وقُتل نحو العشرين، ثم انقلب عبد العزيز بمن معه إلى بلادهم راجعين.

**وفيها** عزل الأميرُ محمد والشيخُ مشاريَ بن معمر عن إمارة العيينة؛ لأمور كثيرة ثبتت عنه شينه، وقدم الشيخ العيينة تلك الأيام، وأمّر سلطان بن محيسن المعامره على من بها من سائر الأنام، وأمر بهدم قصر آل معمر، فهُدم ذلك القصر، لما حقق عليه الشيخ الأمر.

**وفيها** غزا المسلمون منفوحة وحرقوا الزروع، ثم كان منهم إلى بلدانهم العودة والرجوع.

**وفيها** جرت وقعة آل ريس في بلد الرياض، فقتلوا من آل ريس أربعة بلا ارتياض، منهم علي، وقُتل معهم غيرهم.

**وفيها** غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز، حرسه الله تعالى، آل عسكر من آل ظفير، وكانوا على الثرمانية[1]، فصبحهم عبد العزيز بالغارة الشعواثية، فوقع بينهم القتال، واحتنك القضاء في المجال، حتى قُتل رئيس أولئك الأبطال، وكان يقال له فوزان الذبيحة من روس آل عسكر، فانكسر ذلك الفريق وأدبر، وقتل منهم عشرة رجال، وأخذ المسلمون منهم عظيم الأموال، ثم انقلبوا إلى بلادهم راجعين.

**وفيها** غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز، فسار إلى الوشم، وحقق عليهم العزم، فوافق في طريقه خمسة عشر رجلًا من أهل ثرمدا، فشن عليهم الغارة وعدا، فزبنوا بلدًا يقال لها الحريّق[2]، فنازلها المسلمون، وطلبوا منهم أولئك القوم يخرجون، فأبى عن الموافقة والطاعة، مَن بالبلد من الجماعة، وقالوا هذه بئس الشناعة، فلما ألح عليهم عبد العزيز، وعرفوا أنه ليس دونهم أو الفدا من تجويز، افتدوهم منه بألف وخمسمائة زر[3]، فقبل ذلك منهم وتركهم وصدر.

**ثم دخلت السنة الرابعة والسبعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** غزا عبد العزيز، أدام الله تعالى فوزه، وكثر من الخير حوزه، فسار بأهل الدين يريد سدير، وحث لأجل ذلك السير، فلم يصل إليهم حتى سبقه

---

(١) قال ابن بشر (١ / ٤٣): «ماء معروف قرب بلد رغبه».

(٢) بلدة تقع في منطقة الوشم، تبعد عن شقراء ٣٠ كم.

(٣) عند ابن بشر (١ / ٤٣): «وافتدوهم منه بألف أحمر، وخمسمائة أحمر». وهو نقد يُتعامل به قديمًا.

النذير عليهم، فتأهبوا لإقباله واستعدوا لقتاله، ولم يكن معه من الركاب سوى ثمانين من غير ارتياب، فأغار على بلدة يقال لها الروضة[١]، وجرى بينهم قتال، وصار عن قتل شهيّل بن سحيم الانفصال، ولم يُقتل سواه من المسلمين، ثم أقبل عبد العزيز بمن معه راجعين.

**وفيها** غزا عبد العزيز بالمسلمين سدير، فصارت على الروضة منهم الغارة، فخرج أهلها وابتدروا الحرب أعظم ابتدارة، وشدوا للقتال إزاره، فلما اشتد القتال وأججوا استعاره، ظهر عليهم الكمين فانكسروا أيّ انكسارة، وقتل منهم نحو الستة حين أعطى كل واحد منهم المسلمين استَه، ثم رجع المسلمون إلى بلادهم، بعد نيل مرادهم.

**وفي تلك الغزوة** أغار المسلمون على الزلفي فجوة، فأخذوا سارح الأغنام، ثم أدركهم فزع الأقوام، فتركوا ما معهم من الغنم، وصمموا على قتال من قصدهم ودهم، وجرى بينهم القتال ساعة، ثم كلٌ إلى محله ارتجاعه.

**وفيها** سار عبد العزيز، أعز الله تعالى به المسلمين، وأدام له التأييد والتمكين، فنزل على الرياض بالمسلمين، وأعدّ في مظلم الديجور ما شاء من الكمين، فلما قارب الفجر في الانبلاج، تبين حال المسلمين ووقع في البلد الارتجاج، وخرج أهلها ووقع القتال بينهم، وعجل الله لأهل الباطل حينهم، فبعدما حمي الحرب واستعر، وشد لها تلك الأفزاع الأزر، ظهر عليهم من المسلمين الكمين، فلم يكن لهم عون ولا عوين، فولّوا سراعًا مدبرين، وقد كسرت رِجل رئيسهم فهيد بن دواس، ولم يكن بعد كسرها لهم صبر ولا احتباس، وعاش فهيد نحو أربعين يومًا بعد كسره، ثم حواه لحد قبره، وقتل

---

(١) روضة سدير، تقع على بعد ١٦٠ كم تقريبًا شمال غرب مدينة الرياض.

منهم ثمانية رجال، واستشهد من المسلمين ستة في ذلك المجال.

**وفيها** غزا عبد العزيز بالمسلمين، فنزل منفوحة بالمريقبات[١]، وأقام فيها بقية ليلته وبات، فلما انبلج من الفجر الضياء، وتشعشع نوره وأضاء، وقد أعدّ الكمين في دياجر الليل، وكان للمسلمين إلى تخريب زروع منفوحة الميل، فلما تحقق أهل منفوحة ذلك الشأن، وتبين لهم في العيان، لم يكن لهم عن اللقاء من توان، فلما خرجوا إليه مسرعين، وأقبلوا عليه مهطعين، وناوشوا القتال المسلمين، ظهر عليهم الكمين المذكور، وحان بينهم القضاء المسطور، فأضحى أهل منفوحة وأفزاع الرياض، كل منهم منهزمًا مكسور، وقُتِل من جميع تلك الأفزاع سبعة رجال بلا نزاع.

**وفيها** غزا المسلمون، وأميرهم عبد العزيز المذكور، ضاعف الله تعالى له الأجور، فصبح مساعد بن فياض مع قومه بالعتش[٢] في تلك الفياض، فلما طلعت عليه المسلمون، بقوا مدة يقتتلون، وراموا حماته ذلك الفريق، فلم يكن لهم إليها طريق، فشد المسلمون عليهم الحملة، فلم يكن لهم دون الهزيمة مهلة، فاستولى المسلمون بعد الهزيمة، على جميع أموالهم فكانت غنيمة، واستاقوا جميع الأغنام والآبال، واحتووا على الأمتعة والأسلحة والأموال، وقتلوا منهم عشرة رجال، منهم سعد القروى وأولاده، وقُتِل من المسلمين ابن عزاز كما بان تعداده، ثم رجع المسلمون إلى بلادهم.

**وفيها** سار عبد العزيز بالمسلمين إلى قصر الغذوانة[٣]، يريد زيادة بنائه

---

(١) قال في «معجم مدينة الرياض» (ص ٧٤): «المريقب: اسم حي شهير وسط الرياض.. كان في الأصل قلعة حربية».

(٢) قال ابن بشر (١ / ٤٤): «بين سدير والمحمل».

(٣) شعيب يقع في حافة وادي حنيفة في غرب الرياض.

وتحصينه، ثم يرجع بعد حينه، ولكن إذا أراد الله تعالى أمرًا فلا بد من إنفاذه وتكوينه، فلما أراد الله ﷻ أن يبرز للخلق ما سبق في الأزل، ويبلو الناس بما فعل، ويهيئ الأسباب لمن دنا له الأجل، همَّ عبد العزيز، بلغ الله به الأمل، أن يهجم على الرياض ليلة العيد، ويبيّت أهلها ويبيد، فسار بعدما أظلم الليل وأغلس، والصبح لم يتنفس، فدخل البلد من المسلمين عدوة، فرآهم رجاجيل لابن دواس صادرين من نادٍ أو ندوة، فعجلوا إليه بالأخبار، فلم يكن له دون ركوب الخيل من بدار، فخرج بخيله ورجاله ودولته، يريد ركن المسلمين مع جماعته، فبادر إلى الركن المعد قبالة البلد، فلم يدرك منهم أحد، ثم ظهرت العدوة التي دخلت البلاد، وقُطِعَت ساقة ابن دواس ومن معه من الأجناد، وشن المسلمون عليهم الغارة بالخيل والجيش، والتهبت نار الحرب وزاغت الألباب من الجزع والطيش، ثم انهزم دهام مع دولته بعد إذلاله وكسر حدته، وقد قُتِلَ كثير من رجاله ومشاهير فرسانه وأبطاله، منهم حمد بن سودا وعبد الرحمن الحريّص وأبا المجبر، واستشهد من المسلمين خزام ابن عبيد وعثمان بن مجلّي.

**ثم دخلت السنة الخامسة والسبعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** سار عبد العزيز بالمسلمين إلى منفوحة ليلًا، وقد أعد الكمين، فلما أخذ الصبح في الضياء والتبيين، تبينت لأهل البلاد غارة المسلمين، فنهضوا إلى اللقاء، وبادروا من غير بقاء، فاقتتل الفريقان، وحمي بينهم الطعان، فلما ظهر عليهم الكمين، أدبروا منهزمين، وقتل منهم سعد بن محمد بن فارس وشبيب الصنان، ولم يقتل من المسلمين إنسان.

**وفيها** سار المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، إلى الخرج وكمن لأهل نعجان، ولم يفطن بذلك من أهلها إنسان، فلما تبين الصبح وأنار، خرج أهلها للقتال

على البدار، فاستعجل كمين المسلمين بالظهور، وذلك لما قدره الله من الأمور، واشتد بينهم القتال ثم انكسروا على استعجال، وقَتَلَ المسلمون منهم سبعة رجال، وحصروهم في تلك القرية أيامًا وليالي، وقطعوا من تلك النخيل العوالي.

ثم سار عبد العزيز بمن معه إلى الوشم، ودخل ضرما لأجل تزهب الأزواد، ثم ساروا ولم يكن لهم دون مرات من مراد، فلما وصل في الليل إليها، وقدم في الظلام عليها، هيّأ للحرب كَمِيَّه، وأمرهم بالصدق وإخلاص النية، فلما تبين الفجر وانكشف، وولّى مُدلَهِمُّ الليل وانحرف، تبين لأهل مرات الحال، فلم يكن لهم دون اللقاء من مجال، فخرجوا للحرب مستعدين وللموت مستوطنين، فلم يلبثوا غير ساعة بعد ظهور الكمين، ثم ولَّوا على أعقابهم مدبرين، وقتَل المسلمون منهم قريب عشرين، وقُتِل من المسلمين رجلان، ثم انقلب المسلمون إلى البلدان.

وفيها أيضًا سار عبد العزيز ومن معه إلى الوشم، ونزل بأهل الفرعة، وأناخ عليها في الليل جيشه وجمعه، فلما خرج أهلها لقتال المسلمين، واستمروا على القتال مجتمعين، خرج عليهم بعد ذلك الكمين، فولَّوا مسرعين، وقُتِل منهم سبعة رجال، ولم يقتل أحد من المسلمين في ذلك المجال، ثم بعد ذلك بأيام طلب أهل الفرعة من أهل شقرا الدخول معهم في الإسلام، فأجابوهم إلى ذلك المرام.

وفيها أيضًا غزا عبد العزيز بالمسلمين يريد ثرمدا، وقد جد لأجل ذلك المسير، فسبقه إليهم النذير، فلما أغار عليهم لم يدرك المراد، لتحصن أهل البلاد، وجرى الرمي من بعيد، ولكنه لا يجري ولا يفيد، ولم يقتل من أهل البلد سوى شخص في العدد، ثم سار في وجهته وطريقه ذلك وغزوته، ونزل بين

الفرعة ووشيقر، وبنى هنالك قصرًا يكون للمسلمين ثغرًا، ويضيّق على وشيقر وأهله، وهذا من سديد رأيه وفعله، وأعد فيه للحرب والقتال شرذمة من الرجال، ولم يزل ذلك القصر مأهولًا، وبالمسلمين موصولًا، جامعًا لأسباب العمارة والنظام، حتى دخل أهل وشيقر الإسلام.

**وفي تلك الغزوة أيضًا** وضع عبد العزيز في شقرا خيلًا ورجالًا، زيادة على من فيها ليحسنوا بذلك حالًا، ويزيد أهل الباطل بهم ذلة ووبالًا.

**وفيها** غزا جدعان بن قعية بأهل عشر ركاب من المسلمين، فوافقهم ابن فياض مع غزو معه فناروا عنه مجتمعين[1]، وتزبّنوا قارة في ذلك المكان، ثم دعاهم شخص من عرينة بالأمان، فلما أقبلوا إليهم نبذ العهد وخان، ولا غرابة في هذا فقد وقع نظيره في سابق الزمان، وقُتِل في تلك الغزاة عبد الله بن براك ومعين بن ذبّاح وجدعان بن قعية وغيرهم نحو العشرة.

**وفيها** عدا المسلمون على ضرب مقرن في الرياض، فاقتتلوا معهم، وقُتِل من أهل الرياض ثلاثة، وأصيب شعلان بن دواس، واستشهد من المسلمين عبد الرحمن المشهوري وحمد بن سليمان القاضي.

**وفيها** أكل الدبى والجراد جميع زروع نجد وأشجاره، وحمى الله أثماره.

**ثم دخلت السنة السادسة والسبعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** غزا عبد العزيز فسار بالمسلمين يريد الرياض والهجوم عليها، فجد السير حتى نزل حواليها، وعبّأ كمينه وعدوته، وهيأ في ليله سطوته، فدخل البلدة العادون وأقاموا بها يرتادون، حتى لمع بريق الفجر، فعلم ذلك الشأن

---

(١) ناروا: هربوا.

والأمر، وأقبل أهل الرياض، في أشد عزمة وانتهاض، فتجالدوا مع العادين، وكانوا لهم مبادين، واستمر ذلك القتال في ذلك المجال، بين أولئك الرجال، فقُتِل أربعة من أهل البلد، فولّوا مدبرين، وقُتِل دهمش بن سحيم من المسلمين.

وفيها أيضًا سار عبد العزيز بالمسلمين، وكانوا لأهل الرياض منتدبين، فأسرعوا لذلك الشأن، حين تحكّم الرقاد في الأجفان، فوصل إلى تلك البلاد، فعبّأ للعدوة من أراد، وكانوا نحو المائتين من غير شك ولامَين، فدخلوا البلد واختفوا منها فيما اطمئن، وعندهم أن أهل البلد لم يكن لهم فطن، وظنوا أن عيونهم قد حكم عليها الوسن، وقد أراد الله تعالى أن يعلم دهام بما دبروه حالًا، فأتاه مَن أصدقه مقالًا، فعند ذلك شمر هو ومن معه عجالًا، وأتاهم في مكانهم فرسانًا ورجالًا، وأراد أن يقتطعهم دون الجيش الذي أبدى عن البلد اعتزالًا، فبادره المسلمون حملة واحتمالًا، وشمروا له جلادًا وقتالًا، وأقبل بعد ذلك الجيش مشمِّرًا للجلاد أذيالا، فاقتتلوا ساعة ثم انهزم دهام، وقد قُتِل من قومه ستة رجال، وثلاث من الخيل، ونال ولله الحمد هوانًا موالًا، وقُتِل من المسلمين شريان، ورجعوا بعد ذلك بالأجر والإحسان.

وفيها عدا دهام بن دواس، وأبدى غاية الكيد والإبلاس، ورام بالمسلمين قاصمة الظهور، ولم يدر أن الله تعالى مريد لهم التمكين والظهور، فأعد لباطل ذلك الكيد عدة، وأعد لذلك الأمر أهل النجدة، واختار ذوي البأس والشدة، ولم يكن عند المسلمين توهم ولا يقين، مما دبر من حاله وقبيح أفعاله، حتى جاء المسلمين النذيرُ، يخبرهم بوصوله واستعجاله، فتفاوض المسلمون في الرأي والتدبير، ومن أين يكون الخروج للعدو والمسير، فأشار عبد العزيز على والده محمد برأي مبارك رشيد، وتدبير ميمون سديد، وذلك أن المسلمين يخرجون من القري لكونه طامنًا خفي، وأرسلوا لها سبرًا يحققه خبرًا، فلم

يَرُعْهُم إلا الرمي وصوته، فبادروا إليه قبل فوته، فالتقى الخيل مسرعة، وأطلقوا أعنتها فتبعه، حتى فجأوا دواسًا ومن تبعه، فاشتد بينهم القتال، ثم تلاحق الجيش والأبطال، وحمي الحرب واستعر، ولم يكن لأحد دون الذب عن عمره من مفر، حتى أن الله تعالى جَلَّتْ حكمته وعمت رحمته أيد المسلمين ونصر، ورزقهم على عدوهم الظفر، فقتَلوا من أهل الرياض خمسة وعشرين، ثم ولَّوا بعد ذلك مدبرين، وغنموا أربعًا من الخيل، وأخذوا جميع الركاب، ولم يكن لهم غير بلدهم من طلاب.

وقد كان عبد العزيز قبل قدوم هذا الخبر يشتكي من ألم الحمَّى بعض الضرر، فلما جاءته بذلك الأخبار لم يبال بما معه من الأضرار، بل شمر ساعده وشد الإزار، للقاء الأعداء والفجار، وقام في ذلك الأمر وقعد، وجد فيه طاقته واجتهد، حتى أنجح الله تعالى له ما قصد، وحقق له في أعدائه سؤله، وبلغه في أهل الباطل مأموله، وحمده في تلك الأفعال أهل الإيمان والكمال، وقتل من مشاهير خيالة أهل الرياض: علي القروى وسعد المرابع ومانع بن مشوط ومبيريك بن مبارك، فشفى الله تعالى بذلك قلب عبد العزيز والمؤمنين، وأذهب غيظ قلوبهم أجمعين.

**وفيها** غزا المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، الحسا، فأزال الله تعالى بذلك الغزو عن قلوب المسلمين الهم والأسى، وكانت خيل المسلمين قريبًا في العدد من ثلاثين، فوصل إلى تلك الديار، بعدما أخذ النهار في الإدبار، وذهب ضوء شفق النهار، فأناخ قريب البلاد، وأرسل عينه إلى المطيرفي[1] ليرتاد، فألفاهم وقد أخذ الرقاد من أجفانهم المراد، وحكم عليهم الكرى بالإهجاد، فأخذ في

(١) من قرى الأحساء، تقع على بعد ١٠ كم شمال مدينة المبرّز.

أهبة دخول البلاد، بالتهيئة والاستعداد، فلما انجلت من الليل غياهبه، وبدت من الصبح سوافره ومذاهبه، هجم عليهم المسلمون فيها، وجالوا في قاصيها ودانيها، واستداروا في بيوت تلك البلد، يقتلون من يشاهدونه من أحد، فلم يسلم إلا من اختفى أو شرد، فقتلوا السبعين من أولئك المشركين، وأخذوا من الأمتعة والسلاح والدواب ما لا يحصره العد والحساب، وحسن للمسلمين في ذلك المآب.

فلما أرادوا إلى نجد الرجوع والانقلاب، أغاروا على أهل المبرّز في ذلك الصباح، وقتلوا أيضًا في طريق تلك النخيل من أهل الفلاحة بعض الرجاجيل، ثم انقلب المسلمون راجعين، فلما أتوا العرمه[1] وافقوا أناسًا مجتمعين من أهل الرياض وحَرمه، فقتلوا أهل الرياض وأخذوا أموالهم، وتركوا أهل حَرمه وحالهم، لأنهم إذ ذاك مهادنون، وفي السلم داخلون.

ولما وصل المسلمون إلى الرياض في هذه الغزوة، أغاروا على أهلها فجوة، وأخذوا لأهل منفوحة أغنام، ورجع كل إلى بلاده بالسلامة والأغنام، وقسمت تلك الغنائم في الدرعية، بين الغزاة بالسوية.

**وفيها** وقعت الردة من أهل وثيثيه، وذلك أن أهل وثيثيه، لما أرادوا أن ينبذوا الإسلام ويبدو للعهد نكثًا، أرسلوا إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمدا يخبرونه بما عزموا عليه من الشأن، ويستنجدونه على القدوم ويحثونه على الوصول إليهم والهجوم، فقال: ذلك ما كنا نريد، وهذا هو الرأي السديد. فقَتَلُوا عند ذلك عبدَ الكريم بن زامل، ودخلوا مع إبراهيم في طريقه وعهده، وانتظموا في سلكه وعقده.

---

(١) العرمه: منطقه جبليه تكون على يمين المتجه شمالاً مع طريق الرياض القصيم السريع، وتمتد حتى منطقة سدير.

وفيها غزا عبد العزيز، حرس الله مهجته، بالمسلمين وآل كثير، يريد سبيع، لما نقضوا العهد، فجد في المسير، وأخذ سائرًا في الجنوب يريد سرعة الوصول، فوافقهم على سيح الدبول[1]، فأغارت عليهم من المسلمين الخيول، ولحقتهم الجيوش مثل السيول، فوقع بينهم المصادمة والقتال، ثم كان عن قتل مائق بن شليّة الانفصال، وأخذ المسلمون منهم نحو المائتين من الإبل، ثم رجعوا إلى بلادهم وقد أدركوا الأمل.

وفيها غزا المسلمون سدير، وقصدهم بذلك بعض العربان، فلم يوافقوا أحدًا في ذلك الزمان.

**ثم دخلت السنة السابعة والسبعون بعد المائة والألف.**

وفيها كاتب دهام بن دواس الشيخ والأمير محمد بن سعود، على أنه يريد الدخول في المنهج المحمود، ويلتزم القيام بجميع شرائع الإسلام، ويحافظ على الوفاء بالعقود، ويقسم أعظم الأقسام أنه يوفي بالعهود، فوافقوه على ما طلب وأراد، مع علمهم بأنه لا يوفي بوعد ولا ميعاد، ولكن لا يسعهم أن يصدوا عن طريق الحق والرشاد، من أراد الدخول فيه من العباد، وطلب الدلالة والإرشاد، ولكن طلبوا عليه على سبيل التوبيخ له والتنكيل، وطريق التأديب عن التغيير والتبديل، أَلْفَيْ زر معجّلة وأموال المهاجرين، يرد كل لمن هو له، فالتزم بذلك الصدق والقيام، وأظهر غاية الانقياد والالتزام، وأرسل إلى الشيخ والأمير، ما شرط عليه من النقد في التقدير.

وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز، حرسه تعالى وأفاض عليه بره ووالى، إلى سدير، لملاقاة ذلك العدو الكثير، فلما وصل إلى جلاجل،

---

(١) غرب الأفلاج.

والظلام قد أخذ في التراجل، وأقام يهيئ التدبير لملاقاة العدو الكثير، فلم ينبلج من الصبح عموده، حتى استعدت أحزابه وجنوده، وكمن في موضعه الكمين، وعرف أهل الغارة من المسلمين، فلما استنار بياض الصباح، وخرجوا للقاء والكفاح، فلم يلبثوا للقتال إلا يسيرًا، ثم صار ذلك الفزع ينهرم مكسورًا، ولم يكن لهم عن دخول القرية من براح، وفي الحقيقة ليس عليهم في ذلك من جناح؛ إذ لا طاقة لهم ولا لغيرهم بالمسلمين في الكفاح. وقُتِل من أهل البلاد عشرة رجال في التعداد، وقطع المسلمون عليهم بعض النخيل، ثم انصرفوا راجعين بالتأميل، وقُتِلَ من المسلمين فرحان التمامي وصالح بن محمد بن صالح.

فلما وصل المسلمون إلى رغبة، فإذا غزوٌ من أهل اليمن قد أخذوا فريقًا من سبيع في الذمة ونَهبَه، واستولى على مال ذلك الفريق وسلبه، فأخبر ذلك الفريق عبد العزيز في أثناء الطريق، فشمّر ساعد الجد والعزم، ورفع إزار الهمة والحزم، وسار في يومه ذلك عن ساعته، مع من معه من أحزابه وجماعته، وحثَّ على ذلك الجياد، ولم يُثْنِهِ حرسه الله البعد والبعاد، ولا خوف ملاقاة الأجناد، وسأل الله تعالى أن يعينه على ذلك المَرام والمُراد، ويبلغه ما أمّله من أهل الفساد، وأخذ سائرًا في آثارهم متطلبًا لأخبارهم، حتى وصل إلى فيفاء سهلة، تسمَّى إذ ذاك قَذلة[1]، فإذا غزو اليمن قد ألقى بها رحله، وطرح فيها ثقيله وثقله، فلم يكن لهم دون لقائهم ساعة ولا مهلة، حتى تلاحمت الخيول والأبطال، وتلاحقت بالجيوش والرجال، وطال بينهم الطعان في ذلك المجال، وصدق المسلمون النية لمولاهم، فأنجح قصدهم ومناهم، فشدُّوا

---

(١) قال ابن بشر (١ / ٤٧): «بين بلد القويعية والنفود».

على أهل الشرك والضلال، ولم يكن لهم دون هزيمتهم من إمهال، فقتلوا منهم نحو الخمسين، وأسروا مائتين وأربعين، وأخذوا ما معهم من الخيل والركاب، ولم ينل المسلمين من مصاب، وكانت ركائب المسلمين فوق المائة على التحقيق لا التخمين، وخيلهم نحو الأربعين، وانقلب المسلمون إلى أهلهم راجعين، وكانت هذه الوقعة العظيمة والمنة الجسيمة في شهر رمضان، فحصل السرور والتهان.

**ثم دخلت السنة الثامنة والسبعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** غزوة تسمى غزوة المديهيم، وكانت في صفر، وذلك أن عبد العزيز، أعزه الله تعالى بالإسلام، وأنجح له السُّول والمَرام، غزا بالمسلمين ومعهم في تلك الغزوة دواس بن دهام مع قومه، فسار عبد العزيز مُجِدًّا في يومه، ولم يزل في السير مُجِدًّا يبذل فيه جدًّا، يؤثر الوخَد فيه على الذميل[١]، ولا ينيخ فيه إلا القليل، وقصده بذلك الغزو والمسير فرقان من آل ظفير، يسمون مديهيم، وقد كانوا على جراب ماءٍ بنجد مقيم، فنزل بمن معه قريب ظلمة الليل البهيم، وأرسل عينه إليهم، فنظرهم وأشرف عليهم، فإذا هم على التحقيق فريقان، ولقاؤهم لا يطاق ولا يدان، وليس لأحد به يَدَانِ، فلم يكن لعبد العزيز سوى طلب المعونة والانتصار، من الملك القهار، على أولئك الأشرار، وبذل الجد والاجتهاد في قتال ذوي البغي والفساد.

وتفاوض المسلمون بينهم في صفة القتال والتلاق؛ لأن الفريقين كانوا في المنزل على افتراق، فتخوف المسلمون منهم أنهم إذا صبّحوا فريق غشيهم الفريق الثاني بالتطبيق، وكان المسلمون إذ ذاك ليسوا بالكثير، وركابهم لا تزيد

(١) الوخد: السير السريع. والذميل: سيرٌ أبطأ من الوخد.

على مائة وثلاثين بالتقدير، فأشار عليهم المبارك الميمون، برأي به النجاح يكون، وذلك أنهم يجتمعون ويحملون على فريق رجالًا، فإذا انكسروا انقلبوا إلى ركابهم فركبوها عجالًا، فيحملون بعد ذلك كافة مجتمعين، فيهزمونه أجمعين، فلما أضاء الصبح ونور، أخذ المسلمون في ذلك الرأي المدبر، فلم يفاجئ تلك الأعراب إلا أسنة المسلمين الأحباب، فبقوا معهم ساعة في جلاد وبذل وجد واجتهاد، حتى عاينوا ما ليس لهم به قبل، فولّوا سراعًا على عجل، وقُتِلَ منهم نحو الثلاثين، وأخذوا أموالهم أجمعين، وقُتِلَ من المسلمين المغيليث، ورجعوا إلى بلادهم بتلك الغنائم، ولم يقع لهم مثلها في المقاسم.

**وفيها** في ربيع الثاني جرت على المسلمين وقعة الحائر[١]، ذات اللقب المشهور والاسم الظاهر، وذلك لما اقتضته الحكمة الربانية والقدرة الصمدانية، من وقوع أسباب المحن وفتح أبواب الشر والفتنة، وابتلاء أهل التوحيد والإيمان بذوي الضلال والعصيان، وتسويل أولياء الشيطان لكل ضعيف اليقين والإيقان، أحوال الردة والافتتان، وتمييز أهل الباطل والفجور والضلال من ذوي التوحيد والكمال، حتى يتميز ذلك لدى الناس، ويظهر الطيب المبرَّءُ من الأدناس، من الخبيث المتضمخ بالأرجاس، ويشاهد حاله ويستبين ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾.

فكان سبب تلك الواقعة والنازلة الجامعة، أن أهل اليمن لما أُخذوا وأُسروا، وقتلوا في قذلة وقُهروا، شمروا للثأر أطراف الذيل، وجدوا في السير للنهار والليل، فلم يخطئوا عن الوصول والقدوم، والمسير إلى نجران والهجوم،

(١) قال ابن بشر (١ / ٤٧): «المعروف بحاير سبيع، بين الخرج والرياض». يبعد عن الرياض جنوبًا بحوالي ١٧ كم.

فشكوا لهم الحال وما عاينوا من الوبال، وشرحوا لهم على التحقيق ما صدر عليهم بذلك الطريق، وأن أصحابهم في الأسر والأغلال يعذبون كل يوم على التوال، ودَعَوْهُم إلى المسير والتسيار، والأخذ لهم بالثأر، وانتدب لهم بالمراد تلك الجماعة، والكلُّ منهم مَدَّ للشر باعه.

وكان الداعية في ذلك الشأن رئيس نجران، واسمه الحسن بن هبة الله، قبحه الله وأخزاه، فجمع جميع أهل نجران من الحضر والبدوان، والتأم معه قبائل اليمنان، فأقبلوا سائرين على عجل، حتى اجتمعت تلك القبائل والدول، ووطئوا بلاد المسلمين، فجاءهم خبرهم اليقين على التفصيل والتعيين، فجمع عبد العزيز، رحمه الله تعالى، مقاتلة المسلمين والإسلام، ممن بلغ سن الاحتلام، وأمرهم بالتأهب والقتال، والاستعداد للقاء ذوي الضلال، وسار بهم جميعًا يريد قرية الحائر، وكانت من بلاد المسلمين، وقد أرسل لهم قبله مددًا يكون عونًا وناصر، فلما وصل إليها وأشرف عليها، وقد كان رئيس نجران بها نازل، ولأركانها حافل، وبقي بها مدة أيام وليال، كل يوم يقع بينه وبين أهلها قتال.

وقد كان المسلمون في مسيرهم إلى الحائر، الذي نزل به ذلك العد والجائر، والجند المارق الفاجر، يتكلمون في مسيرهم إلى العدو والذهاب، بدلائل الخيلاء والإعجاب، الذي يكون غالبًا به المعاقبة والعقاب، ويصير سببًا إلى الابتلاء من رب الأرباب، فحين التقى المسلمون بأولئك الأحزاب، وقد وطّنوا أنفسهم في ذلك الموقف على ابتغاء الثواب، وبذل غالي الرقاب، حمي بينهم الوطيس، ولم يحصل بين الأبطال تنفيس، وبقي فرسان الإسلام تجول، ورجالتهم تسأل الله النصر وتصول، حتى قاربوا أن يكشفوا أولئك الأعدا، ويُلبسوهم ثياب الردى، ولكن أراد الله تكرمة أوليائه، وخذلان أعدائه، وتبيين

حزب المؤمنين ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فكتب على المسلمين الهزيمة في ذلك اليوم، وتبع ساقتهم أولئك القوم، وحقت عليهم الهزيمة، وقُتِل منهم مقتلة عظيمة، تقارب على التحقيق واليقين، أربعًا من عقود المئين، فصارت هذه الحادثة والنازلة الكارثة طهرة وتمحيصًا للمؤمنين، ومحقًا للضلال والمعتدين، ورفع درجات للمستشهدين، وعبرة للمعتبرين.

وأقام رئيس نجران أيامًا بذلك المكان، ثم ارتحل بالغذوانة، فكان ذلك الباطن مكانه، ولما نزل بذلك الموضع المذكور، خرج أهل ذلك القصر المشهور، إلى إبل له نحو عشرين، وأخذوها وانقلبوا راجعين، ثم تحصنوا في مكانهم، وقتلوا من جماعته ثلاثة أشخاص من ساعته، ثم بدا عليه دهام بن دواس، وأهدى عليه هدايا لقصد الإيناس، ورغّبة مما في قلبه من الشر والإفلاس، أن يمشيه ويسير به على بقية المسلمين والناس، ووعده على ذلك كثيرًا من الأموال، وأنك إن جردت سيف الجهاد والقتال، في هؤلاء الذين اعتدوا في الفعال، وفتحتَ بلدانهم، وقتلتَ أعوانهم، فزت بالسؤدد والمحامد، وألقت إليك نجد بالمقالد، وصرت رأسها ورئيسها، وغرتها ونفيسها، وغدوت حاكمها وواليها، تنفذ التدبير في أسافلها وأعاليها، فهَشَّ الخبيث عند زخرف ذلك المقال، وبَشَّ حين ما وعى ما موّه عليه من الأقوال، ولم يدر حاله، ولم يختبر أفعاله، بل بدا له أنه ناصح أمين، يريد له الظهور والتمكين، وما عرف أنه خائن أفاك، ومعتدٍ سفاك، وحثه على التأخر والإقامة، وأظهر حشيمته وإكرامه.

ثم أرسل أيضًا دهام إلى عريعر بالخبر والإعلام، ويحثه على الظهور إلى نجد، ويقرب له المرام والقصد، ويستجيشه في ذلك العام، ويخبره أن أهل نجد في غير نظام، وأن كلمتهم متفرقة، وأحوالهم متشتتة متمزقة.

وفي إقامة رئيس نجران تلك المدة كاتب المسلمين، في القوم الذين كانوا

عندهم مأسورين، فقبلوا ذلك الحال، وكان الشرط بينهم في المقال، أن يُطلق ما عنده من أسرى المسلمين، ويطلقوا من عندهم أجمعين، وقد كان الرئيس المذكور عنده من أهل الإسلام ما هو مأسور، نحو الثلاث من المئين، فأطلقهم جميعًا مكرمين، وقد مكث في ذلك المكان نحو خمسة عشر يومًا من الزمان، وقدم عليه أيضًا في ذلك المكان ذو الضلال والطغيان، زيد بن زامل[١] وفيصل بن سويط[٢]، وأثنوا عليه في تلك الأفعال، وحمدوه في ذلك القتل والقتال، والتزموا له إن بقي جزيل الأموال، فلم يلق إليهم بال، ولم يَرْعَ لباطل ذلك المقال، وأرسل عريعر إليه يندبه أن يقيم بمكانه، حتى يقدم عليه، وأرسل إليه بالصحف والمكاتيب، وزخارف الأباطيل والأكاذيب، ومموّهات الرسائل والأرقام الموعود فيها بنفائس الأموال، والحطام وأجاويد الخيل الكرام، إن بقيت في ذلك المقام حتى أقدم عليك بالجيوش العظام، ويمنّيه منكرًا وزورًا، ويعده باطلًا وفجورًا ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ فلم تُجْدِ تلك الوعود فيه، ولم يجنح إلى ما يعده ويمينه، ولم تَرُضْ للإقامة شكيمته، ولم ترضَ بباطل الوعود شيمته، ولم تركن لما زخرفوه همته، ولم تُصْغِ لها عزيمته، ولم تكن نفسه أبيّة عن الأطماع، بل تطمع في المال غاية الأطماع، وتنزع إلى حبه أشد النزاع، ولكن لما قذفه الله تعالى في قلبه من الرعب والإفزاع، والخوف والأجزاع، لم يقم غير ما ذكرنا في تلك البقاع، وأزاله الله تعالى عنها، وطرده وقذفه في هوّة الذل وأبعده، ولم يحسن له بعد تلك الأفعال له شأن ولا حال، بل كتب عليه الهوان والإذلال، وأصيب بالنقمة من الكبير المتعال.

---

(١) أمير الدلم.

(٢) شيخ الظفير.

وقال المصنف في ذلك الحال:

عين جودي بواكف هتان واسكبي عبرة من الأجفان
وأفيضي على الخدود دموعًا تحكي صوب الغمام في الهَمَلان
واهجري لذة الكرى في الدياجي قد كفى ما جرى من الأحزان
واذكري معشرًا وابكي مصابًا ما جرى مثله بماضي الزمان
لهف نفسي على فراق صحاب قد تتالوا بطاعة الديان
فهدوا للجهاد صدقًا وباعوا غالي النفس في رضا الرحمن
أسرعوا في امتثال أمر إله إذ دعاهم إلى قصور الجنان
صدقوا بيعة عليه وأوفوا ومضوا مسرعين للغفران
فأنيلوا الحياة مع مشتهى الجنات والحور في رفيع المكان
وانقضى راجعًا بخزي وذل من أتى غازيًا مع النجران

وفيها خرج عريعر إلى الدرعية، مع بني خالد كافه وأهل الحسا وسائر الرعية، فلم تصل جيوشه وأجناده وعساكره وأمداده إلى رمال الدهنا، حتى اختلج رئيس نجران ذهنًا، ومزج الخوف لبه، وملأ الله بالرعب قلبه، فلم يلبث بعده إلا قليلًا، ثم جد السير إلى بلاده وخدا ودميلًا، وآثر الليل هاديًا ودليلًا، فلما وصل عريعر إلى فياض الحسا، وارتوى من تلك الحياض القعسا، طاب كثير من أهل البلدان نفسًا، ولما استقر به القرار، في معمور تلك الديار، وانتشرت جنوده في فسيح ذلك الوهاد، وملئت تلك الفيافي والمهاد، تبين من أهل نجد الارتداد، ونجم الضلال والنفاق، وقام الباطل على ساق، ودعا فلبّت بسرعة له أعوانه، وأجابته على الفور أخدانه، وسارعت إلى دعوته شياطينه وإخوانه.

وأوّل من أجاب لداعيه، ولبى الصوت مناديه، وبادر إليه عجلًا، وسار له

هرولة ورملًا، ورام بأن يبلغ بذلك الباطل أملًا، وشهر راية الفتنة والإبلاس، دهام بن دواس، فكان مما رام بها على خيبة وإفلاس، وأهل منفوحة سلكوا معه في ذلك العرين، وتتابع نجد من ذوي الإسلام والعهد أجمعين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

ثم إن عريعر استشار من أهل نجد ذوي المعرفة والشأن، في المنزل الذي ينزله من الدرعية مع تلك العربان، ويسع الحضر والبدو من أهل الحسا وسائر البلدان، فاستقرت الفكر والأذهان، على أنه ينزل بين قَرِي القصير وقَرِي عمران[1]، كما هو معروف بذلك إلى الآن، فوجلت قلوب أهل البلاد، مما جاء به وكاد، وما جره عليهم وقاد، وملئت قلوبهم مخافة ومهابة، حين ضرب خيامه ومدّ أطنابه، ودهشوا من ذلك الكيد بالإرعاب، وأزعجهم ما رأوا من الأجناد والخيلاء والإعجاب، وما شاهدوا من عظيم تلك الأسباب، وبهرت قلوبهم تلك المدافع، التي ليس أحد دونها بممانع.

ولم يكن للمسلمين غير الله دافع، ولا سواه من معين ولا مدافع، فأنابوا إلى الله واستسلموا، ولجأوا إليه في كشف ما به دُهِمُوا، وتحققوا أنهم على الدين المنصور وجزموا، وجردوا سيوف الهمة على القتال وعزموا، وعلموا أنهم يرحمون فأُعِينوا ورُحِموا، وكلٌّ صدق النية لله وأناب، وأخلص في الإيمان والاحتساب، رجاء من الله في جزيل الثواب، وتأميلًا من المولى أن يحسن لهم المآب.

(١) بجوار الدرعية. والقَرِي (وتصغيره: قُرَيّ): اسم لكل مجرى سيل يغطيه، وهو يُشبه الروضة، غير أنه غالبًا لا يستقر به الماء. «معجم اليمامة» (٢ / ٢٨٣ - ٢٨٤).

فلما أناخ بذلك المكان الفسيح، أقام ذلك اليوم ولم يبد حربًا ليستريح، فلما بدا اليوم الثاني نهض مسرعًا من غير توان، حين أكملت الطلوع شمسه، مشمرًا للقتال طيبة نفسه، وقرب المدافع والآلات، وتلك الجيوش المزعجات، إلى قريب من الجدارات، وأقام يرمي بها رميات، يريد أن يهدّ تلك اللبنات، ويقض تلك البروج المستكينات، وأخذ يحث الرماة ويزجر، ويرد عليهم ويصدر، فلم ينل ولله الحمد المراد، وصدر وما أفاد، ولم ترم مدافعه لبنة من جدار، فكان للمسلمين ذلك اليوم أعظم اعتبار، وزيادة يقين في دينهم واستبصار، وقوة رجاء في الإعانة والانتصار، فكأنما والله قد نُشطوا من عقال، أو خرجوا من حبس واعتقال، بل كان الخوف لم يخطر لهم على بال، ولا ريب أن هذا تثبيت من الكبير المتعال، وتأييد من ذي العزة والجلال، وإلا فقلوب البشر لا تطيق بعض ما صدر، ولكن كما قال تعالى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

ولما كان آخر النهار قبل وقت الإعصار من ذلك اليوم المذكور، خرج المسلمون للعرضة خارج السور، وكان ذلك بأمر عبد العزيز، حرسه الله تعالى من جميع الشرور، ففرح بذلك أولئك الجنود، وقالوا هذا المنى والمقصود، فأسرع عليهم الأقوام، وكانوا على تهيئة في الانقسام، فأطلقت الفرسان على من خلف السور كان، وأسرعت الدول تسير على عجل، تريد من علو الباطن الدخول، حتى يفوزوا بالمأمول، فدخل عند ذلك عبد العزيز ومن معه من أهل النجدة، وكان علوّ الباطن مراده وقصده، فسابقهم إليه قبل الدخول، ولم يكن لهم إلى التمكين فيه وصول، فلم يكونوا من مأمولهم على حصول، وأخرجهم المسلمون منه قسرًا، ونَحُّوهم عنه قهرًا، وقتلوا منهم رجال، وأخذوا فرس ديوان، وكان لعريعر خيال، وقُتِل من المسلمين سلطان بن عدوان، وهويدي بن

نعران، وبَنَى عبد العزيز في ذلك ما هُدِم، وأحكَمَ بناءه وردم.

وأقاموا على ذلك أيامًا قلائل، كل يوم ينصبون للحرب الحبائل، ويعملون الآراء والفكر، فيما يقع بالمسلمين الأضرار والضرر، وقد أقاموا من الأيام مدة في أعظم ضيق وحرج وشدة، وقد بلغ الضرر منهم حده، والكل منهم يتحسر ويتندم على مجيئه الذي تقدم، ويسوّف ترياق الأسف والحسرة، ويَعض أنامله من الندم، حيث أجمع على المسلمين أمره، وأضحى عريعر ذلك الجبان مما شاهده وعاينه، وصار يدعو بالخيبة والعثار والويل والدمار، على من عليه أشار بذلك المسير والتسيار، فكانوا في المنزل في غاية الذل، يقاسون من الظمأ والعطش شدائد، لبعدهم عن المياه والموارد، وكل يوم تغيب شمسه وتطلع، تطلب نفسه الهروب وتنزع، ويروم الرحيل والترحال، لما وقع به من الوبال، وتأتيه شياطين أولئك الأعوان، وتثبطه على الإقامة بذلك المكان، مثل دهام بن دواس وزيد بن زامل، وأمثال هؤلاء الذين كل منهم لغرضه محاول، ولقمع الدين وأهله آمل، فيلين لهم بعض اللين، وينخون أيضًا بني عمه عليه، فيأتونه للراضة[١] ويستكين، حتى نفخ الله تعالى سحره وطاش، وأراد العجلة والانحياش[٢]، فأتوا إليه وتَلَبَّبُوه، وحاولوه بطنًا وظهرًا وقلَّبوه، فلم يروا فيه وُجْدًا، ولم يجدوا به وِردًا، ولكنهم أدركوا منه تسييرًا ومعدًّا، وحَدُّوا له في ذلك حدًّا، وذلك بعدما أتوا إليه عتاة أهل الحريق، وزينوا له الإقامة وقالوا نحن نعرف المسبأ والطريق، ونحن لك القادة، وسترى منا لك الإفادة، فراض إلى قولهم، وقصد معرفة فعلهم، فلما توثقوا من راضته، شرعوا في الرأي وإفاضته،

---

(١) أي: الهرب.

(٢) أي: الهرب.

واستقرت المشاورة والمعاودة على أن غدًا تكون بيننا وبينهم المناهدة، ونصدقهم الحرب والمجاهدة، وتتفرق عليهم ثلاث فرق، ونظموا رأيهم ذلك حين انتظم سواد الغسق، وأخذ الرأي جهده من الحدق.

فوعت ذلك الترتيب آذان واعية من قريب، فأسرع بذلك من وعاه، وهو سالم بن جمهور، أثابه الله خيرًا وجزاه، ونقله إلى عبد العزيز ونماه، فلم تستتر بالضياء جهات الأرض، حتى قضى عبد العزيز من الاستعداد للقائهم الغرض، فلما ارتفع سناء النهار سارت تلك الأجناد الكبار، تروم الحصن والجدار، وأخذت القنبرة[١] والمدافع في لفح الشرار، واستعظم الأمر واستطار، وزاغت القلوب والأبصار، وأخلصت أهل التوحيد السرائر لعالم الضمائر، فصارت المهاشير[٢] ومن معهم على الزلاّل[٣]، وكافة بني خالد وأهل الحسا ذوي الضلال، نحر جدران سمحان[٤]، وأهل الحريق وابن دواس وابن فارس وأهل سدير والوشم وبقية العدوان، قصدوا قَرِي قصير، وصار قصدهم في ذلك السير، واكتنفوا جميع البلدة، والكل قد بذل جهده وأرهف من ماضيه حدّه، وراموا في ذلك أمرًا إدًّا، وكل قد حارب ربه وتعدّى، فلم ينل كل منهم رشدًا، ولا حاز مفخرًا وسعدًا، ولا نال من مراده مطلوبًا، ولا حصل من سؤله مرامًا ولا مرغوبًا، بل رجع كل منهم خائبًا مرهوبًا، خائفًا وجلا مرعوبًا، وقُتِلَ منهم نحو الخمسين، وهربوا عن المدافع مدبرين، فلم يَلْوِ أحد منهم إليها، ولا عرجوا تلك الساعة عليها، لما عاينوا من الإرعاب، وصب عليهم ربك سوط

(١) القنبرة: قنبلة المدفع. جمعها: قنابر.
(٢) بطن كبير من بني خالد.
(٣) بالدرعية، شمال حي الطريف، ومجاور لسمحان.
(٤) من أحياء الدرعية.

عذاب، وكان عيد بن تركي في المقتولين، وكان والده يديم عليه البكاء والحنين، ويتفجع عليه في كل ساعة وحين، وانهزم رئيس المدافع بعدما قطع الله يمناه، وتنحّت يده قدر ميل في الفلاة، ولم يحصل له بعض ما تمناه، ثم لما ولى عنهم الارتياع، كروا على مدافعهم بالارتجاع، فلم يجرد بعد هذه المرة ومذاقتهم لتيك المُرة، ومقاساتهم تلك الأهوال الممرة، قواضب قتال، ولم تسدّد للرمي سهام ولا نصال، بل باؤوا بالخزي والوبال، وشتات الشأن والحال، وهموا في غدهم بالمسير والارتحال، وكان جملة من قتل من المسلمين ستة رجال محققين، قال المصنف:

| | |
|---|---|
| نفوس الورى إلا القليل ركونُها | إلى الغي لا يلفي لدين حنينُها |
| فسل ربك التثبيت أي موحد | فأنت على السمحاء باد يقينها |
| وغيرك في بيد الضلالة سائر | وليس له إلا القبور يدينها |
| وأنت بمنهاج الشريعة سالك | وسنة خير المرسلين تبينها |
| فكن صابرًا إن حلّ أو جلّ حادث | فعاقبة الصبر الفتى يستزينها |
| وإياك أن تبدي لخطب مخافة | ولا جزعًا من حادثات تشينها |
| وإن شمت من سحب الحوادث بارقًا | فلا تخش لو يزجي إليك هتينها |
| فكم فرّجت من شدة إثر شدة | وكم محنة مرت فسرّت سنينها |
| وكيف نفوس المخلصين ينالها | هموم وخلاق البرايا عوينها |
| فقد سارت الأحزاب يوم عريعر | محزّبة غِثّ الورى وسمينها |
| وجاءوا بأسباب من الكيد مزعج | مدافعهم يزجي الوحوش رنينها |
| وأبدوا أمورًا يذهب اللب عندها | ويسقط من بطن الرداح جنينها |
| وأقبل قادات الضلالة والردى | وساداتها تبغي الهداة تهينها |
| وتبغي لأهل الدين في الأرض وقعة | يغنّي بها في كل قطر مهينها |

وهتك حمى البطحات ومن حل سمحها   وسلب غوان ما تبدّل عينها
وراموا أصول الحق والدين والهدى   يريدون أن يجتث منها متينها
وهدم دعامات المحجة بعد ما   أشيد ذراها واستقر رصينها
وتغيير منهاج تألق نوره   فأبصره غرب النواحي وصينها
ولكنهم حادوا عن الرشد وابتغوا   مناهج آباء تغيّر دينها
ومن يعشُ عن ذكر الإله تضلّه   شياطينُ لا ينفك عنها قرينها
فخانت لهم نجد لما قد أتوا به   ولم يبق في الإسلام إلا أمينها
وهز ذوو الإسلام أعظم هزة   على الدين بالبلوى فبان كمينها
لقد زاغت الأبصار وساعة أقبلت   بنو خالد أظعانها وظعينها
ولكنّ مولى النصر ثبّت أهلها   كما هو في دفع الأعادي يعينها
فقام بها عبد العزيز مشمرًا   وساعده في الحرب متينها
فآبت قلوب الناس من بعد طيشها   وقرت عيون واستسرّ حزينها
فآضوا وقد راضوا يقينًا وجردوا   قواضب عضب ليس ينبو سنينها
وقد وطنوا للموت والله أنفسًا   لنيل الرضا والعزّ هان ثمينها
وليس لها إلا التصبر واللقا   من الله جيش والثبات كمينها
فنالوا عظيم الفوز والعز والمنى   وما نال هذا بالنفوس ظنينها
وآبت جيوش الفسق بالخزي والردى   وليس لها إلا الشنار رهينها
أبى الله أن تعلو على الدين راية   فتربو ضلالات ويسمو مهينها
وأن يطأ الفساق في ذلك الحما   ويهتك من تلك العوالي حصينها
فلا زالت البيضاء يسمو منارها   ويزهو محياها ويصفو معينها
بحكم إمام المسلمين وعدله   تحاط نواحيها ويُحمى عرينها
ولا برح المولى معزًّا وناصرًا   سعود الذي يهوى العلا ويزينها

وفيها طلب دهام بن دواس الهدنة من الشيخ والأمير محمد، فأجابه إلى ذلك المقصد، واتفق على ذلك منهما الرأي والنظر، وكان ذلك من أدق الفكر، فهُودِنَ مَجَّانًا، وأقام في الهدنة زمانًا، يقصر عن السنة عدده، بل نحو عشرة أشهر أمده.

وفيها في ذي القعدة قُتِلَ محمد بن فارس وولَدُه عبد المحسن، وذلك أن أولاد عامل الحية وأناسًا من جماعته تحققوا الردة منه وفيه، فأرسلوا إلى الشيخ والأمير يخبرونهم بذلك الأمر الخطير، ويعاودونهم على قتله وولده قبل أن يقع ذلك منه ويصير، فنَهَوْهُم عن ذلك وأبُوا، ولم يسعفوهم على ما طلبوا، بل زجروهم غاية الزجر عن ذلك المرام، وأنّ عقد الهدنة قويّ الإحكام، فلم يُجْدِ فيهم ذلك التهديد، ولم يبالوا بذلك الوعيد، ولا أثّر فيهم ذلك الكلام، بل أثخنوهما بالكِلام، وسددوا لهما من الردى مصيب السهام، وأوردوه وابنه حياض الحِمام، في مجلسه الذي لا يرام، وأسرع إلى ابن دواس تلك الأخبار، فنهض من ساعته في المبادرة والابتدار، إلى منفوحة مع جماعته، وقد وصل الخبر بذلك إلى الدرعية في ساعته، فأخذ عبد العزيز وكافة المسلمين في السير إلى منفوحة مسرعين، مخافة أن يُسرع إليها دهام بمن معه من المبطلين، وقد تقدم أمامه كتاب من الشيخ إلى ابن دواس، يخبره أن هؤلاء الجماعة الذين فعلوا تلك الأفعال، طلبوا ذلك منا وعالجونا عليه قبل لما تحققوا من ابن فارس الاختلاف والاختلال، فزجرناهم عن ذلك وأغلظنا عليهم المقال، إلا أنا ذكرنا لهم أنا لا ننفيكم بل نذب عنكم ونؤويكم، فإن كنتَ تريد على الهدنة البقاء، فإياك أن تسلك سبيل الهلاك والشقاء، وإن كنتَ تريد النكث والحرابة، فاسلك منهجه وأسبابه، وجاء الرسول، وقد قربه إلى منفوحة الوصول، وجرى بينهم من القتال فصول، وقُتِل من أهلها رجلان تلك الساعة، وقتلوا منه واحدًا حين مدّ

لدخولها باعه، فلما قدم عليه الرسول بالكتاب، وعرف فحوى الخطاب، بادر إلى بلده بالانقلاب، فلم يصل عبد العزيز إليها ومن معه إلا وقد آب، ثم إن عبد العزيز بعدما خرج من منفوحة، سار إلى قصر الغذوانة، وأقام فيه أيامًا يصلح شأنه، ثم خرج منه وقصد مكانه.

**ثم دخلت السنة التاسعة والسبعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** في ربيع الأول اعتدى دهام بن دواس، وأبدى الخيانة والإبلاس، فجمع زيد بن زامل وغيرهم، فعدا على الصبيخات[1] وأخذ منها طرشًا كثيرًا، وخرج أهل منفوخة فاقتتلوا معه، وقَتَل منهم ستة أو سبعة، وقَتَلوا منه نحو ذلك، وكان لهم عنه أقوى منعة، وثارت بينه وبين المسلمين بعدها الحرابة، وهو الذي فتح من الشر بابه، ودعا إلى ذلك أعوانه وأحزابه، وفي ذلك من السر المصون، والغيب المكنون، ما لا تحيط به الأفهام، ولا تدركه أفكار الأنام، بل تقع التقادير والأقدار، وتصدر إرادة الجبار، على غير ما يجول في الخَلَد والأفكار، وما لا يتخيله المتفكرون، ولا ينتجه المتفرسون، ليتذكر أولو الألباب، ويقفوا بالتسليم والاحتساب، لما دبره رب الأرباب، ويحصل لهم الأجر والثواب، إذ كانوا لأحكامه وإبرامه يسلّمون ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فكانت هذه القضيّة، وصدور هذه الخيانة الرديّة، سببًا لخروجه عن بلده بالكلية، ومبدأ لذهابه، وأنموذجًا على عذابه.

**وفي منسلخ ربيع الأول** توفي الأمير محمد بن سعود، رفعه الله إلى جنات الخلود، وآمنه يوم الفزع والورود، وسقاه من حوض محمد المورود.

---

(١) جنوب منفوحة.

**وفيها** بايع عبد العزيز أهلُ الإسلام، وأعطَوه على الإمامة عقد الإحكام، وأقبل على المبايعة والمعاهدة والمتابعة جميع الخاص والعام، من سائر الأنام، وقدم لذلك المسلمون من البلدان القاصي منهم والدان، وتتابع على ذلك الحضر والبدوان.

والشيخ، رحمه الله تعالى، هو رأس ذلك النظام، والمحكم للعقد بالإبرام، وكان يتلو عليهم أحكامًا وموعظة وتعليمًا ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وأسقط، حرسه الله تعالى، جميع المظالم، وأبطل كافة المغارم، وارتفع عمود الحق واستقام، وانتظم أعظم انتظام، وتأود[1] غصن المحجة البيضاء، وأقبلت الدنيا على رعيته فيضاء، وملئت قلوب العِدَا مما شاهدوا من سيرة الهدى، حسرة وغيظًا، وشهرت رايات الإسلام في الأقطار، وسارت بالفتوح الركبان في سائر الأمصار، وطارت قلوب أهل الضلال أيّ مطار، وزاد أهل الإيمان بذلك يقينًا وتسليمًا، ووجدوا في الدين والتوحيد تفهمًا وتفهيمًا ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

**وفيها** غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز الرياض، وذلك أنه، حرسه الله تعالى، سار بمن معه إليها ليلًا، وملك بروج جصّان[2] وأدرك منها نيلًا، فلما تبين الصبح وانتشر الناس، بلغ الخبر دهام بن دواس، فأرسل سريعًا في الحال رجلًا من جماعته خيال، إلى سبيع وكانوا قريبًا منه فعاجلوا بالمجيء والإقبال، وبادر في سرعة الامتثال، فلم يشعر المسلمون إلا بخيلهم في اقتبال، ثم خرج

---

(١) أي: تثنى.

(٢) لم يذكره الأستاذ خالد السليمان في «معجم مدينة الرياض»، وأفاد الأستاذ راشد بن عساكر أنه يقع في شمال غرب الرياض.

ابن دواس مع جماعته، لما علم مجيء سبيع من ساعته، وقصده الخديعة والمكر بالمسلمين ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ فحينئذ أمر عبد العزيز على المسلمين بالظهور والخروج، والنزول عن تلك البروج.

ثم إن دهام بن دواس خرج مسرعًا إليهم، يريد يناوشهم الحرب ويشغلهم، حتى تقدم سبيع عليهم، فعند ذلك سدد الله تعالى عبد العزيز وثبته وحماه، من ذلك المكر وجماعته، وصارت بينهم جولة قتال، قتل فيها من المسلمين عدة رجال، وأقبلت خيل أولئك البدوان، فابتدرهم من المسلمين فرسان، وحمي بينهم الطعان، ثم بعد ذلك انفصل الفريقان، وكلٌ قصد له مكان، ولم يدرك دهام من المسلمين ما رام.

**وفيها** غزا المسلمون العودة[١]، وأميرهم عبد الله بن محمد، فلم يجر بينهم قتال، ثم رجع إلى حريملاء، فغزا إلى شلية من سبيع، وهم بالعرمة، فصبحهم وأخذ إبلهم وخيلهم، وما معهم من الغنم والأمتعة.

**وفيها** أتى برَد عظيم لم يُعهد مثله، فمات الزرع والعشب.

**وفيها** جرت وقعة تسمى (وقعة العدوة)، وذلك أن المسلمين عدا منهم على الرياض ستون رجلًا، فخرج ولد زيد بن سليمان عجلًا مرتدًا من الدرعية، فأخبر أهل الرياض بالقضية، فلم تأتهم تلك العدوة إلا وهم مجتمعون لها في ندوة، فعَدَوا على صياح، فارتفع عند ذلك الصياح، ووقع بينهم الكفاح، ثم انهزم المسلمون، والخيل لهم وراءهم متبعون، فقتلوا منهم ثمانية رجال، وخمسة أسروا في الاعتقال.

**وفيها** غزا المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، فساروا إلى الرياض، وأعدوا في

---

(١) في إقليم سدير.

الليل الكمين، فلما انتشر ضوء الصبح شعروا بالمسلمين، فبادروا إلى القتال، ولم يكن لهم عنه بد ولا احتيال، فلما حميت نار الحرب، واستقر الطعن والضرب، وظهر عليهم كمين المسلمين، انهزموا جميعًا مدبرين، وقُتِل منهم ستة رجال، وانقلب المسلمون راجعين.

**وفيها** همّ دهام بن دواس بأهل منفوحة، فوصل المسلمين الخبر، فأسرعوا إليهم بالنفر، فلم يستقر دهام في تلك النخيل، حتى جاءه مجيء المسلمين بالتعجيل، فولى على عقبه هاربًا، ولبلده دائمًا طالبًا.

**ثم دخلت السنة الثمانين بعد المائة والألف.**

**وفيها** غزا المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، ثرمدا، وأتاها بعد أن هدأ الأنام، فكمن حتى استكملت الخروج للمرعى جميع ما بها من الأغنام، فاستاقها ذوو الإسلام، وفزع مَن في البلد من الأقوام، حتى وقع الاختلاط والالتحام، وجرى بينهم القتال وضاق المجال، وخرج الكمين، فشدت عليهم فرسان المسلمين، فعند ذلك ولَّوا مدبرين، وقُتِلَ منهم نحو العشرين، منهم محمد بن عيد وحمد بن راشد ابنا إبراهيم بن سليمان، وقُتِلَ من المسلمين فواز التهامي وابن غدير، وتسمى هذه الغزوة (غزوة الصحن)[١]، عند أهل ذلك الوطن؛ لأن القتال وقع في مكان يقال له ذلك، ثم انصرف المسلمون راجعين، وتوجه عبد العزيز بالجيوش إلى منفوخة، وفي أثناء ذلك الطريق وافق ركبًا لابن دواس، فقتلهم، منهم محيسن بن قاري المعلومي على التحقيق، ثم دخل عبد العزيز منفوحة بالسرور والابتهاج، لإرادة عقد الدخول ببنت زامل الزواج.

**وفيها** في الفصل الأول سار عبد العزيز، حرسه الله تعالى، بالمسلمين، فنزل

(١) قال ابن بشر (١ / ٥٠): «موضع معروف خارج بلد ثرمدا».

بالبنية من الرياض، فخرج أهلها للقتال من غير ارتياض، فقَتَلَ منهم المسلمون أربعة رجال، ولم يبرزوا للطعان في مجال، وقُتِلَ من المسلمين مرشد بن حصين.

**ثم دخلت السنة الحادية والثمانون بعد المائة والألف.**

**وفيها** ارتفع الأسعار والأثمان، ونفق الزاد في جميع البلدان، وبقي الناس في مقاسات البأس، وبلغ الأنام من غلاء الطعام هَمٌّ وظَنٌّ وحزن وعنا، حتى بلغ الصاع جديدة ونصف، ووزنة ونصف بجديدة[1].

**وفيها** غزا المسلمون العربان، فلما سار المسلمون إليهم سبق النذير عليهم، فلم يصل إليهم من المسلمين فرسان، إلا بعدما أخذوا الأهبة للطعان، وكانت خيولهم تزيد على ست من عقود المئين، ورام المسلمون أنهم يجدونهم مغفلين، فلما شنت خيل الإسلام الغارة على أولئك الأقوام، وأخذوا بعض الإبل السوام، أطبقت عليهم خيل المطران، وفرسان أولئك العربان، فاشتد بينهم الطعان، ولم يكن إلى الفرار من إمكان، فثبّت الله أهل الإيمان، وتخلّصوا من شر ذوي الطغيان، وقُتِل بينهم بعض رجال من المسلمين؛ دوخي الصيخي وابن ربيّع، ورجعوا على اعتجال.

**وفيها** غزا المسلمون، وأميرهم هذلول بن فيصل، ومعه سعود بن عبد العزيز، وهذه أول غزوة غزاها، فساروا يريدون العودة، فأتوا تلك البلاد، وقد هجع العباد، وقد حكم على المُقَلِ الكَرَى، وما أشعر أحد بدخولهم وما درى، وقد أعدوا لهم في مكان كمينًا من الشجعان، وأوصوهم أنهم إذا استكمل أهل البلد

(١) الجديدة: نوع من العملة، كان يُستعمل قديمًا. والوزنة: مقدار عندهم، بمثابة الكيلو عندنا. وتبلغ الوزنة كيلو غرامًا ونصف.

الفزع والظهور، يعقبونهم على تلك القلعة والدور، فلما تبين ضياء النور، وأدبر الظلام الديجور، أغار المسلمون على أطراف البلدة، وكلٌ من جيشه وكمينه عرف قصده، فبدرهم بالقتال من أهل البلد ذو النجدة، فلم يأخذ المجال حدَّه، حتى دخل الكمين البلاد، فقتلوا فورًا ابن سعدون وأناسًا من أهل الفساد، فلما علم بما جرى وصدر مَن خرَج من أهل البلاد وظهر، رجعوا للقلعة، فإذا هي عنهم في منعة، وقتل المسلمون منهم رجال، ونودي بالأمان بعد انقضاء ذلك الحال، وصار ابن حماد فيها هو الأمير، ولم يغير عليه فيها بتغيير، حتى صدر على المسلمين منه ما يضير، ثم رجع المسلمون.

**وفيها** سار عبد العزيز، حرس الله تعالى ذاته، بالمسلمين إلى الرياض، فنزل بالمشيقيق[1]، وأقبل فزع أهل البلد إليهم، وصدقوا الحملة عليهم، ولكن الله منّ على المسلمين بالثبات، ولم يكن لهم إلى الفرار التفات، فقُتِل من أهل الرياض ستة من الأشرار، وقُتِل من المسلمين ناصر بن عبد الله ومحمد بن حسن الهلالي، ورجع المسلمون إلى بلادهم.

**وفيها** كاتب أهلُ الوشم عبدَ العزيز على مجيئهم ودخولهم في الإسلام، فأجابوهم بحصول ذلك المرام، فأقبل أهل الوشم بلده وقراه، ولم يبق منهم أحد حتى أهل مرات، فدخلوا في الدائرة الحصينة، والكل منهم رفض دينه، وبايعوا أهل الإسلام، واستمرت عليهم تلك الأحكام.

**وفيها** غزا المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، فوطئ جلاجل، وطلب من سويّد النكال؛ لكونه مرتدًا قبل ذلك الحال، فأعطاه عن ذلك من الخيل خمسًا، فطاب بها عبد العزيز نفسًا، لكونها خيلًا بالجودة معروفة وبالنُجب مشهورة موصوفة،

---

(١) حي يقع جنوب الشميسي بالرياض.

ثم سار عبد العزيز، حرسه الله تعالى، في طريقه ذلك مُجِدًّا، وكان فريق من اليمن على المربّع له قصدًا، فصبّح الفريق بالغارة، وأخذ عليهم إبلًا، ثم طلب آثاره، ورجع إلى بلده سالمًا، وللمال غانمًا.

**وفيها** سار عبد العزيز بالمسلمين إلى الرياض، وجرت بينهم وقعة تسمى (وقعة المجوز)؛ لكون الوقعة بمكان يسمى بذلك، وكان القتال بينهم من بعيد بالبنادق هنالك، ولم يقع بينهم للقتال مقاربة، ولكن كلٌ أدركَ بالرمي مطالبه، فقَتَل المسلمون من أهل الرياض خمسة رجال، ومن الخيل أربعًا، وقُتِل من المسلمين نحو عشرة، صارت لهم الجنة مرتعًا، منهم مبارك بن سبيت وزيد بن سعيد وابن رشيدان، وأقام عبد العزيز بقصر الغذوانة، أيامًا يغير على الرياض ويرجع مكانه.

**ثم دخلت السنة الثانية والثمانون بعد المائة والألف.**

**وفيها** استمر غلاء الزاد، وبرح كافة العباد من المعيشة في مكابدة ونكاد، وتسمى هذه (سنة سُوقة)؛ لأن السعر بلغ حده وطوقه.

**وفيها** غزا سعود بالمسلمين، وهو أول غزو تأمر فيه، فأغار على الزلفي، وقتل ثلاثة رجال، ثم رجع بلا إمهال.

**وفيها** سار عبد العزيز، حرسه الله تعالى، بالمسلمين إلى سبيع، وكانوا حينئذ على الحائر، فلم يزل يجد السير إليهم، حتى قارب الهجوم عليهم، فسبقه عليهم النذير؛ لما اقتضته الإلهية الأزلية من التدبير، فلم تقبل عليهم المسلمون، إلا وهم للقائه مستعدون، فحين طلعت عليهم طلائع الخيل كان منهم إليها أسرع ميل، فالتحم الفرسان، وحمي بينهم الطعان، والتزم الثبات كل من الأقران، حتى نصر الله تعالى المسلمين وأعان، فشد عليهم المسلمون الحملة، فلم يكن دون هزيمتهم مهلة، فانهزموا جميعًا وعمدوا إلى قصر الحائر سريعًا، فأقاموا به

محتمين، وكان أهله إذ ذاك مرتدين، وأخذ المسلمون ما معهم من الأمتعة والخيل والإبل، ورجعوا فائزين بغاية الأمل.

**وفيها** غزا المسلمون وأميرهم سعود، بلغه الله تعالى المقصود، فأغار على فريق من اليمن، بعدما قاربهم واستكن، فلما صبّحتهم منه الغارة، لم يثبتوا غير ساعة، فلزموا الانكسار وتبعتهم إلى بيوتهم الخيول، ولم يكن لهم سواها وصول، وقُتِل منهم رجال، ولكنّ الله أراد لهم السلامة، ولم يشعر غزو المسلمين لاشتغاله بمن أمامه، إلا بالتئام بعض العربان عليهم، وإقبالهم إليهم، واستحرّ الطعن في أعقابهم، ورجعوا من حيث مآبهم، وأقبلت بعد ذلك العرب المكسورة، واجتمعوا على المسلمين، فكانت بينهم وقعة مشهورة، فاحتمى المسلمون وسلموا، وقُتِل منهم سبعة، غفر الله لهم ورُحِمُوا، منهم ناصر بن عثمان وفوزان بن ناصر، ورجع المسلمون إلى بلادهم.

**وفيها** غزا سعود بالمسلمين، وركابهم نحو المائة على التخمين، فأغاروا على عنيزة، وخرج أهلها مجتمعين، وكانوا ذوي عدد من المئين، فوقع بينهم وبين المسلمين القتال، وأبدى المسلمون في ذلك اليوم المجال، من النجدة والإقدام، وفرط البأس والالتزام، ما بهر عقول أولئك الأقوام، وأدهش أذهانهم والأفهام، حين رأوا فعلهم بعد المخالطة والالتحام، فلم يكن حينئذ لأهل البلد عزم ولا اهتمام، سوى الفرار إلى البيوت على الأقدام، وقَتَل المسلمون نحو العشرة، وكل من أهل الإسلام حمد ربه وشكره، وقُتِل من المسلمين ثلاثة رجال، ثم رجعوا إلى بلادهم من غير إمهال.

**ثم دخلت السنة الثالثة والثمانون بعد المائة والألف.**

**وفيها** سار عبد العزيز، حرسه الله تعالى، بالمسلمين يريد الرياض، فوافق في ساعة خروجه من غير ارتياض، خيلًا كثيرة لدهام على الدرعية عادية، وقد

أخذت إبلا كثيرة لسبيع البادية، فأطبقت عليهم خيل المسلمين مُبادية، واستقر بينهم المجال ساعة، ثم أدبرت خيل ابن دواس خجلة مرتاعة، وقد قتَل منهم المسلمون أربعة يُعرفون، مطرود الفريد وابن المرابع وحسن الجعفري ودوخي بن مروان، ورجع عبد العزيز فلم يسر إلى ذلك المكان.

**وفيها** غزا عبد العزيز بالمسلمين من أهل الدرعية وقراها، فلما وصل إلى حريملا، حرسه الله تعالى، وحماها، أمر مَن هناك من بلدان المسلمين أن يخرجوا له الدول مجتمعين، فأخرج أهل سدير وأهل المحمل جمعًا كثيرًا من الدول، وقصد ما يريد من محل، فأناخ بالمسلمين على المجمعة، وكانت المسلمون عليها مجتمعة، وجرى بينهم وبين أهلها القتال، ودخل قلوب أهلها من المسلمين الأوجال، وقتلوا منهم تلك الساعة عدة رجال، منهم عبد الله وقويفل ابنا عثمان، وهما أخوا حمد رئيس المجمعة.

ثم إن عبد العزيز أمر بالرجوع على مَن مشى معه من الدول، وتبعه حين فرغ من أمر المجمعة، وغزا بالجيش من ذلك المكان، وكان ذلك في أثناء شهر رمضان، فجدّ سائرًا في ذلك الزمان، حتى وصل إلى قرية الهلالية[1]، وقد هجعت البرية، وكانت من قرى القصيم، فأناخ عندها في ظلمة الليل البهيم، ورتب كمينه وحاله، قبل أن يزيل النور من الظلام أوجاله، فلما أغار بعد انتشار النهار وخرج أهلها إلى القتال، وبذلوا في ذلك غاية الحال، ولكنّ الله الكبير المتعال سلط عليهم الرعب والإذلال، فانكسروا والمسلمون يقتلون في أثرهم باستعجال، وهتك المسلمون البلد في ذلك المجال، ودخلوها في تلك الحال، وأخذوا جميع ما بها من الأموال، ثم نودي فيها بالأمان بعدما قتل من أهلها رجال.

---

(١) من مدن القصيم، تبعد عن مدينة بريدة حوالي ٥٠ كم.

وأقام بها عبد العزيز بعض ليال، فذلّ أهل القصيم كافة، وغشيهم أمر عظيم من المخافة، فرغبوا في الدخول في الإسلام، والانقياد لمنير تلك الأحكام، ورفض ما يعبد من الأوثان والأصنام، وأقبلوا على عبد العزيز في تلك الأيام، فأخذ عليهم عقد الإبرام، ووضع عندهم معلّمين للتوحيد والشرائع والأحكام، ثم رجع عبد العزيز يريد الدرعية؛ ليقسم الغنيمة فيها بالسوية، وفي أثناء ذلك عثر على أثر غزو لبني خالد كبيرهم بطيّن هنالك، فعرفوا أنه غزو المسلمين فقالوا: لا طاقة لنا بأهل الدين. وكان هذا من رأيهم أجمعين، فتركوا المسلمين ومنازلتهم، بعدما حققوا مشاورتهم، وكفى الله المؤمنين القتال، وكتب على أولئك الغزو والمذلة والإذلال، وذلك أنهم أغاروا على عدة فرقان، من سبيع بأرض ضرما مقيمين في ذلك المكان، فجرى بينهم قتال وطعان، وحمي الحرب بين الفرسان، وساعد أهل البلد من الحضر أولئك العربان، وشمروا للقتال مع تلك البدوان، فهزم الله تعالى أهل الطغيان، وقتل منهم تلك الفرسان، وأخذ المسلمون منهم أموالًا كثيرة، وخيلًا نحو ست شهيرة.

**وفيها** غزا للمسلمين ركبٌ فصادف الشريف منصور، فأُخذ مع ركب معه وأُتي به مأسور، فمن عليه عبد العزيز بالإطلاق دون الفدا، فرجع بعد ذلك برخصة من شريف مكة في الحج لذوي الهُدى، فاغتنم لذلك من المسلمين طائفة، وسارت للحج آمنة غير خائفة، وقضت ركن الإسلام، وأدت المناسك على التمام، في ذلك العام، ورجعت بالحشيمة والإكرام.

**ثم دخلت السنة الرابعة والثمانون بعد المائة والألف.**

**وفيها** غزا عبد العزيز بالمسلمين يريد آل ظفير، فأغار على المحمّرة[1] منهم

---

(١) من فروع الظفير.

في ذلك المسير، وكانوا قبل مجيئه على حذر لسبق النذير، ولكن أخذوا عليهم إبلًا كثيرة، وصارت بينهم مقاتلة شهيرة، قُتِل منهم بعض رجال، وانصرف المسلمون بتلك الآبال.

**وفيها** غزا عبد العزيز بالمسلمين، وأقاموا في الحائر مجتمعين، ولم يخرج إليه من أهلها أحد، فشرع في قطع النخل واجتهد، فلما عاينوا ذلك أهل البلاد، طار منهم اللب والفؤاد، وحين شاهدوا هذه القضية، عظمت عليهم الرزية، وأحاطت بهم البلية، فلم يجدوا سوى الاستسلام منهجًا، وإظهار الانقياد والإسلام معاذًا وملتجا، فطلبوا من عبد العزيز في الإسلام الدخول، فأجابهم إلى ذلك السُّول، وأسعفهم بالمأمول، فبايعوه على الإسلام، والتزموا في الأحكام بالقيام، ورجع عبد العزيز بمن معه.

**ثم دخلت السنة الخامسة والثمانون بعد المائة والألف.** ١١٨٥

**وفيها** غزا سعود، حرسه الله تعالى، يريد منيخ[١]، فلما وصل حريملاء بمن معه من المسلمين، ذُكِر له غزو لآل ظفير مجتمعين، وكان رؤوس ذلك الغزو آل ضويحي ووهق بن فياض، فجد في ساعته في الانتهاض، وحث السير في آثارهم بعد تحقق أخبارهم، فأدركهم في أرض غيانة، وأسرعت إليهم بها فرسانه، فلما عرفه آل ظفير وعلموا شأنه، كل منهم انهزم يريد أهله ومكانه، فعضّ المسلمون عليهم الساقة، وأسروا بعض أولئك الرفاقة، وقتلوا منهم رجالًا، منهم وهق بن فياض، وشتتوهم حالًا، فلم يسلم من القتل والأسارى إلا من طلب الفرار، ثم رجع المسلمون.

**وفيها** أرسل الشيخُ وعبدُ العزيز إلى والي مكة أحمد بن سعيد الشريف هدايا،

(١) يُطلق على المجمعة وحرمه - كما سبق -.

وكان قد كاتبهم وراسلهم، وطلب منهم أن يرسلوا فقيهًا وعالمًا من جماعتهم، يبين لهم حقيقة ما يدعون إليه من الدين، ويحضر عند علماء مكة، فأرسل إليه الشيخُ وعبدُ العزيز الشيخَ عبد العزيز الحصين، وكتب معه إلى الشريف رسالة، وهذه نسختها، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم، المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك، حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد، أعزه الله تعالى في الدارين، وأعز به دين جده سيد الثقلين، أن الكتاب لما وصل إلى الخادم، وتأمل ما فيه من الكلام الحسن، رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف؛ لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ومن تبعها، وعداوة من خرج عنها، وهذا هو الواجب على ولاة الأمور، ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم، امتثلنا الأمر، وهو واصل إليكم، ويحضر في مجلس الشريف، أعزه الله تعالى، هو وعلماء مكة، فإن اجتمعوا فالحمد لله على ذلك، وإن اختلفوا أحضر الشريف كتبهم وكتب الحنابلة، والواجب على كل منا ومنهم أن يقصد بعلمه وجه الله ونصر رسوله، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ إلى قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ فإذا كان الله سبحانه قد أخذ الميثاق على الأنبياء إن أدركوا محمدًا ﷺ على الإيمان به ونصرته، فكيف بنا يا أمته؟ فلا بد من الإيمان به، ولا بد من نصرته، لا يكفي أحدهما عن الآخر، وأحق الناس بذلك وأولاهم أهل البيت، الذين بعثه الله منهم، وشرفهم على أهل الأرض، وأحق أهل البيت بذلك مَن كان مِن ذريته ﷺ وغير ذلك يعلم الشريف، أعزه الله، أن غلمانك من جملة الخدام، ثم أنتم في حفظ الله وحسن رعايته.

فلما وصل إليهم عبد العزيز المذكور، نزل على الشريف الملقب بالفعر، واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده، وهم: يحيى بن صالح الحنفي وعبد الوهاب بن حسن التركي مفتي السلطان وعبد الغني بن هلال، وتفاوضوا في

ثلاث مسائل وقعت المناظرة فيها:

**الأولى:** ما نُسب إلينا من التكفير بالعموم.

**والثانية:** هدم القباب التي على القبور.

**والثالثة:** إنكار دعوة الصالحين للشفاعة.

فذكر لهم الشيخ عبد العزيز أن نسبة التكفير بالعموم إلينا زور وبهتان علينا، وأما هدم القباب فهو الحق والصواب، كما هو مسطور في غير كتاب، وليس لدى العلماء فيه شك ولا ارتياب، وأما دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم في النوازل، فقد نصَّ عليه الأئمة الفواضل، وقرروه من الشرك الذي فعله الأوائل، ولا يجادل في جوازه إلا كل ملحد جاهل، فأحضروا من كتب الحنابلة (الإقناع) فرأوا عبارته في الوسائط وحكايته الإجماع، فصار لهم بتلك العبارة اقتناع، ولهم إلى الإقرار إسراع، وتفوهوا بأن هذا دين الله، وانتشر فيما بينهم وشاع، وقالوا: هذا مذهب الإمام المعظم، وانصرف عنهم عبد العزيز مبجلًا مكرم.

**وفيها** سار عبد العزيز بالمسلمين يريد الرياض، فعَدَوا منها على معكال[1]، وخرج أهلها فجرى بينهم قتال، فلما استقر جلادهم للمسلمين، خرج عليهم الكمين، فلم يلبثوا غير ساعة، ثم كان منهم إلى البلد ارتجاعه، وقتَل المسلمون منهم ستة رجال، منهم عتيق بن زايد، ثم هَمَّ المسلمون بالارتجال، فلما وصل المسلمون إلى بعض بلدانهم، انقلبوا راجعين يريدون الرياض لشأنهم، فكان من القضاء والقدر أن دهام بن دواس قد سار وظهر عاديًا على أهل عرقة[2]، وليس عند المسلمين منه خبر، فلما خرجوا في ذلك الشأن التقوا جميعًا قريبًا من ذلك

---

(١) أصبح من أحياء الرياض حاليًا، وكان قديمًا بلدة مستقلة.

(٢) أصبحت داخل نطاق مدينة الرياض من جهة الشمال الغربي.

المكان، فأطبقت عليهم من المسلمين فرسان، فلم يلبثوا ساعة للطعان، بل انهزموا إلى تلك البلدان، فكان أول قتيل منهم دواس بن دهام، ثم جَدّ في أثرهم أهل الإسلام، وهم فيهم يقتلون، حتى قتل منهم عشرون، وآخرهم ابنٌ لدهام، واسمه سعدون، وكان الذي باشر قتل دواس عبدُ العزيز أميرُ الناس، صرف الله عنه كل بأس، فرجع دهام بأعظم البأس، مرتديًا من الذل والخزي أضفي لباس، متجرعًا من الهم أصفى كأس، فلم تزل له بعد هذه عين قريرة، ولا حالة من المعاش سريرة، بل كلما غفت العيون أبدى من الأسف المكنون، ما لا يعرف ولا يقاس، لا سيما على مفارقة سعدون ودواس، فنودي عليه بلسان الحال من بعيد ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

**وفيها** سار عبد العزيز بالمسلمين حتى نزل الرياض، وخرج أهلها مسرعين، ولم يكونوا عن القتال منثنين، وطال القتال بينهم، فجعل الله لبعض أهل الباطل حينهم، وشد عليهم المسلمون، فأسرعوا يجهدون، وقد قتل منهم أربعة رجال، منهم ابن رومي الذي في ذلك المجال.

**ثم دخلت السنة السادسة والثمانون بعد المائة والألف.**

**وفيها** غزا عبد العزيز بن محمد بالمسلمين، فلم يبرحوا في ذلك السير مُجِدّين يريدون آل حبيش[(١)]، وكانوا نازلين بأرض صبحا، فلما قاربوهم كمنوا حتى يحققوا أمرهم مرامًا ونجاحا، ويستعدوا لملاقاة أولئك الفرسان طعانًا وكفاحا، فلما انجلى الديجور، وعم ضياء النور، وفرغوا من الصلاة صُبحًا، شنت عليهم عاديات المسلمين ضبحًا[(٢)]، فأخذوا عليهم آبال، وفزع أهلها للقتال، وراموا

---

(١) قال ابن بشر (١ / ٥٩): «من بوادي العجمان».

(٢) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ أي: الخيل العاديات التي يخرج منها صوت من صدرها ليس بصوتها المعتاد من صهيل أو همهمة.

لها فكاك، ولم يكن لهم إلى ذلك إدراك، بل وقعوا في هوة الأدراك، وقتل منهم أناس، ورجع المسلمون بإيناس.

**وفيها** غزا سعود، حرسه الله، بالمسلمين يريد من الرياض الإبل والغنم السارحة، فلم تزل همته على الجد في السير بارحة، حتى وصل إليها بعد الهجود، فكمن كمينه هناك سعود، فلما خرجت السوائم للرعاية، بدت غارة المسلمين إليها بداية، فالتجت إلى البلد الإبل، وخرج الفزع إليها بالعجل، فتقابل كلٌ من الفريقين، واقتتل حتى صدقتهم فرسان المسلمين، فانهزموا مدبرين، وقد قتل منهم سبعة، منهم مرخان بن فريان وعبد الله الساري.

**وفيها** غزا عبد العزيز، فسار بأهل الدين يريد أهل الرياض المسرفين، فوصل لذلك قريب السَحَر، فقضى قبل الصبح من التعبية الوطر، فلما بدا الصبح مسفرًا منيرًا، وقضى الصلاة تبدّى مغيرًا، وارتفعت الأصوات في البلاد، وخرج بعد الاستعداد، من يريد القتال والجلاد، فلما عاينوا أهل الإسلام، جلّلهم الرعب والإحجام، فلم يحصل لهم بعد الالتحام فرط إقدام، بل مكثوا في القتال زمان، مرتدين ثياب الهوان، فلما شدّ عليهم أهل الإيمان، انهزموا من غير توان، وقُتِل منهم مرزوق المطيري ومحمد بن فايز، وقُتِل من المسلمين علي بن محمد الأمير(١).

**وفيها** مات الشيخ أحمد بن مانع، رحمه الله تعالى، في رمضان، وفي آخره مات ثنيان بن سعود، أسكنهما الله تعالى دار الخلود، وكان لهما بهذا الدين المنهج المحمود.

---

(١) قال ابن بشر (١ / ٥٩): «أمير ضرما».

**ثم دخلت السنة السابعة والثمانون بعد المائة والألف.**

**وفيها** سار عبد العزيز بالمسلمين، متع الله تعالى به سنين، فنزل بالرياض وألقى رحلته في تلك الفياض، ونازل أهلها مدة من الليال، وكل يوم يجري بينهم قتال، واستولى المسلمون على بروج وجدران، فأسرعوا إلى تهديم ذلك البنيان، وهدموا ذلك المرقب الشامخ، فصار الدمار لارتفاعه ناسخ، وقُتِل من أهل البلد رجال، وبات أهلها في غاية الأوجال، يسامرون في الدياجي السُّهَى، مما حل بهم ونزل بساحتهم ودَهَى، وقد عرتهم الذلة والدهشة، وغشيتهم الرجفة والرعشة، لا تهدأ لهم قلوب ولا عيون، وقد أيسوا من أنفسهم وخابت منهم الظنون، وقد قارب أن يفتحها إذ ذاك المسلمون، لما بان لهم من الانتصار وما ظهر على أهلها من الرعب والإنذعار، ولكن إرادة المولى غالبة على العباد، وليس يجري إلا ما اختاره وأراد، فانصرف عنهم جميع المسلمين، وأُخّر الفتح إلى حين، وقد قُتِل من المسلمين اثنا عشر رجلًا، نالوا من الشهادة أملًا، منهم عقيل بن نصير وسلطان بن حفيتان.

وكانت هذه الوقعة في صفر، ولم يشرق بعدها لدهام عز ولا سفر، بل هم بالرحلة والسفر، والجلاء عن ذلك الوطن، الذي ثوى فيه وقطن، وحلّ به وسكن، فأخذ في تدبير النقلة والارتحال، مما داخله من الرعب والأوجال، وخالط قلبه من الخوف والإذلال، فبقي أيامًا وليال، لا يَحسن له حال، ولا ينشرح له بال، مخافة على أهله والعيال، وأسفًا على ذهاب تلك الأموال، وأسفًا على فراق الحلّة، والبعد عن تلك المحلّة، ومعاناة الجلاء والنقلة، والأرض به واجفة، وريح الهروب عليه عاصفة، وهو يُصبر نفسه ويتصبر، ويتجرع مرارة الأسف ويتحسر، وينادي بالويل على نفسه كل ساعة، وهي إلى القرار نزّاعه، ولا تروض إلى البقاء والاستقرار، ولا تميل إلى المكث في

هاتيك الديار، حتى نادى عليه منادي الذل والصغار: إلى كم متى التصبر والاصطبار، والحلول والقرار، وحتى متى تقدّم في ذلك رِجْلًا وتؤخر الأخرى، والجلاء هو الأولى لك والأحرى! وصاح به قلّاع الحصون: إلى متى هنا السكون؟ فقد آذن ليل الباطل بالزوال، وأعلمت سحب الشرك بالارتحال، وتقشعت غياهب الزيغ والضلال، ولاح نور الهدى والهداية، وانجلت دياجي الضلالة والغواية، وتلألأ عمود الصباح، وأشرق لأهل الإسلام السعد ولاح، وغدا البلاء على الباطل وراح، وأعلن عليهم لسان الفتح وهم يسمعون: ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

فلما حان من شمس الباطل غروبها، وآن لأهلها جلاؤها وهروبها، وأن تثبت في روضة الرياض قواعد الدين، وتمحق دولة المفسدين، ويظهر لأهل الإسلام النصر والظفر والتمكين، وتعلو كلمة الحق على المبطلين، وتمحى آثار ذوي المكر والمعتدين ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، جمع جميع أعيان بلده، وأخبر بحقيقة عزمه ومقصده، وأنه يريد الهروب والجلاء، وأن فؤاده مُلِئ رعبًا ووجلًا، فصاحوا كلهم عليه، وأقبلوا بأجمعهم إليه، وقالوا: ما حملك على هذه الأفعال؟ وما الموجِبُ لها من الأحوال؟ أهذا لنا مكر وخداع، حتى تعرف منا الصدق بإجماع، أم حدث بك من الجن انتزاع؟ فاستعذ بالله من الشيطان، فلن تُرَاع! فقال: دعوا عني هذا الهذيان، فليست الرياض لي بأوطان، وليس عيالي فيها بسُكَّان، وما شاء الله كان. ولم يَرْعَوِ من ذلك المقال والمحاولة عن الارتحال، ولم يستطع إلى ذلك سبيلًا، ولا وجد من قلبه عليه دليلًا، بل انتفخ سَحَرُه ولُبُّه، وطاش فؤاده وقلبه، وتعاظم منه في الحشا ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ فانفضوا من حوله سراعًا، وعرفوا أنهم لا يدركون به دفاعًا، فازدادوا ذعرًا

وارتياعًا، وتحققوا أنهم منها مخرجون، وأنهم له متبعون ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ فتردَّوْا وراء القنوط والإياس، وكل ساعة ينتظرون حلول النقمة والبأس ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾.

فلما انتصف ربيع الثاني خرج عبد العزيز، حرسه الله تعالى، بالمسلمين، يريد الرياض وحربها وتدميرها وخرابها، وقد جرّد أهل الإسلام لذلك صوارم الاعتزام، ونهضوا كافة وليس لهم دونها مرام، وقد ارتجوا الفتح من الملك العلام، ووطنوا نفوسهم على حصارها ليالي وأيام، ولم يكونوا بما في الغيب مشعرين ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ فلما وصل، حرس الله تعالى مهجته، وأبّدَ عزّه ودولته، في مسيره ذلك إلى قريب عرقة، انبلج له عمود الأنس والسرور، وانسلخ مدلهم ذلك الديجور، وطلع له طالع السعد، وبرق له بارق الفجر والمجد، وتبدى له في أفق ذلك الطريق، لوامع المسرة واللطف والتوفيق، وكان بذلك جديرًا وحقيق، وناداه لسان المبشر والبشير: إلى من تسعى وتسير وجميع عِدَاك في تدمير، وإلى كل بلد في مطير؟ فأَرْخ ذيول الهنا، فقد جاءك القصد والمنى، وزال عنك النصب والعنا، فسعيك إن شاء الله مشكور، وأنت على ذلك مأثور، وقد ضوعفت لك في هذه المدة الأجور، وصارت لك العقبى على ذوي الفجور، والغلبة والنصرة على أهل الفساد والشرور، فقد خلت لك القصور، وتأهبت إلى لقائك الصدور، وقد قفرت تلك الدور، ممن كان بها يتعدى ويجور، وقد حقت كلمة العذاب على الفاسقين، وجاء وعد الله لحزبه الفائزين ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾، فحمد الله تعالى على هذه الأنعام، وشكره على هذه المواهب الجسام، والعطايا الوافرة العظام، وقال وهو خاضع لربه مستكين، حامدًا لله رب العالمين: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

فسار يريد ما هيأ الله تعالى له من مكان، وما خوله من تلك الأوطان، وشيّعه في ذلك الطريق الأمن والأمان، وحفّه فيه الأنس والتهان، ووصل إليها قبل غروب الشمس، بأكمل فرح وأنس، وطيب قلب ونفس، فدخل تلك البلد، فإذا دهام قد ولى منها وشرد، وذلك أن دهام بن دواس، لما حاق به من ربه البأس، وقرب أن يسقي كؤوس الأحزان، ويلقى المذلة والهوان، وتكون الدائرة عليه لأهل الإيمان، جمع كافة ما له من أعوان، وما أراده من الشأن، فكل بقي متحسرًا حيران، يَعض أنامله ندمان، فخرج هو وأولاده وأعوانه، وغالب أهل البلد شأنهم شأنه، ولم يبق في البلاد إلا القليل، مخافة من فعلهم الوبيل، وقصدوا جميعًا الدلم، ونوى سكناها، وعزم وجد في الطريق ومن معه، ومات نحو أربعمائة من الخلق ممن تبعه، لأن جلاءهم كان في القيظ، فزادوا حرارة مع ما بقلوبهم من حرارة الغيظ، فصَلَتْهُمْ لواعج القيظ وجمرته، وحرقتهم عواصفه وحدته.

هذا، والمسلمون قد جدوا في أثرهم المسير، ينقذون بالماء كل ضعيف وفقير، ويقتلون كل شيطان مريد، وكل ذي بأس شديد، حتى وصلوا إلى الدلم المعروفة، وقطعوا تلك المفاوز المخوفة، ونادى عبد العزيز فيها بالأمان، إلا من كان مشهور بالسوء بإعلان، فعند ذلك ظهر من كان مختفيًا وبان، ولم يُقتل إلا عبد المحسن بن شاخص وصالح المهشوري وبراك بن حميدان ومحمد بن سليمان، ولم يُقْتَلْ غيرهم إنسان، وأرسل عبد العزيز إلى أهلها الذين ناروا[1]، وخرجوا مع دهام وساروا، يدعوهم إلى الرجوع، فلم يكن أحدٌ عنه بممنوع، إلا من تميز بالشر والفساد، وتوغل في طريق العناد، وتسربل بالبغي والإفساد،

---

(١) ناروا: هربوا.

ففاؤوا إليها وآبوا، وقد ربحوا في ذلك وما خابوا، وسكنوا بها فطابوا، وكانت جميع تلك الأموال، والنخيل ذوات الإغلال، فيئًا من الله ذي الجلال، لكونها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، فكانت لبيت المال من غير ارتياب، وحَسُنَ تملكه لها وطاب، وأقام بها عبد العزيز أيامًا، ونصب فيها أميرًا وإمامًا.

وكتب الشيخ لعبد العزيز في تلك الأيام رسالة أرسلها إليه، فقدمت في الرياض عليه، وقال فيها:

أُحِبُّ لك ما أُحِبُّ لنفسي، وقد أراك الله في عدوك ما لم تؤمل، فالذي أراه لك أن تُكْثِرَ من قول الحسن البصري، كان إذا ابتدأ حديثه يقول: اللهم لك الحمد بما خَلَقْتَنَا ورَزَقْتَنَا وهَدَيْتَنَا وفَرَّجْتَ عنا، لك الحمد بالإسلام والقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، كَبَتَّ عدوَّنا، وبَسَطْتَ رزقنا، وأظهرتَ أمننا، وأحسنتَ معافاتنا، ومِن كل ما سألناك ربَّنَا أعطيتنا، فلك الحمد على ذلك حمدًا كثيرًا طيبًا حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت.

**خاتمة**: يحتاج لها كل طالب، ويتشوق إليها نفس كل راغب، ويرتدع لها كل عدو محارب، ويتعظ بها كل خائف من الله مراقب، ومَن نال مِن التوحيد رفيع المراتب، وهي أن الله القادر الحكيم، والآخذ الشديد الأليم، أقام دهام بن دواس يصادم أجناد الدين، ويبذل جده في حرب ثلاثين من السنين والأعوام، لا يكاد يهنأ له طعام، ولا تستغرق عيونه في دجى الظلام بلذيذ المنام، إلا أنه أظهر الاستعانة، وأبدى الاستكانة، في ثلاث سنين للدخول مع المسلمين، وأقام في بلده الأحكام والشعائر، ولكنه يتربص بأهل الدين الدوائر، فكان إذا أتاه من الدرعية أحد قام في توقيره وإكرامه وقعد، وأظهر له في الإسلام الغبطة والرغبة، وإن كان قد مُلِئَ من بغضه قلبه، وإذا رأى أحدًا من جماعته مبديا التوحيد والديانة، أخفى له الذلة والإهانة، وكانت هذه الثلاث سنين متفرقة من

السنين في عشرين، والذي قتل من الفريقين في هذه المدة أربعة آلاف في الحساب والعدة، ألف وسبعمائة من المسلمين نالوا الكرامة، وألفان وثلاثمائة من الضلال صارت عقباهم الندامة.

قال المصنف:

كشف الحقُ ظلمةَ الإغلاس ومحا الدينُ جملةَ الأرجاس
وأزال الصباح ديجور ليل طالما ساعد الأسى في احتباس
فظلام الضلال والشرك ولى وضياء الرشاد والرشد راسي
وتجلت غياهب البغي لمّا آذن الزيغ والردى بانتكاس
ورياح القبول والنصر هبت فالأعادي قلوبهم في ارتجاس
ومنادى السرور أضحى ينادي بالهنا والمنى بغير التباس
وليالي الهموم ولّت سريعًا وتقضَّت بلا قنوط وياسي
زانها الصبر في اللقا فاستنارت بضياء السعود من غير يأس
وطيور الأفراح بالفتح غنت فوق أفنان غصنه المياس
حين أمّ الإمام بالفتح ساع مخبر عن جلا بني دواس
فاستزاد الإسلام حوزًا وفوزًا وسرورًا وعاد باستيناس
ومضى الهم والعنا وتجلى يوم أخلى الرياض ذو الإبلاس
كم بدى من أبي سعود سعودٌ وفتوح ومفخر لأناس
قد علت رتبة الشريعة لما شاد أركانها بأقوى أساس
وسمى منهج المحجة سمكًا واستبانت معالم في اندراس
وتبدى الهدى فأضحى سناه ساطع النور لامع النبراس
وأضاءت بذلك بلدان نجد ومضوا بعده بغير احتراس

وأتت بعد ذا الفتوح وأضحى طالب الدين في مزيد التماس
فاستقرت قواعد الدين فيها واستمرت سكانها في اقتباس
وأتى التوحيد يتلو جهارًا سورة الفتح لانتصار الناس
وبدا الدين وجهه مستنيرًا حين ميطت براقع الأدناس
خلد الله في النعيم إمامًا أظهر الدين بعد طول ارتكاس
وغدا معلنًا بدعوة حق والورى في مناهج الخناس
أوضح السبل للأنام وأحيا ميتًا غيبوه في الأرماس
وجلا الوقر عن مسامع قوم والعمى عن بصائر في انطماس
ساعدته عصابة الحق حتى لبسوا للحروب أقوى لباس
عصبة لا تهاب هول المنايا كلهم في اللقاء صعب المراس
عزروا الدين بالقنا والقواضي وأزالوا عنه قذى الأنجاس
بذلوا للجهاد فيه نفوسًا روضوها للموت بعد شماس
كم تجلت لهم خطوب شموس فجلوها بكل لدن وقاس
أيد الله نصرهم وعلاهم ببقاء الإمام في إيناس
وأدام الإله نصر سعود ناصر الدين لابني العباس

وفيها وقع الطاعون في بغداد والبصرة وما بينهما من البلاد، وتزايد أمره وتفاقم، وجل الخطب وتعاظم، وكل يوم يموت من البشر ويُدفن في تلك الحفر مئات من الأنام، وطال ذلك عليهم ليالي وأيام، حتى فني أكثر أهل البصرة ومن والاها من قرى المجرة(١). ويُذكر أنه مات في ذلك الطاعون مئات الألوف من جميع البلدان متفرقون.

---

(١) بجوار مدينة سوق الشيوخ «جنوب العراق».

وفيها أرسل عبد العزيز، حرسه الله تعالى، إلى زيد بن زامل رئيس الدلم، بنبذ العهد والأمان، وليس هنا إلَّا الدخول في دائرة أهل الإسلام والإيمان، فلم يثن إلى ذلك الشأن منه عنان، ولا التفت إليه مختالًا بما لديه، وسعى في حشد الناس والأحزاب، لمّا أراد الله تعالى عليه تعجيل العذاب، وأرسل إلى رئيس نجران يستجيشه ويستدعيه، ويعده على مجيئه الأموال ويمنيه، ويُضعف أمر هذا الدين ويوهيه، فلم يرعو إلى ذلك المقال، وقصده زيادة الشرط في المال، والتوثق قبل الشروع في الحال.

**ثم دخلت السنة الثامنة والثمانون بعد المائة والألف.**

**وفيها** أيضًا أرسل زيد بن زامل إلى رئيس نجران يدعوه إلى ذلك الشأن، ويحثه على القدوم في ذلك الزمان، وتعجيله قبل طوارق الحدثان، فلان إلى ذلك فؤاده؛ لأن طلب المال هواه ومراده، وغارت لنيل المال عيونه، وحارت في ذلك أوهامه وظنونه، وصارت أنامل يده ينادمها عُثْنُونه(١)، فتأمل ساعة وفكر، ثم أجمع عزمه ودبر، وحرر مقصوده وقدر، وحقق مطلوبه وقرر، فأرجع إليه الرسول يريد أن يبين له المبذول، ويُعرفه بالعائد والموصول وفائدة المحصول، حتى يكون بعد ذلك الحصول، وينجح السير والوصول، ويُنجز لكم المرام والسول، فأرجع إليه بما راض جأشه عليه، وأن ذلك يتمثل لديه، فوقع بينهما المشارطة، وانبرام العقد والمرابطة، وحصل التقارر بعد المعاودة والمفاوضة، على قريب من ثلاثين ألف زر تُعجل بها المقابضة، وطلب زيد بن زامل من رئيس نجران أن يُرسل إليه أرهان، حتى يُرسل إليه الذي استقر واستبان، فأرسل إليه الرئيس رهنًا من جماعته، وأعيان قومه وخاصته، وعجل

(١) العُثْنونُ من اللحية: مانبت على الذَّقَن وتحته سِفْلًا. (لسان العرب).

بهم له في ذلك العام، رغبة في تعجيل الحطام، وأداء ذلك الشرط والالتزام.

فلما قدموا على زيد أولئك الأقوام، جدّ في تحصيل ذلك المال، واستيفائه من الرعية بالإذلال، وأقاموا على ذلك ليالي وأيامًا، لا تذوق عيونهم في الدجى منامًا، ويعانون من ذلك جهدًا وسقامًا، وضيقًا وإلزامًا، ويرتجون لهم مآبًا ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، فلما نص له ذلك المال، أرسل به في الحال، لقصد نجح المرام بقدوم أولئك الطغام.

وفيها نزل عريعر مع بني خالد وعنزة على بريدة، وأعمل فيها مكره وكيده، وأقام بها بعض أيام، وهو يحاول في أهلها بالخديعة والإبرام، وتليين الجناح لهم في الكلام، فجاشت إلى ذلك قلوبهم، وحاطت بهم ذنوبهم، فاستدعى عريعر أميرها عبد الله بن حسن للخروج إليه والمواجهة، حتى يكون الخطاب مشافهة، فاغتر بذلك وظهر، وسار إليه وابتدر؛ فعند ذلك حجر عليه وأسر، فدُخلت المدينة على حين غفلة من أهلها، وما أقبحها من خصلة، فجالت في البيوت أولئك الأعراب، وكسروا تلك الأبواب، فلم يجد أهلها من ذلك مهربًا، ولا ألفوا للنجاة مطلبًا، وشمر راشد الدريبي لذلك إزاره، وقصد في ساعته قصر الإمارة، وكان قبل ذلك منه جاليًا، وذلك البلد منه خاليًا.

وفر مَن يخاف مِن المسلمين على نفسه من المبطلين، وتفرقوا في البلدان، حتى جاءهم من ربهم الصلة والإحسان، فكاتب عبد العزيز أهلها الذين خرجوا منها، ونفروا هاربين عنها، وهم آل عليان، على أنهم يُقبلون عليه، ويقيمون عنده أحسن الله قصده، فأسرعوا إليه المجيء والإقدام، وقابلهم بغاية الإكرام، ورعى لهم تلك الذمام، وأقاموا في نهاية الاحتشام.

وأقام عريعر في ذلك المكان بعض أيام وليال، ثم شمر في المسير والارتحال، فسار منها وظعن عنها، ومعه عبد الله بن حسن ذلك الأمير، ولم

يزل عنده في حكم الأسير، حتى جاءه قضاء العظيم الكبير، وحان أن يُسْقَى ذلك الكأس المرير، وينفذ فيه الإرادة والتقدير، ويتجرع كأس الحِمام بعد ذلك العز التام، فنزل به في أرض الخابية السام، فخر من ذلك المقام السامِ، وضمه ضيق اللحود، وصار أكلةً للدود، بعد ذلك القنا والقنابل، ومسايرة الجيوش والجحافل، وهذه سُنَّة الله في جميع المخلوقات والعبيد، ومفاجأة الحِمام بغتة لذوي البأس العتيد، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

وفيها غزا سعود، حرسه الله، بالمسلمين يريد الدلم، والسعد قد قارنه وألمّ؛ فسار حتى قرب إليها، وشارف الهجوم عليها، فأناخ على حين غفلة من الناس، وقد هجع أهل الأندية والأحراس، فعبأ عند ذلك من الكمين ما أراد، وهيأ أهل الغارة من أولئك الأجناد، فلم تستقر الشمس طالعة، حتى صارت خيول المسلمين إلى الغارة نازعة، فوافت كثير أغنام، فاستاقها على التمام، وخرج بعد ذلك من أهل البلد من فيه نجدة، وكان استرداد تلك الأغنام قصده، فناوشهم المسلمون القتال، والكل قد بذل فيه طاقة الحال، حتى ظهر الكمين عليهم وبدا، فصاح بهم صائح الذل والردى، فانكسروا ولكن بعدما جهدوا وجدوا، فانهزموا مدبرين، وما لَوَوْا على الساقة وما ردوا، وقتل المسلمون عشرة من رجالهم، ودخلوا بلدهم بكسافة بالهم، وتشتيت حالهم، وقُتِلَ من المسلمين رجلان: عوض بن ذئب وراشد بن مطيع.

ثم بعد ذلك ارتحل سعود، فلما وصل إلى الحائر جهز سرية من المسلمين، وأمّر عدامة بن سويري عليهم أجمعين، وأمره أن يقصد الزلفي، ويأخذ ما يجده هناك ويلقي، فسار من ساعته ومن معه عدامة، فوافاه ركب من أهل الزلفى أمامه، فشن عليهم الغارة، ولم ينج أحد منهم بنياره، ولا آواه حين شمّر فيه

إزاره، فكلٌ منهم تجرع حِمامه، وكان الموت غايته ومرامه، وكانوا نحو العشرين، فقتلوا أجمعين.

**وفيها** وفد أهل حرمة والمجمعة على الشيخ وعبد العزيز يريدون الإسلام، فعاهدوا على ذلك والتزموا القيام بجميع الوظائف والشعائر والأحكام، غير أنهم طلبوا منهما عدم المطالبة بالجهاد، حتى يتوفر أهل تلك البلاد، وكان مرادهم الإمهال سنتين، ثم يشمروا بعد ذلك من غير مَيْن، فلما عرفا منهما الحقيقة والرغبة، ساعداهم على الموافقة والطِّلْبَة، ثم كانت إلى بلادهم الرجعة والأوبة، بعدما أدرك كُلٌّ مطلوبه.

**وفيها** وفد محمد بن رشيد الهزاني وأعيان أهل الحريق، يريدون الإسلام الذي هو أسهل طريق، فقدموا على الشيخ وعبد العزيز، سلك الله بهما مسلك التوفيق، فبايعوا على الإسلام، والتزموا القيام بجميع الأحكام، ثم بعد ذلك رجعوا إلى بلادهم بعد حصول مرادهم.

**ثم دخلت السنة التاسعة والثمانون بعد المائة والألف.**

**وفيها** سار عبد العزيز بالمسلمين يريد الخرج، فجد المسير، حتى إذا قارب الضبيعة[1] بعد الهجوع، أناخ يهيئ الجموع، ويعبئ أهل الغارة والكمين، فلم ينجل الظلام ويضمحل الإظلام، إلا وقد أخذ من التعبئة أحسن نظام، فعند ذلك شن الغارة أهلُها، وأخذوا من الأغنام، فخرج عند ذلك أهل البلاد، وناوشوا المسلمين الجِلاد، حتى بدت لهم من الكمين أسنة، فأطلقوا للفرار أعنّة، وولّوا جميعًا مدبرين، وأقاموا في البلاد محتصرين، وقد قُتِل منهم تلك الساعة اثنا عشر رجلًا، ورجع المسلمون على أعقابهم وقد أدركوا أملًا. ثم إن المسلمين

---

(١) مدينة زراعية في محافظة الخرج.

أخذوا في قطع الأشجار والنخيل، فقطعوا من ذلك ما ليس بالقليل، وذلك جميع نخل الشدى.

ثم ارتحل عبد العزيز بالمسلمين ونزل بالدلم، ونوى حصار أهل زميقة[١] وعزم، فأقام عليها للحصار، وأشرف أهلها على الدمار، وخرب من نخلها وزروعها، وقطع من أصلها وفروعها، ثم انصرف راجعًا إلى بلاده بعد نيل مراده، واستأذن الغزاة في إعطاء تلك الغنيمة آل عليان، فأجابوه بطيب لسان وجَنَان، وقد استشهد من المسلمين ثمانية رجال، منهم فهد بن سلمان، رحمهم الله تعالى.

**وفيها** سار رئيس نجران يريد أهل الإيمان، ومحاصرتهم كافة في البلدان، فأقبل معه من سائر الأعراب ما لا يقدر على عَدِّه حُسَّاب، ولا تحصره الألباب، وقد انضم إليه والتأم كل جلف وطَغَام، وأشخاص كالأنعام، بل هم أضل منها في الأفهام، وكل من بلغه ذلك المسير والتسيار، سارع إلى المسارعة والبدار، خصوصًا سكان الفيافي والقفار، فأقبلت معه وبعده، خيّب الله قصده، أصناف قبائل البادية، كلها على أهل الحق عادية، وجَدُّوا لأهل التهيئة سيرًا ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ﴾ وساعده في ذلك الأمر والشأن، كل رئيس وحاكم شيطان، من أهل نجد وغيرهم من الحضر والبدوان، وأعانوه على طمس هذا النور، وإطفاء مصباحه المضيء في الديجور، جميع أهل المعاصي والفجور، بأنواع كثيرة من الأموال، وأمدوه من النقود بما لا يخطر على البال، ولا يحصره لسان المقال، وبارزوا في ذلك الكبير المتعال، وحاربوا ذا العزة والجلال، فلم تنجح لهم آمال، ولم يحصلوا من القول على حال.

---

(١) بلدة تقع جنوب مدينة الدلم.

وأرسل له بطين بن عريعر من النقود، ما ناف عنده على المقصود، فذُكِرَ أنه أرسل له بما يزيد على ستة آلاف مشخص[١]، وأظهر له من أحمال الطعام من الحسا وأشخص، فقدم عليه من الحسا ثلاثمائة من الزاد، فزال عنه الجوع والهم والأسى، وتلاحقت عليه الأمداد من الجموع والزاد، وهو مقيم على الحائر من تلك البلاد، وكل يوم يجري بينه وبين أهلها القتال والجلاد، وقد قتَلوا منه في تلك المدة قريبًا من أربعين رجلًا في العدة، فزال ولله الحمد عن أهل تلك البلدة كل رعب وخوف وشدة، وذُعِرَت مَن معه من أجلاف الأعراب، وعرفوا أنه من مقصوده خسر وخاب، وما أطمعهم في المجيء معه والإقدام، إلا ما صدر عنه قبل ذلك العام، وما عرفوا ما في ضمن تلك المرة للمسلمين من العز والمسرة، وما انطوت عليه من الحكم والأسرار، ما لا تحيط به الأفهام والأفكار، بل يحسبون أن ذلك لعقة عسل، فرجعوا بخيبة الأمل، وظنوا أن المسلمين أكلة جزور، فأبُوا بالثبور والعثور.

وكان عبد العزيز، حرسه الله تعالى، في تلك المدة والإقامة، قد أرهف حده واعتزامه، وصقل جده واهتمامه، في تجهيز الجيوش والإمداد، إلى كل قرية وبلاد، فأرسل إلى الرياض مددًا، فأقاموا بها أمدًا، وخرج سعود، بلغه الله المقصود، بالمسلمين فعمد إلى ضرما وأقام في نواحيها، وغاراته تراوح الأعادي وتغاديها، وتباغت البوادي العادية وتفاجيها، فأغار هو وجنده المنصور، على اليمن ذوي الكفر والفجور، وكانوا بأرض العرمة[٢] يسيمون، وفي شعابها تلك الأيام يقيمون، فلم يرتفع بعض الأيام للشمس سَنا، ويجلو

---

(١) عملة نقدية كانت تستعمل في زمنهم.

(٢) شرق مدينة الرياض - كما سبق -.

تلك الأعراب الباغية من عيونهم وسَنا، إلا وهو قد أشرف عليهم ودنا، ويحل لهم الكرب والعَنَا، فشنت عليهم فرسان المسلمين الغارة، وكُلٌ شمّر للقتال إزاره، وجرى بينهم ذلك اليوم طعان، وقُتِل من كل الفريقين فرسان.

ثم رجع سعود بمن معه إلى ضرما، وانهزم أولئك اليِمنان عن رعي ذلك المكان، فاجتمعوا مع رئيس نجران على الحائر، وأقاموا مع ذلك العدو الجائر، حتى وقع بينه وبين أهلها الصلح، فسار عنها ولم يحصل مما رام على نجح، وقصده هو ومن معه، وساعده من الحضر والبدو وتبعه، بلدة ضرما، وكان سعود قد سار عنها وظعن منها، فلم تأت تلك الأقوام وهو في ذلك المقام، بل وضع في البلاد من الرجال عددًا، يكون لأهلها عونًا ومددًا، ويزدادون بهم همة وجلدًا، فلم تنزل بهم أولئك الجيوش الرعاع، وتحف بتلك البروج الرفاع، وتملأ فجاج تيك البقاع، إلا والمسلمون قد استعدوا للدفاع، وأخذوا من الأهبة شأنها، وحصنوا تلك البلد بروجها وحيطانها، فجد ذلك الرئيس الشيطان، وأتى من الحرب ببكر وعوان، ولم يُبْقِ جَهْدًا مِن نفسه ومَن معه من الأعوان، فنهض في ثاني يوم نزوله عليها، وقرّب جميع أجناده إليها، وأبرزوا من الاجتهاد، وطلائع الصبر في الجلاد، وسيما النجدة والقوة والشجاعة والفتوة، ما ظنوا أنه يرهب أهل البلد، ويرعب ذوي البأس والجَلَد، ولكن الأحد الصمد ثبت أقدام أهلها، حين شد القوم في حملها، وتوغلوا بين أشجارها ونخلها، فأنزل الله عليهم السكينة والثبات، فلم يكن لهم، ولله الحمد، إلى الذل التفات، بل صدقوا لعالم الخفيات، وخالق البريات والسرائر والنيات، فرموا أولئك الأشرار بمصيب البنادق بين النخل والأشجار، فكانت شهب الرصاص كأنها عليهم مرسلة، أو من فوقهم منزّلة، فخرجوا هاربين سراعًا، ولم يدركوا نفعًا ولا انتفاعًا، ولم يستطيعوا حينئذ دفاعًا، وقتل

المسلمون منهم خلقًا كثيرة، وأوقعوا بهم جراحات غزيرة، وأسقَوْهُم من الأسف كأسًا مريرة، فانهزموا عنهم وارتحلوا منهم بحالة ضريرة، وذلة واضحة شهيرة، فلم تكن بعد تيك لجميع الأعداء عين قريرة، ورجعوا كلهم خائبين، قد أسفوا على ما قدموا أجمعين، وأصبح أهل الإعانة مختبرين، وعلى بذل المال متندمين، وودوا لو أُخِّرُوا إلى حين، وصاروا ممن خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

ثم بعد تمزُّقِ هذه العساكر المجرورة، وتشتت هذه الجيوش المرعوبة المكسورة، وتفرق تلك الأجناد المذعورة، قصد كُلُّ قَبِيل قَبِيله، ونحا كل ذي جيل جيله، وعمد كل ذي وطن إلى وطنه، وحنّ كل ذي سكن إلى سكنه، فنقلوا قبائل العجمان، وحملوا معهم على سريره رئيس نجران، وقد أرهقه المرض والأسقام، وأضنت جسمه مواد الآلام، وكان ذلك الرئيس في الشر قرين إبليس، وقد فتن أولئك الهمج من الناس، مما يبدي لهم من حساب الرمل والتخمين والأحداس، وافتتن أولئك البوادي، وساروا له بالأموال الروائح والأغادي، فلم يشك أحد من جميع تلك الطوائف، أن ذلك الرمّال لأسرار الغيب حافظ عارف، وعلى ما يحدث من المكونات محيط واقف، فكانوا إذا أرادوا القتال حملوه على سريره في المجال، وقصدهم بذلك الاستنصار، ورفع ما يحفهم من الآصار، فمات في أثناء انصرافه، وشاهد جزاء سعيه وإسرافه، تحسّى عليه مرارة الحزن جميعُ أصهاره وأسلافه، وفقد تلك الكهانة والتنجيم كافة خلانه وأُلافه، وفاجأه وارد الحِمام قبل وصول بلده، وما فاز بمرامه.

وفيها غزا سعود بالمسلمين، فأغار على الضبيعة، ولم يخرجوا إلى قتال، فكان الرمي بينهم من بعيد، وقتل من الكل بعض رجال، فقُتِل من المسلمين موسى بن حماد وعبد الله بن غانم، ثم انصرف المسلمون منهم ورجعوا عنهم.

**وفيها** مات مشاري بن سعود، وكان له في الجهاد مقام محمود.

**وفيها** أيضًا غزا سعود، متع الله تعالى به المسلمين، فسار يريد بريدة ومعه آل عليان الذين خرجوا منها هاربين، فجد إليهم المسير، فلما وصل إلى قرب البلد، ولم يشعر به من أهلها أحد، لكونه نزل ليلًا بساحتهم، وكان وقت هجعتهم وراحتهم، فلم يستقر به القرار في أرض تلك الديار، حتى عبّأ جيشه وكمينه، وقام ينتظر الصباح وحينه، فحين أسفر له منير ذلك الضيا، وفرغ من صلاة الصبح وقضى، نهض في إنجاز ما دبّره ومضى، وكان ولله الحمد له في ذلك السعي رضا، وذلك أنه شن الغارة عليهم صباحًا، فلم يخرجوا إليه كفاحًا، ولم يجدوا دون الحصار في البلد صلاحًا، ولا ألفوا دونه مَراحًا، مع أنهم لم ينالوا من ذلك فوزًا ولا نجاحًا، فأقام المسلمون على البلد أيامًا، وكل يوم يقع بينهم قتال ومرامي.

فلما أعيا المسلمون أمرها، وجهد أهل البلد حصارها وحصرها، ولم يبالوا بما نالوا من الضرر والأضرار، ومنازلة تلك الجموع والحصار، اقتضى رأي سعود أن يبني تجاههم للمسلمين حصنًا، يكون لهم ثغرًا وأمنًا، فأمر ببنائه، فبنى تلك الأيام وزيد في بنائه بجودة الإحكام، ووضع فيه عدة من أهل الإسلام، أميرهم عبد الله بن حسن[1]، ثم رجع سعود ومن معه إلى الوطن، وأقام أهل ذلك القصر فيه، وكل يوم يشنون الغارة على أمير بريدة وتؤذيه، وبقوا أيامًا لا تسرح لهم سائمة، ولا تبقى لهم عين نائمة، وبوادر الحرب كل يوم عليهم قائمة، وفرسان ذلك الثغر لاستيلائهم رائمة.

فلم يجد أميرها راشد الدريبي من الأسباب، إلا بعثه إلى جديع[2] بكتاب

(١) قال ابن بشر (١ / ٦٤): «من رؤساء آل ابن عليان أهل بريدة».
(٢) قال ابن بشر (١ / ٧٤): «رئيس آل حبلان من عنزة»، فارس مشهور.

يستعينه ويستنجده، فلم يكن إلى ما يريده يسعده، فرجع منه الرسول بخيبة المأمول، فلما جد به الحصار والضيق، وضاقت عليه مناهج التسديد والتوفيق، لم يجد إلى سلامة عمره منهجًا، ولا طريق سوى أخذ الأمان على عمره، وحاق به شؤم غدره ومكره، فأرسل إلى عبد الله بن حسن يطلب لنفسه خاصة الأمان، وخروجه من تلك الأوطان، فأعطاه عبدالله ذلك بإعلان، وبادر إلى مواجهة عبد الله بذلة وهوان، ودخل عبد الله بن حسن وجماعته البلد، فقتل من قوم الدريبي كل من عثر عليه ووجد، فقتل في ذلك اليوم والحين من أولئك الجماعة نحو الخمسين، واستولوا على جميع ما فيها من الأموال، وتأمّر عليها عبد الله بعد الفراغ من تلك الحال، وصارت تلك القضية وصدور هذه الموهبة السنية، إنقاذًا لأهل القصيم وما فيها من البرية، من غمرة الضلال الوبية الرديّة، فأظهروا الإسلام، ودانوا بجميع الأحكام.

ثم بعد مضي ذلك بأيام وليال، وفد عبد الله بن حسن مع رجال من وجوه أهل القصيم، على الشيخ وعبد العزيز لأجل المعاهدة والتسليم، فتُلُقُّوا بأتم إقبال وقبول، وفازوا بأعمّ مطلوب وسول، وعاهدوا على الإسلام والقيام بالأحكام على التمام، وأقر عبد العزيز كل أمير بلد في بلده أميرًا، وزادهم حشمة وتوقيرًا، وأمّر عبد الله بن حسن على جميع بلدان ذلك الوطن، لا يعارضه منهم أحد فيما أراده وقصد، واستمروا على حالة مرضيّة سنين، ثم تغيروا وانقلب كثير منهم لأجل فتنة يأتي ذكرها بعد حين.

**وفيها** غزا محمد بن جماز مع جماعة من أهل الوشم، فوافاهم بطين بن عريعر بأرض النبقية[1]، فقُتِل غالب أهل تلك السرية، ونار[2] باقيهم وسلم،

---

(١) من قرى القصيم، تبعد عن بريدة حوالي ٤٥كم.

(٢) نار: هرب.

ووهى عز بطين بعد تلك القضية وهُدم، وتضعضع أمره وحاله، وتشتت عزمه وباله، ونقم عليه لقبح أفعاله إخوانه ورجاله، وأخذ سلطانه في الضعة والانحطاط، وحاق به أمر الله وحاط.

**وفيها** قدم زيد بن زامل على عبد العزيز في الدرعية، فجاءت من غير إشعار ولا إخبار القضية، ولا معاودة ولا أخذ أمان، ولا مفاوضة ولا روية، فلم يشعر عبد العزيز إلا بقدومه ومفاجأته له وهجومه، مع أناس من أعيان قومه، فبايعوا على الإسلام، فتراضت تلك النفوس التي نشأت في التكبر والإعظام، وألفت في ذلك منهج آبائهم القدام، فدانوا بشريف تلك الأحكام، والتزموا بجميعها القيام، وطُلب عليهم كثير من أنواع السلاح، وعدة من الخيل المطهّمة الملاح، فلم يلقوا بذلك نجاح ولا جناح، ولا رأوا به حوبًا ولا بأسًا، ولا رفعوا للإبانة والامتناع رأسًا، فأتوا سريعًا بما طُلب، وأرسلوا بجميع ما أريد وكتب، وحقق عليهم وحُسب، فلما وصل إلى عبد العزيز جميع المطلوب، وأحضر لديه المقرر المكتوب، أخذ منه جزاه الله خيرًا بعضًا، وبعض تركه لهم رفضًا، مسامحة لقلوبهم وتطييبًا، وتوليفًا لأولئك الأشرار وترغيبًا.

**ثم دخلت سنة التسعين بعد المائة والألف.**

**وفيها** قتَل زيد بن زامل فواز بن محمد من أهل الحوطة، وذلك أنه أتى ابن زامل في بلاده، لمّا أراد الله كرامته واستشهاده، فطلب منه المحاكمة للشرع وسرعة انقياده لمشاجرة بينهم سابقة، فلم يَنْقَدْ له ولا وافقه، بل نفر عنه ولا طابقه، وأنبه على ذلك الكلام وقال: أأنقاد في بلادي إلى الأحكام، ويُنفَّذ عليَّ في الشرع النقض والإبرام، وأنا رئيس مَن في هذه البلدة من الأنام، فكيف أُهَان وأُسَام ويُلْوَى عنقي وأضام؟ فجرّد عليه صارمًا غير كهام[1]، وجرّعه كأس

---

(١) أي: غير كليل.

الحمام، وارتدى برداء الغدر، وتسربل بالخزي والذل والإهانة، فلم يحصل له ولله الحمد الإعانة، بل مذقه الله تعالى وأعوانه، وملّك الله تعالى المسلمين تراثه ومكانه، واستولّوا ساحته وأوطانه، واحتَوَوا رعيته وحيطانه، فسبحان من لا يعجزه شيء، ولا يفوته حي، سبحانه.

فلما صدر عنه هذا الغدر والفتك، وظهر منه هذا المكر والهتك، وبلغ ذلك على الجزم واليقين عبد العزيز إمام المسلمين، أمر بغزو المسلمين عليه، وإرسال الجند إليه، فجدّ المسلمون إليه في الوصول، فلم يلبث إلا قليلًا حتى أحاطت به الجيوش في النزول، ونزل بساحته الجحافل والخيول، فلم يستقر بهم هناك القرار، بل لم يقيموا بها شطر نهار، حتى شمّر للجلاء الساعد والإزار، وحاق به ما اقترف من الآثام والأوزار، وما صنع من العلو والاستنكاف والاستكبار، فهرب على ظهر فرسه مع ولده وبعض خواصه الأشرار، فدخل عبد العزيز وحزبه البلد، فلم يُغِرْ منها على أحد، بل أعطى أولئك الأمان، إلا أصهار من تعدى وخان، وما له من خاصة وأعوان، فأمر على جميع أولئك القوم والملأ بالخروج عن تلك البلد والجلاء، وأمّر عليهم سليمان بن عفيصان، واستمروا على ذلك شطر زمان، وعليهم سيمة الإسلام والإيمان، حتى أراد الله الرحيم الرحمن، أن ينحطوا إلى حضيض الذل والهوان، وينخرطوا في سلك أهل الضلال والخذلان.

**وفيها** قدم أهل منيّخ وأهل الزلفى على الشيخ وعبد العزيز لأداء السلام، وتجديدًا لعهد الإسلام، ووفد معهم سليمان بن عبد الوهاب، ولم يكن له إلى منيّخ رجوع وانقلاب، بل حسن له في الدرعية السكنى والمآب، فقوبلوا بالقبول والإكرام والبشاشة، وكان من الشيخ إلى أخيه سليمان أعظم تحنن واهتشاشة، فدثر حاله حينئذ وأراشه، ووسّع عليه قوته ومعاشه، وكان هذا

شأنه مع غيره[١]، طيب الله في ضريحه مهاده وفراشه، فكان ذلك سببًا لإنقاذ سليمان، وصدقه مع أهل الإيمان، وتحققه بهذا الشأن، فقام في هذا الدين بتحقق جزم ويقين، وأقر على نفسه واعترف بما قدمه قبل وأسلف، ووفى بما عاهد عليه وما أخلف، ومات، ولله الحمد، على حالة رِضا، بعدما جرى منه وما مضى، فلم يوافه القضا إلا بعدما رفض ما كان عليه وانقضى.

**وفيها** وفد أهل اليمامة، وأميرهم البجادي حسن، فقدموا على الشيخ وعبد العزيز في ذلك الوطن، جددوا للإسلام عهدًا، وأرسل معهم معلمًا في ذلك المبدأ، وهو حمد العريني، فسار معهم لأجل نشر التوحيد والتعليم، ومكث عندهم حتى صدر منهم ذلك الأمر العظيم والخطب الجسيم، وذلك أن أهل تلك القرية شرعوا ينسجون أردية الغدر والفرية، وينظمون أحوال الخيانة والردة بلا مرية، يدبرون فيها مظلم الآراء، ويديرون أسباب التعدي والاجتراء، ويحاولون الفتك بمن عندهم من أهل الدين، حتى اجتمعوا عليه بيقين، وتعاهدوا عليه مجتمعين، وتجاهروا به غير مختفين، فلما تحقق منهم ذلك حمد العريني وابن داعج، وعرفوا أنهم من غير شك يريدون الردة، وأنهم يبغونهم بالقتل غدًا أو بعده، خرجا منهم هاربَين، وكانا للسلمية طالبَين.

ثم بعد ذلك أسرعا إلى عبد العزيز بذلك الخبر، فأمر المسلمين فورًا بالتجهيز للغزو، فخرج سعود بهم وظهر، وجد السير إليهم ليلًا ونهارًا، لا ينيخ إلا وقت الراحة اضطرارًا، أو جنوح الشمس اصفرارًا، حتى وصل إلى السلمية[٢]، فألقى الرحال ووضع فيها من المسلمين عدة رجال، وأرسل إلى الدلم والضبيعة

---

(١) رحمه الله، وهذا من حكمته في تأليف من يُقبل على الحق، سواء من آقاربه أو من غيرهم.

(٢) من مدن محافظة الخرج.

ونعجان[١] مرابطية كثيرة من أهل الإيمان، خشية معالجة الردة والافتتان، وبقي أيامًا كثيرة يكاتب أهل اليمامة من جهة تلك القضية، ويحث حسن البجادي على إخراج أهل الشر من بلاده والأعادي، الذين صدرت منهم تلك السعاية، واجتمعوا على المسلمين بالفتك والنكاية، فوعده الامتثال والإخراج، وليس دون ذلك من إرتاج[٢]، ولا عن جلائهم من إفراج، ولكن بعدما ترحل عن هذه البلدة - يعني السلمية -، وتحط الأثقال في الدرعية، وكان هذا منه خديعة ومكرًا، وقد حاق به شؤم فعله قسرًا، وما أغنى كيده وما نوى، بل حطه في قعر الإذلال والخزي فثوى.

وذلك أن سعودًا لما جاءه منه الوعود، بأن ينفي عن بلده اليمامة كل من لا يحسن له بها الإقامة، ولا يعرف أهل التوحيد قبل ذلك إسلامه، ولا تبينت له قبلُ صلاحيّة واستقامة، وبعدما تشرع في الارتحال، تكون منا الطاعة والامتثال، رضي بذلك منه وما جال في خلده ما صدر عنه، وما شعر أن وراءه من الغدر نسيجه، وأن بارتحاله تبدو له النتيجة، فحينما أخذ سعود في الارتحال والمسير، شرع حسن مع جماعته لأسباب الردة في تدبير، فلم تنخ له في البطحاء الركاب، وتحط الأثقال أولئك الأصحاب، إلا والردة قد أحكمت لها الأسباب، وولج إليها من كل باب، وأظل أهلها مدلهم العقوبة والعذاب.

وحاصل ما صدر وتحقيق ما جرى وظهر، أنه خرج مع أهل النجدة من أصحابه وكافة رجاله وأحزابه، يريد مَن في السلمية من المسلمين، وكانوا بذلك الأمر مشعرين، ولقدومهم مستعدين، وللقائهم متأهبين، فلم ينور الصبح

---

(١) من مدن محافظة الخرج.

(٢) أي: إغلاق.

بالإسفار، حتى هجم أولئك الأشرار، وكان لهم إلى حلل النخل البدار، وراموا أن يسابقوا المسلمين على القلعة المسورة، فلم يكن ولله الحمد لهم عليها مقدرة، فبذل دونها أهل التوحيد المعذرة، وأرخصوا ذلك اليوم الأعمار، وكان لهم فيه الغاية من الثبات والاصطبار، وطال بينهم القتال، والكل شمر الساعد والأذيال، وأنف من المعرة والإذلال، وبذل في ذلك جده وجهده، وتبين فيه أهل البأس والنجدة، وأنجز الله تعالى للمسلمين وعده، فحمى الله تعالى عباده المؤمنين، وصرف عنهم كيد المعتدين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فرجعوا على أعقابهم من حيث جاؤوا، وانقلبوا بالعار والخزي إلى مكانهم وفاؤوا، وقُتِل من المسلمين اثنان، ورجع أعداؤهم بالهوان.

**وفيها** صاح إبليس بأهل الخرج وتنفس، وسول لهم الخروج عن الحق ووسوس، وزين في الارتداد منهاجه، وحث على إغوائهم أعوانه وأفواجه، وأقبل عليهم بخيله ورَجِلِه ركضًا، فقاموا بذلك وأسرعوا إليه نهضًا، وفتح لهم اللعين ذلك الباب، وطرح بهم في مفازة الهلاك والعذاب، وجمع عليهم من أنواع الذل أسباب، ثم نادى فيهم بالخراب والذهاب، فتلك ليس لي إليكم رجوع ولا إياب، فقد صارت عقباكم الندامة، وليس لكم عليَّ ملامة.

وحاصل ما جرى منهم من قبيح الأفعال، وما وقع بهم من الإهانة والإذلال، أنهم لما حسنت لهم الردة، وحقق كل منهم فيها قصده، لم يجدوا قَيِّمًا ورئيس، سوى قرين إبليس، وهو زيد بن زامل، وكان إذ ذاك عن الأمر غافل، وبما دبروه وراموه جاهل، وليس للرئاسة حينئذ بآمل، فأرسلوا إليه بالقدوم، فقد جاءك ما تريد وتروم، فأسرعْ إلينا بالإياب، فالمنى أتاك بغير ارتياب، فلم يرعو إلى ذلك الباطل والأذى، وقال من رام هذا فقد وسوس وهذى، ولا أقدم عليكم إلا إذا، ولكن أرسل إليكم ابني، وهو نائب فيكم عني، ويقف على حقيقة الحال، وما

صار إليه المآل، فخرج ابنه يريد الدلم، ونوى ذلك وعزم، فلم يَرُعْهُمْ حتى قدم عليهم وهجم، فأرسلوا عند ذلك إلى آل مرة، وكانوا قريبًا منهم ليقضي الله فيهم أمره، وأعلم بذلك أيضًا أهل اليمامة، فعجل كلٌّ منهم مجيئه وإقدامه، واجتمعوا يريدون المسلمين الذين في البلاد، وليس عندهم خبر بمن نواهم وكاد، بل هجموا عليهم من غير تأهب ولا استعداد، ووقع معهم في جوف البلاد المقاتلة والمقابلة والجلاد، فقُتِل من المسلمين نحو عشرة رجال، ونار[1] غالب المسلمين من غير إمهال، وتفرقوا في بلدان المسلمين، وبقي أهل الباطل في الدلم مجتمعين.

ولما جاء زيد بن زامل ذلك الخبر، وتحقق من أهل بلده ما جرى وصدر، أسرعَ إليهم المسير والارتحال، وقدم عليهم بعد مضي أيام وليال، وما تصور في ذهنه أنه يخرج منها بهوان وإذلال، ويعجل له الإخراج منها والجلاء والانتقال، وحين وصل خبر ذلك الأمر الصادر والفعل القبيح الهادر، إلى إمام المسلمين، متع الله تعالى به في تمكين، جهز إليهم سعودًا وأصحابهم، وعجله في المسير وأحزابه، فجد السير إليهم حتى قدم هو ومن معه عليهم، فأناخ في بلد السلمية لأجل إخراج من فيها من رعيّة، فأقام فيها نحو يومين، حتى تجهز للارتحال، وتهيأ منها للجلاء والانتقال، جميع أهل التوحيد، بسكينة وتأييد، ثم سار مرتحلًا، بعدما نال منها أملًا، وخرج معه من غير المرابطية، حمائل كثيرة من أهل السلمية، بجميع ما لهم من أهل وحيوان وأثاث، من غير تلبث ولا ارتثاث، ولا مبالاة بذلك الوطن ولا اكتراث، بل هم لما عند الله محتسبون ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

---

(١) نار: هرب.

وفيها غزا المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، حرسه الله تعالى، وأفاض عليه جوده ووالى، يريد الخرج وآل مرة الذين فيها، ومن ساعد على تلك الردة ومقويها، فجد، حرسه الله تعالى، في ذلك، يريد جميع من هنالك، وقد اجتمعوا في تلك الأراضي، جميع من له في الردة ارتياض، وعنّ له إلى بعثها انتهاض، وقد ملأ تلك الفيافي الفجاج، من له في الباطل والزيغ انتهاج، واحتسبوا في ذلك للقتال والمقاومة، وتأهبوا للجلاد والطامة، بل هم كل ساعة إليها في انتظار، وليس لهم عنها بد ولا اصطبار، فتقرب إمام المسلمين إلى الله رب العالمين، بالدعاء بالنصر على المبطلين، وحث إليهم النجائب، وأعمل في النص الركائب، حتى قاربهم حين الهجود، وكانوا غفاة رقود، فعند ذلك عبأ أهل الغارة والكمين، حتى أخذ الفجر يبدو ويستبين، فلما انكشف غيهب الدجى وزال، وجدّ الضوء في الاشتعال، وفرغ من سُبحة الصبح، شرع فيما كان له السرور والنجح، فأمر أهل الغارة وغاروا، فربحوا في سعيهم وما باروا، وبادروا إلى أمره وما حاروا، فاستاقوا جميع الآبال، وما كان دونها إهمال، فلما أشعرت قبائل العرب والبادية، أقبلت جميعها عليهم عادية، فاختلطت الفرسان والأبطال، وكان بينهم أعظم مجال.

وكان المسلمون قد وطئوهم في مضيق شعب من الشعاب، فلما نهضت إليهم أولئك الأعراب، وعاجلوهم بالفزع والانتداب، فأمسكوا من الشعب المضيق، ولم يكن للمسلمين فيه فسيح طريق، فرمى من المسلمين بعض الناس، وكان سببًا لحصول الضرر والبأس، فانكشف أهل الدين، وجَدَّ في ساقتهم فرسان المبطلين، وأخذوا يجاهدونهم ساقه، والكل قد بذل فيه الطاقة، واحتمى أهل الإسلام في ذلك المكان والمقام، وصبروا على مصادمة أولئك الفرسان الأجلاف، وثبتوا لطعانهم في حالة الانكشاف، غير أن المسلمين قُتِل منهم نحو

الأربعين، على سبيل الحدس والتخمين، وفك أهل الباطل غالب الإبل، واستاق المسلمون على عجل، ورجع المسلمون إلى بلادهم، وأكرم الله تعالى من تقدم باستشهادهم.

ولما وصل عبد العزيز إلى الحائر جهز سرية إلى اليمامة ثمانين راكبًا، فعقروا فيها إبلا، ثم رجع كل إلى أهله آتيًا، وقُتِل من المسلمين المشهورين عبد الله بن حسن أمير القصيم وهذلول بن نصير.

**ثم دخلت السنة الحادية والتسعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** غزا المسلمون، وأميرهم سعود يريد الخرج، فذكر لأهل تلك البلاد أن هنا غزو للمسلمين، فتأهبوا في الاستعداد، ونفر منهم كل جريء الفؤاد، ومن مارس الحرب والجلاد، فخرجوا إلى لقائه، قبل غارته واعتدائه، فتوافق الفريقان، وتصادف الجمعان في أرض السهبا، والكل منهم قد روض على الصبر قلبا، ورام لعدوه استيلاء وسَلْبًا، وقوى جأشه حتى ينال غنيمة ونهبًا، ويفك نفسه مما أحاط به واهيه وكربًا، فطال بينهم المجال، واستحرّ القتل والقتال، وقتل من الكل رجال، ثم حصل بعد أن جهد كل منهم الانفصال، ورجع كل إلى بلاده، ولم يحصل على نيل مراده.

**وفيها** عُثر على أهل سدير ومنيّخ بنسيج أردية الردة وبرود، وسعاية في فتح بابها المرتج المسدود، وتبين من أناس فيه قيام وقعود، وأتى الشيخ وعبد العزيز الأمير من حقق له ذلك النسج والتدبير، وحق له أن ينشد على لسان التحذير:

**أرى خَلل الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون لها ضرام**
**فإن لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام**

فلما أعلمَ الشيخ وعبد العزيز عثمانُ بن عبد الله بمن قام فيها وقعد، جهز عبدَ الله بن محمد في المسير إلى تلك البلد، فسار في يومه ذلك ونهض، فلما وصل

عبد الله ومن معه من المسلمين إلى بلدان سدير ومنيخ، آمر علي الحسيني ومحمد بن إبراهيم وحمد بن عبد الله من أهل حرْمة، ومن أهل سدير صعب بن مهيدب رئيس الحوطة ومنصور بن حماد رئيس العودة وعياله، بالجلاء عن ذلك الوطن، الذي نَوَوا به إيقاع الفتن، لكون تلك الأمور المسطورة والأحوال المشهورة المزبورة، جميعها منسوبة لهؤلاء الجماعة المذكورة، فأتى بهم إلى الدرعية لأجل نسخ تلك القضية، فلم تقم أولئك الغزاة في الأوطان، بل بادروا الخروج إلى الخرج بإعلان، فجَدَّ عبد الله بن محمد بمن معه من المسلمين في ذلك المقصد، ففاز بالمكان الأسعد، وذلك أنه صبّح الدلم بالغارة، وأشعل فيهم ناره، فقتل ستة رجال، وعقر عليهم كثيرًا من البقر والآبال.

**وفيها** ثارت للردة في حرْمة ثائرة، وأضرمت للحرب نائرة، وذلك أن ذوي القلوب الشريرة الفاسدة، والأفئدة المغلولة الحاقدة، والنفوس التي هي للمسلمين في الحقيقة حاسدة، وللحق منكرة جاحدة، حصل بينهم تواطؤ وتوافق، وتساعد وتطابق، على إشعال نار الردى، وإطفاء مصباح الهدى، فصارت منهم الأيمان والمعاهدة، والحلف والمعاقدة، ورئيسهم في ذلك الغدر وناسج أردية الخيانة والمكر جويسر الحسيني، فوطّأ لقلوب رؤساء سدير، وهم سويّد بن محمد وآل ماضي وحمد بن عثمان، على الغدر بأهل الإيمان، وأن أهل كل بلد تقتل مِن المسلمين مَن بها قام وقعد، فأعطَوه على ذلك ما أراد، وطاعوا له بالمراد، فلم يكن لهم ولله الحمد عون ولا إسعاد، ولا ظفروا برشاد، وخابوا وآبوا بسخط رب العباد.

فلما أرادوا أن يبادروا بالإنجاز، ويعالجوا الفرصة بالانتهاز، أرسلوا إلى كبار المسلمين الذين في المجمعة، أن يأتوا إلى حرْمة يُعلمون فهنا متعلمون ومستمعة، وقد انتظم العقد والإبرام، وأتقن مرادهم بالإحكام، على قتل أولئك

الأقوام، ولكن أراد الله تعالى إذلال أولئك العتاة اللئام، فلم يجئ أهل الدين والإسلام، ولم يحصل منهم إلى حرْمة إقدام، فجاء أهل الدين والإسلام إلى حرْمة، وهم محمد بن شبانة وعثمان الثميري وكنعان بن عيسى وغيرهم، فلما كان لهم المجيء والإقدام، أرسل جويسر ومن معه من الأقوام، إلى أميرهم عثمان بن عبد الله، وكان في نخل له، يُعلمونه بقدوم تلك الجماعة، ويودّون تعجيله وإسراعه، وقد أعدوا له ستة رجال لقتله ساعة المجيء والإقبال، منهم أخوه خضير وابن عمه عثمان، فتكفلوا لهم بذلك الشأن، فلما قدم يريد البلاد، وكان أولئك له في طريقه بمرصاد، ولقتله في تأهب واستعداد، قاموا عليه فقتلوه، ونال جويسر وقومه منهم ما أمّلوه، ثم بادروا إلى حبس مَن عندهم ومَن استدعوه ومَن قصَدَهم، وهم محمد بن شبانة وكافة إخوانه، وشمّروا إلى المجمعة الأذيال، وخرجوا يريدونها بلا إمهال، وغايتهم قتل مَن بها من المسلمين، وإمساك قلعتها للتحصن والتحصين، فلم يصلوا إلى فِنائها بالأقدام، حتى كان لأهل الدين ممن في البلد إلى القلعة سُرعة وإقدام، فأقاموا مدة يحاولون الولوج فيها والدخول، فلم يكن لهم إلى ساحتها وصول، فرجعوا منها بخيبة السول.

وأرسل أهل المجمعة بعد انقضاء القضية، إلى عبد العزيز رسولًا على مطية، يخبره بما صار، فعجل إليه التسيار، حتى وصل إليه الخبر عن الوقعة ثاني نهار، فأمر سعودًا والمسلمين بالتجهيز مجتمعين، فجَدَّ سعود لنيل المقصود، وبادر في الأهبة في الحال، وخرج على غاية الاستعجال، فلم يلق عصا الاستراحة حتى كانت حرْمة مناخة ومُراحه، فطنّب على تلك الهضاب رفيع تلك الخيام والقباب، وبقي عليها أيامًا مقيمًا، وكل يوم ينالون من القتال أمرًا عظيمًا، لا ينكفون عنه ليلًا ولا نهار، والكل يبدي على ذلك الجلد والاصطبار، وقُتِل بينهم

من الرجال ذو عدد، في تلك المصابرة والأمد، فلما جهد الحصار أهل البلاد، وأضناهم القتال والجلاد، تحققوا أن سعودًا لا يكاد ينصرف عنهم بغير المقصود، وآيسوا من باطل الوساوس والآمال، وجزموا أنهم لا يحصلون على طائل ولا حال، طلبوا من سعود الدخول في الإسلام والإقبال، وأبدَوا له الندم والأسف والإذلال، فأسقط عنهم النكال، وتلقاهم بالقبول، وكان لهم إلى مرامهم وصول، واشترط عليهم أن ينفوا جميع الأشرار، وهو جويسر الحسيني، فأسرعوا في البدار، فبايعوه على الإسلام، والتزموا له جميع الأحكام، وأمَّر عليهم ناصر بن إبراهيم، وأطلقوا محمد بن شبانة وإخوانه الذين معه.

ثم لما عزم سعود على المسير والإقبال، عزل رئيس المجمعة فأمره وأهله بالارتحال، لما صار منه من تلك الأفعال، ثم لما وصل إلى جلاجل عزل سويّد بن محمد عنها، فأمره وأهله بالانتقال منها، وأمّر في المجمعة عثمان بن عثمان، وفي جلاجل ضويحي بن سويّد، وسار رئيس المجمعة إلى القصب وأقام فيها، وقصد سويّد شقرا، ورجع سعود بمن معه من المسلمين، ثم أمر عبد العزيز على حمد بن عثمان وسويّد بالمجيء إلى الدرعية، فكانت لهم سكن، والكل ثوى فيها حتى مات فظعن.

وفيها سارت للمسلمين فرسان يريدون الغارة على الدلم، فقضى الله تعالى وحكم، أن أهل الخرج يوافونهم قبل الأراكة[1]، فلم يسع المسلمون الانصراف والانفراكه[2]، بل كلٌّ أمّل من عدوه مَرامَه وإدراكه، فجالت تلك الفرسان وجرى بينهم الطعان، وقتل من المسلمين منيف بن نصير وابن شبهى، وأصيب من الخرج عدة رجال، ورجع المسلمون بعد ذلك الحال.

---

(١) نخيل بجوار الخرج. «معجم اليمامة» (١ / ٧١ - ٧٢).

(٢) أي: الهرب.

**ثم دخلت السنة الثانية والتسعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز، حرسه الله تعالى، يريد الدلم، وقد صمم على حصارها وعزم، فجد السير إليها، حتى أناخ عليها، وكان وقت لذة الكرى، فما أبصره أحد ولا درى، فتوهل بعض الحلل، ونال منها المراد والأمل، وبقي ينتظر الصباح، حتى يحصل له من مراده النجاح، فلما أسفر ضوؤه ولاح، وفرغ من صلاة الإصباح، نهض إلى الحرب، وأشعل حجرة الطعن والضرب، وأحاط المسلمون بجميع تلك الحلل، وأحكموا الأسباب لأخذ الآراء والعمل، وما يشعرون أن أهلها ممتعون إلى حين ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ فجدوا إلى تحصيل المطلوب، وإدراك المنى والمرغوب، ولم يحيطوا علمًا بأن ذلك غير مقدر لهم ولا مكتوب، فأرجف أهل البلاد، وآيسوا من أنفسهم في مصابرة الجلاد، وطمع أهل الإسلام في الفتح، لما عاينوا من علامات النصر والنجح، وذلك أن أهلها لما خرجوا لقتال المسلمين، ونهضوا إليهم ضحوة مجتمعين، والتقوا معهم في تلك الحلل، فكسرهم الله تعالى وهزمهم على عجل، فولّوا سراعًا على غير مهل، فعند ذلك داخل أهلها الذل والخلل، وملأ قلوبهم الرعب والوجل، حتى إن بعض أهل تلك الأوطان، طلب لنفسه الأمان، ولكن أمر الله غالب، ولا يفوته سبحانه هارب.

وكان من قضاء الله تعالى المقدر، وحكمه النافذ المراد المدبر، أن زيد بن زامل ذلك اليوم في اليمامة عند أولئك القوم، فلما سمعوا الرمي في تلك البلاد، فزع هو ومن فيها من العباد، ونهضوا إلى ذلك سريعًا وأقبلوا جميعًا، وكان غالب مقاتلة المسلمين بأهل تلك البلد محيطين، وبحللهم محدقين، وعلى أخذهم مشرفين، فانصبّ زيد ومن معه على محطة الجيش المجتمعة، من غير فكرة ولا خبرة ولا اختبار ولا تدبر ولا استبصار، بل قضاء الملك القهار،

وقدر ميسر من الأقدار، وذلك أنه عدل من المحلة التي يسمع بها اللغط والأصوات، وعليها المقاتلة والرماة، ورام أن يدخل البلد من الباب، يظن أن ليس هنالك أحد، فإذا الجيش بحذائه نازل بقربه وفنائه، ولم يشعروا إلا بالجلبة والصياح، وتشريع أسنة الرماح، وإطلاق أعنة الجياد الملاح، فانذعر الجيش وطاش، واندهش حيرة وارتعاش، وأخذ زيد من ركاب الجيش نحو الخمسين، وقُتِل حينئذ بعض المسلمين، ثم اجتمع المسلمون وتراجعوا سريعًا، وتلاحقت مقاتلتهم جميعًا، وقربوا إلى البلاد كافة، وخرج أهلها للقتال بعد الذلة والمخافة، فوقع بينهم في تلك الساعة قتال، وقتل بينهم رجال، ثم بعد ذلك وقع التفرق والانفصال.

وسار عبد العزيز، حرسه الله تعالى، ومن معه من المسلمين، فأناخوا على نعَجان أجمعين، وبقوا أيامًا لها محاصرين، حتى فتح الله تعالى على المسلمين منها ببعض الحلل، فأخذوها وفر أهلها على عجل، وقُتِل فيها رجال، وفاز المسلمون بكثير أموال، ورجع المسلمون إلى بلادهم، وقد أكرم الله نحو العشرين من المسلمين في تلك الغزوة باستشهادهم، وقُتِل من جميع أهل الخرج فيها قريب من ذلك.

وفيها نزل سعدون بن عريعر[١] الخرج، وأرسل لعبد العزيز يطلب الصحبة، فوافقه على ذلك وشرط عليه ألا يقرب البلدان، قصده مكر وخديعة، يزين لأهل البلد الردة، ثم بعد ذلك نزل مبايض[٢] فبان قصده، فنبذ إليه عبد العزيز عهده، فأقام مدة، ثم خاف من المسلمين فارتحل في القيظ، وتوعر في مظماة الدهناء

---

(١) تولى الأحساء بعد مقتل أخيه «دجين» عام ١١٨٩هـ.

(٢) تبعد عن مدينة الرياض قرابة ١٦٠كم شمالًا، أصبحت فيما بعد هجرة لقبيلة مطير.

والصمّان[١]، وتوسط فيها ذلك الزمان، فناله وقومه أعظم النصب، وتعبوا أشد التعب، ومات ما عندهم من الأغنام، وكابدوا طلائع الحِمَام، وأوهن الله تعالى كيده وما رام.

**ثم دخلت السنة الثالثة والتسعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** عزم أهل حرْمة على الردة، ونَوَوا وخلعوا ملابس الدين، وطَوَوا ونشروا للخيانة والردى علمًا، وسَعَوا إليها أُمَمًا، وهيأوا لأسبابها وفتح بابها أمرًا مُحكمًا، وعقدًا رصينًا في زعمهم الفاسد مبرمًا، وذلك أنهم أرسلوا إلى سعدون، رئيس بني خالد، بما دبروه، فكان على ذلك الشأن واجد، وعلى القيام فيه والنصرة له مُجِدّ مساعد، فاستدعوا أيضًا أهل الزلفي، فكان كل منهم على ذلك مستلقَي، ولإنجازه كل حين منتظر مشفي، فلما لبَّاهم أولئك الأقوام، وأجابوهم على المساعدة في ذلك المَرام، وأوعدوهم على يوم من الأيام، ينفذ فيه ذلك الإبرام، ويصدر فيه العقد والإحكام، وتُرَاق فيه دماء ذوي الدين والإسلام، فلما قرب سعدون من البلاد، وتحققوا إنجاز المراد، وعرفوا أنه يُصبحهم غدًا، عمد أهل الباطل والردى، فألبسوا أناسًا منهم ثياب النساء الغواني، وأمروهم أن يسيروا إلى المجمعة من غير تواني، ويصعدوا إلى بروج القلعة، حتى يدهموا المسلمين في البلد ثم تكون لهم فيها متعة، فلما بادروا إلى ذلك الأمر، وعجلوا النيل ذلك القصر، وصعدوا إلى تلك البروج، فأمسكوها حتى بدا من جماعتهم المجيء والخروج، فتنبه أهل الدين لكيد المعتدين، فسددهم الله تعالى وأعانهم، وخذل تلك الطائفة وأهانهم، فلم يظفروا بمرام، ونقض الله تعالى حبل ذلك الإبرام، وأقبل سعدون بن عريعر وبنو خالد وأهل

(١) المظماة: الأرض الواسعة التي ليس فيها موارد للمياه، يظمأ فيها الإنسان.

الزلفي وأهل حرْمة، فأناخوا على المجمعة أيامًا، وحاصروها وراموا بها من الفتك مرامًا.

وكان تلك الأيام حسن بن مشاري مقيمًا في جلاجل مع جماعة من المسلمين، فلما حاصر أهل المجمعة أحزاب المبطلين، نهض هو ومن معه إلى المجمعة ليلًا، فكانوا لأهلها مددًا، ونالوا بهم نيلًا، وأقامت أولئك القبائل والأحزاب، في حصار للبلد وإضرار وخراب، وعمدوا إلى قطع النخيل والأشجار، رجاء أن يدين أهلها إلى السلم والنزولة والانحدار، إذا شاهدوا هذا الإضرار، ولا يكون لهم على ذلك صبر ولا قرار، فثبّت الله تعالى المسلمين، وأوهن كيد المعتدين، وكان أعظم مَن امتُحِنَ في ذلك الأمر قبلُ وبعدُ، فبذل في ذلك غاية الصبر والجهد، وأوذي فيه وابتُلِيَ، وصدر عنه في القيام ذلك الأمر الجلي، أحمدُ التويجري، رحمه الله تعالى.

ولما وصل عبد العزيز الخبرُ عن ذلك الحال، وما دبره أهل الباطل والضلال، وما اجتمعوا عليه من الردى، أمر بالنفير والمسير على ذوي الهدى، فخرجوا بعد الاستعداد والأهبة، ولم تكن لهم سوى الأحزاب مراد ولا طِلْبَة، وأمّر عليهم عبد الله بن محمد، فأسرع إلى ذلك الأمر وأنجد، فلما وصل الخبر إلى تلك الأحزاب، أن المسلمين في قدوم وإياب، وليس لهم غيركم طِلَاب، عاجلوا بالارتحال وبادروا للمسير باستعجال، وشمروا في الرجعة والانقلاب، ولم يظفروا مما راموا بحسب مآب، فلما وصل عبد الله بن محمد ومن معه من المسلمين إلى حرْمة، وكانوا إذ ذاك نائمين، فعبّأ الجيش والكمين، فلم يسفر بضوئه الفجر، وتُقْضَى صلاته ذات القَدْر، حتى أخذ كل حزب مكانه، وثبّت على القتال جِنَانه، فلما شعر أهل البلاد بما دهم ساحتهم من العباد، وما حاط بهم من الهلاك والهم والأنكاد، انذعرت قلوب ذوي الشر والفساد، وارتعش

منهم اللب والفؤاد، وتمنوا أنهم لم يكونوا لما قدموا فاعلين ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فأحاطوا بهم من كل ناحية، وجزموا عند ذلك بنزول الداهية، فأقام المسلمون لها محاصرين، ولفتحها آملين، كل يوم ينهدون إلى القتال والقتل، ويجدّون في تقطيع الأشجار والنخل، فقطعوا نخل المويس جملة، ولم يكن قُطِع بغير أناة ولا مهلة، فآيس من الإعمار، مَن في البلد مِن الأشرار، ونزل بهم الجهد والحصار، وأزعجهم ذلك التخريب والدمار.

وآخر يوم القتال هجم عليهم المسلمون فيها من بعض الأقطار، ووقع بينهم الجلاد والجلد والاصطبار، وبذل المسلمون عند ذلك النفوس الغالية، وآثروا الباقية على الفانية، وقُتِل من الأشرار مَن مَنِيَّتُه دانية، وهم عشرة رجال، كُلٌّ بالغ حده في الشر والضلال، منهم مدلج المعيِّي ومحمد بن إبراهيم، ثم رجع المسلمون إلى بلادهم، وأبقى عبد الله بن محمد رجالًا من المسلمين وخيلًا في المجمعة، حتى ينالوا أهلها بذلك عزًا وتحصنًا ومنفعة، وليضيقوا على أهل حرْمة المعاش، فلا يكون لهم إليه سبب ولا انتعاش.

**وفيها** في رجب غزا عبد العزيز يريد السلمية، فلما قاربها شعر به مَن بها مِن البرية، وانصرف راجعًا، بعدما كان بها طامعًا، ولم يصدر منه على أهلها منازلة ولا غارة، لأمر اقتضاه رأيه واختاره، ونهض في ساعته في ذلك الطريق، لإرادة الله له بالتوفيق، فجد السير والمسير، يريد فرقانًا في أرض عَرْوى نجد[1] من مطير، فصبحتهم فرسان المسلمين والإسلام، واستقبلهم مقاتلة أولئك الأقوام، وحمي بينهم الطعان، وثبت الله أهل الإيمان، فشدوا عليهم، وصمموا الحملة إليهم، فولَّوا هاربين، وأخذوا تلك الأسلاف أجمعين[2]، وحازوا من الآبال

---

(١) جنوب الدوادمي.

(٢) الأسلاف: الجماعات.

فوق المراد والآمال، ثم رجعوا إلى بلادهم من غير إمهال، وقُتِل من المسلمين ثلاثة رجال، منهم عدامة بن سويري.

وفيها غزا سعود، أسعده الله تعالى وأفاض عليه بره ووالى، فسار بالمسلمين يريد حرْمة، ويرجو الله أن ينزل بهم البأس والنقمة، فجد السير إليها ليلًا ونهارًا، فلم يجد دونها قرارًا، حتى أناخت تلك الجموع المؤيدة المنصورة، بساحة تلك الطوائف المكسورة، وأقام أيامًا عليها، كل يوم ينهض للقتال إليها، ويقع بينهم جلاد وقتال، وتقتل بينهم رجال، في كل جولة ومجال، فصابرهم على ذلك أيامًا وليال، وهم في غاية من الذل والإذلال، واستولى المسلمون على النخل وحللها، فآيس أهل البلد من رجائها وأملها، وضيق عليهم بعد ذلك أهل الإسلام، واحتنك عليهم فضاء ذلك المقام، وحاق بهم قضاء الملك العلام، وتحققوا أن البلد يدخل عليها مِن أقطارها، وقد ذل جميع حماتها وأنصارها، فلم يجدوا منهجًا ينتهجونه، ولا عونًا يرتقبونه ويرتجونه، سوى النزول على الإسلام، وحقن دماء أولئك الأقوام، وإزالة ما يخشى على أهل الدين ويحذر، فدانوا بذلك وثبت الله الأمر وتقرر، فنزلوا وعاهدوا، واشتروا من سعود جميع ما في البيوت من الأموال والطعام وتعاقدوا، فأمر بهدم جميع القصور، وإزالة ما فيها من الدور، وبجلاء آل مدلج كافة، فطاروا إلى البلد من المخافة، فأضحوا على ما أسلفوا من الأعمال وهم متندمين، ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

**ثم دخلت السنة الرابعة والتسعون بعد المائة والألف.**

وفيها غزا سعود بالمسلمين، زاده الله تعالى نصرًا وتمكين، فحث الأعوجية[(١)]

---

(١) في (لسان العرب): «وأعوج: فرس سابق رُكب صغيرًا فاعوجّت قوائمه، والأعوجية منسوبة إليه».

والجياد، وقصده الزلفي لأجل ما جرى منهم من الفساد، فشمّر إليهم المسير، وفاجأهم قبله النذير، فلم تصل إليهم تلك الجيوش والأجناد، إلا وهم في غاية من الأهبة والاستعداد، فشمروا الإزار والذيل، للخروج إلى لقاء غارة الخيل، فانتهزوا لذلك وانتدبوا، وأسرعوا إلى مطاعنتها وطلبوا، فالتحمت الفرسان، واستمر بينهم الطعان، وقُتِل بينهم رجال في ذلك المعركة والمجال، ثم وقع منهم الانفصال، ورجع سعود ومن معه من المسلمين إلى بلدانهم أجمعين.

**وفيها** غزا المسلمون، وأميرهم عبد الله بن محمد، فسار بالمسلمين إلى الزلفي وقصد، فأعجل الركائب في نيل ما هو طالب، فلم يصل لذلك المحل، حتى سبقه النذير على عجل، فكانوا متأهبين للقدوم، وكل يوم ينتظرون الهجوم، فلما أغار على تلك البلاد، لم يحصل له منها مراد، فانصرف عبد الله راجعًا، فلما وصل إلى رغبة رجع مع أهل العارض، ورجع أهل سدير وأهل الوشم يريدون بلدانهم، وإذا سعدون بن عريعر مع جموع بني خالد لهم مُوَافٍ مُعَارِض، فأطبقت عليهم تلك الجيوش والجموع، ولم يكن أحد منهم مسلّم ممنوع، فحالوا على جميع ذلك الجيش، وسلم الله تعالى من له بقية من العيش، ونارت[1] خيول المسلمين، وولي الباقي فرسان المبطلين، وقُتِل من المسلمين نحو من الثلاثين، منهم حسين بن سعيد أمير العودة وعبد الله بن سدحان من كبار أهل شقرا.

**وفي ذلك اليوم** أغارت خيل لبني خالد على فريق من المسلمين سبعان، فإذا عندهم ناس من أهل ضرما منصرفون من غزو عبد الله ركائب وفرسان، فحين

(١) نارت: هربت.

غارت خيول بني خالد، خرج إليهم كل شهم شجاع مجالد، فجالدوهم ساعة وزمانًا، وأسَر المسلمون منهم فرسانًا، منهم سعدون بن خالد، وفدى نفسه بثلاثة آلاف زر(١) أضحى لغالبها ناقد.

**وفيها** سار سعود بالمسلمين يريد الحوطة، فجدّ السير إلى تلك البلاد، وأعمل في ذلك غاية الاجتهاد، فأناخ وسط الليل حولها، ولم يشعروا بذلك أهلها، فرتب أصحاب الكمين، وأهل الجيش أجمعين، فلم يضئ الفجر إسفار، ويخرج أهل الحاجة للانتشار، إلا والغارة غادية، وغرر الجياد عليهم بادية، والأصوات عالية بعدما كانت هادئة، فأسرعوا الخروج أولئك الأقوام، وكان لهم إلى اللقاء إقدام، فطال بينهم المجادلة والالتحام، وكل ارتدى برداء الصبر والاعتزام، وقُتِل من أهل البلد في ذلك المجال خمسة عشر من الرجال، وقُتِل من المسلمين بطي المطيري، ورجع المسلمون إلى بلادهم.

**ثم دخلت السنة الخامسة والتسعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** سار المسلمون وأميرهم سعود، بلغه الله تعالى المنى والمقصود، فحث على السير جياده وركابه، وكانت الدلم مراده وطلابه، فتوغل في تلك الأراضي، وقد هدأت بلذة الإغماض، فعند ذلك قام في أداء أكيد الافتراض، من التهيئة والتعبئة عند إرادة الانتهاض، فلم يكن له عن ذلك صدود ولا إعراض، ولا انحراف ولا ميل إلى الراحة، حتى أشعل الفجر مصباحه، وركض الصبح على الدجى، وبدره بعموده وفجا، فعند ذلك أذن للمكتوبة، وسأل الله تعالى فيها أن ينيله مطلوبه، فلما فرغ من صلاته، نهض إلى تعبئته، وأخذ الكمين مكانه، وحرض على الصبر جماعته وإخوانه، فلما أخذت الشمس في

---

(١) عملة نقدية.

الإسفار، كان له إلى الغارة البِدَار، وقبض جميع مَن في الدلم مِن المقاتلة، ورموا الجلاد والمقابلة، فأورت فيهم أهل التوحيد والإيمان شُعل النيران، وأرووا من نحورهم أسنان المُرّان[1]، فطاشت لذلك قلوبهم وزاغت أبصارهم، ورعبت كماتهم وأنصارهم، فولَّوا عند ذلك الأدبار، ولم يكن لهم على ذلك الهول اصطبار، وانهزموا على أعقابهم مدبرين، وبرحوا في بلدهم متحصنين.

وأقام المسلمون أيامًا في قتالهم، وحصارهم مجتهدين في حربهم ودمارهم، كل يوم يصابحون قطع نخيلهم وأشجارهم، فقطعوا خضر بن عشبان في ذلك الزمان، فعرتهم الذلة والهوان، وعلتهم هموم وأحزان، وقُتِل منهم في ذلك الوقت والأمد، رجال من غير حصر عدد.

ثم إن سعودًا، حرسه الله تعالى، نوى بناء قصر في ذلك المكان، ويجعل فيه من أهل الدين والإيمان، من يضيق على أهل تلك الأوطان، وصمم على ذلك الرأي والبناء، فنال بذلك الرفعة والثناء، وقد كان بذلك الرأي والده مشير، وهو مبارك المشورة مسدد التدبير، فرفع قواعد بدع الحق الشامخ العال، فكان ولله الحمد سببًا لهدم بدع الغي والزيغ والضلال، فلما فرغ من بنائه وإتمامه، وقضى من تشييده وإحكامه، وضع فيه من الإبطال عِدّة، وجعل فيه خيلًا ومن آلة الحرب عُدّة، وكان جميع مَن فيه ذوي بأس في اللقاء وشدة، وصبر عند الأقدام ونجدة، وأمّر عليهم محمد بن غشيان، وكان ذا شجاعة وحده، ثم انصرف سعود راجعًا، وفي بلده راغبًا طامعًا.

**وفيها** غارت من المسلمين خيل من قصر البدع، فتوافقت مع خيل لأهل اليمامة، فجالوا معهم ساعة، فقتل المسلمون فرحان بن راشد البجادي وجرَّعوه حِمَامَه.

---

(١) أي: الرماح.

**وفيها** ارتد جديع بن هذال[١]، بعدما ادعى الإسلام وعاهد وكان عليه من إقبال، فولى هاربًا، وفي الضلال راغبًا، ولنهجه طالبًا، فأراد الله أن يوافقه مطير في ذلك السير، فناوخه أولئك العربان، وقُتِل جديع وأخوه وثلاثة معهما فباءوا بالخسران.

**وفيها** حزّب أهل البغي والعدوان، وذوي التعدي والطغيان، على قصر البدع الذي فيه ابن غشيان، وذلك أن هذا القصر لما أُسِّس وبُنِي، واهتم بأمره واعتُنِي، واختير من الرجال حماته وفرسانه، والمرابطون فيه وسكانه، فكانوا أولي بأس شديد وإقدام، ليس في اللقاء عليه مزيد ومصابرة في الطعان والإقدام، وعدم الخوف من الحمام، ولم يتبين من أحد منهم في اللقاء إحجام، وكانوا في غالب الليالي والأيام، يَغْدُون على أهل الخرج وينالون منهم المرام، ويقعدون لهم المراصد، ويأخذون كل قادم وقاصد، من الأقارب فضلًا عن الأباعد، ويقتلون كل صادر ووارد، واستمر عليهم ذلك الحال، وتجرعوا منهم غصص الوبال، وأقاموا في أكسف بال، لا يطعمون لذة المنام في دياجي الظلام، قد حاربوا الرقاد وصالحوا السهاد، والحرب توقد عليهم غاية الاتقاد، فلما سقمت منهم الأجسام، وضاق عليهم في بلادهم المقام، وحالت وجوههم ذلك الزمان، وتغيرت منهم الألوان، وضوت منهم الأبدان، وعميت عليهم مناهج الحيل، وسددت عليهم مناهج جميع السبل، ولم يلقوا في إزالة ذلك القصر سبب، واستعانوا في ذلك أفكار العجم والعرب، حتى جاءهم شخص من تلك النواحي ممن تسمى بالمعرفة وانتسب، فشَكَوا له حالهم ومصابهم وما نزل بساحتهم وأصابهم، فقال: ثكلتكم الأمهات، وعدمتم الترفهات، معشر

(١) قال ابن بشر (١ / ٧٤): «رئيس آل حبلان من عنزة».

الحمق والسفاحات، وأرباب الجهل والترهات، لم تلدكم النساء للحروب، ومكافحات الخطوب، وإنما ولدتم للغيّ والهوى والمبطلة، فلستم مساعير الحرب ولا رجاله، أعَرَتْكُم من هذا القصر أحزان، حتى ذهب منكم اللب والجنان، أغَشِيَتْكُم منه الذلة والهوان، وتشبهتم بالغواني ذوات الأخدان، وتلفعتم بمروط النسوان؟ فقالوا: سبحان الله، يا أخا العربان، كيف ينطق بالتأنيب منك لسان، وتسرع إلينا بهذا الإغلاظ والهذيان، ونحن الكُمَاة الشجعان، ولكن قد التقت حَلَقَتَا البِطَان[1]، واحتنكت علينا الأوطان، فعسى أن يكون للراحة منك يدان! فقال:

بشراكم بالفرج فما بكم من حرج   سوف أريكم فكرة ليس بها من عوج
تبصرة وهمة تلقي العدا في رهج   إذا رأوها ذهبت قلوب تلك الهمج
أبدى من العز لكم فخرًا رفيع الدرج   ففكرتي منقادة وقادة كالسُرَج
فقد تولى عنكم غيهب خطب مزعج   وجاءكم مرادكم فأصبحوا في بهج

فقالوا: دعنا وهذه الغمغمة، واتركنا وهذه الجمجمة، فبين لنا بالإفصاح، حتى نفوز بالأرباح. فقال: ائتوني بأقوى الأخشاب، حتى أصنع لكم ما بقي من الرصاص من الأبواب، وأجعلها مثل الصندوق، وأعلاه مطبوق، والرجال فيه مداريع، وبأيديهم المفاتيح والمصاريع، ويحمل ذلك الصندوق على عجل، وأهله فيه قعود على مهل، ويدفعونه أولئك القعود، فيسير بالدراريج غير مردود، فإذا وصل إلى السور يفتح، ويحصل المراد وينجح، فيهدم السور وينقض، ويوهي أساسه وينفض، وترمى أحجاره، وتقتل بعد ذلك أنصاره، وتدخل فيه الأجناد، ولا يبقى فيه أحد من أولئك العباد.

---

(١) البِطَان: الحِزَام الذي يُجْعَل تحت بطن البعير، وفيه حلقتان، فإذا التَقَتَا فقد بلغ الشَّدُّ غايته. يُضرب مثلًا للأمر الذي بلغ غايته. (مجمع الأمثال).

فلما أخبرهم بتلك الحيلة وفاه، أقبل منهم كل يقبل فاه ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، فاحكم بما تريد من أموالنا وتستكين. فقال: ذلك بعدما يتم المراد، ويحصل لكم الإسعاد، فعجلوا لي بالأخشاب والأعواد. فأسرعوا في الاستعداد، وآتوه بما طلب وأراد، وشرعت الصناع تصنع في الحديد، وأقاموا على ذلك أيامًا بلا تعديد، وهم في تعب شديد، حتى فرغ من أمره ذلك الشيطان، وأبرز كيده من غير توان، وقعد فيه أناس متدرعون عتاة مردة، وأخذوا يدفعونه ويعطي مِقْوَدَه، وهيّئوه إلى السور ومرصده، فلما توسط في الطريق عند القصر ومشهده، أبى إلا الوقوف، وكأنه عن المسير مصروف، فعجل الله لكثير مَن فيه الحتوف، وحاولوا في ذلك أعظم حيلة، فلم يكن إلى ما راموه وسيلة، وقالوا: قد زال الفرح وجاء الترح، إن بقي هذا العجل في هذا المكان والمحل، هبط مَن في القصر ونزل، فقادوه علينا، وأوصلوه إلينا، فكنا كمن ألقى نفسه في الهلاك، ووضع لإتلافها حبائل وأشراك.

وكان القوم الذين فيه لا يقدرون على رده، ومَن جاء مِن الأحزاب قُتِل قبل أن يصل إلى حده، فحاروا وخاروا وخسروا وباروا، يوم تعدَّوا وجاروا، وبقوا ساعة وزمانًا، يعانون همًا وأحزانًا، وقد تسربلوا بلباس الإحجام، وأبت أن تسير إلى رده الأقدام، حتى جرى بينهم عتاب وملام، وتنادب وبكاء بدموع سجام، فانتدب له رجال، وناداه بعضٌ منهم وقادوه قريب الحال، ثم بعد ذلك شبوا عليه النار، وقالوا: لا تستطيع تشاهده منا الأبصار. فلما غربت الشمس ذلك اليوم وأقبل الإظلام، اجتمع أهل الحريق والحوطة وأهل الخرج بالتمام، وساروا يريدون الهجوم على القصر والصعود، وقد تعاهدوا على ذلك بالأيمان والعقود، فوصلوا إليه بالمحامل، والكل للصعود آمل، فشرعوا في الرقي والصعود، وقتل منهم جمع غير محصور ولا معدود، وبذلوا جد الاجتهاد فلم

يشتفوا بمراد، ورجعوا وقد قُتِل منهم خمسة وعشرون، وباؤوا بالخزي والهون.

ثم لما أعياهم ذلك القصر وعناهم، ونكد عليهم معاشهم ودنياهم، وحاروا في أقصاهم وأدناهم، ولم يحصل لهم فيه مناهم، حدر(١) منهم جماعة من آل زامل وآل بجاد، إلى سعدون بن عريعر في تلك البلاد، وطلبوا منه المساعدة والإسعاد، فأجابهم إلى ذلك المراد، فتواعدوا على الخروج معه، فخرج بعد ذلك هو والبدوان ممن تبعه، ونزل على البدع مع تلك العربان، ثم بعد ذلك أقبل جميع أهل البلدان، وهم أهل الحريق واليمامة والحوطة وأهل الخرج، فاجتمعوا على سعدون، وهم لهدم ذلك القصر دائمون، ومع سعدون المدافع، فاشتعلت بينهم نار الحرب والكل دون عمره يدافع، وبقوا يرمون بالمدافع السور، فلم يقع فيه من الرمي محذور، وكان عن الهدم مُوَقًّى محظور، حتى تبين لهم البأس، وعرفوا أن الله تعالى قد نصر أولئك الناس، وأنهم عن الوصول إليهم لا يقدرون، فعند ذلك عزم على الرحيل سعدون، وقالوا: هذا لا يكون، فبعدك يقع علينا عذاب الهون. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، اختاروا منهجًا فيه تسلكون، فلستم بعد ذلك تلامون. فظعن وارتحل، وكلٌ قصد ما له من محل، وتفرقت ولله الحمد تلك الدول، وبقي سعدون بمدافعه مهتمّا، وعلى إتيانه بها نادمًا مغتمّا، لا يدري كيف يفعل ويصنع، وهو إلى الهروب قد أسرع، وعلى الانهزام قد عزم وأزمع، فهو يجدّ فيه ويربع، فاقتضى رأيه الشنيع، أن يتركها في اليمامة على سبيل التوديع، فسار وتركها في اليمامة، فأخذها أهل الإسلام حين كان للدين بها إقامة.

**وفيها** غزا عبد الله بن محمد بالمسلمين، فسار يريد اليمامة، وأرسل عيونه

(١) أي: ذهب.

أمامه، وطلائعه قدامه، حتى أناخ عند البلد وسط الليل، وكان له على تعبئة جيشه مَيل، فرتب الكمين، فلما أخذ الضوء ينير ويستبين، أغار الجيش على البلاد، فخرج أهل الجلاد، وتطاعنوا قليلًا، وصبر أهل الدين صبرًا جميلًا، حتى ظهر كمين الموحدين، فأسرع أهل الباطل مُوَلِّين، وعلى أعقابهم منهزمين، وقُتِل من أهل البلد دون العشرين، منهم أحمد بن رشيد وعبد الله البجادي، ثم بعد ذلك انصـرف عبد الله بن محمد ومن معه من المسلمين، فأغاروا على الحريق، فألفاهم يحشون مجتمعين، وكان لهم جماعة معهم مجنّبين، فناوشوا القتال ثم انهزموا بانجفال، وقُتِل منهم عشرون من الرجال، ورجع أهل الإسلام بأحسن حال.

وفيها غزا سعود بالمسلمين، زاده الله تعالى عزًا وتمكين، يريد أسلافًا مجتمعة من قبائل العربان، من آل ظفير وعنزة مقيمين على ماء مبايض[1] في ذلك الزمان، فانتضى[2] سنان الهمة والعزم، وجرّد صارم الجد والحزم، إلى ذلك الأمر والشأن، حتى وصل إليهم بعد آن، فشنت عليهم الغارة الفرسان، وكانوا على أهبة واستعداد للقاء الشجعان، فجال معهم المسلمون، وهم على العزم والصبر ثابتون، ولأنفسهم على الموت مُوَطِّنُون، فلم يدرك منهم أهل الدين وأهل الإسلام، في ذلك اليوم غاية ولا مرام، وانصرفوا عنهم بسلام، وكان هذا أمر من الملك العلام، ليرى خواص الأنام، ما خفي في الغيب من الأسرار والحكم والأحكام، فارتحل سعود عنهم ونزل بأرض تمير[3]، ثم أرسل إلى مدد من أهل سدير، فأقبلوا سراعًا إليه، وقدموا فورًا عليه، فظعن بعد

(١) في سدير.
(٢) أي: سلّ.
(٣) مدينة تقع في منطقة سدير، على بعد ١٤٠ كم شمال غرب مدينة الرياض.

ذلك وارتحل، وجدّ يريد تلك العربان الأُوَل، فأسرع النزول مع أولئك الدول، فلم يعد إليهم بعد ذلك اليوم، إلا وقد جاء الإمداد من العربان أولئك القوم، فحين رأوا أهل الإسلام قادمين، فرحوا بذلك لأنهم كانوا على انصرافهم نادمين، فأبدوا بالمسلمين الاستهزاء والاستخفاف، ولم يدخل قلوبهم منهم مخافة ولا إرجاف، بل جزموا أنهم لهم غنيمة، وأنهم مهما شدوا عليهم شمّروا للهزيمة، فكان البلاء موكَّلًا بالمنطق، فصيّر الله عليهم ذلك وحقق، فحين حمل عليهم المسلمون، طاعنوهم ساعة ثم جدوا في الفرار لا يلوون، فتولى المسلمون أكتافهم، حين حقق الله تعالى انكشافهم، وقد قُتِل منهم في ذلك الحال فوق المائة من الرجال، وغنم المسلمون ما معهم من أمتعة وأثاث وأموال، وجميع السلاح والأغنام والآبال، وكان دهام أبا ذراع[1] ممن كان لروحه في ذلك الحين انتزاع.

**ثم دخلت السنة السادسة والتسعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** سار عبد العزيز، حرسه الله تعالى، من كل مكروه ويلغه ما يرجوه، بالمسلمين يريد الحوطة، فحث السير إليهم حتى قدم إليهم، وكان وقت القدوم والإقدام، حين عسعس الظلام، واستقام غيهب الإظلام، فلما أناخ وأقام، لم يسرع إلى لذة الراحة والمنام، بل أخذ في التدبير والاستعداد لمقاتلة أهل تلك البلاد، فلما قضى من ذلك المراد والغرض، وأدى من الدعاء ما أوجبه الله وافترض، بادر إلى القتال وانتهض، فأغارت الفرسان على طارفة البلد، فلما عاينوا ذلك لم يتخلف عن الخروج منهم أحد، فالتقوا أهل الدين، وكانوا من الصبر على يقين، إلا أن الله تعالى ليس لأمره رادّ، ولا يقاومه سبحانه أحد من

---

(١) شيخ الصمدة من الظفير.

العباد، فحين صمم المسلمون عليهم بادوا، وقصدوا البلد ونارووا[١]، وقتل منهم في ذلك الوقت والمجال، خمسة عشر من الرجال، وأقاموا في بلادهم في جهد وضيق، لا يتيسر لهم إلى الخروج طريق، والمسلمون في تلك المدة، قد بذل كل منهم في التخريب وقطع النّخل جهده، فقطع جميع نخل الرحيل، ثم كان للمسلمين إلى نعَجان ميل، فساروا إليها وأقاموا حواليها، وقطعوا شيئًا من النخل ثم انصرفوا إلى أهلهم راجعين.

وفيها جرى ذلك الأمر العظيم والخطب المدلهم الجسيم، وهو ارتداد أهل القصيم، فقدر المولى الرحيم أن يرتعوا في ذلك المرتع الوبيء الوخيم، وذلك أن كافة أهل القصيم، إلا بريدة والرس والتنومة[٢]، لما أراد الله تعالى عليهم المسكنة والذلة، وقضى عليهم في سابق الأزل بالهوان والمذلّة، وأن يلبسوا ثياب الخزي والعار، ويتدرعوا بمدارع أهل النار، ويتحلوا بحلية الأشقياء الفجار، ويسلكوا مسالك الأشرار ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ مِن شر مَن أراد بهم الفجور والإضرار، ونوى بهم قاصمة الظهر وأصروا على ذلك غاية الإصرار، فرجع آيبًا بالخيبة والأوزار - اجتمعوا على الغدر بأهل الدين، وقتل مَن عندهم مِن أهل التوحيد وخصوصًا المعلّمين، فحضر كافة رؤسائهم وكبرائهم وقدمائهم، في ذلك الوقت والزمان، يوم الجمعة في خفي مكان، فتفاوضوا الأمر وأبرموه، وشدوا عقدته وأحكموه، وتعاطوا بينهم الأيمان والعهود، وحققوا الوفاء بالعقود، على قتل أهل كل بلد مَن عندهم من المسلمين موجود، في يوم معين عندهم معدود، وزمن مؤجل معروفٌ وقته مشهود، فحين

---

(١) ناروا: هربوا.

(٢) من مدن محافظة الأسياح بالقصيم.

ثم ذلك الأمر وانقضى، انصرف كل إلى بلده ومضى، ولم يكن عند المسلمين من ذلك خبر، إلا أنهم على ما يصدر عليهم في حالة يقين ورضا، فأرسل أهل تلك الأوطان إلى سعدون بن عريعر، يخبرونه بذلك الحال والشأن، حتى يقدم ومن معه من البدوان، فكان قدوم ذلك الرسول عنده هو المنى والسول، فبادره بإعطاء البشارة بعدما أعلمه بالمأمول، وأنه سريع الحصول، فبادر إلى الأمر في الحال، وآذن في جميع البوادي بالارتحال، فأقبل بنو خالد كافة وعنزة وجدوا في السير والإقبال، تعجيلًا لذلك المرام الذي لم يخطر له على بال، وقد داخله من السرور والاستئناس، ما لا يُعرف حدّه ولا يقاس، وقال: الآن حان للزمان أن يفي، فننتهز الفرصة ونشتفي، وقد قرب أن يطلع لي بأفق نجد، نجم العز والفخر والمجد، وينتشر صوت صيتي في الأقطار، فأكون حامل راية الشرف والافتخار، فتنحطّ لهيبتي رقاب الملوك، فلا يروم أحد لمنهجي سلوك، ولم يختلج في لبه أن شمس عزه قد أذنت للغروب بدلوك، وأن جيشه مقدر عليه أنه موتور به مفتوك، وأنه يرجع من حيث جاء معثورًا مقروحًا منهوك، فسار بمن معه من الحماة والكماة والأنصار، يريد أهل تلك الديار، حتى ينجز منهم ما دبّر وصار، ولسان الحال يتلو عليه ولكن لا تأمل ولا اعتبار ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾، وحين قارب أن يلقي عصا السير والترحال، ويحط عن الظهر الأثقال، في أرض تلك البلدان، أسرع أهل الشر والعدوان، وشرعوا الأسنة على أهل الإيمان، فقتل أهل الخبراء[1] إمامهم في الصلاة منصور أباالخيل يوم الجمعة، وهو للصلاة مريد، فقطعوا منه الوريد، وقُتل ثنيان

---

(١) من مدن القصيم.

أبا الخيل، وقتل آل جناح رجلًا من أهل الدين مكفوف البصر، وصلبوه بعصبة رجله، وفيه رمق من الحياة، وقتل آل شماس أميرهم علي بن حوشان، وفعل بقية أهل البلدان مثل ذلك الفعل والشأن.

ومن لطف الله تعالى بأهل بريدة، وسلامتهم من الشيطان وكيده، وتوفيق الله لهم وكرامته، وحفظه لهم وعنايته، أن سليمان الحجيلاني وابن حصيّن وغيرهم عزموا على الردة، وثبت ذلك عند حجيلان، فلما أقبلت تلك العربان بادر حجيلان إلى قتلهم، فقُتلوا ولم يدركوا ما أملوا، ثم أرسل إليه أهل عنيزة على سبيل السلام والإكرام، وإظهار المبادرة في الامتثال والاعتزام، مَن عندهم مِن معلّمة الأحكام، ومفهّمة التوحيد الذي خُلقت لأجله الأنام، وهما عبد الله القاضي وناصر الشبلي، وقالوا: هؤلاء إليك قربة، ومن تقرب إلى الله تعالى بهم كفّر ذنبه، وهم منا إليك هدية، وليس في قتلهم علينا ولا عليك عار ولا إزر ولا خطيّة، ولا مسبة عند الناس ولا رزية. فجرد عليهم صارمه وبأسه، وأسقى كلًا من صِرْف الِحَمام كأسه، فلبس من الخزي لباسه، فقتلهم حين جاؤوه صبرًا، فنال من مولاه حربًا وإزرًا، وحقق الله تعالى لأهل الدين شهادة وأجرًا.

فلما استقر في تلك الفجاج الفسيحة الوسيعة، مع تلك الجيوش والأسلاف[١] الهائلة المنيعة، لبس أهل الشر والفساد، وأهل الشقاق والنفاق والعناد، من أهل تلك الأوطان والبلاد، ملابس السرور والفرح، وزال عنهم ما كان في قلوبهم من الهم والأسى والترح، وجاءت منهم جموع وأجناد، وأنصار وأمداد، كيف لا وهم الذين قدحوا في ذلك الزناد، وأَوْرَوْا جمرة الفتنة أعظم

(١) الأسلاف: الجماعات.

الإيراء والإيقاد، وأرووا شبَا المواضي[١] من ثغور أولئك العباد، ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١٩٦ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

ولما نزل بذلك المحلّ، عجل الله لأناس من جماعته الأجل، فبادروا إلى بريدة في الإسراع، وراموا ههنا حصول الأطماع، فلم يَؤُبْ إليه منهم إلا الأقماع، فداخله الرعب والارتياع، حين أرسل إلى بريدة يريد الخيانة، فأرسلوا إليه تلك الرؤوس، وقالوا هذه ضيافته وحشيمة الإقامة والجلوس، فتشبط غيضًا وغضبًا، وآلى إن ظفر بأهلها أن يُقطعهم إربًا إربًا، ويوقع فيهم من الفتك والهتك أمرًا عجبًا، وشمّر إلى أهلها في المنازلة، وكانت منه إليها معاجلة، ولم يحسب أنها تبقى إلى أمد بعيد، فضلًا عن كونه يرجع عنها ولايفيد، بل جزم أنها مفتوحة عن قريب، وأن سعيه لا يضيع ولا يخيب، فآب أول يوم المنازلة بالخيبة والحرمان، والقتل والذل والهوان، وقُتِل جماعة من قومه، في ساعته تلك لا يومه، ثم عاد والحملة يومًا آخر على السور، فرجع منقوصًا موتور، وقُتِل من أولئك الحمر السود، كل من رام الهدم للسور أو الصعود، وبقيت قتلاهم لا تنتقل، ولا ترفع للدفن ولا تُحمل، بل بقي غالبهم ملقىً مهمل، غير أنهم صاروا للعاديات مائدة، فهي إليهم تلك الأيام كل حين قاصدة، وصادرة وعائدة، فبقي أيامًا حائرًا متندمًا، ثم أجمع رأيه وعزمه محققًا مصممًا، أنه يسوق عليهم جميع الآلات والخلق مزدحمًا، ويَلِجُها بعد هدم بروجها وأسوارها مقتحمًا، وأنه يعاقب من الجيوش من لم يره متقدمًا، فنهض إلى إنجاز ذلك العزم، وإنفاذ تلك الهمة والحزم، وبادره على تؤدَة من الصباح، متيمنًا بالبكور في النجاح،

(١) الشبا: جمع شباة، والمراد بها شباة السيف، وهو حده القاطع. والمواضي: السيوف القاطعة؛ سميت بذلك لكونها تمضي في جسم الإنسان إذا ضُرب بها.

وحصول الأرباح، كما يروى في الأحاديث غير الصحاح: «**بورك لأمتي في بكورها**»(١) وليس على راويه من جناح.

فأقبل بكيد عظيم مهول، يحق للألباب عند رؤيته الإزالة والذهول، فصبر أهل الدين وصابروا، وجَدَّ أهل الباطل وكابروا، وراموا اقتحام البروج والسور، وهدم تلك الحصون والقصور، والهجوم على أهل تلك الدور، فثبت الله لأهل الحق القلوب، ولم يكن أحد منهم بمذعور ولا مرهوب، فرجع ولله الحمد مذعورًا مرعوب، مهزومًا مغلوب، وما أغنى عنه ذلك الكيد شيئًا، وكانت له الذلة والمقتلة فيئًا، ثم بعدما صدر منه ما صدر، وجرى منه ما تبين وظهر، عض من الغيظ الأنملة، حيث لم يرجع بما كان أمَّلَه، وبقي على أفعاله السالفة، وقضاياه التي هي للشرع مخالفة، متحسرًا متأسفًا، متندمًا متحيرًا متحسفًا، فتفاوض مع أولئك الرؤساء، الذين هم لا يزالون عنده جلساء، في ما يدفع عنه الهم والحزن والأسى، واتفق الرأي السديد الجامع، والأمر الذي هو للمراد قاطع، وللعدو مذلة قامع، وللمقاتلة مزعج رادع، أنك نصبت لأجل هدم السور مدافع، ويأتي لها بحكم ومدافع، فلا يبقى لأهل البلد عن ذلك دافع، ويصير لك معاند ومشاقق متابع، ولحكمك منقادًا طائع، فأجابهم أن هذا هو الرأي السديد، وسينجز هذا قريبًا غير بعيد، فشرع في أسباب ما كان لهم به مجيب، وإنجاز ذلك الأمر الذي هو في زعمهم صائب مصيب، وجمع له أهل تلك الأوطان من جميع البلدان، من أنواع الصفر جملة، وأنجزوا له في قريب مدة ومهلة، فلم تمض من الأيام مدة، حتى اتفق عنده من ذلك عدة، وشرع في

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧٥٤) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٨٤١) وأخرجه أبو داود (٢٦٠٨) والترمذي (١٢١٢) وابن ماجه (٢٢٣٦) بلفظ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**» وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٣٠٠).

صبّها الصانع، فكان في إحكام هيئتها طامع، وأقام يعالجها في إحكامها أيامًا، فلم ينل من ذلك مَرامًا، بل حاز ذلة وخيبة وآثامًا، وأطال في ذلك الأمر مكثًا ومقامًا، وكلما صبها أبت، وكلما أفرغها في القالب خَبَت، فلم يتم لها حال ولا استقامة، ولم يدرك منها مقصوده ولا مرامه، وعرف في باطنه أن لهذه شأن، وإن لم يفي بذلك لسان، وكل يوم أو غالب الأيام، يجري قتال وجلاد مع أولئك الأقوام.

وأهل الدين والهدى، لم يبالوا بمقام أهل الردى، بل كل يوم من الحزم في مزيد، ومن البأس والنصرة في تجديد، ومن الله تعالى في إعانة وتأييد، فكان حالهم عبرة من الله تعالى للعبيد، وآية يستيقنها قلب كل جبار عنيد.

وفي أثناء تلك الإقامة، بني قصرًا وأنجز إتمامه، وجعل فيه عدة من الرجال، وذوي البأس في المجال، وكان موضع ذلك ليس إلى الحلة إليه من سبيل، فانتدب المسلمون إليه ليلًا، فنالوا من مرادهم نيلًا، وقد أعلمهم أهل الإسلام، أنهم يريدونهم جنح الظلام، فعجلوا لهم بالإعلام، وبادروهم في ذلك القصر، فهُدِم وأُزِيل، وبقي كل مَن فيه مجنَّد لا قتيل، ولم ينج منهم سوى واحد، وكان بالخبر عن قومه وارد.

وفي أثناء تلك المدة، أغار سعد بن عبد الله أمير الرس مع جماعة من قومه على سارحة أولئك الأعراب، فأخذوا غنم سعدون، وكانوا نحو أربعمائة في الحساب، تسمى تلك الغنم الدغيموات، كثير من غنم تلك البريات.

وفي أثنائها أيضًا عدا أهل بريدة على بيت من الشعَر، جعله عبد الله بن رشيد للحرب من التيه والبطر، وكان فوق النهير[1] مشهورًا، وفيه آلات للحرب

(١) بئر وبستان نخل جنوب بريدة.

وزهبة[١] فأضحى لديهم مجرورًا، وقتلوا فيه أربعة رجال، ورجعوا في ضحوتهم في أحسن حال، فلما مضت من الشهور مدة، نحو خمسة في العدة، وتحقق له من مراده الحرمان والخيبة، وأراد لأهله الانصراف والأوبة، عزم على اقتحام البلاد، والدخول على أولئك العباد، وقد صنع مترِيسًا[٢] من الخشب، يسمى عِجلًا عند أولئك العرب[٣]، يرد الرصاص عمن فيه، فلا يضره ولا يؤذيه، فلما ساقوه إلى مرقب البلد، وكان في ذلك المرقب عشرة من العدد، تكلموا مع أهل المرقب، وذلك أن عثمان آل أحمد استفتح وهو مع ساقة العجل، وجَدَّ في الدعاء واجتهد، ورفع صوته وقال بفصيح اللسان والمقال: اللهم انصر مَن هو مِنَّا على الحق. فأمَّن على دعائه أولئك الخلق، وصار أهل المرقب عند سماعه من المؤمنين، فكانوا هم أهل الحق، فلذا صاروا من سطوتهم مُؤَمَّنِين، وحاولوا فيهم نكاية، فلم يحصلوا على غاية، واجتهدوا أن يدركوا إليهم وصولًا، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلًا، ورُدَّ كُلٌّ منهم خاسرًا خائبًا ذليلًا، وتُرِك أكثرهم ذليلًا.

ثم بعد ذلك حمل على البلد حملة هائلة، وأصبحت تلك الأمم عليها صائلة، وعلى جميع أركانها جائلة، وإلى تسور الأسوار مائلة، يساقون بالسيف من أعقابهم، في مسيرتهم وذهابهم، فازدحموا عند السور والبروج، فلم يفوزوا منها بصعود ولا عروج، بل قطعت عندها الحناجر، وأعان الله تعالى مَن بها مِن محاصر، وكان له عونًا وناصر، فطار عند ذلك الاقتحام، وهول ذلك الازدحام، كثير من الروس والهام، من تلك الأقوام، وانقلبوا بخيبة المقصود

---

(١) الفشك والرصاص.

(٢) المتريس: ما يتترس به الرجال المحاربون في الحرب، فيكونون خلفه ليقيهم رصاص البنادق أو الرماح. وهو الترس.

(٣) العِجل هنا: صندوق من الخشب، يسير على عجلات.

والمرام، من ذلك البأس والإقدام، فلم تسر إليها بعد ذلك أقدام، ورجع أهل الحق بالفوز والأجر الجسيم، والعناية والقبول من الله الكريم، كما قال سبحانه في الذكر الحكيم: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾، وارتحلت قبائل أولئك الأحزاب والعربان، عن ذلك الموضع والمكان، بأمر عظيم من الخزي والهوان.

ولما سارت تلك العشائر، خرج حجيلان ومن معه مسارعًا مبادر، ففاجأ بريدة آل شماس، وقتل من وجد بها من أولئك الناس، فأوقع بها النقمة والبأس، وخرج غالب أهلها نائرين، مع تلك الجيوش السائرين، وعرفوا أنها ليست لهم بدار مقام، فهربوا مع أولئك الأقوام، وشدوا في الانهزام.

ثم بعد صدور تلك القضية، وانصراف العساكر بالرزيّة، ضاق وسيع الفجاج، على من ساعد ذلك المنهاج، وانزعجت قلوبهم أشد الانزعاج، فلم يجدوا عن الدخول في حوزة الإسلام بُدًّا، ولم يبصروا سواه قصدًا، فأقبلوا على حجيلان يريدون الإسلام والإيمان، وأعطاهم الأمان، وأجابهم إلى ذلك الشأن، بعدما شرط عليهم النكال، فكُلٌّ بذلك دان، وأقبلوا إليه مسرعين، وحدانًا ومجتمعين، ووفدوا بلدًا بلدًا، ولم يبق إلا أهل عنيزة بُعدًا.

وفيها غزا ركب لأهل بريدة في أثر سعدون، يطلبون الاختلاس من تلك البوادي ويريدون، فوافقوا ظهرة مع النفيشي بأرض المستوي[١]، فكان ذلك الركب لجميع الظهرة محتوي، وقتلوا جميع الرجال، وأخذوا ما معهم من الأموال، وقد كان مع تلك الظهرة لأناس من أهل المدينة مال كثير، فأمر بأدائه

---

(١) مفازة واسعة تقع إلى الجنوب الشرقي من القصيم. «المعجم الجغرافي - بلاد القصيم»؛ للعبودي (ص ٢٢٥٦).

عبد العزيزالجليل منه والحقير، فأدي تامًّا من غير نقص ولا تغيير، لأنها كانت أوقافًا وأحباس، فلم يرد أخذها لأولئك الناس، وإن لم يكن فيه معرة ولا بأس.

**وفيها** ارتداد أهل الروضة، لما كان من سعدون إليهم أوضة[١]، وأقبل إليهم بالعساكر والأجناد، عجلوا بالردى والارتداد، وخلعوا ذلك العهد، فخابوا وخسروا ولم يفوزوا بقصد، فلما ظهر منهم ذلك الحال والشأن، بادر أهل التوحيد والإيمان، إلى قلعة البلد، فشمر كل ساعده فيها واجتهد، وتحصنوا فيها، وأقبل سعدون وجموعه، فطاف بها هو وربوعه، وجَدَّ تلك الأجناد مع أهل البلاد، في محاصرة أولئك العباد، وأقاموا على ذلك أيام، حتى حاول في قطع مائهم أولئك الأقوام، فلما شعروا بذلك فزعوا، وخافوا على أنفسهم وجزعوا، فطلبوا على أنفسهم الأمان، وخرجوا بعد الاستئمان، واستولى سعدون وآل ماضي البلاد، ثم نهضوا بعد ذلك إلى أهل الداخلة[٢]، وكان فيها محمد بن غشيان، وأناس من أهل النجدة الفرسان، فحاولوا إليهم الوصول، فلم يكن لهم إلى ذلك حصول، ونالوا من أولئك الحماة، ورصاص المجيدين الرماة، ما أذهل منهم الألباب، وردهم على الأعقاب، فلم يكن لهم على الإقامة مصابرة، ولا على تلك العصابة مكابرة، فانصرفوا بالخيبة والحرمان، وقد قُتِل منهم أشخاص غالبهم من الأعيان، وثبت بلدان سدير على الدين والإسلام، بعدما كان من سعدون القدوم والإقدام، والأمور الهائلة العظام.

وكان إذ ذاك حسن بن مشاري رحمه الله، في جلاجل مقيم، فصانهم الرحمن الرحيم، عن تعاطي أسباب الجحيم.

---

(١) أي: عودة.

(٢) من بلدان سدير.

ولما بلغ عبد العزيز، حرسه الله، ما صدر من أهل الروضة وجرى، وعلم به يقينًا ودرى، أمر سعودًا أن يتجهز والمسلمين، حتى ينقذوا أولئك المحصورين، فبادروا في الأهبة والجهاز، وكان ذلك سريع الحصول والإنجاز، فظهر سعود يريد التعجيل إليهم والانتهاز، وحين وصل إلى ثادق نزل حتى يتلاحق الجموع والدول، ثم يسير بتمام أهبة على عجل، فيدرك عند ذلك الأمن، فلما بلغ سعدون ظهور العصابة المنصورة، وأن ألوية العز عليهم خافقة منشورة، ورايات الإمداد مرفوعة، على رؤوسهم مشهورة، حصل له الرعب والإرجاف، فلم يكن له عند ذلك صبر ولا ائتلاف، بل أخذته الذلة والارتعاش، ولم يحصل لأهل البلد منه بعد ذلك انتعاش، بل ولى مدبرًا وانحاش[١].

فلما ارتحل وشرع في السير، انتدب أهل الإيمان من قرى سدير، ما معهم من الإمداد، مثل حسن بن مشاري وابن غشيان وقومهما من الأنجاد، فبادروا أهل الروضة بالقتال والجلاد، فخرج إليهم أهل الشر والفساد، وطال بينهم القتال في ذلك المجال، وقُتل منهم عدة رجال، منهم أميرهم عون بن ماضي، ثم ولوا مدبرين، وأقاموا بعد ذلك منحصرين، ثم أقبل سعود بجيوش المسلمين، فنزل على أولئك القوم المحصورين، فأخذ جميع الحلل التي كانت في النخل، ومكث أهل البلد في حلتهم، متحصنين في محلتهم، وفي قلعة البلد أناس من آل ماضي ورجاجيل لسعدون بن عريعر، فطال عليهم الحصار، وشرع سعود في قطع النخل والأشجار، فلما تحققوا بهم نزول النقمة والباس من رب الناس، وغلبهم القنوط والياس، طلبوا من سعود الأمان، واللحوق بأهل الإيمان، فأجاب طِلبتهم، ولبى دعوتهم، ونزلوا على حكمه، وما اقتضاه منير

---

(١) أي: هرب.

فهمه، فعاهدوه على الإسلام، والتزموا بجميع الأحكام، واعتذروا من سوء ذلك القيام وقبح ذلك المرام، واشتروا منه جميع ما في البلد من الأموال بدراهم نقدوها له في الحال، وأمر بجلاء آل ماضي ومن ساعدهم من الرجال، فخرج عنها جميع أهل الشر والفساد، وأمَّر عبد الله بن عمر على تلك البلاد، وانصرف سعود راجعًا.

**ثم دخلت السنة السابعة والتسعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** سار سعود بالمسلمين يريد أهل الخرج، ذوي الفساد والهرج، فلما وصل إلى قرية الحائر، أُخبر في أثناء طريقه وهو سائر، أن آل مرة هنالك، فأمر على الدول بالرجوع وانصرف عن قصده ذلك، وسار بالجيش يريد فريقًا من مطير يُدعون الصهبة، فعمد إلى ذلك الفريق وطلبه، وحث الجياد في السير؛ لئلَّا ينتذر فريق مطير، وكانوا على المستجدة[1]، فبذل في التعجيل جهده، فلم يفجؤهم إلا غارة الخيل، وكانوا في سرعة اللقاء كالسيل، وشدوا للارتحال في الأظعان، والحروب عن ذلك المكان، وبقيت حماة الفرسان، مشمرة للذب عنهم في الطعان، حتى أعياهم الأمر وعالهم، وغشيهم من مرارة المران ما هالهم وكدر بالهم، فمزق الله تعالى رجالهم، وشتت حالهم، فأُخِذُوا بذلك السكان عن قريب، ولم يكن لهم في السلامة نصيب، وقُتل منهم رجال كثيرة وشجعان شهيرة، مثل خلف الغغم ودخيل الله بن جاسر، وغنم المسلمون ما معهم من الأموال، وانصرفوا في أحسن حال.

**وفيها** غلا الزاد جدًّا، وبلغ في الغلاء حدًّا، وأخذ الناس من ذلك الجهد والبلا، وكان سببًا للفناء والبلا، وطال ذلك على أهل نجد وسكانها، ولم يروا

---

(١) قال ابن بشر (١ / ٧٧): «المزرع المعروف». وهو يبعد عن حائل ١٢٥كم جنوبًا.

مثله في أزمانها، وعم ذلك جميع بلدانها، فسقموا من الجوع، وليس إلا إلى الله الرجوع، واستمر ذلك سنين، وبقوا تلك المدة مُسْنِتِين، وقد حالت عليهم السنين والأحوال، وشاهدوا أشد الأهوال، ومات من ذلك كثير من النساء والرجال، فضلًا عن البهائم والأطفال، فكان كثير إذا شرع في الصلاة خرَّ وسقط، حتى يظن رائيه أنه من الجن قد اختبط، ووسوس في عقله واختلط، فالتجأوا إلى مولاهم في كشف ما هَمَّ، ودفع ما نزل بهم ودهم، فأجاب جل وعلا دعاء ذلك الملا، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وينجح أمله ورجاه، فأنزل الله تعالى في قلب عبد العزيز الرأفة والرحمة والتحنن بضعفاء تلك الأمة، فأمر جميع البلدان في تلك السنين والأزمان، أن أهل كل بلد ومكان، يُحْصُون ما عندهم من المساكين والضعاف، ويقيتونهم من الطعام ما به قوام وكفاف، فامتثلوا أمره وقوله، وانتهجوا عمله وفعله، وقام، حرسه الله، في الناس حين حلول البأس أعظم قيام، فأفاض من الإنعام على أولئك الأنام، خصوصًا أهل الحاجة والأرامل والأيتام، وشمّر بالإحسان منتدبًا، وجد في المعروف والبر محتسبًا، وكان لأجره من الله مرتقبًا، ولم يزل على تلك الحالة مستمرًا، حتى كشف الله تعالى عن الخلق ضرًا، فنال بذلك ثوابًا وأجرًا، وحاز مجدًا وفخرًا.

**وفيها** مقتل زيد بن زامل، وذلك أنه أغار على أهل سبيع، وهم إذ ذاك على الرياض، فأخذ عليهم إبلًا ثم انصرف من ساعته من غير ارتياض، ففزع على أثره سليمان بن عفيصان، وليس معه إلا جماعة يسيرة من أهل الإيمان، فجد السير في طلبه، وحث المطي في عقبه، فأدرك ابن زامل مع قومه، وكانوا يزيدون على ثلاثمائة راكب بأرض يقال لها الحَنية[1] من نجد، فشن عليهم

(١) بمحافظة الخرج.

الغارة، فنال بذلك أعظم قصد، وقتل زيد بن زامل، وانهزم جميع من معه من القبائل، وأخذ بعضًا من ركابهم، وفك الإبل وولّوا على أعقابهم، ورجع سليمان ومن معه بالنصر والأمان.

**وفيها** أهدى عبد العزيز، حرسه الله تعالى، إلى سرور والي مكة المشرفة خيلًا وركابًا، وكرمه بذلك وشرفه، وقصده بذلك التشريف والإكرام، وإهدائه ذلك النفيس الذي هو أجل الحطام، الرخصة لأهل الدين والإسلام، في أداء واجب الافتراض والالتزام، خامس أركان هذا الدين، على التحقيق والجزم واليقين، الذي مُنِعُوه من سنين، وكانوا على قضائه متوجدين، فجاء الأمر منه في ذلك بالرخصة، فشمر المسلمين وانتهزوا الفرصة، فحجوا ذلك العام، وكانوا نحو ثلاثمائة من الأنام.

**ثم دخلت السنة الثامنة والتسعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** عدا براك بن زامل وأهل اليمامة، على منفوحة فسبق النذير أمامه، فلم يردوا أهل البلد، حتى تأهب كل منهم واستعد، فحين أغاروا عليهم بادروا في الخروج إليهم، فاعتنقوهم سراعًا، وأرهقوهم بأسًا ووقاعًا، وجالدوهم فجلدوهم، وفرقوا جمعهم وبدروهم، وقتلوا من القوم المعتدين، نحو خمسة عشر وفيهم أناس من المرتدين، فأتي سعود بذلك الخبر، فجرد عزمه لطلابهم، وظهر وجد في أثرهم، فلم يدركهم فرجع وصدر.

**وفيها** غزا سعود، حرسه الله تعالى، بالمسلمين يريد الحسا، فأعمل في ذلك العيس، وجد في السير والسُّرَى فلم ينخ ما سوى المكتوبة والتغليس، حتى هجم من ذلك الوطن وقرايا تلك السكن، على قرية يقال لها العيون[1]، فألقاهم

(١) من قرى الأحساء، يُنسب لها «العيونيون» الذين أزالوا حكم القرامطة.

وقد استولى الكرى على العيون، فدبّر أحواله وشؤونه، وأهل القرية لم يأتهم عنه خبر ولا يظنونه، فلما أن نسخ حالكَ الديجور شعاعُ الضياء والنور، وفرغ في صبحته من دعائه وسُبحته، نهض إلى ما هيأه وأراد، ووطئ ما خرج عن الحصن من مساكن تلك العباد، وأخذ جميع ما في تلك الدور والبيوت، من الحيوانات والأمتعة والقوت، وبقي ابن مهنّى وجماعته في الحصن متحصنين، وناوشهم المسلمون القتال وكانوا من الخوف على أعمارهم مجتهدين، فلم يدركوا منهم مرامًا، ولم يطيلوا عندهم مقامًا، وانصرف المسلمون عنهم، ورجعوا منهم، وقد قُتِل ناصر بن عبد الله وعبد العزيز ديان.

ولما أقبل سعود، بلغه الله تعالى المقصود، من الأحسا راجعًا، ولأمله طامعًا، اقتضى رأيه السديد، وفكره المصيب الرشيد، أن يعبر على اليمامة، فألفاهم وقد خرجوا جميعهم أمامه، وساقهم القضاء والتقدير، ونفوذ حكم الإرادة والتدبير، لما أراد الله عزه ونصره وإكرامه، وأن يحل بأعداء هذا الدين بأسه وانتقامه، ويسقى كلًا من أهل الشر كأسه وسهامه وحِمَامَه، فاشتاقت نفوسهم إلى الخروج للتنزه والابتهاج، ومطالعة أزهار الرياض في تلك الفجاج، فلم يستقروا في تلك الرياض، حتى وردوا من المنايا الحياض، فدهمتهم الفرسان من أهل الدين والإيمان، في ذلك الموضع والمكان، فراموا عند ذلك الشجاعة، ومد كل إليها باعه، وحسبوا أن لهم بها استطاعة، فلم يكن لهم ذلك ولم يُقدر، ودنا لهم أجلهم المحتم المقدّر، فحالت عليهم الخيول، وهب للمسلمين عليهم الصَبا والقبول، فشمروا عند ذلك للهزيمة الذيول، وولّوا على أعقابهم مدبرين، وقصدوا بلادهم متمزقين، وقد قَتَلَ المسلمون منهم نحو الثمانين، على التحقيق لا التخمين.

**وفيها** غزا سعود، حرسه الله تعالى، بالمسلمين وقصد عنيزة من بلدان

القصيم، وحث السير في ذلك مشمرًا لا ينيخ إلا في الضرورة ولا يقيم، فلما وطئ في جنح الدجى من تلك البلد أرضها، وقضى من صلاة الصبح سننها وفرضها، أغارت على طارفة البلد فرسانه، وطافت بفنائها شجعانه، فخرج إليها من أهلها كل ذي بأس شديد، واستمروا مع المسلمين في تصدير وتوريد، وبذلوا من الشجاعة ما ليس فوقه مزيد، وقُتِل بينهم في ذلك المجال بعض من الرجال، منهم من المسلمين ثنيان بن زويد[(١)] وغيره، وجرى بينهم مع سعود كلام في الصلح فلم يتم المقصود، ثم بعد ذلك انصرف عنهم وارتحل منهم.

**ثم دخلت السنة التاسعة والتسعون بعد المائة والألف.**

**وفيها** غزا سعود فأخذ إبلًا معاويد[(٢)] لأهل الحريق، كانت مودعة عند سبيع فأخذها من ذلك الفريق.

**وفيها** غزا سعود بالمسلمين يريد أرض أهل الجنوب، وكانت فِرقان اليمن له المطلوب، فألحّ السير إليهم حتى قدم عليهم، فألفاهم في أرض الرويضة[(٣)] يرعون، فألفى رئيسهم في قصر الرويضة، فأخذه وقتله وقرّب الله له أجله، ثم غارت خيوله ورجاله على أولئك الأعراب، وغشيهم من عظم العذاب أعظم سحاب، فلم يكن لهم على المقابلة قدرة، ولم يكن لهم في الرجاء حيلة ولا فكرة، فولّوا مدبرين على الأعقاب، وشمروا في الهزيمة والانقلاب، ولكن الله تعالى قضى أمرًا وقدر، واختاره ودبر، وذلك أن المسلمين لما كشفوا ذلك الفريق، وراموا أخذهم على التحقيق، أقبلت عليهم من فِرقان السهول كراديس

---

(١) قال ابن بشر (١ / ٧٨): «الشجاع المذكور».

(٢) الإبل المعاويد: التي ترفع الماء من البئر العميقة.

(٣) تبعد عن مدينة الرياض ٢٤٠ كم غربًا.

من الخيول[١]، فرجع عنهم حينئذ المسلمون، لأنهم إذ ذاك لم يكونوا لهم يعرفون، وفك الله أولئك الأقوام بعد ذلك الانهزام، ولم يعرف السهول جيش المسلمين إلا بعدما ألفوهم مدبرين، وكانوا معهم داخلين ولحكمهم تابعين، فكانوا على تلك القضية نادمين.

**وفيها** قتَل براكَ بن زيد آل زامل بنو عمه زويمل[٢]، ومعهم عبد الله بن محمد بن راشد، وظنوا أنهم يدركون حكم الدلم والرئاسة فسدت عليهم تلك المقاصد، ولم ينل كل منهم ما هو قاصد، وطردوهم أهل البلاد، وكانوا ذوي بغي وفساد، فقصدوا الدرعية، وطلبوا خطة الدين السويّة، ولم يكن يرد عن دخولها أحد من البريّة، ثم بعد ذلك الحين هربوا إلى الحسا مرتدين.

**وفيها** غزا سعود، يسر الله تعالى له المقصود، فشمر مع المسلمين يريد الخرج، فذكر له وهو في أثناء ذلك النهج، أن هنا ظهرة كبيرة وأمم من أهل الخرج والفرع كثيرة، ومعهم من الأموال وأصناف الأحمال ما لا يخطر على البال، فأقام سعود ومن معه على الثليما[٣] يرصد تلك الخلق المجتمعة، حتى أقبلوا يريدون الماء، وكانوا إذ ذاك على ظمأ، فشن الغارة عليهم المسلمون، فأخذوا السابق الذين هم للماء مسرعون، وقتلوهم قتلة رجل واحد، ثم أناخت الظهيرة ورام كلٌ منهم أن يُجالد، فاستمروا معهم ساعة في جلاد، ووقع المصابرة والاجتهاد، حتى تبين لهم أنهم لا يظفرون من السلامة بمراد، فعندها طلبوا من سعود السلامة على الرقاب، فأعطاهم ذلك وأجاب، ومنح الله تعالى عباده المؤمنين السلامة والنصر والتمكين، وغنموا تلك الأموال، وفازوا بالأجر

---

(١) الكردوس: الخيل العظيمة.

(٢) تصغير زامل.

(٣) قال ابن بشر (١ / ٧٩): «الماء المعروف قرب الخرج».

والإقبال، وقُتِل في ذلك المجال نحو سبعين من الرجال، منهم ابن زيد زامل وابن زيد الهزاني وسنان بن شاهين، وغيرهم مشاهير، وقُتِل من المسلمين نحو ثلاثة رجال.

**وفيها** قدم ربيّع وبدن ابنا زيد، وهما رئيسا المخاريم[١]، وجماعة من قومهما، على الشيخ وعبد العزيز راغبين في الإسلام، طالبين منهج الأمن والاستسلام، فعاهدوا على ذلك الطريق، وكان لهم في القيام بذلك هداية وتوفيق، فقد هدى الله تعالى بهم أناسًا من أهل الشرك وفريق، وصاروا ردمًا في الوادي لا يروم رأس الباطل هدم الحق فيه ولا يطيق.

**وفيها** غزا سعود بالمسلمين، متعهم الله تعالى بنصره سنين، فجد السير يريد الدلم من الخرج، وسأل الله تعالى أن يسهل له ذلك النهج، فناداه منادي الإقبال بلسان الحال، وهو ينصّ في تيك البيد الفساح: سر فليس عليك جناح، وقد قُدِّر لك الخير والصلاح، وأُعِدَّ لك الربح والأرباح، وتقدمك النصر والفلاح، وهُيِّئَ لك في فتح البلد مفتاح، فاطوِ القفار في الدجى، فعندك من حسن الرجاء ضياء ومصباح. فسار لذلك وشمَّر، وحث الجياد الضُّمَّر، فلم يطل لركابه إراحة الجران، ولم يلق لخيله رَسَن ولا عِنَان، حتى استقر في تلك البلدان، ورأت بالعيان ملتف تلك الجنان، فحينئذ ذاق طعم الكرى المُقَلُ والأجفان، بعد تعبئته الكماة والشجعان، وتدبير جميع ما له من شأن، فلم يضمحل سواد الظلام وينتشر سرعان الأنام، إلا وفرسانه عادية مغيرة، وسنابكها للعثير مثيرة، فكانت لمن صافقته مردية مبيرة، غير مؤمّنة ولا مجيرة، فعند ذلك علت في البلاد ضجة العباد، وغشيتهم أصوات الفزع والارتياع، والحزن والالتياع، فأقبل جميع مَن

(١) من الدواسر.

في البلد مِن المقاتلة والأفزاع، وراموا عن خلل النخل مجالدة ودفاع، فلم يجدوا إليه من سبيل، ولم يلغوا لهم به كفيل، فرجع كل منهم خاسئًا ذليل، وقتل رجال من أولئك القبيل، واستولى سعود جميع النخل وحللها، فنالت نفوسهم سُؤلها وأملها، ومكث أهل البلاد كافة محاصرين في القلعة، من المخافة وسحائب الذلة عليهم مظلة، ونوائب الجلاء بهم مطلة، وشجعانهم من الرعب مستذَلَّة، وأقدامهم إلى الهروب مستقلة، لا يجدون ساعة من الراحة، وحزب الدين مشمر في الحرب صباحه ورواحه، وقد أظهروا للتجلد علامة، وظنوا أنه يخفف مقامه، وحسبوا أنه يكون وسيلة للسآمة والتضجر، ولا يزالون يعللون النفوس بالمحال منه والمأيوس، تعلل المسجون بالآمال والمحبوس، حتى انقطع منهم الأمل والرجا، وعراهم الخطب وفجى، وشاهدوا منه مدلهم الدجى، وناء عليهم بكلكله وسجى.

وذلك أن سعودًا لما رأى ما هم به من الحصار، وأنهم لا يطول لهم مكث ولا قرار، اقتضى رأيه وفكرته، واستجمع نظره ومشورته، أن يبني قصرًا للمسلمين بين النخل وتلك الحلل، ويجيد بناءه عن الخلل، حتى ينقطع من أهل القرية الأمل، وينزلوا إلينا على عجل، فلما فرغ بناؤه وتم، ونوى سعود المسير ويترك أناسًا فيه وعزم، خرج جميع مَن في القلعة إليه، وعزموا على البيعة عليه، فحملوا حملة رجل واحد، وتقدم كل من هو في الحرب يجالد، ومَن هو على الثبات والصبر يساعد، فتلقاهم المسلمون بعزم باتر، وبأس مُجْدٍ غير فاتر، حتى أدار الله تعالى عليهم الدوائر، وكان لأهل الدين معينًا وناصر، ولأولئك الفجار مُذِلٌّ كاسر، فرجع كل منهم على عقبه خائبًا خاسر، وتمنى أنه لم يكن للقتال بارزًا ظاهر، وقُتِل منهم رجال كثيرة، منهم تركي بن زيد ورجال غير شهيرة، يزيدون على العشرين، وأقاموا في القلعة محتصرين، وهمُّوا بعد ذلك

اليوم أن ينزل على سعود جميع القوم، ولكن أسر إليهم بعض آل زامل ممن كان مع المسلمين نازل، فقال: اثبتوا مكانكم، والزموا أوطانكم، فأنا آخذ لكم الأمان، وأحكم لكم عقد الاستئمان. فكان بينهم وبين سعود واسطة، ولإحكام العهد رابطة، فأخذ لهم من الأمان عقدًا، وتمم لهم عهدًا، واشتروا منه ما في تلك البيوت والدور، من الحيوانات والأمتعة والسلاح والطعام ما ليس بمحصور، واستقر بينهم الأثمان، فانتقدوها بذلك المكان، ودخلوا في حصن الأمن والأمان، وفي دائرة أهل الإيمان، وأمَّر عليهم سليمان بن عفيصان، وكانت كافة نخلها بيت مال، فاء الله تعالى به ذو الجلال، وأجلى عن البلاد كل من جد في الفتنة واجتهد، ومَن كان قبل ذلك بالسبابة لهذا الدين معروفًا، وبالبغض له مشهورًا موصوفًا.

**وفيها** تبين ذلك الحال واشتهر، وشاع بين الناس وانتشر، رجفت قلوب أهل الجنوب، وحلّ من البأس والكروب وغياهب الخطوب، ما لم يَدَعْ لهم قلبًا، ولم يثبت لهم لُبًّا، فكلٌ منهم أرسل إلى سعود بالطاعة ولبّى، فأقبل أهل الحوطة وأهل الحريق وأهل اليمامة والسلمية وكافة الخرج، على سعود، فأحكموا للإسلام العهود، واشترط عليهم في النكال ما شاء من النقود، فكان جميع ذلك لديه محضرًا منقود، ثم انصرف بذلة لمولاه واستكانة، مكثرًا لحمد مولاه وشكره سبحانه، وقصد أهله ومكانه، ثم بعد انقضاء هذه الأمور، وصدور ما هو مزبور، وفدوا راغبين في الإسلام أهل الأفلاج، فأتوا الشيخ وعبد العزيز طلبًا لسلوك ذلك المنهاج، فعاهدوا على الإسلام، والتزام جميع الأحكام، فحسن منهم ذلك القيام.

**ثم دخلت السنة التي هي للمائة ختام، وبها يكون الثاني عشر للقرون تمام، ويتم بها العقد والانتظام.**

**وفيها** دبت بين بني خالد الفتن، واستحكمت في قلوبهم الشحناء والإحن، وسَعَوا في أسباب الحوادث والمحن، وجَدُّوا في أسباب القطيعة بما قدروا عليه من الأمور الشنيعة، فأضاعوا شَجْنَة الأرحام، وقام فيها ذوو الأحلام، فأراقوا بينهم الدما، وسلبوا البيض الدُما، وغدا بعضهم للبعض سالبًا، ولهلاكه مريدًا وطالبًا، فأصبحت الأرض من أفعالهم تعج، والخلق تجار إلى الله وتَضِجُّ، وتدعو الله عليهم بالإذلال وتعجيل الوبال، ولسان حال القضاء ينادي على أولئك الضُّلَّال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾.

**وفيها** جرت وقعة جضعة بين بني خالد[1]، وسميت بذلك؛ لأن المهاشير وآل صبيح خانوا لعبد المحسن والمنتفق ورئيسهم ثويني، فأخذوا مَن يليهم مِن العربان، فوقعت بينهم النهبة، وبدأ كل منهم في الآخر الرغبة، فنار[2] سعدون وجماعته على ظهور الخيل وقصد المسلمين، وترأس عبد المحسن ودويحس في بني خالد والحسا، فصار ذلك لعز الإسلام، ولإعلاء كلمة الحكيم العلام، أعظم مقدمة وطليعة، ولاستيطان التوحيد فيها ذريعة، فلم تكن بعد ذلك قوة تلك الأسباب عن ذلك مانعة ولا منيعة، وبشارة بالفتح معجلّة، ونصرة للدين لوقتها موجلة، فأقبل سعدون وقومه، وأرسل لعبد العزيز يطلب منه الأمان، فنهاه عن المجيء إلى البلد حتى يقف على ما عند ثويني من الخبر باستيقان، ويتحقق حقيقة الأمر والشأن، لأن بينه وبين ثويني قبل ذلك مهادنة ومصاحبة، فأراد أن يسد من ذلك أبواب المطالبة، فلم يبال سعدون لما ناله من الذلة

---

(١) يُنظر لمعرفة ماجرى بينهم: رسالة «بنوخالد وعلاقتهم بنجد»؛ للأستاذ عبدالكريم الوهبي.

(٢) نار: هرب.

والهون، بما نهاه عبد العزيز عنه فصار ذلك الإقبال منه، فتلقاه بعد ذلك عبد العزيز، فلم يشعر عبد العزيز إلا بقدومه، وسرعة دخوله البلد وهجومه، وكان لصلاته الجمعة خارجًا، ولسنة التبكير لها ناهجًا، فالتقى مع سعدون عند باب القصر، فرجع معه إليه، وأمر بتعجيل النزول عليه، وهيئ له ما أراد، ثم رجع إلى طاعة رب العباد، وقد حصل له من الكرب ما ناء بالفؤاد، وحصل له غاية المساءة والإنكاد، حين رأى قدوم أولئك العباد، ولكنه لما أتم الصلاة، وحصل له إن شاء الله من ربه الصِلاة، أسرّ بذلك الخبر، وأعلن للشيخ الذي هو للتوحيد أسنّ وأتقن وشرح له الحال، وبين له أن ذلك كدّر عليه البال، فجلا عنه الإمام جميع الشُبه والأوهام، وتلا عليه ما جلا الرَّيْن عن الأوهام، من الآيات المحكمات العظام، كما يفهمه كل قلب سليم ﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فلم يفرغ من قراءتها بالإكمال، حتى سري عن عبد العزيز ذلك الحال، وانجلى عن قلبه الكدر، حين تبين له المعنى وظهر، فلما بلغ ذلك ثويني تعاظم وتجبر، وصعّر خده وتكبر، وأرسل إليه عبد العزيز بألطف كلام، يستعطفه في قبول ذلك الأنام، ويبين له أني لم أنقض للهُدنة عهدًا، ولا أفتل لحبلها عقدًا، ولكن لا أجد عن قبول هؤلاء مندوحة ولا بدّا، وأنا لك بما تريد منهم كفيل، فلا تخش منهم أحدًا لا عزيزًا ولا ذليل، فلم يجنح إلى ذلك الكلام، وأنف من الاستعجاب والاستعظام، وجَدَّ في الحرب وشمّر، وأجمع رأيه عليه ودبر، فأرسل إلى البلدان يستعين على ذلك الشأن، وشرع في أحكام الأسباب والآلات، وتهيئته عددها المحكمات، وبارز في ذلك رب البريات، ونال من ذلك أعظم الرزيات، وأقبح الخزي والعقوبات.

وفيها غزا سعود، ونال من مطلوبه كل مقصود، فسار بالمسلمين ومعه بنو

خالد وآل ظفير مجتمعين، فحث السير ليلًا ونهارًا لأجل تعجيل المطلوب، وإنجاز المراد له والمرغوب، وقصده أسلاف قحطان[١]، وكانوا مقيمين بأرض الجنوب، فأعنق التسيار إليهم، ونص اليعملات[٢] عليهم، حتى طوى بأيديهم صحف الفيافي والقفار، ولم يجد دونها تلافي ولا اصطبار، وسُهّل له سهلُها وحَزْنُها، وحاط بأولئك همها وحُزْنُها، وعجلت إليهم الإنذار بما قد كان وصار، فأخذوا في تعداد وأهبة، وكان لهم إلى لقاء المسلمين رغبة، ففرحوا بذلك وطربوا، وودوا قدومهم وطلبوا، وقالوا: لظى الخطوب، ونار الوغى والحروب، لنا معشر أهل الجنوب، والهيجاء هي المراد والمنى، ونحن لها وهي لنا، أيظن سعود أننا مثل مَن لقي مِن الجنود، ومَن مارس من البوادي القرود! نحن الشُّمُّ العَرَانين الكُمَاة، وذوو البأس والنجدة في الوطيس والحماة، وسيعلم ذلك ويعاين، ويدري حينئذ على من هو كائن، ويتحقق ويشاهد ما لم يكن معه يعاود. ونفض كلٌّ منهم مذرويه[٣]، وكان شؤم ذلك القول راجع عليه، فلما صبّحتهم تلك الجنود والأجناد، أظهروا من البأس ما يذهل الفؤاد، وتدرعوا مدارع النجدة في الجلاد، فشاهدوا فرسان الإسلام منهم أسنة حداد، وأحساما صلابًا صلاد، وقلوبًا قوية شداد، فحف الله تعالى المسلمين باللطف والإمداد، وأعاد عليهم عادته في أهل الفساد، فشد عليهم الحملة أهل الدين والتوحيد، وأيدهم الله تعالى بالنصر والإعانة والتسديد، وأنفذ في أعدائه الوعيد، فشُرِّدُوا أعظم تشريد، وبُدِّدُوا أقبح التبديد، وصاروا بين طعين وشريد، ومقطوع منه الوريد، ومُزِّقُوا كل مُمَزَّق، وأجرى عليهم عادته وحقق، وغنم

---

(١) الأسلاف: الجماعات.

(٢) جمع يعملة؛ وهي الناقة النجيبة.

(٣) يقال: جاء فلان ينفض مذرويه: إذا جاء باغيًا يُهدد الآخرين. والمذروان طرفا الشيء.

المسلمون غنيمة عظيمة، وانهزم الأعداء أخزى هزيمة، واستولى أهل الدين والإسلام، جميع الأمتعة والأثاث والآبال والأسلحة والأغنام.

**وفيها** غزا حجيلان بأهل القصيم، ومعه من عنزة فِرقان، فذُكِر له أن هناك ظَهرة عظيمة خارجة من البصرة وسوق الشيوخ حضر وبدوان، فأمّ لهم منار الطريق، وكان من خبرهم على يقين وتحقيق، فأسرع بمن معه وتبعه حتى وصل إلى بقعا[1]، وأقام ينتظرهم حتى قدموا بعد ذلك عليه، ووصلوا بما معهم من الأموال والأحمال إليه، فتلقاهم بغارة مزعجة مرهقة، وأسنة ماضية للأرواح مزهقة، فطاعنوا ساعة وحينا، ثم انكشفوا بعد ذلك انكشافًا وهينًا، وكان كل منهم للذلة موثقًا رهينًا، فغنم المسلمون تلك الأموال، واستاقوا جميع الأعمال، وقتلوا عددًا من الرجال.

**ثم دخلت السنة الحادية فوق المائتين والألف.**

**وفيها** غزا سعود بالمسلمين، فنزل أرض ملهم[2] وأقام ينتظر إجماع المسلمين، فأتاه رؤساء الروسَه[3] من اليمامة، وأخبروه أن آل بجادي يريدون الارتداد، وقد دبروا إحكامه، وأجادوا على أهل التوحيد إبرامه، فشمر من ذلك الحين لإنقاذ المسلمين، وحقن دماء الموحدين، فوصلها ليلًا، وأدرك من التمكن منها نيلا، فلما أصبحوا وتحققوه، هموا بلباس الإسلام أن يمزقوه، فجالوا نظرهم فيه، فنظر كل منهم أن ذلك لا يفكه ولا ينجيه، فرموا جميعًا بأنفسهم إلى سعود، وقدموا إليه النساء لكي يوافق بالمقصود، فأنالهم شطر

(١) مدينة تبعد عن حايل حوالي ٩٥ كم.
(٢) مدينة تبعد عن الرياض حوالي ٧٠كم شمالًا. وهي إحدى بلدان إقليم الشعيب.
(٣) نسبَهم الجاسر في «جمهرة أنساب الأسر» (١/ ٣٢٦) إلى خثعم.

البغية، وأدركوا بعض المنية، وألزم عليهم الشيخ وعبد العزيز في البداية، وأجلى عنهم أهل الفساد والإذاية، ثم بعد ذلك يرجعون إلى بلادهم، وأظهروا لسعود الامتثال، وشرعوا في المسير إلى عبد العزيز والارتحال، فلما توسطوا في قلب الفلاة، كان في قلوبهم أعظم هناة، ولَوَوا إلى الحسا الأعناق، وجدوا في الوخَد إليها والإعناق[1]، وصمموا البعد عن اليمامة والفراق، فأم-ر عبد العزيز بهدم حلتهم التي تسمى البَنّة، وقد كانت باللهو مرنّة، فهُدمت ديارهم، وحُقق دمارهم، وأمّر سعود عبد الله الرويس في البلاد، وبنى حصنًا فيها وجعل فيه آلة الحرب والاستعداد، وأمّر في الحصن محمد بن غشيان، وأقام فيه مدة الزمان.

وفيها جرّ ثويني تلك الجرائر، وقاد على المسلمين تلك الجموع والعساكر، وتجاوز في ذلك المسير طوق البشر في التدبير، ورام أن يغالب الحكيم الخبير المدبر القدير، فتطاول في خروجه وتمطى، وبغى فيه وتخطى، ودبر من الكيد والأسباب والشؤون، ما لا يقدر على مثله ولا يكون، بل يعجز عن تحصيله الآخرون، وجزم أهل المعرفة بزعمهم، ومَن يدعي العلم بفهمهم، أن جيوشه لأهل الدين يغلبون، وأعرضوا عن وعد الله للذين هم يؤمنون، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، فسار بتلك الجحافل الجمة الغزار، والجيوش التي لا يحصي عدتها إلا عالم الأسرار، ولا يحيط بها إلا الجبار، حافة بتلك المدافع والقنابر الكبار، التي لا يقوم عندها حصن ولا جدار، ولا يثبت عند رؤيتها قلوب الصغار والكبار، فلم يزل يجدّ إلى نجد السير والمسير، ويستدعي في ذلك آراء الرأي والتدبير، من كل رئيس بالحرب خبير، وجليس

---

(١) الوخَد: السير السريع، والإعناق: السير بين الإبطاء والإسراع.

سيئ البطانة شرّير، يجلل له دماء أهل التوحيد، ويحثه على ذلك ويشير، ويدعي مع ذلك أنه من العلم والمعرفة بالمكان الكبير، ولم يدرِ أنه قاصر الباع، قليل الاطلاع، طافح الغور غير غزير، وأنه لا يملك من ملك الله فتيلًا ولا قطمير، وأن الله تعالى وعد أهل التوحيد والدين بالنصرة والظهور على المبطلين، وفتح البلاد لهم والتمكين، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، فلم ينثن لهم صارم عزم ولا همة، بل جد في ذلك الشأن وهمه، حتى أنزل في أرض التنومة[1] جميع تلك الأمة، وأحاطت بهم تلك المهمة، وغطتهم تلك الخطوب المدلهمة، وحلت بهم الكربة والشدة والغمة، والتجأوا إلى المفزع عند الشدائد، وطلبوا حسن تلك العوائد، والتحفوا القمص والأكفان، وقال كل منهم: الموت على الشهادة والإيمان، وسُنة مَن لنا من السلف والإخوان، ويأبى الله أن نتضمخ بوضَر الذلة والإذعان، ونبين عند الله والمؤمنين أننا غير صُبُر في الطِّعَان، ولا عند حلول الرزايا والامتحان، ونعوذ بالله من عاقبة الشرك والافتتان، وتسويل مكائد الشيطان، والاستسقاء من حوض الردى والذل والهوان، فليس هنا إلا التطلع إلى قصور الجنان، وما فيها من الحور والولدان.

ولما ثوى في ذلك المكان والمحل، واستقر به ونوى الإقامة ونزل، شرع في مجال القتال، وأحدقت بهم تلك الفرسان والأبطال، وأضرمت عليهم المدافع شرر النار، ولم يكن في قلوبهم منها انذعار، لما أفرغ الله تعالى عليهم النصر والاصطبار، وربط على قلوبهم فكان لهم من التثبت أجلّ قرار، وحث أهل المدافع والرماة، وندب الشجعان والكماة، وحرّض ذوي النجدة والحُمَاة، وجلب عليهم بخيله ورَجِله، ورام هدم التوحيد بأمله، فأبطل الله تعالى كيده

---

(١) من قرى القصيم - كما سبق -.

ومكره، وأظهر فيه وفي جنوده بأسه وقهره، فحاق به سوء عمله، فشرب حياض المرّ الهمّ بالأسف عَلَلًا بعد نَهَلِه، ورأى عقوبة ذلك عاجلًا قبل موافاة أجله، واستمرت تلك الأحوال الشديدة من أولئك الجموع العديدة، يقاسون كل ساعة منهم حدة وبأسًا، ولكن لا يرفعون إلى المذلة رأسًا، وبقوا أيامًا في ذلك المقام، كلُّ يوم تحيط به خطوب الحِمَام، ويتجرعون مرارة السّام، ولكنّهم صبّروا تلك النفوس الكرام، عن معاطاة أسباب الآثام، وآثروا دار السلام، وما عند الملك العلام، على هذه الدار الفانية، واشتاقوا إلى دار قطوفها دانية.

فلما آيس ثويني من مصادمتهم، وتعب من مزاحمتهم، واكترب من مقامه هناك، واضطرب لبُه فقيل ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾، مد أسباب الغدر، ونسج رداء الخيانة والمكر، فأرسل إليهم بالأمان، وزين لهم الاستئمان، والنزول عن ذلك المكان، والخروج إلى سائر الأوطان، وحاولهم في ذلك واجتهد، وكان الواسطة بينهم عثمان بن حمد، وكان هو من أولئك الجماعة، فظنوا أنه لا يروم بهم مكرًا ولا خداعة، وإن كان نفسه إلى الشر نزّاعة، فرضوا بذلك وراضوا، بعدما تحدثوا فيه وفاضوا، ولما استقر ذلك الأمان بينهم، دخلوا عليهم القلعة سريعًا فعجلوا للمسلمين حَيْنَهم، وقتلوا غالب مَن وُجِد، ولم ينج إلا من هرب وفُقِد، ونهبت تلك القرية، ونال ثويني من ذلك خزيه، وعجل الله تعالى له في الدنيا العقوبة، ولقي من قبيح صنعه وزره وحُوبه، ثم لما بدت منه هذه الخيانة وبدرت، وظهرت منه وصدرت، ظعن من ذلك الوطن، ونزل على بريدة واستكن، وناوش أهلها الحرب من بعيد، وهمّ أن يُنزل بهم بأسه الشديد، ويمكر بهم ويكيد، فأخذه الله ﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾، فأرجف قلبه وفؤاده، وأظهر له من الرعب ما حمله أن يؤم منهزمًا بلاده، وشتت شمله وجمعه

وأجناده، وأضاع هدرًا عليه من المال طريفه وتلاده[١]، فولى خاسئًا مهزومًا، مشتتًا مبعدًا مرجومًا.

ولما عزم على المسير، خرج من أهل بريدة لنفوذ التقدير، نحو سبعة رجال، وراموا أن يوقعوا في آخر الجيش نكال، فعجلت إليهم من تلك الخيول فرسان، فاقتطعوهم قبل وصول الجدران، وجد السير يريد البصرة، وقد أبدى الله تعالى فيه عبرة، وأراه شؤم تلك الأفعال، وجعل عاقبته تشتيت الحال، فحين وصل البصرة وقدم إليها، رأى الخروج على الباشة والتغلب عليها، وساعده على ذلك المتسلم، وكان لأمره مطيعًا مسلّم، وفي خدمته متقدم، ورُسِمت باسمه الخُطَب، وأبدى من التجبر العجب، فحدر عليه الباشا سليمان، في ذلك الزمان، والتقوا عند سفوان[٢]، مع تلك البدوان، فانهزم ثويني ونار[٣]، وهدم الله عزه وبار، وفَلَّ الله مَن له مِن أنصار، وعمد إلى الكويت وسار، وأقام فيها ذليلًا، يقاسي الهم زمانًا طويلًا، ثم جاء إلى الدرعية يريد الإسلام، فعاهد على الوفاء بالذمام، ثم نكث ذلك الإبرام.

ولما بلغ عبد العزيز، حرسه الله تعالى، وصول ثويني إلى نجد، جد في التأهب والاستعداد، وجمعه من الغزاة كل نجد، فجهز سعودًا عليهم أميرًا، حتى يكون لأهل البلد ظهرًا وظهيرًا، فلما انهزم ثويني وانصرف، وقصد بلاده وانحرف، جدّ سعود في أثره بالمسلمين، وكانت تلك الجيوش منهزمين، فلم يبرح، حرسه الله تعالى، يجهد في السير الركاب، ويجد في ذلك الطلاب،

---

(١) التليد: المال أو المكسب القديم. والطريف: الجديد.

(٢) من مدن محافظة البصرة بالعراق. يُعرف اليوم بصفوان.

(٣) نار: هرب.

حتى أدرك أسلافًا من شمّر، فشن الغارة عليهم وشمَّر، ورئيس ذلك الفِرقان وكبير تلك العربان، ابن جدي، فكان إليه مهتدي، فلما غطاهم من الغارة الغبار، ركب الفرسان الجياد والمهار[1]، وأقبلوا لتلقي الأبطال كأنهم في قرن، وصمموا على بذل الأعمار دون الأموال والظعن، وبذلوا في ذلك مجهودهم، ولكن الله لم ينلهم مقصودهم، فغلبتهم كلمة الحق، فلما عاينوا من أهل الدين الصدق، انهزموا وفروا، وما ثبتوا ولا قروا، فقتل المسلمون منهم رجالًا كثيرة العَدَد، وأخذوا ما عندهم من العُدَد واستولَّوا على جميع تلك الأموال من أثاث وأمتعة وزلال، وغنم وآبال، ورجعوا بأحسن الآمال.

وفي أثناء خروج سعود في ذلك الطِلاب، ظهر عبد المحسن ودويحس وبنو خالد أهل الحسا، يظنون أن ثويني لهم في انتظار وارتقاب، وأن بلدان نجد قد عمها من ثويني الخراب، وأنه مقيم هناك مع الأحزاب، لأنهم قد ثبت عندهم بلا شك ولا ارتياب، ونقله إليهم عدول ليسوا بكُذَّاب، أن ثويني ألزم على أهل الزبير، ألا يخرج أحد إلا بامرأته وعياله في ذلك السير، فامتثلوا أمره في الحال، وأظهروا معهم من الأموال للتجارة والابتياع، ولم يَجُلْ في خَلَدِهِم أنهم إليها يعجلون الارتجاع، لما يداخلهم من الذعر والرعب والارتياع، بل زعموا أنهم يقيمون أزمانًا عديدة في تلك البقاع، ولا يرجعون عنها حتى يدعوها صفصفًا قاع، فلذا ظهرت بعد ذلك بنو خالد، وكلٌّ على ذلك معين مساعد؛ فلم يُرَعْ بنو خالد وأهل الحسا، وهم إذ ذاك قد قطعوا الدهنا، يؤمون نجدًا ويؤملون بها إقامة وسكنًا، إلا الخبر اليقين، والعلم المحقق المستبين، أن سعودًا قد جدّ في السير والتسيار، وأن ثويني قضى عليه العزيز القهار، بالذل والانكسار،

(١) المهاري: من كرائم الإبل. نسبة لبلدة المهرة باليمن.

وكتب عليه الهوان والذلة والعار، والخزي والدمار، فكان ذلك عندهم من أشنع الأخبار، وأفظع ما يطرق القلوب والأفكار، واضطربوا غاية الاضطراب، وشمروا منهزمين في الانقلاب، وأرسل الله عليهم رجزًا من العذاب، فكانوا لا يلوي منهم أحد على أحد، والكل قد طار عقله وارتعد، وارتدى بأردية الموت واستعد، وقطعوا الدهنا في ذلك الصيف والصمّان، والكل منهم صادٍ ظمآن، فمات كثير من أهل الحسا، ونالوا مؤلم الهم والأسى، وتفرقوا في ذلك أيادي سبأ، وكانوا لمن بعدهم عبرة ونبأ.

**وفيها** غزا حجيلان بأهل القصيم ومن حوله من العربان، وقصد أهل الجبل فاستقر بذلك المكان، وأقام فيه مدة أيام وليال، وغالب أهل تلك البلاد إلى الدخول في الإسلام في إقبال، فقدم عليه في ذلك الزمن، كثير من بلدان ذلك الوطن، وعاهدوا على الإسلام، ورغبوا في الدخول والاستسلام، ومن أعرض عن ذلك وصد، تصدى حجيلان لحربه وقصد، وتأهب واستعد، وأقبل عليه بالحروب والحرابة، حتى يدين بالإسلام ويفتح بابه، وأخذ على من امتنع أموال، في ذلك الوقت والحال، حتى طاعوا للتوحيد بالإجمال، فلم يشد حجيلان للسير عنهم الرحال، حتى تلقى جميعهم الإسلام بأحسن استقبال.

**وفيها** وفد هادي بن غانم المعروف بأمه قرملة، على عبد العزيز أناله الله تعالى في الدارين ما أمّله، وكان هادي إذ ذاك في الإسلام راغبًا، وللدخول في الإيمان والتوحيد طالبًا، قد انشرح له صدره، وتبين فيه حاله وأمره، وبرق له من الدين بارق، ولمع منه له ضوء شارق، قبل أن يعرف الحقائق، ويسلك في أبيض الطرائق، فجاء مرغِمًا لكل عدو منافق، ومشرك ضال زاهق، وهجر من كان محبًا له مرافق، ومن كان على الباطل مصادق، ولم يكن ذلك الوقت والحين، في رئاسة قحطان من المعدودين، ولا من كبارهم المشهورين، ولكنه

ترأس بالدين، وصار له الإقبال من إمام المسلمين، لما صدق وتبين على المشركين، ونصح في جهاد المبطلين، فصار له تمكن عند المسلمين، فعاهد حين قدم على الإسلام، ولقد وفّى العهد والذمام، وقام بوظائفه أحسن القيام، وبدا له فيه طالع حسن، وجاهد فيه مَن عَبَد الوثن، وأخلص لله في السر والعلن، وتنصل عن الضلال الذي ترعرع فيه ونشأ، الشرك الذي ملأ جميع الحشا، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

**ثم دخلت السنة الثانية بعد المائتين والألف.**

**وفيها** تظاهر كثير من أهل الوادي بالإسلام، ورغب فيه جماعة من تلك الأقوام، وسبب ذلك الإعلان والاشتهار، وتبين تلك الدعوة والانتشار، أن ربيّع وأخاه بدن ابني زيد، رئيسي المخاريم[1] في الشرف والأيد، لما وفدا مع أناس من قومهم على الشيخ وعبد العزيز، وعاهدوا على الإسلام ودخلوا في حصنه الحريز، والتزموا الوفاء بجميع الأحكام، والقيام بذلك أتم القيام، وكان وفودهم قبل ذلك العام، فنفع الله تعالى به منهم خاصّا وعام، فلما أرشده الله تعالى وكان له مرشدًا وهادي، وتبين بدعوة التوحيد على أهل ذلك الوادي، أصبح كثير من أهل الضلال، بل أغلبهم له مبغضًا ومعادي، ولرد قوله ومعارضته بالباطل مُمَارٍ مبادي، وأطلقوا عليه أعنة الألسنة، وحاولوا البقاء على تلك السنن الباطلة المزمنة، والطرائق الخبيثة الضالة المنتنة، فعند ذلك الحال والأمر، بنى ربيّع له ولأهل الدين قصرًا، وشرع في تهيئة بنائه حتى أتمه وبناه، فلما فرغ من القصر والبنا، جهر بالدعوة مُجِدًّا معلنًا، وبادر بإزالة ما في ذلك الوطن من صنم ووثن، فأشعل في شجرة نار، وكانت معبدًا لأولئك الأشرار،

---

(١) من الدواسر - كما سبق -.

يزعمون أنها تجلب النفع وتدفع الأضرار، فلم يَرُعْهُم إلا دخان تلك الشجرة، وقد قضى منها الإحراق وطره، فعند ذلك تأسفوا عليها وتحرّقوا، وتجمعوا على الباطل بعدما تشتتوا وتفرقوا، وانتدبوا إلى عداوة من يتبين بالدين، ونهضوا ثاني يوم على ربيّع في قصره مجتمعين، وساروا يريدونه، وهموا بأنهم يذلونه ويردونه، وينزلونه في قصره ويهدمونه، ويجرعونه الحِمام ويسقونه، فحصروهم في القصر ثلاثة أيام، فصبر على ذلك أهل الإسلام، وقطعوا ما لهم من نخل، وبدا منهم قبيح فعل، وقتل المسلمون منهم رجلًا، ولم يدرك أهل الضلال منهم أملًا، فلما آيس أهل الباطل إليهم من الوصول، وعرفوا أنهم لا يدركون منهم مأمول، وأن المسلمين أكثروا فيهم الجراح، ولم يكن على أهل الدين من جناح، وتحققوا أن ليس في مقامهم لهم صلاح، وعزموا على المسير عنهم والرواح، أخذوا حمارًا مذبوحًا، وجعلوه في ماء أهل القصر مطروحًا، وكان ماؤهم خارج القصر من قريب، إلى حدّ ما يجيد الرامي به ويصيب، فأنتن بعد ذلك عليهم الماء، ووجدوا لفقدة ألما، وقاسوا منه شدة وظمأ، فبادروا إلى الحفير، فأظهر الله ماء عين غزير، فشربوا منه وارتَوَوا، وتيقنوا النصر من ربهم وارتجَوا، وحكموا به لقوة رجائهم وقضوا، فنالوا بذلك الأجر والفوز وحَوَوا، ولكنهم دفعوا بالتي هي أحسن، فأعطوا فرسًا من تظاهر بالشر وأعلن، فقبلوها منهم وانصرفوا، ورحلوا عنهم وانكفوا.

فأرسل ربيّع بن زيد يخبر عبد العزيز بذلك الكيد، ويعلمه بما صدر وجرى، إذ لم يكن به درى، فأمده بكثير مال وزاد، وأعطاه سلاحًا وأهبة الاستعداد، وأرسل عبد العزيز إلى مبارك بن عبد الهادي، بأن يساعد ربيّع ويقوم معه على أهل الوادي، فحين آتاه الرسول والمكتوب، بادروا إلى ذلك المطلوب، وسار حتى نزل ذلك القصر، وشد الله تعالى به لربيّع الأزر، فحاول جماعة

الخطاطبة[١] بناء قصر مشرف على ربيّع، وكانت لذلك طالبة، وفي إخراجه من قصره راغبة، فنهاهم ربيّع وحذرهم، وخوفهم وأنذرهم، فلم ينتهوا عن المراد، وشمروا في طرق الفساد، ونصبوا راية الحرابة، وشمر كل منهم في البناء ثيابه، فحين شرعوا في البنا، زادهم الله وهنا، وقتل المسلمون ذلك البنّا، فحين قُتل منهم بنّاهم، ولم يدركوا من البناء مناهم، بعدما غرهم الشيطان ومنّاهم، ألّب عليهم جميع أهل الوادي وتغلبوا، وراموا هلاك الموحدين وتطلبوا، وجمعوا لهم كثيرًا من الآلات، وسعوا إلى ذلك بأسباب وصناعات تسمى الزحّافات، وكانت صناديق من خشب مطبقة، لم يُدْرَكْ مَن بها ولم يُصَب، وفيها من ذوي البأس رجال، وبأيديهم مفاتيح تلك الأقفال، وتسير محمولة على دراريج، يُسمونها العجل أهل ذلك المحل، يرومون إذا قربوا من السور هدمه بلا محذور، وكان به من الناس متحصنين بدروع البأس، وفي كل صندوق ثلاثون من الأبطال، فساروا يريدون السور من غير إمهال، فلما قارب الجدار، لم يكن لهم إليه تيار، ولا وصول ولا اقتدار، بل وقفت الزحافات دونه بعد انكسار إحداهما وانكشاف الأخرى، فتبين من فيها، فأخذ المسلمون يرمونه فقتلوا منهم تسعة، ولم يكن فيهم ولله الحمد منعة، وزحفت تلك الجموع، وتداعت إلى هدم السور تلك الربوع، فرجعوا بالحرمان والخذلان، ولم يفدهم ذلك الكيد والشأن، وأخذ أهل الإسلام منهم سلاحًا ودروع، ولم يكن أحد منهم بما شاهد من الكيد مروع، ولا جبانًا ولا جزوع.

ثم بعد مضي ليال وأيام، أراد الملك العلام على بعض البروج الانقضاض، فصار لأهل الباطل على أهل الإسلام ركضة وانتهاض، فبادروا في الحال بلا

---

(١) من الدواسر.

إناءة ولا إمهال، وساروا على أهل القصر، وراموا بهم وقوع أمر، فحمى الله ﷻ المسلمين، وقتلوا ثلاثة من المشركين، ورجعوا ولله الحمد مجروحين مقروحين، ثم بعدما انقضى زمان وأمد، تجمع كل من أهل الباطل ونهد، وحزّب كل منهم وقصد، على أولئك الأقوام، وذلك حين وقع من السور بعض الانهدام، فوقع عند السور القتال والازدحام، وحمي الحرب وحان الحِمام، وحقن الله دماء ذوي الإسلام، وقتل من ذوي الشرك والضلال، في ذلك الوقت والحال، أربعة من شجعان الرجال، ثم طلبوا من المسلمين النزول والخروج، فكان للمسلمين إلى ذلك ميل وعروج، فأخذوا منهم الأمان، بشرط ما أخذوا منهم من السلاح في ذلك الزمان، والخروج عن ذلك المكان، ونزل المسلمون منه، وخرجوا بعد ذلك عنه، وقصدوا مبارك بن هادي، فكان بإكرامهم مُبَادي.

ثم بعد ذلك بأيام، قدموا على عبد العزيز الإمام، فأكرمهم جزاه الله ﷻ خيرًا غاية الإكرام، وأمدهم جميعًا بكثير من الطعام، ورفدهم منه بجزيل من الحطام، فرجعوا من عنده بأعظم المقام، وكان لهم في الدين أوفر قيام، فبنوا لهم قصر، وشاع لهم بذلك ذكر، وكان مقابلًا قرية تمرة[1]، فنفذ الله ﷻ بسببه في الوادي أمره، فأقاموا في ذلك القصر مدة شهور، وللدين منهم انتشار وظهور، وغارات أبدًا لا تفارق ولا تبارح، بل تفاجئ وتغادي وتراوح، جميع تلك القرى والقصور، فلم يكن لأهل ذاك القصر عن جهاد مَن حولهم تقصير ولا قصور.

ثم بعد ذلك تقضت أيام، وطال لهم فيه مقام، رغب جماعة كثيرة وفئام، في

(١) بلدة تقع في منطقة وادي الدواسر في نجد، تبعد عن السليّل حوالي ٢٨كم غربًا.

منهج الدين وتجريده، والقيام بنصره وتأييده، وهم الحنابجة والعمور والولامين[١]، فأرسلوا إلى ربيّع ومبارك يريدون الدخول في الدين، ويطلبون منهم أنهم يأتون إليهم، ويقدمون عليهم، فأجابوهم إلى ما أرادوا وطلبوا، فأُنِيلُوا فضيلة الإسلام وحُبُوا لما أحبوه ورغبوا، وحاولوا كغيرهم في إطفائه سابقًا وتعبوا، فلم يحصلوا ما أمَّلوه بعد أن سئموا ونصبوا، فعاهدهم على الحق والهدى، والتبيين في طمس منار الضلال والردى، وطلبوا من ربيّع ومبارك النزول معهم حتى يجاهدوا معهم العدا، ويجالدوا من تعدى عن الحدود واعتدى، وراح في طرق الشرك واغتدى، فكان منهما إلى الدعوة ميل وإزماع، وإلى الإجابة لما أرادوا حث وإسراع، فخرج ربيّع من القصر وسار، وكان له في الدراسة عند الحنابجة مقام وقرار، فأعلن عندهم لله تعالى بدعوة التوحيد، وكان للدين فيهم تصدير وتوريد، ولأهل الضلال فيهم تنغيص وتنكيد، ورعب ليس وراءه مزيد، لا يطيب لهم في الوادي سكن، ولا تطعم عيونهم لذة الوسَن[٢]، ويدعون على مَن جَرَّ ذلك عليهم وسَنَّ، وأرهف المواضي على إظهاره وسَنَّ، وأحمى عليهم الغارة وشَن، فلما طال عليهم الأمد والزمان، وقاسوا منه مصائب وامتحان، ولم يجدوا لهم نفعًا مما كانوا يعبدون، ويستغيثون بهم في الشدة ويدعون، ويخافونهم أشد الخوف ويرهبون، ويؤثرونهم في المحبة على الحق ويرغبون، من يكشف عنهم هذا الخطب، ويُفَرج لهم هذا الكرب، كلا، لقد خابوا وخسروا، وضل سعيهم وعثروا، وأشركوا بالله تعالى وكفروا، فلم يعانوا ولم يُنْصَرُوا، فعند ذلك اجتمع رؤساء ذلك الشأن، ومن تظاهر بالفسق والعصيان، وتفكروا في الحال والمصير،

---

(١) من فروع قبيلة الدواسر.

(٢) النعاس.

وشرعوا في إبرام حبل التدبير، وهيهات، قد نفذ القضاء فيهم والتقدير، ولكنه في إبانه وحينه يصير، فلم يلفوا لهم إلى المراد سببًا ولا ملاذًا، ولا مرتجى ولا ملجأ ولا معاذًا، إلا إلى الوصول إلى نجران، كي يستجيشوا من هناك من العربان، فاجتمع رأيهم على ذلك المنوال، وظنوا أنهم يُدركون من المسلمين به منال، ويطفؤون نور الله الذي ربا في الضياء والاشتعال، وأزال دياجر الإشراك والإضلال، فخرج رؤساؤهم الفجار، وقوّادهم الأشرار، وهما جماهر كبير الرجبان، وحويل كبير الوداعين ذوي العصيان، فعمدوا إلى رئيس نجران، وأخبروه بجميع ما كان، وبثوا ما جرى عليهم من أهل الإيمان، وشكوا عنده بث الهموم والأحزان، وندبوه على إغاثتهم سريعًا من غير توان، وأخبروه أنه إن لم يبادر إلى حسم هذه المادة، ويقطع السير والسلوك في هذه الجادّة، وتصير أسنة عزمه مشحوذة حادّة، وأهل الدين من فرط حده وحدته نادة، فليس والله دون بلدانك، والهجوم عليك في أوطانك، لنا فئة مانعة رادة، ولا جنود لهم مصادرة صادة، فاختر لنفسك قبل اتساع الخرق على الراقع، وراموا من عداوتهم وسخف عقولهم مدافعة النازل الواقع، والمقدّر في سابق الأزل فليس له من الله دافع، فتعالى وتقدس من لا تحيط بغَيْبِه النُّهَى، وتقف إذعانًا لهيبته المخلصون فيما أمر ونهى.

فلما سمع الرئيس مقالهم الفظيع، وتخويفهم الشنيع، سرى إليه الرعب والوجل، ومزج شغاف قلبه ودخل، وغره الشيطان والنفس والأمل، وما رأى من الخوَل[1]، ومن يسير معه حيث سار من الدول، فعز ربنا وجل، حيث لم يأخذ الظالم على عجل، ولا يدعه أيضًا همل، بل ينتقم منه على مهل، فيما قدر

---

(١) أي: العطاء.

له من الأجل، فنهض إلى تلك الإجابة، واستدعى للسير أصحابه، وأزمع على ذلك طِلَابَه، فكان ولله الحمد الذل غايته ومآبه، فسار مُجْدًّا يريد سرعة الوصول حتى يفوز بالمأمول، فنزل على الرجبان والوداعين، الذين كانوا لمجيئه من الساعين، فاجتمع عنده خلق لا تعد ولا تحصى، ولا تحسب ولا تستقصى، فحين رأى تلك الأمم، سلك معهم ذلك الأَمَم، وارتحل بمن معه ممن نهج مناهجه، فسار حتى نزل على الحنابجة، فتراموا معه من بعيد، واقتتلوا قتالًا شديد، فلم ينل منهم ما يريد، وأقام على هذه الحالة يسدد عليهم سهامه ونصاله، ويمد من أسباب المكر، ما ينتجه الرأي والفكر، وكل يوم تطلع شمسه وتغيب، يجري ويصدر من القتال فيه بينهم أوفر نصيب، ولكنّ القريب المجيب، ثبت أقدام أهل التوحيد، وكان لهم معينًا ورقيب، وربط على قلوبهم فلم يمازجها إرجاف ولا وجيب، بل كان صدر كل واحد منهم منشرحًا رحيب، فلما بان له منهم الإفلاس، وكان من المراد على بأس، رأى أن ليس عليه في الارتحال بأس، فارتحل ولله الحمد رغمًا على ذوي الإبلاس، وأهل الضلال من الناس.

فلما ذهب رئيس نجران منصرفًا، وولّى ذليلًا منحرفًا، ورجع إلى بلاده متأسفًا، رجف قلوب قرى الدواسر، فكان بعض منهم إلى طلب الإسلام مبادر، فطلب الرجبان من ربيّع الدخول في الإسلام والإيمان، فأجابهم إلى ما طلبوا وأرادوا، وعاهدوا على ذلك فزادوا واستزادوا، وأقبل جميع الوداعين، وكانوا في الإسلام راغبين، وتتابع على ذلك كافة القرى، فأغناهم الله تعالى بعدما كانوا فُقَرَا، ولكن نفوسهم لم تكن بذلك تطيب، ولم يكن لهم إذ ذاك من النور حظ ولا نصيب، ولكنهم يقولون: ما برحنا حربًا يُصاب منا ولا نصيب. فانقادوا مستسلمين، وأذعنوا للدين مكرهين، فلما صدر ذلك عنهم، وفد ربيّع

وجماعة منهم، على الشيخ وعبد العزيز وأخبره بما صدر، فحمد الله تعالى وشكر، وقابلهم بالحشمة والإكرام، وأجزل عليهم الصلة والإنعام، وطلبوا منه معلمًا للتوحيد والأحكام، فأرسل معهم عبد الله بن فاضل، فكان لوظيفة التعليم فاعل، وبقوا على ذلك نحو ستة شهور، ثم كان لهم عن الدين إعراض ونفور، وللشرك وِرْدٌ وصدور، وانشرحت لهم به صدور، واجتمع على ذلك الرجبان والوداعين، وخلعوا عرى التوحيد والدين، ودخلوا فيما كان لهم معتاد، وسَنَن الآباء والأجداد، وشربوا كؤوس الغي والفساد، وأقاموا على الضلال في استبداد.

وجاء الخبر عبد العزيز بذلك، فجهز لهم سليمان بن عفيصان مع جيش يجاهدهم هنالك، ويوردهم من الهلاك مسالك، ويقحمهم منه أعظم المهالك، فسار بمن معه ممتثلًا، وقدم عليهم عجلًا، فصب عليهم من العذاب عارض سكوب، وشب فيهم لظى الخطوب، ودام فيهم القتل والقتال، حتى أنكا أهل الضلال، ونكد عليهم العيش والبال، وضاق عليهم الحال، وعاينوا عقوبة الأفعال، عاجلًا من غير إمهال، فبعد ذلك رفضوا وهانوا، ورغبوا في الإسلام ودانوا، فطلبوا ذلك من سليمان، فأجابهم من غير توان، وشرط عليهم القدوم على عبد العزيز معه في الحال، والرضا بما يريد من النكال، فقدموا معه إلى الدرعية، راضين بما يصدر عليهم من قضية، فعاهدوا عبد العزيز على الإسلام، وشرط عليهم في عقد الأحكام ألفين ريال، وألف اتفق أن تسلم في الحال، فالتزموا ذلك وتحملوه، ووفوا به وسلموه.

**وفيها** غزا سعود بالمسلمين، أدام الله تعالى له النصر والتمكين، فحث سيره ومسراه، وكان وصوله عنيزة هو الذي اقتضاه ورآه، وذلك أنه نما إليه صحيح الخبر، أن بعضًا من أهل عنيزة بحث عن أسباب الارتداد وحفر، وتحقق ذلك

عنه واشتهر، فعند ذلك أجمع على السير إليهم وظهر، فنزل عليهم بعد أيام وليال، ومكث عندهم يستبري الحال، ويتحقق ذلك على يقين، لئلا يقدم على ما يريده بتخمين، فيخالف قول رب العالمين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾، فلما لاحت له شمس التيقن والإيقان، من عدول أهل الإسلام والإيمان، من سكان ذلك المكان، وتحقق ذلك الأمر واستبان، وكان آل رشيد من ذلك النفر والملا، أمر عليهم بالجلا، وكل من لهم تابع، وفي أسباب الشر طامع، وأزال منها كل من يحذره ويخشاه، وأمّر عليهم علي بن يحيى لاختياره ورضاه، ثم انصرف راجعًا.

**وفيها** غزا سعود بالمسلمين يريد بني خالد، فأقام في الدهنا يُريد أن يتحسس، ويتفحص الأخبار عنهم ويتجسس، فاستقر الخبر أنهم قد أشملوا وثبت عنده، فبدا له عنهم ورفض قصده، وانصرف.

**وفيها** غزا سليمان بن عفيصان وجمع من الموحدين، وكانوا لأهل قطر في تلك الغزوة مريدين، فأسرع في سيره لأجل قضاء الوطر، فلم يلبث أن صبّح الغارة آل أبي رميح من أهل قطر، فدهمهم في تلك الأرض على اغترار، فلم يتقدم قبله إنذار، وحصل منهم للحرب بدار، وجولان دون المال والأعمار، حتى أراد الله للمسلمين عليهم الانتصار، فانهزموا وولّوا الأدبار، وقتل منهم نحو الخمسين، وأخذ جميع ما عندهم من الغنم والسلاح والأمتعة والركاب، ورجع نبيل المطلوب وآب.

**وفي تلك الغزوة** صبّح سليمان بن عفيصان بلد الجشة[1] من الحسا، فلم

---

(١) تبعد عن مدينة الهفوف حوالي ٢١ كم.

يشعروا إلا بعد الحرب والهم والأسى، وقد ملك عليهم السور، وحاط بهم المكروه والمحظور، فانتدبوا للقتال، وتداعو للمجال ولقاء الأبطال، وبذلوا الجد في الجلاد، مخافة الاستيلاء على البلاد، واستيصال العباد، وطال الحرب بينهم ذلك اليوم، وقتلت بعض رجال من أولئك القوم.

وفيها أمر شيخ الزمان، وعلامة الوقت والزمان، وحائز قصب السبق في الميدان، ذو الحجج التي بهرت حين ظهرت، والقواطع التي صدعت حين صدحت، والبراهين التي قمعت إذ لمعت، وسطت على الأعداء لما سطعت، المزيل عن التوحيد برقعه، المبين لذوي الألباب حسنه وموقعه، الجالي دجى الضلال، والقالي للغواة الضلال، كاشف غيهب البدع والإشراك، القائم في ذلك حسب الطاقة والإشراك، وليس بمداهن فيه ولا تراك، ناهج منهج البيان والصواب، محمد بن عبد الوهاب المسلمين أن يبايعوا سعودًا على الإمارة بعد أبيه، أطال الله تعالى عمره، وصرف عنه السوء وأجاره، وكثّر جنده وأنصاره، ومدّ في أجله طول الأمد، وأنجح له ما أراده وقصد، فنهض إليه كافة الناس، وتناوبت البيعة أنواع وأجناس، وأعطوه الصفقة المحققة من غير التباس، فاتضح له نهجها واستبان، حتى بايع على ذلك كافة أهل التوحيد والإيمان، وتعاقدوا على التزام الطاعة بالأيمان، فتثبت له عند ذلك الإمارة واستمرت، وحققت له بعد والده واستقرت، وكانت بيعة معلومة مشهورة، متقنة بأحكام الشرع معدودة، مؤسسة دعائمها على القانون المطلوب الشرعي، والمنهج المرغوب المرعي، لا ينازعه أعاذه الله من ذلك إلا شرير ظالم، ولا يقوم عليه إذ ذاك فيها قائم، إلا وهو متعد غاشم، وصل الله تعالى بالائتلاف حبلهم، وجمع على المحبة والاتفاق شملهم، وأجارهم عن ركوب خطر الاختلاف، وانتهاج منهج القطيعة والأجناف، وحماهم عن الوقوع فيما دمر أولئك

الجموع، وأخلا منهم المنازل والربوع، وطهر عن الشحناء قلوبهم، وأنالهم سؤلهم ومطلوبهم، وذبّ عنهم ما دَبّ في الأمم قبلهم، من الحسد، الذي أهلك الديار وأهلها فلم يبق منهم على أحد، وذلك بعدما عرف أبوه حاله ومسيره، وتحقق سيرته واختبره، فترجح عنده بيقين العلم والفهم، على التحقيق والجزم، ما شرف به من الدهاء والحزم، وما خول من السياسة والعزم، وما تلألأ في غرته من طالع السعادة، وما لاح في جبينه من بارق السيادة، وما عاناه في رفع منار الهدى من مصادمة أهل الردى، حتى رفع الله تعالى به للملة الوسطى عمودًا، وعاد معينها بعدما كان آجنا موروذًا، وأورق به غصن الحق بعد ذبوله، وأسفر قمر التوحيد بعد أفوله، فرآه أهلًا للسياسة، وكفؤا لمنصب الرئاسة، فحمل أعباءها كاهله، فكانت إليه آيلة آهلة.

وفيها غزا سعود بالمسلمين، فوافق البيعة أسلافًا من عنزة مجتمعين، وكانوا إذ ذاك بأرض قني[1] من نجد مقيمين، ولم يكونوا أولئك نتيجة سيره وقصده، ولكن عرضوا له في طريقه وجدّه، وغنمه الله تعالى لإسعاده وسعده، فلما رأتهم من المسلمين أولو التقدم والسبق، قالوا هؤلاء آتوك وفق، وعرفوهم على اليقين والتحقيق، وكان هذا الطريق أيمن طريق، فقد نالوا منه مرادهم من غير نصب ولا تعب ولا تعويق، فشن عليهم الغارة المسلمون، وأُتُوا من حيث لا يظنون، فتبادر من عندهم من فارس وشجاع، وانتدب إلى الأفزاع، وتسربل للطعان والدفاع، وتلاحق من عندهم من العدد، ولم يبق منهم أحد، ومن-تهم أنفسهم الغرارة، أنهم يقمعون أهل الغارة، فطاعنوا زمنًا يسير، ورأوا أن ذلك لا يجدي ولا يضير، وليس دون الفرار من مصير، ولقد صدقوا في العزم والأفعال، ولكن

(١) في عالية نجد.

عادة الله تعالى في أهل الضلال، سرعة الخذلان والإذلال، فانهزموا على الأعقاب، وليس لهم من دون الذلة والخزي من مآب، وقُتِل منهم في ذلك المجال عدة من الرجال، وغنم المسلمون منهم غنيمة كثيرة من أنواع المال.

**وفيها** غزا سليمان بن عفصان مع جمع من قومه أهل الإيمان، وقد أمره عبد العزيز أن يغزو من الحسا العقير[1]، فحث لذلك القصد والمرام والسير، فأسرع في ذلك المنهاج، وطوى تلك الفجاج، حتى وصل إلى ماء حرض، فإذا عويس[2] بن غفيان[3] مع غزو أهل اليمامة خارجًا من الحسا قد عرض، وكانوا نحو الخمسين، وقد خرجوا من الحسا مغترّين، ولبلدان المسلمين مريدين، فالتقى معهم أهل التوحيد، ونازلوهم منازلة الأبطال الصناديد، فبذلوا دون أعمارهم الجهد الجهيد، وأبدَوا من الإقدام ما ليس وراءه مزيد، فأحانهم[4] القوي المتين، فقتلهم المسلمون أجمعين، ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، فأخذوا ما معهم من ركاب وسلاح، ثم سار لقصده فرحًا مرتاح، فجد السير حتى صبّح العقير، فأخذ ما في الخان من الأموال، وصعد القلعة مَن فيه مِن الرجال، فأقاموا فيها متحصنين، وأصبح بيوت الجريد به محرّقين، أضرم في جميعها النيران، سليمان بن عفيصان.

**ثم دخلت السنة الثالثة بعد المائتين والألف.**

**وفيها** غزا سعود، بلغه الله تعالى المقصود، ومعه جموع كثيرة هائلة وجنود لا يحصى لها عدد ولا يحصرها أحد، وتوجه يريد بني خالد، وكان على لقائهم

---

(١) الميناء المعروف. يبعد عن الأحساء حوالي ١٢٠ كم.

(٢) تصغير «عيسى».

(٣) قال ابن بشر (١ / ٨٣): «العبد الفارس الشاعر المشهور».

(٤) أي: أصابهم بالحَين، وهو الهلاك.

جاهد، فجدّ إلى مراده السير والسّرى، وطرد عن عيونه في ذلك الكرى، حتى أراد الله تعالى أن يلتقي الجمعان، في أرض بني خالد بمكان، وكانت جموع بني خالد قليلة العدد، وأكثرهم متفرقون في أرض ذلك البلد، ووافى منهم من العربان والأسلاف، قوم دويحس وعبد المحسن من غير خلاف، فلما طلع عليهم سعود وجنوده، كان كل منهم الهروب مقصوده، ولم يعزموا على إقامة وبقاء، فضلًا عن مقاتلة ولقاء، ولكنهم يرجون تلك الساعة، يدبرون من الرأي فسيحه واتساعه، فأسرعت إليهم من تلك الجنود فرسان، وناوشوهم بعض الطعان، ولم يطل بينهم ميدان، ولم يتفق مجاولة طويلة بين الفرسان، وكان ذلك لموجب وشأن.

وذلك أن سعودًا، حرسه الله تعالى، أَسَرَّ له في ذلك اليوم أن بعض من عنده من القوم يريد الخيانة لبني خالد، وأنه على ذلك مواعد، وتحقق ذلك الأخبار، فلم يكن له إلى اللقاء اختيار، فسأل الله تعالى ودعاه واستخار، فأرشده لخيرته وإرشاده، وهيأه إلى إرادته وإسعاده، فانصرف راجعًا إلى بلاده، ومر بلدان أهل القرى فأخذ ما عندهم لبني خالد من الزاد، وقتل عيونًا قبل الملاقاة لعبد المحسن.

ولما رجع سعود مع ما أتى معه من تلك الجنود، ولم يلتق مع تلك الشرذمة القليلة، كان ذلك إلى طغيانهم وعتوهم وسيلة، وعلى فنائهم وإذلالهم حيلة، وأي حيلة، ولكنها لم يحكم الرأي لها عَقدًا، ولم ينظم الفكر لها عِقدًا، ولا أحسن إبرامها التدبير، بل القضاء والتقدير.

وفيها غزا سعود، حرسه الله تعالى، بالمسلمين الحاضرة منهم والبادية، بعدما بعث إليهم بالجهاز مناديه، فأسرع كلٌ منهم إليه مباديه، وسار حتى نزل خفيسة الدجاني(١)، ينتظر من قومه القاصي والداني، فلما اجتمعت الجيوش

---

(١) روضة بالصمان.

عنده، أرسل إلى والده يبين له قصده، ويشير عليه بما يشاء ويريد، لأن أباه مبارك الرأي رشيد، فأشار عليه إلى ثويني بالوصول، فعسى أن يحصل منه المأمول، فسار إلى ذلك المراد، يريد أولئك الشداد، وجاءته في أثناء طريقه عيونه، حتى تخبره بتوفيقه، فأعلموه أن جميع الأعداء، وأهل الزيغ والردى، كلهم على حمض[(١)] مجتمعون، فعجّل إليهم لئلا يكونوا بمجيئه يعلمون، فلم يجتهر أحد قبل الغارة، فكانت لهم هي النذارة، فلما أقبلت عليهم فرسان الإسلام، كان لبني منتفق إليها بأس وإقدام، وسرعة اختلاط والتحام، فانكسرت فرسان المسلمين، فأمر عليهم سعود أن ينيخوا أجمعين، وأخبر أهل الدين والإسلام، أن ليس هنا إلا الصبر على ما قدر العلام، وتجريد مواضي العزم والهمم، فعاقبة الفشل والفرار تذم، ويحصل بها لفاعله الندم، فوطنوا أنفسهم على الزحام، وعرفوا أنهم على أحد الحُسنيين: الغنيمة أو دار السلام، فاصطفوا ميمنة وقلبًا وميسرة، وأقبلت تلك الجموع تصادم كل منهم، فلم يلفوا على المسلمين مقدرة، وقد بذلوا دون الهزيمة المعذرة، فلما لم يجدوا بُدًّا إلى العز والسلامة، وعرفوا أنهم مهما أقاموا ذاق كل منهم حِمَامَه، فامتطوا الأقدام في الفرار والانهزام، ولم يصبروا على الزحام، وكلٌّ من أولئك الشجعان رضي بالذل والهوان، وأرخى له الأوسان[(٢)]، وطاع بها قهرًا من غير إذعان، فغنم أهل الدين والإسلام، ما معهم من جميع الحطام، على كثرة أجناسه وأصنافه، وفرط تباينه واختلافه، من بعض الخيل والأثاث والأمتعة والخيام، والصيوان[(٣)] المشهور الأعلام.

---

(١) شمال قرية العليا، بالقرب من حدود الكويت.

(٢) الغفوة.

(٣) يُطلق على الخيمة الواسعة.

ولما حقق الله تعالى لسعود الإسعاد، وأناله من أعدائه المراد، وأراد الانصراف إلى البلد، ظن كافة غزاة المسلمين أنهم يصيرون لقرية واردين، بل جزموا بذلك وتحققوه على اليقين، لكن أراد أمرًا فأراد الله ضده؛ ليخذل الباطل وجنده، ويظهر شرف من أراد عزه ومجده، فلما أناخ سعود للراحة في القائلة، كانت نفسه عن ورود ذلك الماء مصروفة مائلة، وبدا له عن ذلك الطريق، لما أراد مولاه له التوفيق، وأعرض عن ذلك المراد، فلم يكن له إليه إلمام، لما أراد الله له العز والإكرام، فلما استقلت به راحلته وثارت، وصرف وجهها إلى غير قرية بهتت الغزاة وحارت، ووجلت قلوبهم من ذلك وطارت، فبادر إليه صالح أبو العلا، وأخبره بتململ أولئك الملا، وكان أبو العلا هو الدليل، فأخذ يلاطف سعود ويستعطفه ويستميل، حتى أعلمه أنه يريد الشرب من الوفرا[1]، ليقضي الله تعالى له أمرًا، فلما علم الدليل ذلك الحال، واستولى منه صحيح المقال، أخذ يشدد ذلك عليه، ويعسر المسير إليه، وقال له وهو في ذلك صادق: تصل إلى بلادك في أحسن الطرائق، قبل أن تصل إلى ماء الوفرا، فاختر لنا ولنفسك الطريق الأحرى. فلم يُجْدِ فيه ذلك الكلام، فسار حتى ورد الماء تلك الأيام، فشرب من الوفرا، ونوى بعدها الحفر[2]، وجد في سيره يريد الورد والصدر، حتى إذا توسط وغارب البيد، عنّ لهم أن على ماء الحفر طلبًا رصيد، وحزبًا يريدهم قعيد، فعلم الله حالهم؛ فلطف بهم وأنالهم، وسقاهم من فيض السحاب شؤبوب، وأمطرهم من الرحمة عارض سكوب، فاستقوا من ذلك العذب الزلال، فطاب لهم الحال، لكن لم يعد خطّتهم ذلك الوابل، بل

(١) مدينة صغيرة تقع في أقصى جنوب الكويت قرب الحدود السعودية، تابعة لمحافظة الأحمدي، وكانت جزءًا من المنطقة المحايدة.

(٢) حفر الباطن.

كان لإغاثتهم نازل، ولريّهم هامل، فنزل عليه يريد جميع الغنيمة، فساق الله تعالى من أياديه الكريمة، وأهدى له من مواهبه الجسيمة، ركبًا من آل سحبان[١]، كبيرهم ابن مغجل، فقُتلوا أجمعين، وكانوا قريبًا من التسعين، ثم انصرف إلى بلاده مؤيدًا منصورًا، مأنوس القلب مسرورًا، ورايات الإقبال عليه خافقة، والألسنة بتوفيق الله له ناطقة.

**وفيها** غزا سعود، أناله الله تعالى مراتب السعود، فسار بالمسلمين يريد الأحسا، فحث السير لذلك المرام، والهجوم على أولئك الأنام، حتى أشرف على البلاد، وظهر له منها السواد والقتام، فأناخ على المبرز[٢] حين غطى الضياء الظلام، واستحكم الكرى والمنام، في مقتل أولئك الأنام، فلم يتبين من النهار ضوؤه وبياضه، ويبدو من الإظلام تقشعه وانتهاضه، حتى بدت خيله وحُمَاته، وشهرت أصوات البنادق رُمَاته، وقد كانوا قبل ذلك الوقت والأوان محيطين بفريق العتبان، فحينما نهضوا يريدون الأصوات، أجاد كثيرًا منهم أولئك الرماة، فلم يكن لهم سبيل إلى الخروج، بل كانوا إلى السطوح في عروج، فدافعوا عن الدخول والهجوم، فلم يكن للمسلمين عليهم إقدام بعد القدوم، ثم بعد ذلك اجتمع أهل المبرز فخرجوا إلى الفضاء، وجالوا مع المسلمين ساعة، ثم رأى سعود الانصراف عنهم وارتضى، وأحكمه فكره واقتضى، فانصرف عنهم ومر الهفوف، ولم يرد عندهم وقوف.

ثم مضى من ساعته يريد الوصول إلى قرية الفضول، فأناخ عليهم وسط النهار، وشمر للحرب معهم الإزار، وأحاطت أجناد الموحدين بأولئك القوم

---

(١) من بني خالد.

(٢) تبعد حوالي ٢كم عن مدينة الهفوف بالأحساء.

المبطلين، وأحدقت الفرسان والرماة والأبطال، بقرية أهل الزيغ والشرك والضلال، وغطّاهم من فوقهم سحاب الهلاك، وحان لهم الاستئصال والإهلاك، وأمطرهم من غيم العذاب عارض، فكان لنفوسهم الخبيثة قارض، وراموا للمسلمين دفعًا، وظنوا أن البلد تنال بهم امتناعًا ومنعًا، فجَدُّوا واجتهدوا كافة، ودعوا آلهتهم كما هو عادتهم عند المخافة، ورفعوا أكف الدعاء والسؤال، وأخلصوا التضرع والابتهال، إلى من لم يفرج عن نفسه أدنى الكروب، فضلًا عن كونه يدفع النوائب والخطوب.

فلما فرغ سعود من صلاة المسا، هبّ له نسيم الصَبا، فزال عنه الأسى، ودعا ربه بحضور قلب وبال، أن يحسن له العاقبة والحال، ويمكنه من هؤلاء الضُّلّال، فاستجاب له ربه دعوته، وعجل له طِلْبَتَه، وأنجح له سؤله، وحقق له مأموله، فنهد إليهم مسرعًا ونهض، وحفه النصر وأقبل عليه الإقبال وعرض، فشدوا على القرية الحملة، فانتدبوا إلى الفرار جملة، فلم يلفوا لهم هداية ولا توفيق، لكون المسلمين قد ملكوا عليهم كل فج وطريق، فعند ذلك كلهم راموا الاختفاء في البيوت والدور، فنزل بهم قضاء الله المحتم المقدور، وحل بهم الأمر المشهور، فدخل عليهم في تلك المنازل، فوردوا من الحِمام أمرّ المناهل، وشربوا منه كأسًا، وأنزل الله تعالى عليهم بأسًا، فقُتِلوا قَتْلَ النَعَم، وسُحِبُوا سحب البَهم، وكان أكثر الرجال وجدهم المسلمون، وهم في بيت من البيوت مجتمعون، وكانوا ثلاثمائة نفس، فقتلوا جميعًا من غير لبس، وقتل غيرهم ذلك اليوم، ممن اختفى من أولئك القوم، وأخذ المسلمون جميع ما في القرية مما ينقل من المال، وأنواع السلاح والحيوان والأمتعة والأواني وبعض الطعام شيء له بال، وانصرف سعود إلى بلاده راجعًا، وقد كان عسكر الحسا ذلك اليوم مقيم، فلما برزوا أراد منهم المسير إلى الفضول مع جميع أهل

المبرز، فأبى كل منهم وما أحرز، بل أبدى الذل والرعب وأبرز، ونادى على نفسه بالجبن والذلة، ورضي لها بالمذلة.

**وفيها** توفي الشيخ عيسى بن قاسم، وكان بنشر الدين مُجِدًّا قائم، ولتعليم الناس ملازم، رحمه الله تعالى.

**ثم دخلت السنة الرابعة بعد المائتين والألف.**

**وفيها** وقعة غريميل[(١)]، وذلك أن سعودًا، حرسه الله تعالى، وأسبغ عليه نواله ووالى، جمع المسلمين ومن لهم من البوادي والعربان، وسار معه بعض بني خالد الجلوية، مثل زيد بن عريعر، وقصد بني خالد وجد في ذلك الشأن، وجاءت إلى بني خالد بذلك الأخبار، وأسرعت قبلَه إليهم الأنذار، فأرسل عبد المحسن إلى أهل الحسا يريد منهم الدول، ويحثهم على ذلك فلم يُطَعْ قوله ولم يُمْتَثَل، وحاولهم أخوه ثواب وخوفهم، فلم يجد فيهم، فانصرف منهم على عجل، بخيبة القصد والأمل، فنزل بنو خالد بأرض غريميل المعروف، وكانوا حينئذ جماعة كثيرة وصفوف، يزيدون على آحاد الألوف، وأقبل سعود بأهل التوحيد، فنزل تجاههم بتؤدة وتأييد، فتقابلت تلك الصفوف، وتقاتلت تلك الألوف، وبرحوا أول النهار في تجلد واصطبار، وجولان بينهم وطراد، ومناوشة بعض وجلاد، حتى بان وقت العصر وحان، وأُدِّيَت فريضتها على سكينة واطمئنان، ونشق أهل الدين نسيم الصَبا، وسبق كل منهم إلى الجلاد وصبا، وباعوا على الله ثمين الأعمار، آخر ذلك النهار، فصبر عند ذلك بنو خالد، ورام كل منهم أن يقاتل دون ماله ويساعد، فلم يكن المولى لهم مساعد، فزحزحهم المسلمون عن مصافهم العالية، وأمست رماتهم عن مواقفهم جالية،

---

(١) قال ابن بشر (١ / ٨٥): «جبل صغير تحته ماء قرب الأحساء».

وأمسى المسلمون لأعقابهم تالية، وانهزم جميع تلك الأمم، ولكن أقبح فرار ومُنْهَزَم، فانحدرت الرماة من رفيع تلك الآكام، مشمرة في الفرار والانهزام، وملك المسلمون محلهم، وشتت الله شملهم، ولم يبرحوا بعد ذلك النزول والانحدار، في تشمير الساعد والإزار، للانهزام والفرار، وكانوا آخر نهارهم وبقية ليلهم إلى أسحارهم في هزيمة وانكسار، وضياع أموال ودمار، لا يلوي أحد على ماله وأهله، ولا يروم سوى نجاة عمره لقبح فعله، وحق للمسلمين ولله الحمد عادة الله ووعده، وعمهم فضله وإحسانه ورفده، وتفضل عليهم بتلك الغنيمة العظيمة، فحَوَوا تلك الأموال الجسيمة.

ولكن سعود نهج معهم منهج الكرم المعدود، وأحسن فيهم السيرة، ولم يؤاخذهم بما سلف منهم من الأمور الكبيرة، وسابق تلك الجريرة، وما راموا من الأمور الضريرة، فما جار فيهم ولا قطع، بل أعطى ومنع، ووصل ورفَد، ولم يُعاقب منهم أحد، وأسدى إليهم المعروف وتطوّل، وأبدى إحسانه عليهم وتفضل.

واختلف حال أولئك العربان، بعدما حق عليهم الذل والهوان، فبعضٌ صار وجهه من ساعة الهزيمة الفرار إلى الأحسا، فازداد هوانًا وتعسًا، لم تزل فرسان الموحدين في أثرهم مطلبين، ولأكثرهم مدركين، فلم ينج بما عنده إلا القليل، مثل ابن جرذي وغيره، فما كان عليهم من سبيل. وبعضٌ صار وجهه إلى سِيف قطر، وذلك عبد المحسن وعيال عريعر الذين معه، وبعض من جماعتهم، فكلٌّ قصد الزبارة وصدر، واختارها لنفسه بعد التأمل والنظر والفكر. وأكثر أهل البوادي والعربان، اختاروا الاستقرار في الحسا والاستيطان، فشمروا في طلب الأمان من سعود والدخول في حوزة أهل الإيمان، فأعطاهم ذلك وأنالهم، فأدركوا منالهم.

ولما انقضى شأن غريميل كما سُطِّر وقيل، أراد سعود، حرسه الله تعالى، من زيد بن عريعر أن يسير معه إلى الحسا، حتى يقيم فيها علم التوحيد والدين، ويُزيل ما فيها من بدع المبطلين، ويحقق على أهلها العهود، في الدخول في الطريق المحمود، حتى يستمروا على سنة خير المرسلين، ويقلعوا عما كانوا عليه من سنة آبائهم الذين كانوا لهم مقلدين، وبآثارهم وآصارهم مقتدين، فأبى عن ذلك وتعلل، وتضجّر وتململ، فأراد سعود إليهم الحصول، حتى يتم المقصود والسول، فارتحل من ذلك المكان يريد ذلك الشأن، وفي أثناء ذلك الطريق عنّ في قلبه أمر وخطر، صرفه عما إليه بدر، فشمّر للظهور إلى نجد فظهر.

وفيها غزا ربيّع المسمى قاعد بجماعة من قومه، فشمّر لعزمه الساعد، وسار بمن معه وساعده وتبعه، يريد بعض البدوان، ممن صدّ وأعرض عن الإيمان، فلما أشرف على بني هاجر[1]، وكاد أن يكون عليهم غائر، ولجمعهم مشتتًا كاسر، سوّل الشيطان لأكثر من معه من البدوان وغزاة العربان، أن يخلعوا حلة الدين ويفتكوا بالمسلمين، فلما أغار على عرب بني هاجر، انخذل عنه أكثر من معه سائر، وصار غالب أهل البادية، على من بقي معه عادية، ولم يثبت مع جيش المسلمين سوى ابن قرملة وأحمد بن نجان، فكان لهما ثبات على الإيمان، فعند ذلك اشتد الكرب والبلا، على المسلمين من ذلك الملا، ووقع بينهم القتال، وحمي بينهم المجال، واستمر الطعان والضرب، واشتد الخطب والكرب، من آخر النهار إلى هزيع من الليل، والأبطال تقحم في ذلك المعرك الخيل، فُقِتل من المسلمين نحو العشرين، وأخذوا منهم مثلهم مأسورين،

---

(١) من قبائل قحطان.

وكانت تلك الوقعة تسمى (الليلية)، عند أولئك البرية، فبعد صدور تلك القضية، طمعت في الردة النفوس الشَرية، وأهل الأفعال الرديّة، فارتد جماهر وحويل ومن معهم من الأقوام، وعدلوا عن مناهج الإسلام.

وفيها أرسل غالب الشريف إلى عبد العزيز، حرسه الله تعالى، كتابًا وذكر في أثنائه أنه يريد إنسانًا عارفًا من أهل الدين، حتى يعرف حقيقة هذا الأمر المبين، ويكون فيه على بصيرة ويقين، فأرسل إليه عبد العزيز الحصين، كي يشرح له بلسان الخطاب، وجه الحق والصواب، ويزيل عن محياه النقاب، فيبدو عند ذلك لألأ السنّة، فيدعو حينئذ لمن أوضح هذا السبيل وسَنَّه، وكتب معه الشيخ إليه رسالة، بين فيها دعوته ومقاله، ونصها بعد البسملة:

من محمد بن عبد الوهاب، إلى العلماء الأعلام في البلد الحرام، نصر الله بهم سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، وتابعي الأئمة الأعلام، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم، وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين، ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله، فلما أظهرنا هذه المسألة، مع ما ذكرنا من هدم البناء على القبور، كَبُرَ على العامة، وعاضدهم بعض من يدعي العلم لأسباب ما تخفى على مثلكم، أعظمها اتباع الهوى، مع أسباب أخر، فأشاعوا عنا أنّا نسبُّ الصالحين، وأنا على غير جادَّة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنّا أشياء يستحي العاقل من ذكرها، وأنا أخبركم بما نحن عليه بسبب أن مثلكم ما يروج عليه الكذب، على أناس متظاهرين بمذهبهم، عند الخاص والعام، فنحن ولله الحمد متبعون لا مبتدعون، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وتعلمون أعزكم الله أن المطاع في كثير من البلدان لو يتبين بالعمل

بهاتين المسألتين، أنها تكبر على العامة الذين درجوا هم وآباؤهم على ضد ذلك، وأنتم تعلمون، رحمكم الله، أن في ولاية الشريف أحمد بن سعيد وصل إليكم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله، وأشرفتم على ما عندنا، بعدما أحضروا كتب الحنابلة التي عندنا عمده، كالتحفة والنهاية عند الشافعية، فلما طلب منا الشريف غالب، أعزه الله ونصره، امتثلنا، وهو إليكم واصل، فإن كانت المسألة إجماعًا فلا كلام، وإن كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد، فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا يُنكر عليه، وأنا أُشهد الله وملائكته، وأشهدكم أني على دين الله ورسوله، وأني متبع لأهل العلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقدم عبد العزيز الحصين مكة المشرفة، فأكرمه غالب وشرفه، واجتمع معه مرات عديدة، وعرض عليه رسالة الشيخ المفيدة، فعرف ما بها من الحق والهدى، وما نفته من الباطل والردى، فأذعن بذلك وأقر، ثم بعد مدة أبى وكفر، وتمسك بقديم سنته وأصر، وطلب منه عبد العزيز الحصين أن يحضر العلماء معه، فيقف على كلامهم ويسمعه، ويناظرهم في أصول التوحيد، فأبوا عن الحضور، وقالوا: هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة، إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك، ورفع يدك عن معتادك، وجوائز بلادك. فطار لبه وارتعش قلبه.

**ثم دخلت السنة الخامسة بعد المائتين والألف.**

**وفيها** غزا سعود، أدام الله له السعود، فسار بالمسلمين، وجدوا السير مشمرين، وأنضَوا الجياد والركاب، في ذلك التسيار والذهاب، ولم يزل يعنق وينص في ذلك السير، حتى قارب أن يشرف على عربان من مطير، كبيرهم الحميداني، وأسلاف آخرون في أرض الجريسية[1] مجتمعون، وقد سبقت إليهم

---

(١) قرية من قرى محافظة مهد الذهب، تبعد عن المدينة حوالي ٢٥٠كم جنوبًا.

الأنذار، ولكن لا يرد الحذر الأقدار، فعجلت لهم قبله، وكانوا مع ذلك على مهلة، فرحلوا وهجوا، وجدوا فيه وعجوا، ونادوا بالويل وضجوا، فلم يكن لهم عن الأقدار من مطير ولا فرار، فحانهم[1] بأرض الجريسية الجبّار، وخانهم كما هو عادته الغرّار، فصبحهم الجند الكرار، والحزب الذي هم ليسوا في اللقاء فُرّار، والعصابة التي هم للدين أنصار، وللتوحيد حماة وأعوان وأصهار، فحاولت تلك البوادي، أن يرد الفرسان العوادي، وجالوا معهم في الميدان، وصار بينهم قتال وقتل وطعان، حتى علاهم البأس الشديد، والهلاك الأكيد، من حماة التوحيد، فأخذوا غير بعيد، ونفذ فيهم الوعيد، فانهزموا أجمعين، واستولت أعقابهم خيل الموحدين، وقتلوا منهم نيفًا وخمسين، وغنم المسلمون ما معهم من الأموال، من الأمتعة والأثاث والزاد والغنم والآبال، ورجع المسلمون بنبيل الآمال.

**وفيها** مات عبد العزيز بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أحسن الله تعالى له المآب.

**وفيها** أظهر الشريف غالب كيدًا لم يظهره قبله محارب، ورام أنه لأمر الله غالب، فقاد من الجيوش والاحزاب، والحضر والعرب والأعراب، ما لا يكاد يحصر رقمه القلم في كتاب، وحشد البدوان من كل شعب وفج، وساقهم من كل واد ونهج، وجمعهم من كل ناحية وبلاد، فأقبلوا يُهرعون إليه من كل واد، وجاءوا بأهبة واستعداد، وسارت له الرسل والركبان، إلى جميع القرى والبلدان، تطلب العون والنصرة، والكل ساعده وأنجح أمره، فلم يَدَعْ بلدًا ولا قرية له أوحوله، ويظن منها الإعانة إلا أرسل إليها فورًا رسله وركبانه، ووصلوه

---

(١) أي: أصابهم الله بالحَين، وهو الهلاك.

بما يصلح شأنه، ويقوي تجبره وتكبره وشيطانه، وتمالأ معه الخلق كافة، وما كان لهم من الله تعالى مخافة، بل جدوا معه وقاموا، وسهروا في منامهم الليالي وما ناموا، فيا خيبتهم وما طلبوا وما راموا! أيُحَارَبُ رب العزة والجبروت، ومن بيده الملك والملكوت؟ أيُنَادَى بالحرابة أصل الإسلام؟ أيُنَادِي على هدم أساسه جميع الأنام؟ أيسعى بالوهن إلى حمى التوحيد، ويتداعى على إزالته بعد التشييد؟ أينسلون إليه من كل حدب، وينسلّ له ذو الحاجة والأَرَب، ولا يهاب جناب الرب ويرتقب؟ كلا، لقد عميت الأبصار والبصائر، وانسد نهج الإنصاف فليس إليه عابر، وعُدِل عن منهج البيان فأضحى محياه غابر، وتركت عين الشريعة فكاد نميرها أن يكون غائر، حاموا على سلف الجدود والأبوة، وبذلوا فيها النجدة والفتوة، وتمسكوا في الحقيقة بتلك السنة والطريقة، والتزموها أشد التزام، فلم ينفكوا عنها على الدوام، رَخُصَ عندهم في استقامتها نفيس الحطام، وهان لديهم فيها البذل والتسلم والاستسلام، بل رَخُصَ عندهم ما هو أعظم وأجمل، وأفخم وأكمل، وأجل وأغلى، وأرفع قدرًا وأعلى، الأعمار وجواهرها، وأرادوا المناصب وظواهرها، فهانت عندهم الرقاب والأعمار، وركبوا لها ركاب الأخطار، وطرحوها في ميدان القمار، وألقَوها في ذلك المضمار، فكانت عقباهم الخسران والدمار، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾، وكلٌ يجازى بفعله.

فلما رأى ما اجتمع في فنائه ورحابه، وما نزل في أوديته وشعابه، وما ضمه إليه تطلاب ركابه، من أولئك الخلق والجموع والأسباب والملا، الذي طبق وأوسع الفجاج والفلا، ركض برَجِله وتجبر وعلا، وشمخ بأنفه واعتلى، وزين له الشيطان أملا، وسعى إليه عجلا، وتحكم في قلبه أبو مرة، ونفذ فيه غيّه وأمره، وزخرف له مكره وغدره، وحقق له في مرامه سولا، وحثه على التسيار

وصولًا، وكان ذلك إلى تسويله حيلة، فأسرع إليه وحرض عليه قبيله، فبادروا إلى الخروج، وسعى إلى ذلك المنهج المنهوج، وأظهر سريعًا امتثال الطاعة، لما رأى عنده من قوة الأسباب والاستطاعة، فكانت ولله الحمد بضاعته أخسر بضاعة، فلما آن أن يبدو لظهوره شموس، وحان أن يتبين في جبينه نحوس، ويخسف في أفقه نجم سعده، ويكسف بدر توفيقه ورشده، ويقف الخلق على ما أملوه من مجده، وترجع أبصارهم خاسئة بعد مطالعتهم لبركته ويمنه وجَدّه، ومشاهدتهم فلول صارم عزمه وحدِّه، وأفول كوكب عزه ونصره وفقده، فقد جزموا وحكموا، وفهموا وعلموا، أنه يفتح نجدًا بنَجْده، ويكسر حزب الموحدين بأسبابه ووجده، والأسرار التي وصلت إليه من جده، ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾، يشهد به كل ذي علم عليم، وقلب على الحق مستقيم.

جهز عبد العزيز الشريف مع كثير من تلك الأجناد والأمم، وعجله في المسير إلى نجد، فسار إليها وأمّ، وانثالت أيضًا إليه من الأعراب قبائل، وأصبح كل سوادهم إليه نائل، وقبلوا بأجمعهم إليه عاجل، وارتد كثير ممن أسلم لأجل ذلك التسيار والسير، منهم حسين الدويش وعربان من مطير، وتظاهر بأسباب الردة في كل بادية وبلده خلق كثير، لا يحصون ولا يعدون ولا يستقصون، وبدا للشرك دخان وضرام، وعلا منه بالأفق قتام، وجنح إلى الضلال بعد الإسلام، من الناس فئام، وتبين العناد جهرًا والشقاق، ونفق والله سوق النفاق، بل نجم وقام على ساق، ولكن ولله الحمد لم يحصل لأهل ذلك مراد ولا اتفاق، ولم يبدُ لشمس مطلوبهم إشراق، بل شاهدوا من الهم والغم على نصرة الدين وأهله ما أوصل أرواحهم إلى التَراق، وأسقاهم من صرف الأسف والحسرة كأسًا مريرة المذاق، فلم يبرحوا حتى الساعة في قيد من البلا وأعلاق، وأسر دائم وإفلاق، حتى يكون من الثرى تحت أطباق.

فسار عبد العزيز الشريف مع تلك العربان، وكافة الأعراب والبدوان، وأكثر الأسلاف إذ ذاك معه قحطان، فنزل سريعًا على قصر في السرّ يقال له قصر بسّام[1]، ولم يكن فيه إلا قريب العشرين من الأنام، فأناخت تلك الجموع حوله، وكان لهم عنده ضوضاة وعولة، وأصوات وزعقات، وجلبة هائلة وضجّات، وحملوا على ذلك القصر أعظم حملات، وراموا الصعود إلى تلك الشرفات، وراموا الأسباب والسلالم، والكل على التسور عازم، فأبعدهم الله تعالى عنه وأزاحهم منه، فصارت تلك الحملات عليهم خزيًا ونقمات، وأعقبتهم هوانًا ومذلات، فلم يُدرك منه فائدة، ولم يحصل على مراد ولا عائدة، فانصرف خاسئًا ذليلا، وأقام في أرض السر زمانًا طويلا، نحوًا من أربعة شهور، ينتظر من أخيه غالب الظهور.

وفي أثناء تلك المدة المذكورة، والإقامة المسطورة، عزم على الرجوع إلى ذلك القصر والعود، فرجع إليه فلم ينل ما أمل من الربح والفود، فلما نزل عليه وأناخ حواليه، عزم وآلى وأقسم بالله تعالى، ألا يبرح عنه حتى يقتل أهله ويخرجهم منه، وعزم على ذلك الأمر وصمم على اليمين، فجزم جميع من معه أنهم يستولونهم على يقين، وينالون منهم التولي والتمكين، فدهموا بالسلالم الجدار محتدين، ولبس الدروع مَن يريد الصعود لأجل التحصين، وأتوا ذلك اليوم بكيد أزعج ألباب أهل الدين، ورعبت قلوب الموحدين، ولكن أراد الله لهم النصرة والتمكين، وإعلاء كلمة المسلمين، ونجاة عباده المؤمنين، فظهرت حكمة رب العالمين، وبان خزي المبطلين، وتحقق حينئذ أهل الإيمان والإسلام، أن جميع الأنام لا يقدرون على إيجاد ذرة، فضلًا عن إيصال مضرة،

---

(١) في مدينة البرود، بناه بسام بن علي، جد آل ناهض، من حرب.

فزادهم إيمانًا مع إيمانهم، وأقرهم في أوطانهم، وقد قُتِل من جماعة الشريف وقومه في المرة الأولى والثانية في يومه رجال كثيرة، وصارت حاله في الذل شهيرة.

وفي أثناء تلك الليالي والأيام، أمر عبد العزيز الإمام على أهل الإيمان والإسلام، أن يجردوا مواضي العزيمة، ويصدقوا النية في الجهاد لذي العطايا الجسيمة، فقد أقبلت إليكم الفتنة العظيمة، والمحنة التي أرجو أن تكون لكم منحة عميمة، وأرسل بهذا الإعلام والإخبار إلى المسلمين في جميع الديار، وحثهم على سرعة المجيء والتسيار، فأقبلوا بعد الجهاز إليه، وأمر سعود بالظهور فظهر ونزلوا عليه، وأقام سعود في أرض رمحين عند البلدان، حتى تلاحق به جميع أمداد أهل الإيمان، ثم بعد ذلك أمر حسن بن مشاري مع بعض البادية، أن يغزو تلك العربان العادية، التي هي بالشر مبادية، فنهضوا سراعًا، فلم يفاجأ بعض العربان التي مع الشريف إلا بالخيل العادية، فأخذوا بعض الإبل، ورجعوا بعد حصول الأمل.

وفي تلك الأيام أرسل سعود، حرس الله مجده وخلّد سعده، نغيمشًا مع جمع من المسلمين، إلى أهل الوادي لكون أكثرهم عن الإسلام مرتدين، وهم قوم حويل وجماهر، وقد أرسل إليهم غالب الشريف بعض العساكر، وأمّر فيهم شريفًا يسمى شاكر، وكان أكبر تلك الأقوام بني هاجر، فسار نغيمش لذلك السبيل، ولم يكن له دون ربيّع ومبارك من تأميل، ولا مرام ولا تحصيل، فأسرع بهم اللحاق، وحصل بما له الاتفاق، واستضاءت بقدومه لأهل التوحيد تلك الآفاق، فلما قدم تلك البلاد، شمّر مع ربيّع ومبارك ومن معهما للجهاد، فخرجوا إلى اللدام[1] سائرين، ولأهل الباطل المجتمعين فيه قاصدين، وكان

---

(١) من مدن وادي الدواسر.

أهل الردة وجميع العسكر قد نزل حوله وعنده، فقصدهم أهل الإسلام في بعض الأيام، وجرى بينهم قتال والتحام، والتهبت نار الطعان، وثبت الله تعالى للمسلمين الجنان، فشدوا على أهل العصيان، فانهزموا ولم يبق منهم للجلاد اثنان، وبادروا البلاد، وقتل منهم ذلك اليوم عشرون في التعداد، منهم من آل شري(١) أربعة رجال، وقتل من المسلمين ثلاثة، ورجعوا بأحسن حال.

ثم بعد ذلك وصدوره بأمد، غزا سعود بمن معه ونهد، وجرّد مرهف البأس على أولئك القوم وجرد، فأوخد وأعنق بذلك السير، حتى صبّح أسلاف مطير، عربان حسين الدويش، الذين هم للحرب تَحُدُّ السنان وتَرِيش، فلم يَرُعْهُم إلا رجفة الأرض من سنابك العراب، والأسنة تلمع في ضياء الشمس مثل ضوء الشهاب، والبواتر التي تميض مثل البروق في خَلَل السحاب، أو لمعات النار في الالتهاب، فتلقتهم أولئك المطران، وأقبلوا عليهم مجتمعين في قران، كأنهم أجنحة النسور والغربان، فراموا أولئك العربان أن يسقوا عطاش المُرّان(٢)، من نحور أهل الإيمان، فأبى الله أن يدنّس واضح غُرَرِهم هوان، أو ينال من ضررهم إنسان، أو يصل إلى تلك النحور التي هي ممر لألفاظ القران من أيدي الأعداء سنان، فأيدهم الله تعالى بعزه ونصره، وخذل العداة بقدرته وقهره، فقتل المسلمون منهم فوق العشرين، وأخذوا بعض الإبل ورجعوا سالمين.

ولما جرى على عبد العزيز الشريف وقومه ما جرى، من الذل والخزي بقي حائرًا متندمًا متفكرًا، فلم يجد له الرأي ما ينتح له المراد، إلا الكذب على أخيه غالب حتى يخرج من مكة إلى تلك البلاد، فأرسل إليه الرسل أننا قد أدركنا

---

(١) من قحطان.
(٢) الرماح.

الأمل، وأنا أخذنا بلدانًا فأتنا أنت والأمداد على عجل، فقد رُعِب أهل ذلك الوطن والمحل، والكل قد جبن وذل، فلما جاء ذلك الخبر، بادر إلى ذلك وظهر، فرجع ولله الحمد بالذلة وصدر، وناوى المسلمين ونواهم بالقطيعة فما قدر، وبذل وسار بمدافعه وقنابره[1] وجاء والله بالكُبَر، وأتى معه من الأسباب والآلات ما لا يؤمله البشر، ولا تعبر تياره الفِكَر، وكانت حاله لكل مُعتّبر عبرة من العبر، وآية دالة على الوحدانية، وصدق هذه الدعوة لكل من سمعها فضلًا عمن شاهدها وحضر، وبرهانًا لائحًا لأهل التوحيد من يأتي بعد ومن غبر، ودليلًا فاضحًا لأهل الضلال والزيغ والغِيَر، فسبحان من حجب عقول من شاء، عما أبدى من الآيات وأنشأ، وطبع على القلوب الضالة عن إدراك المعرفة له، وقذفها في مهواة الدرك الأسفل من الدرك، وألقاها تعاني فيه ما أعده لها، وأودعها فيه وترك، وأخذ بمن أحب ذات اليمين فاختار كل منهم ذلك الطريق وسلك، اللهم لا تهلكنا فيمن هلك، واجعلنا ممن دان نفسه وقرنها وملك، واجعل لنا من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا وفلك.

وكان خروج غالب في شهر رمضان، الذي فيه تُغلق أبواب النيران، فلما خرج غالب ظعن عبد العزيز ومن معه من أرض السر وارتحل، حتى وافى أخاه غالبًا على الشعَرا فاجتمع معه ونزل، واستقر بهم القرار في تلك الأرض، وكل يوم يصدر منهم إلى تلك القرية نهض، ويجري منهم بأس وشدة واصطلام وحدة، وسقط للأعمار وعرض، وقد عزموا على استئصال أولئك الآنام، وثلم الدين والإسلام، ولم يخشوا قبيح الآثام، يوم الوقوف والعرض، كيف لا وأكثر البوادي به لا يصدقون، ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾.

---

(١) القنابل.

وأقام غالب وجموعه وجنوده، وكل يوم تزجي سحب العذاب على تلك القرية رعوده، ويهدّدهم بالاستئصال والإهلاك وعوده، وأسبابه وآلاته وكيده، على مصداق قوله شهوده، ويقسم بالله العظيم الواجب وجوده، لا تفارق نجدًا حتى تدمرها عساكره وراياته وبنوده، ويتم له مراده وسؤله ومقصوده، فأبى الله إلا أن يدوم عليه حزنه ونكوده، ويشمت بهوانه وذله وخزيه عدوه وحسوده، ويتألم لما ناله محبه وودوده، فرجع ولله الحمد ذليلًا متندمًا هو وقروده، وعادت سنانير أشباله وأسوده، وأرضت أرانب قفر وبغاث نسوره وفهوده، فتبارك الذي بيده الآيات البينات، ويرفع الأعلام على انفراده بالألوهية والعبادات، ويأبى أهل الزيغ والضلالات، إلا إصرار ونفورًا، صرّف سبحانه الأحكام للناس وبين، وصرّف قلوب أعدائه عن الهدى لما تبين، وأبدع الأرض وما فيها والسموات وحفظها وزين، ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

ولما انصرف الشريف غالب مرعوبًا غير مدرك لما هو طالب، بل مقتول من جنوده كثير من الرجال، مشتت الفكر مكدر البال، وجاء الخبر سعودًا عن رحيله وانصرافه، أمر محمد بن معيقل مع بعض من المسلمين، أن يتبع أثره ويغير عليه من خلافه، فبادر محمد لما أمر وجد في ذلك الأثر، فأغار على فريق من قحطان، فأخذ عليهم إبلًا كثيرة، ففزع عليهم منهم فرسان، وجالدوا لردها فلم يقضه الله لهم فما كان، وأخذ من الأفزاع خمسة عشر فرسًا نجيبة كريمة، ورجع بأوفر غنيمة.

وفيها غزا سعود، أدام الله تعالى له بالتمكين والسعود، فسار بالمسلمين وأدلج في ذلك السير، يريد شمر وعربان مطير، ولم يبرح يجد في مسيره ويتنضي فيه عزمًا، ويجرد له همة وحزمًا، حتى أدركهم عند جبل سلمى، ولم يفهموا عن مجيئه خبرًا ولا علمًا، فأناخ في ذلك المكان، عند ماء يقال له

العدوة[١]، وكان عنده عربان يُدعون البراعصة والعبيّات[٢]، قد نزلوا حذوه، فلما قضى من الصلاة شأنه، ودعا الله أن يُنزل عليه نصره وسكينته ويثبت جنانه، وأن يذلّ ويهزم بحوله وقوته عدوانه، وصبّح أولئك الأسلاف والعربان، وشنت خيله الغارة على البدوان، فعند ذلك نهض أولئك المردة العتاة الأباليس، وكلهم ما بين معلّم ومقلص وشاكي السلاح ملابيس، ورئيسهم ذلك اليوم حصان إبليس[٣]، فطاعنوا حتى وهنوا، وشاهدوا من الأهوال ما اختاروا عنده الذل وركنوا، وجدوا في الدفاع عن الأعمار والأموال والظعن، وبذلوا في ذلك من البأس ما لم يبذله أحد من الناس في سابق الزمن، حتى كتب الله تعالى عليهم ما كتبه على ذوي الضلال والفتن، وأجرى للموحدين عليهم ما أجرى على إخوانهم من ذلك السَّنَن، فشمروا في الانهزام والفرار، وجدوا في الإدبار والانكسار، وكان للموحدين عليهم الدولة والانتصار، فمنح الله تعالى المسلمين جميع أموال الكفار، واستولَوا تلك الأمتعة والأثاث والغنم والإبل، وقُتل حصان إبليس وولده، ولكنه ركب غيره فما ذل ولا انخذل، بل أخذ يَرْكب العقول ويعلو قلوب الفحول، فضلًا عن صهوات الخيول، وقُتل أيضًا منهم أبو هلبية وغيرهم رجال، وانهزموا بأقبح حال، لما قطع الله تعالى وصلهم، وجذ حبلهم، وشتت شملهم، تفرقت تلك البوادي والفرسان، تندب من حولهم من العربان، وتخبرهم بما صدر وكان، وكانت تلك البوادي ترعى الغنم وتسيم البهَم، في فياض أراضي سلمى، وتحسب أنها تنال بذلك أمنًا وسِلمًا، وترِد على رغم العدا زلال ذلك الما، وقد أغراها الشيطان في نفسها وأغواها وزين لها، أن ليس أحد يرومها ويقواها، فضلًا عن كونه يود مصادمتها ويهواها، حتى

---

(١) قال ابن بشر (١ / ٨٧): «قرب بلد حايل».

(٢) من مطير.

(٣) قال ابن بشر (١ / ٨٧) عنه: «مسعود الملقب حصان إبليس».

أوردها من الهلاك مهواها، وحينئذ وقف عليهم وناداها بدعواها، هذا جزاء الغواة ومثواها، إنها تهلك النفوس بطغواها.

فلما جاءتهم الأخبار من أولئك الأشرار بشرح حال تلك الواقعة، جرعتهم كؤوس السم الناقعة، وكانت ألبابهم منها نادة فاقعة، فتداعَوا إلى النصرة أفواجًا، وملأوا لها مهامهًا وفجاجًا، وهيأوا لها سببًا ومنهاجًا، وانضم إليه ممن حولهم كل ذي عمود، وكان إلى تلبية الداعي إجابة وعمود، ومبادرة للإغاثة ونهود، واجتماع على ذلك الباطل وشهود وعقود، وإحكام الثبات وعدم الفرار بأوثق العهود، فأقبل كلٌ منهم يولي على عدم التولي وبذل المجهود، وجاؤوا بالنساء والأطفال، والمطافيل والآبال وجميع الغنم والأموال، حتى يصدقوا البأس ولا يكون عنها صدود، فأوردهم ذلك البغي الطريق المسدود، والذل الذي كان لهم إلى حياضه ورود، ونال المسلمون بذلك الأمر المحمود، فحين أقبلوا على المسلمين يزحفون، وهم على ذلك الماء أجمعون، تأهبت للقائهم الفرسان، واستعدت لطعانهم الشجعان، والكل صدق ذلك اليوم من أهل الإيمان، فلم يستتر بالذل والجبن منهم إنسان، سوى بعض فرسان من البدوان، وكان ورودهم على المسلمين مساءً قبل الغروب، وقد أبرموا الحيلة فيه فقالوا ندهمهم قرب الليل، فإن كان منهم الهروب اشتفت منهم القلوب، وحصل لنا المنى والمطلوب، وإن كان الفرار منا كان الليل منجاة للمطلوب، فلا يدرك الطالب منه مرامه، ويجد السير والسرى والليل أمامه، وقد نشر على الساري أعلامه، ويعمى أثره وأعلامه، فحملوا على أهل التوحيد حملة ليس وراءها مزيد، وقد زين لهم إبليس، أن يجعلوا الإبل لهم عن الرصاص منتريس[1]،

---

(١) المنتريس: الخندق. والذي يُفهم من النص أنهم جعلوا الإبل حاجزًا يتقون به رمي البنادق. وهذه عادة معروفة في الحرب. وهي نوع من أنواع المتاريس.

فساقوها أمامهم، وصبر المسلمون حتى قاربت خيامهم، فحملوا بعد ذلك على من ساق تلك البهائم، فهزموهم وصارت الإبل لهم غنائم، وقُتل من المشركين كثير في تلك الحملة، منهم ابن الجربا من غير مُهلة، وأبرزت فرسان الكفر والإشراك من التهور في الشجاعة ما لم يصل إلى أدناه دراك، ولم يذكر له نظير في العرب والأتراك، ولكن تلقتهم الحماة بالصدور، وسمحوا كما هو العادة بالأرواح والنحور، وصدّقوا في الاشتراء والابتياع، وقالوا: والله لا نُضيع ولا نُضاع، فأمسى كل منهم ببذل العمر مطواع، وإلى الشهادة قلبه نزّاع، حتى حفهم مولاهم بوعده، ونال منهم غاية قصده، وأنزل عليهم النصر والسكينة، وكانت قلوبهم على الثبات راسخة رصينة، وأجرى في أعدائه سنته، وأجزل على المؤمنين فضله ومنته، فانهزم أهل الضلال بعدما أفرغوا الجهد والحال، ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ وكان ظلام الليل في بدوّ وإقبال، وولّوا على أعقابهم في الأدبار، وكان ضوء النهار في إدبار، وكان ذلك من نتائج الأفكار، ولكن الله الكريم بفضله العميم، أنال المسلمين من أموالهم ما لا يخطر على البال، وأذاق الأعداء أليم الوبال، فشمّر المسلمون في أثرهم الأذيال، بعد أداء المكتوبات من غير استعجال، وتناول بلغة من الزاد على إمهال، واستمر الطلب في أثرهم أيامًا وليال، والمسلمون في إثرهم مجدُّون، حتى تركوا أغلب الأموال وهربوا بالنفوس يسرعون، فتراجع حينئذ المسلمون عنهم، وأجمعوا جميع ما حَوَوا منهم، من الخيل والأمتعة والغنم، ما لا يكاد يحصل مثله ويُغتنم، فالذي اجتمع عند المسلمين من الإبل يزيد على ستة آلاف، ومن الغنم فوق مائة الألف بلا منازعة ولا خلاف، ولا غلو في القول ولا إسراف، سوى ما مات في الفلاة، فلم يكن إليه التفات، ورجع المسلمون بالعز والإقبال، وباء أهل الضلال بالإذلال، وقُتِل منهم بعض رجال، منهم مسلط بن مطلق الجربا، الذي زاد في الشر وأربى.

ثم دخلت السنة السادسة بعد المائتين والألف.

وفيها غزا سعود، لا زال إلى المعالي في صعود، فسار بالمسلمين يريد القطيف وبلدانها، حين أراد الله تعالى ذلها وهوانها، وأن يدمر أهلها وسكانها، ويمزق منها أصنامها وأوثانها، ويخزي أربابها وأعوانها، فسار في ذلك مُجِدًّا، ولبغتتهم مستعدًّا، فلم يستكمل الليل راحة وإناخة، حتى كان الخِط[1] مراحه ومناخه، فأمست رواحله به مُنَاخة، وحطت خيله وفرسانه فيه يمينًا ويسارًا، وخطرَ خُطّيه[2] في فنائه تبخترًا وافتخارًا، وسابق النصر الإقبال إليه وجارى، وألفى جميع تلك القرى بلا شك ولا امترا، قومًا فجارًا، قد خلعوا من أعناقهم شعار الحنيفية، وحملوها آصارًا وخرقوا الملة السنية، فنالوا به أوزارًا، وأطفأوا مصابيحها السنية، ورفعوا للرفض منارًا، وأقبلوا على عبادة آلهتهم ليلًا ونهارًا، وزادوا في ذلك غلوًّا وعلوًّا واستكبارًا، ولقد جاءتهم النصائح فأعرضوا عنها ازورارًا، ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ وأصروا عليها إصرارًا، وبارزوا في ذلك إعلانًا وإسرارًا، من أحاط بالأشياء علمًا خفية وجهارًا، واستمرت جياده تجول وتتبارى، حتى عرف قصده وحققه معرفة واختيارًا، فأحاطوا بسيهات بعدما تلألأ الضوء وزاد إسفارًا، وكبروا في نواحيها إعظاما لله وإكبارًا، فملئت قلوب أهل الضلال حين شاهدوا ذلك الحال، ورأوا ذلك القتال مهابة وانذعارًا، وصبروا ساعة تجلدا واصطبارًا، وهموا أن يحفظوا جوانب البلد، فلا يهتك المسلمون منها دارًا، فأرغم الله تعالى أنوفهم وعجل لهم هلاكًا ودمارًا، فتسوروها المسلمون وهجموا فيها زمرًا وأقطارًا، وقتلوا من فيها فلم يجدوا لهم

---

(١) يُطلق على القطيف وما جاورها.

(٢) رمحه.

من آلهتهم أنصارًا، وأسقتهم قواضب الموحدين وأسنة المسلمين كؤوس الردى فنالوا هوانًا وخسارًا، وشربوا منها عبيطًا يزيد احمرارًا، فقُتل منهم ذلك اليوم خمسة عشر مائة إقلالًا وإكثارًا، واستولوا على جميع ما فيها من الأموال، التي لا تعدّ ولا توصف ولا تُحَدُّ استعظامًا واستكثارًا.

ثم قصد المسلمون القديح[1] فقدحت فيه زنادهم فأورت نارًا، ودهمهم المسلمون فأشعلوا فيها للموت نارًا، واستولوا على ما فيها من الأموال التي لا تماثل ولا تبارى، فعند ذلك أبدت بلدان القطيف جفلة وهزيمة وانكسارًا، فاستولى المسلمون العوّاميّة[2] وعَنَك[3] وغيرهما لما أخرجوا أهلهم وعمدوا إلى الفُرضة[4] وراموا بها حصارًا، فأحاط بها المسلمون ودعوهم إلى الإسلام فأبوا إلا كفورًا ونفارًا، وأقاموا أيامًا يقاسون ذلة وجهدًا واحتصارًا، حتى بذلوا للمسلمين ثلاثة آلاف زر فقبلوا ذلك وعجلوا بها إحضارًا، ولما أزال المسلمون ما فيها من الأوثان، ومعبّدات الشيطان، وكنائس الرفض والطغيان، فأصبح أهلها عليها حُسّارًا، وأحرقوا تلك الكتب القبيحة بعدما جمعوا منها أحمالًا وأوقارًا، ارتحلوا إلى تلك الأوطان في غاية من السرور والتهان وقد حازوا أجرًا وأفخارًا.

**وفيها** توفي شيخ الإسلام، وعلم الأئمة الأعلام، المتبحر في العلوم النافعة المفيدة، والمعاني التي لم تبرزها سوى فكرته المجيدة، ذو الفكر الوقّاد، والذهن المنقاد، الغائص على درر التوحيد في قعر البحور، الفالق عن جواهره

---

(١) بلدة تقع شمال غرب مدينة القطيف، وتبعد عنها حوالي كيلين.

(٢) بلدة تقع على الخليج العربي، تبعد عن القطيف حوالي ٣كم.

(٣) مدينة تقع على ساحل الخليج العربي في الوسط بين مدينتي القطيف وسيهات.

(٤) اسم بلدة القطيف قديمًا.

الأصداف حتى زين بها النحور، المستنبط من كتاب الله تعالى ما يقصُر عن بعضه الفهم، ولا يقدر على إبراز شذرة منه ذوو التدقيق في العلم، المتفنن في فهم القرآن والاستنباط، فلا يقاس قعر تبوّئه ولا يغاص ولا يحاط، المتفرد في نشر أعلام التوحيد، القائم فيها لله تعالى بالتجريد، المؤيَّد فيها بالإعانة من الحميد المجيد، المسدَّد فيما يبدي فيه من الدقائق ويعيد، المنصور من الله تعالى على كل جبار عنيد، وعالم ضال مضل مريد، الذي بهر علمه حين ظهر، وشاع صوت فضله واشتهر، وطبّق أطباق الأرض صيته وانتشر، قامع أهل الشرك والضلال، ورادع ذوي الزيغ والضّلال، معزّ أهل الدين والإخلاص والجُمع، ومُذِلّ ذوي الإلحاد والأهواء والبدع، من أصبح مُحَيًا الدين به وأضحى منيرًا، وظلام الضلال منقشعًا مستطيرًا، وثغر الحق متبسمًا تبجحًا وتبشيرًا، وأصبحت به السمحاء مرفوعة العماد، ثابتة الأطناب والأوتاد، قائمة على نهجها في البادية والبلاد، يؤمها الحاضر منهم والباد، فأرشد الله تعالى بدعوته كثيرًا من العباد، وهلك من أراد الله عليه ذلك فأعرض وناد، فلم يحضر للدعوة ناد، المقيم من السنة لاحِبَها ونهجها، المقوِّم منها مائلها ومعوجَّهَا، ناهج منهج الصواب، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، طيب الله ثراه، وجعل الجنة مثواه.

فلما أراد الله تعالى أن يصب سحاب الرحمة عليه، ويوصل تمام جوده وإحسانه إليه، ويدنيه من حضرته ويقربه لديه، اختار له منزلة الدنو من الحضرة، حتى يوفيه بفضله أجره، ويمحو عنه إزره، وكان ابتداء المرض به، رحمه الله تعالى، في شوال، ثم كان يوم الاثنين من آخر الشهر وفاته والانتقال، فنقله الله إلى جواره وحضرته، وقرَّبه إلى حظيرة قدسه وجنته، وأدناه إلى دار رضوانه وكرامته، ومحل تفضله وإحسانه ومبرّته، وكانت حاله من العبادة في الصلاة

والصيام، مشهورة بين الأنام، لا يزال سميره القرآن في دجى الظلام، ودأبه إحياء غالب الليل بالقيام، والتأني والتثبيت في تنفيذ الأحكام، حتى يتيقن ذلك ويحكمه أتم الإحكام، لا يميله الهوى عن الشرع ولا يصده، ولا تحمله على ضده عداوة ولا تردّه، بل يحكم بما ترجح له وجه صوابه، وتبين له فصل خطابه، من كتب الأئمة الأربعة، المقلدة في ذلك المتبعة، لا يعدل إن لم يجد نصًّا من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ إلا إليها، ولا يعوّل إن لم يُلْفِ قاطعًا إلا عليها، بعد المراجعة والتحقيق للنص، وشدة البحث والكشف عن معارض والفحص، وكان، رحمه الله تعالى، وأفاض عليه سحب غفرانه ووالى، هو الذي إليه بيت المال يُجبى، ويُدفع إليه ذلك ويُحبى، من جميع بلدان المسلمين، ويفرقه عليهم أجمعين، وكان على حالة رضيّة، وطريقة من الزهد مرضيّة، وكان عن ذلك المال متكففًا، وعن كثرة الأكل منه متعففًا، بل يُعجله خروجًا ومصرفًا، ولا يأكل منه إلا بالمعروف، وليس أحدٌ عنه من ذوي الفقر مصروف، وكان سمحًا جوادًا كريمًا، لا يُلْفَى عنده المال مقيمًا، وكان لا يرد السؤال، إما أثاب عاجلًا، أو بعد حال، فيرجع سائله بنجح الآمال. وتوفي، رحمه الله تعالى، ولم يخلف دينارًا ولا درهم، فلم يوزّع بين ورثته مالٌ ولم يُقسم، بل كان عليه دَين كثير، فأوفى الله عنه الجليل والحقير، وقال المصنف يرثيه:

إلى الله في كشف الشدائد نفزع ... وليس إلى غير المهيمن مفزع
لقد كسفت شمس المعارف والهدى ... فسالت دماء في الخدود وأدمع
إمامٌ أصيب الناس طُرًّا بفقده ... وطاف بهم خطب من البين موجع
وأظلم أرجاء البلاد لموته ... وجل بهم كرب من الحزن مفظع
شهاب هوى من أفقه وسمائه ... ونجم ثوى في الترب واراه بلقع

وكوكب سعد مستنير سناؤه وبدر له في منزل اليُمن مطلع
وصبح تبدى للأنام ضياؤه فداجي الدياجي بعده متقشع
لقد غاص بحر العلم والفهم والندى وقد كان فيه للبرية مرتع
فقوم جلا عنهم صدا الرين فاهتدوا فأسماعهم للحق تصغي وتسمع
وقوم ذوو فقر وجهد وفاقة حووا واقتنوا ما فيه للعيش مطمع
لقد رفع المولى به رتبة الهدى بوقت به يعلو الضلال ويرفع
أبان له من لمعة الحق لمحة أزيل بها عنه حجاب وبُرقع
سقاه نمير الفهم مولاه فارتوى وعام بتيار المعارف يقطع
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه وأقوى به من مظلم الشرك مهيع
فأنوار صبح الحق بادٍ سناؤها ومصباحه عالٍ وريّاه ضيّع
سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها سواه ولا حاذى فناها سميدع
وشمر في منهاج سنة أحمد يشيد ويحيي ما تعفى ويرقع
وينفي الأعادي عن حماه وسوحه ويدمغ أرباب الضلال ويدفع
يناظر بالآيات والسنة التي أمرنا إليها في التنازع نرجع
فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها وأمسى محياها يضيء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامسًا وقد كان مسلوكًا به الناس تربع
وجرَّت به نجد ذيول افتخارها وحُق لها بالألمعيّ ترفّع
فآثاره فيها سوام سوافر وأنواره فيها تضيء وتسطع
لقد وجد الإسلام يوم فراقه مصابًا خشينا بعده يتصدع
وطاشت أولو الأحلام والفضل والنهى وكادت له الأرواح تترى وتتبع
وطارت قلوب المسلمين بيومه وظنوا به أن القيامة تقرع
فضجوا جميعًا بالبكاء تأسفًا وكادت قلوب بعده تتفجع

وفاضت عيونٌ واستهلت مدامع   يخالطها مزج من الدّم يهمع
بكته ذوو الحاجات يوم فراقه   وأهل الهدى والحق والدين أجمع
فما لي أرى الأبصار قلّص دمعها   وليست على فقداه تهمي وتدمع
وما لي أرى الألباب تبدي قساوة   وليست على ذكراه يومًا توجّع
لقد غدرت عين تضن بمائها   عليه وكبدٌ قد أبت لا تقطّع
يحق لأرواح المحبين أن تُرَى   مقبوضة لما خلت منه أربع
وتتلو سريرًا فوقه قمر الهدى   وشمس المعالي والعلوم تشيّع
فما بالها قرت بأشباح أهلها   ولم تك في يوم الوداع تودّع
فيا لك من قبر حوى الزهد والتقى   وحل به طود من العلم مُتْرَع
لئن كان في الدنيا له القبر موضع   فيوم الجزا يُرجى له الخلد موضع
سقى قبره من هاطل العفو ديمة   وباكره سحب من البرّ هُمَّعُ
وأسكنه بحبوحة الفوز والرضا   ولا زال بالرضوان فيها يُمتع

وفيها غزا سعود، أدام الله تعالى له السمو والصعود، فسار بالمسلمين يطوي المهامه، ويتحمل في ذاك المشاق والمكاره، وينضي الأجسام والقلوب، في قطع تلك المفاوز والدروب، حتى وطأ بيُمنى اليُمن أرض الحروب، فشرب هو وجنوده من الحناكية[1]، فروى وارتوى، فعزم أن يصبّح حربًا ومطيرًا على الشقرة[2] ونوى، فما أقام بعد ذلك ولا ثوى، بل سار حين ألفته منه العيون، وذكروا أنهم كلهم على الماء يسقون، وأنهم عنه منهزمون، وقد ظنوا أن المسلمين لهم لا يطلبون، فلم يتم لهم على ماء الشقرة شرب ولا ورود، إلا

(١) تقع شرق المدينة، تبعد عنها حوالي ١٠٨كم.
(٢) من قرى محافظة الحناكية، تبعد عنها حوالي ٣٠كم.

والمسلمون مِن عليهم نهود، فكُلٌّ فر بنفسه يجود، ولم يستطع الوقوف فضلًا عن القعود، فهزمهم الله تعالى بالذل والإرعاب، فشمّروا للهروب بين تلك الشِعاب، وكان للمسلمين خلفهم طِلاب، فشدوا في أثرهم بالسير والذَهاب، فلم يبرحوا عنهم ولم ينفصلوا منهم، حتى صاروا شذر مذر، وتوعروا الريعان والحجر، وتجللوا صلد ذلك المدر، فرجع عنهم المسلمون، وشرعوا فيما منحهم الله يجمعون، وغنموا غنيمة عظيمة، وكانت على المشركين أخزى هزيمة، وأخذوا ثلاثين من الخيل، وحازوا مجدًا وفخرًا، ونالوا مع ذلك أجرًا، واجتمع من الإبل في تلك الغنيمة ثلاثة آلاف، فقسمت على التسوية والإنصاف، وقتل من أهل الضلال بعض من الرجال، ورجع المسلمون بنيل الآمال، في أحسن حال، وأنعم قلب وبال، رغمًا على أنوف أناس، من ذوي الشر والإبلاس، الذين زين لهم إبليس أعمالهم وزخرف لهم أفعالهم وأحوالهم، وأحال عليهم غرورهم وأوحى لهم، فظنوا أن الطريق الذي عليه الموحدون ضلالة، وحُمق وبدعة وجهالة، وسفاهة محققة مفهومة، ووسوسة عند العقلاء معلومة، وبالخروج موسومة، وستموت بعد موت صاحبها، وينطفئ منير مناهجها ولاحبها، ويندم حينئذ قلب طالبها، فلا تلفي لها من الناس داعيًا، ولا تجد بعده سامعًا ولا واعيًا، فأبطل الله تعالى فاسد تلك الدعوى، وأخزى ذوي النفاق والأهوا، وألقاهم بقدرته في القعر الأهوى، وطبع على قلوبهم بطابع البلوى، وأعطى أهل الإسلام الغاية القصوى.

**وفيها** غزا هادي بن قرملة مع جمع كثير العدد، وليس معهم غير البدو أحد، فجَدَّ في سيره ذلك واجتهد، مع أولئك الأعراب، حتى وافق مطير على ماء الحنابج في ذلك الطلاب، فصبّحهم على ذلك الماء المورود، فالتقته فرسانهم فبذلوا في الذب المجهود، فاجتلدوا ساعة حتى منّ الله الودود، بالنصر على

المسلمين فأصبح كل من ذوي الشر مشرود، وأخذ المسلمون ثلاثة آلاف بعير، وفاؤوا بأحسن بشير.

**ثم دخلت السنة السابعة بعد المائتين والألف.**

**وفيها** غزا إبراهيم بن عفيصان بأهل الخرج والفرع(١) وأناس من البدوان، فشمّر لقصده وابتدر، حتى بدت له أعلام قطر، فأغار على من بدى منهم وظهر، فأخذ ما معهم من غنم وركاب، بعد مجالدة وضِراب، وصدر إلى وطنه وبلاده، بعد نيل مراده.

**وفيها** غزا سعود، سلك الله به مناهج السعود، فسار بالمسلمين يريد بني خالد، وكانوا مجتمعين، فشمر في ذلك وجَدَّ السير والسّرى، ولم يكن عنده خبر بما قدر الله لأولئك الورى، من ظهور برّاك وجماعته، وكان ذلك بعد قتل أبيه ورئاسته، في بني خالد والحسا وولايته، وأخذه لفرقان من سبيع وغيرهم، واعتدائه عليهم وغارته، فلما توسط المسلمون تلك الفجاج، وتسنموا ذروة ذلك المنهاج، ورأوا ما بذلك العربان من الانذعار والانزعاج، فعلموا عند ذلك خبره، وفهموا غارته وضرره، فأحضر سعود غزاة الإسلام، ونشر لهم تلك الأعلام، وطلب منهم المشورة والأفهام، وما يترجح عندهم من المرام، هل يقتفي أثر هؤلاء الأقوام، أو يقصد أهلهم ومحلهم، فليس عندهم من يحول دونه من الأنام؟ فأشاروا عليه بعد الاستشارة والأفهام، أن يعمدوا إلي أهلهم عاجلًا، فيصبِّحهم ويرجع آملًا، فذلك لدينا أولى وأرجح، وأسرع للمراد وأصلح، فأبى ما دَعَوا إليه، وقال إن الأولى والأصلح مصادمة هؤلاء الأشرار، فهو أنكى لهم وأسد في الرأي والأفكار، وصمم على ذلك الشأن، بعزم مرهف

(١) الفرع: يشمل حوطة بني تميم والحريق ونعام والحلوة.

وحزم باتر وسنان، فلم يُثْنِهِ عن ذلك رأي إنسان، وكان ذلك توفيقًا من الله وإحسان.

فنهض بعد فكرته في حينه وساعته، بعد سؤاله مولاه واستخارته، وجد في السير عازمًا، وللملاقات دائمًا، وقال بعد رفعه أكف السؤال بخضوع وإذلال: يا من لا تخفى عليه خافية في السر والعلانية، مَكِّنَّا من هؤلاء واجعل مناياهم دانية، واجعلهم خبرًا بعد عين، وأدر عليهم دائرة البلاء والحَيْن. فعجَّل مولاه له الإجابة، وأدرك منه ثأره وطِلَابه، فلما وصل إلى ماء اللصافة(١)، وقد انجلى عمن معه الوجل والإخافة، نزل بها يرصد من أولئك القدوم، ويتحرى لهم كل ساعة الهجوم، حتى أنجح الله تعالى مراده، وجاءه بشير السعادة: قم إلى السعد والإسعاد، فقد تبدى لك كوكب المدد والإمداد، وأشرق يُمنك في الآفاق، وتلألأ حظك في الإشراق، ولن ترى لأعدائك من باق. فنهض مسرعًا لذلك الندا، فإذا المراد قد طلع وبدا، فأسرعت من قومه خيل العرب البادية، فناوشهم الطعان الفرسان العادية، وظنوا أن هذا غزو لبعض البدوان، فطمعوا عند ذلك في الطعان، وراموا أن يدركوا منه أسباب التهان، فأبى الله تعالى عليهم إلا تشتيتهم في البلدان، فلما تناشبت القواضب والحراب، وتلاحمت فرسان الأعراب، طلع عليهم علم الإسلام، وأظلهم من الحمام غمام، وأمطرت عليهم من العذاب سحائب، وجرعتهم من كؤوس الردى مصائب، وحلت بهم خطوب ونوائب، واستقلت عليهم كروب غرائب، وسُدَّت عليهم مناهج المطالب، وأبدى الله تعالى فيهم أمورًا عجائب، وصار كل منهم للنجاة طالب، وفي سلامة عمره راغب، وعن حومة الوغى هارب. فأخذ المسلمون

(١) هي قرية الجبلان من مطير وتقع في الصمان.

يقتلون فيهم قتلًا ذريعًا، حتى قتلوا منهم ذلك اليوم ستمائة سريعًا، وأخذوا ما معهم من خيل وركاب، وجدوا في أثرهم الطلاب، وهم يأخذون فيهم ويقتلون، والمسلمون لهم مقتفون، والذي غنم المسلمون من الخيل مائتان، مختلفة النوع والألوان.

وفي تلك الأيام أغار من آل ظفير أقوام وأناس من الحجاز، لم يدركوا سعودًا فصار لهم إلى بني خالد انتهاز، فصبّحوا أهلهم، وأخذوا كثيرًا من الإبل، وحووا غالب المحل، وجرى بينهم قتال، فرجع أهل الغارة على عجل، وقد فازوا بالأمل، ولما فرغ شأن أهل الشيط[١] وانقضى، سار سعود يريد الحسا ومضى، وأرسل غنيمًا أبا العلاء ومهوس بن شقير إلى من في الحسا من الملا، وكتب معهما كتبًا يدعوهم إلى الدخول في دائرة الأمان، ويطلب منهم الإسلام والإيمان، ويرغبهم في الانقياد والاستسلام لدعوة الملك العلام، ويحث على ذلك جميع أولئك الأنام، ويحذرهم الصد والإعراض، فكان أغلبهم ذلك اليوم به راض، وكانوا إلى الإجابة في مبادرة وانتهاض، بل لم يحصل منهم تردد ولا ارتياض، فأجابوا جميعًا أولئك الدعاة، وكل أطاع بذلك وأحاط به علمًا ورعاه، وأسرعوا إلى خطّ الكتاب، وقد بينوا فيه غاية الطاعة وعدم الارتياب، ولم يدخل قلوبهم إذ ذاك ارتياب ولا اضطراب، وحَثُّوا سعودًا على القدوم إلى البلاد، حتى يبايعوه أولئك العباد، ويمهّدها أحسن المهاد.

ولما أرسل سعود غنيمًا ومهوسًا إلى الحسا، أرسل بعدهم سعود بن غيث مع ركب من المسلمين، وأمرهم بأن يكونوا في طريق الحسا مكمنين، حتى يكونوا لمن أراد الهروب مدركين، فلما قدموا ذلك المحل، وافقوا غزوًا لأهل عمان

---

(١) إحدى ديار مطير بالصمان.

قد جدوا في الهروب على عجل، فقتلوهم وكانوا يزيدون على مائة رجل، وأخذوا ما معهم من الركاب والإبل، فلما قدم إلى سعود الكتاب والرسل، تم له السرور وحصل، وأقبل إليهم تلك الأيام بعد ذلك الانتظام، وكان قدوم الرسل في وسط شعبان، وقدوم سعود أول رمضان، فلما قارب القدوم والوصول، كان لكثير من أهل الحسا إلى ملاقاته حصول، وإسراع إلى رؤيته محبة له وقبول، فنزل قرب عين نجم[1]، وطلع لسعوده في أفقها نجم، وخرج إليه جميع أهل البلاد، وعاهدوه على الإسلام بانقياد، والاعتصام بحبل الله والقيام على أعداء الله، وأحكموا عقود الالتزام بجميع الشرائع والأحكام، والاهتمام بها أوفر اهتمام، وأقال أولئك الأنام من الجهاد أعوام، ترغيبًا لهم في البقاء على الإسلام، وتوليفًا لأولئك الأقوام، فأبَوا إلا الذل والصغار، حين أراد الله تعالى لهم الهلاك والدمار.

ولما أخذ منهم أوثق العهود، وأحكم عليهم في البيعة العقود، وقلد بالبيعة رقابهم، وعرف حالهم ومآبهم، وأنهم قد طوقوا بها الأجياد، ولم يدر أنهم من الخيانة على ميعاد، شرع فيما يطلب به شرعًا، وألقى في إنجازه بصرًا وسمعًا، فأمر بجميع ما فيها من المعبَّدات والقبب، والقبور التي يُستغاث بها وتُدعى وتُندب، أن يُزال ما فيها من المحظور، وأن يُسلك بها سنة القبور، وأن تستوي على المنهج المشهور، وألا يُصرف إليها نذور، وأمر بهدم ما فيها من كنائس الرفض والبدع، فالتزم أهلها صلوات الخمس والجُمَع، وبُعثرت أماكن الزيغ والأهواء والضلال، ومعتقدات ذوي السفاهة والاعتزال، وذوي الضلالة والإضلال، وأمر بإقامة شرائع التوحيد والإسلام، وإبطال ما خالف الشرع من

---

(١) إحدى عيون الأحساء المشهورة.

الأحكام، وبالمواظبة على إظهار الصلوات في المساجد، ومعاقبة كل متخلف عنها معاند، وقتل كل منكر جاحد، ونادى على أنواع الربا بالإبطال، فلا يُسعى في أسبابها ولا يُنال، وإفساد كل حيلة داعية إليه، أو طريقة هادية عليه، فأضحى أهل العقود الفاسدة والحيل، وذوي العقول القاصرة التي لم تدرك المعرفة ولم تنل، يتحسرون على مذاهبهم الأُوَل، وذهاب أهل تلك الدول، وأمر بالتدريس في جميع الأربعة المذاهب، وتأييد كل سالك إليها وذاهب، وتعليم العلم ونشره وإحيائه بالمذاكرة فيه، وذكره والتجرد والتجريد في تفهم التوحيد، فقاموا فيه بعدما قعدوا، وشمروا في العلوم واجتهدوا، وأقر الأئمة في مساجدها وأكلَ حاصلها وفوائدها، وقرر العلماءَ في المدارس، فأصبح كلٌ في كتب مذهبه دارس، فلم يكن منهجها مطموسًا ولا دارس، وأقر الأحباس والسبل، فلم يصل إلى أربابها خلل، وأبطل جميع أوقاف الرفضَة، وعطل ذلك الطريق وهجر كل واحد من أربابه ورفضه، وأبطل جميع أنواع المظالم، وعفى أثر المغارم، فكسد سوق الأخماس، وعُطِّلَت العشور والأمكاس، فاستقالت الحنيفية السمحاء على المنهاج، وزال ما بها من الاعوجاج، فأسفر وجه الحق بعد ظلامه، وتقشع منه كثيف قتامه، وانجلى عن بدر السنة متراكمٌ غمامه، فأضاء نوره وأسفر، واستكمل التمام بعدما أقمر، فصدحت حمائم النصر بألحانها، وصدعت بنغمات العز على أفنانها، وتغنت في روح الإنس على أشجارها بأفنانها، مذكرة بالشكر والحمد لأهل الحسا وسكانها، بإزالة المحذور وحلول التوحيد في أوطانها.

ولما أفرغ جهده في مهد سَنَن الحق والهدى، ومحق مناهج الضلال والردى، وفرغ من إكماله وأسباب إعماله، وتم له من ذلك المراد، وعزم أن يرحل عن تلك البلاد، فأشار عليه كثير من أهل البلدان أن يبني له حصنًا، وجَدَّ كل منهم

في ذلك واجتهد، وأتَوا إليه مرارًا عديدة، فكانت أقوالهم عنده غير راجحة ولا سديدة، ومشورتهم غير مفيدة، واستعانوا عليه بجماعة من قومه من ذوي الشأن، على إنجاح ذلك البنيان، وتعجيله لهم في ذلك الزمان، فلما لم يجد بُدًّا من ذلك سمح لهم باللسان، وأشار بأن يكون موضعه فيما يصلح له من المكان، فاجتمع الرأي والنظر والمشورة والفكر، على أن ليس له مكان يصلح ويليق، سوى بيوت آل حميد وما حولها من الفريق، فطاع بذلك ودان، وهدمت تلك البيوت في ذلك الأوان، وكل بيت ليس ببيت مال واحتيج إليه، أمر أن تدفع إلى ربه قيمته كاملة وتُحضر لديه، فلا يضيع ملك عليه، وحث على ذلك قيّمه وأوصاه، وحذره شؤم العاقبة إن خالف أمره وتعداه، وشرع أهل ذلك الوطن والمحل في إحكام ذلك البناء والعمل، فلم يرد إتمامه ﷺ.

ثم ظعَن سعود، حرسه الله تعالى، عن مكانه وارتحل، وقصد قرية أنطاع[١] من القرايا ونزل، ولما أراد الله تعالى الذل والهوان بأهل ذلك المكان، وحكم ﷺ بدمار ذلك المحل، وأن تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، والذلة لأهل الإلحاد والمبطلين، فتح لجميع الضلال والغواة أن يَدَعُوا مسلك الفوز والنجاة، ويلوذوا إلى مناهج البغاة، ويجنحوا إلى ظُلَم تلك الضلالات، ويقتلوا أولئك القوم الهداة، والجماعة الذين هم للتوحيد دعاة، ويسقوهم صرف الحِمام والردى، ويطمسوا بعد ذلك منار الحق والهدى، ويُعلنوا بأمور الفسق والردى، ويحسبون أن الله تعالى يتركهم سدى، كلا، وعزته لا يفوته مَن بغى واعتدى، فسُعِيَ في نسج برود الإثم والأوزار، وهيأوا لها أردية وإزار، وقام في ذلك الإزر والآثام أناس كثيرة وأقوام، يُنسبون إلى الكرم والإكرام، وأكثرهم

(١) جنوب النعيرية.

فساق وطَغَام، ورفضَة وفجّار وعوام، منهم محمد بن سعدون ومحمد بن عبد العزيز، ومن العتبان مهيني بن عمران، ومن أهل الهفوف سعد آل ملحم وابن عفاف والحبابي وعلي بن أحمد وابن حبيل وصويلح النجار، فاجتمعوا في بعض ليالي تلك الأيام، خارجًا عن البلد والأنام، حين استحكم دُجى الظلام، وأناخ بجرانه على العيون بالمنام، فتعاطوا بينهم مفاتيح الكلام، وتجارت خيول أفكارهم في ميدان ذلك المرام، وتبارت في ذلك المضمار على الإنفاذ والإبرام، ولكن لا يُدرك ولا يُرام، إلا بعد المعاهدة والمعاقدة والانتظام، وتوثيق ذلك بالحلف والإقسام، والتغليظ في ذلك والإعظام، فحكموا أمرهم بينهم، وأبرموا غدرهم وشَيْنَهُم، ولفظوا بنقض العهود في ذلك الميعاد، وأجمعوا على نكث العقود في ذلك الإنفاد، فأسرعوا بعاشر شوال يوم الجمعة في الارتداد، وقتلوا كثيرًا من أهل التوحيد والرشاد، الذين مكثوا عندهم للتعليم والإرشاد، وتعاطى ذلك الأمر وباشره أهل الشر والفسق والفساد، وغيرهم من ذوي الشقاق والعناد، فأصبحوا وقد أشفَوا من دماء المسلمين الفؤاد، فأطفؤوا بتلك الدماء المراقة لواعج الحزن الذي أربى في الاتقاد، وأوقده الأسف غاية الإيقاد، فباءوا بسخط رب العباد، ودخلوا في دائرة أهل الإيعاد، ومهدوا لأنفسهم من الهلاك مهاد، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾، فاستقلت عنهم حينئذ أظلة السعد والإسعاد، وطوح بهم في خصلة الطرد والبعاد، فنالوا بعد ذلك أعظم الأنكاد، وقُتل غالبهم بعد أمد من الآماد، وجُلِيَ بقيتهم في كل بلاد، فهم كل يوم في عناء وضناء وسقم ومقاساة هموم وأحقاد، ولا يزالون في مزيد وازدياد.

وجرى ذلك اليوم بتلك الصيحة، حين وقعت تلك الفتنة القبيحة، في البلد ضجّة هائلة عظيمة، وأظلتها حينئذ خطوب جسيمة، وقُتل ذلك اليوم عبد الله بن فاضل وحمد بن حسين وإبراهيم بن حسن بن عيدان، وهؤلاء يُعلمون الناس

التوحيد في تلك الأوطان، وقُتل أمير المرابطية محمد بن سليمان، وقُتل محمد الحملي الأمير وحسين أبو سبيت الوزير، وسُطي في ابن عياش ومبارك وأخيه شهيل وناجم، ونهبوا بيت أبي سبيت والحملي، وأخذوا ما فيها من المال، وباؤوا بأقبح الأحوال، ثم بعد ذلك أمروا على مبارك بن خليفة وأخيه وصالح بن عياش وأخيه وأحمد بن هديب بأن يحبسوهم في الطرف[١]، فأقاموا عندهم مدة، وكان جملة مَن قُتِل نحو الثلاثين، وقُتِل في الصفوف عبد العزيز اليمني.

ولما سمع محمد بن غشيان، وكان أميرًا على مرابطية مَن في الكوت[٢] مِن أهل الإيمان، أصوات الناس والضجة، وذلك اللغط والعجة، ركب خيلًا مع قومه وابتدر الأصوات، وكان مقيمًا في بيت الباشات، فلما عرف الحال وتحققه، وفهم أن الأمر قد عاجله وأرهقه، قصد كويت الحصار، وكان إذ ذاك لم يكمل له الأسوار، فتحصن هو وقومه فيه عمن يريده ويؤذيه، وكان قد أخذ على ركابه بعض الزاد، لأجل التهيؤ في الحصار والاستعداد، فأطبق خلفه تلك الأمم، حين قصد ذلك القصر وأَمّ، وراموا له وقومه إدراكًا، ونظموا له عقودًا وأسلاكًا، وأسرعوا إليهم ونهدوا، وحاولوا في ذلك وجهدوا، وحرصوا على ذلك وجردوا، وأخزاهم الله تعالى فما ربحوا ولا سعدوا.

ثم بعد ذلك بأيام، اجتمع أهل الحسا في انتظام، واتَّعَدُوا على السور أولئك الأقوام، فخرجوا كأنهم جراد منتشر، وقصدوا ذلك القصر ومَن فيه مِن البشر، وحاولوا فيه بأنواع من الضرر، وجاؤوا بأمور بعضها أدهش وحيّر الفِكر، وبهت العقول وبهر، وأضحى كُلُّ مَن في ذلك القصر محاطًا به محتصر، يجزم كل من

---

(١) قرية من قرى الهفوف الشرقية.

(٢) حصن الهفوف.

شاهد تلك الحال أن أجلهم قد قرب واحتضر، فأيدهم الله تعالى وثبتهم ونصر، وخذل أعداءهم وأذلهم وقهر، حتى أن محمد بن غشيان عدا عليهم في غفلة وقتل أربعة منهم وصدر، وقُتِل منهم رجال كثيرة في تلك الأيام ممن قاتل وحَصَر، فرجعوا خائبين ولم يكن لهم عليهم مقتدر، ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾، ولم يفيئوا إليه ولم يُقلبوا عليه ولم يكن منهم مدكر، ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾، وبقي ابن غشيان في ذلك القصر أيامًا، ولم يُدركوا منه تلك الأحزاب مرامًا، وثبّت الله تعالى للمسلمين فيه أقدامًا، فلم يتيسر للأعداء عليهم فيه إقدامًا، ونالوا ذلًّا وخزيًا وهوانًا وإحجامًا، فكانت هذه الحال آية من الله تعالى وإعلامًا، تزيد الموحّد لله في الله إعظامًا.

ولما قل الزاد وطال الحصار والجهاد، ولم يبق عند محمد وقومه شيء من الطعام، ولا زهبة يُقاتل بها تلك الأقوام، خرج ليلًا ونار[١]، وسلك سبيل الفرار، وخرج من الحصار، وجد في السير والذهاب، ولم يكن لهم إليه طلاب، فشمّر إلى إخوانه وبلده وأوطانه، ولما خرج ابن غشيان وافاه غزو للمسلمين من العتبان، فرجع ومن معه معهم وصبّحوا قرية الشعبة[٢] وهجموا عليهم بين الدور، ووقع القتال في تلك القصور، وقتلوا منهم رجالًا، وأخذوا منها حياوين[٣]، وأموالًا ورجعوا سالمين.

وجاء سعود، حرسه الله تعالى، الخبر، وشاع الحال واشتهر، وهو إذ ذاك مقيم على أنطاع، وقد امتلأت بذلك الأسماع، فاستشار أهل الدين والإسلام، في الظهور إلى نجد أو الإقبال على أهل الحسا والإقدام، فاختلف لسان

---

(١) نار: هرب.

(٢) قرية من قرى المبرز.

(٣) أي: حيوانات.

المقال، وتدبير الفكر والبال، في ذلك الشأن والحال، فبعضٌ رأى الإقدام عليه وصوَّبه، وبعضٌ رأى تأخير ذلك إلى حينٍ وطلبه، حتى يأذن الله تعالى فيه ويهيئ مطلبه، وينزل على أهل تلك الفتنة شدته وكربه وبأسه وخَطبه ونُوَبَه، فسار يريد نجدًا، ويجد السير ذيلًا ووخدًا، ويدعو الله أن ينجز له فيهم وعدًا، ويمكنه من تلك الأعداء، ويهيئ له من أمره رَشَدًا ورُشْدًا، ويوليه إسعادًا وسَعدًا، فوصل إلى بلاده ذلك الزمان، وصار مجيئه الحسا بعد آن.

**وفيها** غزا حجيلان بأهل القصيم وبعض البادية، فسار يريد بني عمرو، وكانت للمسلمين معادية، فصبّحهم بالغارة، فلم يشد كل منهم للحرب إزاره، بل جَدَّ وصدق في النيارة[1]، وقتَل المسلمون منهم رجالًا، وأدركوا من الإبل منالًا.

**ثم دخلت السنة الثامنة بعد المائتين والألف.**

**وفيها** سار سعود، سلك الله تعالى به السنن المحمود، يريد الأحسا وإحصارها وتدميرها، وفجّارها وفساقها وكفارها، وأرفاضها وأسوارها، وذوي الردة والذين أطاروا شَرارها، وقتلوا معلّمة التوحيد وأضيافها وخُطارها، فأغضبت ملك الملوك وقهارها، وأسخطت خالقها وجبارها، وغافر الذنوب وستارها، فأسرع في المسير بالمسلمين، وقد اتفق رأي الموحدين على الحصار والمضايقة والمنازلة، وبذل الجد في الاجتهاد والمقاتلة.

وكان زيد بن عريعر وإخوانه وجماعته حين تلك النازلة، في بلد الكويت نازلة، ، فأقبلوا بعد مدة على الحسا، فزادهم الله تعالى حزنًا وأسى، وبقوا مع أهلها تلك الأيام، وهم مستعدون لقتال أهل الإسلام، فلما كان آخر عاشوراء

---

(١) النيارة: الهرب.

المحرم، عزم سعود على النزول وتقدم، فنزل على قرى الشمال، وكان في الشُقيق[١] ستمائة من الرجال، فأضرمت نار الحروب، وأحاطت بهم سوء الخطوب، فأوقدت أعظم الوقود، وأحدقت بهم أولئك الضراغمة الأسود، فلما نزل سعود في ذلك المكان، خرج أهل الشقيق ومن معهم نحو ستمائة من العسكر من أهل العصيان، ووقع بينهم وبين المسلمين قتال، وقُتِل ذلك اليوم بينهم رجال، فلما أضاءت شمس ثاني يوم بالنور، بدر المسلمون إلى القتال فلم يكن من أهل الشقيق ظهور، فسار إليهم أهل الإيمان، وأرادوا البروز فما كان، وبقوا محتصرين في ذلك المكان، وجرى بينهم قتال بالبنادق، قضى الله بالموت على من كان لأجله موافق، وشرع المسلمون في قطع النخل، حتى منّ الله تعالى عليهم بالفتح والفضل.

فلما كان أول ليلة الثالثة حين استحكم الظلام، هرب مَن في الشُقيق مِن أولئك الأنام، وتفرقوا في القرين[٢] والمطيرفي[٣] والمبرز، والكل طلب النجاة ولنفسه أحرز، فأتى الخبر اليقين إلى سعود والمسلمين في ساعة الهروب والانهزام، فأرسل أناسًا يحفظونها من أهل الإسلام، فألفَوها من أهلها خالية، وأخذوا الأموال التي فيها حالية، لما كانت حماتها عنها جالية، ثم بعد ذلك اجتمع أهل تلك القرى في القرين، وهموا بالاشتداد، وعزموا على القتال حين أرادوا تلك البلاد والأمداد، فأطال المسلمون عليهم المحاصرة، ونووهم بطول الإقامة والمصابرة، فكتب الله عليهم الهوان والذلة، وطلبوا من سعود الصلح عن القرية والمحلة، فصالحهم عنها على نصف ذلك، فتناصفوا جميع ما

---

(١) من قرى المبرز.

(٢) من قرى الأحساء الشمالية، تبعد عن الهفوف حوالي ٨كم.

(٣) تقع شمال المبرز.

هنالك، من أمتعة وسلاح وحيوان، وجميع أنواع المال وطعام وغيره، فاقتسموا على تلك الحال، ونحا أهل المطيرفي في ذلك المنهج، وكل من قرى أهل الشمال على المناصفة عرّج.

فلما انقضى شأن الشمال في قليل من الأيام والليال، وطاعت تلك القرى، مما حل بهم واعترى، وذلت أنصارها وهانت، وألقى المقاليد بعضها للإسلام ودانت، وأمر على أهل القرين بالجلاء عن الوطن، فكل ارتحل عنه وظعن، سار بعض الخيل والجيش إلى أهل المبرز، فخرجوا جميعًا ومعهم من عندهم من أولاد عريعر وفرسانه والكل قد أبدى شأنه وأبرز، فالتقوا مع المسلمين، وجالت معهم فرسان الموحدين، وجرى في ذلك المجال طعان وقتال، فشدت فرسان التوحيد على تلك الجموع العظيمة، فلم يلبثوا إلا ساعة فشدوا في الهزيمة، وقُتِل ذلك اليوم من أولئك القوم غديّر بن عمر وحمود بن غرمول، فرجع المسلمون إلى رحالهم ومحلتهم، بعدما جدّ الأعداء في هزيمتهم.

ثم بعد أيام نهد المسلمون إلى أهل المبرز مرة أخرى، وتقابلوا معهم عصرًا، وخرج أهل المبرز للقتال، وكان المعترك دون نخيل أهل الشمال، فتداعى الجميع في ذلك المجال، ولم يقدر فيه انقضاء آجال، فرجع كُلٌّ إلى ما له من موضع ومال، فلما عرف المسلمون من أهل المبرز تلك الحال، واختبروا سيرتهم في القتال، سعَوا لهم في تهيئة أسباب الحيلة والخداع، بإظهار بواعث الطمع والأطماع، حتى يرغب أهل تلك الجموع والاجتماع، وليستمروا للمسلمين في اقتفاء واتّباع، حتى يبعدوا بهم عن تلك المواضع والبقاع، ويحطوهم عن ذرى تلك التلاع، فلا يكون لهم صعود ولا ارتفاع، ثم بعد ذلك يكرون عليهم للدفاع، ويعطفون عليهم كضواري السباع والنسور الجياع، فيكون حينئذ منهم هروب واندفاع، ورعب واندعار وارتياع، فيشدّ المسلمون عليهم في

الاتّباع، بقلوب متوجدة عليهم ذات التياع، وأفئدة لم يفارقها حزن ذلك الافتجاع، ومواض مصقولة الشّبا فحدها باتر قطّاع، وأسنة كالبرق اللماع، سريعة الانتهاب للأرواح والانتزاع.

فلما كان يوم الثلاثاء شمّر المسلمون للقتال في الإسراع، واجتمع من أهل الحسا ما لا يقدر عليه ولا يستطاع، ولم يطرق السمع في قتال العرب مثله سماع، حتى كادت ألباب المسلمين أن تزيل القناع، فناداها هاتف الإقبال بصوت ملأ الأسماع: قد جاءكم الفتح والنصر فلا ترجف القلوب ولا تُراع. فسكنت وراضت وكان منها لذلك قبول واستماع، وأقبلوا على أولئك الجنود التي عدمت النفع والانتفاع، وقد عزموا على الوفاء لله تعالى وصدق الابتياع، وكُلٌّ يُنْشِد بعد الحوقلة والاسترجاع، قول شاعر مقدم شجاع:

**أقول لها وقد طارت شَعَاعًا من الأبطال ويحك لا تراعي**
**فصبرًا في مجال الموت صبرًا فما نيل الخلود بمستطاع**
**فإن الموت غاية كل حيّ وداعيه لأهل الأرض داع**

فصدقوا لهم الحملة، فامتقعت ألوان تلك الجموع من الرعب أعظم امتقاع، فكان لهم إلى الهزيمة إسراع بعد إزماع، ولم يحصل منهم ولله الحمد مطاعنة ولا نزاع، بل غالب تلك الأمم لم يقفوا ساعة في المجال، فضلًا عن الجلاد والقراع، فجفلوا كأغنام صاحت بها أسود بقاع، فصار لهم إلى البيوت معاجلة وانقطاع، وقُتِل منهم نحو الستين ذلك اليوم، ومثلها في سائر الأيام فكان بها اقتناع، وانهزم زيد بن عريعر إلى بلدان المشرق، فلم يكن له إلى المبرز رجوع ولا ارتجاع، إلا بعد طلوع الشمس ثاني يوم حين علم حال البلد بتحقيق الاطلاع.

ثم بعد أيام سار المسلمون إلى أهل بلاد ابن بطال[١]، فجرى فيها قتل كثير من أولئك الضُّلَّال، وانهزم جميع أهلها فلم يثبتوا فيها ساعة لمجال، وأخذ المسلمون ما فيها من الأمتعة والحيوان والطعام والأموال.

ثم بعد أيام سار المسلمون إلى بلدان الشرق يريدون عليها الإقدام، فهجموا على مضيق تلك الدروب، وطاف على الجبيل طائف الخطوب، فاقتحم المسلمون عليهم، وأرادوا الوصول إليهم، فوقع عند البلاد قتل وجِلَاد، ثم انصرف المسلمون إلى مكانهم، وارتجف أهل الشرق في أوطانهم، وبقي كل من أهل الإسلام تلك الليالي والأيام، يُجِدّ في القتال ويُجِدّ في الصرام، فأسرع المسلمون خصوصًا العربان، وسائر أولئك الأعراب والبدوان، يباكرون صرم النخل والأثمار، ولا يبرحون عنه حتى يدبر النهار، وأهل الحسا في مضايقة وبأس ودمار، وضيق معيشة وحصار، فلما أراد الله تعالى أن يبرز في مقام الإظهار، ما قضاه سبحانه لأوليائه واختار، ويسلك بهم الطريق السهل الخيار، وينشر لهم أعلام الظفر والتمكين والانتصار، ويستقر قواعد التوحيد في تلك القرى والأمصار، فيشتهر ذلك في سائر الأقطار، أتى برّاكُ بن عبد المحسن سعودًا، حرسه الله تعالى، فأخبره أن أهل الحسا لهم رغبة في الدخول في الدين وإقبال، وأنهم متندمون على صدور تلك الأفعال، وأنهم يطلبون طريق الإيمان والإسلام، والالتزام بسائر الأحكام، فقال: ذلك لهم ولا يُرَدُّون، فعساهم لسبيل الحق يهتدون، وعن مَهْيَع الغي ينتهون، ولكن يخرجون للعهد إلينا، ويقدمون للمبايعة علينا. فعاد له بالقول مرارًا، وقال: إنهم لا يقدرون على

---

(١) أي: قرية البطالية، نسبة إلى ابن بطال أحد رجال الدولة العيونية، وهي من قرى الأحساء الشمالية، تبعد عن الهفوف حوالي ٧كم.

مواجهتك خوفًا منك وفرارًا، ولا يستطيعوا إلى ذلك المكان إحضارًا. فاستعان براك بكبار أهل التوحيد، على إنجاح ذلك الرأي السديد، فساعده أهل الدين والإسلام، وقاموا معه أتم القيام، حتى نجح ذلك المنى والمرام، واتفق الرأي والانتظام، بين براك وكبار أهل الحسا أن سعودًا إذا ظعن عن ذلك المكان والمقام، وفرغنا من الأثمار والصِرام، أنك تأتينا ونبايعك على الإسلام، ونُخرج زيد بن عريعر وإخوانه، وننفيه هو وأعوانه. ولعل هذه حيلة وخديعة، إذ لم تكن نفوسهم بمجيئه لهم مطيعة.

فارتحل سعود، بلغه الله تعالى المقصود، حين ألح عليه إخوانه في ذلك الشأن، وقالوا: عسى أن يكون هذا سببًا لهم في الإيمان. وجدّ سيره يريد الأهل والأوطان، وقد نال أبهى الأنس والسرور والتهان، وأزهى صِلَات البر والجود والإحسان، فلما وصل سعود إلى تلك الديار، زال عن الحسا ذلك الخوف والرعب والحصار، وبرحوا على ذلك مدة أيام، وقد وجدوا بعد ذلك لذة المنام، وزال ما بهم من الهم والأسقام.

حتى كان من براك عليهم مفاجأة وإقدام، يريد ذلك العهد منهم والإبرام، والوفاء بما عاهد عليه أولئك الأنام، وقال لهم: هذا وقت الوعد، فقد وصل سعود إلى نجد، وقد حان حين الوفا، فإياكم وسلوك طريق الخلف والجفا، فتصيرون من الهلاك على شفا. فأبوا إلا الخُلْفَ والإخلاف، وركوب متن الإجناف، فلم يحصل بمرامه إسعاف، وثار بينهم القتال، واختلفت كلمتهم بعد ذلك الحال، وافترقت قلوب تلك القبائل، فكان الله تعالى لهم مُذِلًا وخاذل، فلم يقبلوا نصحًا لقائل، ولم يروضوا إلى عذل عاذل، فنفذ فيهم حكم الحكم العادل، والقضاء النافذ الفاصل.

فانصرف عنهم براك، بعد أن لم يحصل على إدراك، وخرج إلى البادية، ثم

بعد ذلك كانت خيله عليهم عادية، وقدم عليهم في رمضان، وجرى القتال والطعان، وخرج جملة من أهل الدين من السياسب[١] مجتمعين، وكبيرهم سيف بن سعدون، فكانوا للقتال كل يوم ينهدون، واجتمعوا في قرية الجشة[٢]، بعد أن لم يدركوا في المبرز حيلة، فكان ذلك إلى الفتح ذريعة ووسيلة، فاجتمع أولاد عريعر محمد وإخوانه، وجميع جيشه وأعوانه، وأهل المبرز وأهل الصفوف، في بلد الجفر، وكانوا مما لا يضبطهم الحصر، فمكثوا فيه أيامًا، وأطالوا فيه مكثًا ومقامًا، وكل يوم وحين ينهد إليهم برّاك والبدو والسياسب مجتمعين، ويقع بينهم طعنٌ وطِعان، ومجادلة خيل وفرسان، وتلاحم ومصادمة واقتران، وقُتِل بينهم رجال في تلك الأيام والليال، والكل يبدي الصبر في حومة المجال، حتى أراد الله تعالى صلاح الحال، وحسن العاقبة للمسلمين والمآل، فأدخل برّاك الهفوف باحتيال، فطاب له حينئذ القلب والبال، وتم له السرور والإقبال، وهرب أولاد عريعر دويحس ومحمد وماجد، وكلٌّ من الخاصة مساعد، وأقبل براك إلى المبرز صبيحة ذلك اليوم، فتلقاه بالقبول أولئك القوم، وأتوه لأجل السلام والتهنئة بالقدوم والإقدام، وإنجاح السؤال والمرام، فطلب منهم المعاهدة على الدين والإسلام، والالتزام بجميع الأحكام، فعاهدوه على ذلك وحدانا ومجتمعين، والتزموا القيام بتوحيد رب العالمين، فوفى العهد طوائف وحمائل وآحاد في الفِرقان غير منحصرين، والرفضة وكثير من غيرهم دخلوا في ذلك العهد مكرهين، وودوا لو أصبحوا له ناكثين، ولكن الله ضرب عليهم الذّلة بحوله إلى يوم الدين، ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾.

---

(١) من بني خالد.

(٢) تبعد عن الهفوف حوالي ٢١كم.

ثم بعد صدور ذلك الأمر وإبرامه، وتحقيقه وإحكامه، وجريان شرائع الدين في الحسا وأحكامه، كتب براك إلى عبد العزيز لمزيد إخباره وإعلامه، فَسُرَّ بذلك الإخبار والإعلام، وبادر بالحمد والشكر لمولى الإنعام، على ما حبا أهل الإسلام من هذه المواهب الجسام، فأمر عبدُ العزيز براكَ بن عبد المحسن أن يبذل في الدين جهده، ويوفي عهده ووعده، ويُجلي ابن فيروز[1] وأحمد بن حبيل ومحمد بن سعدون، فجُلُوا بعدما ألزم عليهم براك يخرجون.

وفيها غزا محمد بن معيقل مع أهل الوشم وأهل القصيم وأهل الجبل، فسار بمن معه من المسلمين على غير مهل، حتى أناخ بدومة الجندل[2]، فحط فيها رحله ونزل، ثم أخذ يُحاصر أهل تلك القرى، ويُضيق على أهل الزيغ والافترا، ويفاجئهم كل يوم بالقتال، ويغاديهم بأعظم الفعال والأهوال، حتى ضاقت بهم الحال، وكلهم دانوا بالإسلام بعد إذلال، ولم يبق من تلك القرى إلا قرية بني سراح[3]، فلم يكن لها إلى الدين ارتياح، واجتمع عنده كثير من الأموال، فأعطى منها آل درع وكانوا مقاومين لابن سراح، ولهم تقدم وإقبال، وكانوا في حصار شديد ليس عليه مزيد، وقد تمسكوا بما منحوا وأعطوا، فلم يدنسوا وجوههم بغبار الردة ولم يخطوا.

---

(١) محمد بن فيروز (ت ١٢١٦هـ)، حامل لواء المعارضة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في الأحساء، له ترجمة في «السحب الوابلة» (٣ / ٩٦٩)، وستأتي قصيدته في تأليب والي العراق على الدولة السعودية، مع رد ابن غنام عليها. ولكن: تأمل كيف اكتفوا بإجلائه رغم عداوته وتأليبه.

(٢) دومة الجندل تعني: قبة الحجر، وهي تقع على مسافة ٥٠ كم جنوب مدينة سكاكا.

(٣) دومة الجندل مقسمة إلى أحياء، في كل حي عائلة كبيرة أو مجموعة من العائلات، منها: حي السراح، وحي الدرع.

وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بأهل الخرج والعارض وأهل سدير، فشمّر ساعده للجد في السير، حتى وصل إلى بلد الكويت بعد الهجوع، فأناخ يهيئ ما معه من الجموع، فلم تنجل الغياهب حتى فرغ من تلك المطالب، ورتب الجيش والكمين، ثم بعد الإسفار أغارت خيول المسلمين، فخرج مقاتلة أهل البلد مجتمعين، وناوشوا المسلمين القتال، وعقدوا للحرب المجال، ثم بعد ذلك ظهر عليهم الكمين، فولَّوا مدبرين، وعمدوا إلى البلد مسرعين، وقتَل المسلمون منهم نحو الثلاثين، وأخذوا عليهم غنمًا كثيرة، وأسلحة ثمينة شهيرة، ورجعوا إلى بلادهم فائزين، وللمال والأجر حائزين.

وفيها غزا هادي بن قرملة رئيس قحطان، ومعه محمد بن معيقل وأهل الوشم ومطير وعربان كثيرة من البدوان، فلم يزل في ذلك النهج سائر، حتى صبّح عربانًا كثيرة من البقوم وبني هاجر، وذلك أنه قرب منهم والليل داجٍ وداجر، والظلام مجتمع العساكر، فلم يَرُعْهُم إلا ركام العياثر، والجياد التي كأنها الرياح السوائر، ولمعان المرهفات البواتر، والأسنة التي تفتت في الصدور والمرائر، فراموا الجلاد ووطنوا عليه نفوسهم فأصبح كُلٌّ على ما أصابه صابر، حتى أراد الله أن يدير من البلاد دائر، على أولئك المخالفين لأمر عالم السرائر، فشد عليهم المسلمون، فأضحى جواد عزّهم منكسرًا عاثر، فقُتل ابن شري المسمى ناصر، وأرادوا بعده الثبات والتجلد، حتى دهمهم ما لا يستطيعه الضراغم في الآجام والحواضر، فأصبح كل منهم يريد النجاة لنفسه نائر، وعن حومة الوغى بعد شدة ذلك البأس هارب نافر، وأخذ المسلمون منهم نحو ثلاثة آلاف من الإبل لكل ضابط وحاصر، وآب جند الضلال خائبًا خاسر.

**ثم دخلت السنة التاسعة بعد المائتين والألف.**

وفيها غزا سعود، أيده الله تعالى بالنصر والسعود، وكان عربان الشمال له

مراد أو مقصود، فسار بالمسلمين يطوي منشور البيد، بأيدي اليعملات على العنَق والتوخيد، ويؤم مطلع السها والفرقدين، ولم يبال بما حصل لعيسه من الكلال والأين، ويشكو إليه طول السّرى وحلول البرى، قلوب الكُمت والرواحل، وتحنّ إلى الورود من فرط البعد ومداومة الوخَد، فيعللها بزلال المناهل، وكان لمطالعة القطب لا ينفك ولا يزال، ولارتعاب النصر والظفر في ذلك الوجه في رجاء وآمال، حتى لمع ضياء البشرى والسرور في ساجي ذلك الديجور، وطلع له كوكب الإقبال والحبور، وهبت على أعدائه ريح الدَّبور، فجاءته طلائعه وعيونه بالتهان، بأن القواسم ها هنا وكبيرهم ابن عفيصان، وهم عرب من آل ظفير، فكانوا قبالته ووفاقه في ذلك المسير، فصبّحتهم في أرض الحجَرة[1] غارته، ولم تسبقه عليهم نذراته، بل فجأته بحصول مراده بشارته، وبغت أولئك السلف دماره وخسارته، فلم يستطيعوا مع المسلمين الجوَلان، ولم يعقدوا لحومة الوغى والبأس ميدان، بل ناوش منهم بعض الفرسان، وراموا قليل طعان، ثم شمّروا في الهزيمة من غير توان، وقد أخذ المسلمون منهم إبلًا كثيرة، وجميع المحلة والغنم، وكان الإبل ألف وخمسمائة بعير على سبيل التقليل لا التكثير، ورجع المسلمون إلى البلاد، وقد حفهم الإسعاد.

**وفيها** جرت وقعة سعد بن قطنان، وكان قبل ذلك قد أبدى للدين إذعان، وأسلم قبل ذلك الزمان، فأراد أن يتبين على أهل الضلال وعبّاد الأوثان، خصوصًا البدوان، فبنى قصرًا محكمًا، ثم بعد ذلك تبين في الدين معلمًا، وجاهد من أهل دينه من لم يكن مسلمًا، فنالوا منه ذلًّا وهوانًا وندمًا، وأسقاهم كؤوسًا منزعة دمًا، حتى حاولوا فيه مأثمًا، وهيأوا له أمرًا محرمًا، فشرطوا

---

(١) منطقة واسعة تقع شمال شرق منطقة الدهناء إلى الشرق من لينة، وكانت من بلاد الظفير قديمًا.

لاثني عشر رجلًا، كل واحد منهم في البأس مقدمًا، على قتل ابن قطنان دراهم كثيرة يأخذها كل واحد منهم مغنمًا، وينتقدها بعد الفعل متسلّمًا، فعند ذلك جدّ كل واحد فيما كان ملتزمًا، فأبدَوا للغدر والمكر حيلة وسُلّما، فهاجروا إلى قصره مبدين للدين علمًا، وأقاموا أيامًا يدبّرون لما راموا أَمَما، وقد واعدوا رؤساء أهل دينه على يوم يكون مجيئهم فيه متقدمًا، فلما كان بعض الأيام وشرع في الصلاة من كان لها مقدمًا، جاء جمع كثير فدَلّى كل واحد من ذوي المكر له حبلًا ورمى، فصعدوا جميعًا السور ونزلوا وحمي الحرب واحتمى، ولعب الباطل بينهم وارتمى، وانتخى كل بنخوة الجاهلية وانتمى، فقتلوا غالب أهل القصر فصاروا شهداء رُحّما، وأخذوا أولاده فأرسلوا الكبير إلى الشريف فجعلوه في حبس الدّما، وجاء بقية أولاده عبد العزيز فأعطاهم أموالًا كثيرة وإبلًا شهيرة، وانصرف كل منهم محبورًا مكرمًا.

**وفيها** غزا سعود، خلّد الله تعالى له الإقبال والسعود، فسار بالمسلمين يريد عربان القبلة[(١)]، وقد تقدمته طلائع العز والسعد قبله، فجد في طريقه وقد باراه النصر والإقبال، وجاراه التأييد والظفر فلم يكن لهما عنده انفصال، ولا مفارقة ولا زوال، فلم يزل يدأب السير والترحال، ويديم إنضاء الأعوجيات[(٢)] على اتصال، حتى أراد الله تعالى من تلك الأمكنة علوة وقربة، ومنحه طِلبة أي طِلبة، وذلك أنه نزل على قرى تُربَه[(٣)]، بعد أن طالع بعض العربان من دعاة ذلك المكان، فجرى بينهم مناوشة طعان، ثم انهزموا بعد ذلك حتى توغلوا الحرار، فلم يكن عليهم توصل ولا اقتدار.

---

(١) من سبيع.

(٢) في (لسان العرب): «وأعوج: فرس سابق رُكب صغيرًا فاعوجّت قوائمه، والأعوجية منسوبة إليه».

(٣) تبعد عن مدينة الطائف ١٨٠ كم من الجنوب الشرقي.

ثم بعد ذلك أقام سعود في تلك الأراضي، ولم يكن له عن حصار القرى إعراض، فاستمر محاصرًا لأهل تلك البلاد، وكل يوم يصدره منهم قتال وجهاد، ومصابرة عند التسور وجلاد، وكل يوم يحمل أهل الإسلام على الأسوار، ويرومون التسور على البلد والانحدار، ويقاسون من أولئك الفجار من طلائع الموت ما يزيغ الأبصار، وقُتل من أهل الدين والإسلام، في جميع تلك الأيام، نحو عشرة رجال، كان لهم على الشهادة آجال، منهم محمد بن غشيان، وكان يعدّ من الأبطال الشجعان، وقتل من أولئك قريب من ذلك.

ثم شرع المسلمون في قطع ما لأولئك الأقوام، من تلك النخيل العوام، ويخربون فيها كل يوم، حتى كادت تنفتّ مرائر تلك القوم، حين رأوا قطع تلك النخيل الجليلة، وأربابها عن حمايتها محصورة ذليلة، ولم يكن لهم سبب إلى سلامتها، ولا وسيلة غير المصالحة عنها، وكان ذلك لهم حيلة، فصالح أهل قريتين سعودًا على نخلهم، وقطع نخل قريتين لسوء فعلهم، ثم بعد ذلك الحال وانقضاء المراد على الكمال، عزم المسلمون على الارتحال، فساروا على تؤدة وتمهال، من غير غلو في السير ولا إيغال.

**وفيها** غزا إبراهيم بن عفيصان، بجمع من أهل الخرج والفرع والبدو ممن يدعي الإيمان، فسار يجد السير لنيل المراد، حتى أناخ من قطر على بادية تلك البلاد، فأغار عليهم؛ فناروا[1] فورًا وتركوا الجلاد، فأخذ ما عندهم من مال، من أمتعة وغنم وآبال، وقدم بذلك بلد الأحسا، وأقام يبيع ذلك فيها وأرسى، ثم بعد فراغه أصبح فيها وما أمسى.

---

(١) ناروا: هربوا.

**ثم دخلت السنة العاشرة بعد المائتين والألف.**

وفيها أظهر الشريف غالب عساكر كثيرة، وجنودًا غزيرة، ورأّس عليهم فهيد الشريف، فنزلت عليه البوداي كل سلف وفريق، وسلكوا للشر كل طريق، وأقبلوا يريدون ابن قرملة، وكانوا على ماء يقال له ماسل(١)، فأقبل عليه تلك الأجناد والقبائل، وأتوه بعد قتل عيونه على غرة، لينفذ الله أمره، فدهموه وأهله في شعب من الشعاب، وقد ملكوا عليه فم ذاك الشعب، فلا يمكنه خروج ولا ذهاب، فطاعنهم زمانًا طويلًا، وقتل منهم ثلاثين رجلًا، وقتل من خيل ابن قرملة نحو عشرين، ثم انهزم ابن قرملة، وأخذ الشريف تلك القوم المجتمعين، ولم يقتل سوى رجل واحد من المسلمين.

وفيها غزا سعود، يسر الله تعالى له كل مراد ومقصود، فسار بالمسلمين يعتسف من الفيافي السهل والصعاب، ويطوي من أديم الموامي كل موحشة يَبَاب، لا يُسْمَعُ بها غير أصوات العرج والذباب، يظل فيها القطا فراخه فلا يهتدي، ويحير الخرّيت في مهامها فيتقنع قناع الموت ويرتدي، وتروح على رياضها اليعافير(٢) وتنتدي، لا يرى بقفرها أنيس، ولا يبصر في لاحبها آثار العيس، مظمئة لا يدرك فيها ما يبل صدى الظما، يحاكي لون أديمها زرقة السما، مغبرة الأفق والأرجا، يحس الساري بها بما للجن فيها من الغمغمة والزمزمة والأزجا، فلم يزل تدأب المطي في ذلك السير الإعناق، والأباطح تسيل منها بتلك الأعناق، حتى قطع بصارم العروتين تلك المفاز، وأراد مولاه لمراده إنجاز، حتى تبين له من سواد الحرة ذلك الحجر، وبدر له منها ذلك

---

(١) قال ابن بشر (١ / ١٠٣): «الماء المعروف في عالية نجد».

(٢) الغزلان.

المدر، وألقى لها الجِران عند أولئك العربان، وذوي الضلال والعصيان، وكانوا أسلافًا، كبيرهم ابن مجبور من العتبان، فمد لها طول الراحة بعد هزيع من الإعتام، وسجّى دياجر الإظلام، إلى أن شدت عساكر الظلام، في الهروب والانهزام، ونادى المنادي بدعوة الإسلام، وأذن للصلاة بالقيام، وقضيت على الطمأنينة والتمام، وكان الدعاء بعد ذلك ختام، بنيل التوفيق والمرام، فأسرعت الرجال إلى الرحال، وأطلق الركاب من الاعتقال، وأسرعت الأبطال إلى الجياد، وتسنموا صهواتها للجلاد، وشرع كل منهم سنانه، وسأل مولاه الإعانة، وجردت القواضب المرهفة، وشنوا على أولئك العربان غارتهم المرجفة، وشهواتهم المتلفة، فانتدبت فرسان الشرك والضلالة، وأقبلوا فرسانًا ورجالة، وجالوا في الحرب مجاله، ثم أنزل الله تعالى عليهم الذلة والبأس، فانهزم ذوو الضلال والإبلاس، وأخذ المسلمون جميع أولئك الناس، وولّوا على أعقابهم، وتوعروا في الحرة في ذهابهم، وعجل الله تعالى لهم بعض عقابهم، فشد المسلمون خلفهم في ذلك الأثر، حتى أعياهم مقاساة ذلك الحجر، وخشَوا على أنفسهم وخيلهم من الضرر، فرجع كل واحد منهم وصدر، وأخذ أهل الإسلام المحلة، وشتت الله حزب الشرك وفَلّه، وأخذ من الإبل نحو الألفين أو يزيد، ورجع المسلمون بالأجر والمزيد، وأخذ أيضًا عشرة آلاف من الغنم، وغنموا أعظم مغتنم، وقُتِل ذلك اليوم من المسلمين سبيل، وكان مقدامًا نبيل.

**وفيها** غزا قاعد بن ربيّع أمير الوادي، فسار بجمع من قومه يريد من هو للمسلمين معادي، وأدلج في ذلك الزمن، وهجر لذة الوسن، حتى رأى من بني هاجر[1] فريق آل ضمن، فاستقر باله واطمأن، وثبت قلبه وركن، فصبّحهم

(١) من قحطان.

بالغارة المجيدة، فكانت أسنته لهم عاملة مفيدة، ومرهفاته لهم مبيرة مبيدة، فقتل منهم فوق الأربعين، وأخذ ما عندهم من خيل وإبل وغنم، وولي قليل من الرجال منهزمين.

**وفيها** أظهر الشريف غالب جموعًا وأجناد، وعساكر من كل قرية وبلاد، وانضم إليه أهل بلدانه، وجميع أعرابه وبدوانه، فرأّس فيهم ناصر بن يحيى الشريف، وأمرهم بمصادمة بوادي الدين، ومن هو منتسب للمسلمين، فخرجوا يقتحمون السهل والوعر، ولا يصدهم عن مرادهم الضجر، فلما تحقق عبد العزيز ذلك الخبر، وشاع بين الناس واشتهر، أرسل العربان المسلمين من قبلة نجد، وأعلمهم بما عزم عليه الشريف من ذلك القصد، وأمرهم أن ينزلوا بالأهل والأظعان، على هادي بن قرملة كبير قحطان، وأمر ربيّع أمير الدواسر والوادي، أن يظهر مع جيش من قومه وينزل على هادي، فالكل من أولئك الأقوام أسرع الامتثال، والقيام لأمر عبد العزيز الإمام، وبادروا لذلك المهم والإعانة في دفع ذلك المدلهم، فلم تمض قلائل من الأيام حتى اجتمع أولئك الأنام، على ماء بنجد يسمى الجمانية، فالتأمت به تلك الأمم البداونية، حتى كان آخر الأيام الشعبانية، نزلت تلك الجموع الشيطانية، وأبرزت من البأس وفرط الإبلاس، واختلاف الأجناس، ما يدهش العقول الإنسانية، ويرعش القلوب الجنانية، فلما بدت الغرّة الرمضانية، تلاحمت الفرسان العربانية، وشرعت الحراب السنامية، وجردت السيوف الهندوانية، وقتل ذلك اليوم أبو مجبور من الأبطال الفرسانية، وانفصلت جميع الأمم الفرقانية، لما غابت الأنوار الشمسانية.

فلما طلعت شمس ثاني رمضان، تداعى عند ذلك الكماة الشجعانية، وحملوا حملة هائلة ظلمانية، وتصلّيت تلك القوى الجسمانية والقلوب الصلدَانية، وثارت تلك العجاج الدخانية، واصطلمت تلك المدافع النيرانية، فأعلن عند

تلك الأمور الهائلة العيانية، أهل الدين والإسلام بشعارهم بتعظيم الصمدانية، والإعلان بكلمة التوحيد والوحدانية، فهزم الله جميع تلك العدوانية، وحف المسلمين النصر والظفر من العناية الرحمانية، وتفرق أهل الضلال في خلال العقبات الشعبانية، وقتل منهم نحو ثلاثمائة رجل، وأخذوا من الإبل والغنم ما لم يُنَل مثله ولم يُرَم، وأخذوا جميع المحلة والأزواد والطعام، وتلك المدافع المجرورة ومنصوب تلك الخيام، وكان الغنم التي حصلها المسلمون مائتي ألف، غير ما قضى الله تعالى عليه بالحتف، وعدد ما استولَوا عليه من الإبل ثلاثون ألفًا، من غير خطأ ولا ذلل، وقُتِل من المسلمين رجال، وان-هزم الأعداء بأقبح حال.

وكان محمد بن معيقل قد أرسله عبد العزيز لعربان المسلمين مددًا، فلم يأتهم إلا بعدما فرق الله تعالى المبطلين عددًا، وجعلهم فرقًا وبددًا، وكان قدومه عليهم بعد يومين، فأطلب بني هاجر ولم يبال بما معه من الأين، فأدركهم على ماء يقال له القنصلية، فأغار عليهم وقتل نحو الأربعين من تلك البرية، فشدوا في الانهزام بعد تلك القضية، وكان هؤلاء الأعراب شمروا في الانهزام بمالهم والذهاب، حين رأوا جيوش ابن قرملة على قومه مربين، فعاجلوا بالانهزام مدبرين، فاجتمعوا على ماء القنصلية[1]، وظنوا أنهم قد أحرزوا أموالهم، فخابت آمالهم الظنية، وحواها كلها ابن معيقل، وعزز بها تلك القضية السوية، وانصرف بنيل أمنية.

**وفيها** غزا مبارك بن عبد الهادي، ومعه من قومه من أراد الجهاد من بين حاضر وبادي، فسار في عزمه ذلك ومرامه، يجد السير والسرى في جميع لياليه

---

(١) قال ابن بشر (١ / ١٠٥): «قرب بلد تُربه».

وجميع أيامه، لم يثنه النصَب، ولم يسأمه التعب، فينحل عند همته وأحكامه، حتى قرب من أرض نجران، فألقى هناك بعض البدوان، يسمون آل الهندي[1]، فكان حينئذ للغارة عليهم مبدي، فلم يشعروا إلا باهتزاز الرماح وبريق الصفاح، فانتهضوا جميعًا للقتال والكفاح، ولم يتخلف إلا من ليس عليه جناح، فتطاعنوا ساعة وزمانًا، ومكثوا للجلاد حينًا وأوانًا، ثم انهزموا بأفظع حال، وقتَل المسلمون منهم ثلاثين من الرجال، وأخذوا جميع ما عندهم من المحلة والغنم والآبال، وانصرفوا في أحسن حال.

**وفي شهر رمضان من سنة عشر بعد المائتين والألف.**

براك وآل الحسا من تحت إمام المسلمين، لمعت للفتنة بوارق، ووحت للفتنة بوائق، وفاح للشر عَرْفٌ وشذا، ولاح طالع النحس والأذى، واستبطن البغي والغدر، واستعلن الفحش والنكر، وعصفت للخيانة رياح، وظهر على الفساق البِشْرُ والارتياح، وعلتهم من الفرح نشوة، وزادت قلوبهم على المسلمين قسوة، واستنشق المسلمون للمكر عَرْفًا، فلا يستطيع أن يرجع في المنكر حرفًا، بل يوم ينتظرون يلاقي حتفًا، فاستمرت الحال أيامًا وليال، وبطانة الشر تعلو وتزيد، وتضمر البطش بأهل التوحيد، ولكن ليس عن ساحة الصبر من محيد، فلما أراد الله تعالى إنفاذ الوعد والوعيد، وتهيئة أسباب التمكين لأوليائه والتأييد، وهلاك مَن أراد هلاكه وخذلانه، وذل مَن أراد ذله وهوانه، قدح زنادها وحقق ميعادها، فأورت بالشر نارها واستطار لهبها وشرارها، وسمى جهارًا منارها، وأعلن أصحابها وأنصارها، وتأزر بإزار الغدر شرارها، وارتدى برداء الفتك فساقها وفجارها، وبقيت تمور بين أهل الفجور تلك الشهور.

---

(١) من يام.

هذا، والمسلمون من أهل الحسا بين لعل وعسى، وكلٌ تجرع مرارة الخوف واحتسى، وتدرّع بدروع الهم واكتسى، وكابد حرارة الغم والأسى، وقلوبهم بين رجيف واضطراب، ووجيف واكتئاب، إلى يوم للمنية في ارتقاب، وفي حطم البلية في احتساب.

هذا، وإمام المسلمين عبد العزيز، أدخله الله كنفه الحريز، يُرسل المكاتيب ويكثر فيها المعاتيب، ويُعمل الرسل والإرقام، في كل أسبوع من الأيام، إلى براك بن عبد المحسن، ويحضه على نفي المسيء والإحسان إلى المحسن، وقد اهتم بذلك والله هذا الإمام أشد الاهتمام، وأمره أن يقيم الدين أشد القيام، وأن يشيد قواعد الدين، ويبيد جملة المبطلين، ويزيل من الشرك أصله وأساسه، وينفي دعاته وأناسه، ويقيم على الحق والهدى، ويشرّد أهل الزيغ والردى، ويبتهل بإقامة السنة، ويتّبع منهج الرسول الذي سَنَّه، ويأمره بإعلان شعائر الإسلام، وإخلاص الدعوة للملك العلام، وإيقاع الخمس الصلوات في المساجد والجماعات، ويبذل له النصح سرًا وجهرًا، ويبين له أنك إن فعلت هذا نلت عزًّا وفخرًا، وحَوَيت من مولاك عزًّا ونصرًا، وأعظم لك ثوابًا وأجرًا، وقد ألزم عليه في ذلك أعظم الإلزام، وأمره أن يفي بما عاهد عليه الله حين دخوله في الإسلام، ويفعل ما شرط عليه حين عقد الإبرام، وما التزمه في الحجة من الأحكام، من نفي أهل الباطل والفجور، وطرد أصحاب الفساد والشرور، كما هو في صحيفة العهد مذكور، وفي حجة العقد مقرر مسطور، فلم تغن النصائح والإنذار، ولم يبادر بما دُعِيَ إليه من إزالة الأشرار، وتعذر من الإمام في عدم القيام وعدم الوفاء بما عاهد عليه، أن هذا لا سبيل إليه، وقد أعيا الرأي والفكرة، وليس إلى جلاء رؤسا الفتنة من قدرة؛ لما يؤدي إليه الحال، ويترقب في المآل، من الاختلاف والشقاق، وقيام أهل الرفض والنفاق،

واجتماع أهل الزيغ والباطل، على أهل التوحيد والأفاضل، والأمر يؤخذ على مهل، وَلْيُدْرَ أن الأمر جاء على عجل، وأن الفتنة قد حزّبت أحزابها، والبدعة قد نخت كبارها وأربابها، وأن الله تعالى قد حقق على الرافضة خرابها، وكبت على فساق تلك البلد ذهابها، وأبدى لهم جزاء ردتهم الأولى وعقابها، وبين لهم شؤم الخيانة ومآبها، وما أشقى به أهلها وأصحابها.

هذا، وأردية البلاء تُنْسَج وتُحَاك، ويسعى فيها كل فاجر أفاك، إذا غسق الليل ودجى الأفلاك، وترامى شرد الباطل في الأفلاك، وكان ذلك يسعى في نسج تلك الأردية والبرود، وعقد تلك الألوية الضالة عن المنهج المحمود، مَن هو في كل فتنة معدود، وفي كل مقام على المسلمين مشهود، رأس الفتنة ورئيسها الذي يثبت على أصلها وتأسيسها، ويرسي عليه عمودها، وتورق به أغصانها وعودها، وتثبت أوتادها وأطنابها، ويفتح بشؤم فكره بابها، وذلك لكونه لا يزال سميرًا للفساق والفجار، وظهيرًا للعصاة والأشرار، وهو صالح النجار، فكان إذا هدأ الناس، واشتد ظلام الإغلاس، أخذ بالشر والإبلاس، فركب دابته وجد وقصد، قصر علي بن حمد، فأحكم الرأي والمشورة، وعرض عليه تلك الأمور المحظورة، ثم سار من عنده وأجمع محكم قصده، ونحَا على الحبابي وقصد، وأحضر ابن عفّات واجتهد، وظن أنه لم يشعر به أحد، لكون هذا السعي والاجتهاد، وإعمال المسير والترداد، إنما هو في الليل، وفي النهار يُظهر للمسلمين المناصحة والميل، والمسلمون يعرفون حقيقة حاله، وقبيح ما ينظمه من فعاله، وقد أرسلوا الرسائل والكتب، وجَدُّوا في الطلب، وأعملوا المَطْيَّ بالإرقام، إلى عبد العزيز الإمام، يطلبون منه النجدة والمدد والعدة، ويحثونه على النصرة والانتصار، وقد بينوا له جميع الذي صار، وما بدا لهم من الشين الذي ضار، والشر الذي ارتفع له غبار، وكذلك أرسلوا إلى الأمير سعود بأن

يسعفهم بالمراد والمقصود.

وكان حينئذ، حرس الله مهجته وأدام عزه ودولته، منيخًا قرب شقرا، فلما جاءته الرسل من المسلمين، ومن والده، متع الله به المسلمين، وقمع به أعداء الدين، أحضر وجوه الغزاة للمشورة فيما يراه، وما عزم عليه وأبداه، وبين لهم ما يراد بأهل التوحيد من أهل الحسا، وما خالطهم من الخوف والأسى، وقال: أريد أن أعجل لهم المدد، قبل أن يقع بهم الفتك من تعاهد عليه واتعد، حتى يكون لهم عونًا، ويلقى العدو به ذلًّا وهونًا، بل ربما يكون مجيئه البلاد سببًا لبطلان ذلك العهد والاتعاد، وتخمد بمجيئه نار الفتنة التي توقد كل ليلة غاية الإيقاد. فأرسل وهو في ذلك المكان، إبراهيم بن عفيصان، ومعه مائتا مطية تعجيلًا للرعية، واستدفاعًا لما أعد من البلية، وما عزم عليه من الردة الردية، وكان ذلك رأيًا مباركًا ميمونًا، خاليًا من شوائب النحس مصونًا، وحزمًا شباه مرهفًا مسنونًا، وعزمًا حاز المسلمون به ركودًا وركونًا، فلما أقبلت الرسل إليهم، وقدموا عليهم، وسمعوا كلام البشير، وتحققوا المجيء والمسير، وفهموا قرب مكان الطليعة، عرفوا أنهم ليس لهم حيلة ولا ذريعة، وأنها ليست لهم بممنعة ولا منيعة، إن لم يسارعوا إلى ما عليه عزموا، ويعجلوا ما عقدوه وأبرموا، وينفذوا ما نوهوه وأحكموا، ويبدروا المسلمين قبل قدوم المدد المقبلين، بما أجمعوا عليه من الفتك، وندبوا إليه من الخيانة والهتك، ونصب أعلام الارتداد، ورفعها بين العباد، وشهرتها عند الحاضر والباد، قبل تلاحق الأمداد، لكي يغمسوا كافة أهل البلاد، في منتن تلك الأقذار، ويضمخوهم بهاتيك الأوضار، ويدخلوهم في دائرة الهلاك والأخطار، فأبى الله العزيز القهار، ألا يكون ذلك إلا على الرافضة والفساق والفجار، فلما آن أن يبدو للقضاء الأزلي آثار، ويظهر بعض ما انطوى في الغيب من الأسرار، وحان

الحين وحاق المكر بالأشرار، ولمع بارق قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

وأقبل ظلام ليلة الفتنة وسجى، واسودّ فيها محلولك الدُّجى، وأرخى الظلام فيها سدوله، وفقد الأفق من البدر أفوله، حتى أتى أهل الضلال والردى، والذين يريدون الفتك والاعتدا، من الرفعة والنعاثل[1]، وغيرهم من الأراذل وسفلة القبائل، رئيسهم النجار وأنيسهم، إذا انسلخ النهار فاجتمعوا عنده، وعرف كل منهم قصده، وعاودوا الرأي تلك الليلة، وأبرموا التدبير والحيلة، بأن تقتل مَن فيها من أهل التوحيد كل قبيلة، بل سمى كلٌّ من المتعاهدين قرينه وقتيله، وبينوا التدبير والاحتيال، وصمموا على الفتك والهتك والاغتيال، وبارزوا بالحرب شديد المحال، ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾.

هذا، والأنذار على المسلمين تتوالى، والأخبار تتلى عليهم وتتالى، فلما أراد حقن دماءهم ﷻ، وخذلان من ساعد على الفجور ووالى، وتعذيب من اجتمع على الأولى والثانية وتمالى، وإلباسه في الدنيا هوانًا وإذلالًا، ومقاساته تنكيلًا ونكالًا، نما ذلك الخبر وفشا ذلك فظهر، بعد أن خفي واستتر، وتحقق أمير السياسب سيف آل سعدون، ما هم له مستعدون، وما هم عليه مجتمعون، فأحضر المهاجرين من إخوانه، وأخبرهم بقصته وشأنه، مع أنهم كانوا لذلك مستيقنين، وللخيانة مستيقظين، وللغدر كل يوم متوقعين، إلا أنهم كانوا على الله متوكلين، وللموت نفوسهم موطنين، فاتفق رأيهم وانتظم، أن يرسلوا إلى من يخشى منه الردى من جماعتهم ويتهم، ومن دخل منهم في الحلف وعزم،

---

(١) من أحياء الهفوف.

فلما أحضروهم كافة، ووضحوا لهم سبيل المخافة، وما يترقب على ذلك من الآفة، وأن أهل الشر والفساد، يريدون غدًا الارتداد، وليس لهم غيرنا مراد، وجيوش المسلمين والأمداد، تطلع عليهم بكرة أو روحة بالنصر والإمداد، فتنالوا بذلك غاية السعد والإسعاد، وتدخلوا في طريق الرشد والإرشاد، وترفضوا منهج من نوى السوء وكاد، ونحا قاصمة الظهر وأراد.

فكان، ولله الحمد والمنة، ذلك النصح أزال عن قلوبهم الأكنة، وصار ذلك الوعد لهم والإيعاد، مما أجدى فيهم وأفاد، فكأنهم بعدما انتضوا السيوف لملاقاة الحتوف أعادوها في الأغماد، وكأنهم انتبهوا من سنة الرقاد، ودعت منهم تلك النصائح أذن واعية، فأصبحت أركان الردة ولله الحمد ذلك اليوم واهية، حيث لم يقم من السياسب لهم داعية، وانحلّت عرا ذلك الإبرام، ورد الله بكيده من رام.

هذا، والنجار بعدما أخذ الكرى والمنام، في ظلام الدياجي أجفان الأنام، دأبه الإقبال والإدبار، وتدبير ما يريده في النهار، يحيك ذلك وينسج، ويدخل البلاد ويخرج، إلا أنه على شأن السياسب لم يُعرج، وقد أعد خارج البلد في بستان هناك رجاله، وسقاهم فيه من رحيق القهوة صافية وزلاله، وكان الوعد بينهم حين تذر قرنها الغزالة، فلم يلبث الناس بعد ذهاب الإغلاس، إلا قدر ما بدأ من كوة الأفق ضوء السراج، وأشرق على سطح البسيطة نوره الوهاج، وانتشر في بطون الأزقة والفجاج، أهل الفلاحة ذو الحاج، حتى سمعت الجلبة والأصوات، ووقع الذعر والانزعاج، فرجع الناس على أعقابهم ينكصون، وقد خالط الرعب قلوبهم، فهم منذعرون، ولم يكونوا بذلك الأمر يشعرون، ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

فتعاظم الأمر وعلا، وشاع شأنه بين الملا، وأسفر وجه الردة وجلا، وزادت

القلوب وجلًا، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾، ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾، وزاغت الأبصار والألباب، وغلقت البيوت والأبواب، ونادى منادي القضاء بالعذاب، والذهاب على الذين فعلوا ولكنهم لا يسمعون، ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ وتوقفت أشرار تلك القبائل، ولم يكن غالبهم بما عنده فاعل، وهم بين لائم وعاذل، إلا أنهم للسياسب منتظرون، ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾.

وبادر قوم النجار، لأنهم رؤوس الأشرار، فقتلوا شخصًا واحدًا، وهو عبد الله بن حسن، وكان النجار عنده قاعدًا، وبتثبيطه مواعدًا، فأسرعوا إليهم يُهرعون، وأقبلوا عليهم يركضون ﴿لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ﴾، وجرحوا ابن كثير جرحًا، ولم يجعل الله لمرامهم نُجحًا، وما أصابوا في المسلمين قرحًا، وقد عرفوا لو يطلبون صلحًا من المسلمين لا يقبلون، ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

فعند ذلك شمرت تلك العصابة، وندب النجار أعوانه وأصحابه وشيدوا الحرابة، ونهضوا إلى السياسب يُسرعون، ﴿كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾، فدهموهم في الفريق والسكك، ووقع بين البيوت المعترك، وصدق الطعن من سلك، ولكنهم على الحق معتدون، ﴿لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾، فحين أبصروا حرارة الطِعان، وذاقوا مرارة السِنان، وحامت عليهم للموت عِقبان، في منازلة تلك الإخوان، وتيقنوا أنهم لما يريدون لا يدركون، وأنهم أخطأوا ما يأملون، ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ﴾، فانهزموا بأقبح الذل والنكاية، وقتل منهم واحد هو الغاية، وحف المسلمون باللطف والعناية، لعلهم بأمرهم يعتبرون، وعلى ربهم يتوكلون، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾، وأدبروا يعضون أنامل الندم، وولى كل شيطان وانهزم.

ثم اجتمعوا عند رئيسهم وعزم أنهم لجميع المشرق يُرسلون، فأرسلوا

يحثونهم على المجيء والتعجيل، حتى يفوزوا بالمنى والتأميل، فلما قدمت عليهم الرسل، وأخبروهم بما حصل، نهد مقاتلة كل قرية، واجتمعوا للحرب بلا مرية، فلم يرتفع سلطان النهار، إلا والجنود تطلب البدار، وتروم لأهل المبرز الدمار، وقد أقبلوا أوّلهم، وهم النعاثل والرفعة، والذين حضروا ببيعة النجار، ثم أقبل بعدهم من أهل المشرق أعداد، وتتابع لهم جيوش وأمداد، وكل منهم لصدق الحرب في أهبة واستعداد، وتأهب لوطئة البلاد، إن لم يف لهم مَن حضر الحلف من الفِرقان، بذلك الوعد الذي كان، ويرجعوا عن طريق الخذلان، ويقتل كلُ فريق مَن عنده من أهل الإيمان، ويحققوا لهم سابق ذلك الميعاد، وينجزوا ذلك الإيعاد.

هذا، وقد استعد من أهل المبرز كل فريق، وأحرز وجعل الأرصاد كل فريق، فيما يؤتى إليه من طريق، وشمّروا للحرب سواعدهم، وأخلفوا مواعدهم، بل أظهروا أعظم الإباء والامتناع، وأشد الذب عن المسلمين والدفاع، وتبين منهم الصدق على ذلك والإجماع، فبقي مَن عندهم مِن أهل الفتنة والفجور، ينادي على نفسه بالويل والثبور، وأبصارهم تمور وأفكارهم تخور، وليس لهم من أهل المبرز مساعد، بل كل عن الفتنة قاعد، وهواتف البلاء عليهم يدرون، ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

فحين وضح واستبان، ذلك الخلف والخذلان، لصالح الرئيس الداعي إلى طريق إبليس، ولم يجد ناصرًا ولا قبيلًا، ولا معينًا ولا كفيلًا، وأضحى حائرًا ذليلًا، لم ير حيلة له إلى البقاء ولا سبيلًا، ولا منهجًا للسلامة ولا دليلًا، إلا مخادعة أهل الإسلام والإيمان، وطلب منهم الدخول معهم والأمان، فراح في ساعته، بعد تدبير فكرته، إلى فريق العتبان، وكانوا ذلك اليوم نعم الإخوان، جزاهم الله تعالى خير، ورئيسهم مهوّس بن شقير، فأخذ منهم الأمان، على

نفسه ومَن له مِن الإخوان، وكان هذا من الله تعالى حكمة باهرة، وقدرة قاهرة، وأمرًا قدره تقديرًا، ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾، أبرز خذلان أعدائه عبرة لأوليائه، وتسلية لهم على بلائه، لعلهم على الفتنة يصبرون، ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

هذا، ولم ينادِ المنادي لصلاة الظهر بالأذان، إلا وقد أقبلت الرسل تبشر بقدوم إبراهيم بن عفيصان، بل هم مع الوقت كفرسَيْ رِهَان، فحصل الأنس وطابت النفس، وزاد سرور أهل التوحيد والإيمان، وزال ذلك الهم والخوف والأحزان، وتم السرور، وحصل الفرح والحبور، وهبت رياح القبول والتهان، وبدت شموس الأماني والأمان، ولم يزل أهل المشرق ومن معهم من الرفعة والنعائل، وسائر سفلة تلك القبائل، خلف السور مقيمين، ولمقصودهم رائمين، وعلى مأمولهم عازمين، إذ لم يكونوا عالمين بما قد صار من حال صالح النجار، وما جرى من الأخبار، فلم يفجأهم إلا الخيل تضبع، والأسنة تبرق وتلمع، والبيض تُشرق وتسطع، فكُلٌّ ولَّى وانهزم، وتندم على ما كان عليه عزم، وانتَضَوا بطون الأقدام، ولم يكن لهم غير البيوت إقدام، فوطئهم من المسلمين خيول، وخرج معهم من أهل البلد فحول، فحالت على قطعة من الأحزاب الفرسان، وجالت عليهم أولئك الرجالة الشجعان، فقُتِلُوا جميعًا في ذلك المكان، وجُرِّعُوا كأس المذلة والهوان، وباؤوا بالخزي والحسرة والخذلان.

وكان جملة المقتولين نحو الستين، وغالبهم من أهل الجبيل، والباقي من بلدان المشرق متفرقين، وفات الحملي ومن معه، حين أقبلت الخيل عليهم

مسرعة، وشرد هاربًا ونار[١]، ولم يجد دون بيته من قرار، وازدحموا عند دخولهم الدروازة، والكل يريد من الخوف السبق وإحرازه، فلما رأى وجوه قومه وجماعته، قبيح فعله وصناعته، ساروا إليه سريعًا، وألزموه أن يخرج مع الحبابي وقدومهما جميعًا، وألحوا في ذلك الأمر عليه، وعرف أن القرار لا سبيل له إليه، وأن وجوه الفريق والأعيان، إن لم يخرجوا عنهم لم يدفعوا عنهم العدوان، وأنهم يسلمونهم إليهم، ولا يدفع عنهم إنسان، خرج هو والحبابي، وأناس من الأشرار، حين أدبر ضوء النهار، واشتد سواد الدُّجى، وانقطع منهم الرجا، ففاجأوا علي بن حمد في قصره، واستمدوا من رأيه وفكره، وبقوا عنده ثلاثة أيام، في أكسف حال، وأشر مقام.

هذا، وبلدان المشرق ينهب بعضها بعضًا، وتُسرع إلى القتال والقتل والنهب ركضًا، وتسابق الشمس في الطلوع إلى ذلك الحال نهضا، إبداء للندامة وطلبًا للسلامة، ومقدمة بين يدي سعود، بهذا الأمر المعدود، لعله يكون للرضا وسيلة، وإلى بقائهم في أوطانهم حيلة، ولم يروا مسلكًا سواه يسلكون.

وفي تلك الأيام المذكورة والأحوال المسطورة، وإبراهيم بن عفيصان محاصر لقرية العمران، ومعه جمع كثير وجم غفير، من السياسب والعتبان، وغيرهم من سائر القبائل والفرقان.

ثم في أثناء المدة المذكورة طلب الحبابي وابن عفات والحملي، ومن معه من الرجال المحصورة، من إبراهيم بن عفيصان الخروج إلى العقير والأمان، فأعطاهم ذلك وغيرهم أناس، فخرجوا من الإحصار والأحباس، وأرسلهم إلى العقير مع محمد بن ديماس، وكان إذ ذاك لم يتسنم ذروة الضلال والإبلاس، فقطعوا في ليلتهم تلك المفاوز والقفار، وركبوا صبيحتها متن زاخر البحار،

(١) نار: هرب.

وامتطوا كواهل فلك السيارة، وتيمموا أهل الزبارة، فقدموا عليهم ولم يكن عندهم من الحال خبرة ولا إشارة، حتى فجؤوهم بغتة ذوو النيارة[١]، وشرحوا لهم عن الحسا أخباره، وصرحوا لهم أن قصدنا بفعلنا أن نذهبه وآثاره، ولم يعلموا أن لله تعالى على عباده غارة، وأن الله تعالى يؤيد دينه وأنصاره، وينصر أهيله وأحزابه وأصهاره، ويريد تبيينه في أماكن الرجس وإظهاره، وإثباته في الأحسا وقراره، وأبطل الله كيدهم وما يصنعون ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾.

ولما أراد الله تعالى إبراز حكمته، وتبيين آثار قدرته، واستنارة البرهان والحجة، وتقويم واضح الحجة، قدم سعود مستهل ذي الحجة، فنادى لسان الحال مبشرًا بالسعود والإقبال، ومنذرًا لذوي البدع والضلال، فأعلن وقال: الحمد لله الذي أطلع شمس الكمال في مطالع السعود، والشكر له على ما أعطى وأنال من الكرم والجود، برؤية هذه الطلعة السعيدة، والعزة المنيرة الرشيدة، فأناخت بقُرب النعاثل أولئك الجنود، وخففت رايات الإسلام والبنود، وأصبح حبل الحق ممدود، وفاز أهل التوحيد بالقُصُود، وتلت ألسنتهم عند ذلك الحال المشهود، على سبيل الهنا ونيل المنى، وإبداء لشكر مولاهم الكريم، وإظهارًا للثناء والتبجيل والتعظيم، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ودارت كؤوس الأنس والأفراح، وامتلأ القلب بالفرح وارتاح، وهيمنت في الأجساد والأشباح، حداة النفوس والأرواح، على سطح البسيطة بالطول والعرض، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ونُصبت بذلك المحل والمكان، خيام

---

(١) النيارة: الهرب.

التوحيد والإيمان، فغنت بلابل السرور على الأغصان، ورجعت الأغاني في الألحان، وكررت قول من قال في غابر الزمان شِعْرًا:

**فألقت عصاها واستقر بها النّوى كما قرّ عينًا بالإياب المُسَافر**

وطارت قلوب أهل الزيغ والضلال، حين مد فسطاطه وَظِلاله، وأبصروا فرسانه وأبطاله، وشاهدوا خيله ورجاله، وقد كانوا بها يكذبون، ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، وندموا على السِّلم حين فات، وقالوا: يا ليتنا نرد. وهيهات، وتمنوا الموت على الحياة، ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾، فلم يك إلا قد وحطّ الرحال، وتسوية الأحمال والأثقال، فتلقاه أهل الهفوف باستقبال، ونهضوا عليه يسلمون، ونهدوا إليه مستسلمون، ﴿قَـٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، فقابلهم بالقبول والتوقير، وعاملهم بطلائع التيسير، ونفى عنهم صنائع التعسير، وتلا لسان حاله على منهج التبشير، لعلهم بما أشار لهم يفرحون: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فأعطاهم إلا من دخل في الردة الأمان، وأدخلهم في دائرة أهل الإيمان، وأخذوا يبايعونه على الإسلام بالأيمان، وداعي الحق يذكرهم بآي القرآن عساهم به يتعظون، ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

ثم أقبل أهل المشرق إليه أَرْسالا، وقدموا عليه عجالًا، وقد رعبت قلوبهم مخافة وأوجالًا، وتغيرت وجوههم ألوانًا وأحوالًا، لقبح ما كانوا له يصنعون، ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾، وقدموا بشعائر الذل والهوان، على الإساءة منه والإحسان، إذ ليس

عندهم منعة ولا مكان، عن القدوم به يتحصنون، ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾، فشرع معهم في المبايعة والمعاهدة، على المتابعة والمعاقدة، والتزام حبل الطاعة والمساعدة، وهم على الوفاء له يقسمون، ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ وأتاه أهل المبرز أهل الإيمان والإسلام، لأداء واجب السلام، وتجديدًا لعهد الإسلام، فقابلهم بحسن البشر والإكرام، جزاء بما كانوا يعملون، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ﴾.

فلما انقضت أيام العهود، وخف إتيان الوفود، بادر إلى ما هو الأهم والمقصود، وأخذ في تقويم السَّنَن المحمود، الذي به المسلمون يأمنون، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وجرّد مرهفه المحدود، لإقامة القصاص والحدود، وأورد الحِمام المورود، غالب من باشر الردة الثانية في يومها المشهود، فغدوا لكأس الردى يتجرعون، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، وأردف جماعة من المعتدين، وثلة من الفساق المفسدين، وزمرة من الرفضة المبتدعين، الذين هم عن الصراط ناكبون، ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ۝ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ فأفنى رؤوس ذوي الشر والفساد، وأراح من شرهم جميع العباد، وأزاح باقيهم عن البلاد، لا سيما ذوي الشقاق والعناد، الذين هم في الأرض مفسدون، ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾، ودام القتل أيامًا واستمر، ومكث مدة واستقر، وكل يوم يختبر عن المفسدين الخبر، ويقتل من اطلع عليه وعثر، حتى استبرأ الحال والخبر، وعرف أنهم ليسوا بها يمكثون، ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، فشاد في البلاد أركان الإسلام، وأذن بالتوحيد فيها بالإعلان، ورفع للسّنة

الإعلام، التي كان الولاة لها يمكرون، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾، فبدأ بتسوية تلك القبور، وإزالة ما عليها من المحظور، وقطع تلك الأوقاف والنذور، التي أهل الباطل لها يصرفون، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾، وأرسى بها قواعد الدين، فأمسى أهل الباطل مشرّدين، ومحا آثار المبطلين، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، وضُربت سُرادق الأمن والأمان، وأسس قصر التوحيد بأعلى مكان، وأحكم غاية الإحكام في البنيان، ونودي عليه بأفصح لسان، وأهل الإسلام له منصتون، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، فحينئذ نبذ الضلال ملته، ونعى الشرك حزبه وأمته، وبكى الرفض أصهاره وفتته، لأنهم كانوا له يشيدون، ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ وفقد أهل العزّى عُزّاها، وجعل الخراب جزاها، وأهل اللات لها يتبعون، ﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾، ومُحقت رسوم البدع والأهواء والإلحاد، وهُدت دعائم الجور والعماد، وأورق غصن الحق وماد، وبطل ما كانوا عليه يعكفون، ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾، وأقبلوا على ما أوجبه الله تعالى وفرضه، ودحض أهل الضلال والرفضة، وكلٌ هجر ما كان يدين به ورفضه، وضل عنهم ما كانوا يزعمون، ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، فاندرست ولله الحمد تلك الحقائق، وعطلت تلك الطرائق، ولم يكن لها موافق ولا مرافق، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾، وخر عرش الشرك ووهى، لما علاه التوحيد ودهى، وعرف بطلانه ذوو النُهى، وشمروا فيما أمر الله به ونهى، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، وجد

في تعلم التوحيد الصنعة والشرفاء، فوجدوه لمرض القلوب دواء وشفاء، ولم يجدوا عنها مصرفًا، ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وقرر أصحاب الأوقاف والأحباس، وحث أرباب المدارس على تعليم الفقه والتوحيد للناس، فوجدوا عظيم السرور والإيناس، واستمروا علماء المذاهب يدرسون، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، وأقر في أيدي أهل السنة جميع تلك القربات والأسبال، بل زاد غالبهم من بيت المال، واجتهدوا بالقيام في وظائفهم بسرور بال، فهم لهذه النعمة شاكرون، ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾.

ولما فرغ، حرسه الله تعالى، من ذلك العزم والتجريد، لإقامة سنن الدين والتوحيد، ومهّدها أحسن تمهيد، لعل الناس لها يسلكون، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، شرع ينظر في الرعية بالتغيير والتبديل، ويدبر أحوال التأديب والتنكيل، على سبيل التسوية والتعديل، بين أهل الهفوف وكافة الرى وهم لها يوزعون، ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾، وفاز أهل المبرز بحسن الحال، والسلامة من الأغلال والنكال، وطابت لهم العاقبة والمآل، لأجل ما كانوا له يدّعون، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ وشد عليهم في ذلك النكال، مقابلة لما في بيوتهم من الأمتعة والأموال، لأنهم دخلوا في العهد على ذلك الحال، لعلهم عن مثلها ينتهون، ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، ومكثوا تلك الليالي والأيام، يقاسون حرارة الضنك والإلزام، ويبيعون ما عندهم من الأمتعة والحطام، لأداء ذلك الالتزام، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ * كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟

يَفْعَلُونَ﴾ وطلب عليهم جميع ألوان السلاح، ومن أخفى عليه شيئًا فليس له في بلده مراح، بل دمه هدر مستباح، فلم يكونوا لشيء منه يخفون، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، ثم أمر بهدم الأسوار والبروج، ولا يكون للردة منهج ولا عروج، فأصبحوا بها يهدمون، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ فهدمت أسوار قراها والبلدان، مخافة أن ينزغ بينهم الشيطان، ويطمع بها أحد من العدوان، ويحسبون أنهم يمكثون، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، ولما تم بناء ذلك القصر المُحكم المشيَّد، على كل وجه من الأحكام والتسديد، والغلظ وارتفاع السُّمْك والتجويد، ووضع فيه من آلات الحرب والطعام ما يحتاج له المرابطون، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وأعدّ قطعة من خيله وركابه، وجيشًا من جنده وأصحابه، خارج عن القصر قريبٌ من بابه، لإخافة العدوان وأربابه، ولتذب عن البلد من أتوا يخرِّبُون، ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ﴾.

**ثم دخلت سنة الحادية عشرة بعد المائتين والألف.**

سار سعود من الأحسا، أناله الله الرتبة القعسا، لما اشتاق، حرسه الله تعالى، إلى نجد وصبا، وهيج شوقه نسيم الصَبا، وتواجد لها شوقًا وطربًا، كيف وهي الوطن الذي به يستوطنون، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، أمر بأشخاص قوم كثيرة وحمائل، من ضَعة الناس وغالبهم أماثل، متفرقة من تلك القبائل، أنهم يحلون في الدرعية يسكنون، ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾، ثم أمر بالرحيل والترحال، وأن تقدم تلك الأحمال، وتعجل عن وجه الأثقال، ثم شدت له الرحال، فاستوى عليها وقال

ما كان السلف يقولون: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾، وجد في السير إلى نجد، بعدما حاز ذلك المجد، وأكثر الشكر والحمد للمولى الذي له الخلق يثنون، ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، وحين قارب أن يلقي عصا السير والتسيار، ويحط الرحال في رفيع تلك الديار، وشرع إليها في النزول والانحدار، من المحل الذي لها ينحدرون قال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾، وبدأ المسجد حين دخوله بالتحية، ثم قصد والده والأهل والذرية، واستقر مجلسه مع والده وأعيان الرعية، وطفق عبد العزيز يشوِّقهم لما عند الله لعلهم في الدنيا يزهدون، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

وفيها وقعة أحزاب ثويني[1]، ولما استقر بهجَر[2] عمود الدين والإسلام، ونُشرت على رغم أنوف العدا للهدى أعلام، وثبت أصل التوحيد ورسا، في جميع بلدان الحسا، غشى قلوب المبطلين الحزن والأسى، وتمثلوا ببيتي عسى وعسى، فهم على تكرار الصباح والمسا، لعودة الباطل مرتجون، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾، وشوت قلوبهم حرارة الحزن، ومرارة الهم والمحن، حين ملك أهل الإسلام ذلك الوطن، وثوى فيه التوحيد وقطن، وضاق بهم فسيح الأرض فضلًا عن العطن، وعرفوا أنهم متّبعون، ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾؛ فأرجف الله تعالى قلوبهم خوفًا وفرقًا، وسفحوا لذلك دموعًا وعرقًا، وازدادوا ذعرًا وغيظًا وحنقًا، وساروا

---

(١) شيخ قبيلة المنتفق.

(٢) الأحساء.

للتخريب عليها وخدًا وعنقًا، وقصدهم لنور الحق يطفئون، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وتعاظم ذلك الأمر عليهم وأربى، وسعوا في تغييره شرقًا وغربًا، وتداعوا عليه عُجما وعُربًا، ولم يعرفوا أن للدين ربًّا، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾، ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾، وتجرعوا من سماع هذا الأمر غصّة، والكل أخذ من عظيم الحزن حِصّة، حين رأوا أهل الإسلام على هذه المنصّة، وودوا لو يدركون فرصة، على المسلمين بها ينتهزون، ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾، وشمّروا ذيول الهمة بالتبديل والانقلاب، وجدوا إلى تحصيلها في الأسباب، والسعي في بواعث الاجتلاب، فآبوا بذلك بشر مآب، وما ظفروا بما يرتجون، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾، فملأوا بطون الصحف والإرقام، من نفث اليراع والإقدام، وبث ما في الصدور والأوهام، فزخرف القول والكلام، وأرسلوا بها إلى البشارة والحكام، لعلهم في إزالة الدين يسعون، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ وأقام في ذلك الصغار والكبار، واجتمع عليه السفلة والخيار، وشمر فيه ساعد الجد والإزار، فباؤوا بالخيبة والأوزار، مما كانوا فيه يمترون، ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

وانتدب إلى هدم ما قد أسس من الدين وبان، وإزالة ما له من أساس وأركان، كل رئيس وعالم شيطان، من جميع النواحي والبلدان، ونمقوا في الطروس قبيح الفعل والبهتان، وأرسلوها إلى الباشا سليمان، وأقسموا له فيها أنه لا يصلح لهذا الشأن، ولا يقوم بأعباء الرئاسة ومصادمة الكتايب والشجعان، ومنازلة الجمع والأجناد من سائر العربان، ومقابلة هؤلاء العصاة

العدوان، ومقاتلة حضرهم والبدوان، وإزالة أثرهم من الحسا ومحاصرتهم في البلدان، سوى ثويني من الأنام إنسان، ولا يقدر على ما ذكرناه إلا هو ذو الهيبة والشأن، فأَطْلِقْهُ ورَئِّسْهُ حتى ترى ما يَسُرُّ الأعيان، ويقر الناظر له في العيان، وتحمد أثر سعيه في قريب من الأزمان، وترى أهل الدين من سطوته يهربون، ومرادهم على الدين يخربون، ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

فلما دعا الباشا(١) ما حرروه، ووعى ما أثبتوه وقرروه، وتأمل مفهوم ما قد حبَّروه، وعرف منطوق ما سطروه، وفحوى ما كذبوا فيه وزوروه، أمر بإحضار ثويني عنده فأحضروه، وخلع عليه ورأَّسوه وكبَّروه، وعقدوا له الحكم على الحاضرة والبادية وأمَّروه، ولم يقف الباشا على حقيقة ما دبروه، وأنهم قد بدلوا الأمر عليه وغيروه، وحذروه من هذا الذي نفروه، وما هو والله إلا كذب افتروه، وأعانهم عليه قوم آخرون ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ فحين حظي ثويني بالرئاسة ونالها، وحاز من آماله منالها؛ نادى برفيع صوته: أنا لهؤلاء الطائفة أنا لها. وأعطى جماعته الأيمان على ذلك وأنالها، وهم لأيمانه مصدقون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ وندبوه على قتال أهل الدين والتدمير، وحثُّوه على آلات التيسير، وتعجيل الظهور والمسير، وحرضوه على ألا يبقى منهم صغير ولا كبير، ولا يذر شريفًا ولا حقير، وكان بمسمع من اللطيف الخبير، جميع ما به يحرضون ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فأقبل متنعمًا بإزالة الدين من أساسه، وإطفاء نوره من نبراسه، وتغيير منهاجه وانتكاسه، وقتل كافة أنصاره وأحزابه

---

(١) والي العراق سليمان باشا (ت ١٢١٧هـ). انظر ترجمته في «دوحة الوزراء»؛ للكركوكلي (ص ٢١٨ - ٢١٩).

وأناسه، واستئصال شأفة بلدانه وأعوانه وأجناسه، واغتر بما جاء به من سواد رجسه وأرجاسه، وغوغاء أجناده وأحزابه وأنجاسه، ورام هذا المرام لقوة بأسه، وما شعر أنه مسوق إلى قطع رأسه، واستيفاء بقية أجله وأنفاسه، ولم يعرف ومَن معه مَن هم له محاربون، ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾، وهبط من بغداد بعد مقاساته بها الأنكاد، ومعاناته هَمَّ الأسر والقياد والغم الذي غشي الفؤاد، فأسرع في الامتثال والانقياد، وإحكام آلات الحرب والأهبة والاستعداد، وحشد الجيوش والأجناد، والاستعانة بالأسباب والأمداد، من كل ناحية وقطر بلاد، وكلهم بما قدروا عليه يمدون، ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، وسحب ثوب الخيلاء والتيه وجرَّه، وأوطأ سنابك خيل جيشه المجرَّة، واختال بما داخله من العجب والأنس المسرَّة، التي كان في ضمنها له الهلاك والمضرَّة، والذل والهوان والمعرَّة.

**إذا لم يكن عون من الله للفتى  فأكثر ما يجني عليه اجتهاده**

فكان، والعياذ بالله، كالجادع أنفه بكفه، والباحث عن حتفه بظلفه، وهذا شأن الذين يستدرجون، ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وحث السير يريد الفيحا وصولًا، وطوى بأيدي الجياد من المهامه صعابًا وسهولًا، وعزم أن يفي بعهده، ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾، حتى يصادف من الباشا رفعة وقبولًا، ولقد تكلف بما ليس والله في طوقه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، وشمخ بأنفه وجر للكبر ذيولا، ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾، ولكن أكثر الناس لا يتدبرون ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

ولما قارب دخول البصرة في الإقبال، وتبين له منها رسوم وأطلال، خرج إليه أهلها من الفرح باستعجال، وتلقَّوه بالقبول من أميال، وبادروه بالحشمة

والإكرام والإجلال، وأظهروا من التوقير والخدمة والامتثال، ما لا يخطر على البال، ولا يحصره في البيان المقال، فدخلها بأبهة تغشى عيون الناظرين رونقًا وحسنًا، وتخجل المتأملين فيها ألبابًا وذهنًا، ويبهر العقول مشاهدة ذلك المقام الأسنى، فتنقص عند مطالعته مهابة وجبنًا، وتقول: يا ليت لنا مثله، وكذا أهل الدنيا يقولون: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾، ولم يستقر قراره في البصرة، بل ساعةَ دَخَلَها أخذ يُجهز أمره، ويُظهر تجبره وبأسه وقهره، ويجدّ في أسباب الحرب والمكايد خفية وجهرة، ويُحذر الناس سطوته ومكره، ويُخوفهم لكي يساعدوه ويشدوا أزره، ولقد بذلوا الجد في مساعدته، وحققوا عزه وغلبته ونصره، وما جال في خَلَدِهم أنه قد حفر لنفسه من الشر حفرة، وهي لمصرعه بيديه قبره، ولقد كانت حاله لذوي العقول عبرة، ولكن أكثر الناس لا يعتبرون، ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾، وفي حدود إتيانه البصرة ووصولها، وهبوطه إليها ودخولها، ومكثه فيها وحلولها، أتته من رؤساء ما تليه من البلدان ومن العلماء، الذين هم لهذا الدين عدوان، وعلى محقه من الأرض أعوان، محررات الوسائل للنفوس، ومحبرات الرسائل في الطروس، والصحف التي أُجيد في السجع منشورها، والقصائد التي جُلّي بالبهتان صدورها، وأُفصح بالعداوة والبغي منشورها، وأبان محض الحسد والاستكبار صدورها، فكانت، ولله الحمد، شؤمًا عليه قدومها وظهورها، لما بالغ فيه من الفحش بهتانًا وزورُها، وتعدى فيه عصيانه وفجورها، ومضمون تلك الرسائل والقصائد، ومطلوبها من الأماني والفوائد، حَثُّه على سرعة التعجيل لما هو قاصد، لكي يفوز بما أملوا من المقاصد، ولم يجر على بالهم أن الله تعالى له بالمراصد، وأنه يعلم ما يسرون وما يعلنون،

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ واستغاثوا به في منثورهم ومنظومهم وندبوه، وسألوه تعجيل النصرة لهم وطلبوه، ولم يخشوا الله تعالى في ذلك ولم يرهبوه، ووعدوه الأجر على ذلك ورغبوه، وتألَّوا في نصره على الله فيما كتبوه، وليتهم لسوء هذه الجرأة يفهمون، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، وأعنقوا في سيرهم ذلك ونَصُّوا، وعَمُّوا في حكمهم له وخَصُّوا، وجزموا له فيما زخرفوه له بالغلبة ونصوا، وما اكترثوا بمن عليه يجترون، ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

وقد وصل إلينا من هاتيك الديار، منظومة لابن فيروز من تلك الأشعار، متضمنة لأقبح العار، تبين فساد مبناها وبطلان مفهومها ومعناها بأول وهلة قبل التأمل والاختبار، كيف وقد صرح فيها ناظمها ومُنْشِيها بالاستغاثة بملك جبّار، وظالم تعدَّى وجار، والدعوة والاستغاثة حق للواحد القهار، كما هم في محكم التنزيل يقرؤون: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾، ولقد نظمها ابن فيروز وأرسل بها إليه، وقدمت البصرة عليه، فقابلها بالقبول التام، وأبدى من حسن القبول والإعظام، ما زاد على السؤل والمرام، وأمده بكثير من الحطام، وكان بينهما قبل ذلك محبة وصحبة والتئام، ومعاشرة ومواصلة وانتظام، فهم على الخلة مجتمعون، ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، وهذا نصها:

**أنامل كف السعد قد أثبتَت خَطًّا بأقلام أحكام لنا حُررت ضبطًا**

وقد أجاب عنها المصنف، وأرسل بها إليه، وهذا نص الجواب:

**على وجهها الموسوم بالشؤم قد خُطا عروس هوىً ممقوتة زارت الشطا**

تخطت فأخطت في المساعي مرامها ومُرسلها عن نيل مقصوده أخطا
وثارت لنار الشرك تذكي ضرامها وسارت فبارت والإله لها قَطا
لقد شوهت ما زخرفته بزورها كما أنه بالمَين قد أحكمت ربطا
وقد جاء منشيها بزور ومنكر وفحش وبهتان يعط به عطا
وحان به داعي العناد لمهيع تنكب عن سُبل الهداية واشتطا
فضلّ عن الإرشاد للحق واعتدى وغط أناسًا في طريقته غطا
وجاوز منهاج الهداية راضيًا عن الدين بالدنيا فما نالها بسطا
يحاول تشييدًا ورفعًا لما وهت قواعده فوق البسيطة وانحطا
ويسعى بتحريض وتهييج فتنة تصير إذا شبت لحاء العدا شمطا
وربك بالمرصاد ممن يريد أن يؤسس ركن الشرك من بعد أن حُطا
فلا عجبٌ من يعْش عن ذكر ربه يُقيض له الشيطان ينشطه نشطا
لقد خاب من مسعى غدا طول عمره يصد عن التوحيد من دان أو شطا
ولا كابن فيروز يروم سفاهة دفاعًا لحق في البرية قد وطّا
وصار يذود الناس عما أتى به أجل شفيع في الجَزا لِلّوَى يعطا
ويدعو إلى نهج الضلالة معلنًا ومنهاج أهل الزيغ جهرًا به أطّا
يغالب أمر الله والله غالب ويندب من لا يملك الرفع والحطّا
ويرجو من المخلوق غوثًا ونصرة يناديه من بعد أغثنا بلا إبطا
وذاك من الأقدار ما فك نفسه ولم يغن عنه المال إذ بذل الشرطا
لئن كان يدعوه لتفريج كربة فليس سوى الرحمن ندعو بلا استبطا
فبشراه بالخسران والذل إن سعى بهضم لهذا الدين أو وافق الضغطا
ومن جرب الأشياء يكفيه ما جرى ويلغي أباطيلًا عن الاهتدا شحطًا
وينظر في عقبى الخيانة والردى فكل امرئ خان العهود غدا سقطا

وللشهم في تلك القضايا مواعظ يرد بها عنه الغواية والهمطا
وكم دولة كادت وقادت جموعها فبادت وما فادت وما أدركت مسطا
يريدون إخفاء لما الله مظهر وإتمام نور الله بالحفظ قد حيطا
رويدًا فوعد الله لا بد واقع وقد وعد التمكين من عمل القسطا
ومن عارض الأقدار أو سخط القضا فربك قهار له المنع والإعطا
وما ذاك إلا معتد ذو حماقةٍ توغر في الإبلاس واغتر وانغطا
فويل له يوم القصاص وحيث لا مناص وأهل النار تسرطهم سرطًا
سمت عصبة التوحيد عما يشينهم وعن وصفهم بالكفر لكنه الأخطا
أيوصف بالطاغوت من جدد الهدى وأحيا أصول الدين والسنة الوسطا
وأعلن بالإسلام والدعوة التي لها كشط المختار رأس العدا كشطا
وقام بأمر الحق في جاهلية وأهل الردى والشرك تحسبه خلطا
وأطلع مولاه نجوم سعوده بآل سعود حين صاروا له سبطا
فسبحان من عم العباد بحلمه وفي هذه الدنيا بإمهاله غطا
يكفّر قوم بالكتاب تمسكوا وبالهدي والإجماع ما خالفوا شرطا
وما عمموا بالكفر بل خصصوا به أناسًا من الإشراك أعمالهم حبطا
أفي محكم التنزيل تكفير من دعا إلى الله والتقوى وإسلام من شطا
أأهل الهوى والزيغ والفرق التي تحرف وحي الله حازوا الهدى خرطا
وهل جاء في التنزيل والوحي شاهد بتحقيق إسلام الروافض قد خطا
ومن قد نحا في الدين سنة صحبة ينادي عليهم أنهم خبطوا خبطًا
فتبا وسحقا يا لها من مقالة من الإفك والبهتان قد سحبت مرطا
لينظر ذوو الأحلام والعلم والتقى إلى أي قوم في الهدى تبعوا الخطا
وفي غربة الإسلام أعظم شاهد بإسلام من قد قام يدعو الورى عبطا

وبرهانه العقلي نصرة رهطه ... وتمكينهم في الأرض أكرم بهم رهطا
لقد رفعت أعلامهم بأميرهم ... وأبناه أسد الحرب بل بأسهم أسطا
بهم أسفرت شمس الدجى بعد دجنها ... وزال ظلام الشرك من بعدما لطا
ذوو الحزم والتسديد والعزم والنهى ... وأهل المعالي والفخار بهم ينطا
يذودون عن ورد الدنايا نفوسهم ... ويسخون في نيل المرايا بها سفطا
فقد بذلوا في ذا النفوس فأحرزوا ... به العز يا طوبى لمن أدرك القطا
وقد ولي الأحسا سعودٌ فأسعدت ... مساعيه أهل الخير فانتظموا سمطا
وأبعد أهل الشرك عنها وأيدت ... مذاهبهم فيها وما أبصروا غمطا
وقرر أرباب الوظائف كلهم ... وما شاهدوا في كل أوقافهم هبطا
مدارسهم معمورة بعلومهم ... وما ثبطوا عن نشر أحكامهم ثبطًا
وما أبطلت أحكامهم حيثما أتى ... بإبطاله الشرع الشريف وما أخطا
نعم هُدمت للرفض فيها كنائس ... وكل شعار الرفض عن أرضها ميطا
وما كان من جَور ونكث وبدعة ... ولهو وتابوت وكل الدعا معطا
ولم ينف إلا كل من عمل الردى ... ومن كان سبابا لمنطقه مسطا
فليس ترى إلا مفيدًا وهاديًا ... وعلما وتحديثًا بذا تسمع اللغطا
وأمر بمعروف وتنكير منكر ... وتنكيرًا من قد قارف الذنب والسخطا
وحثا على فعل الصلاة جماعة ... وتوبيخ من عنها تخلف أو أبطا
فلله رب الحمد والشكر دائمًا ... على نعم لم يحص نظمي لها ضبطًا
لقد منّ مولانا علينا بمنة ... وخوّلنا من فضله خير ما أعطا
وصب علينا من شآبيب بره ... سحائب رُحمى قد حوينا بها غبطا
بإنقاذنا من غمرة الشرك والهوى ... ولولاه كنا في غياهبها ورطا
عسى الله يعلي في الجنان محمدا ... ويولي الرضا عبد العزيز الذي وطا

ويحرسه عن كل سوء ونسله ويبقى سعودًا في سعود وفي إبطا

أبا عمر هُنيت بل هني الورى بما نلت والتوحيد حاز بك البسطا

إليك القرى والمدن ترنو عيونها تمناك ترعاها فتملأها قسطا

وترتاح من عليا سعود ونصره وتغبط نجدًا والحسا الآن والخَطا

فجهز لها المنصور بالبشر تلقه وتفرش إكرامًا لإقدامه بسطا

فقد طرز الإقبال آيات فوزه براياته والنصر والفتح قد خُطا

ودُمْ شاربًا كأس المسرة والهنا بأطيب عيش والعدا تأكل الخمطا

وأزكى صلاة يفضح المسك عَرْفَهَا تعم رسولًا في الورود لنا فرَطا

كذا الآل والأصحاب ما خط كاتب ونمق في مرسومه الشكل والنقطا

ولنرجع إلى تمام الحديث عن ثويني وحاله، وشرح مسيره وتدبيره وتدميره ومآله، وذلك أنه لما أقام في ذلك المكان، في ترتيب الحال وتدبير ذلك الشأن، واجتمع عنده من أحباس الأجناد لغات مختلفة وألوان، ومن عُدة الحرب والمدافع وآلتها وقاداتها وحماتها ورماتها، ما يذهل الأذهان، ولم يجتمع قبله مثله عند إنسان، ولا أحكمت سياسته مَن هو في شكله مِن رؤساء الزمان، وانتظم ذلك في قليل من الشهور، وانقادت له طوعًا استدراجًا صعاب الأمور، أذّن مؤذن التعدي والفجور، في تلك الجحافل والمحافل والعسكر المجرور، بالارتحال والمسير إلى الأحسا والنفور، والمبادرة بالخروج والظهور، وتردَّى برداء الإعجاب والغرور، ونسي يوم البعث والنشور، يوم يساقون للحساب ويحشرون، ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾.

وانضم إليه كثير من سواد البوادي والأعراب، ونسلوا إليه من كل فج وباب، وتنادَوا بينهم أن اغدوا للأخذ والاستلاب، ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾، وسمحت نفوسهم على المساعدة وتقوية الأسباب بما كانوا ببعضه

يبخلون، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ﴾، وأقبل جميع آل ظفير إليه، ونزلوا بأجمعهم عليه، وكانوا معه ولديه، وخلعوا ما ادعوه قبل من ذلك اللباس، وجنحوا إلى سَنَن الإبلاس، واستحوذ على رؤسائهم الوسواس، حتى أنزل الله تعالى بهم البأس، وكانوا عن سبيل الحق يصدون ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

فزحفت تريد الحسا تلك الجنود، والجموع التي ضاق منها الأودية والفجاج والوهود، وقاد معها القنابل والقنابر والمدافع التي أصواتها كالرعود، وجدّوا يريدون أن ينالوا المقصود، فقضى الله تعالى أنهم يساقون لحياض الحِمام المورود، ويعجلون لأجلهم المعدود، في ذلك اليوم المقدر المشهود، وأُخِذُوا من حيث لا يظنون، ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

فلما تحقق عبد العزيز الإمام الخبر، عن ثويني بصحيح الكلام واشتهر، عند الخاص والعام أنه نشر، للظهور الرايات والأعلام، رفع يديه لمولاه وسأله ودعاه، وألح في دعائه وناداه، وقال وهو من الإجابة على يقين: يا من يجيب دعاء المضطرين، ولا يخيب رجاء المرتجين، ويكشف السوء عن المكروبين، اكفنا بحولك وقوتك المعتدين، واصرف عنا شر الضلال والمشركين، وأنزل بأسك بالمجرمين، واقطع دابر الظالمين، وشتت شملهم أجمعين، واجعلهم في كل فج ممزقين. فلم يتم حينئذ دعاؤه، حتى قوي في يقينه رجاؤه، وغلب على ظنه أن البلا، كتب على جميع ذلك الملا، وأن الهلاك عليهم قد سطر، والإذلال عليهم رُقِم وزُبِر، وقد فُرِغ من ذلك وقُدِر، فتلا: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾، فحقق له ذلك الرجا، وأنجح له ما أمّله وارتجى، ولم يكن باب الإجابة عن قبول دعائه مرتجى، والله يحب

الذين إليه في كل حالة يتضرعون، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

ثم بعد التضرع والإقبال والدعاء والسؤال، والتذلل بين يدي الله والابتهال، أمر سعودًا والمسلمين، بالتجهز والخروج أجمعين، لمنازلة المبطلين، ومصادفة المسرفين، وأرسل بذلك إلى كافة البلدان، مَن هو داخل في دائرة الإسلام والإيمان، البعيد والقريب والقاصي منهم والدان، فكل أجاب طِلْبَتَه ومراده، ولبى دعوته وإنجاده، وخرجوا للطاعة بدارًا، وللجهاد شوقًا واختيارًا، وقد بلاهم الله بذلك اختبارًا، وامتحنهم ليميز الخبيث من الطيب جهارًا، فلقد أبدى الله ﷻ في هذه الحادثة برهانًا ساطعًا، وحكمًا قاطعًا، من الآيات والأسرار المطوية الخفيات، والأمور المكتومة الخبيثات، والعقائد التي في الصدور منطويات، والأهوية التي هي قبلُ مائلة إلى الردّات، والقلوب التي هي مملوءة ببغض هذا الدين من البريات، وتربص بذلك الدوائر من أهل الشرك والضلالات، والأفئدة التي هي بالإحن على أهل الدين مشحونات، من البدو والحضر، من غير تعداد ولا حضر، ففضح الله تعالى خلقًا كثيرًا فافتضحوا، وزين لهم الشيطان أعمالهم فما فازوا ولا ربحوا، حيث رغبوا في الردة حينئذ وجنحوا فأوبقتهم الأعمال، فأخرجوا إلى دائرة العدل والإهمال، وزال عنهم الاستدراج والإمهال، فانقطعت بهم الآمال، في مفاوز الهلاك والوبال، ظنوا حين رأوا قوة ذلك العدد والأسباب، أن هذا إبان حلول العذاب، وأوان الدمار والذهاب، على أهل نجد، بل جزموا به من غير ارتياب، ولم يعلموا أن هذا هو، وربِّ الأرباب، كله على القطع سراب، فكم غر قبلهم من قبائل، وآل في البيداء المضلة لمعان الآل، ولقد رفع أعلام الآيات الكبير المتعال، لكل من له قلب سليم ولب كامل وبال، وأبرز القواطع على تفرده بالألوهية والعبادة

والكمال، في تلك الحال وغيرها من الأحوال، فأبى إلا الصد والإعراض أهل الإلحاد والضلال، وقالوا: ليس لنا عن سَنَن أسلافنا انتقال، ولا نبرح على ما كانوا عليه من سالف الأعمال، وسابق ذلك المنهاج والأفعال، حتى تزول الأرض أو تزال، فأنزل عليهم العذاب سريع العقاب والإنزال، فقطع دابرهم باستئصال، وعاجلهم ذلك قبل حصول مأمولهم وإدراك مطلوبهم وسؤلهم، ونودي عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾.

وخرج جيش أهل الحسا آخر شعبان، وجيوش أهل نجد اجتمع أكثرها في شهر رمضان، وخرج سعود، بلغه الله تعالى كل مقصود، في النصف الأول من شوال، في أحسن حال، وأكمل بال، وقد أمر جيوش المسلمين وأمداد الموحدين، أن يكونوا عند العربان مجتمعين، وينزلوا طرف الصمان، مباراة لأولئك العربان، وكبيرهم محمد بن معيقل، فكان أهل الإسلام كلما أقبل أولئك الطَّغَام ونزلوا مكانًا آخر، ارتحل ابن معيقل ومن معه وجَدَّ في ذلك وبادر، حتى نزل المسلمون قرية[1]، ونزل أولئك بناحيتها بلا مرية، وكانت تلك الجنود والأحزاب، تروم السبق على الطَف[2] وما يليه من غير ارتياب، فعرف أهل الدين مرادهم وممشاهم، فسبقوهم على ذلك وكان عقباهم الخسر ومثواهم.

ولما خرج سعود لذلك المنهج المحمود، أقام على الحفر يجمع عليه الإمداد، من كل أرض وبلاد، ويرسلها إلى عربان المسلمين، وأجناد أهل التوحيد المجتمعين، وقد أعمل المطي والرسائل، إلى جميع العربان والقبائل،

(١) تبعد عن مدينة الدمام شمالًا بحوالي ٣٢٠ كم.

(٢) «يُطلق على منطقة مرتفعة ممتدة من الجنوب إلى الشمال بامتداد المنطقة الشرقية، من غرب الأحساء إلى غرب الظهران». (المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية، ٣ / ١٠٣٢).

وإلى جميع قرى الإسلام وبلدانه، ومَن حَلَّ التوحيد بأوطانه، من أهل الجنوب والشمال، فانتظم من الخلق والأمم ما لا يحصره القلم، ولا يعبر عنه ناطق بفم، ولما تحقق عنده زوال ثويني وادي القرايا، أرسل حسن بن مشاري، رحمه الله تعالى، مع جنديه من تلك البرايا، حتى يستريح منهم البال ويحسن منهم الحال، فقد كانوا في كرب وأوجال، لا سيما من عدم قدوم سعود عليهم بالاستعجال، ونزوله عليهم تلك الأيام والليال، ولم تعبر أحلامهم ساحل الفكر والاحتيال، ولم تتجار خيول أفكارهم للرأي في مجال، ولم يفهموا ما ابتدأه من نتائج الباب الدهاة من الرجال، ولم يسمعوا ما ورد في صحيح المقال: «**الحرب خدعة**»[1] ولله درُّ المتنبي حيث قال شعرًا:

**الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هي أولٌ وهو المحل الثاني**
**فإذا هما اجتمعا لنفس حرة ... بلغت من العليا أعز مكان**
**ولربما طعن الفتى أقرانه ... بالرأي قبل تطاعن الأقران**
**لولا العقول لكان أدنى ضيغم ... أدنى إلى شرف من الإنسان**

فقصر باع الأفهام أن تدرك سن التأني في ذلك المقام، وعدم المبادرة بالإقدام، وظنوا أنه إحجام، ولم يتعودوا ممارسة العقول بالتدبير والسياسة، ولم يتأهلوا للقيام بأعباء الرئاسة، وأضاعوا مواد الحزم، وخبطوا خبط عشوا بلا يقين ولا جزم، وحكموا بما لم يحيطوا به علم، ولم يكونوا من غامضه على فهم، فاستحسنوا ما ليس بالحسن، لكون المقدمة لم تنتج لهم المطلوب في العلن، وإلا فالأناة محمودة، والعجلة مذمومة مسعودة، كما ورد في بعض الآثار ومستحسن الأخبار، ولقد قال من سبق في هذا المضمار:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١١) ومسلم (١٠٦٦).

قد يُدرك المتأني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

ولقد دبر فكره فيهم مكائد، وأقام لخداعه رصائد، ونصب لهم شَركًا وحباله تقتنصهم فرسانًا ورجاله، وأحكم لهم من الآراء درعًا سابغة، وزردًا بيوم الهياج نابغة، وهمت عند المنازلة لكتائب الأعداء رابغة، وأسنة مسنونة وعصبة بالنصر مقرونة، لم ير قط عن الأقدام لها تأخر ولا إحجام، بل لا تزال للوغى طالبة، وفي الجهاد راغبة، وللأرواح ناهبة، وللمهج سالبة، وأراد بهم أمرًا أمَرّ، ومن القاصمة كاهلًا وظهرًا، فأرسل إلى حسن بن مشاري يأمره أن يجمع عربان المسلمين وجموعهم، على أمواه أم ربيعة، لكونها منزلًا للقتال، والمحل الواسع لمنازلة الكتائب والمجال، فعسى العدو إذا رأى هذه الحال، يظنها رعبًا وأجفال، فيسرع في القدوم والإقبال، فتقع المصادفة والمزاحمة، وتصدر المقاتلة والملاحمة، فلا يطول مكث لتلك الكتائب، حتى يرى سواد سوادي آيب، فتقع حينئذ في الطعن عجائب، وتبدو أحوال غرائب وخطوب ومصائب، فتضحى كماة الأعداء للنجاة طوالب، وتلك الأحزاب متمزقة هوارب، ويضيق عليهم إذ ذاك فسيح المطالب، ويمسي كل واحد لكأس الذل شارب.

ولكن صدور ما جرى تدبير من ليس له غالب، وإرادة من لا يعجزه في الوجود هارب، وخِيَرَةُ بَرٍّ وَصُول، حليم غير عجول، كريم جواد، يحف بالنصر والإمداد، من أراده من العباد، وكفى بإرادته وخيرته للموحدين وعصبة الدين من خِيَرَة ومراد، وبإمداده وإسعاده من إمداد وإسعاد، فسبحان الذي قدر الأشياء قبل الإبراز والإيجاد، فوقع في الكون ظهورها وبدا مستورها على ما شاءه وأراد.

ولما أتى حسن بن مشاري ذلك الأمر من سعود، لم يكن له بدّ عن الارتحال حتى يتم المقصود، فارتحل تلك الأيام، وترك الإقامة في ذلك المقام، وشمّر في السير بعد الرحيل، من غير أناة ولا تمهيل، وسار عن الطّف وما يليه بعدما

كان له فيها مراح ومقيل، وقصد ما أمره به الأمير، لكونه رأيًا سديدًا وتدبيرًا من أحسن التدبير، فعند ذلك طمع الأعداء وكافة ذوي الردى، وحسبوا أن ذلك مخافة وجبنا، ورعبًا أطار قلبًا وذهنًا، فزحفوا إلى المكان الأدنى، فأكسبهم الله ذلًا ووهنًا، وأهلكهم بما كسبت أيديهم، وأورث المؤمنين المحل الأسنى، ودثرهم من أموالهم وأغنى، طمس الله تعالى على بصائرهم وأبصارهم وعمّى عليهم الحيل والخداع، فلم يعتدوا لذلك بأفكارهم، فألقوا أنفسهم إلى التهلكة بأيديهم، وهذا شأن قائدهم، يغويهم ثم يرديهم، وقد كشف الله تعالى بالارتحال عن ذلك المكان، ما أضمر في القلوب واستكن في الجنان، وأبرزه سبحانه من أناس في صفحات الوجه وفلتات اللسان، فنطق بالنفاق كثير من العربان، لاسيما في ذلك البدوان، فكاد أن تنفق للنفاق أسواق، ويكون للباطل اعتلاق، وللزور والكذب اختلاق، ومالوا إلى طريق الهوى، وحاولوا عن الهدى نفورًا، ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾، وثبّت الله تعالى أهل التوحيد والإيمان، وزادهم فيه تصديقًا وإيقان، وقالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ كما في القرآن، فأولاهم أسنى مراتب العرفان، وأفاض عليهم هاطل البر والإحسان، وكانت العقبى لهم مع منحهم من رفيع ذلك الشأن.

وفي حدود هذه الأيام أرسل حسن بن مشاري جيشًا كثيرًا من المسلمين، منهم محمد آل علي المهاشير وفراج وصالح بن عياش، وأمرهم أن يطالعوا أدنى تلك الأحزاب، ويرسلوا إلى براك بن عبد المحسن حتى يُسرع إليهم في الإياب، لأنه قد أرسل إلى عبد العزيز الإمام، حدود مسيره إلى الشمال تلك الأيام، يبين له ما جرى وأنه لم يُرد ذلك المرام، ولم تطب نفسه بذلك ولم يتقدم له فيه كلام، وإني أريد بالمسلمين اللحوق، ولكنني عن ذلك مَعُوق، وإن آتاني

من المسلمين غزوان، بادرت إلى لقائهم من غير توان، وكتب كذلك إلى سعود، قبل ظهوره من البلد وبعده، وبذل فيه جهده، وكتب إلى حسن بن مشاري تلك الأيام، وهو غير خائف ولا مماري بل رغبة في الإسلام، والانقياد للأحكام.

فلما سار ذلك الغزو إلى تلك الأقوام، لم يحصل لبراك انتهاز فرصة ولا انهزام، لكون الأحزاب به مرجفة، ومنه محذرة مخوفة، فصارت له مكشفة، فردت تلك الغزاة منحرفة.

وفي هذه الأيام أغار فراج كبير سبيع مع غزو المسلمين حاضرة وبادية، فأصبحت خيولهم على المعادين عادية، وكانوا عنهم مخبّرين، وعن قدومهم منذرين، فصاروا لهم مستعدين، فوقعت بينهم مطاعنة شديدة، وكان للمسلمين فيها أحوال حميدة، بعدما أناخوا للقتال، ولم يتبين فيهم رعب ولا إجفال، فقُتِل بينهم رجال، وقتل المسلمون منهم ثلاثة عشر فرسًا، وأخذوا عليهم آبال، ورجعوا في أحسن حال.

وفي تلك الأيام أيضًا أغار نفجان بن سند النّدي مع غزو معه على الضويحي[1]، فأخذ منهم إبلًا كثيرة، وفزعوا يريدون ردها فرجعت أبصارهم عنها حسيرة.

وفي هذه الأيام أرسل سعود رسلًا نحو القطيف، ومعهم ركب آل مرة، لكون الطريق يخيف، فلما أتوا ذلك المكان، وجدوا قومًا من العمائر العدوان، ففاجأوهم على غرّة، ونفذ الله فيهم أمره، وقتلوا منهم خمسة وعشرين، وأخذوا السلاح وما كانوا له مجمعين.

**وفيها** وقع مطر عظيم، وجرى سيل جسيم، وكان ذلك وقت الوسمي وأوانه،

(١) من بني خالد الجوف.

وحينه وزمانه، وأول أيامه وإبانه، فزاد ذلك وأربى، وأشفق منه الناس مخافة وكربًا، وتلاطم موجه وزاد، وأزال كثيرًا من دكاكين أهل البلاد، وتعاظم جريانه وطمى، وصعد بعض البيوت وارتمى، وطرح بعض نخل من البطحاء ورمى، وهدم كثيرًا من الركايا، وأقامت منه بيوت خوايا، ونالت منه بعض الضرر الرعايا، وألقى بيوت أهل الدلم وأزالها، وأغرق ما فيها من الأمتعة والطعام والأموال وشالها، فغير من أرباب تلك البيوت حالها، فاختطوا بعد ذلك لسكناهم خطة، وكان ذلك السيل عليهم من البلاء حطة، ونزل على حريملا برد كثير كبار، لم يعرف له مثيل، قتل بهائم كثيرة، وكسر جمار بعض النخيل، وكسر غالب الأشجار، وحصل للمسلمين منه انذعار، وهدم كثيرًا من الجدران، وأشفق منه غالب البلدان، فلجأوا في رفعه إلى الله مولاهم، فكشفه عنهم ومنحهم مناهم.

**وفيها** أيضًا في فصل الصيف أتى سيل أخجل الألباب والأذهان، ولم يجر قبله مثله في سابق الزمان، هدم بعض حوطة أهل الجنوب، وحصل للمسلمين منه كروب، وهدم من العيينة والدرعية وغيرهما بيوتًا مَعْمُودة، وأغرق زروعًا كثيرة محصودة، ولكن أدرك الناس به نعمة منيفة، ومنة من الله تعالى شريفة، حيث استمر سنة يجري من غير مطر وادي بني حنيفة، فطابت لهم البلاد وحسن لهم العيش والحال، وأقاموا مدة هذه السنة في أنعم بال، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾.

**وفيها** كثر الجراد، وعم في أكثر البلاد، وانتشر في غالب الأقطار، وربى في كثير من البلدان والأمصار، وحصل للناس من خلفه الصغار الذي لا يقبل الزجر والانزجار، ولا يعتريه من الرهج انذعار، أعظم ضرر وإضرار، فأكل ذلك الدبا لما مشى ودبى، ولم يشعر به الناس حتى طلع عليهم جيشه وبنا غالب ثمر

الأشجار، ثم ولى بقدرة العزيز القهار.

**وفيها** غزا ربيّع بن زيد أمير وادي الدواسر بجيش من جماعته ما بين حاضر وباد، فأسرع في سيره يريد بعض البدوان، ذوي الشرك والضلال والطغيان، فصبّح فريقًا يقال له أبو البؤس من شهران، فشن الغارة على ذلك الفريق دون إمهال ولا تعويق، فشمر حزب الفسق للقتال بالصدق، وعزموا أن يكشفوا العوادي القوادح، ويوقعوا من عزمهم بالمسلمين أمورًا فوادح، تسويلًا من الشيطان، واغترارًا بالصبر عند الطعان، حتى رأوا من بأس أهل الدين، ما أكذب أمانيّهم فولَّوا منهزمين، وقتل منهم نحو الخمسين، وأخذ المسلمون جميع المحلة والغنم والإبل، ورجعوا بالأجر وحسن العمل.

**وفيها** غزا ربيّع أمير واديه بجمع من حاضره وباديه، فسار بمن معه من المسلمين وحزبه المتبعين، يريد بلدان المشركين، فعمد إلى بيشة، ونزل على الشقيقة والجنينة[١]، وبادرهم بالقتال بعد أن أبوا الإسلام وحينه، ثم بعد أن مضوا لهم ليال وأيام، وهو محاصر لهم في ذلك المقام، ورغبوا في طريق السلم والاستسلام، ونزلوا للبيعة على الإسلام، فعاهدوا جميعًا على ذلك، وحسن لهم المقام هنالك.

**وفيها** أمر عبد العزيز، أدخله الله تحت كنفه الحريز، ربيّع بن زيد أن يسير بجماعته، إلى رنيه[٢] مع من عنده من أهل ذلك المكان ومهاجرته، فسار ممتثلا لذلك الأمر، حتى أناخ على رنيه فبنى بها قصر، فلما أُحْكِم بناؤه، وتم رفعه واستعلاؤه، جعل فيه آلة للحرب وكثيرًا من الطعام، وأمَّر فيه محمد بن سعيد بن

---

(١) من قرى بيشة.

(٢) تقع في منطقة مكة، على الطريق بين منطقة عسير ومكة.

قطنان، فحين عاينوا أهل رنيه ذلك العمل، رجف بهم ذلك الوطن والمحل، وضاق عليهم فسيح الرحاب، ودهاهم أعظم الاكتراب، وحل بهم الأسى والاكتئاب، فلم يجدوا منهجًا للدفاع، ولم يكن عن الدخول في الدين امتناع، وإن كانت تفر عنه تلك الطباع، وليس لهم في البقاء على حالهم أطماع، فعند ذلك أسرعوا في الإسلام على المبايعة، وأقبلوا للعهد متابعة، فأبدوا أولئك الأقوام مناهج الاستسلام، ودانوا لما تضمنه من الأحكام على طريق الإلزام.

وفيها غزا محمد بن معيقل مع جمع من أصحاب الحسا والمهاشير وأهل نجد، وكانت جزيرة العمائر[1] التي بالبحر له قصد، فسار وقد زال عنه ومن معه من الرجال، رَيْنُ النصب والسآمة والكلال، وقد أجهد المطي في السير والترحال، لئلا يعلم ما دبره وهيأه من الحال، فلم يزل يجد التسيار، ويقد بمقراض اليعملات القفار، حتى شخص له لمع البحار، وسمع زخر موجه التيار، وبدت له في الجزيرة الأشخاص، فأسرعت الجيوش الأحسائية، والأبطال المجربة النجدية، إلى خوض اللجة البحرية، مستمدين النصر والإعانة السرمدية، من خالق البرية، ولم تسبق قبل هذه في البحر لأهل الدين غزوة، ولم يفترعوا من تياره صهوة، بل لم يقصدوا نحوه، وخاض معهم بعض الخيل، ولم يكن لأحد عليهم قبل ذلك صدود ولا ميل، فشمّر يعوم من كان يحسن العوم من أولئك الجماعة والقوم، حتى وصلوا إلى ساحل الجزيرة، فساروا إليها بأعظم الجريرة، وحين رأى مَن بها مِن الرجال، مهول تلك الأفعال، علم أن وراءه من القتال أحوال وأهوال، فركبوا سيارة الأفلاك، فكان لهم بها من السلامة أفلاك،

(١) تقع على الشاطئ الشرقي من الخليج العربي على بعد ٣٥ كم شمال مدينة الجبيل. والعمائر من بني خالد.

ولم يكن لهم سبيل ولا إدراك، وقتل منهم بعض الرجال، وأخذ المسلمون جميعًا ما بها من الأموال، فأدركوا فيها ستًّا من الخيل الأجاويد، ونحو أربعين من إناث العبيد، وخيامًا كثيرة وسلاح، وأمتعة ونقود وأرباح، وفازوا بالأجر والفلاح، ورجعوا من الأمل بالنجاح.

**وفيها** أرسل غالب الشريف رسلًا إلى عبد العزيز، أصلح الله تعالى له الحال وبلغه جميع الآمال، يطلب منه عالمًا من أهل الدين والتوحيد، ويزعم أنه يقصد بذلك تحقيق هذا الأمر ويريد، ويحرض على قدومهم مع مَن أرسله مِن البريد، حتى يقف على الحال عن يقين وعيان، ويحيط بعد ذلك بالعرفان، وينجلي له من المناظرة في شريف ذلك المكان، ما خفي عليه من مدة أزمان، وربما تشرق له أنوار شمس البيان، ويحصل منه بعد الإباء والإصرار إذعان، وبعد النفرة عن عذب ذلك المنهل شرب وإدمان.

فلما عرف إمام أهل الإيمان، ما قصده ذلك الإنسان، وما حرض عليه من المناظرة لديه والتبيان، رغب أن يكون انقدح له من الدعوة شي، أو نشر له من الحق طيّ، وربما يبدو منه إياب وَفيّ، بعد فرط صدود وامتناع وَلَيّ، ويقتضي مَن شاء مِن القرب لذلك المكان، وأيضًا فالهداية والتوفيق قد يكونان في أوقات دون أوقات، و«**لله في دهره نفحات**»[1] كما جاء عن النبي ﷺ في بعض الروايات.

وكان من حسن سيرة عبد العزيز وفطنته، وبديع هديه وسنته، وعظيم فضل الله عليه ومنته، أنه يدعو إلى الله تعالى بالتي هي أحسن وأحكم، ويرشد العباد للتي هي أقوم، فرأى إسعافه بذلك المرام وإسعاده، واختار أن ينيله مأموله

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٨٦٥) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٩١٧).

ومراده، فعسى أن يكون له سببًا للسعادة، فعند ذلك أرسل إليه من أهل الدين من يكشف عنه شبه المبطلين، ويوضح له سبل المهتدين، وهم أناس من أهل الميز والتبيين، وحسن المحاضرة في المناظرة بالبراهين، وكبيرهم حمد بن ناصر بن معمر، وكان هو المرأَس عليهم والمؤمَّر، فجهزهم بأحسن الجهاز وأتمه، وخوَّلهم من معروفه أعَمَّه، فجردوا للمسير الهمة، وقطعوا تلك المهامه المدلهمة، حتى أتم الله تعالى عليه الفضل والنعمة، وصرف عنه البؤس والنقمة، فوصلوا بعد إنضاء الأعوجيات، وإرقال تلك المهريات في سياسب الفلاة، ومواصلة السُّرى في الدجنات، بلد الله الحرام ومحلة الحج الذي هو أحد أركان الإسلام، فدخلوها معتمرين، فطافوا وسعَوا، وأتوا بالعمرة على التمام، ونحروا الجُزر التي أرسلها الأمير سعود إلى بيت مولاه، في المروة التي تراق دماء شعائر الله، أوصل الله تعالى إليه أجر ذلك وثوابه، وأناله على ذلك القبول وأثابه، وبلغه في الدارين مقصوده وطلابه.

فقابلهم الشريف بالإقبال، وأبدى لهم طلائع الإجلال، وتلقاهم بطلاقة وجه واستهلال، وأنزلهم منزل التوقير والسلامة، ووالى عليهم حشمته وإكرامه، وأحضرهم لديه مع علمائهم ليال، وعقدوا للمناظرة مجال، وتجارت الأذهان فيها للجدال، وشرعوا أسنة المقال، وراموا أسنة الحق بالمحال، ولم يأتوا ولله الحمد على كُلٍّ بما يثلج لهم وهيج البال، من النصوص السالمة من الضعف والاعتلال، ولم يجلبوا من البراهين المؤيدة للشرك والضلال، سوى موضوعات الملحدة والضلال، وأكاذيب الزنادقة وغلاة العباد الجهال، التي عفت منار الحنيفية وما لها من معالم وأطلال، حين جرت على مباهج مناهج محياها الأذيال.

فلما تحققوا ذلك وعلموه، وتيقنوا أنهم لم يجدوا في الدفع وفهموه، أجمعوا

رأيهم وأحكموه، في المغالطة في اللفظ فأبرموه، فراشوا في المقال النِصال، وحدّدوها للرمي في النضال، ورصدوا للحسن في اللفظ والمقال، لما تبين منهم الخذلان والإذلال، فلم يعثروا في سرد صحيح السنة القامعة لهم والأنقال، على ما فيه لبس لدى مصنّف وإشكال، سوى لفظة جرى اللسان فيها على اللحن في الإعراب والإشكال، فارتفع مِن بعضهم عند ذلك التخطئة بالمبادرة والاعتجال، وناهيك بهذا من نقض في اللب والاختلال، وسخافة في العقل وخبال، ووسوسة من الشيطان أبرزها له في الخيال، وحسبك كونه في الفلج بالحجة لم يبال، ولم يبد منه فضيحة واعتجال، مع أنهم بذلك الإلزام والفلج لم يذعنوا، ويجحدونه وهم به مستيقنون، ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وصفة ما جرى منهم أنهم حضروا ببيت الشريف، تجاه بيت الله المنيف، وجالت خيول الأذهان لدى غالب، والكل جرى ذلك المضمار لإدراك المآرب، فأول ما افتتحوا به التكلم والتخاطب، وأجمعوا عليه في المطالب، وصدر منهم البداة والتنافر، ووقع منهم بتلك المجالس، وجرى منهم التحاور والمفاوضة والتخاطب فيه والمراوضة، مسألة قتال الموحدين الناس، والكشف عن وجهها حجب الالتباس، فطُلِبَ من حمد بيان الحجة والدليل، والبرهان السالم من الأعاليل، والنص القاطع للاحتمال والتأويل، والقامع لسائر الأقاويل، على ذلك المنهج والسبيل، فأتى لهم جزاه الله تعالى الثواب الجزيل، من النص القاطع القامع، لكل أذن واعية وسامع، وأصَّل لهم من الأصول فيها، ما تودي بالمراد ويكفيها، وجلب من الأحاديث الصحيحة الراجحة، والأدلة الباهرة اللائحة، ما شفى وكفى، وصيرهم من قطع اللسان والحجة على شفا، وأزاح عن محياها القتام ونفى، فقصف على بيت عنكبوتهم

نسيم الحق فهفا، ومزق آثارهم ومنارهم بعدما هب عليهم وسفا، وأوقفهم على المنصوص، فأقروا وسلموا لتلك النصوص، وصدر منهم الإذعان، بعدما حملهم الشيطان، على كون تلك لم تكن في الكتب مسطرة، ولا موصولة فيها ومقررة، وتفوهوا بحضرة الشريف بذلك، حتى أوقفهم حمد على ما هنالك، ونقل من الكتب التي عندهم ما ضعضع وِجْدهم، وجلب عليهم علتهم وجهدهم، فوطفت جباههم من العرق، لما داخلهم من الخجل والفرَق، فلم يكن لهم حينئذ بد ولا حيلة، حين قرأوا حجته ودليله، ولم يستطع منهم إنسان على جحود ذلك البرهان، بل صار منهم إقرار بذلك وإعلان، ولم يكترثوا بما صدر قبل من الكتمان، وما ابتدأوا به من الزور والبهتان، فأمسوا بذلك يقرون وبمضمونه يُصدقون، ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

ثم تفاوضوا بعد ذلك في مجالس عديدة في دعوة الأموات، فأبدى لهم من النصوص العادلة السديدة، والآثار الراجحة المفيدة، والأقوال الصحيحة العديدة، ممن له الفكرة بالتحقيق من أقوال الأئمة الكبار، والأتباع المتقدمين الأخيار، ما أدهش العقول والأفكار، مما لا يسع المنصف له إنكار، ولكنهم جحدوا وقوع ذلك في الوجود، وأنكروا أن يكون ذلك في الأقطار موجود، وذلك عندهم واقع مشهود، وهم على ذلك كل ساعة شهود، فالعياذ بالله تعالى عن هذا الإنكار باللسان، مع أنهم متيقنونه في الجنان، ويشاهدونه الخلق عندهم بالعيان، فنقول: سبحانك هذا بهتان.

ولا بِدْعَ فيما جرى وصدر، فقد قال كبيرهم أول من حضر، وتأهب للمناظرة واتزر، وجرد ذيول الخيلاء وافتخر، واختال من الكبر والأشر: اعلم أني أقول ولا أماري، ولا أخاصمك ولا أناظرك ولا أباري، إن أتيتني بالدليل من الكتاب

أو سنة النبي، التي هم خصم لكل كذاب، ولا أجاريك ولا أطالب بما قاله علماء المذاهب، سوى ما قال به إمامي أبو حنيفة، لأني مقلد له فيما قال، فلا أسلم لسوى قوله مَن قال، ولو قلتَ قال رسول الله أو قال الله ذو الجلال! لأنه أعلم مني ومنك بأولئك، وأدل بابتهاج تلك المسالك، والأخذ بغير قول الأئمة هو عين اقتحام جراثيم المهالك.

فليقف العاقل على هذا المقال ويقضي منه العجب، حيث صدر من هذا المدعي للعلم مع الله سوء هذا الأدب، فيا بئس ما اقترفه من الإثم واكتسب، لم يخف الله ولم يراقب، ولم يخش سوء العواقب، وحاول بذلك في الدنيا المراتب، حتى يكون من الجاه والرئاسة فيها متوسط الكاهل والغارب.

فلما انقضت تلك الأيام والليال، وتقضت ساعات المناظرة والجدال، طلبوا من حمد بن ناصر بن معمر تأصيل ما برهن به واحتج به وقرر، وكتْب ما سجله عليهم وسطر، فانتدب لذلك، أدام الله نفعه وكثر من الفوائد جمعه، فحرر من الكتب التي عندهم في ذلك المكان، ما أراده من ذلك الأمر والشأن، بعد طلبه منهم تلك الكتب وتسميتها بالأعيان، فجمع لديهم عجالة، وعجّل لهم في سَوحهم رسالة، أوجز فيها مقاله، وأتى فيها بما فيه كفاية، في الحجة والدلالة، يذعن بعد سماعها كُلُّ منصف عاقل، ويشهد بفضل قائلها كل فاضل، وتقر بصدقها وصحة مضمونها الأماثل، ولا عبرة بمنافق أو غبي أو جاهل، بنى للحق المبين على أساسها صرحًا، وأجاد فيما أحكمه من التحرير إيضاحًا وشرحًا، فأفاد فيما نحاه من التحبير صدعًا وصدحًا، وترك مناظريه يعانون في الجواب عنها كدحًا، فلم يدركوا من سعيهم ربحًا، بل زادوا فيما زخرفوه عن الصواب بعدًا ونزحًا، وهي عليك مجلوّة، وحججها مقروءة ومتلوّة، مميطة لوضيء حسنها النقاب، سافرة الوجه للنقّاد والنّقاب، خالية من شين الإسهاب

والإطناب، جالية التجرين والأرتاب، ولكن عيبها سلامتها من الإعجاب، وهذا نص الرسالة المزبورة، والعجالة المنقحة المسطورة، وأتيت بها على تأصيلها ووضعها، ولم أغيِّر بديع منوالها وصُنعها.

**الرسالة**(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

**المسألة الأولى**: ما قولك فيمن دعا نبيًّا أو وليًّا واستغاث في تفريج الكربات، كقوله: يا رسول الله. أو: ياابن عباس. أو: يا محجوب. أو غيرهم من الأولياء والصالحين؟

**الجواب**: الحمد لله، أستعينه وأستغفره، وأعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان واقتفى آثارهم إلى آخر الزمان، أما بعد:

فإن الله تعالى قد أكمل لنا الدين، ورسوله قد بلغ البلاغ المبين، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(١) وهي رسالته الشهيرة «الفواكه العِذاب في الرد على من لم يُحكم السنة والكتاب»، نُشرت في «الهدية السنية» (ص ٦٣ - ١١٨)، وفي «الدرر السنية» (١٠ / ٢٧٩ - ٣٣٥). وطُبعت مفردة مرارًا، من آخر طبعاتها: طبعة الشيخ عبدالرحمن التركي، عام ١٤١٥هـ.

أَعۡمَىٰ﴾ وقال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة[١]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ الآية.

روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله**»[٢].

وعن أبي الدرداء ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[٣].

وقال ﷺ: «**ما تركت من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به، ولا شيء يقرب إلى النار إلا وقد حدثتكم به**»[٤].

وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[٥].

فمن أصغى إلى كتاب الله وسنة رسوله وجد فيهما الهدى والشفاء، وقد ذمّ الله تعالى مَن أعرض عن كتابه، ودعا عند التنازع إلى غيره، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٨٩).

(٢) الموطأ (٣٣٣٨) بلاغًا.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٣) والإمام أحمد (٤/ ١٢٦) من حديث العرباض بن سارية، وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤٣٦٩).

(٤) أخرجه عبد الرزاق (١١/ ١٢٥) وقال الشيخ الألباني: مرسل حسن (الصحيحة ١٨٠٣).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢) والإمام أحمد (٤/ ١٢٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٥٤٩).

إذا عرفت هذا فنقول:

الذي شرعه لنا رسول الله ﷺ عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة، والإحسان إلى الميت بالدعاء له، والترحم له والاستغفار له، وسؤال العافية، كما في صحيح مسلم(١) عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى المقابر يقول: «**السلام عليكم يا أهل الديار**» وفي لفظ: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا بكم إن شاء الله لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**».

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «**ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شُفِّعُوا فيه**» رواه مسلم(٣).

فإذا كنا على جنازته ندعو له لا ندعوه، ونشفع له لا نستشفع به، فبعد الدفن أولى وأحرى، فبدّل أهل الشرك قولًا غير الذي قيل لهم، بدلوا الدعاء له بدعائه، والشفاعة له بالاستشفاع به، وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحسانًا إلى الميت سؤالَ الميت، وتخصيصَ تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة بنص رسول الله ﷺ فعن أنس رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء مخ العبادة**» رواه الترمذي(٤). وعن النعمان بن بشير

---

(١) صحيح مسلم (٢٤٩).

(٢) سنن أبي داود (٣١٩٩) وسنن ابن ماجه (١٤٩٧) وحسنه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٦٩).

(٣) صحيح مسلم (٩٤٧).

(٤) جامع الترمذي (٣٣٧١) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ٣٠٠٣).

قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه[١].

ومن المحال أن يكون دعاء الموتى مشروعًا ويُصْرَف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ ثم يُوَفَّق له الخُلُوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون! فهذه سنة رسول الله ﷺ وهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، هل نُقِل عن أحدهم نقل صحيح أو حسن؛ أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعَوا عندها وتمسحوا بها، فضلًا عن أن يسألوا أصحابها جلب الفوائد وكشف الشدائد! ومعلوم أن هذا مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير متوافرون، فما منهم مَن استغاث عند قبر، ولا دعا، ولا استشفى به، ولا انتصر به، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ من بعد موته، ولا بغيره من الأنبياء، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأولياء، ولا الصلاة عندها، فإن كان عندكم في هذا أثر صحيح أو حسن فأوقفونا عليه، بل الذي صح عنهم خلاف ما ذهبتم إليه، ولما قحط الناس في زمان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، ونحن نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. فيُسْقَوْنَ. كما ثبت ذلك في صحيح البخاري، ذكره في كتاب الاستسقاء من صحيحه[٢].

ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعُو أحدًا من

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٧) والترمذي (٢٩٦٩) وابن ماجه (٣٨٢٨) والإمام أحمد (٤/ ٢٧١) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ١٦٢٧).

(٢) صحيح البخاري (٣٥٠٧).

الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الأكبر الذي حرمه الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾.

قال مجاهد: يبتغون إلى ربهم الوسيلة، هو عيسى وعُزير والملائكة(١). وكذا قال إبراهيم النخعي.

قال: كان ابن عباس يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ هو عُزير والمسيح والشمس والقمر(٢).

وعن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: عيسى وأمه والعُزير(٣).

وعن عبد الله بن مسعود قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم،

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٤٧٤).
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٧٤).
(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٤٧٣).

فنزلت هذه الآية. ثبت ذلك عنه في صحيح البخاري، ذكره في كتاب التفسير[١].

وهذه الأقوال كلها في معنى الآية حق، فإن الآية تعم كلَّ من كان معبوده عابدًا لله، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوًّا، وذلك المدعُوُّ يبتغي إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه، فكل من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين فقد تناولته هذه الآية، ومعلوم أن المشركين يدعون الصالحين، بمعنى أنهم وسائط بينهم وبين الله، ومع هذا فقد نهى الله تعالى عن دعائهم، وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله، ولا يدفعونه بالكلية، ولا يحولونه من موضع إلى موضع، كتغيير صفته أو قدره، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ فذكر صيغة تعم أنواع التحويل، فكل من دعا ميتًا من الأنبياء أو الصالحين، أو دعا الملائكة، أو دعا الجن فقد دعا مَن لا يُغِيثُه ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله.

وهؤلاء المشركون اليوم منهم من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه، ولا يذكر إلا اسمه، قد لهج به كما لهج الصبي بذكر أمه، فإذا تعسر أحدهم قال: يا بن عباس. أو: يا محجوب. ومنهم من يحلف بالله ويكذب، ويحلف بابن عباس أو غيره ويصدق ولا يكذب، فيكون المخلوق في صدره أعظَمَ من الخالق! فإذا كان دعاء الموتى يتضمن هذا الاستهزاء بالدين، وهذه المحادة لله ولكتابه، فأي الفريقين أحق بالاستهزاء وبالمحادة لله؟ من كان يدعو الموتى ويستغيث بهم، أو من كان لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، كما أمرت به رسله، ويوجب طاعة الرسول ومتابعَته في كل ما جاء به!

ونحن، بحمد الله، من أعظم الناس إيجابًا لرعاية جانب الرسول، تصديقًا له

---

(١) صحيح البخاري (٤٧١٥).

فيما أخبر، وطاعة له فيما أمر، واعتناء بمعرفة ما بُعِث به واتباع ذلك دون ما خالفه، عملًا بقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

ومعنا، ولله الحمد، أصلان عظيمان:

**أحدهما**: ألا نعبد إلا الله. فلا ندعو إلا هو، ولا نذبح النسك إلا لوجهه، ولا نرجو إلا هو، ولا نتوكل إلا عليه.

**الأصل الثاني**: ألا نعبده إلا بما شرع. لا نعبده بعبادة مبتدعة.

وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن شهادة أن لا إله إلا الله تتضمن إخلاص الإلهية، فلا يَتَأَلَّهُ القلب ولا اللسان ولا الجوارح غيره تعالى، لا بحب ولا بخشية ولا إجلال ولا رغبة ولا رهبة. وشهادة أن محمدًا رسول الله تتضمن تصديقه في جميع ما أخبر به، وطاعته واتباعه في كل ما أمر به، فما أثبته وجب إثباته، وما نفاه وجب نفيه. وقد روى البخاري من حديث أبي هريرة قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» فقالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[(١)].

إذا عُرِف هذا، فالذي نعتقده ونِدين به الله، أن من دعا نبيًّا أو وليًّا، أو غيرهما، وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، أن هذا من أعظم الشرك الذي كفَّر اللهُ به المشركين، حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع، ويستدفعون بهم المضار، بزعمهم، قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فمن جعل الأنبياء أو غيرهم، كابن عباس والمحجوب أو أبي طالب، وسائط يدعوهم،

(١) صحيح البخاري (٧٢٨٠).

ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك حوائج الناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لكونهم أقرب إلى الملك، فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال الدم والمال، وقد نصّ العلماء، رحمهم الله، على ذلك، وحكموا عليه الإجماع.

قال في (الإقناع) وشرحه: مَن جعَل بينه وبين الله وسائط، يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم، كفر إجماعًا؛ لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام قائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1] انتهى.

وقال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي، رحمه الله تعالى: لما صعبت التكاليف على الجُهّال والطَّغَام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم. قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور وإكرامه، وإلزامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا. وأخذ تربتها تبرّكًا، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى[2]. انتهى.

وقال الإمام البكري الشافعي رحمه الله، في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ وكانت الكفار إذا سئلوا: من خلق السموات والأرض؟ قالوا: الله. وإذا سئلوا عن عبادة الأصنام قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ لأجل طلب شفاعتهم عند الله.

---

(١) الإقناع (٤/ ٢٩٧).

(٢) نقله عنه الإمام ابن القيم (إغاثة اللهفان ١/ ١٩٥).

وهذا كفر منهم. انتهى كلامه.

فتأمل ما ذكره صاحب (الإقناع) وكذلك ما ذكره ابن عقيل من تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج، وهو كفر.

وقال الحافظ العماد ابن كثير رحمه الله، في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾: أي إنما يحملهم على عبادتهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين، في زعمهم، فعبدوا تلك الصور، تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة، ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمور الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به. قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ أي: ليشفعوا لنا ويقربونا عنده. ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك. وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله عليهم بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ فأخبر أن الملائكة التي في السموات، من المقربين وغيرهم، كلّهم عبيد خاضعون لله، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك أو أبغضوه ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾ تعالى الله عن ذلك[(١)]. انتهى كلامه.

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٨٤ - ٨٥).

وقال الإمام البكري رحمه الله، عند قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ الآية: فإن قلتَ: إذا أقروا فكيف عبدوا الأصنام؟ قلتُ: كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله تعالى والتقرب إليه، لكن بطرق مختلفة، ففرقةٌ قالت: ليست لنا أهلية عبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته، فعبدناها لتقربنا إليه زلفى. وفرقة قالت: الملائكة ذوو وجاهة ومنزلة عند الله تعالى، فاتخذنا لنا أصنامًا على هيئة الملائكة لتقربنا إلى الله زلفى. وفرقة قالت: جعلنا الأصنام لنا قبلة في العبادة، كما أن الكعبة قبلة في عبادته. وفرقة اعتقدت أن لكل صنم شيطانًا موكلًا بأمر الله، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله، ولا أصابه شيطان بنكبة بأمر الله. انتهى كلامه.

فانظر إلى كلام هؤلاء الأئمة وتصريحهم بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله، وطلب شفاعتهم عند الله، وتأمل ما ذكره ابن كثير، وما حكاه عن زيد بن أسلم وابن زيد، ثم قال: وهذه الشبهة التي اعتقدها المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردها والنهي عنها. وتأمل ما ذكره البكري رحمه الله، عند آية الزمر، أن الكفار ما أرادوا إلا الشفاعة، ثم صرّح بأن هذا كفر.

فمن تأمل ما ذكره الله في كتابه؛ تبين له أن الكفار ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله، فإنهم لم يعتقدوا فيها أنها تخلق الخلائق، وتنزل المطر، وتنبت النبات، بل كانوا مقرين أن الفاعل لذلك هو الله وحده، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ

يُؤْفَكُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾ الآيتين، إلى غير ذلك من الآيات التي أخبر الله فيها أن المشركين معترفون أن الله هو الخالق الرازق، وإنما كانوا يعبدونهم ليقربوهم ويشفعوا لهم، كما ذكره سبحانه في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده، لا يجعل معه إله آخر، فأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، وأنه لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، وأنه لا يرضى إلا التوحيد، فالشفاعة مقيدة بهذه القيود، قال الله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ وقال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ﴾ وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ وقال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ﴾.

وفي الصحيحين[1] من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله أنه قال: «**آتي تحت العرش، فأخر لله ساجدًا، ويُفْتَحُ عليَّ بمحامد لا أحصيها الآن، فيَدَعُني ما شاء الله أن يَدَعَني، ثم قال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع**» قال: «**فيحدّ لي حدًّا فأدخلهم الجنة، ثم أدعو**» فذكر أربع مرات، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء.

وقال الإمام البكري الشافعي رحمه الله، عند قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ

(١) صحيح البخاري (٧٤١٠) ومسلم (١٩٣).

أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾: نَفَى الشفاعة، وإن كانت واقعة في الآخرة؛ لأنها من حيث إنها لا تقع إلا بإذنه كأنها غير موجودة من غيره، وهو كذلك، لكن جعل ذلك لتبيين الرتب، وجملة النفي حال من ضمير ﴿يُحْشَرُوٓاْ﴾ وهي محل الخوف، والمراد به المؤمنون العاصون. انتهى.

وقال عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾: دل على أن الشفاعة تكون للمؤمنين فقط.

قال الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾: يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو، لأنهم معترفون أنه هو الذي خلق السموات والأرض، وهو ربها ومدبرها، وهم مع هذا قد اتخذوا من دون الله أولياء يعبدونهم، وإنما كان عبد هؤلاء المشركون مع الله آلهة هم يعترفون أنها مخلوقة عبيد له، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك. وكما أخبر عنهم بقوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ فأنكر تعالى ذلك عليهم، حيث اعتقدوا ذلك، وهو تعالى لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له، ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم يزجرهم عن ذلك، وينهاهم عن عبادة من سوى الله، فكذبوهم[(١)]. انتهى.

والمقصود بيان شرك المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وأنهم ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله، وبيان أن طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم في الشدائد أنه من الشرك الذي كفَّر اللهُ به المشركين، وبيان أن الشفاعة كلها لله ليس لأحد معه من الأمر شيء، وأنه لا

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٦ - ٤٤٧).

شفاعة إلا بعد إذن الله تعالى، وأنه تعالى لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، وأنه لا يرضى إلا التوحيد، كما تقدمت الأدلة الدالة على ذلك، ومعلوم أن أعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عند الله هم الرسل والملائكة المقربون، وهم عبيد محض، لا يسبقونه بالقول، ولا يتقدمون بين يديه، ولا يفعلون شيئًا إلا بعد إذنه لهم وأمرهم، فيأذن سبحانه لمن شاء أن يشفعوا فيه، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له تعالى، والذي شفع عنده إنما شفع بإذنه له وأمره، بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه، وهي إرادته أن يرحم عبده، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها المشركون ومن وافقهم، وهي التي أبطلها سبحانه في كتابه بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾.

ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد، كما صرحت بذلك النصوص، فروى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله. خالصًا من قلبه**»[1] وعن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني آت من عند ربي، فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا**» رواه الترمذي وابن ماجه[2].

فأسعد الناس بشفاعة رسول الله ﷺ أهل التوحيد، الذين جرد التوحيد وأخلصوه من التعلقات الشركية، وهم الذين ارتضى الله سبحانه، قال الله

---

(١) البخاري (٩٩).

(٢) جامع الترمذي (٢٤٤١) وسنن ابن ماجه (٤٣١٧) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٥٦).

تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ فأخبر سبحانه أنه لا يحصل شفاعة تنفع إلا بعد رضاه قول المشفوع له وإذنه للشافع، وأما المشرك فإنه لا يرتضيه، ولا يرضى قوله، ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه، فإنه سبحانه علقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له، وإذنه للشافع، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة، وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه، فإنه هو الذي أذن، والذي قبل، والذي رضي عن المشفوع له، والذي وفقه لفعل ما يستحق من الشفاعة، فمُتَّخِذ الشفيع مشرك، لا تنفعه شفاعته ولا يُشَفَّع فيه، ومُتَّخِذُ الرب إلهه وحده ومعبوده هو الذي يأذن للشافع أن يشفع فيه، قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فبين أن المُتَّخِذِين شفعاء مشركون، وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم، وإنما تحصل بإذنه سبحانه للشافع، ورضاه عن المشفوع له، كما تقدم بيانه.

والمقصود أن الكتاب والسنة دَلَّا على أن من جعل الملائكة والأنبياء، أو ابن عباس أو أبا طالب أو المحجوب، وسائط بينهم وبين الله، يشفعون له عند الله لأجل قربهم من الله، كما يفعل عند الملوك، أنه كافر مشرك حلال المال والدم، وإن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله. وصلى وصام وزعم أنه مسلم، بل هو من الأخسرين أعمالًا ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

ومن تأمل القرآن العزيز وجده مصرحًا بأن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بأن الله هو الخالق الرازق، وأن السموات السبع ومن

فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن، كلهم عبيده وتحت قهره وتصرفه، كما حكاه الله تعالى عنهم في سورة يونس وسورة المؤمنين وسورة العنكبوت وغيرها من السور، ووجده مصرحًا بأن المشركين يدعون الصالحين، كما ذكر تعالى ذلك عنهم في سورة سبحان والمائدة وغيرهما من السور، وكذلك أخبر عنهم أنهم يعبدون الملائكة، كما ذكر ذلك في سورة الفرقان وسبأ والنجم، ووجده مصرحًا أيضًا بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلا الشفاعة والتقرب إلى الله تعالى، كما ذكر ذلك عنهم في سورة يونس والزمر وغيرهما من السور.

فإذا تبين لكم أن القرآن قد صرح بهذه المسائل الثلاث، أعني اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية، وأنهم يدعون الصالحين، وأنهم ما أرادوا منهم إلا الشفاعة، تبين لكم أن هذا الذي يُفْعَلُ عند القبور اليوم من سؤالهم جَلْبَ الفوائد وكَشْفَ الشدائد، أنه الشرك الأكبر الذي كفّر اللهُ به المشركين، فإن هؤلاء المشركين شبّهوا الخالق بالمخلوق، وفي القرآن العزيز وكلام أهل العلم من الرد على هؤلاء ما لا يتسع له هذا الموضع، فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس تكون على أحد وجوه ثلاثة:

**إمّا** لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه. ومن قال إن الله لا يعرف أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الأنبياء أو غيرهم من الأولياء والصالحين، فهو كافر، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

**الثاني**: أن يكون الملك عاجزًا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه، إلا بأعوان يعاونونه، فلا بد له من أعوان وأنصار لذله وعجزه. والله سبحانه ليس له ولي ولا ظهير من الذل، وكل ما في الوجود من الأسباب فهو سبحانه ربه وخالقه، فهو الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، بخلاف الملوك المحتاجين

إلى ظهرائهم، وهم في الحقيقة شركاؤهم، والله سبحانه ليس له شريك في الملك، بل لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، ولهذا لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فضلًا عن غيرهما، فإن مَن شفَع عنده بغير إذنه فهو شريك له في حصول المطلوب، أثَّر فيه بشفاعته حتى يفعل ما يطلب منه، والله لا شريك له بوجه من الوجوه.

**الثالث**: أن يكون الملك ليس مريدًا لنفع رعيته والإحسان إليهم إلا بمحرك يحركه من خارج، فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه، أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه، تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته. والله تعالى رب كل شيء ومليكه، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكل الأسباب إنما تكون بمشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو سبحانه إذا أجرى نفع العباد بعضهم على يد بعض، فجعل هذا يُحْسِن إلى هذا ويدعو له أو يشفع له، فهو الذي خلق ذلك كله، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن، والداعي إرادة الإحسان، والدعاء، ولا يجوز أن يكون في الوجود مَن يُكْرِهُهُ على خلاف مراده، أو يُعَلِّمُه ما لم يكن يَعْلَمُهُ، والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون عنده إلا بإذنه، كما تقدم بيانه، بخلاف الملوك، فإن الشافع عندهم يكون شريكًا لهم في الملك، وقد يكون مظاهرًا لهم معاونًا لهم على ملكهم، وهم يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك، والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته إليهم، وتارة لجزاء إحسانهم ومكافأتهم، حتى أنه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك، فإنه محتاج إلى الزوجة والولد، حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لَتَضَرَّرَ بذلك، ويقبل شفاعة مملوكه، فإنه إذا لم يقبل شفاعته يخاف ألا يطيعه، ويقبل شفاعة أخيه مخافة أن يسعى في ضرره، وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس، فلا أحد يقبل شفاعة أحد إلا لرغبة أو لرهبة، والله تعالى لا

يرجو أحدًا ولا يخافه، ولا يحتاج إلى أحد، بل هو الغني سبحانه عما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، والمشركون يتخذون شفعاء مما يعبدونه، مثل الشفاعة عند المخلوق، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ فأخبر سبحانه أنما يُدْعَى مِن دونه لا يملك كشف الضر ولا تحويلًا، وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون إليه، فقد نفى سبحانه ما أثبتوه مِن تَوَسُّطِ الملائكة والأنبياء. وفيما ذكرناه كفاية لمن هداه الله، وأما من أراد الله فتنته فلا حيلة فيه ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.

**وأما المسألة الثانية**: وهي من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله. ولم يُصَلِّ ولم يُزَكِّ، هل يكون مؤمنًا؟

**فنقول**: أما من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وهو مقيم على شركه؛ يدعو الموتى، ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، فهذا مشرك كافر حلال الدم والمال، وإن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. وصلى وصام وزعم أنه مسلم، كما تقدم بيانه.

وأما إن وحّد الله تعالى ولم يُشرك به شيئًا، ولكنه ترك الصلاة والزكاة تكاسلًا عنها، فهذا قد اختلف العلماء في كفره، والعلماء إذا أجمعوا فإجماعهم حجة، لا يجتمعون على ضلالة، وإذا تنازعوا في شيء رَدُّوا ما تنازعوا فيه إلى الله وإلى الرسول، إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ قال العلماء: الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول

هو الرد إلى سنته بعد وفاته. وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ وقد ذمّ الله من أعرض عن كتابه ودعا عند التنازع إلى غيره، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾.

إذا عُرف هذا فنقول: اختلف العلماء، رحمهم الله، في تارك الصلاة كسلًا مِن غير جحود؛ فذهب الإمام أبو حنيفة، والشافعي في أحد قوليه، ومالك إلى أنه لا يُحْكَمُ بكفره، واحتجوا بما رواه عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خمس كتبهن الله على العباد، من أتى بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له**»(١).

وذهب إمامنا أحمد بن حنبل، والشافعي في أحد قوليه، وإسحاق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعي والحكم وأيوب السختياني وأبو داود الطيالسي، وغيرهم من كبار الأئمة والتابعين، إلى أنه كافر، وحكاه إسحاق بن راهويه إجماعًا، ذكره عن الشيخ أحمد بن حجر في شرح الأربعين، وذكره في كتاب (الزواجر عن اقتراف الكبائر)(٢) عن جمهور الصحابة ﷺ، والتابعين.

وقال الإمام محمد بن حزم: سائر الصحابة ﷺ، والتابعين ومَن بعدهم يكفِّرُون تارك الصلاة مطلقًا، ويحكمون عليه بالارتداد، منهم أبو بكر وعمر وابنه عبد الله وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة، ولا نعلم لهؤلاء مخالفًا من الصحابة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥) والنسائي (٤٦١) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٣٢٤٣).
(٢) الزواجر (١/ ٢٥٧ - ٢٦٧).

وأجابوا عن قوله ﷺ: «**من لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له**» أن المراد عدم المحافظة عليهن في وقتهن، بدليل الآيات والأحاديث الواردة فيها وفي تركها.

واحتجوا على كفر تاركها بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة**»[١].

وعن بريدة بن الحصيب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**العهد بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**» رواه الإمام أحمد وأهل السنن[٢] وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. إسناده على شرط مسلم.

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بين العبد والكفر والإيمان الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك**»[٣] وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: «**من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا وبرهانًا ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف**» رواه الإمام أحمد وأبو حاتم ابن حبان في صحيحه[٤].

---

(١) صحيح مسلم (٨٢).

(٢) المسند (٥/ ٣٤٦) وجامع الترمذي (٢٦٢١) وسنن النسائي (٤٦٣) وسنن ابن ماجه (١٠٧٩) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤١٤٣).

(٣) قال الشيخ الألباني: رواه هبة الله الطبري بإسناد صحيح (صحيح الترغيب ٥٦٦).

(٤) المسند (٢/ ١٦٩) وصحيح ابن حبان (الإحسان ١٤٦٧) وحسنه الشيخ الألباني (الثمر المستطاب ١/ ٥٣).

وعن عبادة بن الصامت قال: أوصانا رسول الله ﷺ فقال: «**لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تتركوا الصلاة عمدًا، فمن تركها عمدًا خرج من الملة**» رواه ابن أبي حاتم في سننه[١].

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله**» رواه الإمام أحمد[٢].

وعن أبي الدرداء قال: أوصانا رسول الله ﷺ ألا أترك صلاة متعمدًا، فمن تركها متعمدًا فقد برئت منه الذمة. رواه ابن أبي حاتم[٣].

وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال: «**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة...**» الحديث[٤].

وعن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. رواه الترمذي[٥].

فهذه الأحاديث كما ترى صريحة في كفر تارك الصلاة، مع ما تقدم من إجماع الصحابة، كما حكاه إسحاق بن راهويه وابن حزم وعبد الله بن شقيق، وهو مذهب الجمهور مِن التابعين ومَن بعدهم، ثم إن العلماء كلهم مُجْمِعُون على قتل تارك الصلاة كسلًا، إلا أبا حنيفة ومحمد بن شهاب الزهري وداود، فإنهم قالوا: يُحْبَسُ تارك الصلاة المفروضة حتى يموت أو يتوب.

---

(١) رواه الضياء في الأحاديث المختارة (٣٥١) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الترغيب ٣٠٠).
(٢) المسند (٥/ ٢٣٨) وصححه الشيخ الألباني (الإرواء ٢٠٢٦).
(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٤٣) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٧٣٣٩).
(٤) رواه الترمذي (٢٦١٦) والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٤٢٩) وابن ماجه (٣٩٧٣) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٥١٣٦).
(٥) جامع الترمذي (٢٦٢٢) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ٥٦٥).

ومن احتج لهذا القول بقوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله**» فقد أبعد النُّجْعَةَ؛ فإن هذا الحديث لا حجة فيه، بل هو حجة لمن يقول بقتله، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

واحتج الجمهور على قتله بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ فشَرْطُ الكَفِّ التوبةُ من الشرك وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإذا لم توجد الثلاث لم يكف عن قتالهم.

قال ابن ماجه: حدثنا نصر بن علي ثنا أبو أحمد ثنا نبأ الربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده، وعبادته وحده لا شريك له، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، مات واللهُ عنه راضٍ**»[1] قال أنس: وهو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم، قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء.

وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما نزل ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ قال: خلع الأوثان وعبادتها ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾.

وأما السنة فثبت في الصحيحين عن ابن عمر، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»[2] فعلق العصمة على الشهادتين والصلاة والزكاة.

---

(١) رواه ابن ماجه (٧٠) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الترغيب ١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٣) ومسلم (٢٠).

وقد بعث النبي ﷺ كتابًا فيه: «**مِن محمد رسول الله إلى أهل عمان، أما بعد: فأَقِرُّوا بشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأدوا الزكاة، وخطوا المساجد، وإلا غزوتكم**»[(١)] أخرجه الطبراني والبزار وغيرهما، ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرح الأربعين.

وروى ابن شهاب عن حنظلة عن علي بن الأشجع أن أبا بكر الصديق ﷺ، بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يقاتل الناس على خمس، فمن ترك واحدة منهن قاتِلْهُ عليها كما تقاتل على الخمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

وقال سعيد بن جبير: قال عمر بن الخطاب: لو أن الناس تركوا الحج لقاتلناهم على تركه كما نقاتل على الصلاة والزكاة.

وبالجملة؛ فالكتاب والسنة والآن على أن القتال ممدود إلى الشهادتين والصلاة والزكاة، وقد أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة من شريعة من شرائع الإسلام فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله، كالمحاربين وأولى. انتهى.

وأما حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**» فهذا لا إشكال فيه، بحمد الله، وليس لكم فيه حجة، بل هو حجة عليكم، قال علماؤنا رحمهم الله: إذا قال الكافر: لا إله إلا الله. فقد شرَع في العاصم له، فيجب الكف عنه، فإن تمم ذلك تحققت العصمة، وإلا بطلت، ويكون النبي ﷺ قد قال حديثًا في وقت فقال: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**» ليعلم المسلمون أن الكافر المحارب إذا قالها كف عنه وصار ماله ودمه معصومًا، ثم

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦٨٤٩).

بيّن النبي ﷺ في الحديث الآخر أن القتال ممدود إلى الشهادتين والعبادتين قال: **«أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة»**[(١)] فبيّن أن تمام العصمة وكمالها إنما يحصل بذلك، ولئلا تقع الشبهة بأن مجرد الإقرار يعصم على الدوام، كما وقعت لبعض الصحابة، حتى جلاها أبو بكر الصديق ثم وافقوه ﷺ. انتهى.

ومما يبين فساد قولكم وخطأ فهمكم في معنى حديث أبي هريرة، أن الصحابة ﷺ، أجمعوا على قتال مانعي الزكاة، بعد مناظرة حصلت بين أبي بكر الصديق وعمر ﷺ، واستدل عمر على أبي بكر بحديث أبي هريرة، فبيّن صديق الأمة ﷺ، أن الحديث حجة على قتال مَن منع الزكاة، فوافقه عمر وسائر الصحابة، وقاتَلُوا مانعي الزكاة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويصلون، ونحن نسوق الحديث، ثم نذكر كلام العلماء عليه ليتبين لكم أن فهمكم الفاسد لم يقل به أحد من العلماء، وأنه فهم مشئوم مذموم، مخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة، فنقول:

ثبت في الصحيحين[(٢)] عن أبي هريرة ﷺ، قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر، وكفر مَن كفر مِن العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: **«أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولُوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»**! قال أبو بكر: لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق للمال، فوالله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه. فقال عمر: فوالله، ما

(١) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٥٦) ومسلم (٢٠).

هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق. وهذا الحديث خرجه البخاري في كتاب الزكاة، ومسلم في كتاب الإيمان، وهو من أعظم الأدلة على فساد قولكم؛ فإن الصديق رضي الله عنه، جعل المُبيحَ للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب.

وقد تكلم النووي، رحمه الله تعالى، في شرح صحيح مسلم فقال: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ وأن من قال ذلك عصم نفسه وماله، إلا بحقها، وُكِلَت سريرته إلى الله تعالى، وقتال مَن منَع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمام الإمام بشرائع الإسلام. ثم ساق الحديث، ثم قال: قال الخطابي في شرح هذا الكلام كلامًا حسنًا، لا بد من ذكره لما فيه من الفوائد، قال رحمه الله: مما يجب تقديمه في هذا أن يُعْلَمَ أن أهل الردة كانوا إذ ذاك صنفين:

**صنف** ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا لكفرهم، وهم الذين عنى أبو هريرة بقوله: من كفر من العرب.

والصنف الآخر: فرّقوا بين الصلاة والزكاة، فأقروا بالصلاة، وأنكروا فرض الزكاة ووجوب أدائها إلى الإمام، وقد كان في ضمن هؤلاء المانعين للزكاة مَن كان يسمح بالزكاة ولا يمنعها، إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأي وقبضوا على أيديهم في ذلك، كبني يربوع، فإنهم جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر، فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم، وفي أمر هؤلاء عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر رضي الله عنه، فراجع أبا بكر رضي الله عنه، وناظره، واحتج عليه بقول النبي ﷺ بقوله: **«أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قال: لا إله إلا الله. فقد عصم نفسه وماله»** وأن هذا كان من عمر

تعلقًا بظاهر الكلام، قبل أن ينظر في آخره ويتأمل شرائطه، فقال له أبو بكر: الزكاة حق المال. يريد أن القضية قد تضمنت عصمة دم ومال معلقة بإيفاء شرائطها، والحكم المعلق بشرطين لا يحصل بأحدهما والآخر معدوم، ثم قايسه بالصلاة وردوا الزكاة إليها، وكان في ذلك من قوله دليل على أن قتال الممتنع من الصلاة كان إجماعا من الصحابة، ولذلك ردوا المختلف فيه إلى المتفق عليه، فلما استقر عندهم صحة رأي أبي بكر ﷺ، وبان لعمر صوابه، تابعه على قتال القوم، وهو معنى قوله: فلما رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال عرفت أنه الحق. يريد انشراح صدره بالحجة التي أدلى بها، والبرهان الذي أقامه نصًا ودلالة[١]. انتهى.

فتأمل هذا الباب الذي ذكره النووي، رحمه الله تعالى، وهو إمام الشافعية على الإطلاق، تجده صريحًا في رد شبهتكم أن من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله. لا يباح دمه وماله، وإن ترك الصلاة والزكاة، فالترجمة نفسها صريحة في رد قولكم، فإنه صرح بالأمر بالقتال على ترك الصلاة ومنع الزكاة.

وتأمل ما ذكره الخطابي أن الذين منعوا الزكاة منهم مَن كان يسمح بها ولا يمنعها، إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأي وقبضوا على أيديهم، كبني يربوع، فإنهم أرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم، وأنه عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر في هؤلاء، ثم إن عمر وافق أبا بكر على قتالهم.

وتأمل قوله: واحتج عمر بقول النبي ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»، وكان هذا من عمر تعلقًا بظاهر الكلام قبل أن ينظر إلى

---

(١) شرح مسلم للنووي (١/ ٢٠٢ - ٢٠٣).

آخره ويتأمل شرائطه. وتأمل قوله أن قتال الممتنع من الصلاة كان إجماعًا من الصحابة.

وقد أشار الخطابي إلى أن حديث أبي هريرة مختصر، قال النووي رحمه الله: قال الخطابي: ويبين لك أن حديث أبي هريرة مختصر، أن عبد الله بن عمر وأنس رضي الله عنهم، رَوَيَاه بزيادة لم يذكرها أبو هريرة، ففي حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**» وفي رواية أنس: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن يستقبلوا قبلتنا، وأن يأكلوا ذبيحتنا، وأن يصلوا صلاتنا، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم، إلا بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين**»(١) انتهى.

قلتُ: وقد ثبت في الطريق الثالث المذكور في الكتاب من طريق أبي هريرة وروايته أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»(٢).

وفي استدلال أبي بكر واعتراض عمر رضي الله عنهما، دليل على أنهما لم يحفظا عن رسول الله ﷺ ما رواه ابن عمر وأنس وأبو هريرة، وكأن هؤلاء الثلاثة سمعوا الزيادة في رواياتهم في مجلس آخر، فإن عمر لو سمع ذلك لما خالف، ولما كان احتج بالحديث، فإن هذه الزيادة حجة عليهم، ولو سمع أبو بكر هذه الزيادة

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٣) والترمذي (٢٦٠٨) وصححه الشيخ الألباني (الصحيحة ٣٠٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢١).

لاحتج بها، ولما كان احتج بالقياس والعموم والله أعلم[(١)]. انتهى كلام النووي.

فتأمل ما ذكره عن الخطابي تجده صريحًا في رد قولكم، وتأمل قوله: فإن عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث، فإن هذه الزيادة حجة عليهم.

وبالجملة؛ فحديث أبي هريرة حجة عليكم لا لكم، ولو لم يكن فيه إلا قوله «**إلا بحقها**» لكان كافيًا في بطلان شبهتكم؛ فإن الصلاة والزكاة من أعظم حقوق (لا إله إلا الله) بل هما أعظمهما على الإطلاق.

ومما يدل على بطلان قولكم وفساد فهمكم في معنى هذا الحديث، أعني حديث أبي هريرة: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**» أن جميع الشرّاح والمُحَشِّين لم يُؤولوه على هذا التأويل الذي ذهبتم إليه، فإنه حديث صحيح مخرّج في الصحاح، وهؤلاء شراح البخاري، وكذا شراح مسلم، هل أحد منهم استدل به على ترك قتال مَن تَرك الفرائض؟ بل الذي ذكروه خلاف ما ذهبتم إليه، ولو لم يكن إلا احتجاج عمر به على أبي بكر، ثم موافقته لأبي بكر على قتال مانعي الزكاة، لكان كافيًا، ونحن نذكر لكم كلام الشراح عذرًا ونذرًا.

قال النووي، رحمه الله تعالى: قوله ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قال: لا إله إلا الله. فقد عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه، وحسابه على الله تعالى**»: قال الخطابي: معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب، لأنهم يقولون (لا إله إلا الله) ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف. قال: ومعنى «**وحسابه على الله تعالى**»: أي: فيما يسرونه

---

(١) شرح مسلم للنووي (١/ ٢٠٦).

ويخفونه. قال: ففيه أن من أظهر الإسلام وأَسَرَّ الكفر أنه يُقْبَلُ إسلامه في الظاهر، وهذا قول أكثر العلماء، وذهب مالك أن توبة الزنديق لا تقبل، ويُحْكَى ذلك عن أحمد بن حنبل[١]. هذا كلام الخطابي.

وذكر القاضي عياض، رحمه الله تعالى، معنى هذا وزاد عليه وأوضحه، فقال: اختصاص عصمة المال والنفس ممن قال (لا إله إلا الله) تعبير عن الإجابة إلى الإيمان، وأن المراد مشركو العرب وأهل الأوثان ممن لا يوحّد، وهم كانوا أول مَن دُعِيَ إلى الإسلام وقوتلوا عليه، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقول (لا إله إلا الله) إذ كان يقولها في كفره، وهي من اعتقاده، فلذلك في الحديث الآخر: «**وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة**» هذا كلام القاضي. قلت: ولا بد من الإيمان مما جاء به رسول الله ﷺ كما جاء في الرواية الأخرى لأبي هريرة: «**حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به**»[٢] انتهى كلام النووي.

فتأمل ما ذكره الخطابي، وما ذكره القاضي عياض، أن المراد بقوله (لا إله إلا الله) التعبير عن الإجابة إلى الإيمان، واستدل لذلك بالحديث الآخر الذي فيه: «**وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة**»، وتأمل قوله أن المراد بحديث أبي هريرة مشركو العرب وغيرهم ممن لا يوحدون، وأما الذي يقر بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقول (لا إله إلا الله) إذ كان يقولها في كفره، وهي من اعتقاده. وتأمل قول النووي: ولا بد من الإيمان بما جاء به رسول الله ﷺ.

---

(١) شرح مسلم للنووي (١/ ٢٠٦).
(٢) شرح مسلم للنووي (١/ ٢٠٦ - ٢٠٧).

وبالجملة فقوله ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**» لم نعلم أحدًا من أهل العلم أجراه على ظاهره وقال إن من قال (لا إله إلا الله) يُكَفُّ عنه ولا يجوز قتاله، وإن ترك الصلاة ومنع الزكاة، هذا لم يقل به أحد من العلماء، ولازم قولكم أن اليهود لا يجوز قتالهم لأنهم يقولون (لا إله إلا الله) وأن الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب لا يجوز قتالهم لأنهم يقولون (لا إله إلا الله) وأن الصحابة مخطئون في قتالهم مانعي الزكاة لأنهم يقولون (لا إله إلا الله) ولازم قولكم أن بني حنيفة مسلمون لأنهم يقولون (لا إله إلا الله) سبحان الله! ما أعظم هذا الجهل ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ومن العجب أنكم تقرؤون في صحيح البخاري هذا الباب في كتاب الإيمان، حيث قال: باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ حدثنا عبد الله بن محمد المسندي قال: حدثنا شعبة عن واقد بن محمد: سمعت أبي يحدث عن ابن عمر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا ويشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى**»[١]: ثم بعد ذلك هذه الآية والحديث الذين ذكرهما البخاري وبأي شيء تدفعون به هذه الأدلة؟

وقال الإمام أبو عيسى الترمذي في سننه، في باب (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله): حدثنا هناد أنبأنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى**

(١) صحيح البخاري (٢٥).

**يقولوا لا إله إلا الله...»** الحديث[١] ثم أردفه بحديث أبي هريرة في قتال أبي بكر لمانعي الزكاة، وساق الحديث بتمامه ثم قال: (باب ما جاء أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة) حدثنا سعد بن يعقوب الطالقاني أنا ابن المبارك أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، ويستقبلوا قبلتنا، ويأكلوا ذبيحتنا، وأن يصلوا صلاتنا، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم، إلا بحقها، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين**»[٢] وفي الباب عن معاذ بن جبل وأبي هريرة، هذا حديث حسن صحيح.

والمقصود بيان ذم هذه الشبهة التي دسها من يدعي أنه من العلماء على الجهلة من الناس، أن من قال (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فهو مسلم، لا يجوز قتله ولو ترك فرائض الإسلام، وهذا كلام الله، وهذا كلام رسوله، وهذا كلام العلماء صريحا في رد هذه الشبهة، بل قد دل الكتاب والسنة والإجماع على أن الطائفة الممتنعة تقاتل على ترك الصلاة ومنع الزكاة، وإن أقروا بالوجوب، كما تقدمت النصوص الدالة على ذلك، بل قد صرح العلماء أن أهل البلد إذا تركوا الأذان والإقامة يقاتلون، وصرحوا أيضا بأنهم لو تركوا إقامة صلاة الجماعة يقاتلون، وكذا لو تركوا صلاة العيد، وعلماء حرم الله الشريف يقولون: من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ونفسه، وإن لم يصل ولم يزك! فسبحان مقلب القلوب والأبصار، وهل هذا إلا معارضة لكلام الله ورسوله وكلام أئمة

---

(١) جامع الترمذي (٢٦٠٦).

(٢) جامع الترمذي (٢٦٠٧).

المذاهب، وهذا كلامهم موجود في كتبهم يصرحون بأن من ترك الصلاة قتل، وأن الطائفة الممتنعة من الصلاة والزكاة والحج تقاتل حتى يكون الدين كله لله، ويحكون عليه الإجماع، كما صرح بذلك أئمة الحنابلة في كتبهم.

فإذا كانوا يصرحون أن من ترك بعض شعائر الإسلام، كأهل القرية إذا تركوا الأذان، أو تركوا صلاة الجماعة، وتركوا صلاة العيد، فإنهم يقاتلون، فكيف بمن ترك الصلاة رأسا؟ وهؤلاء يقولون: من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد عصم نفسه ودمه، وإن كانوا طائفة ممتنعين من فعل الصلاة والزكاة، بل يصرحون بأن البوادي إسلام، حرام علينا دماؤهم وأموالهم، مع العلم القطعي بأنهم لا يؤذنون ولا يصلون ولا يزكون، بل الظاهر عندهم أنهم كافرون بالشرائع، وينكرون البعث بعد الموت! سبحان الله! ما أعظم هذا الجهل!

وقد ذكرنا من كلام الله وكلام رسوله، وكلام شراح المحدثين، ما فيه الهدى لمن هداه الله، وبينا أن العصمة شرطها التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فمن لم يأت بهذه الثلاث لم يكف عنه ولم يخل سبيله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ وقال النبي ﷺ: **«أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»**.

**وأما كلام الفقهاء في كتبهم** فنذكره على التفصيل:

**أما كلام المالكية**؛ فقال الشيخ علي الأجهوري في (شرح المختصر): من ترك فرضًا آخر لبقاء ركعة بسجدتها من الضروري قُتِلَ بالسيف حَدًّا على

المشهور. وقال ابن حبيب وجماعة خارج المذهب: كافر. واختاره ابن عبد السلام[(١)] انتهى.

وقال في فضل الأذان: قال المازَرِيّ: في الأذان معنيان:

**أحدهما**: إظهار الشعائر والتعريف بأن الدار دار إسلام، وهو فرض كفاية، يُقَاتَلُ أهل القرية حتى يفعلوه، إن عجزوا عن قهرهم على إقامته إلا بالقتال.

**والثاني**: الدعاء للصلاة والإعلام بوقتها.

وقال الأُبِّيُّ في (شرح مسلم)[(٢)]: والمشهور أن الأذان فرض كفاية على أهل المصر؛ لأنه شعار الإسلام، فقد كان رسول الله ﷺ إن لم يسمع الأذان أغار، وإلا أمسك. وقول المصنف: يُقَاتَلُون عليه. ليس القتال من خصائص القول بالوجوب، لأنه نص عن عياض في قول المصنف: والوتر غير واجب، إلا أنهم اختلفوا في التمالي في ترك السنن هل يقاتلون عليها، والصحيح قتالهم وإكراههم، لأن في التمالي على تركها إماتتها انتهى.

وقال في فضل صلاة الجمعة: قال ابن رشد: صلاة الجمعة مستحبة للرجل في نفسه، فرض كفاية في الجملة. ويعني بقوله (في الجملة) أنها فرض كفاية على أهل المصر، ولو تركوها قوتلوا، كما تقدم. انتهى.

وعبارة غيره: وإن تركها أهل بلد قوتلوا، وأهل دار أجبروا عليها. انتهى كلام الشيخ رحمه الله، علي الأجهوري[(٣)].

فانظر تصريحهم أن تارك الصلاة يُقتل باتفاق أصحاب مالك، وإنما اختلفوا

---

(١) الفواكه الدواني (٢/ ٢٠١).

(٢) (٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥).

(٣) مواهب الجليل (١/ ٤٠٥).

في كفره، وأن ابن حبيب وابن عبد السلام اختارا أنه يقتل كافرًا، وتأمل كلامهم في الطائفة الممتنعة عن الأذان وعن إقامة الجماعة في المساجد، وأنهم يُقَاتَلُون، فأين هذا من قولكم أن من ترك الفرائض مع الإقرار بوجوبها لا يحل قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله!

**وأما كلام الشافعية**؛ فقال الإمام العلامة أحمد بن حمدان الأذرعي ﷺ، في كتاب (قوت المحتاج في شرح المنهاج): من ترك الصلاة جاحدًا وجوبها كفر إجماعًا، وذلك جارٍ في كل جحود مجمع عليه، معلوم من الدين ضرورة، فإن تركها كسلًا قتل حَدًّا على الصحيح والمشهور، أما قتله فلأن الله تعالى أمر بقتل المشركين، ثم قال: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ فدل على أن القتل لا يرفع إلا بالإيمان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولما في الصحيحين: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها**» ثم قال: إشارات:

**منها** قتله ردة، ووجد لشرذمة، منهم منصور التميمي وابن خزيمة، وقضية كلام الرونق، أنه كلام منصوص، حيث قال: فإذا قُتِلَ ففي ماله ودفنه بين المسلمين قولان: أحدهما ما رواه الربيع عن الشافعي أن ماله يكون فيئًا ولا يدفن بين المسلمين. والثاني ما رواه المازني عن الشافعي أن ماله لورثته ويدفن في مقابر المسلمين. وقال في المستعمل: سألت الربيع: ما يصنع بماله إذا قتله؟ قال: يكون فيئًا.

**ومنها** قال في (الروضة): تارك الوضوء يقتل على الصحيح، جزم به الشيخ أبو حامد[1]. وفي (البيان): لو صلى عريانًا مع القدرة للستر، أو الفريضة قاعدًا

---

(١) روضة الطالبين (١/ ٦٦٨).

بلا عذر، قُتِلَ، وكذلك لو ترك التشهد أو الاعتدال. حكاه ابن الأستاذ عن البحر، فإن صح طرد في سائر الأركان والشروط، ويجب أن يكون محله فيما أجمع عليه.

**ومنها** لو امتنع من الصوم والزكاة حُبِسَ ومُنِعَ من الفطرات، وقال إمام الحرمين: يجوز أن يكون الممتنع مما يضيق عليه، كالممتنع من الصلاة يجبر عليه، فإن أبى ضُربت عنقه. قال المصنف: والصحيح قتله بصلاة واحدة، بشرط إخراجها عن وقت الضرورة. انتهى كلام الأذرعي.

فانظر كلامه في قتل من ترك الصلاة كسلًا، وأن الربيع روى عن الشافعي أن ماله يكون فيئًا ولا يُدفن في مقابر المسلمين، وتأمل كلام أبي حامد وكلام صاحب الروضة في قتل تارك الوضوء، وكلام صاحب البيان فيمن صلى عريانًا مع القدرة على الس-ترة، أو صلى الفريضة قاعدًا بلا ع-ذر، أنه يقتل، فأين هذا من قولكم أن من قال لا إله إلا الله كف عنه ولا يجوز قتاله بوجه من الوجوه؟

وقال الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي في (التحفة) في حكم تارك الصلاة: إن ترك الصلاة جاحدًا وجوبها كفر بالإجماع، أو تركها كسلًا مع اعتقاد وجوبها قُتِل لآية ﴿فَإِن تَابُوا﴾ وخبر: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس...**» لأنهما شرطان، وفي الكف عن القتل والمقاتلة بالإسلام وإيتاء الزكاة، لأن الزكاة يمكن الإمام أخذها، ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا، فكانت فيها على حقيقتها، بخلافها في الصلاة فإنه لا يمكن فعلها بالمقاتلة. وقال في باب صلاة الجماعة: وقيل: هي فرض للرجل، فيجب، بحيث يظهر بها الشعار، فإن امتنعوا كلهم أو بعضهم، كأهل محل من قرية كبيرة، ولم يظهر الشعار إلا بهم قوتلوا، يقاتلهم الإمام أو نائبه لإظهار هذه الشريعة الكبيرة. وقال في باب الأذان والإقامة:

سنة. وقيل: فرض كفاية، فيقاتل أهل بلد تركوهما، أو أحدهما، بحيث لم يظهر الشعار. وقال في باب صلاة العيدين: هي سنة. وقيل: فرض كفاية، فعليه يقاتل أهل بلد تركوها. انتهى كلامه في (التحفة)[(١)].

فانظر إلى كلامه في قتل تارك الصلاة كسلًا، وتأمل قوله أن الآية والحديث شرطان في الكف عن القتل والمقاتلة الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن الإمام يأخذ الزكاة، ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا، وتأمل كلامه في باب صلاة الجماعة، وأنها تجب بحيث يظهر الشعار في ذلك المحل، حتى في البادية، وأنهم يقاتلون إذا امتنعوا، بل كلامه في الأذان والإقامة، وأن الأمام يقاتل على تركها، وعلى ترك أحدهما، على القول بأنهما فرض كفاية، وتأمل كلامه في الطائفة إذا امتنعوا من صلاة العيدين. فأين هذا من كلام من يقول أن أهل البلد والبوادي إذا قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله لم يجز قتالهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا، فسبحان الله ما أعظم هذا الجهل!

**وأما كلام الحنابلة** فقال في (الإقناع) وشرحه في كتاب الصلاة: من جحد وجوبها كفر، فإن تركها تهاونًا وتكاسلًا لا جحودًا يهدده، فإن أبى أن يصليها حتى تضايق وقت الذي بعدها وجب قتله، لقوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ فمتى ترك الصلاة لم يأت بشرط التخلية، فيبقى على إباحة القتل، ولقوله ﷺ: «**من ترك الصلاة عمدًا متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله**»[(٢)] رواه أحمد عن مكحول، وهو مرسل جيد. ولا يُقتل حتى يُستتاب ثلاثة أيام، كالمرتد نَصًّا، فإن تاب بفعلها وإلا قُتِلَ بضرب عنقه، لما روي جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «**بين الرجل وبين**

---

(١) حاشية الجمل على شرح المنهاج (٢/ ١٢٩).

(٢) المسند (٦/ ٤٢١).

الكفر ترك الصلاة» رواه مسلم، وروى بريدة أن النبي ﷺ قال: «من تركها فقد كفر» رواه الخمسة، وصححه الترمذي(١). انتهى.

وقال في باب الأذان والإقامة: فإن تركهما، أي الأذان والإقامة، أهل بلد قُوتِلُوا، أي قاتلهم الإمام أو نائبه، حتى يفعلوهما، لأنهما من أعلام الدين الظاهرة، فيقاتلوا على تركها كسلا كصلاة العيد(٢).

وقال رحمه الله، في باب صلاة الجماعة: وهي واجبة وجوب عين، فيقاتل تاركها، وإن أقامها غيره، لأن وجوبها على الأعيان بخلافه(٣).

وقال في باب صلاة العيدين: وهي فرض كفاية، إن تركها أهل بلد يبلغون الأربعين، بلا عذر، قاتلهم الإمام، كالأذان، فإنه من شعائر الإسلام الظاهرة، وفي تركهما تهاون بالدين(٤).

وقال في باب إخراج الزكاة: ومن منعها، أي الزكاة، بخلًا بها وتهاونًا، أُخِذَت منه قهرًا، كدَين الآدمي، وإن غيب ماله أو كتمه، وأمكن أخذها، بأن كان في قبضة الإمام، أخذت من غير زيادة، وإن لم يكن أخذها استتيب ثلاثة أيام وجوبًا، فإن تاب وأخرج كُفَّ عنه، وإلا قُتِلَ، لاتفاق الصحابة على قتال مانعها، وإن لم يمكن أخذها إلا بالقتال وجب على الإمام قتاله إن وضعها موضعها(٥). انتهى كلامه في (الإقناع) وشرحه.

فتأمل كلامه فيمن ترك الصلاة كسلًا من غير جحود أنه يُستتاب فإن تاب وإلا

---

(١) كشاف القناع (١/ ٢٢٨).
(٢) كشاف القناع (١/ ٢٣٤).
(٣) كشاف القناع (١/ ٤٥٤).
(٤) كشاف القناع (٢/ ٥٠).
(٥) كشاف القناع (٢/ ٢٥٦).

قُتل كافرًا مرتدًا، وتأمل كلامه في أهل البلدان إذا تركوا الأذان أو الإقامة أو صلاة العيد أنهم يقاتلون بمجرد ترك ذلك، فهذا كلام المالكية، وهذا كلام الشافعية، وهذا كلام الحنابلة، الكل منهم قد صرح بما ذكرناه، فإذا كانوا مصرحين بقتال من التزم شرائع الإسلام، إلا أنهم تركوا الأذان وتركوا صلاة الجماعة وتركوا صلاة العيد، فكيف بمن ترك الصلاة رأسًا، كالبوادي، ولا يُزكون ولا يُصومون، بل يُنكرون الشرائع، ويُنكرون البعث بعد الموت، هذا هو الغالب عليهم، إلا من شاء الله، وهم القليل، وإلا فأكثرهم ليس معهم من الإسلام إلا أنهم يقولون (لا إله إلا الله) ومع هذا يجادل علماء مكة ويقولون إنهم مسلمون، وإن دماءهم وأموالهم حرام بحرمة الإسلام، وإن لم يصلوا ولم يزكوا ولم يصوموا، لأنهم يقولون (لا إله إلا الله)! وهل هذا إلا رد على الله حيث يقول: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾! وهؤلاء يقولون: يُخلى سبيلهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام**»[١] وهؤلاء يقولون: من قال (لا إله إلا الله) فقد عصموا دمهم ومالهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا! ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فهذا كتاب الله وسنة رسوله.

وهذا إجماع الصحابة على قتال من ترك الصلاة أو منع الزكاة، قال صدّيق الأمة أبو بكر ﷺ: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ. وفي رواية: عناقًا، لقاتلتهم على منعها.

(١) أخرجه: البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

وهذا إجماع العلماء، قال في شرح (الإقناع): أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة من شريعة من شرائع الإسلام، فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون فتنة كالمحاربين وأولى[١]. انتهى.

قال أبو العباس، رحمه الله تعالى: القتال واجب حتى يكون الدين كله لله، وحتى لا تكون فتنة، فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب، فأي طائفة ممتنعة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء والأموال والخمر والزنا والميسر، أو نكاح ذوات لمحارم، أو عن التزام جهاد الكفار، أو ضرب الجزية على أهل الكتاب، أو غير ذلك من التزام واجبات الدين أو محرماته التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها، التي لا يكفر الواحد بتركها بجحودها، فإن الطائفة الممتنعة تُقَاتَلُ عليها وإن كانت مقرة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء، وإنما اختلفوا الفقهاء في الطائفة الممتنعة إذا أصرت على ترك بعض السنن؛ كركعتي الفجر والأذان أو الإقامة، عند من لا يقول بوجوبها، ونحو ذلك من الشعائر، فهل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا، فأما الواجبات أو المحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها[٢]. انتهى.

فتأمل كلام الحنابلة وتصريحه بأن من امتنع عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة، كالصلوات الخمس، أو الصيام، أو الزكاة، أو الحج، أو ترك المحرمات؛ كالزنا أو شرب الخمر أو المسكرات، أو غير ذلك، فإنه يجب قتال الطائفة عن ذلك حتى يكون الدين كله لله، ويلتزموا جميع شرائع الإسلام، وإن

---

(١) كشاف القناع (٦/ ١٦٧) نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٠٣).

كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائع الإسلام، وأن ذلك مما اتفق عليه الفقهاء من سائر الطوائف فمن بعدهم، فأين هذا من قولكم أن من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه وإن ترك الفرائض وارتكب المحرمات؟

بل من تأمل سيرة النبي ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده عرف أن قولكم هذا مضاد لما فعله النبي ﷺ وما فعله الخلفاء الراشدين من بعده، فيا سبحان الله أما علمتم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وهم يقولون (لا إله إلا الله) وسبى نساءهم واستحل دماءهم وأموالهم!

أما علمتم أن رسول الله ﷺ أراد أن يغزو بني المصطلق عند قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾!

أما علمتم أن علي بن أبي طالب حرق الغالية مع أنهم يقولون (لا إله إلا الله)!

أما علمتم أن الصحابة قاتلوا الخوارج بأمر نبيهم ﷺ مع أنه ﷺ أخبر أن الصحابة يحقرون صلاتهم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم، وقراءتهم مع قراءتهم، وقال: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم**»[١]!

أما علمتم أن الصحابة قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، ويؤذنون ويصلون!

أما علمتم أن الصحابة قاتلوا بني يربوع لما منعوا الزكاة، مع أنهم مقرون بوجوبها، وكانوا قد جمعوا صدقاتهم، وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر، فمنعهم مالك بن نويرة! وفي أمر هؤلاء عرضت الشبهة لعمر ﷺ، حتى جلاها الصديق أبو بكر وقال: والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٦١١).

لقاتلتهم على منعها. فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.

وقد تقدم ذلك مبسوطًا، وذكرنا لفظه في شرح مسلم في باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. أما علمتم أن رسول الله ﷺ بعث البراء إلى رجل تزوج امرأة أبيه، كما رواه الترمذي في سننه، حيث قال: (باب فيما جاء فيمن تزوج امرأة أبيه) حدثنا أبو سعيد الأشج أخبرنا حفص بن غياث عن أشعث عن عدي بن ثابت عن البراء قال: مر بي خالد أبو بردة، ومعه لواء، فقلت: إلى أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه برأسه[1]. حديث حسن غريب انتهى.

ولو تتبعنا الآيات والأحاديث والآثار وكلام العلماء، في قتال من قال لا إله إلا الله وترك بعض حقوقها، لطال الكلام جدا، فكيف بمن ترك الإسلام كله، وكذب به واستهزأ على عمد، إلا أنهم يقولون (لا إله إلا الله) كهؤلاء البوادي!

وفيما ذكرناه كفاية لمن طلب الإنصاف، فقد ذكرنا الأدلة من كلام الله، وكلام رسوله، وإجماع الصحابة، وإجماع العلماء بعدهم، فإن كان هذا الذي ذكرنا له معنى آخر ما فهمناه بينوه لنا، من كلام الله وكلام العلماء، ورحم الله امرءا نظر لنفسه وعرف أنه ملاق الله الذي عنده الجنة والنار.

**وأما المسألة الثالثة**: وهي مسألة البناء على القبور، فنقول ثبت في الصحيح والسنن عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن البناء على القبور وأمر بهدمه، كما رواه مسلم في صحيحه، حيث قال: حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي ليلى عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي: ألا

---

(١) جامع الترمذي (١٣٦٢) والحديث أخرجه البخاري (٢٣١٤) ومسلم (١٦٩٦).

أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سويته[١].

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا حفص بن غياث عن أبي جريج عن ابن الزبير عن جابر ﷺ، قال: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه، وأن يكتب عليه[٢].

وقال أيضا: حدثنا هارون الأيلي قال: حدثنا ابن وهب قال: حدثني عمر بن الحارث أن ثمامة بن شفي حدثه قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره يسوى، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها[٣].

وقال الترمذي: باب (ما جاء في تسوية القبور) حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن حبيب عن أبي ثابت عن أبي وائل أن عليا ﷺ، قال لأبي الهياج الأسدي: أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سويته[٤]. قال: وفي الباب عن جابر.

وقال ابن ماجه: باب (ما جاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها) حدثنا أزهر بن مروان حدثنا عبد الرزاق عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبور[٥].

---

(١) صحيح مسلم (٩٦٩).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٣٣٧) ومن طريقه أخرجه مسلم (٩٧٠).
(٣) صحيح مسلم (٩٦٨).
(٤) جامع الترمذي (١٠٤٩) والحديث أخرجه مسلم (٩٦٩).
(٥) سنن ابن ماجه (١٥٦٢) وصححه الشيخ الألباني (صحيح ابن ماجه).

حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا حفص بن غياث عن أبي جريج عن سليمان بن موسى عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ أن يكتب على القبر شيء[١].

حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي نبا وهب حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن القاسم بن مخيمرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ نهى أن يبنى على القبر[٢].

قال النووي رحمه الله، في شرح مسلم: قال الشافعي في (الأم): رأيت الأئمة في مكة يأمرون بهدم ما يبنى. ويؤيد الهدم قوله: ولا قبرا مشرفا إلا سويته[٣].

وقال الأذرعي رحمه الله، تعالى في (قوت المحتاج): ثبت في صحيح مسلم النهي عن التجصيص والبناء، وفي الترمذي وغيره النهي عن الكتابة، قال القاضي: ولا يجوز أن يبنى عليها قباب ولا غيرها، والوصية عليها باطلة. قال الأذرعي: ولا يبعد الجزم بالتحريم في ملكه وغيره، من غير حاجة، على من علم النهي، بل هو القياس الحق، والوجه في البناء على القبور والمباهاة ومضاهاة الجبابرة والكفار، والتحريم يثبت بدون ذلك، وأما بطلان الوصية بالبناء على القباب وغيرها من الأبنية العظيمة وإنفاق الأموال الكثيرة عليه، فلا ريب في تحريمه، والعجب كل العجب ممن يلزم بذلك الورثة من حكام العصر، ويعمل الوصية بذلك. انتهى كلام الأذرعي، رحمه الله تعالى.

ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور، وما أمر به ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما أنتم عليه من فعلكم مع قبر أبي طالب والمحجوب وغيرهما، وجد أحدهما مضادا للآخر مناقضا له، لا يجتمعان أبدا، فنهى

---

(١) سنن ابن ماجه (١٥٦٣) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٨٤٣).
(٢) سنن ابن ماجه (١٥٦٤) وصححه الشيخ الألباني (تلخيص أحكام الجنائز ١/ ٨٥).
(٣) شرح مسلم للنووي (٧/ ٢٧).

رسول الله ﷺ عن البناء على القبور، كما تقدم ذكره، وأنتم تبنون عليها القباب العظيمة، والذي رأيته في المعلاة أكثر من عشرين قبة نهى رسول الله ﷺ أن يزاد عليها غير ترابها، وأنتم تزيدون عليها غير التراب التابوت الذي عليه لباس الجوخ، ومن فوق ذلك القبة العظيمة المبنية بالأحجار والجص!

وقد روى أبو داود من حديث جابر أن رسول الله ﷺ نهى أن يجصص القبر، أو يكتب عليه، أو يزاد عليه.

ونهى رسول الله ﷺ عن الكتابة عليها، كما تقدم من صحيح مسلم.

وقال أبو عيسى الترمذي: (باب ما جاء في التجصيص والكتابة عليها) حدثنا عبد الرحمن بن الأسود أخبرنا محمد بن ربيعة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها وأن توطأ. هذا حديث حسن صحيح.

وهذه القبور عندكم مكتوب عليها القرآن والأشعار.

وقال أبو داود: (باب البناء على القبر) حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرني ابن جريج قال: حدثني أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول: سمعت النبي ﷺ نهى أن يقعد على القبر، وأن يجصص، وأن يبنى عليه. انتهى.

ولعن رسول الله ﷺ من أسرجها، والذي رأيته ليلة دخولنا مكة، شرفها الله تعالى، في المقبرة أكثر من مائة قنديل، هذا مع علمكم أن رسول الله ﷺ لعن فاعله، فقد روى ابن عباس أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج. روى هذا أهل السنن(١).

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦) والترمذي (٣٢٠) والنسائي (٢٠٤٣) والإمام أحمد (١/ ٣٣٧) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ٤٦٩١).

وأعظم من هذا كله وأشد تحريما الشرك الذي يفعل عندها، ودعوة القبور، وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، لكن تقولون لنا: إن هذا لا يفعل عندها، وليس عندنا أحد يدعوها ويسألها، ونقول: اللهم اجعل ما ذكروا حقا وصدقا، ونسأل الله أن يطهر حرمه من الشرك، ولا ريب أن دعاء الموتى وسؤالهم جلب الفوائد وكشف الشدائد، أنه من الشرك الأكبر الذي كفر الله به المشركين، كما تقدم بيانه في المسألة الأولى، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ﴾ إلى آخره.

وقد روى الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**الدعاء مخ العبادة**» وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**» ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

قال العلقمي في (شرح الجامع الصغير): حديث الدعاء مخ العبادة، قال شيخنا في (النهاية): مخ الشيء خالصه، وإنما كان مخها لأمرين:

**أحدهما**: أنه امتثال لأمر الله تعالى، حيث قال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ فهو محض العبادة وخالصها.

**والثاني**: إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع عمله عما سواه ودعاه لحاجته وحده، وهذا هو أصل العبادة، ولأن الغرض من العبادة هو الثواب المطلوب عليها، وهذا هو المطلوب من الدعاء(١).

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٤/ ٦٤١).

وقوله: «**الدعاء هو العبادة**» قال شيخنا: قال الطيالسي: أتى بالخبر المعرف باللام ليدل على الحصر، وأن العبادة ليست غير الدعاء. وقال شيخنا: قال البيضاوي: لما حكم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية، التي تستأهل أن تسمى عبادة، من حيث إن فاعلها مقبل على الله، معرض عمن سواه، ولا يرجو ولا يخاف إلا منه، واستدل عليه بالآية، يعني قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فإنها تدل على أمر مأمور به، إذا أتى به المكلف قُبِلَ منه لا محالة، وترتب منه المقصود ترتب الجزاء على الشرط، والسبب على المسبب، وما كان كذلك كان أتم العبادة وأكملها. انتهى كلام العلقمي، رحمه الله تعالى.

وليكن هذا آخر الكلام على هذه المسائل الثلاث، فإن وافقتمونا على أن هذا هو الحق فهو المطلوب، وإن زعمتم أن الحق خلافه فأجيبونا بالكتاب والسنة، فإنهما بين الناس فيما تنازعوا فيه، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ وقد ذكرنا لكم الأدلة من الكتاب والسنة وكلام الأئمة، فإذا أجبتم على هذه المسائل الثلاث أجبناكم عن بقية المسائل، إن شاء الله تعالى، ولنختم الكلام بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۞ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ والحمد لله أولًا وآخرًا كما يُحب ربنا ويرضى، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

**ثم دخلت السنة الثانية عشرة بعد المائتين والألف.**

**وفيها** أظهر الشريف غالبُ عثمانَ المضايفي مع كثير من العساكر والجيش، وذوي السفاهة والطيش، وقصد عربان الإسلام لكون جرودهم[1] عند سعود،

---

(١) الجرود: الطوائف الكبيرة من القوم المحاربين.

ولم يكن عند الأهل كثير من أهل الإقدام، بل كانوا غزاة حماة تلك الأقوام، فظن أنه يحصل منهم على مرام، فأسرع الوصول إليهم، وقدم وهم على ماء عقيلان آل روق من قحطان[١]، وغيرهم من سائر العربان، وكبيرهم مسفر بن نقيحان، فأغارت عليهم فرسان الشريف، بقوة تُرعب وتُخيف، فثبت لهم أولئك العرب، ولم يكن أحد منهم عزم على الهرب، وصبروا على الجلاد، خوفًا على الأموال والأولاد، حتى أعانهم الرحمن، فانهزم ذوو الطغيان، وتبعهم أولئك البدوان، وقتلوا منهم فوق الخمسين، ونار[٢] الباقي مدبرين، ومات كثير منهم من الظمأ متفرقين، وأخذوا كثيرًا من السلاح والركاب، وخسر جميع الأحزاب.

هذا، ولنرجع إلى تمام الحديث عن ثويني وإكماله، وما لقي في طريقه من سوء أعماله، وذلك أن الله تعالى الولي الحميد، المبدئ المعيد، المنتقم من كل جبار عنيد، لما أراد فيه إنفاذ الوعيد، وأن يولي المسلمين من فضله المزيد، ويجري لهم عادته من النصر والتأييد، ويخذل كل رائم لهم الهوان ومريد، من كل باغ وشيطان مريد، أقبل يقطع المفاوز، ويعقب وراءه كل مهمة ويجاوز، ويروم أنه بالحسا فائز، وأنه لولايتها مناهز، وعن مصادمة المسلمين في بلدانهم بعد ذلك غير عاجز، يعلل بذلك نفسه إذا سجى الدجى، ويحقق له الغرور ذلك الرجا، يولي في تلك المسامرة ويعزل، ويحكم بما شاء على من شاء ويفصل، ولم يدر أن الله تعالى له بمرصد، وأن القضاء له بمقعد، فلم يطل له على تلك الأمواه مقام، بل أسرع في المسير والإقدام، ولم يكن له عن أرض الشباك[٣]

(١) قال ابن بشر (١ / ١١٠): «دون بيشة».

(٢) نار: هرب.

(٣) قال ابن بشر (١ / ١٠٨): «الماء المعروف في ديرة بني خالد». وهو بالقرب من بلدة «ثاج»، وثاج تقع غرب مدينة الجبيل بحوالي ٨٠كم.

إحجام، لما قضي عليه بشرب كئوس الحِمام، وأن الله تعالى بحكمته التي بها للسموات والأرض القيام، وحسن لمن فيهن بها الانتظام، وقدرته التي قهرت جميع الأنام، وإرادته التي تم بها الوجود واستقام، اختار أن يبين للناس ما فيه آية عظيمة، يستدعي بها إذعانًا لوحدانية الله ذوو العقول السليمة، وسالكو المناهج القديمة المستقيمة، ولكن الله تعالى إذا طبع على القلوب بطابع الحجاب، وسلب الإدراك والمعرفة من الألباب، فلا تحس بما يصدر من العجاب، وتتمادى فيما هي فيه من الزيغ والارتياب.

فلما نزل ثويني في رياض أراضي الشّباك، مدت له من الحبائل شِباك، ونصب له من أسباب الحِمام أشراك، حتى تخمد نار الغواية والإشراك، وترجع خاسئة على أعقابها أولئك السُّلاك، فناداه منادي القضاء المجيد، إلى أين تذهب وتريد، وقد حان هلاكك غير بعيد، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾، ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ فلم تمض له إلا أيام قليلة، فصاح به أخرى وأسمعه قبيله، وناداه ولكن لا يسمع ولا يجيب، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾، وجعل الله تعالى منية ذلك الضرغام، الذي لا يستطاع بأسه ولا يرام، على يد أذلّ وأضعف الأنام، وذلك أن الأسرار الغيبية، والمصالح التي نيط بها نظام البرية، وجميع العوالم العلوية والسفلية، لا تدركها جياد الأفهام والأذهان، بل تحجم دون ذلك الميدان، ولا يكون لها فيه جولان، ويقصُرُ باعها عن ذلك ولو أطلق لها عنان، فترجع حينئذ ألباب أهل العرفان، وصفوة أهل التوحيد والإيمان، حين تشاهد تلك الحكم التي ظهرت في غاية البيان، وأبرزها مَن هو كل يوم في شأن، في وقتها المقدر لها بحسبان، إلى زيادة الإقرار والإذعان، لمكوّن الأكوان ومقدر الآجال والأزمان، ومحتم الفنا على كل إنسان وملك وجان، بمصداق، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.

ومما يفتح هذا الباب لذوي البصائر والألباب، ويحث على التوحيد وإخلاص الدعوة لرب الأرباب، هذا البرهان الذي شاهده أولو الأبصار، والحكم العادل الصادر من قاصم كل جبار، المبرز في مساق النصرة والانتصار، صونًا لزلال الشريعة عن الأكدار، وقذر زعاف الأشرار، ليستيقن أهل الدين بعد التتبع والاعتبار، ويزيد أهل الإيمان إيمانًا بذلك الاستبصار، فلا تبدر العقول والأفكار، إلى امتطاء كاهل الإنكار، ولا تدخل في ضنك القنوط فتزيغ منها الأبصار، فما في الغيب من خفي الأسرار، أجل من أن تحيط به البصائر المستضيئة بالأنوار، فتبارك الذي أقصى من شاء من العباد، ونحاه إلى بيداء الإبعاد، وقسم له الطرد والحرمان، وأضله على علم لإرادته به الهوان، وسبحان الذي قرّب أولياءه إلى جنابه، ومنح أصفياءه لذيذ خطابه.

وحاصل بيان هذه المنقبة، وتهيئة أسبابها الموجبة، وإشراق أنوار هذه الموهبة، أن ثويني لما ظهر للحرابة، وكان منه إليها تلبية وإجابة، وفتح من الشر بابه، وارتد من البدوان كثير من العربان، كما قدمناه عن آل ظفير، وكُلٌّ أقبل إلى الفتنة يسير، جاء بنو خالد الذين في الشمال، وأسرعوا إلى براك بن عن المحسن ومن معه من قومهم وأعلموهم بالحال، وخوفوهم من ثويني وما أتى من الكيد الذي لم يسبق له مثال، وأراد براك الامتناع، فهددوه بالأسر والاعتقال، فأشمل بعد ذلك هو ومن معه وكانوا إلى لقاء ثويني في استقبال، وهاجر من قوم براك جماعة كثيرة وقصدوا الدرعية، بعد صدور تلك القضية، ثم بعد ذلك خرجوا مع أهل الجهاد، وكان طعيس ممن هاجر وأبى الارتداد، وخرج للغزو مع تلك الأمداد، وكان يُكثر الدعاء لمولاه والسؤال، ويُديم التضرع والابتهال، ويتمنى ذلك في كل حال، ويتفوّه بذلك بين الرجال، حتى يظن سامعه أن به وسواسًا وخبال، ويستبعد أن يكون للأسود والأشبال، إلى حِمَى ثويني وصول واتصال،

أو تدرك منه مرامًا أو منال، فضلًا عن مثل هذا المهان الذي لا يلقى إليه بال، يجسر على هتك تلك الأبّهة العديمة المثال، ووطء بساط تلك الحضرة التي دون رحبتها خطوب وأهوال، فلا يرام الوقوف عندها ولا تنال.

فأراد الله الكبير المتعال، أنه يغزو مع منّاع أبا رجلين، وهم أهل أربع ركاب يريدون اختلاس بعض الآبال، فوافقهم أناس من آل ظفير ذوي الضلال، فأخذوهم وبقي طعيس عند أولئك الجنود، وأخذت نفسه تُحدثه بتلك الآمال، ويُصمم على ذلك ويدعو بتيسيره في البكور والآصال، فاستعد للإقدام وباع نفسه وأبرم الاحتيال، وأخذ حربته وقد قوى الله عزيمته، فجاءه وهو قاعد مع بعض الرجال، فأنفذ فيه الحربة، وكان منه له اغتيال، فلما أحس بالطعنة جرّد صارمه فضرب به طعيسًا، وقام عليه مع غيره رجال، فقُتِل بعد ذلك في الحال، ولم يكن له ساعة إمهال، عليه رحمة الله تعالى، وبقي ثويني ذلك اليوم إلى العصر، ثم كان له إلى القبر انتقال، فضجت تلك الأمم مما حل بهم ودهم، وذعرت وارتجت، وماجت قلوبها بعدما رعبت وعجت، وحاق بها مُدْلَهِمُّ الخطب، وعراها وقراها الزمان ما أوهى قراها، وضاق عليها فسيح الفجاج والرحاب، وأحاط بهم رجز من العذاب، وانهزم منهم براك ونار، وأرسل للمسلمين بالأخبار، وتبعه أناس من قومه، وجد في الهروب من يومه، ولم يثبت لهم قوة ولا قلوب ولا قرار، بعدما صدر من براك وجماعته ذلك الفرار، وحاول قوم ثويني وناصر أخوه في الثبات واجتماع الحال، فلم يحصل له ما يرجوه، وأبت تلك العربان وندت أسلاف البدوان[١]، وشمّرت في الانهزام والذهاب جميع طوائف الأعراب، وشتت الله شمل أولئك الأحزاب، واستمر

---

(١) الأسلاف: الجماعات.

كل واحد منهم في الهزيمة لا يلوي أحد على أحد ولا يجيب، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾.

ولما تحقق المسلمون ما صدر وجرى، وتبين لهم صدق ما نزل بهم وعرا، بادر حسن بن مشاري وجميع أهل الإسلام، في طلب أولئك الجموع العظام، وشمّروا في أعقاب أولئك الأقوام، يأخذون ويقتلون، والأعداء منهزمون ولا يلوون، وتركوا جميع ما عندهم من الغنم، وما ثقل من الطعام والنَعم، ولم يكن لهم على جرّ المدافع الكبار، حيلة ولا وسيلة ولا اقتدار، فأخذ المسلمون جميع المدافع ولم يكن دونها مُدافع، وغنموا من جميع الأموال ما لا يخطر على البال، واستمروا في آثارهم على ذلك المنوال، إلى قريب الجهراء يجمعون الأموال ويقتلون الرجال، فقُتِل منهم في الصبيحيّة[1] جماعات من تلك البرية.

ورجع المسلمون بعد نيل الآمال في أنعم عيش وبال، وأقبل سعود، بلغه الله المقصود، في حدود ظهور أنوار تلك الآية، وقد رفع طالع الإقبال على رأسه للنصر راية، فأحاطت به من جوانبه الألطاف والتوفيق والعناية، وحق السعد والحفظ والرعاية، ونوى أن يغزو أولئك الجنود، ويبذل فيهم المجهود، وعزم على ذلك وصمم، وأجمع عليه رأيه وتقدم، وقال: لا بد في أرضهم من الوطأة والمجال، حتى يكون ذلك أردع وأقمع لذوي الضلال. فانتدب إليه من كبار المسلمين رجال، وقالوا: هذا صعب المنال، والركاب والجياد لا تستطيع السير بحال، وكفى ما وقع بهم من القتل والإذلال، وما نالوا من الشر والوبال، وعسى أن يتم لك المراد على الإمهال. فجنح إلى قولهم وراض، وكان له عن عزمه إعراض.

---

(١) جنوب الكويت.

وأقام سعود حرسه الله في تلك الأرض، يجمع الغنائم ويأخذ منها الخمُس الفرض، ويقسم الباقي على المجاهدين، حتى وزعت بينهم أجمعين، وكان جميع ما حصل من الإبل ثلاثة آلاف، من غير مبالغة ولا إسراف، والذي جمع من الغنم فوق مائة ألف، وأكثرها عاجلة الهلاك والحتف، ولم يدرك من الخيل إلا قليلًا، ونال أهلُ الإسلام عزًا جليلًا، ونصرًا مؤيدًا جميلًا، وثوابًا عظيمًا وأجرًا جزيلًا، ورجع حزب البغي ذليلًا، وقد نكله الله، ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

وأقام سعود على تلك الأمواه أيام، وأطال بها المقام، ثم بعد ذلك سار إلى الحسا ونزل عن المبرز شمالًا، وقد انشرح صدره ونعم بالًا، ومكث يدبر شئونًا وأحوالًا، ويعاتب مَن تَبَيَّنَ فيه رعب وأبدى خفة عند تلك الأحزاب واعتجالًا، ويؤنب من نار[1] إلى البحر ويوبخه مقالًا، ويحثهم على الاجتهاد والاجتماع، والمساعدة في الجهاد والدفاع، عند نزول طوارق الفتن، وحلول عوارض المحن، حتى ينالوا بذلك الدرجة العليا في الأخرى والدنيا، ويحوزوا أسمى المراتب السنية، ويفوزوا بأسنى المطالب السمية.

واجتهد بعض أهل الحسا على بعض، وصار لهم في السعاية عنده إسراع وركض، ولم يقفوا عند حدود الله تعالى بالترك والرفض، وراموا بذلك إليه تقربًا ووصولًا، ومنزلة وتمكينًا لديه وحصولًا، وجمعوا له في ذلك الميدان، من قبيح الزور والبهتان، جملة وفصولًا، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾، فدأبوا في السعاية لديه بالنمائم، والكل من أهلها للحظوظ الدنيوية دائم، ولم يخشوا عاقبة المآثم، ومن هو

---

(١) نار: هرب.

بخفي حالهم عالم، وكاد أن يكون سوقها قائم، لولا منّ الله عليه بلطفه فزجر أهل تلك المظالم، وأصبح لمناهجها يزيل عنها تلك المعالم، ولجميع موادها حاسم، وينشد قول شاعر عالم[1]:

كذبت مناكم صرحوا أو جمجموا　الدين أمتن والسجية أكرمُ
وأردتمو تضييقَ صدرٍ لم يَضق　والسُمر في ثُغَر الصدور تُحطَّمُ
وزحفتمو بمحالكم لمجرِّب　ما زال يَثبت للمجال فيَهزِمُ
أنى رجوتم غدرَ من جربتمو　منه الوفاء وجورَ من لا يَظلمُ

ونهاهم عن تعاطي تلك الخصلة القبيحة الذميمة، والكبيرة التي لا يرضاها، فضلًا عن كونه يتعاطاها، مَن له مَسْكَة من الدين أو شيمة، فيا لها من كبيرة في الدين عظيمة، لو لم يكن فيها من الإغلاظ والإعظام، إلا قوله عليه الصلاة والسلام على سبيل التهديد والتحذير والإعلام، لكافة ذوي الدين والإسلام من سائر الآنام: «**لا يشم عَرْفَ الجنة نمّام**»[2]، وقول الله تعالى في الذكر الحكيم: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ﴾، لكفى عن اقترافها وسرعة الهجوم عليها والإقدام، وقد جاء فيها من الوعيد ما ليس عليه مزيد من صحيح قول الأنام، مما لا تحيط به الأفهام، ولا تحويه الإرقام، ولكل من سرده الأقلام، ولا يليق باستقصائه هذا المقام، قال المصنف مهنيًا للأمير سعود، ولأبيه عبد العزيز، في قدوم سعود الحسا، بعد قتل ثويني:

تلألأ نور الحق وانصدع الفجر　وديجور ليل الشرك مزقه الظهر
وشمس الأماني أشرقت في سعودها　ولاح بأفق السعد أنجمه الزهر

(١) ابن زيدون، في ديوانه (ص ٣١١ - ٣١٢).
(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرج البخاري (٦٠٥٦) ومسلم (١٠٥) من حديث حُذَيْفَةَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ».

وجلّى ظلام الخطب بيض صنائع كأن سناها في غياهبه بدر
وأسفر وجه الوقت بعد تعبس وحالت بصنع الله أحواله الكدر
فأيامه بالأنس بيض شوارق تضيء كما أضوى بديجوره فجر
وهبت رياح النصر والفوز والهنا فحق لنا منها البشائر والبشر
وروّح روح الأنس كل موحدٍ ففي قلبه سُكر وما مسه خمر
كأن به من نشأة اللطف نشوة ترنح منها العطف واستحكم السكر
وغنت بروضات السرور بلابل يرجّعن ألحانا يهش لها الصخر
فأصل التهاني دانيات قطوفه وفرعُ المُنى غضٌّ وأوراقه خضر
ونادى منادي الحق بالخلق معلنًا ألا فليحل الحمد وليعظم الشكر
فما قلب ذي ظهر بفيفا أضله وفاجأه عند التوى ذلك الظهر
بأفرح منا بالبشير وقوله أتى الفتح والإقبال والعز والنصر
أذيق العدا كأس الردى فسما الهدى وشلت يمين الشرك وانقصم الظهر
وفلّت جنود المعتدين ومُزقت وزال ظلام الشرك وانمحق النكر
فمن حامد منا ومُثْنٍ وساجد لمولاه شكرًا بعدما انكشف الأمر
لقد أقبلوا والأرض ترجف منهمو وقد أدبروا يقفوهم الذل والصغر
وساروا بأسباب المكائد والردى إلينا فما أغناهم الكيد والجرّ
وقد زاغت الأبصار واحتنك الفضا علينا كأن الأرض مما بنا شبر
فآبوا وقد خابوا وما أدركو المنى وبادروا وما سادوا وعقباهم الخسر
جنود فساد وابتداع وفتنة يقودهم الإضلال والبغي والفجر
يريدون أن يطفوا مصابيح نوره ويخفوا قويمًا لا يرام له ستر
أبى الله أن يسمو الضلال على الهدى ويطمس أعلام الحنيفية الكفر
وتُعلى البواغي والطواغي وحزبها على عصبة في الدين شرعهم الذكر

وينسخ آيات الكتاب وحكمه لحونُ الغنا والعود والطبلُ والزمر
لقد فل غضب الشرك بل ثل عرشه وسل حسام الدين واندرس الشر
وحالت مغانيه وأثوت ربوعه وزالت مبانيه فساحاته صِفْر
كأن لم تكن فيه الملاهي مرنّة ولم يجتمع للهو في ساحة سَمر
نعى الشرك أحزاب الضلالة بعدما تغشاهم الإذلال والعار والوزر
وقامت نواعي الرفض يندبن أهله بحرقة قلب فيه مِن فقدهم جمر
رمى الله أحزاب الضلال كما رمى ذوي الفيل إذ أعياه عن مكة الحصر
أديرت عليهم في الشباك رحى الردى ودارت كئوس للمنايا لهم حُمْرُ
وحاق بهم ما أضمروا من طوية وخانهم المغوي وخانهم المكر
فمنهم مئات بالصبيحية اغتدت تراوحها الأشبال والذيب والنمر
مرابع فيها للطيور مراتع وترقص فيها النسر والحرّ والصقر
إذا مرها المجتاز يلفي موائدًا وليس بها إلا كماة العدا جزر
برب طعيس لا طعيس تقشعت سحائب رجز بالمنايا لها شر
لقد حق وعد الله واعتز جنده فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر
تولى إله الخلق نصرة دينه فأعلى منار الحق وانشرح الصدر
أرانا بهذا البطش ذو العرش آية وذكرى لنا في ضمنها يظهر البشر
رأى جزعًا منا فأبدى انتقامه وذكرنا للوعد إذ جاءنا الصبر
على أن مولانا أبان بصنعه لنا أن جند الحق لم يدره الحَجْر
عيون القضا ليست نياما وسهمه مصيب فما يغني عن القدر الحذر
وحسن الرجا للعبد أقوى وسيلة إلى قصده والعسر يتبعه اليسر
تمنى رجال أن ينالوا مناله وقد عاهدوا بالبيع إن سامهم سعر
فهم في انتظار النحب يرجون فوزهم وقد سمحوا بالعمر إن حارب الغمر

فمن مبلغ عني العداة رسالة أنيبوا فما يأويكم السهل والوعر
أتيتم إلينا رائمين قطيعة فحل بكم بأس وعاجلكم حذر
ورمتم ذرا السمحا وجبّ سنامها وهدم دعامات عليها رسا قصر
وناويتم الإسلام والله دونه وأحزابه والسُّمر والبيض والبتر
تقاسمتم الأحساء قبل منالها فللروم شطر والبوادي لهم شطر
أمانيّ من أردى العباد بمكره وما وعده إلا الأباطيل والغدر
تعستم فهجرٌ دونها خُطّة البلا ودون حماها يُقطع الهام والنحر
ومن دونها يومٌ به يرعف القنا وتروى المواضي والمثقفة السمر
بها الأسل كالآجام والأسد حولها مثال الرواسي والنجيع به بحر
أنيبوا سراعًا قبل أن يُهتك الغطا ويكشف عن وجه المخدرة الخُدر
أفيقوا فأنتم في دجى غمرة الردى وأبصاركم عمي وفي سمعكم وقر
ألم ينهكم عن مهيع الغي ما جرى ففيه لذي الألباب عن غيهم زجر
ألم يأن أن تأووا إلى معقل الهدى فقد جاءت الآيات واستتبع النذر
تبين نهج الحق والرشد للورى فليس لمن ينحو سبيل الردى عذر
وقامت على الدين القويم شواهد يقصر عن تعدادها الضبط والحصر
فآياته محفوظة عن معارض وراياته لا يُستطاع لها كسر
يشيعها التسديد حيث تيممت ويتبعها التأييد والنصر والقهر
تشعشع من خمسين عامًا ضياؤه ولم تبق أرضٌ ليس فيها له ذكر
سقى قبر من أحياه شؤبوب رحمة وعم سحاب العفو من ضمه القبر
فقد جاءنا يدعو إلى الدين بعدما عفا رسمه والأرض من نوره قفر
فجادله الأحبار فيما أتى به من الحق والبرهان يكشفه السَّبْر
ونوظر حتى ألزم الخصم عجزه وصار إليه الفلج والورد والصدر

فعودي بغيًا واهتضامًا ونصرة لملة آباء عليها مضى العمر
وهموا بما لم يدركوا من وقيعة فما ناله مما أرادوا به ضُر
نفته العدا لما جفته أقارب فآواه بل ساواه من خصّه البر
فجاهد حتى أطلع الله بدره بآل سعود حتى شُد له الأزر
فهم أنجم للمهتدين وصارم شباه بهام المعتدين له طر
لقد أحرزوا خُصَلَ الفخار وأبرزوا من الدين مطويًا فلاح له نشر
فأضحت بهجر شرعة الحق غضة وصوّح نبت الشرك وانقطع البذر
بهدي إمام المسلمين ومهده أضاءت نواحيها فأرجاؤها سفر
تهن بهذا الفتح يا بن محمد فقد تم للدين القويم به فخر
هنيئًا لك الفتح الذي فتحت له السـ ـموات والفردوس وافتخرت هجر
هنيئًا لك الفتح الذي طأطأت له جباه الملوك الصِيد واتضع الكبر
فهذا هو الفتح الذي بضيائه تهلل وجه الدهر وابتسم الثغر
وهذا هو الفتح الذي جل قدره فليس بمُحْصٍ فضله النظم والنثر
فلله فتحٌ طبق الأرض صيته وهزت به البلدان وارتعدت مصر
بك الدين يا عبد العزيز مؤيد يعززه بالبيض أبناؤك الغر
فراع جناب الحق في الخلق وارعهم بعدل وإحسان لكي يعظم الأجر
وأحسن إليهم واعف عنهم ولا تطع بهم قول واش جل مقصوده التِّبْر
يسارع في سخط الإله تقربًا إليك لكي يدنى فينمو له الوفر
ولا تصطفي للنصح إلا مجربًا تقيًا نقيًا ليس في قلبه وحر
فلا بد من حشر ونشر وموقف مهول به التقوى تكون هي الذخر
وبالعدل والإحسان والعفو والتقا ينال الرضا والملك يبقى له الجبر
أثابك مولاك الكرامة في الجزا وجادك من هطّال سحب الرضا قطر

سعود بهذا الفتح هنئت فليكن  يقابله منك التجاوز والغفر
وإسبال ذيل العدل والصفح والرضا  لجَانٍ فإن العفو يسمو به الحر
أساء الأعادي ظنهم فيك فاعتدوا  وما علموا ما ينتج الرأي والفكر
فظنوا سفاهًا أن حزمك رازم  وعزمك معقول اليمين به حصر
وأنك وإن بعد إدّلاجك السرى  وحدّك من بعد المضاء به دثر
وقد عرفوا منك الشهامة والدَّهَا  ومن بأسك المشهور عندهم الخبر
فأنساهم الشيطان ما يعرفونه  ليقطع منهم حيث أغواهم الدبر
وما جحدوا ما استيقنوا منك في اللقا  ولكنهم من شؤم أعمالهم غُرُّوا
وما غرهم إلا تأنيك عنهمو  ولم يفهموا أن الأناة لها سر
فبُرد الوغى ما لم يُجد نسجه الحِجَا  ويحكمه التدبير قبل اللقاء طُمر
وأصل الوغى التدبير والرأي ساقها  وأغصانها صبر وأثمارها نصر
فلبثك عن صدم الأعادي خديعة  ومكر فما يلفى عليك به سخر
وتا الله ما اخترت المقام على اللقا  لجُبن ولكن المراد بهم فقر
وما أنت إلا مسعر الحرب إن خبت  وخواض حاميها إذا حمي الدسر
بربك أركان الشريعة قد رست  وقوم منها ما تخلله الصعر
لئن زادت الأحسا بنصرك بهجة  فقد زانت الدنيا بوجهك والعصر
وإن لم تكن زاحفتهم بعد رجفهم  فقد زاحفت عنك المهابة والذعر
وقابلهم بأس الإله ورجزه  وصاح بهم صوت القضاء ألَا فِرُّوا
فولُّوا سراعًا مدبرين وخلفهم  ليوث شرى من طبعها الفتك والأسر
عصابة توحيد إذا اشتبك القنا  وضاق مجال الخيْل وانتفخ السَحر
تخوض عباب النقع والموت ناقع  كأن حياض الموت عندهمو نهر
أدام لهم ربي بك النصر والهنا  كما للعدا منك النكاية والقسر

وأولاك مجدًا يحسر الطرف دونه ... ويقصر عن إدراكه البدو والحضر
ولا زلت في الدنيا عزيز مؤيّدًا ... لك النقض والإبرام والنهي والأمر
ودونك من خرد القريض خريدة ... يجلّ سناها أن يماثله الدرُّ
تحتك وخمر التيه يهصر عطفها ... عسى أن يرى حسن القبول لها مهر
وأزكى صلاة يبهر البدر حسنها ... على خير مبعوث به رفع الإصر
كذا الآل والأصحاب ما جادت الصَبا ... على الروض مطولًا فعطرها الزهر

وفيها غزا ربيّع بأهل الوادي، ومن يرعى فجاج تلك الأرض من سائر البوادي، فسار حتى نزل في أرض بيشة، فأعد عند الجنينة والشقيقة، وكانتا للمسلمين هناك جنده وجيشه، فاستمر يغير على أهل تلك البلد والقرايا، وينالون منها عظم البلايا، ويصبحهم بالغارة كل ساعة وحين، فليسوا من مقاسات القتال بمستريحين، فأقاموا على تلك الأحوال مدة، يقاسون منه تضييقًا وشدة، فلم يحسن لهم تلك الأيام، في بلدانهم سكنى ولا مقام، ولا يهنأون بطعام، ولا يجدون راحة منام، حتى أقبلوا على القسر منهم والإرغام، إلى منهج الاستسلام، فطلبوا الدخول فيه، ولا يجوز لأحد أن يبعد من أراد ذلك وينفيه، فدخل الإسلام كثير من أولئك الأنام، وعاهد على ذلك كثير من القرى، حتى جرى عليهم من الردة ما جرى.

وسبب ذلك أن غالب الشريف لما تحقق عنده ما جرى على أهل بيشة، تكدر حاله وتنغص عليه المعيشة، فدبر فكرته وحيلته، وحقق قصده ووسيلته، فأظهر جيشًا كثيرًا وجما غفيرًا، واستمد سائر البوادي، فكل بالإسراع أجاب ذلك المنادي، فرأَّس فيهم الشريف فهيد، فخرج بأعظم الكيد، وسار حتى نزل على الجنينة، وكانت للإسلام سابقة، وتلك القرى بعدها لاحقة، فدعاهم إلى النزول بالأمان، أو قطع تلك البواسق الحسان، فأجابوه لذلك من غير توان، وظهروا

عليه من ذلك المكان، فأوقع بهم الخزي والهوان، وقتل منهم كثيرًا من أهلها ممن يدعي الدين، وينتسب للموحدين، وأسر أناسًا كثيرة ونهب البلاد، وعاينوا أقبح الفساد.

ثم بعد مضي ذلك وانقضائه، وصدور قدر الله وقضائه، على أولئك العباد، وما نالوا من الذل والإنكاد، سار إلى رنيه عاجلًا، وكان لنيل المأرب منها آملًا، فأناخ على النخيل والحلل، ورام أن يقطعها على مهل، وظن أهلها إليه لا يخرجون، وإذا رأوها يقطّعها يزعجون، ويحنون عليها حنين الثكلى، وكفى بذلك تنكيلًا ونكلًا، ألا يدركوا منها أكلًا، فحين نزل قريبًا منها خرجوا إليه سراعًا، فنحوه عنها وطال بينهم مجال القتال، وصبر على البأس أولئك الرجال، وطاعنوا دون الحلل والنخيل، وليس عندهم سوى الرجا تأميل، فأمدهم بالنصر والظفر، من علم حالهم وأعان فرسانهم ورجالهم، وكتب على أعدائهم خذلانهم وإذلالهم، بعدما سول لهم الشيطان وأملى لهم، فقتلوا منهم مائة رجل، ثم انهزم فهيد ومن معه على عجل.

**وفيها** غزا هادي بن قرملة مع كثير من قومه قحطان، وقليل من سائر العربان، فسار حتى انفلق له ضياء الأمل، وتقشع عنه قتام النصب والكسل، فأبصرت البقوم عيونه فحققت ظنونه، فعند ذلك كسا تلك الأقوام، من نقع الغارة قتام، ودجا عليهم من سنابك الجياد ظلام، فاشتد الزحام، وحانت المضاجع في الرجام، فاجتلدوا لحظة وكلٌ أخذ من النجدة حظه، ثم بعد ذلك انهزم الأعدا، وحامت على رؤوسهم عِقبان الردى، فولّوا على أعقابهم مدبرين، وقتل المسلمون منهم نحو الستين، وأخذوا منهم كثيرًا من الإبل، ورجعوا بحسن الأمل.

ثم بعد مضيّ شهرين، عاد عليهم طائف البين، فأغار عليهم هادي بن قرملة،

فأدرك منهم فوق ما أمله، وتلاحمت بعد الغارة فرسان البوادي، فكان طالع الإقبال لهادي، فصدقت أبطاله ونصحت رجاله، فحسنت عند ذلك حاله، فانهزم أعداؤه، ونجح رجاؤه، فأخذ من الغنم ألوف، وجرع أربعين رجلًا الحتوف، وأدرك بعض الآبال فنعم له البال.

**وفيها** رأَّس سليمانُ باشا بغداد حمودَ بن ثامر، بعدما قتل الله ثويني وانهزمت تلك الجيوش والعساكر، وكتب الله عليهم التمزيق والشتات، فتفرقوا أيادي سبأ في الفلاة، ولم يكن لهم بعد ظهور البراهين والآيات، صبر ولا اجتماع ولا التفات، وظن الباشا سليمان أن تلك الأحزاب والعربان، إذ رأَّس حمودًا على البصرة والبلدان، تُقبل عليه وتجتمع لديه، ويكون لهم في التخريب أمر وشأن، فأرسل إليه النُجب والبريد، بذلك للرئيس والتأييد، مصحوبًا بخُلعة فاخرة جميلة، وصِلات وافرة جزيلة، فترنح عطفه بخمرة الملك، فاستضاءت رحابه حين انتظم واسطة لذلك السلك، وأشرق ناديه بعد ذلك الحلك، ولم يدر أنه طوّق بأطواق من الشر والهلك، فلما أدرك الرئاسة واحتوى، وكرع في مواردها حتى تضلع وارتوى، وما خطر على باله ما كمن في ضمنها وانطوى، وتسنم كاهل السياسة وارتقى، واختار من أعوانها وانتقى، وتقلد أعباءها وتطوق، وتحلى بحلاها وتحقق، أقبل إليه كل من تشتت وتفرق، والتأم عليه كل من تقطع وتمزق، وأسرع لديه كل من خاف من المسلمين وأشفق، وكل من صد عن التوحيد والحق، ورام للدين وأهله مغالبة، وأنه يدرك منهم مطالبه، وسيعلم من تكون له العاقبة، وأنها كما نطق به الكتاب المبين، من غير شك لعباده المتقين، وحزبه المؤمنين وجنده الموحدين.

**وفيها** غزا من أهل الحسا غزو، وأميرهم أبا رجلين مناع، فلم يكن لهم دون

الكويت اقتناع، ولا حيلولة ولا دفاع، فصبحوا تلك البلد بعد حث وإسراع، فأغار ذلك الجيش على أطراف البلاد، بعدما جعلوا لهم كمينًا للجلاد، فأخذوا غنمًا كثيرة، وفزع أهل البلاد بجموع غزيرة، وعدة عظيمة شهيرة، فوقع بينهم قتال من بعيد، والرمي يصيب فيهم ويجيد، وكل من الفئتين ليس له على الثبات من محيد، حتى طلع ذلك الكمين المعدود، فانهزم أهل البلد وكان لهم إليها ورود، وما كان لهم دون ذلك صدود، فملك المسلمون أعقابهم، وكان كؤوس الردى شرابهم، وعجل الله تعالى لهم عذابهم، فقَتَلَ منهم نيفا وعشرين، وأخذ ما معهم من سلاح وولى الباقي منهم منهزمين.

**وفي تلك الغزوة** صادف منصور بن فضيل مع ركب معه من العماير[1]، وهو إذ ذاك للقطيف سائر، فقُتل ومن معه، وجُرِّع حِمامه فجرعه.

**وفيها** أيضًا وافق مناع أبا رجلين وغزو أهل الحسا ما جلب لهم السرور والإيناس، وهو ركبٌ معهم محمد بن ديماس، فقُتل مَن معه، وخاضت البحر بمحمد بن ديماس فرسه مسرعة، فدعي عند ذلك بالأمان، لكونه لم يعرفه من المسلمين إنسان، فأقبل بعد ذلك سريعًا، ونال ذلًّا شنيعًا، فقُيِّدَ وأُسِرَ بعدما مَلَكَ وقَهَر، ثم بعد صدور القضية، أتى به مناع إمامَ المسلمين في الدرعية، فحاول على قتله حجة شرعية، وطريقًا يبري ذمته عند رب البرية، فكأنه، حرس الله تعالى من المكروه مهجته، وأدام توفيقه ونعمته وبهجته، تورّع في المسارعة إلى قتله، مع ما صدر من قبيح فعله، فقد كان وقافًا عند الحدود، وكان يدرؤها بالشُبه كما للنص بذلك ورود، ولكنه ترك ابن ديماس يعاني همّ الأحباس.

**وفيها** أغار مشاري بن عبد الله آل حسين، على فريق من زغْب[2] فقرب الله

---

(١) من بني خالد.

(٢) إحدى قبائل بني سُليم.

تعالى له الهلاك والحين، وكان غازيًا من الكويت مع أهل عشرين مط-يّة، وبعضٌ من الخيل، فلم يدرك إلا الرزية، ومفاجأة الحمام والمنية، معاقبة لأفعاله الردية، وشؤم صنعه في البرية، ونفوته عن التوحيد، وموالاته لكل شيطان مريد، وبذل جده في مصادمة الحق والهدى، ومساعدته لأهل الضلال والردى، وقيامه مع من تعدى وجار، من سائر طوائف الفسّاق والنجار، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

وفيها أرسل كثيرٌ ممن حول مكة من البدو إلى عبد العزيز يطلبون منه الإسلام والأمان، وجعلوا بينهم واسطة حمود بن ربيعان، فأجابهم إلى ذلك الإمام، وشرط عليهم النكال، فالتزمه ذلك الأنام، وجعل على كل بيت شيئًا من الدراهم، وعلى كل سلف ركابًا وسلاحًا وخيلًا جيادًا كرائم، لكونهم قد نزعوا حلية الدين، ونزغوا إلى طريق المبطلين، وكان التنكيل بالمال، مما لا خفاء في جوازه ولا إشكال، والمعاقبة بذلك جائزة واردة، والنصوص عليه شاهدة، ولا عبرة بمن كانت بصيرته جامدة، وفكرته لذلك جاحدة، وكانت هذه سنة عبد العزيز، حرسه الله تعالى، فيمن عدل عن الحق والمنهاج، وركب طريق الزيغ والاعوجاج، فراض على ذلك الاشتراط، من كان له بالمسلمين ارتباط، وفي الإسلام رغبة واغتباط، وهم كثير من أولئك العربان، وأعظمهم كثرةً فِرقان العتبان.

ولم يبق ممن يسيم مواشي الآبال في تلك الشعاب والتلال، سوى البقوم من أهل الضلال، فشق ذلك على غالب، وكان عليه من أعظم المصائب، وهمه ذلك وأقلقه، وأزعجه ما جرى وأرهقه، وأحزنه ما صدر من حالهم، ودخولهم في الإسلام بعد ضلالهم، وتحقق أن ذلك عليه داء عضال، وأنهم يجرون عليه الهوان والإذلال، فلم يلف بعد معاودة الفكر والبال، طريقًا إلى التوصل في

بقائهم عنده على تلك الحال، إلا الخروج والاستعداد للقتال، ومصادمة الأعراب والبوادي، ومكابرتهم بالجيوش والعوادي، فعند ذلك شمّر في الأمر وسعى، ونادى على الإغاثة ودعا، وأقبل إليه أحزابه شِيعًا، وخرجوا معه تبعًا، فجدّ في وجهته مسرعًا، فوافى عيونًا لابن قرملة، فأخذهم وتهددهم حتى دلوه على ما أراده وأمله، فلم يشعر هادي إلا بغالب عليه عادي، وتطاعنت الفرسان ولم يحضر من فرسان قحطان سوى ثلاثة عشر فارسًا من الشجعان، فحمي بينهم سعير الوغى، ولم يكن دون الجلاد مبتغى، فقتل من قوم الشريف خمسة أفراس، وأقام ابن قرملة معهم في غاية الجلاد والمراس، وهزم أكثر الإبل، فلم يدرك منها غالب غاية الأمل، وأخذ منها بعضًا في ذلك المجال، وأخذ كثيرًا من بعير الظهر ذي الأثقال، ثم حصل بينهم المفارقة والانفصال.

ثم بعد ذلك عمد هادي ومن معه إلى رنية، وأقام غالب على ماء القنصلية، ثم سار إلى رنية من غير ونية، فنزل عليها ليالي وأيام، وحاصر من فيها من الأنام، ممن دان للإسلام، وحاول نزول أهلها بلين الكلام، ورغبهم في نبذ العهد والذمام، فلم يفز منهم بسؤل ولا مرام، فأخذ يقطع النخيل وزين له الشيطان أنه يفوز بتأميل، فعند ذلك أسرع أهل البلاد إليه، وصمموا في البيعة عليه، فالتقوا ذلك اليوم، وحمي القتال بين القوم، وقتل بينهم رجال، ثم وقع التفرق والانفصال، وأقام على تلك الحال أيامًا وليال، ثم أراد الله تعالى ذله وهوانه، وخزيه وأعوانه، وذلك أنه في بعض تلك المواطن، وأهل البلاد يقاتلونه في بعض الأماكن، ونار الوطيس بينهم حامية، وعيون الجراح منهم دامية، عدا عليهم ابن قرملة مع أناس من جماعته، فوقع بينهم قتال، وقُتِل كثير من أحزاب الشريف في ساعته، وكان جميع مَن قتل مِن قومه قبل ذلك اليوم وفي يومه مائة وزيادة، فانصرف ولم ينل منها مراده، ولم يرد تعالى إسعاده، بل سلب منه مدده وإمداده.

ولما أتى الخبرُ عبد العزيز بما صدر من غالب الشريف، أرسل إلى حجيلان أن يسير مع أهل القصيم حتى يتم لابن قرملة المطالب، ويسلك معه ما أراد من المذاهب، ويعينه على ذلك العدو المحارب، وكان سعود، بلغه الله المقصود، إذ ذاك مقيمًا بالأجردي[١]، يريد أن يغزو أهل الشمال ويعتدي، فأتاه الخبر اليقين، بما صار من المعتدين، وحزب غالب المسرفين، فأرسل ربيع أمير الوادي مع جمع من المسلمين، ممن كانوا معه مجتمعين، وللغزو في تلك الأيام مريدين، فأمرهم أن يعجلوا المسير، ويساعدوا ابن قرملة حتى يحصل بهم له الفرج والتيسير، ويشمروا ساعد الهمة والعزمة أتم التشمير، فساروا منه وهو في ذلك المكان، فصار ولله الحمد له شأن ولهم شأن، وحصل لكل منهم بهجة وسرور، وانتصار واستعلاء وتمكين من الكفار، فقصد سعود السها وجعله أمامه، وقصد ربيع ومن معه أهل تهامة، فنال كل من المسلمين مرامه، وأدرك العز والكرامة.

وبعدما صار من غالب تلك الأفعال، جر من الفخر الأذيال، فشمّر إلى بيشة سائرًا، وعلى مَن بها مِن المسلمين غائرًا، ولمن له فيها من الجماعة معينًا وناصرًا، فرجعه الله تعالى ذليلًا خاسرًا، مهانًا مشتتًا ولله الحمد عاثرًا، وذلك أنه لما أتى إليها وأناخ بجمعه عليها، هرب من فيها من المسلمين، ولم يكونوا في تلك البلدان مقيمين، وقد هاجر قبل قدومه إليهم ووفوده عليهم ناس من أهل بيشة كثيرة، كان لهم في الدين بعض بصيرة، فتفرقوا في رنية والوادي، وكان الله تعالى لهم مرشدًا وهادي، وحملهم على الهجرة والهرب، والفرار عن المسكن الذي هو للنفوس مطلّب، سبب هو أعظم السبب، وذلك أن غالب تلك

---

(١) وادي الأجردي، يقع شرقي القصيم.

البلاد، يرغبون في منهج الغي والفساد، وأنهم أَنِفُوا من أهل الدين، وكانوا لعداوتهم مضمرين، وتبين وظهر وتحقق واشتهر، أنهم أرسلوا إلى غالب الشريف، يأتي إليهم بلا توقف ولا وتوقيف، ويقتل من دان بالتوحيد حتى يرجف غيرهم ويخيف، فأتاهم سريعًا لذلك الحال، فأقام عندهم أيامًا وليال، يرتب ما أراد من الأحوال، ثم لما عزم على المسير والارتحال، أخذ أناسًا معه في الاعتقال، وقادهم معه في السلاسل والأغلال، فشمر ساعد المسير، لما يريده من الحزم والعزم والتدبير، فنال أعظم الهلاك والإذلال والتدمير، فالحمد لله العلي الكبير.

وذلك أنه أسرع في تسياره، يريد قضاء بعض أوطاره، حتى يرجع متبجّحًا عند رعيته وأنصاره، ويدخل متبخترًا بحضرة بلده وأهل داره، فنزل على قرية يقال لها الخرمة[1]، وفيها سكن قليل من الناس مسلمة، فلما علموا بقدومه لتلك القرية، هربوا وندوا، وطلبوا النجاة لأنفسهم وشدوا، فتعلقوا البدوان، وساروا مع العربان، فساعة أناخ بها ركابه، ومدّ بها أطنابه، وقر له بها القرار، أشعل في تلك القرية النار، وعجل الله لها بالدمار، وكانت عقباه في يومه ذلك البوار، وأظهر الملك القهار، والمنتقم الجبار، فيه للمسلمين آية الانتصار، وعلما من أعلام الأقدار، وبرهانًا على الوحدانية لا يعرف له مقدار، ولا يحاط بكنهه في الفكر والاعتبار، يجل عن القيام بحق حمده وشكره، وتقصر الألسنة عن الثناء عليه وذكره، فمواهبه سبحانه لأهل الدين، وفواضله على كافة الخلق أجمعين، ونصرته لعباده المؤمنين، وإعزازه لأوليائه المفلحين، ودفعه عنهم

---

(١) تقع شمال شرقي مدينة الطائف، وتبعد عنها حوالي ٢٣٠ كم، وهي تابعة لإمارة منطقة مكة.

صروف الحادثات والنوب، وتفريجه عنهم الشدائد والكروب، أكثر من أن يعدّ ويحصر، وأشهر من أن يُحصى ويذكر، ولكن أين الألباب الذي تعي ذلك وتفهم، وتُخلص التوحيد وتُسْلِمُ وتَسْلَم، وتحزن على ما جرى منها وتندم، وتذكر ذلك الضلال الأعظم، والغي الأقبح الأقدم، في ذلك الزمان الذي مضى وتقدم، فنسأله أن يوزعنا شكر نعمائه، ويوالي علينا فيض بره وآلائه، وأن يصرف عنا مضلات فتنه وابتلائه، ويحقق لنا سؤلنا ومأمولنا في حسن رجائه، وتحقيق الحديث والخبر، عما جرى على غالب وجنده ممن شاهد الأمر وحضر، أنه لما نزل بذلك المكان والمحل، وفعل بالإحراق له ما فعل، لم يكمل له أنس، ولم تغب له فيه شمس، حتى دهاه فيها ما أزهق الروح والنفس، وذلك أنه لما عمد إلى ذلك المكان، وسار لقصد ذلك الشان، أتى خبره ربيّع أمير الوادي وابن قرملة أمير قحطان، فاستعانوا الرحيم الرحمن، في الغزو عليه بأثره حتى ينالوا بذلك الثواب من الله والإحسان، ويوقعوا به بعض الذل والهوان، ولم يقع في رُوعِهِم أنهم لجنده منازلون، ولجيشه مصابرون ومقاتلون، ولكن كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، فجدوا السير بأثره يطلبون، ولبعض النصرة عليه مِن مولاهم مؤملون، فلم يفاجئه إلا وفرسانهم عليه مشرفون، وذكر له أن هؤلاء ربيع وهادي وقومهم لهم متبعون، فركض برجله الأرض وفحصَ وقال: الآن أفترس الضرغام وأقتنص، ولكن لا تروم السنانير الأشبال، ولا يروم السِّرحان[1] على الريبال[2]، ولا تحوم بُغاث الطيور على العِقبان والنسور، أيحاكي طنين الذباب زئير ليث الغاب؟ ولئن حكت صولة الأسود، في الانتفاض الهررة والقرود، فلا تناظرها في البأس والورود،

---

(١) الذئب.

(٢) الرجل الذي يغزو وحده.

والإقدام والنُّهود:

ومن رام في الهيجا لقاء جحافلي وخوض لظى بأسي بيوم التنازل
فقد ضل في قَفر السفاهة والردى وأُلقي في قَعر الظنون السوافل
وأضحى ينادي بالحماقة جهرةً ويرفل في ثوبٍ من الجهل نافل
أتسمو إلى مجدي وذروة مفخري جميعُ الورى أو يدركون منازلي
مجاز تمنى دون ذاك مناله فأين الثريا من يد المتناول
أمانٍ كلمع الآل[1] لم يُرو صاديًا ويحسبه الظمآن عذبَ المناهل
لقد عدمتني الكُمت[2] يوم مجالها ولا وسطت بي الجمع يوم التناضل
ولا أروت الأسلُ الظما سُحب راحتي . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

آخر ما وُجد من التاريخ، والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.



(١) السراب.
(٢) الكميت من الخيل: بين السواد والحُمرة.

# نبذة موجزة عن نُسخ تاريخ ابن غنام

كتبها: الأخ الشيخ عبدالله بن بسام البسيمي - وفقه الله -

١- نسخة بخط محمد بن عثمان بن عيدان، سنة ١٣١٣هـ، في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، ضمن مخطوطات فوزان السابق. انظر: نشرة (أخبار المكتبة)، العدد ١٤ .

٢- الجزء الأول، مصور بالفتوستات، عن نسخة بخط: مِثل بن ناصر الحلّي، عن نسخة ابن عيدان المتقدمة، للكرملي . والجزء الثاني كذلك سنة ١٣٣٢ هـ، برقم (٧١٠١ح)، في دار الكتب المصرية.

ونسخة ثانية بخط حسين فهمي خطاب، سنة ١٣٦٥هـ، برقم (٩٧٣٧ح). انظر عن وصفها: (فهرس المخطوطات)، نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦-١٩٥٥م، دار الكتب المصرية، ط ١٣٨٢هـ، تصنيف أمين سيد، ج ٢، ص١٥٣ .

٣- قطعة منه تقع في٢٧ ورقة، على فلم في الجامعة الإسلامية، مصور من جامعة الرياض. انظر: (فهرس كتب التاريخ والرحلات والجغرافيا والبلدان في المصغرات الفلمية بالجامعة الإسلامية)، ط ١٤١٥هـ، ص٧١ .

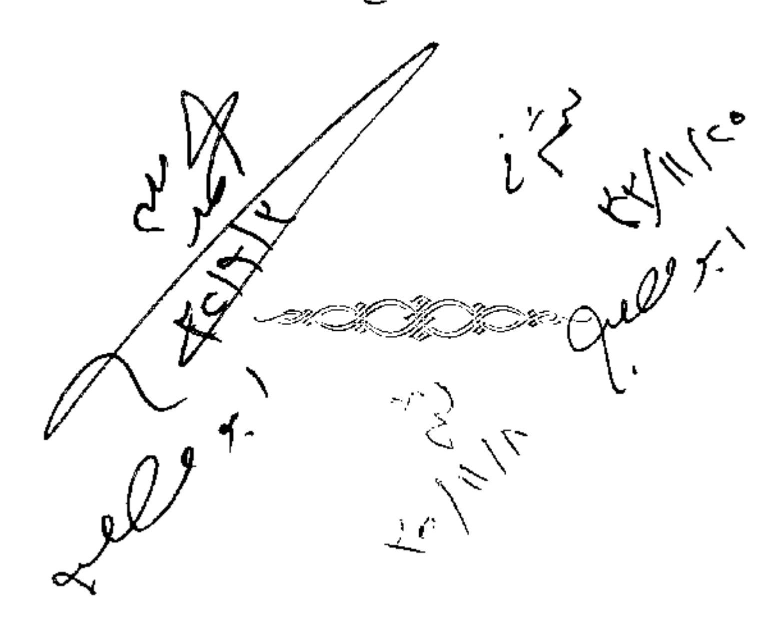
٤- توجد في دارة الملك عبدالعزيز بالرياض عدة نسخ أصلية من تاريخ ابن غنام، منها نسخة بخط الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله، سنة ١٣٠٤هـ، نشرت الدارة نماذج منها بخطه في كتاب (مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة)؛ للدكتور فهد السماري، ط ١٤١٧هـ. انظر: الصفحات: ٢٢، ٢٣، ٢٠٦، ٢٠٧).

٥- نسخة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، الجزء الأول برقم (١٤٦٣/ ١)، والثاني برقم (١٤٦٣/ ٢). انظر: (فهرس مخطوطات جامعة أم القرى)، ج ٥، ص ٢٧٨ - ٢٧٩، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٦- وفي جامعة أم القرى نسخة برقم (١٧٥٩)، جاء وصفها في (فهرس مخطوطات جامعة أم القرى)، ج ٤، ص ٢٥٩، ط ١، ١٤١٤هـ.

٧- وتوجد نسخٌ أخرى من تاريخ ابن غنام. منها نسخة في دار الكتب المصرية، برقم (١١٠٣٣ح)، غير النسختين السابقتين. ونسخة في مكتبة المتحف البريطاني بلندن.

انظر عن ذلك: (تاريخ الكويت)؛ لأحمد مصطفى أبوحاكمة، ج ١، ص٢٢ . و(دراسة في أهم مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر)؛ لعبدالفتاح أبو علية، ص ٣٨٣، دار المريخ، الرياض، ١٤٢٢هـ.



# فهرس الأعلام والقبائل



# فهرس الأماكن والبلدان والقبائل



# فهرس المحتويات

# فهرس المحتويات

